دائرة معارف القرن العشرين

محمد فريد وجدي

المجلد السادس

دار المعرفة
بيروت - لبنان

دائرة معارف القرن الرابع عشر العشرين

قاموس عام مطول للغة العربية والعلوم النقلية والعقلية والكونية بجميع أصولها وفروعها
ففيه النحو والصرف والبلاغة والمسائل الدينية وتاريخ الفرق والمذاهب والتفسير
والحديث والاصول والتاريخ العام والخاص وتراجم مشهوري الشرق
والغرب والجغرافية الطبيعية والسياسية والكيمياء والفلك والفلسفة
والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والروحية والطب والعلاج وقانون
الصحة والفوائد المنزلية وخواص العقاقير والاقرباذين والاحصاءات
وسائر ما يهم الانسان فى جميع المطالب

﴿ تأليف ﴾

محمد فريد وجدي

المجلد السادس

الطبعة الثالثة
سنة ١٩٧١

حاز هذا الكتاب رضاء وزارة المعارف العمومية والجامعة
الأزهرية ومجالس المديريات فقررته لجميع معاهدها الدراسية

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت ـ لبنان

حرف العين

﴿عبأ﴾ المتاع يعبأه عَبئا. هيأه ومثله عبّأه

(عبّأ الجيش وعبأه) جهزه

(العَبَاء) كساء من صوف مفتوح من الامام ومثله (العَباءة)

(اليعْبوء) الحمل

﴿عبّ﴾ الماء يَعُبه شربه بلا تنفس

(العُبَاب) معظم السيل وارتفاعه وكثرته. و(اليَعبوب) النهر الشديد الجرية

(العُبّ) الردن

﴿عبث﴾ يعبث عبثا لعب وهزل

(العَبَث) اللعب

﴿عبد﴾ ربه يعبُده عبادة وعبودية خضع له وانقاد لأوامره. و(العبادة) الطاعة لله

(عبّد الطريق) ذلله

(تعبّد الرجل) تنسك

(اعتبده واستعبده) اتخذه عبدا

(العابد) جمعه عُبّاد

(العَبابيد والعباديد) الفرق من الناس

(العبد) هو الانسان حرا كان أو رقيقا جمعه عِباد وعِبدان وأعْبُد

﴿عبد الله بن عمر﴾ بن الخطاب القرشي العدوي. كان من كبار الصحابة وأجلائهم أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم وهاجر مع أبيه الى المدينة وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرده لصغر سنه. فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه وقبله في جيشه

من مناقبه انه كان كثير الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل مايأخذ به نفسه

وكان كثير الورع والعلم اعتبره المسلمون قطباً من أقطابهم مدة حياته ولا يزالون يروون عنه الاحاديث العالية الاسناد

كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لايتخلف عن الحرب معه ومع الجيوش التي يرسلها. ثم لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أولع بالحج ولم يزل على ذلك حتى مات

يقال انه كان أعلم الصحابة بمناسك

الحج

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأم المؤمنين حفصة بنت عمر ان أخاك عبد الله رجل صالح لو كان يقوم من الليل . فما ترك ابن عمر بعدها قيام الليل

وقال جابر بن عبد الله ما منا أحد الا مالت به الدنيا ومال بها ما خلا عمر وابنه عبد الله

وقال ميمون بن مهران ما رأيت أورع من ابن عمر ولا أعلم من ابن عباس

وقال سعيد بن المسيب لو شهدت لاحد انه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله ابن عمر

وحكى الاصمعى قال حدثنا ابو عبد الرحمن وهو ابو الزناد عن أبيه قال اجتمع فى الحجر مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير وعبد الله بن عمر. فقالوا تمنى. فقال عبد الله بن الزبير اما انا فأتمنى أمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . وقال عبد الله بن عمر اما أنا فأتمنى المغفرة . قال فنالوا ما تمنوا ولعل ابن عمر قد غفر له

وحكى سفيان الثورى عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبى قال لقد رأيت عجبا ، كنا بفنا الكعبة انا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان فقال القوم بعد ما فرغوا من صلاتهم ليقم رجل منكم فليأخذ الركن اليمانى وليسأل الله حاجته فانه يعطى من ساعته . قم يا عبد الله بن الزبير فانك أول مولود ولد فى الهجرة فقام وأخذ بالركن اليمانى ثم قال اللهم انك عظيم ترجى لكل عظيم ، أسألك بحرمة عرشك وحرمة وجهك وحرمة نبيك عليه السلام أن لا تميتنى حتى توليني الحجاز ويسلم على بالخلافة . وجاء حتى جلس . فقال قم يا مصعب فقام حتى أخذ بالركن اليمانى ، فقال اللهم انك رب كل شيء واليك يصير كل شيء أسألك بقدرتك على كل شيء أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سكينة بنت الحسين . وجاء حتى جلس

فقال قم يا عبد الملك فقام وأخذ بالركن اليمانى وقال اللهم رب السموات السبع ورب الارض ذات القفر. أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك وأسألك بحرمة وجهك وأسألك بحقك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك أن

لا تميتنى من الدنيا حتى توليني شرق الارض وغربها لا ينازعنى أحد الا أتيت برأسه . ثم جاء حتى جلس

فقال قم ياعبد الله بن عمر فقام حتى أخذ بالركن اليمانى ثم قال اللهم انك رحمن رحيم أسألك برحمتك التى سبقت غضبك وأسألك بقدرتك على جميع خلقك أن لا تميتنى من الدنيا حتى توجب لى الجنة. قال الذهبى فما ذهبت عيناى من الدنيا حتى رأيت لكل رجل ماسأل وبشر عبدالله بن عمر بالجنة ورؤيت له

وحكى حمزة بن عبدالله بن عمر عن عبدالله بن عمر قال خطرت لى هذه الآية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فذكرت ما أعطانى الله عز وجل فما وجدت شيئا أحب الى من جاريتى رمينة فقلت هى حرة لوجه الله فلولا انى أعود فى شىء جعلته لله لنكحتها . فانكحها نافعا فهى أم ولده

وكان ابن عمر اذا اشتد عجبه بشىء من ماله قربه الى ربه عز وجل . قال نافع وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر أحدهم فيلزم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه . فيقول له أصحابه يا أبا عبد الرحمن والله مابهم الا أن يخدعوك . فيقول ماخدعنا أحد بالله الا انخدعنا له

قال نافع مامات ابن عمر حتى اعتق الف انسان أو مازاد وكان يحيى الليل صلاة فاذا جاء السحر استغفر الى الصباح

توفى مجروحا من حربة مسمومة وذلك ان الحجاج بن يوسف الثقفى أمر رجلا فسم زج حربته ورحمه فى الطريق ووضع الزج على ظهر قدمه ليسرى السم منه الى دمه

وسبب ذلك أن الحجاج خطب يوما وأخر الصلاة فقال له ابن عمر ان الشمس لاتنتظرك . فقال له الحجاج لقد هممت أن أضرب الذى فيه عيناك. قال ابن عمر أن تفعل فانك سفيه . وقيل انه أخفى قوله ذلك على الحجاج ولم يسمعه وانما كان يتقدمه فى المواقف بعرفة وغيرها الى المواضع التى كان النبى صلى الله عليه وسلم وقف فيها وكان ذلك يعز على الحجاج . فأمر رجلا معه حربة يقال انها كانت مسمومة فلما دفع الناس من عرفه لصق به ذلك الرجل فامر الحربة على قدمه وهى فى غرز راحلته فمرض منها أياما فدخل عليه

الحجاج يعوده . فقال من ممك يا أبا عبد الرحمن؟فقال وما تصنع به ؟ قال قتلنى الله ان لم اقتله . قال وما ارك فاعلا ، انت أمرت من نخسني بالحربة . فقال لاتفعل يأبا عبد الرحمن وخرج عنه

ثم مالبث ابن عمر الا اياما ومات وصلى عليه الحجاج

توفى بمكة سنة ثلاث وستين وهو ابن أربع وثمانين سنة وكان قد أوصى ان يدفن ليلا فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج

﴿ عبد الله بن المبارك ﴾ هو أبو عبد الرحمن عبدالله ن المبارك بن واضح المروزى مولى بنى حنظلة

كان من كبار العلماء وأجلاء الزهاد جمع بين العلم والزهد جمعا يتعذر على غيره . أخذ الفقه عن سفيان الثورى ومالك بن انس وروى عنه الموطأ . وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة شديد التورع وكان كذلك أبوه

يحكى عن أبيه انه كان يعمل فى بستان لمولاه وأقام فيه زمانا ثم ان مولاه جاءه يوما وقال له أريد رمانا حلواً فمضى الى بعض الشجر وأحضر منها رمانا فكسره فوجده حامضا فحرد عليه . وقال أطلب الحلو فتحضر لى الحامض ، هات حلوا . فمضى وقطع من شجرة أخرى ، فلما كسره وجده أيضا حامضا . فاشتد حرده عليه ، وفعل ذلك دفعة ثالثة . فقال له بعد ذلك أنت ما تعرف الحلو من الحامض ؟ فقال لا . فقال كيف ذلك ؟ قال لأنى ما أكلت منه شيئا حتى أعرفه . فقال ولم لم تأكل ؟ قال لأنك ما أذنت لى ، فكشف عن ذلك فوجده حقا فعظم فى عينه وزوجه ابنته . ويقال ان عبد الله رزق من تلك الابنة فنمت عليه بركة أبيه

وقد رويت هذه الحكاية وعزيت لابراهيم بن ادهم

ونقل أبو على الجبانى ان عبد الله ابن المبارك المذكور سئل أيما أفضل معاوية ابن أبى سفيان أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال والله ان الغبار الذى دخل فى أنف معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عمر الف مرة . صلى معاوية خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمع الله لمن حمده ، فقال ربنا ولك الحمد . فما بعد هذا ؟

وجاء في كتاب النصوص على مراتب

أهل الخصوص عن أشعث بن شعبة المصيصى قال قدم هرون الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج الخشب فلما رأت الناس قالت ماهذا ؟ قالوا عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك . فقالت هذا والله الملك لا ملك هرون الذى لايجمع الناس الا بشرط واعوان

وكان لعبد الله بن المبارك شعر منه قوله :

قد يفتح المرء حانوتا لمتجره
وقدفتحت لك الحانوتبالدين
بين الاساطين حانوت لاغلق
تبتاع بالدين اموال المساكين
صيرت دينك شاهينا تصيدبه
وليس يفلح اصحاب الشواهين

يذكر عبد الله بن المبارك فى هذه الابيات حال العلماء الذين جعلوا دينهم حبالة لاخذ مابيد الناس من عرض الدنيا . قوله بين الاساطين حانوت بلاغلق أى بين اعمدة المسجد دكان بلا اقفال اشارة الى المكان الذى يجلس فيه المدرسون

ومن كلامه:

تعلمنا العلم للدنياء فدلنا على ترك الدنيا

وكان عبدالله بن المبارك قد غزا فلما انصرف من الغزو وصل الى هيت فتوفى بها سنة (١٨١) او (١٨٢) وكان مولده بمرو سنة (١١٨) ه

عبد الله بن عبد الحكم هو ابو محمد بن عبدالله بن عبد الحكم بن أعين ابن ليث بن رافع الفقيه المالكى المصرى كان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله أفضت اليه رئاسة الطائفة المالكية بعد أشهب. وروى عن مالك الموطأ سماعا وكان من ذوى الاموال والرباع له جاه عظيم وقدر كبير وكان يزكى الشهود ويجرحهم ومع هذا لم يشهد ولا احد من ولده لدعوة سبقت فيه

ويقال أنه دفع للامام الشافعى عند قدومه الى مصر الف دينار من ماله وأخذ له من ابن عسامة التاجر الف دينار ومن رجلين آخرين الف دينار وهو والد أبى عبد الله محمد صاحب الامام الشافعى

روى بشر بن بكر قال رأيت مالك ابن انس فى النوم بعد مامات بأيام فقال ان ببلادكم رجلا يقال له ابن عبد الحكم

فخذوا عنه فانه ثقة

وكان لابى محمد المذكور ولد آخر يسمى عبد الرحمن من اهل الحديث والتواريخ صنف كتابا فى الفتوح وغيره

ولد ابو محمد المذكور سنة (١٥٠) وقيل سنة (١٥٥) وتوفى سنة (٢١٤) وتوفى ولده عبدالرحمن سنة (٢٥٧) ودفن الى جانب قبر ابيه

﴿عبد الله بن وهب﴾ هو ابو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى بالولاء الفقيه المالكى المصرى مولى ريحانة مولاة ابى عبد الرحمن يزيد بن انيس الفهرى

كان احد أئمة عصره صحب الامام مالك بن انس عشرين سنة وصنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير . وقال مالك فى حقه عبد الله بن وهب امام

وقال أبو جعفر بن الجزار رحل ابن وهب الى الامام مالك فى سنة (١٤٨) ولم يزل فى صحبته الى ان توفى مالك وسمع من مالك قبل عبد الرحمن بن القاسم ببضع عشرة سنة وكان مالك يكتب اليه اذا كتب فى المسائل الى عبد الله بن وهب المفتى ولم يكن يفعل هذا مع غيره . وادرك من اصحاب ابن شهاب الزهرى اكثر من عشرين رجلا

وذكر ابن وهب وابن القاسم عند مالك فقال : ابن وهب عالم وابن القاسم فقيه

قال يونس بن عبد الاعلى صاحب الامام الشافعى كتب الخليفة الى عبدالله ابن وهب فى قضاء مصر فخبأ نفسه ولزم بيته . فاطلع عليه أسد بن سعد وهو يتوضأ فى صحن داره . فقال له ألا تخرج الى الناس فتقضى بينهم بكتاب الله وسنة رسوله ؟ فرفع اليه رأسه وقال الى هنا انتهى عقلك . أما علمت ان العلماء يحشرون مع الانبياء وان القضاة يحشرون مع السلاطين

كان ابن وهب عالما صالحا كثير الخوف من الله تعالى

ولد سنة (١٢٤) او (١٢٥) وتوفى بها سنة (١٩٧) ه . وله مصنفات معروفة فى الفقه

وروى أن سبب موته انه قرىء عليه كتاب الاهوال من جامعه اى من الاحاديث التى جمعها هو فأخذه شىء كالغشى فحمل الى داره فلم يزل كذلك الى ان قضى نحبه

﴿عبد الله بن مسلمة القعنبى﴾ هو

ابو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي

كان من كبار علماء المدينة أخذ العلم عن مالك بن أنس وهو من علية أصحابه وثقاتهم وهو أحد رواة الموطأ عنه . فان الموطأ رواه عن مالك جماعة وبين الروايات اختلاف واكملها رواية يحيى بن يحيى

كان عبد الله بن مسلمة يسمى الراهب لكثرة عبادته وفضله

قال عبد الله بن احمد بن الهيثم سمعت جدي يقول كنا اذا أتينا عبد الله ابن مسلمة القعنبي خرج الينا كأنه مشرف على جهنم نعوذ بالله منها

وكان يسكن البصرة وهو من ثقاة الرواة للاحاديث توفي سنة (٢٢٠)

﴿عبد الله بن كثير﴾ هو أحد القراء السبعة قيل مكي داري ، والدار بطن من بني لخم منهم تميم الداري الصحابي وقيل انما نسب الى دارين لأنه كان عطاراً وهو موضع الطيب وهذا أصح . قالوا وهو مولى عمرو بن علقمة الكناني وهو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى بالسفن الى اليمن حين طرد الحبشة عنها كان عبد الله بن كثير قاضي الجماعة بمكة وهو من الطبقة الثانية من التابعين وكان شيخا كبيرا أبيض الرأس واللحية طويلا جسيما أسمر أشهل العين يغير شيبته بالحناء او الصفرة وكان حسن السكينة

ولد بمكة سنة (٤٥) وتوفي بها سنة (١٢٠) ه

﴿عبد الله الدبوسي﴾ هو ابو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي الفقيه الحنفي كان من أكابر أصحاب الامام أبي حنيفة ممن يضرب به المثل . وهو أول من وضع علم الخلاف وأبرزه الى الوجود وله كتاب الاسرار والتقويم للادلة وغيره من التصانيف والتعاليق

وروى انه ناظر بعض الفقهاء فكان كلما ألزمه ابو زيد الزاما تبسم أو ضحك فأنشده ابو زيد :

مالي اذا ألزمته حجة
قابلني بالضحك والقهقهه
ان كان ضحك المرء من فقهه
فالدب في الصحراء ما أفقهه

وكانت وفاته بمدينة بخارى سنة (٤٣٠)

﴿عبد الله بن أبي عصرون﴾ هو ابو سعد عبد الله ابن أبي السري محمد بن هبة الله بن مطهر بن علي بن أبي عصرون

ابن أبي السري التميمي الحديثي ثم الموصلي الفقيه الشافعي الملقب شرف الدين

كان من أعيان الفقهاء وفضلاء العلماء ممن طار صيته ، وسار ذكره

قرأ القرآن برواياته العشر على أبي الغنائم السلمي السروجي والبارع أبي عبد الله بن الدباس وأبي بكر المزرقي وغيرهم

وتفقه على القاضي المرتضى أبي محمد عبد الله بن القاسم الشهرزوري وعلى أبي عبد الله الحسن بن خميس الموصلي ثم على اسعد الميهني ببغداد

وأخذ الاصول عن أبي الفتح بن برهان الاصولي وقرأ الخلاف وتوجه الى مدينة واسط وقرأ على قاضيها الشيخ أبي على الفارقي. ودرس بالموصل سنة (٥٢٣) وأقام بسنجار مدة ثم انتقل الى حلب في سنة (٥٤٥) ثم قدم دمشق لما ملكها الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة (٥٤٩)

ودرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق وتولى أوقاف المساجد ثم رجع الى حلب وأقام بها وصنف كتبا كثيرة في المذهب منها صفوة المذهب من نهاية المطلب في سبع مجلدات . وكتاب الانتصاف في أربع مجلدات . وكتاب المرشد في مجلدين ، وكتاب الذريعة في معرفة الشريعة . وصنف التيسير في الخلاف أربعة أجزاء وكتابا سماه مأخذ النظر ومختصر في الفرائض وكتابا سماه الارشاد المعرب في نصرة المذهب ولم يكمله ، وذهب فيما نهب له بحلب واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وتعين بالشام وتقدم عند نور الدين صاحب الشام وبنى له المدارس بحلب وحمص وحماه وبعلبك وغيرها وتولى القضاء بسنجار ونصيبين وحران وغيرها من ديار بكر ثم عاد الى دمشق في سنة (٥٧٠) وتولى القضاء بها في سنة (٥٧٣) عقيب انفصال القاضي ضياء الدين أبي الفضائل القاسم بن تاج الدين يحيي بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري

ثم عمي في آخر عمره قبل موته بعشر سنين وابنه محيي الدين محمد ينوب عنه وهو باق على القضاء

ثم صنف جزءاً لطيفا في جواز قضاء الأعمى وهو على خلاف مذهب الامام الشافعي ولكن جاء في كتاب البيان لأبي الحسن العمراني انه يجوز للاعمى أن

يتولى القضاء على قول فى مذهب الشافعى ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق وذكره العماد الكاتب فى كتاب الخريدة وأثنى عليه وقال ختمت به الفتاوى وذكر له شيئا من الشعر

وكان كثيرا ما ينشد ولا يعلم هل هو له ام لا وذكرهما العماد الكاتب فى الخريدة :

أؤمل أن أحيا وفى كل ساعة
تمر بى الموتى تهز نعوشها
وهل أنا الا مثلهم غير أن لى
بقايا ليال فى الزمان أعيشها

وأورد له صاحب الخريدة قوله :

أؤمل وصلا من حبيب وانى
على ثقة عما قليل أفارقه
تجارى بنا خيل الحمام كأنما
يسابقنى نحو الردى وأسابقه
فياليتنا متنا معاً ثم لم يذق
مرارة فقدى لاولا أنا ذائقه

وأورد له أيضا :

ياسائلا كيف حالى بعد فرقته
حاشاك مما بقلبى من تنائيكا
قد أقسم الدمع لايجفوا الجفون أسى
والنوم لازارها حتى ألا قيكا

وأورد له أيضا :

وما الدهر الا مامضى وهو فائت
وماسوف يأتى وهو غير محصل
وعيشك فيما أنت فيه فانه
زمان الفتى من مجمل ومفصل

ولد سنة (٤٢٩) ﻫ بالموصل وتوفى سنة (٥٨٥) بدمشق ودفن فى مدرسته التى أنشأها داخل البلد وهى معروفة به

ولما توفى ورد من القاضى الفاضل المشهور بالعلم والادب تعزية فيه جوابا على كتاب ورد عليه بذلك من بعض الكبراء وهى :

« وصل كتاب الذات الكريمة جمع الله شملها ، وسر به اهلها ، ويسر الى الخيرات سبلها ، وجعل فى ابتغاء رضوانه قولها وفعلها ، وفيه زيادة هى نقص الاسلام ، وثلم فى البرية يتجاوز رتبة الانثلام الى الانهدام ، وذلك ماقضاه الله من وفاة الامام شرف الدين بن أبى عصرون رحمة الله عليه ، وماحصل بموته من نقص الارض من اطرافها ، ومن مساءة أهل الملة ومسرة أهل خلافها ، فلقد كان علما للعلم منصوبا ، وبقية من بقايا السلف الصالح محسوبا ولقد علم الله اغتمامى لفقد حضرته

واستيحاشي لخلو الدنيا من بركته، واهتمامي
بما عدمت من النصيب الموفور من أدعيته»

ابو عبد الله الحسين بن احمد
ابن محمد بن جعفر بن محمد الحجاج الكاتب
الشاعر المشهور

كان فرد زمانه فى المجون والخلاعة
الشعرية فانه لم يسبق الى تلك الطريقة
مع عذوبة ألفاظه وسلامة شعره من
التكلف

مدح الملوك والقادة وله ديوان كبير
يقع فى عشرة مجلدات ويغلب فيه الهزل ؛
وله جد حسن

تولى حسبة بغداد وأقام فيها مدة
ويقال انه عزل بأبى سعيد الاصطخرى
الفقيه الشافعى وله فى عزله أبيات مشهورة

يقال انه كان فى الشعر فى درجة
امرىء القيس وانه لم يكن بينهما مثلهما
لأن لكل منهما طريقة مخترعة من شعره :

ياصاحبى استيقظا من رقدة
تزرى على عقل اللبيب الا كيس
هذى المجرة والنجوم كأنها
نهر تدفق فى حديقة نرجس
وأرى الصبا قد غلست بنسيمها
فعلام شرب الراح غير مغلس
قوما اسقيانى قهوة رومية
من عهد قيصر دنها لم يمسس
صرفا تضيف اذا تسلط حكمها
موت العقول الى حياة الانفس

ومن شعره قوله :

قال قوم لزمت حضرة حمد
وتجنبت سائر الرؤساء
قلت ماقاله الذى أحرز المع
نى قديما قبلى من الشعراء
يسقط الطير حيث يلتقط الح
ب ويغشى منازل الكرماء

وهذا البيت الثالث لبشار بن برد
وقد ضمنه شعره

كان أبو عبد الله من كبار شعراء
الشيعة وقد أوصى قبل موته أن يدفن
عند رجلى موسى بن جعفر من آل البيت
وأن يكتب على قبره (وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد)

يحكى أن بعض أصحابه رآه فى النوم
فسأله عن حاله فأنشد :

افسد سوء مذهبى
فى الشعر حسن مذهبى
لم يرض مولاى على
سبى لأصحاب النبى

وقد رثاه الشريف الرضي المشهور بقصيدة منها :

نعوه على حسن ظني به
فلله ماذا نعى الناعيان
رضيع ولاء له شعبة
من القلب مثل رضيع اللبان
وما كنت أحسب أن الزمان
يفل مضارب ذاك اللسان
بكيتك للشرد السائرات
تعنق الفاظها بالمعانى
ليبك الزمان طويلا عليك
فقد كنت خفة روح الزمان

توفى بالنيل وهى بلدة على الفرات سنة (٣٩١) وحمل الى بغداد

أبو عبد الله الكاتب هو الحسين ابن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن بكر ابن شعيب الطيبي

كان من أعيان الادب المشهورين فى القرن السادس الهجرى معروف بالظرف اختص بالامام المستنجد ومنادمته وحظى عنده

يقال انه دخل يوما على المستنجد فناداه قائلا : ابنُ شبيب، برفع كلمة ابن وحقها ان تنصب فأجابه على الفور . عبدك يا أمير المؤمنين . فجعل ما قاله المستنجد مبتدأ وجعل عبدك خبرا فأعجب الخليفة ذلك.

من شعره فى المستنجد :

انت الامام الذى يحكى بسيرته
من ناب بعد رسول الله أو خلفا
أصبحت لب بنى العباس كلهم
أن عددت بحروف الجمل الخلفا

يريد أن المستنجد هو الثانى والثلاثون من خلفاء بنى العباس و(لب) جمل حروفها اثنان وثلاثون

ومن شعره أيضا :

وأغيد لم تسمح لنا بوصاله
يد الدهر حتى دب فى عاجه النمل
تمنيت لما اختط فقدان ناظرى
ولم أر انسانا تمنى العمى قبل
ليبقى على مر الزمان خياله
حيالى وفى عينى لمنظره شكل

كان ابن شبيب مقدما فى حل الالغاز ولا يكاد يتوقف عما يسأل عنه فتفاوض أبو غالب بن الحصين هو وأبو منصور محمد بن سليمان بن قيلمش فى أمر ابن شبيب هذا وما هو عليه من حل اللغز فقال أبو منصور تعال حتى نعمل لغزا

محالا ونسأله عنه فنظم أبو منصور:

وماشيء له في الرأس رجل
ومواضع وجهه منه قفاه
اذا أغمضت عينك أبصرته
وان فتحت عينك لاتراه

ونظم ايضا:

وجار وهو تيار ضعيف العقل خوار
بلا لحم ولا ريش وهو في الرمز طيار
بطبع بارد جدا ولكن كله نار

وانفذ اللغزين اليه فكتب على الاول: هو طيف الخيال. وكتب على الثاني هو الزئبق فجاء اليه وقالا: هب اللغز الاول هو طيف الخيال والبيت الثاني يساعدك عليه، فكيف تعمل في البيت الاول؟ فقال لأن المنام يفسر بالعكس. لأن من بكى يفسر له بالضحك، ومن مات يفسر له بطول العمر. وقوله في الثاني هو طيار ارباب صنعة الكيمياء يرمزون للزئبق بالطيار والفرار والآبق وما يشبه ذلك لانه يناسب صفته، وأما برده فظاهر ولافراط برده ثقل جسمه وجرمه، وكله نار لسرعة حركته وشكله في افتراقه والتئامه. وعلى كل حال ففي كل ذلك تسامح يجوز في مثل هذه الاشياء الباطلة اذا نزلت على الحقائق

وقد ذكر ابن شرف القيرواني في كتابه ابكار الافكار عن رجل يعرف بأبي على التونسي انه عمل الغازا من هذه المادة التي لاحقيقة لها وأنشده اياها فيجيب عنها على الفور وينزلها على حقائق منها انه عمل لغزاً:

ما طائر في الارض منقاره
وجسمه في الافق الاعلى
مازال مشغولا به غيره
ولا نرى ان له شغلا

فقال أبو عبد الله للوقت والساعة هو الشمس وأخذ يتكلم على شرح ذلك وذكر عدة ألغاز صنعها له وهو ينزلها على حقائق ويذكر لها مناسبات لائقة بها

ولد سنة (٥٠٠) وتوفى سنة (٥٨٠) ه

﴿عبد الله بن سليمان﴾ بن وهب أبو القاسم الكاتب كان وزير الامام المعتضد الخليفة العباسي مدة عشر سنين وهو الذي قال فيه ابن المعتز من خلفاء العباسيين:

قد استوى الناس ومات الكمال
وقال صرف الدهر أين الرجال

هـذا أبو القاسم فى نعشـه
قوموا انظروا كيف تسير الجبال

ولما دخل ابن المعتز على ابنه القاسم ابن عبد الله قال :

انى معزيك لا انى علي ثقـة
من الخلود ولـكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعـد صاحبه
ولا المعزى ولو عاشا الى حين

ولما حمل على أعناق الرجال قال ابن المعتز :

وماكان ريح المسك ريح حنوطه
ولـكنه هذا الثناء المخلف
وليس صرير النعش ماتسمعونه
ولـكنه أصلاب قوم تقصف

ولما تقدم القاسم للصلاة عليه قال ابن المعتز :

قضوا ماقضوا من أمره ثم قدموا
اماما لهم والنعش بـين يديه
فصلوا عليـه خاشعين كأنهم
وقوف خضوع للسلام عليـه

ولما استتر عند ابن أبى عون التاجر دخل عليه يوما فقام له . فقال له ابن أبي عون ياسيدى اخبأ لى هذا القيام الى وقت انتفع به. فما كان الا قليل حتى ولى الوزارة فاستدعاه فصار اليه وهو فى مجلسه بخلعته والناس عنده فقام اليه وعانقه. وقال هذا وقت ينتفع بقيامي وأجاسه معه على طرف الدست فما مضت ساعة حتى استدعاه اليه المعتضد فدخل عليه وغاب ثم حضر وأخذ بيده الى مكان خلوة وقال له الخليفة طلبنى بسببك لانه كوتب بخبرنا وانكر على

ثم قال الوزير لابن أبى عون انى قد شهرتك شهرة ان لم يكن معك مائة ألف دينار معدة للنكبة هلكت فيجب أن تخلصها لك هذه الحالة فقط ثم تحصل لك نعمة بعدها

ثم قال الوزير هاتوا فلانا الكاتب فجاء فقال احضر الساعة التجار وسعر مائة الف كر من غلات السلطان بالسواد عليهم فخرج وعاد، وقال لقد قررت معهم ذلك. فقال بع على عبد الله بن أبى عون هـذه الغلة بنقصان دينار مما قررت به السعر على التجار وبعه له عليهم بالسعر الذى قررته معهم وطالبهم هذه الساعة بفضل ما بين السعرين وأخرهم بالثمن الى أن يتسلموا الغلال واكتب الى النواحى بتقبيضهم ذلك فقام ابن عون من المجلس وقد حصل له مائه الف دينار

فقال له الوزير اجعل هذه أصلا لنعمتك ولا يسألنك أحد من الخلق شيئا الا أخذت رقعته ووافيته على أجرة ذاك وخاطبتني فيه . وكان يعرض عليه في كل يوم مايصل اليه بما فيه ألوف دنانير ويدخل في الكاسب الجليلة وكان ربما قال له في بعض الرقائع كم قرروا لك على هذه فيقول كذا فيقول الوزير هذه تساوى اكثر من ذلك ارجع اليهم ولا تبايعهم الا بكذا

وكان ممن خدم هذا الوزير في أيام نكبته رجل يعرف بيعقوب الصائغ . وكان عاميا ساقطا فقلده لما ولى الوزارة حسبة الحضرة . فعزم الوزير على السفر فجلس للنظر فيما يحمل معه من خزائنه ومن يسافر معه من اصحابه وخدمه ، ويعقوب حاضر فأمر الوزير بما يحمل معه فلما انتهى الى فصل ، قال يعقوب بعاميته ، ويحمل معه ايضا كفن وحنوط ، فتحير الوزير من ذلك وأعرض عنه وأخذ يأمر وينهى ولما انتهى الى فصل من كلامه كرر يعقوب ذلك القول ، فأعرض عنه ضجراً . وفعل ذلك ثالثا . قال الوزير ياهذا تخاف على ان انا مت أن اصلب او اطرح على قارعة الطريق بغير كفن ؟ ان تعذر الكفن كفنوني في ثيابي

ولد سنة (٢٢٦) وتوفي سنة (٢٨٨)هـ

عبد الله بن الخشاب هو أبو محمد عبد الله بن احمد بن احمد المعروف بابن الخشاب البغدادي

كان من أشهر علماء الادب والنحو والتفسير والحديث والنسب والفرائض والحساب وحفظ الكتاب الكريم بالقراءات الكثيرة وكان متضلعا من العلوم وله فيها اليد الطولى . وكان مع هذا كله حسن الخط جداً ذكره العماد الاصبهاني في الخريدة وعدد فضائله ومحاسنه ثم قال وكان قليل الشعر وشعره في الشمعة :

صفراء من غير سقام بها
كيف وكانت أمها الشافية
عارية باطنها مكتس
فأعجب لها عارية كاسية

وذكر له لغزاً في كتاب وهو :

وذى اوجه لكنه غير بائح
بسر وذو الوجهين للسر مظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه
فتسمعها بالعين مادمت تنظر

شرح كتاب الجمل لعبد القاهر

الجرجانى وسماه المرتجل فى شرح الجمل وترك ابوابا من وسط الكتاب ما تكلم عليها وشرح اللمع لابن جنى ولم يكملها . وكانت فيه بذاذة وقلة اكتراث بالمأ كل والملبس

وذكر العماد انه كانت بينهما صحبة ومكاتبات وقال لما مات كنت بالشام فرأيته ليلة فى المنام فقلت له مافعل الله بك؟قال خيرا . فقلت فهل يرحم الله الادباء؟ قال نعم . قلت وان كانوا مقصرين ؟قال يجرى عتاب كثير ثم يكون النعيم

توفى سنة (٥٦٧) ومات عن نحو ثمانى وسبعين سنة

﴿ عبدالرحمن بن على ﴾ بن حامد ابن الشيخ مهذب الدين الطبيب الدخوار شيخ الاطباء ورئيسهم بدمشق

وقف داره بالصاغة القديمة بدمشق على تعليم الطب . تخرج به جماعة كثيرة من الاطباء وصنف كتبا منها اختصار الحاوى ومقالة فى الاستفراغ وتعاليق ومسائل فى الطب وشكوك واجوبة ورد على شرح ابن أبى صادق لمسائل حنين ورسالة يرد فيها على يوسف الاسرائيلى فى ترتيب الاغذية اللطيفة والكثيفة . ونسخ كتبا كثيرة فى الطب يربو عددها على مائة مجلد واختصر الاغانى الكبير وقرأ العربية على تاج الدين الكندى وقرأ الطب على الرضى الرحبى . ثم لازم ابن المطران واخذ عن الفخر الماردينى وغيره

خدم الملك العادل ولازم ابن شكر وكانت جامكيته جامكية الموفق عبدالعزيز فانه نزل عليها بعده مائة دينار فى الشهر

وعالج الملك الكامل فحصل له من جهته اثنى عشر الف دينار واربعة عشر بغلة باطواق ذهب وخلع اطلس وغيرذلك

وولاه السلطان رئاسة الاطباء فى ذلك الوقت بمصر والشام وكان خبيرا بكل مايقرأ عليه ولازم السيف الآمدى وحصل معظم مصنفاته ونظر فى الهيئة والنجوم . ثم طلبه الاشرف فتوجه اليه فاقطعه مايغل فى السنة الفا وخمسمائة دينار

ثم عرض له عقل فى لسانه واسترخاء فجاء الى دمشق لما ملكها الملك الاشرف فولاه رياسة الاطباء بها وزاد ثقل لسانه حتى انه لم يفهم كلامه . وكان الجماعة يقعون بين يديه ويجيب هو وربما كتب لهم ماأشكل فى اللوح واجتهد فى علاج نفسه واستعمل المعاجين الحارة فعرضت

له حمى قوية فأضعفت قوته وظهرت به أمراض قوية كثيرة وأسكت وسالت عينه

اتفق لهذا الطبيب فى أيام الملك العادل أشياء قربته منه وأعلت محله عنده منها انه اتفق له مرض شديد وعالجه الاطباء فقال والله لئن لم تخرج له دما ليخرجن بغير اختياره ، فاتفق انه رعف السلطان وبرىء فكان لما قاله قبل وقوعه تأثير عنده دله على فضله

ومنها انه كان يوما مع جماعة من الاطباء والعادل معهم فقال يوما لابد من الفصد فلم توافقه الاطباء على باب دار السلطان فخرج اليهم خادم ومعه قارورة فرأوها ووصفوا لها علاجا فأنكرهو ذلك العلاج وقال ليس فيها داء ويوشك أن يكون هذا ماء حناء اختضب به فاعترف لهم الخادم بذلك . ومن شعره ما كتب الى الطبيب رشيد الدين بن أبى خليفة فى مرضة مرضها :

حوشيت من مرض تعاد لاجله
وبقيت مابقيت لنا أعراض
أنا نعدك جوهرا فى عصرنا
وسواك أن عدوا فهم أعراض

ولد سنة (٥٦٥) وتوفى سنة (٦٢٧)

أبو عبد الرحمن هو شبيب ابن حمدان الاديب الطبيب الكحال أى الرمدى تقى الدين أبو عبد الرحمن نزيل القاهرة

سمع ابن رزويه وكتب عنه الدمياطي وكان فيه شهامة وقوة نفس وله أدب وفضائل . عارض قصيدة بانت سعاد بقصيدة منها :

الى النبي رسول الله ان له
مجدا تسامى فلا عرض ولا طول
مجدا كبا الوهم عن ادراك غايته
ورد عقل البرايا وهو معقول
مطهر شرف الله العباد به
وشاد فخرا به الاملاك جبريل

قال الشيخ اثير الدين أبو حيان عرض على ديوانه فانتخبت منه ماقرأته عليه فمن ذلك قصيدة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هذا مقام محمد والمنبر
فاستجل انوار الهداية وانظر
والثم ثرى ذاك الجناب معفرا
فى مسك تربته خدودك وافخر
واحلل على حرم النبوة واستجر
بحماه من جور الزمان المنكر

فهناك من نور الاله سريرة
كشفت غطاء الحق للمستبصر
وجلت دجى ظلم الضلال فاشرقت
افق الهداية بالصباح المسفر
نور تجسم فارتقى متجاوزاً
شرفا على الفلك الاثير الاكبر

ومن شعره أيضا :

انهض فزند الصباح قد قدحا
وامزج لنا من رضابك القدحا
فالزهر كالزُهر فى حدائقه
والطير فوق الغصون قد صدحا
فى روضة نطقت عرائسها
بدر قطر فى نظمه سبحا
وصفق الماء فى جداوله
ورقص الغصن طيره فرحا
والزق بين السقاة تحسبه
اسود مستسقيا وقد ذبحا
فعاطنى قهوة معتقة
تذهب كأسى وتذهب الترحا
اذا عرس النديم بها
وافتضها الماء سبح الفرحا
من كف رخص البنان معتدل
لو لامس الماء خده جرحا
يسعى بخمر الدلال مغتبقا
ومن سلاف الشباب مصطبحا
قد تسلف القلوب من سوالفه
وجدا اذا جد بالهوى مرحا
كم لى بسفح العقيق من كلف
عقيق دمع عليه قد سفحا

ومن قوله أيضا :

بدعة الحركات اسكن حبها
حب القلوب لواعج البرحاء
سوداء بيضاء الفعال وهكذا
حب النواظر خص بالاضواء
أسرت محاسنها العقول فاطلقت
سرى المدامع ليلة الاسراء
فلئن جننت بحبها لا بدعة
أصل الجنون يكون بالسوداء

وقال أيضا :

أقام عذر العذار فيه
واحتج لى قده القويم
وصح وجدى عليه لما
اسقمنى طرفه السقيم
فكم بنعمان من كئيب
فارقه بعده النعيم
يزيده لوعة وشوقا
حديث أيامه القديم

وقال ايضا :

ومهفهف قسم الملاحة ربها
فيه وأبدعه بغير مثال
فلخده النعمان روض شقائق
ولثغره النظام عقد لآلى
يامن رأى غزلان رامة هل رأى
بالله منهم مثل طرف غزالى

توفى سنة (٦٥٧) ه

عبد السلام بن الحسين هو أبو طالب المأمونى من أولاد المأمون ورد الرى وامتدح الصاحب ابن عباد الوزير بقصائد فأعجبه نظمه وتقدم عنده فرماه ندمان الصاحب بالدعوة لبنى العباس وكانوا ينتحلون عليه الشعر فى هجاء الصاحب ويحلفون انه له حتى سقطت منزلته عند الصاحب . عند ذاك قال قصيدته الغراء وطلب الاذن للرحيل وأولها :

ياربع لو كنت دمعا فيك منسكبا
قضيت نحبى ولم أقض الذى وجبا
لاتنكرن ربعك التالى بلاجسد
فقد شربت بكأس الحب ما شربا
ولو أفضت دموعى حسب واجبها
أفضت من كل عضو مدمعا سربا
عهدى بربعك للذات مرتبعا
فقد غدا للغوادى السحب منتحبا
فياسقاك اخو جفني السحاب حيا
يحبو ربا الارض من نور الرياض حبا
ذو بارق كسيوف الصاحب انتضيت
ووابل كعطاياه اذا وهبا

ومنها قوله :

وعصبة بات فيها الغيظ متقداً
اذ شدت لى فوق أعناق العلى رتبا
فكنت يوسف والاسباط هم وأبو الـ
أسباط انت ودعواهم وما كذبا
ومن يرد ضياء الشمس ان شرقت
ومن يسد طريق الغيث ان سكبا
قد ينبح الكلب ما لم يلق ليث شرى
حتى اذا ما رأى ليثا مضى هربا
ارى مآربكم فى نظم قافية
وما ارى لى فى غير العلى اربا
عدوا عن الشعر ان الشعر منقصة
لذى العلاء وهاتوا المجد والحسبا
فالشعر أقصر من أن يستطال به
أكان مبتدعا ام كان مقتضبا
اسير عنك ولى فى كل جارحة
فم بشكرك يحوى منطقا ذربا

انى لأهوى مقامى فى ذراك كما
تهوى يمينك فى العافين أن تهبا
لكن لسانى يهوى السير عنك لان
يطبق الارض مدحا فيك منتخبا
اظننى بين اهلى وانا هو
اذا ترحلت عن مغناك مغتربا

قال وكان يمنى نفسه ان يقصد بغداد ويدخلها فى جيش ينضم اليه من خراسان وتسمو همته الى الخلافة فاعتل بالاستسقاء وتوفى سنة (٣٨٣) ه

ومن شعره :

فلست وان حكت القريض بشاعر
فأعطي ماقد قلته القل والكثرا
ولكن بحر العلم بين اضالعى
طما فرمى من دره النظم والنثرا
ولو كان لى مال بذلت رقابه
لمن يعتفيكم أو يذيع لكم شكرا
فقد قنعت والحمد لله همتى
وفزت وما ابغى بمدحكم اجرا
وما طلبى الا السرير وانما
سربت اليكم ابتغى بكم النصرا

وقال ايضا :

وغدا الجمر والرماد عليه
فى قميصين مذهب ومعنبر
ماترى النار كيف اسقمها القر
فأضحت تخبو وحينا تسعر

وقال ايضا :

وحمام له حر الجحيم
ولكن شابه برد النسيم
قذفت به ثيابى فى عقاب
وزرت به نعيما فى جحيم

﴿عبد السلام بن تيمية﴾ هو عبد السلام بن عبد الله بن ابى القاسم الخضر ابن محمد بن على الامام شيخ الاسلام مجد الدين أبو البركات بن تيمية الحرانى جد الشيخ تقى الدين

تفقه فى صغره على عمه الخطيب فخر الدين ورحل الى بغداد وهو ابن بضع عشرة سنة فى صحبة ابن عمه السيف وسمع بها وروى عنه الدمياطى وولده عبد الحليم وجماعة وكان اماما حجة بارعا فى الفقه والحديث وله يد طولى فى التفسير ومعرفة تامة فى الاصول والاطلاع على مذاهب الناس وله ذكاء مفرط ولم يكن فى زمانه مثله

مؤلفاته كثيرة منها الاحكام وشرح الهداية وارجوزة فى القراءات وكتابا فى أصول الفقه

قال الشيخ شمس الدين الذهبي رحمه الله قال الشيخ تقي الدين كان الشيخ جمال الدين ابن مالك يقول ألين للشيخ مجد الدين الفقه كما ألين لداود الحديد

شيخه في الفرائض والعربية أبو البقاء وشيخه في القراءات عبد الواحد وشيخه في الفقه أبو بكر بن عتيمية صاحب ابن المني

حكى البرهان المراغي انه اجتمع به فأورد نكتة عليه فذكر مجد الدين الجواب عنها من مائة وجه وسردها عن آخرها . ثم قال للبرهان قد رضينا منك اعادة ما قلناه . فخضع له

توفي سنة (٦٥٢) بحران

﴿عبد السلام بن المفرج﴾ هو أبو محمد التكريتي من العلماء الاعلام

أخذ الفقه عن والد يحيى بن القاسم وحفظ القرآن وقرأ الادب وبرع فيه وله النظم والنثر والخطب والمكاتبات والمصنفات الادبية . من شعره .

متى يفيق من الاشواق سكران
ويرتوي من شراب الوصل ظمآن
ويرجع العيش غضا بعدما يبست
منه بطول الجفا والصد أغصان
أفنى اصطباري مدح غاب واحدها
فكم لها في فروع الايك ألحان
باتت تنوح على غصن يميل به
ريح الصبا وكأن الغصن نشوان
حزينة الصوت تشجي صوت سامعها
قريحة قلبها المفجوع حنان
تبكي بغير دموع والبكا خلق
بالدمع لي ولذاك الوجد ألوان
آها على عيشنا الماضي ولذته
اذ غصنه باجتماع الشمل فينان

وقال أيضا .

أمني فؤادي ساعة بعد ساعة
لقاكم ولولا ذاك كنت أطيش
فما العيش الاعيش من نال وصلكم
وهيهات من فارقتموه يعيش

ولد سنة (٥٧٠) وتوفي سنة (٦٧٥)

﴿عبد الصمد بن عبد الوهاب﴾ ابن زين الامناء بن أبي البركات الحسين ابن محمد بن عساكر الامام المحدث الزاهد أمين الدين أبو اليمن

هو الدمشقي الشافعي نزيل الحرم سمع من وجده ومن الشيخ الموفق ومن ابن اليمن وأبي القاسم بن صصرى وابن الزبيدي وابن غسان والقاضي أبي نصر

ابن الشيرازى وأجازله المؤيدالعلوسى وأبو روح الهرى وطائفة وحدث بالحرمين بأشياء كان عالما فاضلا له مشاركة جيدة فى جميع العلوم وله نظم وهو صاحب عبادة وورع . كل من عرفه أثنى عليه ثناء جميلا كان شيخ الحجاز فى وقته وله تآليف فى الحديث

قال الشيخ علاء الدين على بن ابراهيم بن داود العطار لما ودعت الشيخ الامام العالم العلامة الزاهد محيي الدين النورى رحمة الله تعالى بنوى حين أردت السفر الى الحجاز حماى رسالة فى السلام عنه للامام جار الله أبى اليمن عبد الصمد ابن عساكر فلما بلغته سلامه ردعليه السلام وسألنى عنه اين تر ؟ فقلت ببلدة نوى فأنشدنى بديها :

أمحيىين على نوى اشتاقكم
شوقا يجدد لى الصبابة والجوى
وأريد قربكم لانى مرتج
ياسادتى قرب المقيم على نوى

وكتب اليه الشيخ شهاب الدين محمود قصيدة وأرسلها له بمكة وهى :

أترى يرجع عهد العلم
وزمان الوصل فى ذى سلم
وعهودى بالحمى روى الحمى
مدمع المشتاق قبل الديم
زمن هيج أشواقى به
وعهودى فيه طول القدم
كلما أملت تجديداً به
عقل الحظ مطايا هممى
وحقيق أنا بالسعى ولو
ناب طرفى فى السرى عن قدمى
طالما قد مر لى عيش به
كان أحلى من دوام النعم
فى حمى من إضم من حله
راجيا أو لاجيا لم يضم
نمت فى البعد ولولا أملى
أن أراه فى الكرى لم أنم
ورغمى بعد طيب الوصل أن
صرت أرجوزورة فى الحلم
صرت أبكى خيم الوادى وقد
عشت دهراً بين تلك الخيم
فحنينى دام مذ فارقتها
ونعيمى بعدها لم يدم
جيرة الوادى وحى لكم
فهو عندى من أبر القسم
وليال بمنى كانت لنا
بسنا كم مشرقات الظلم

والتزام العهد فيما بيننا
بين ذاك الركن والملتزم
وأحاديث رضا كانت اذا
مرض القلب شفاء السقم
ماذكرت القلب الا سنحت
نار شوقى عوض الدمع دمى
انقلبى صار فى الركب الذى
بالسر قد أمكم من أمم
عارض النوق بشىء لم يطق
حمل شىء منه حمر النعم
سار فى ذمة احسانكم
مستجيراً يا أهيل الذمم
ندمى إذ بعت أيام الحمى
أترى يرجع بيعى ندمى
فهنيئا لكم احرامكم
كلما شئتم بذاك الحرم
وجواراً أنتم الآن به
شرفا أهل الصفا والعلم
ليتكم أن تذكروا منخصكم
دونه السعد بأوفى القسم
أو تنادوا قلبه المضنى عسى
ان يلبى بعد طول الصمم
واذا لم يك أهلا فعسى
عطفكم يجعله فى الخدم
واشركوه معكم جودا ومن
هو أولى منكم بالكرم

ولد عبد الصمد سنة (٦١٤) وتوفى سنة (٦٨٧)

عبد الصمد بن المعذل

ابن عيلان بن الحكم البحيرى بن المختار

كان من مجيدى الشعراء فى الدولة العباسية. ولد بالبصرة ونشأ بها وكان هجاء شديد اللسان والمعارضة ولا يسلم منه من مدحه فضلا عن غيره

ومن شعره قوله :

استبق قلبك لا يموت صبابة
حذرا لبين أخ له يتوقع
ان حال بينهم وبينك بائن
فبأى قلب بعد ذلك تجزع

وقال أيضا :

ان العيون اذا أمكن من رجل
يفعلن بالقلب مالا يفعل الاسل
وليس بالبطل الماشى الى بطل
فى الحرب يخمد أحيانا ويشتعل
لكنه من كوى قلبا اذا رشقت
فيه العيون فذاك الفارس البطل

وله أيضا :

برعت محاسنه فجل بها
عن أن يقوم بوصفها لفظ
نطق الجمال بعذر عاشقه
للعاشقات فأخرس الوعظ
ماللقلوب اذا التبسن به
منه سوى حسراتها حظ
ماضر من رقت محاسنه
لو كان رق فؤاده الفظ

توفى فى حدود الاربعمائة والمائتين

﴿ عبد العزيز بن حامد ﴾ بن الخضر أبو طاهر الشاعر من أهل واسط

كان يعرف بسيدوك روى عنه شعره أبو القاسم بن كردان وأبو الجوائز وهما الواسطيان

من شعره :

تاركني فى الهوى حديثا
بكثرة الدمع بين صحبى
هبك تجنبت لاجتناب
طيفك يجفو لأى ذنب
هذى حياتى بلا مكاس
يانور عينى ونار قلبى

وقال أيضا :

شربنا من شعانين النصارى
على ورد كأردية العروس
تغنينا بنات الروم فيه
بألحان الرهابين والقسوس
فياليل نعمنا فى دجاه
بحاجات تردد فى النفوس
رياضة والمدامة والتدانى
شموس فى شموس فى شموس

ومن شعره أيضا :

ان داء العداة أبرح داء
وطبيبى سريرة ما تبوح
تحسبونى اذا تكلمت حيا
ربما طار طائر مذبوح

وعمل له البيتين المشهورين اللذين لم يعمل مثلها فى طول الليل وقصره وهما :

عهدى بنا ورداء الوصل يجمعنا
والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلى مذ غابوا فديتهم
ليل الضرير بصبح غير منتظر

توفى سنة (٣٦٣)

﴿ عبد العزيز السلمى ﴾ هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن شيخ الاسلام

كان من العلماء الاعلام سمع من الخشوعى وعبد اللطيف بن اسماعيل الصوفى والقاسم بن عساكر وابن طبرزد

وحنبل وابن الخرستانى وغيرهم وخرج له الدمياطى اربعين حديثا عوالى . وروى عنه الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد والدمياطى وأبو الحسن اليونينى وغيرهم

وتفقه على الامام فخر الدين بن عساكر وقرأ الاصول والعربية ودرس وصنف وأفتى وبرع فى مذهب الشافعى وبلغ رتبة الاجتهاد وقصده الطلبة من البلاد وتخرج به أئمة. وله الفتاوى السديدة وكان ناسكا ورعا اماراً بالمعروف نهاء عن المنكر لايخاف فى الله لومة لائم

ولى خطابة دمشق بعد الدولقى فلما تملك الصالح اسماعيل دمشق وأعطى الفرنج صفد والشقيف ذمه ابن عبدالسلام هذا على المنبر وترك الدعاء فعزله وحبسه ثم اطلقه فبرح دمشق الى مصر فلما قدمها تلقاه الملك الصالح نجم الدين أيوب وبالغ فى احترامه واتفق موت قاضى القضاة شرف الدين بن عين الدولة فولى بدر الدين السخاوى قضاء القاهرة وولى ابن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلى مع خطابة جامع مصر . ثم ان معين الدين بن الشيخ بنى بيتاً على سطح مسجد بمصر وجعل فيه طبلخانة معين الدين فأنكر ذلك ابن عبد السلام ومضى بجماعته وهدم البنيان وعلم ان السلطان والوزير يغضبان فأسقط عدالة الوزير وعزل نفسه عن القضاء فعظم ذلك على السلطان وقيل له اعزله عن الخطابة والاشنع عليك على المنبر كما فعل فى دمشق فعزله فأقام فى بيته يعلم الناس

وكان مع شدته فيه حسن محاضرة بالنوادر والشعر وكان يحضر السماع ويرقص ويتواجد

وأرسل له السلطان لما مرض وقال عين مناصبك لمن تريد من أولادك فقال مافيهم من يصلح . وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضى تاج الدين ففوضت اليه

ولما مات شهد الملك الظاهر جنازته والخلائق

من مؤلفاته انه اختصر كتاب نهاية المطلب وله القواعد الكبرى والقواعد الصغرى ومقاصد الرعاية وغير ذلك

وقد ضرب به المثل فكان يقال : ماأنت الا من العوام ولو كنت ابن عبد السلام

ويقال انه لما حضر بيعة الملك الظاهر قال له ياركن الدين أنا أعرفك مملوك

البندقدار فما بلغه حتى جاء من شهد له بالخروج عن ملكه الى الملك الصالح وعتقه

ولد سنة (٥٧٧) أو (٥٧٨) وتوفى سنة (٦٦٠)

عبدالعزيز بن محمد بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف العلامة الأديب الشاعر شيخ الشيوخ شرف الدين الدمشقى الشافعى الحموى الصاحب ابن قاضى حماة

رحل به والد واسمعه جزء ابن عرفة من ابن كليب واسمعه المسند كله من عبيد الله ابن أبى المجد الحربى وقرأ كثيرا من كتب الادب على الكندى وسمع من جماعة وبرع فى العلم والأدب وكان من الاذكياء المعدودين وله محفوظات كثيرة

سكن بعلبك مدة وسكن دمشق مدة ثم سكن حماة وكان صدرا كبيرا نبيلا معظما وافر الحرمة والقدر

روى عنه الدمياطى وأبو الحسين اليونينى وابن الظاهرى وقاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة وجماعة كثيرة

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى لا أعرف فى شعراء الشام بعد الخمسمائة وقبلها من نظم أحسن منه ولا أجزل ولا أفصح ولا أصنع ولا أسرى ولا أكثر وان له فى لزوم مالا يلزم مجلداً كبيراً وما رأيت له شيئا الا وعلقته لما فيه من النكت والتوريات الفائقة والقوافى المتمكنة والتركيب العذب واللفظ الفصيح والمعنى البليغ فمن ذلك قوله :

غدوت فكنت شمسى فى صباحى
ورحت فكنت بدرى فى مسائى

وجدتك اذ عدمت وجود نفسى
فاهلا بالفراق وباللقاء

فان اغفيت كان عليك وقعى
او استيقظت كان بك ابتدائى

فيا سعدى اذا مادام سكرى
عليّ وإن صحوت فياشقائى

وقلت لصاحبى لما لحانى
عليك بما عناك ولى عنائى

اصمك سوء فهمك عن خطابى
وأعماك الضلال عن اهتدائى

وهنت فكنت فى عينى صبيا
أخاطبه بألفاظ الهجاء

فلو أصبحت ذا حاء وسين
لما عنفت فى حاء وباء

وقال أيضا :

مالم يغير عكسه لفظه
مثله قبل نبل البندق
وماذا صحف معكوسه
عاد الى صيغته فستق

وقال أيضا :

لائمي في العشق مخطي
وعليّ العشق يخطي
مالكم يامن لحوني
لمتم باللوم ضبطي
لا تخطوا بي الى الجـ
ـد فقد جاوزت خطي
كم شرحتم ما أعمى
وكشفتم ما اغطي
وتهددتم وقلتم
انني في الامر مخطي
خبروني هل أخذتم
عماتي من تحت أبطي
قد تخليت عن العقـ
ـل فخلوني وخبطي
شفني أغيد قلبي
منه في قلب وبسط
وحياتي ومماتي
في رضا منه وسخط
ولحاني في هواه
كل واهي العقل زطي
يشهر اللحظ يماني
ويهز القد خطي
زين الخد بخال
وعذار هو شرطي
ابدع الحسن به ما
شاء من شكل ونقط
مد اطراف بنان
حسنها يقطع وسطي
ثم عاطاني سلافا
مثلها من فيه يعطي
عتقت عند شيوخ
من شيوخ الدير شمط
فلها بذلي ومنعي
ولها حلي وربطي
خاني افسد مالي
في الذي يصلح خلطي
مذهبي هذا الذي اب
تي به صحبي ورهطي
وبه فاشهد على نط
قي وخذ ان شئت خطي

وقال أيضا :

رقت لبارق مزن أضا
على الأثلات بذات الأضا
كانبض العرق ثم انبرى
كادمان رام اذا انبضا
فأذكرنى بالغضا جيرة
تولوا وأصليت جمر الغضا
أضاء الدجى لى لما دنوا
وباتوا فضاق على الفضا
وطول فى حبهم لائمى
وعز من قلبى لما عرضا
رأى النار فى كبدى تلتظى
وفى جوفه الماء ماخضخضا
بروحى غزال بألحاظه
وعود بألحاظنا تقتضى
سقانى من ريقه خمرة
شفانى بها وبها أمرضا
رنا وانثنى فقضى حسنه
على ولى وطر ما أنقضى
فمن قده ذابل مشرع
ومن لحظه صارم منتضى
أبثك وجدا كسانى الضنا
فأعجزنى السقم أن أنهضا
وعمم فودى وخط المشيب
فسود حالى بما بيضا
بعينى أقبك فنم وادعا
وان كان جفنى ما أغمضا
فزدنى صدودا أزد صبوة
وفى حالة السخط لافى الرضا
اعد نظرا منك فى أمر من
اليك مقاليده فوضا
وفاض على خده دمعه
فذهبه بعد مافضضا
وماود أطرابه بعد ما
نضامن شبيبته مانضا

وقال أيضا :

قرأت خط عذاريه فأطمعنى
سواوعطف ووصل منه عن كثب
واعربت لى نون الصدغ معجمة
فالحاء عن نجح مقصودى ومطلبى
حتى رنا فسبت قلبى لواحظه
والسيف أصدق إنباء من الكتب

ولد سنه (٥٨٦) وتوفى سنة (٦٦٢)

﴿ عبد اللطيف البغدادى ﴾ بن يوسف بن محمود بن على بن سعد هو العلامة موفق الدين البغدادى الشافعى النحوى اللغوى المتكلم الطبيب الفيلسوف المعروف بابن اللباد لقبه تاج الدين الكندى بالجدى

الملتحى لرقة وجهه وتجعده ويبسه
ولد ببغداد سنة (٥٥٥) سمع هو وابوه من ابن ابى البطى وابى زرعة المقدسى وشهدة وجماعة وروى عنه جماعة المنذرى والضياء وابن النجار والقوصى وحدث بمصر والقدس ودمشق وحران وبغداد وكان أحد الاذكياء المتضلعين من الآداب والطب وعلم الاوائل الا أن دعاويه كانت أكثر من علومه وكان دميم الخلقة نحيلا قليل لحم الوجه وكان يتنقل فى البلاد

من كلامه : اللهم أعذنا من جموح الطبيعة ، وشموس النفس ، وسلس لنا مقادة التوفيق ،وخذ بنا فى سواء الطريق ياهادى العمي ، يامرشد الضلال ، يامحيي القلوب الميتة بالايمان ، خذ بأيدينا من مهواة الهلكة،ونجنا من ردغة الطبيعة ، وطهرنا من درن الدنيا الدنيئه بالاخلاص لك والتقوى،انك مالك الدنيا والآخرة. سبحان من عم بحكمته الوجود ،واستحق بكل وجه ان يكون هو المعبود،انت تلألأت بنور وجهك الآفاق ،واشرقت شمس معرفتك على النفوس اشراقا وأى اشراق

(مؤلفاته) . غريب الحديث والمجرد منه والواضحة فى اعراب الفاتحة .وكتاب الألف واللام .وشرح بانت سعاد . وذيل الفصيح خمس مسائل نحوية.وشرح مقدمة ابن باب شاذ . شرح الخطب النباتية . شرح سبعين حديثا.شرح اربعين حديثا طبية . الرد على فخر الدين الرازى تفسيره سورة الاخلاص.شرح نقد الشعر لقدامة . قوانين البلاغة . الانصاف بين ابن برى وابن الخشاب فى كلامهما على المقامات ، مسألة انت طالق فى شهر قبل رمضان . كتاب قسمة العجلان فى النحو . اختصار العمدة لابن رشيق.مقدمة حساب اختصار كتاب النبات . اختصار كتاب الحيوان . وله اختصارات أخرى كثيرة لكتب الطب. كتاب أخبار مصر الكبيرة . الافادة فى اخبار مصر.مقالة فى الرد على اليهود والنصارى.مقالة فى النفس مقالة فى العطش . مقالة فى القولنج . مقالة فى العلم الالهى . كتاب الجامع الكبير فى المنطق والطبيعي والالهى فى زهاء عشرة مجلدات. شرح الراحمون يرحمهم الرحمن . اختصار الصناعتين للعسكرى . اختصار مادة البقاء للتميمى . كتاب بلغة الحكيم . كتاب فى الماء . مقالة فى

الحركات المتقاصة . مقاله فى العادات . الكامنة فى الربوبية . مقالة فى حقيقة الدواء والغذاء . مقالة فى التأديب بصناعة الطب الراوند . مقالة فى الحنطة . مقالة فى البحران. مقالة رد فيها على ابن رضوان فى أخلاق جالينوس وارسطو. كتاب تعقب حواشى ابن جميع على القانون. مقالة فى الحواس . مقالة فى الكلمة والكلام . كتاب الشيعة كتاب تحفة الامل. كتاب الحكمة الكلامية كتاب الدرياق حواشى على كتاب البرهان للفارابى . حل شيء من شكوك الرازى على كتب جالينوس . مقالة فى تدبير الادوية والادواء من جهة الكيفيات مقالة فى تعقب أوزان الادوية . مقالة احرى فى المعنى . مقالة فى النفس والصوت والكلام . مقالة فى بئر الحرب . جواب مسألة سئل عنها فى ذبح الحيوان وقتله وهل ذلك سائغ فى الطبع والعقل كما هو سائغ فى الشرع . مقالة فى المدينة الفاضلة . مقالة فى العلوم الضارة. رسالة فى الممكن . مقالة فى الجنس والنوع . الفصول الاربعة المنطقية . تهذيب كلام افلاطون . مقالة فى كيفية استعمال المنطق . مقالة فى القياس. كتاب فى القياس كبير يدخل فى أربعة مجلدات . السماع الطبيعى مجلدان. شرح الاشكال البرهانية . مقالة فى تزييف الشكل الرابع . مقالة في تزييف مايعتقده ابن سينا . مقالة فى القياسات المختلطات . مقالة فى تزييف المقاييس الشرطية. مقالة فى ابطال الكيمياء . عهد الحكماء . كتاب القولنج . مقالة فى البرسام . مقالة فى الرد على ابن الهيثم . مقالة فى اللغات وكيفية تولدها . مقالة فى القدر

أقام موفق الدين عبد اللطيف مدة بمصر فلما توفى الملك العزيز توجه الى القدس سنة (٦٠٤) وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه فى أصناف من العلوم ثم سافر الى حلب وقصد بلاد الروم وأقام بها سنين كثيرة فى خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام وكان له منه الجامكية الوافرة وصنف باسمه عدة مصنفات. ثم توجه الى ملطية وعاد الى حلب وتوفى ببغداد سنة (٦٢٩) هـ

عبد الله الطيفورى كان من كبار الاطباء فى الدولة العباسية حسن العقل طيب الحديث على لكنة كانت فى لسانه . وكان من أحظى خلق الله عند أمير المؤمنين الهادي

قال يوسف ابن ابراهيم حدثنى الطيفورى انه كان متطببا لطيفور الذى كان يقول انه اخو الخيزران والناس يقولون او اكثرهم انه مولى الخيزران. ولما وجه المنصور ابنه المهدى الى الرى لمحاربة سنقار حمل المهدى الخيزران وهى حامل بموسى وخرج طيفور معها وأخرجنى معه ولم تكن الخيزران علمت بما رزقت من الحمل. وكان عيسى المعروف بأبى قريش صيدلانيا فى العسكر فلما تبينت الخيزران ارتفاع العلة بعثت بمائها مع عجوز ممن معها وقالت لها اعرضى هــذا الماء على جميع المتطببين الذين فى عسكر المهدى وجميع من ينظر فى ذلك. ففعلت العجوز وكنا فى ذلك الوقت بهمذان واجتازت فى منصرفها بخيمة عيسى فرأت جماعة من غلمان أهل العسكر وقوفا يعرضون عليه قوارير الماء فكرهت أن تجوزه قبل أن ينظر الى الماء. فقال لها عند نظره الى الماء: هذا ماء امرأة وهى حامل بغلام. فأدت العجوز عنه ماقال الى الخيزران امرأة المهدى فسجدت شكراً لله وأعتقت عدة مماليك وصارت الى المهدى فأخبرته بما قالت العجوز فأظهر من السرور بذلك اكثر من سرورها وأمر باحضار عيسى وسأله عما قالت العجوز فأعلمه ان الامر على ما ذكرت فوصله ووصلته الخيزران بمال جليل وأمره بلزوم الخدمة وترك خيمته وما كان فيها من متاع الصيادلة

قال الطيفورى فأراد طيفور أن ينفعنى فأرسل الى الخيزران أن متطببى ماهر بصناعة الطب فابعثى اليه بالماء حتى يراه ففعلت ذلك فى اليوم الثانى. فقال لى قل مثل قول عيسى فأعلمته ان الماء يدل على انها حامل [illegible] تمييز الغلام من الجارية فذلك ما أقوله. فجهد بى كل الجهد أن أجيبه الى ذلك فلم أفعل صيانة لنفسى عن الاكتساب بالمخرقة. فادى قولى اليها فأمرت لى بألف درهم وأمرت بملازمتها فلما وافت الرى ولدت بها الهادى وصح عند المهدى ان أبا قريش عنين بعد أن امتحن بكل محنة فسر بذلك واحظاه وتقدم عنده على جميع الخصيان وكان ذلك من أسباب الصنع لى. فضممت الى أمير المؤمنين موسى ودعيت متطببه وهو رضيع وفطم ثم ولدت هرون الرشيد بالرى ايضا فكان مولده شؤما على الهادى لأن الحظوة كلها او اكثرها صارت له دونه فأضربى

ذلك فى جاهى وما كنت فيه من كثرة الدخل الى أن ترعرع موسى ففهم الامر فكان ذلك مما زاد فى جاهى وجميل رأيه فى فكان ينيلنى من أفضاله أكثر مما كانت الخيزران تنيلنيه وفتح الله على المهدى وقتل سنقار وطراخنه شهريار أبا مهرويه وخلد بسخنر أبا الحرث بن بسخنر والربعين وسبى ذراريهم فكانت من ذلك السبى مهرويه وخلد وقرابتهما شاهك ، وكانت على مائدة شهريار وهم ام السندى ابن شاهك وكان منهم الحرث بن بسخنر وجميع هؤلاء الموالى الرازيين. ثم أدرك الهادى وأفضت الخلافة الى المهدى فاتصل بى الامر وعظم قدرى لأنى صرت متطبب ولى العهد . ثم ملك الهادى أمة العزيز فكانت أعز اليه من جلدة ما بين عينيه وهى ام جعفر وعبد الله واسماعيل واسحق وعيسى المعروف بالجرجانى وموسى الأعمى وأم عيسى زوج المأمون وام محمد وعبيد الله ابنته؛ فبنانى موسى الهادى جميع ولدها واعلم امة العزيز انه يتبرك بى ،فنلت منها اكثر مما آمل

ثم دبر الهادى البيعة لابنه جعفر بن موسى فدعانى قبل البيعة بيوم فخلع على وحملنى على دابة من دواب رحله بسرجه ولجامه وأمر لى بمائة الف حملت الى منزلى ، وقال لاتبرح الدار بافى يومك وليلتك وأكثر نهار غدك ، حتى أبايع لابنك جعفر فتنصرف الى منزلك وأنت أنبل الناس لأنك توليت تربية ابن خليفة صار ولى العهد وولى عهد الخلافة وربيت ابنه الى ان صار ولى عهد ، وبلغ أمة العزيز الخبر فعملت بى مثل الذى فعل من الصلات وحملت الى منزلى ثياب صحاح ولم تحملنى على دابة وأقمت فى الدار بعيساباذ الى أن طلعت الشمس من اليوم الذى نلت فيه مانلت

ثم جلس الهادى وقد أحضر جميع بنى هاشم فأخذت عليهم البيعة لجعفر وأحلفوا عليها وعلى خلع الرشيد ثم آل زائدة فكان يزيد بن مزيد أول من خلع الرشيد وبايع جعفر بعده ، ثم شراحيل ابن معن بن زائدة وأهل بيته ، ثم سعيد ابن مسلم بن قتيبة ، ثم آل مالك وكان أول من بايع منهم عبد الله ثم الصحابة وسائر مشايخ العرب ثم القواد . فما انتصف النهار الا وقد بايع أكثر القواد . وكان فيهم هرثمة ابن اعين ولقبه المشوم ، وكان

المنصور قد قوّده على خمسمائة ولم يكن له حركة بعد ان قود فتوفى أكثر أصحابه ولم يثبت له مكان من توفى منهم، فأحضروه وأمروه بالبيعة . فقال له يا أمير المؤمنين لمن ابايع ؟ فقال له بايع لجعفر بن أمير المؤمنين قال ان يمينى مشغولة ببيعة أمير المؤمنين وشمالى مشغولة ببيعة هرون فأبايع بماذا ؟ فقال له تخلع هرون وتبايع جعفراً . قال يا أمير المؤمنين انا رجل ادين بنصيحتك ونصيحة الأئمة منكم اهل البيت، وبالله لو تخوفت ان تحرقنى على صدقى اياك بالنار لما حجزنى ذلك عن صدقك . ان البيعة يا أمير المؤمنين انما هى إيمان، وقد حلفت لهرون بمثل ما تستحلفنى به لجعفر ، وان خلعت اليوم هرون خلعت جعفرا فى غد . وكذلك جميع من حلف لهرون على هذا فغدر به

قال فاستشاط موسى من قوله ، وأمر بوجء عنقه ، وسارعت جماعة من الموالى والقواد نحوه بالحرزة والعمد فنهاهم الهادى عنه ثم عاوده الامر بالبيعة . فقال يا أمير المؤمنين قولى هذا قولى الاول

فزبره الهادى وقال اخرج الى لعنة الله لا بايعت ولا بايع أصحابك الف سنة ثم امر باخراجه من الدار بعيسا باذواسقاط قيادته . وقال اطلقوه لينفذ حيث أحب لاصحبه الله ولا كلاه

ثم وجم مقدار نصف ساعة لا يأمر ولا ينهى ثم رفع رأسه ليندون خادمه وقال له الحق الفاجر ، فقال له يندون ألحقه فأصنع به ماذا ؟ فقال ترده على أمير المؤمنين . قال فلحقه يندون فيما بين باب خراسان وباب بردان بالقرب من الموضع المعروف بباب النقب وهو يريد منزله على نهر المهدى فرده . فلما دخل قال له يا حائك يبايع اهل بيت امير المؤمنين فيهم عم جده وعم ابيه وعمومته واخوته وسائر لحمته ويبايع وجوه العرب والموالى والقواد وتمسك انت عن البيعة ؟

فقال هرثمة يا أمير المؤمنين وما حاجتك الى بيعة الحائك بعد بيعة من ذكرت من اشراف الناس ؟ الا ان الأمر على ما حكيت لك انه لا يخلع اليوم احد هرون ويبقى فى غد لجعفر

قال الطيفورى فالتفت الهادى الى من حضر مجلسه ، فقال لهم : شاهت الوجوه صدق والله هرثمة وبروغدرتم . وأمر الهادى عند هذا الكلام لهرثمة بخمسين الف

درهم واقطعه الموضع الذى لحقه فيه يندون ، فسمى ذلك الموضع عسكر هرثمة الى هذه الغاية . وانصرف الناس كلهم فى أمر عظيم من أمر ذى قدر ، قد غمه مالقيه به الخليفة ومما يتوقعه من البلاء ان حدث بالهادى حادث لمسارعتهم الى خلع الرشيد ، وأما بطانة جعفر فقد كانوا أملوا خلافة صاحبهم والغنى بما قد قاد منها ، فصاروا يتخوفون على نفس صاحبهم التلف ، وعلى أنفسهم ان سلموا من القتل والبلاء والفقر

ودخل موسى الهادى على أمة العزيز فقالت له يا أمير المؤمنين ماأحسب احدا عاين ولاسمع بمثل ماعاينا وسمعنا ، فانا اصبحنا فى غاية الامل لهذا الفتى ، وامسينا على غاية الخوف عليه ؛ فقال ان الامر لعلى ماذكرت وازيدك واحدة ، قالت وماهى ياامير المؤمنين ؟ قال امرت برد هرثمة لاضرب عنقه ، فلما مثل بين يدى حيل بينى بينه ، واضطررت الى ان وصلته واقطعته ، وانا على زيادته ورفع مرتبه والتنويه باسمه . فبكت امة العزيز . فقال لها ارجو ان يسرك الله ، فتوهمت وتوهم جميع من يطيف بها انه على اغتيال الرشيد بالسم . فلم يمهل ولم تمض به ليال قلائل حتى توفى الهادى ، وولى الخلافة هرون الرشيد ، فوالله لقد أحسن غاية الاحسان فى أمر جعفر وزاده نعما الى نعمه وزوجه ام محمد ابنته

قال يوسف بن ابراهيم وحدثنى أبو مسلم عن حميد الطائى المعروف بالطوسى قال اعتل ابو غانم يعنى أباه علة صعبة فتولى علاجه منها الطيفورى المتطبب وكانت فى أبى غانم حدة شديدة تخرجه الى قذف أصحابه والى الاقدام بالمكروه عليهم . فانى لواقف على رأسه وأنا غلام فى قباد زبيرون . اذ دخل عليه الطيفورى فجس عرقه ونظر الى مائه ثم ناجاه بشىء لم افهمه . فقال له كذبت وسبه ، فرد عليه الطيفورى بأشد من سبه . فقلت فى نفسى ذهبت ، الله نفس الطيفورى . فقال أبو غانم لقد أقدمت ويلك ، كيف اجترأت على بهذا ؟ فقال له والله مااحتملت سيدى الهادى قط على لقائى بحرف خشن ، ولقد كان يقذفني فأرد عليه مثل قوله فكيف احتمل لك ؟ فحلف لى ابو مسلم انه رأى أباه ضاحكا باكيا يفهم فى بعض أسرة وجهه الضحك وفى بعضها البكاء . ثم قال له والله انك كنت ترد على أمير

المؤمنين الهادى القذف الذى كان يقذفك به ؟ فقال له الطيفورى اللهم نعم . فقال له فأسألك بالله لما اجبت فى عرض حميد ماأجبت ، وقذفته بما شئت من القذف متى قذفتك . ثم بكى على الهادى بكاء كثيرا

قال يوسف فسألت الطيفورى عما حدثنى به ابو مسلم من ذلك فبكى حتى تخوفت عليه الموت مما تداخله من الجزع عند ذكر حميد . وقال والله ما عاشرت بعد الهادى احر نفسا ولا اكرم طبعا ولا اطيب عشرة ولا اشد انصافا من حميد الا انه كان صاحب جيش فكان يظهر مايجب على اصحاب الجيوش اظهاره فاذا صار مع اخوانه كان كأنه من المنقطعين اليهم ، لا من المفضلين عليهم

قال يوسف وحدثنى الطيفورى انه كان مع حميد الطوسى بقصر بن هبيرة أيام تغلب صاحبنا على مدينة السلام وما والاها فقدمت عليه جماعة من جبل طىء عليهم رئيس لهم يقدمونه على انفسهم ، ويقرون له بالفضل والسؤدد عليهم . فأذن له فى الدخول عليه فى مجلس عام قد احتشد لاظهار عدده فيه ثم قال لذلك الرئيس ماأقدمك يابن عم ؟ فقال له قدمت مدداً لك اذ كنت على محاربة هذا الدعى لما لايجب له ولا يستحقه ، يعنى صاحبنا ، فقال له حميد لست أقبل مددا الا ممن وثقت بصرامته وقوة قلبه واحتماله لما تصعب على اكثر الناس فى نصرتى ، ولا بدمن امتحانك ؛ فان خرجت على المحنة قبلتك والا رددتك الى اهلك . فقال له الطائى امتحنى بما أحببت ، فأخرج حميد عودا من تحت مصلاه ثم قال له ابسط ذراعك فبسطه فحمل حميد العود على عانقه ثم هوى الى ذراع الطائى فلما قرب العمود من ذراعه رفع يده ، فأظهر حميد غضبا عليه . ثم قال له رددت يدى ؟ فترضاه الطائى ثم دعاه الى معاودة امتحانه ، فأمره حميد باظهار ذراعه ففعل فرفع حميد العود ليضرب به ذراعه فلما قرب العمود من ذراع الطائى فعل مثل فعله فى المرة الاولى . فلما جذب ذراعه ولم يمكن حميدا من ضربه بالعمود أمر بسحبه بعد سحبه فى مجلسه : وأخذ دوابه ودواب اصحابه : وطردهم من معسكره فانصرفوا من عنده رجالة بأسوأ حال

قال الطيفورى فلمته على ما كان منه

فاستضحك ثم قال لي قد أطلقت لك الضحك مني والاستهزاء بي وقذف عرضي متى تكلمت في الطب بحضرتك بشيء تنكره ، فأما قيادة الجيوش فذلك ماليس لك فيه حظ . فلا تنكرن مخالفة رأيك رأيي . ثم قال لي انا رجل من يمن وكان الرسول صلى الله عليه مضريا ، والخلافة في ايدي مضر ، فكما انى أحب قومي فكذلك الخلفاء تحب قومها ، وان أظهرت ميلا الى قومي في بعض الاوقات وانحرافا عمن هو أمس بها رحما مني فاني غير شاك في ميلها اليهم اذا حقت الحقائق ، ومعي من افناء نزار بشر كثير وكان في استشعاري من قدم على من قومي ، مسدا لقلوب من قد امتحنته وعرفت بلاءه من النزارية ولست ادرى لعل كل من أتاني من عشيرتي لايساوي رجلا واحدا من النزارية فأردت بما كان مني استجلاب قلوب من معي ، وان ينصرف من أتاني من عشيرتي منذرين لامبشرين ، لأنهم متى انصرفوا منذرين انقطعت عنا مادتهم ، ومتى انصرفوا مبشرين اتاني منهم من لا يسعه مال مافي ايدينا من السواد ، فعلمت انه قد اصاب التدبير ولم يخطىء فيما بنى عليه أمره »

﴿ عبد اللطيف ﴾ هو موفق الدين عبد اللطيف البغدادي الطبيب الشهير

درس بالمدرسة النظامية ببغداد ثم رحل الى دمشق في صحبة السلطان صلاح الدين الايوبي ثم جاء مصر ودرس بالازهر ثم رجع الى بغداد وتوفي بها سنة (٦٢٩)

من مؤلفاته كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر . وهو ماخص من كتاب كبير له اسمه (المبتدأ والخبر في عجائب مصر)

﴿ عبد الوهاب الشعراني ﴾ من كبار علماء مصر وهو مؤلف كتاب الميزان في الفقه وكشف الغمة عن قلب هذه الامة وقد ضمنه جميع الاحاديث النبوية التي اخذ منها الائمة أحكام الفقه وله الطبقات الكبرى وغيرها

توفي سنة (٩٧٣) هـ

﴿ عبد الرحمن ﴾ بن عوف هو احد كبار الصحابة الذين ساعدوا الاسلام بمالهم وأنفسهم وكان من ضمن الذين رشحهم عمر عند وفاته للخلافة وهم ستة

﴿ عبد الرحمن بن عيسى ﴾ العمرى

هو مؤلف كتاب الترصيف فى النحو توفى سنة (٣٧٠) ﻫ بمكة

عبد الملك بن مروان تولى الخلافة سنة (٦٥) ﻫ بويع له بالخلافة بعد موت والده مروان بن الحكم

فى مبدأ خلافته خرج عليه المختار بالكوفة وأتبعه خلق كثير وبايعوه على المطالبة بدم الحسين بن على بن أبى طالب فقد كانت القلوب لا تزال دامية من جراء ماحدث لاهل البيت النبوى من التشتيت والصغار ، وكانت الفتن مضطرمة فى كثير من أنحاء البلاد وكان ابن الزبير مستقلا بجهات الحجاز ومعه خلق كثير

ثم تجرد المختار لقتال قتلة الحسين بعد أن استولى على الكوفة وظفر بشمر ابن ذى الجوشن وعمر بن سعد بن أبى وقاص وخولى الاصبحى وابن عمر بن سعد بن أبى وقاص وغيرهم من الرؤساء الذين خضبوا أيديهم بدماء آل البيت الكريم وبعث برؤسهم الى محمد بن الحنفية بالحجاز سنة (٦٦) ﻫ ومحمد بن الحنفية هذا هو ابن على بن أبى طالب من غير فاطمة الزهراء عليها السلام

ثم أن المختار لما أوتى هذا النصر ادعى دعاوى عريضة واتخذ له كرسيا زعم ان فيه سرآ وانه لقومه مثل التابوت لبنى اسرائيل

ثم بعث بالجنود لقتال عبد الله بن زياد الذى قتل الحسين فى ولايته بالعراق وكان بالموصل فاقتتلوا قتالا مرا وانهزم منه أصحاب ابن زياد وقتل هو فى المعركة فأحرق المختار جثته فتمت نكبة قتل الحسين عليه السلام

ثم إن المختار خرج على عبد الله بن الزبير الذى كان خليفة بالحجاز فأرسل اليه الجنود فانتصروا على شيعته وقتلوه واستولى مصعب بن الزبير قائد تلك الجنود وهو أخو عبد الله بن الزبير على العراقين

فقلق عبد الملك بن مروان من انتشار سلطان عبد الله بن الزبير فسار الى مصعب بن الزبير فى جيش عرموم وقاتله حتى قتله واستقام له الامر بالعراق

ثم ان عبد الملك أرسل الحجاج بن يوسف الثقفى لقتال عبد الله بن الزبير نفسه فحاصر الحجاج الكعبة ورمى مكة بالمجانيق حتى تهدم شطر من البيت الحرام وأنف ابن الزبير أن يسلم نفسه فقاتل

بنفسه وبمن معه حتى قتل فصابه الحجاج وكان ذلك سنة (٧٣) وكانت خلافة ابن الزبير تسع سنين فدان الناس كلهم لعبد الملك ولم يبق له فى الخلافة منازع

فلما استتب الامر لعبد الملك بن مروان أخذ يبعث البعوث للجهاد وكان بنو أمية أبطلوا ذلك منذ خلافة يزيد بن معاوية لما هم فيه من الاضطراب والقلق ، فأرسل الى عامله بأفريقية زهير بن قيس البلوى وكان مقيما ببرقة فولاه حرب البربر سكان المغرب وأمره باستنقاذ القيروان ومن بها من المسلمين من يد كسيله المتغلب عليها . فراجعه زهير يعلمه بكثرة الفرنج فى تلك الجهة وشدة أمة البربر فأمده بالمال ووجوه العرب وصناديدها فزحف زهير فى جيش لجب سنة (٦٩) والتقى مع كسيلة بجهة القيروان واشتدت الحرب بين الفريقين ثم انتهت بانهزام كسيلة ومن معه من الفرنج والبربر وقتل كسيلة ووجوه البربر فذلوا وخضعوا لزهير

ثم ان زهيرا ترك القيروان ورجع الى برقة فوجد اسطول الرومان على قتالها فى جيوش كثيفة ومعهم اسرى من المسلمين فاستعانوا به وكان فى فئة قليلة من أصحابه فهجم على الرومان وقاتلهم حتى قتل وقتل معه جماعة من اشراف اصحابه وهرب الباقون الى دمشق فأخبروا الخليفة بما وقع

وبعد ذلك اضطربت بلاد المغرب واشتدت بها الفتن فبعث عبد الملك الى عامله بمصر حسان بن النعمان الغسانى وبعث اليه المدد فزحف اليهم سنة (٦٩) فى اربعين الف مقاتل وبعد أن استراح سار قاصدا مدينة قرطاجة وهى أعظم مدن العالم بعد رومية وكان بها جموع من الفرنج لا يحصى عددهم فافتتحها عنوة ونجا فلولهم فى السفن الى جزيرة صقلية (سيسليا) والاندلس . ثم أمر بتخريب قرطاجة لعصيانها عليه بعد ذلك وتعفية رسومها وكسر قنواتها فزالت من الوجود

ثم قاتل الفرنج ببلاد صطفورة وبنزرت وهزمهم وقاتل امرأة كاهنة كانت صاحبة سلطان عظيم انحاز اليها أكثر البربر واطاعوها وكانت تدعى داهية وقد قتل من المسلمين فى قتالها خلق كثير ولم تزل الكاهنة ومن معها يتعقبون حسانا والعرب حتى أخرجوهم من جهات قابس ولحق حسان بطرابلس فلحقه هناك كتاب عبد الملك يأمره بالمقام حتى يصله كتابه

ثم ان الكاهنة أمرت بتخريب المدن والضياع والمراعي والمزارع لصد أطماع العرب. وكانت المدن والضياع من طرابلس الى طنجة ظلا واحدا في قرى متصلة فخربت الكاهنة كل ذلك فشق ذلك على البربر واستأمنوا الى حسان وكان عبد الملك قد بعث اليه بالمدد فأمنهم واستعمل الحيلة في قتلها ثم التقى معها وقتلها ، وبذلك استأمن اليه باقي البربر وشرط عليهم حسان أن يكون معه منهم اثنى عشر الفا لا يفارقونه في مواطن الجهاد فأجابوا ثم أسلموا فانصرف حسان الى القيروان وثبت ملكه واستقام أمره ، فدون الدواوين وكتب الخراج على عجم افريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر

ثم أوعز اليه عبد الملك باتخاذ دار للصناعة لانشاء السفن الحربية فبنى بها ما يزيد عن سبعمائة سفينة ومنها كان فتح جزيرة صقلية (سيسيليا) أيام زيادة الله الاول من بني الاغلب على يد اسد بن الفرات

ثم ان حسانا استخلف على المغرب رجلا من قواده اسمه صالح وارتحل الى المشرق بما جمعه من الاموال والذخائر وأهدى الى أمير مصر عبد الله مائتي جارية من بنات ملوك الافرنج والبربر فلم يقنعه ذلك وانتزع كثيرا مما كان بيده فلما قدم أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وأخبره أنكر ذلك. ثم أهدى اليه حسان من غريب النفائس ما استعظمه الوليد وشكره عليه ووعده برده الى عمله فحلف حسان أن لا يلي عملا لبني امية ابدا

وكان عبد الملك بن مروان ولى الحجاج الثقفي العراق بعد مقتل ابن الزبير فلما ذهب اليها أفحش في الظلم وأخذ بالظنة وقتل كثيرا من الناس فخرج عليه الناس من كل جهة واستفحل أمرهم وكانوا سببا في تعطيل الفتوحات الاسلامية زمانا طويلا

توفي عبد الملك سنة (٨٦)ه وكانت مدة خلافته بلا منازع منذ قتل عبد الله بن الزبير ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر

كان عبد الملك حازما عاقلا فقيها دينا الا أن الدنيا استهوته بعد خلافته ومات وعمره ستون سنة

هو أول من ضرب السكة (النقود) في الاسلام وكانت الطوائف وهي الجيوش التي كانت تجهز في اوان الصيف لسد

الثغور وقتال العدو تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية لحدوث الفتن بين المسلمين واستمر ذلك التجهيز من صدر الاسلام الى أواخر عهد الدولة العباسية ولما اشتدت الفتنة بين ابن الزبير وعبد الملك واجتمعت الروم واستجاشوا على من بالشام من المسلمين فصالح عبد الملك ملكهم على أن يحمل اليه كل جمعة الف دينار خوفا منه على المسلمين ولم يستمر هذا التعهد زمنا طويلا لانه بعد ذلك بقليل انتصر المسلمون على الروم فى وقائع عديدة وفتحوا كثيراً من بلادهم

﴿ عبد الله بن الزبير ﴾ انظر ترجمته فى كلمة الزبير

﴿ ابن عبد ربه ﴾ هو أبو أحمد ابن محمد عبد ربه بن حبيب بن حدير ابن سالم القرطبى مولى هشام بن عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموى

كان من العلماء المكثرين من الحفظ والاطلاع على أخبار الناس صنف كتابه العقد الفريد وهو من عيون الكتب الادبية وأحفلها بوجوه الشعر والنثر لم يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة مما يطيب نشره الا أتى عليها وكان له شعر جيد منه قوله :

يا ذا الذى خط العذار بوجهه
خطين هاجا لوعة وبلابلا
ماصح عندى ان لحظك صارم
حتى لبست بعارضيك حمائلا

وله أيضا :

ومعذر نقش العذار بمسكه
خداً له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن ان عضب جفونه
من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وقيل ان هذين البيتين لابى طاهر الكاتب وقيل لابى الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادى

ولابن عبد ربه ايضا :

ودعتنى بزفرة واعتناق
ثم قالت متى يكون التلاقى
وبدت لى فأشرق الصبح منها
بين تلك الجيوب والاطواق
ياسقيم الجفون من غير سقم
بين عينيك مصرع العشاق
أن يوم الفراق أفظع يوم
ليتنى مت قبل يوم الفراق

وله أيضا :

ان الغوانى ان رأينك طاويا
بردالشباب طوين عنك وصالا
واذ دعونك عمهن فانه
نسب يزيدك عندهن خبالا

وله من جملة قصيدة طويلة فى المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الحكمى أحد ملوك الاندلس من بنى أمية:

بالمنذر بن محمد
شرفت بلادالاندلس
فالطير فيها ساكن
والوحش فيها قدأنس

قال الوزير ابن المغربى فى كتاب أدب الخواص . وقد روى أن هذه القصيدة شقت عند انتشارها على أبى تميم معد المعز لدين الله وساءه ماتضمنته من الكذب والتمويه الى ان عارضها شاعره الايادى التونسى بقصيدته التى أولها:

ربع لزينب قد درس
واعتاض من نطق خرس

وهذا الشاعر هو ابو الحسن على بن محمد بن الايادى التونسى

ولابن عبد ربه قوله :

نعق الغراب فقلت اكذب طائر
ان لم يصدقه رغاء بعير

ومن قوله يصف الرمح:

بكل ردينى كأن سنانه
شهاب بدا فى ظلمة الليل ساطع
تقاصرت الآجال فى طول متنه
وعادت به الآمال وهى فجائع
وساءت ظنون الحرب فى حسن ظنه
فهن لحبات القلوب قوارع
وذى شطب تقضى المنايا لحكمه
وليس لما تقضى المنية دافع
فرند اذا ماعتن للعين راكد
وبرق اذا مااهتز بالكف لامع
يسلل أرواح الكماة انسلاله
ويرتاع منه الموت والموت رائع
اذا ماالتقت أمثاله فى وقيعة
هنالك ظن النفس بالنفس واقع

ومن قوله فى السيف :

بكل مأثور على متنه
مثل مدب النمل بالقاع
يرتد طرف العين من حده
عن كوكب للموت لماع

ومن شعره قوله:

يامن تجلد للزما
ن اما زمانك منك أجلد
سلط نهاك على هوا
ك وعد يومك ليس من غد
ان الحياة مزارع
فازرع بها ماشئت تحصد
والناس لايبقى سوى
آثارهم والعين تفقد
أو ماسمعت بمن مضى
هذا يذم وذاك يحمد
المال ان اصلحته
يصلح وان افسدت يفسد

وقال فى ذم أهل الزمان:

رجاء دون اقربه السحاب
ووعد مثل مالمع السراب
ودهر سادت العبدان فيه
وعاثت فى جوانبه الذئاب
وأيام خلت من كل خير
ودنيا قد تدرعها الكلاب
كلاب لو سألتهم ترابا
لقالوا عندنا انقطع التراب
يعاقب من أساء القول فيهم
وأن يحسن فليس له ثواب

وقال أيضا:

ساق ترنم يشدو فوقه ساق
كأنه لحنين الشوق مشتاق
ياضيعة الشعر فى بلدجرامقة
تشابهت منهم فى اللؤم أخلاق

ومن قوله أيضا :

ياغافلا ما يرى الا محاسنه
ولو درى مارأى الا مساويه
انظر الى باطن الدنيا بظاهرها
كل البهائم يجرى طرفها فيه

وقال أيضا :

فصادت حجرا لو كنت تضربه
من لؤمه بعصاموسى لما انبجسا
كأنما صيغ من بخل ومن كذب
فكان ذاك له روحا وذا نفسا
صحيفة أذنيت ليت بها وعسى
عنوانها راحة الراجى اذا يئسا
وعده هاجس فى الغدر قد برمت
أحشاء صدرى به من طول ما انحبسا
مواعد غرنى منها وميض سنا
حتى مددت اليها الكف مقتبسا

ومن شعره قوله :

روح الندى بين أثواب العلا وصب
يفتن فى جسد للمجد موصوب

ما أنت وحدك مكسو شحوب ضنى
بل كلنا منك من مضنى ومشحوب
يامن عليه حجاب من جلالته
وباب بذلك يوما غير محجوب
الق عليك يداً للضر كاشفة
كشاف ضر نبي الله أيوب
وله فى هذا المعنى أيضا :
لاغرو ان نال منك السقم والضرر
قد تكسف الشمس لا بل يخسف القمر
ياغرة القمر المزرى غضارتها
فدى لتربك منى السمع والبصر
أن يمس جسمك موعوكا بصالية
فهكذا يوعك الضرغامة الهصر
أنت الحسام فان تفلل مضاربه
فقبله ما يفل الصارم الذكر
روح من المجد فى جثمان مكرمة
كأنها الصبح من خديه ينفجر
لو غال مجلوده شىء سوى قدر
أكبرت ذلك ولكن غاله القدر

أما نثره فمنه ما كتبه فى مقدمة كتابه العقد الفريد قال :

« (وبعد) فان أهل كل طبقة، وجهابذة كل أمة ، قد تكلموا فى الادب وتفلسفوا فى العلوم على كل لسان ، ومع كل زمان ، وان كل متكلم منهم قد استفرغ غايته ، وبذل مجهوده فى اختصار بديع معانى المقدمين ، واختيار جواهر الفاظ السالفين ، وأكثروا فى ذلك حتى احتاج المختصر منها الى اختصار، والمتخير الى اختيار

« ثم انى رأيت آخر كل طبقة ، وواضعى كل حكمة ، ومؤلفى كل أدب ، أعذب ألفاظا ، وأسهل بنية ، وأحكم مذهبا ، وأوضح طريقة من الاول ، لأنه ناقض منعقب ، والاول باد متقدم . فلينظر الناظر الى الاوضاع المحكمة . والكتب المترجمة ، بعين انصاف ثم يجعل عقله حكما عادلا قاطعا ، فعند ذلك يعلم انها شجرة باسقة الفرع ، طيبة النبت ، ذكية التربة ، يانعة الثمرة ، فمن أخذ بنصيبه منها . كان على ارث من النبوة، ومنهاج من الحكمة لا يستوحش صاحبه، ولا يضل من تمسك به . وقد ألفت هذا الكتاب . وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ، ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ، ولباب اللباب ، وانما لى فيه تأليف الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش لدرر كل كتاب ، وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور

عن الحكماء والادباء ، واختيار الكلام أصعب من تأليفه وقد قالوا اختيار الرجل وافد عقله ، وقال الشاعر :

قد عرفناك باختيارك اذ كا
ن دليلا على اللبيب اختياره

وقال افلاطون : عقول الناس مدونة فى أطراف أقلامهم ؛ ظاهرة فى حسن اختيارهم ، فتطلبت نظائر الكلام ، وأشكال المعانى وجواهر الحكم ؛ وضروب الادب ؛ ونوادر الامثال ؛ ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه فجعلته بابا على حدته ؛ ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره من كل باب الخ الخ »

ولد ابو عبد ربه سنة (٢٤٦) وتوفى سنة (٣٢٧) ودفن بمقبرة بنى العباس بقرطبة وكان قد أصابه الفالج قبل ذلك بأعوام

﴿ عبيد الله ﴾ هو ابو القاسم بن عبد الله كان من المؤرخين الجغرافيين وهو مؤلف كتاب المسالك والممالك وهو من أجمع الكتب لاخبار الامم والبلدان

توفى فى حدود سنة (٣٠٠) هـ

﴿ عبيدة ﴾ بن الحارث بن المطلب كان من الصحابة شهد بدراً وتوفى سنة (١) من الهجرة

﴿ عبد الله بن عامر ﴾ هو عبد الله ابن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى القرشى وهو ابن خال عثمان بن عفان . ام عثمان أروى بنت كريز وأمها ام عامر بن كريز ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم وأم عبد الله دجاجة بنت أسماء بنت الصلت السلمية .

كان عبد الله من الصحابة الاكرمين ولد بعد الهجرة بأربع سنين وأسلم أبوه عام الفتح

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بعبد الله بن عامر فى فتح مكة فجعل ينفث عليه وجعل عبد الله يبتلع ريق النبى صلى الله عليه وسلم فقال انه لسقا

وروى ابن عساكر انه لما جيء به لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هذا ابن السلمية ؟ قالوا نعم . قال : هذا ابننا وهو أشبهكم بنا وهو لسقا . فلم يزل عبد الله شريفا سخيا كريما كثير المال والولد

كان عبد الله يعد فى الطبقة الاولى من أهل المدينة وكان حسن النشأة معدوداً

من نجباء قريش وكرمائهم

ولاه عثمان بن عفان البصرة وعمره أربع وعشرون سنة او خمس وعشرون ففتح سجستان وكرمان ومازال يطارد كسرى يزدجرد حتى قتله وانقرضت على يده الدولة الساسانية وسار الى المسلمين ملك الاكاسرة

ولاه عثمان البصرة سنة (٢٨) وقيل (٢٩) خلفا لأبى موسى الاشعرى فقال أبو موسى لأهل البصرة: يقدم عليكم غلام كريم الجدات والعمات يجمع له الجندان يقول بالمال فيكم هكذا وهكذا

جمع له عثمان جند ابى موسى وجند عثمان بن ابى العاص الثقفى من عمان والبحرين وأمره أن يستعمل على كورفارس وخراسان ولاة وأن يغزو البلاد التى ثارت على المسلمين وهى فارس وخراسان . فصدع بالامر والتقى بالثائرين فى اصطخر فقاتلهم حتى انهزموا ثم سار الى أطراف ولاية فارس فدوخها وأخضع الثائرين فيها ثم قصد خراسان وفرق جنوده فى اطرافها وأطراف سجستان وكرمان وقصد هو نيسابور وجعل على مقدمته الاحنف بن قيس فافتتح أمامه الطبسين وهما بابا خراسان وسار الى قهستان وابرش فلقيه قوم يسمون الهياطلة فقاتلهم حتى اضطرهم لان يلجأوا الى حصنهم وقدم عليها ابن عامر فصالحه أهلها على ٦٠٠ الف درهم

ثم قصد البلادالتى من أعمال نيسابور كبشت وخواف واسفراين وارغيان ثم قصد نيسابور بعد أن استولى على كل أعماله فامتنعت عليه فحاصرها أشهرا وكان على كل ربع من أرباع المدينة مرزبان يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك الارباع الامان على أن يدخل المسلمين المدينة فأعطيه . فأدخلهم ليلا ففتح الباب وتحصن مرزبان المدينة فى حصنها ومعه جماعة وطلب الامان والصلح على جميع نيسابور على وظيفة يؤديها فصالحه ابن عامر على الف الف درهم وولى على نيسابور قيس بن الهيثم السلمى

ثم أرسل عبد الله بن عامر قواده يضربون فى أطراف البلاد وقدم فى تلك الاثناء بهمة والى ابيورد على عبد الله بن عامر فصالحه عليها وعلى بادغيس وبوشنج فكتب له كتاب عهد هذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أمر به عبد الله بن عامر عظيم هراة

وبوشنج وبادغيس . أمره بتقوى الله ومناصحة المسلمين ، واصلاح ماتحت يديه من الارضين ، وصالحه على هراة سهلها وجبلها على أن يؤدى من الجزية ما صالحه عليه وأن يقسم ذلك على الارضين عدلا بينهم فمن منع ماعليه فلا عهد له ولا ذمة » . كتبه ربيع بن نهشل وختمه عبد الله بن عامر

ثم حدثت الفتنة وصرف عن الولاية الى زمن معاوية بن أبى سفيان فولاه على البصرة ثانية سنة (٤١) وجعل اليه معاوية خراسان وسجستان فاستعمل على خراسان قيس بن الهيثم السلمى وكانت ثارت بلخ وهراة وبادغيس على المسلمين فسار قيس الى بلخ فنازلها فسألوه الصلح ومراجعة الطاعة فأعطاهم ماسألوا وكان المسلمون حريصين على راحة الشعوب المقهورة فتقدم عطاء بن السائب مولى بنى ليث ببناء ثلاث قناطر على ثلاثة أنهر من أنهر عمالة بلخ فبناها وسميت قناطر عطاء

ثم ان عبد الله بن عامر استبطأ قيسا بالخراج فعزله وولى عبد الله بن حازم فخاف قيس بن حازم شغبه فقدم على عبد الله ابن عامر قبل وصول ابن حازم وترك البلاد بلا أمير فازداد عبد الله بن عامر غضبا عليه لتركه الثغر وقيام الفتن فيه بسبب ذلك فضربه وحبسه . وولى عبد الرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وأخذ بتدويخ البلاد التى نكث أهلها حتى بلغ كابل فحصرها أشهرا ونصب عليها المجانيق فثلم سورها ثلمة عظيمة فبات عليها عباد ابن الحصين ليلة يجالد المشركين ويمنعهم عن سدها حتى أصبح ولم يقدروا عليها وخرجوا من المدينة يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلدة عنوة . ثم سار عبد الرحمن الى زران وبست وخشك فظفر بأهلها وفتحها كلها . ثم سار الى زابلستان وهى غزنة وأعمالها وقد كان أهلها نكثوا أيضا فقاتلهم وفتحها وعاد الى كابل وقد نكث أهلها ففتحها

استمر عبد الله بن عامر واليا على البصرة لمعاوية نحوا من ثلاث سنين وكان حسن السيرة فى أهلها محبباً اليهم ولكنه كان مفرطا فى لين العريكة فلم يخف بطشه السفهاء . فاشتدت فيها وطأة الخوارج من أمثلة حلمه ولينه واستخفاف الخوارج به مارواه ابن عساكر عن أبى داود قال خرج عبد الله بن عامر الى الجمعة

فى ثياب رقاق وابو بلال (هو مرداس بن أُدَيّة من رؤس الخوارج) تحت المنبر وذلك فى يوم الجمعة فقال أبو بلال : انظروا الى أميركم يلبس لباس الفساق . فقال أبو بكرة وهو تحت المنبر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أهان سلطان الله فى الارض أهانه الله

لهذا وأشباهه فسدت عليه البصرة فشكا ذلك الى زياد بن ابيه فقال له جرد السيف ؛ فقال انى اكره ان اصلحهم بفساد نفسى

عزله معاوية بن أبى سفيان وسبب ذلك أن عبد الله بن عامر أوفد وفداً من البصرة الى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة وفيهم عبد الله بن ابى اوفى اليشكرى المعروف بابن الكواء فسألهم معاوية عن أهل العراق وعن أهل البصرة خاصة . فقال ابن الكواء يا أمير المؤمنين ان اهل البصرة قد أكلهم سفهاؤهم ، وضعف عنهم سلطانهم . ثم أخذ يعجز عبد الله بن عامر ويضعفه

فلما علم معاوية ذلك عزم على عزل عبد الله بن عامر عنها ولم يرد ان يفاجئه بذلك احتراما له وتحاشيا من غضبه مع ميل الناس اليه فكتب اليه يسأله أن يزوره فقدم عليه وكان يأتيه ويتغدى عنده ثم دخل اليه يوماً يودعه راجعاً الى عمله فقال له انى سائلا ثلاثا فقال هى لك وأنا ابن ام حكيم

قال معاوية : ترد على عملى (أى ولاية البصرة) ولا تغضب

قال عبد الله بن عامر : قد فعلت

قال معاوية : وتهب لى مالك بعرفة

قال عبد الله : قد فعلت

قال معاوية وتهب لى دورك بمكة

قال عبد الله : قد فعلت

قال معاوية : وصلتك رحم

قال عبد الله : وانى سائلك يا أمير المؤمنين ثلاثة ؛ فقال قد فعلت

قال معاوية : قد فعلت وانا ابن هند

قال عبد الله : ترد على مالى بعرفة

قال معاوية : قد رددت اليك مالك بعرفة

قال عبد الله : وتنكحنى هندا بنت معاوية

قال معاوية : قد فعلت

قال عبد الله : ولا تحاسب لى عاملا ولا تتبع أثرى

قال معاوية . قد فعلت

ومما يدل على ما كان لعبد الله بن عامر من المكانة فى قلوب الناس مارواه ابن عساكر قال : سأل معاوية قبيصه بن جابر عمن يرى لهذا الامر (يعنى الخلافة) من بعده . فأجابه :وأما فتاها حياء وحلما وسخاء فابن عامر

ولما كانت فتنة عثمان ، كان أشد الناس على عثمان أهل الكوفة وأهل مصر وأما أهل البصرة فقد كانو أخفهم عليه لان عبد الله بن عامر كان واليا عليها من قبله وكان لحسن سيرته يحبب عثمان الى الناس . لهذا لما استعفى عثمان من عماله كان فيما شرطوا عليه أن يقر عبد الله بن عامر على البصرة لتحببه اليهم

ولما حوصر عثمان أرسل عبد الله بن عامر مجاشع بن مسعود على جيش لانجاده حتى اذا كانوا بأدانى الحجاز خرجت خارجة من اصحابه فلقوا رجلا فقالوا ماالخبر ؟ قال قتل عدو الله نعثل (يعنى عثمان رضى الله عنه) وهذه خصلة من شعره . فحمل عليه زفر بن الحارث وهو يومئذ غلام مع مجاشع بن مسعود فقتله فكان أول مقتول فى دم عثمان ثم رجع مجاشع الى البصرة

فلما رأى عبدالله بن عامر ذلك حمل مافى بيت المال واستعمل على البصرة عبدالله بن عامر الحضرمى ثم شخص الى مكة فوافى بها طلحة و الزبير وعائشة وهم يريدون الشام فقال لا بل ائتوا البصرة فان لى بها صنائع وهى أرض الاموال وبها عدد الرجال والله لوشئت ماخرجت حتى اضرب بعض الناس ببعض

فقال طلحة : هلا فعلت ؟ أشفقت على مناكب تميم ؟

ثم أجمع رأيهم على السير الى البصرة فأقبل بهم اليها

وكان عبد الله بن عامر مع طلحة والزبير وعائشة يوم الجمل حتى قال على عليه السلام: تدرون من حاربت ؟ حاربت أمجد الناس ؛ يعنى عبد الله بن عامر ، وأشجع الناس ؛ يعنى الزبير ، وأدهى الناس يعنى طلحة

ولما هزم الناس يوم الجمل وانتصر على عليه السلام جاء عبد الله بن عامر الى الزبير فأخذ بيده فقال: أبا عبد الله أنشدك الله فى أمة محمد فلا تفترق أمة محمد بعد اليوم أبدا .

فقال الزبير خل بين العادين يضطربان
فان مع الخوف الشديد المطامع

فلحق عبد الله بن عامر بالشام حتى نزل دمشق وقد قتل ابنه عبد الرحمن يوم الجمل وبه كان يكنى . فقال حارثة بن بدر بن العباس العدأنى فى خروج عبد الله ابن عامر الى دمشق :

أتانى من الانباء ان بن عامر
أناخ وألقى فى دمشق المراسيا
يطيف بحامى دمشق وقصره
نعيشك ان لم يأتك القوم راضيا

ولم يزل عبد الله بن عامر مع معاوية بالشام حتى ولاه البصرة كما ذكرنا ولم يسمع له ذكر فى صفين حين حارب معاوية عليا عليه السلام ؛ فقد اعتزل الفتنة من الجمل كما يظهر من قوله للزبير

كان عبد الله بن عامر عالى الهمة كبير الفؤاد فتح خراسان كلها وأطراف فارس وسجستان وكرمان هراة وزابلستان وهى غزنة وأعمالها وأفغانستان فقضى على ولاية الفرس وقتل كسرى يزدجرد فى ولايته

لما أتم هذه الفتوحات عمل على عمارية البلاد وأراد أن يصل ما بين العراق والحجاز بالقرى العامرة فأخذ يحفر الأنهر فى سواد البصرة فاحتفر نهر البصرة ونهر أم عبد الله وهى أمه ونهر الأبلة

ثم بدأ بالبادية فاتخذ فيها النباج وهى قرية بالبادية فغرس فيها الغرس فكانت تدعي نباج ابن عامر . واتخذ القريتين وغرس بهما نخلا وانبط عيونا تعرف بعيون ابن عامر وبينها وبين النباج ليلة على طريق المدينة . وحفر الحفر ثم حفر السمينة ، واتخذ بقرب قباء قصراً وجعل فيه زنجا ليعملوا فيه . وهذه كلها أماكن ومياه بين البصرة والحجاز

وكان ينوى أن يجعل بين الحجاز والبصرة مدائن متصلة بحيث تكون كالجنان الزاهرة فروى عنه ابن قتيبة أنه قال : لو تركت لخرجت المرأة فى حاجتها على دابتها ترد كل يوم على ماء وسوق حتى توافى مكة

وروى عنه ابن الاثير وابن عساكر عبد البر ان ابن عامر اتخذ الحياض بعرفة وأجرى اليها العين وسقى الناس الماء وبقى ذلك الى اليوم واتخذ فى البصرة السوق واشترى دورا فهدمها وجعلها سوقا

وكان عبد الله بن عامر سخيا كريما

حليما ميمون النقيبة كثير المناقب

وقال ابن الاثير كان أحد الاجواد الممدوحين

وقال ابن عساكر قدم ابن عامر على عثمان فقال له : صل قومك من قريش ففعل وأرسل الى على بن أبى طالب بثلاثة آلاف وكسوة . فلما جاءبه قال على عليه السلام : الحمد لله انا نرى تراث محمد يأكله غيرنا . فبلغ ذلك عثمان فقال لابن عامر قبح الله رأيك أترسل الى على بثلاثة آلاف درهم ؟ قال كرهت أن أغرق ولم أدر ما رأيك . قال فأغرق . فبعث اليه بعشرين الف درهم وما يتبعها فراح على الى المسجد فانتهى الى حلقة وهم يتذاكرون صلات ابن عامر هذا الحى من قريش . فقال على هو سيد فتيان قريش غير مدافع

قال وتكلمت الانصار فقالت ابت الطلقاء الا عداوة . فبلغ ذلك عثمان فدعا ابن عامر فقال ابا عبد الرحمن فى عرضك ودار الانصار فألسنتهم ما قد علمت . فأفشى فيهم الصلات والكساء فأثنوا عليه . فقال له عثمان انصرف الى عملك . فانصرف والناس يقولون . قال ابن عامر وفعل ابن عامر . فقال عبد الله بن عمر اذا طابت المكسبة زكت النفقة

وروى الطبرى قال كان ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شريك عثمان فى الجاهلية ، فقال العباس بن ربيعة لعثمان اكتب لى الى ابن عامر يسلفنى مائة الف فكتب فأعطاه مائة الف وصله بها وأقطعه داره دار العباس بن ربيعة اليوم

وروى ابن عساكر عن ميمون بن مهران قال أراد عبد الله بن عمر بن الخطاب شراء أهل بيت كان يعجبهم فأعطي بهم الف دينار فأبى فاشتراهم عبد الله بن عامر بعشرة آلاف دينار وأعتقهم

وروى عن عبد الله بن محمد القرى قال : اشترى عبد الله بن عامر من خالد ابن عقبة بن أبى معيط داره التى فى السوق ليشرع بها داره على السوق بثمانين او سبعين الف درهم . فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لاهله : ما هؤلاء؟ فقيل له يبكون دارهم . فقال ياغلام فأتهم فأعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا

روى الاصمعى قال : أرتج على عبد الله بن عامر بالبصرة يوم أضحى فمكث ساعة ثم قال : لا أجمع عليكم عيا ولؤما . من اخذ شاة فى السوق فهى له وثمنها على

قيل لما ولى ابن عامر البصرة انحدر اليه صديقان له من أهل المدينة كان أحدهما عبد الله بن جابر الانصارى والآخر من ثقيف فأقبلا يسيران حتى اذا كانا بناحية البصرة قال الانصارى للثقفى هل لك فى رأى رأيته ؟ قال اعرضه . قال رأيت أن ننيخ رواحلنا ونتناول مطاهرنا ونمس ماء ثم نصلى ركعتين ونحمد الله على ما مضى من سفرنا . قال هذا الذى لابرد . فتوضيا ثم صليا ركعتين فالتفت الانصارى الى الثقفى وقال : يا أخا ثقيف ما رأيك ؟ قال موضع رأى هذا قضيت سفرى وانصبت بدنى وانضيت راحلتى ولامؤمل دون ابن عامر ، فهل لك رأى غير هذا ؟ قال نعم انى لما صليت هاتين الركعتين فكرت فاستحييت من ربى أن يرانى طالبا رزقا من غيره . اللهم رازق ابن عامر ارزقنى من فضلك . ثم ولى راجعا الى المدينة ودخل ثقيف البصرة فمكث أياما فأذن له ابن عامر فلما رآه رحب به ثم قال ألم أخبر ان ابن جابر خرج معك . فخبره خبره فبكى ابن عامر ثم قال : أما والله ما قالها أشرا ولا بطرا ، ولكن رأى مجرى الرزق ومخرج النعمة فعلم ان الله الذى فعل ذلك فسأله من فضله . ثم أمر للثقفى بأربعة آلاف درهم وكسوة وطرف وأضعف ذلك كله للانصارى فخرج الثقفى وهو يقول :

امامة ما حرص الحريص بزائد
فتيلا ولا زهد الضعيف بضائر
خرجنا جميعا من مساقط رؤسنا
على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما أنخنا الناعجات ببابه
تأخر عنى اليثربى ابن جابر
وقال ستكفينى عطية قادر
على ما يشاء اليوم بالخلق قاهر
وان الذى أعطى العراق بن عامر
لربى الذى أرجو لسد مفاقرى

فى أبيات أخرى

ولقد كان ابن عامر لكرمه وسعة صدره اذا أبطأ على أحدهم بالعطاء عاتبه روى ابن عساكر قال وعد ابن عامر أنس بن انس شيئا وقد كان عوده ذلك فمطله فقام اليه بمكة فى الموسم فقال :

ليت شعرى عن خليلى ما الذى
غاله فى الود حتى ودعه
لا نهنى بعد اذ أكرمتنى
وقبيح عادة منتزعة

واذكروا البلوى التى أبليتنى
ومقالا قلته فى المجمعة
لا يكن برقك برقا خابا
ان خير البرق ما الغيث معه

وفى ابن عامر يقول زياد الأعجم مادحا :

اخ لك لا تراه الدهر الا
على العلات بساما جودا
اخ لك ما مودته بمذق
اذا ما عاد فقر أخيه عادا
سألناه الجزيل فما تلكا
وأعطى فوق منيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا
فأحسن ثم عدت له فعادا
مرارا ما رجعت اليه الا
تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

روى ابن عساكر عن عمر بن ميمون ان عبد الله بن عامر حين مرض مرضه الذى مات فيه دخل عليه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم ابن عمر . قال ماترون فى حالى ؟ فقالوا ما نشك لك فى النجاة (اى فى الآخرة) قد كنت تقرى الضيف وتعطى المختبط (المختبط هو الذى يسألك عن غير معرفة ولابد سلفت اليك)

وعن ميمون قال: بعث عبدالله بن عامر حين حضرته الوفاة الى مشيخة أهل المدينة وفيهم ابن عمر فقال أخبرونى كيف كانت سيرتى؟ قالوا كنت تتصدق وتعتق وتصل رحمك. قال وابن عمر ساكت فقال ياأباعبد الله مايمنعك أن تتكلم ؟ قال قد تكلم القوم. قال عزمت عليك لتتكلمن . فقال ابن عمر اذا طابت المكسبة زكت النفقة وستقدم فترى

قال ابن مندة توفى النبى صلى الله عليه وسلم ولعبدالله بن عامر ثلاث عشرة سنة وتوفى هو سنة تسع وخمسين. وقال الحافظ أبو نعيم انه توفى سنة ستين

وجاء فى أسد الغابة انه توفى سنة ثمان وخمسين وأوصى لعبد الله بن الزبير

وروى ابن عساكر ان عبد الله بن عامر توفى قبل معاوية بسنة فقال معاوية يرحم الله أبا عبدالرحمن بمن نفاخر وبمن نباهى؟

وقد روى عنه علماء الحديث حديثا واحدا عن النبى صلى الله عليه وسلم : من قتل دون ماله فهو شهيد

﴿ابو عبيدة بن الجراح﴾ أحد

كبار الصحابة وأعلام المسلمين الاولين هو من العشرة المبشرين . واسمه عامر ابن عبد الله بن الجراح بن هلال بن اهيب بن منبه بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة اشتهر بكنيته ونسبه الى جده

وأمه أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامر بن عميرة وأمها دعد بنت هلال بن اهيب بن ضبة بن الحرث ابن فهر . أدركت أمه الاسلام وأسلمت

كان أبو عبيدة فى الجاهلية محترما فى قومه معروفاً باصابة الرأى وسداده فيهم، موصوفاً بالدهاء والتدبير وكان يقال : داهيتا قريش ابو بكر وابو عبيدة بن الجراح

اسلم ابو عبيدة فى اول ظهور الاسلام روى ابن عساكر فى تاريخه عن يزيد بن رومان قال : انطلق عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث بن المطلب وعبد الرحمن بن عوف وابو سليمة بن عبد الاسد وابو عبيدة بن الجراح حتى اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهم الاسلام وأنبأهم بشرائعه فأسلموا فى ساعة واحدة وذلك قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وقبل أن يدعوا فيها وكان اسلامهم فى بعض الروايات بدعوة ابى بكر رضى الله عنهم أجمعين

كان أبو عبيدة قوى الاسلام صادقا فى حب نبيه حتى سماه صلى الله عليه وسلم أمين هذه الأمة. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة امين وان أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة ابن الجراح

وأخرج ابن عساكر عن حذيفة قال: جاء أهل نجران الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ابعث لنا رجلا أمينا . فقال: « لأبعثن اليكم أمينا حق أمين » فاستشرف لها الناس (أى تطلعوا لمن يرسله منهم) فبعث أبا عبدة ابن الجراح

مما يدل على شدة ايمان أبى عبيدة ماجاء فى أسد الغابة من أن أبا عبيدة لما كان بيوم بدر جعل أبوه وكان مع المشركين يتصدى له وجعل أبو عبيدة يحيد عنه فلما أكثر أبوه قصده قتله أبو عبيدة فأنزل الله تعالى : « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم . الآية »

روى عن موسى بن عقبة قال : قال

ابو بكر الصديق سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى عبيدة ثلاث كلمات لأن يكون قالهن لى أحب الى من حمر النعم . قالوا وماهن ياخليفة رسول الله ؟ قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبوعبيدة فاتبعه رسول الله بصره ثم أقبل علينا فقال : « ان ههنا لكتفين مؤمنتين » . وخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتحدث فسكتنا فظن اننا كنا فى شىء كرهنا ان يسمعه . فسكت ساعة لايتكلم ثم قال : « مامن أصحابى الا وقد كنت قائلا فيه لابد الا أباعبيدة » . وقدم علينا وفد نجران فقالوا يامحمد ابعث لنا من يأخذ لك الحق ويعطيناه. فقال : « والذى بعثنى بالحق لأرسلن معكم القوى الامين » . قال أبو بكر فما تعرضت للامارة غيرها فرفعت رأسى لأريه نفسى « فقال قم ياأباعبيدة » فبعثه معهم

شهد أبوعبيدة المشاهد الكبرى كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ممن ثبت معه يوم احد ونزع الحلقتين اللتين دخلتا فى وجه رسول الله من المغفر يومئذ فانتزعت ثنيتاه فشقتا فاه وصار اهتم فما رؤى قط أحسن منه هتما

روى ابن عساكر عن عمر بن الخطاب انه قال : لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وماشاورت فان سئلت عنه قلت استخلفت أمين الله وأمين رسوله

لما تولى أبو بكر الخلافة سلم أباعبيدة قيادة جيش من الجيوش التى أرسلها الى الشام وأمره بقصد حمص . ولما تولى الخلافة عمر جعل له القيادة العامة على جيوش الشام

ففتح أبو عبيدة دمشق بعد أن حاصرها سبعين ليلة وكان هو على دمشق يسرح الجنود وعليها الامراء لكى يشغلوا جيش الرومان عن امداد دمشق حتى تيسر له فتحها بعد عناء شديد ولما فتحها استخلف عليها يزيد بن أبى سفيان . ثم سار هو الى فحل من أرض الاردن وهزم هناك جيوش الرومان وأتى بيسان وطبرية وحاصرها فصالحاه على صلح دمشق . ثم بعد أن وجه يزيد بن أبى سفيان الى سواحل دمشق سار الى حمص عن طريق بعلبك وقدم اليها السمط بن الاسود الكندى وقدم خالدا الى البقاع ونزل أهل بعلبك الى أبى عبيدة فصالحوه وكتب لهم

بذلك كتابا

ثم ذهب الى حمص فافتتحها أيضا ثم رجع من هناك الى اليرموك او اجنادين لنجدة عمرو بن العاص . ثم صار الى حماه فصالحه أهلها . ثم سار الى حلب وقدم خالدا الى قنسرين وعبادة ابن الصامت الى اللاذقية

ثم ترك حصار حلب وسار الى حاضرها فافتتحها . ثم سار الى انطاكية وجيوشه تحاصر حلب فكتب اليه عمر بالرجوع الى حلب واتمام الفتح فعادو فتحها صلحا

ثم سير جيوشه تضرب فى الشمال والشرق حتى أتمت فتح سورية وبلغت الفرات شرقا وآسيا الصغرى شمالا وجعل ابو عبيدة على كل كورة فتحها عاملا ورتب فيها المرابطة والجيوش ونظم شؤن البلاد وبسط على أهلها جناح الرأفة والعدل وعاملهم بما اشتهر عنه من اللين والاناة والرفق حتى صار سلطان المسلمين أحب اليهم من سلطان الرومان

كان أبو عبيدة متواضعا زاهدا تقيا رزينا لين الجانب عالما بالشرع ماهرا فى فنون الحرب

روى ابن عساكر فى تاريخه عن عمر بن الخطاب انه قال يوما لجلسائه : تمنوا فتمنوا . فقال عمر بن الخطاب لكنى أتمنى بيتا ممتلئا رجالا مثل أبى عبيدة بن الجراح . فقال له رجل ما ألوت الاسلام (أى ما نقصته حقه) . فقال عمر ذاك الذى أردت

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن عمر انه قال ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوها وأحسنها أخلاقا وأثبتها جنانا ان حدثوك لم يكذبوك ابو بكر الصديق وعثمان ابن عفان وابو عبيدة بن الجراح

اخرج الجزرى فى اسد الغابة وابن عساكر فى تاريخه عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قدم عمر بن الخطاب الشام فتلقاه أمراء الاجناد وعظماء أهل الارض فقال عمر اين اخى ؟ قالوا من ؟ قال ابو عبيدة . قالوا يأتيك الآن . قال فجاء على ناقة مخطومة بحبل. فسلم عليه وسأله، ثم قال للناس انصرفوا عنا فسار معه حتى أتى الى منزله فنزل عليه فلم ير فى بيته إلا سيفه وترسه . قال عمر : لو اتخذت متاعا او قال شيئا. قال ابو عبيدة: ياامير المؤمنين ان هذا سيبلغنا المقيل

وروى ابن عساكر عن ابن عمر أن عمر حين قدم الشام قال لأبى عبيدة اذهب بنا الى منزلك. قال وما تصنع عندى ؟ ما تريد الا ان تعصر عينيك على. قال فدخل منزله فلم ير شيئا. قال أين متاعك ، لأرى الا لبدا وصحفة وشنا وانت امير ، اعندك طعام ؟ فقام ابو عبيدة الى جونة (أى سلة) فأخذ منها كسيرات . فبكى عمر . فقال له ابو عبيدة لقد قلت لك انك ستعصر عينيك على . يا أمير المؤمنين يكفيك ما بلغك المقيل . قال عمر غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة

وروى ابن عساكر عن قتادة قال قال ابو عبيدة بن الجراح وهو أمير على الشام :

« يا أيها الناس انى امرؤ من قريش وما منكم من احد احمر ولا اسود يفضلنى بتقوى الا وددت انى فى مسلاخه (أى جلده)

وروى ابن عساكر عن موسى ابن عقبة ان عمرو بن العاص لما كان فى غزوة ذات السلاسل فى مشارف الشام وخاف من جانبه الذى هو به بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فندب رسول الله المهاجرين والانصار فانتدب فيهم ابو بكر وعمر بن الخطاب فى سراة المهاجرين وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وأمد بهم عمرو بن العاص فلما قدموا على عمرو قال :

أنا اميركم وانا أرسلت الى رسول الله استمده بكم

فقال المهاجرون : بل انت أمير اصحابك وابو عبيدة أمير المهاجرين

فقال عمرو : انما أنتم مدد امددت بكم

فلما رأى ذلك ابو عبيدة وكان رجلا حسن الخلق لين الشيمة متبعاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده قال : نعم ان آخر ما عهد الى رسول الله انه قال اذا قدمت على صاحبك فتطاوعا وانك ان عصيتنى لأطيعنك . فسلم ابو عبيدة الامارة لعمرو بن العاص

وأخرج ابن عساكر عن أبى البخترى قال قال عمر لأبى عبيدة (أى يوم انتخاب خليفة لرسول الله) هلم أبايعك فانى سمعت رسول الله يقول انك أمين هذه الامة . فقال ابو عبيدة كيف أصلى بين يدى رجل أمره رسول الله ان يؤمنا حتى قبض يعنى

ابا بكر الصديق

وأخرج ابن عساكر عن جابر قال: كنت فى الجيش الذى مع خالد بن الوليد أمد بهم أبو عبيدة بن الجراح وهو محاصر أهل دمشق . قال أبو عبيدة صل بالناس فأنت أحق أتيتنى تمدنى . قال ما كنت لأصلي قدام رجل سمعت النبي يقول لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح

وروى ابن عساكر عن أبى الحسن عمران ان أبا عبيدة بن الجراح كان يسير فى العسكر فيقول:

ألا رب مبيض لثيابه ، مسود لدينه . الا رب مكرم لنفسه وهو لها عدو مبين . أدرأوا السيئات القديمات ، بالحسنات الحديثات . فلو أن احدكم عمل من السيئات ما بينه و بين السماء ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرها

ولما اشتد فتك الطاعون فى الشام خاف عمر على أبى عبيدة فاستدعاه اليه فكتب اليه ابو عبيدة :

« انى فى جند من المسلمين لن أرغب بنفسى عنهم ، وانى قد علمت حاجة أمير المؤمنين التى عرضت لك ، وأنك ستبقى من لبس بباق فاذا أتاك كتابى هذا فحللنى من عزمتك وأذن لى فى الجلوس

انتشر الطاعون بالشام وكان ابو عبيد مع ستة وثلاثين الفا من المسلمين فلم يبق منهم الا ستة آلاف رجل ومات كثير من أقطابهم منهم ابو عبيدة ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبى سفيان . وقد اختلف فى مكان وفاة أبى عبيدة فمن قائل انه فى بيسان ومن قائل انه فى عمواس ومن قائل انه فى الاردن

جاء فى أسد الغابة عن عروة بن رويم ان أبا عبيدة انطلق يريد الصلاة ببيت المقدس فأدركه أجله بفحل فتوفى بها

وزاد ابن عساكر على هذا قوله انه أوصى قبل وفاته بقوله :

« اقرأوا أمير المؤمنين السلام وأعلموه انه لم يبق من أمانتى شىء الا وقد قمت به وأديته اليه ، الا ابنة خارجة نكحت فى يوم بقى من عدتها لم أكن قضيت فيها بحكومة . وقد كان بعث الى بمائة دينار فردوها اليه »

فقال بعض الحاضرين : ان فى قومك حاجة ومسكنة . فقال ابو عبيدة : « ردوها اليه وادفنونى من غربى

نهر الاردن فى الأرض المقدسة . ثم قال ادفنونى حيث قضيت فانى آنخوف ان يكون سنة »

وعن سعيد المقبرى قال : لما طعن أبو عبيدة بن الجراح بالاردن وبها قبره دعا من حضره من المسلمين فقال :

« انى موصيكم بوصية ان قبلتموها لم تزالوا بخير . أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا شهر رمضان وتصدقوا وحجوا واعتمروا وتواصوا وانصحوا الامرائكم ولا تغشوهم ولا تلهكم الدنيا . فان امرألو عمر الف حول ما كان له بد من أن يصير الى مصرعى هذا الذى ترون . الله كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون. واكيسهم اطوعهم له واعملهم ليوم معاده والسلام عليكم ورحمة الله

« يامعاذ بن جبل صل بالناس »

ومات

فقام معاذ بن جبل فى الناس فقال:

« يا أيها الناس توبوا الى الله من ذنوبكم توبة نصوحا ، فان عبدا لا يلقى الله تائبا من ذنبه الا كان حقا على الله أن يغفر له ، من كان عليه دين فليقضه فان العبد مرتبط بدينه . ومن أصبح منكم مهاجراً أخاه فليلقه فليصالحه ولا ينبغى لمسلم أن يهجر اخاه اكثر من ثلاث . والدين العظيم انكم أيها المسلمون فجعتم برجل ما أزعم انى رأيت عبدا ابر صدراً ولا أبعد من الغائلة ولا أشد حبا للعامة ولا انصح لهم منه فترحموا عليه يرحمه الله واحضروا الصلاة عليه »

كانت وفاته رضى الله عنه سنة (١٨)

﴿ابو عبيدة الهرى﴾ هو احمد بن محمد القشانى كان من أكابر العلماء صاحب كتاب الغريبين فسر فيه غريب القرآن وغريب الحديث . توفى سنة (٤٠١) ه

والهروى نسبة الى هراة وهى مدينة بخراسان والقاشانى نسبة الى قاشان وهى قرية بهراة

﴿عبدالله بن انيس﴾ الانصارى الجهنى كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . توفى سنة (٥٤) ه

﴿عبيد الله بن محمد﴾ كان يقال له ابن عائشة من كبار العلماء توفى سنة (٢٨٨) ه

﴿عبيدالله الزراكشى﴾ صاحب تاريخ دولة الموحدين ودولة الحفصيين فى تونس كان عائشا حوالى القرن التاسع

الهجري

﴿ابو عبيدة النحوي﴾ هو ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء ، تيم قريش البصري النحوي

قال الجاحظ في حقه لم يكن في الارض خارجي ولا اجماعي اعلم بجميع العلوم منه

وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف كان شعار العرب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامها . وكان مع معرفته لم يقم البيت اذا انشده حتى يكسره. وكان يخطىء اذا قرأ القرآن الكريم نظراً . وكان يبغض العرب وألف في مثالبها كتبا وكان يرى رأي الخوارج

استقدمه هرون الرشيد من البصرة الى بغداد سنة (١٨٨) وقرأ عليه بها أشياء من كتبه . وأسند الحديث الى هشام بن عروة وغيره ، وروى عنه علي بن المغيرة الاثرم وابو عبيدة القاسم بن سلام المقدم ذكره وابو عثمان المازني وابو حاتم السجستاني وعمر بن شبة النميري وغيرهم

قال ابو عبيدة أرسل الي الفضل بن الربيع والي البصرة في الخروج اليه فقدمت عليه وكنت أخبر بخبره فأذن لي فدخلت عليه وهو في مجلس طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه وفي صدره فرش عالية لا يرتقي عليها الا بكرسي وهو جالس على الفرش فسلمت عليه بالوزارة فرد وضحك الي واستدناني حتى جلست معه على فراشه ثم سألني وبسطني وتلطف بي وقال أنشدني فأنشدته من عيون الاشعار التي أحفظها جاهلية ، فقال لي قد عرفت اكثر هذا وأريد من ملح الشعر فأنشدته فطرب وضحك وزاد نشاطا

ثم دخل رجل في زي الكتاب وله هيئة حسنة فأجلسه الى جانبي وقال أتعرف هذا ؟ فقال لا ، فقال هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه . فدعا له الرجل وقرضه لفعله هذا . ثم التفت الي وقال كنت اليك مشتاقا ، وقد سألت عن مسألة أفتأذن لي ان أعرفك ؟ قلت هات . فقال قال الله تعالى : « طلعها كأنه رؤس الشياطين » وانما يقع الوعد والايعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف .

قال فقلت انما كلم الله العرب على قدر كلامهم اما سمعت قول امرىء القيس :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ولما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به

فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل وازمعت عند ذلك اليوم أن أضع كتابا فى القرآن لمثل هذا واشباهه، ولما يحتاج اليه من علمه. ولما رجعت الى البصرة عملت كتابى الذى سميته المجاز وسألت عن الرجل فقيل لى هو من كتاب الوزير وجلسائه

وقال أبو عثمان المازنى سمعت أباعبيدة يقول : دخلت على هرون الرشيد فقال لى يامعمر بلغنى ان عندك كتابا حسنا فى صفة الخيل احب ان اسمعه منك. فقال الاصمعى وما تصنع بالكتب يحضر فرس. فأحضر فقام الاصمعى فجعل يضع يده على عضو عضو منه ويقول هذا كذا . قال فيه الشاعر كذا حتى انقضى قوله

فقال لى الرشيد ماتقول فيما قال ؟ فقلت اصاب فى بعض واخطأ فى بعض والذى اصاب فيه منى تعلمه . والذى أخطأ فيه ما ادرى من اين أتى به

وبلغ ابا عبيدة ان الاصمعى يعيب عليه كتاب المجاز فقال يتكلم فى كتاب الله تعالى برأيه. فسأل عن مجلس الاصمعى فى أى يوم هو فركب حماره فى ذلك اليوم ومر بحلقته فنزل عن حماره وسلم عليه وجلس عنده وحادثه . ثم قال له: أباسعيد ماتقول فى الخبز أى شىء هو ؟ فقال الذى نخبزه ونأكله . فقال أبو عبيدة : قد فسرت كتاب الله تعالى برأيك فان الله تعالى قال « وقال الآخر انى ارانى أحمل فوق رأسى خبزا » فقال الاصمعى : هذا شىء بان لى فقلته ولم افسره برأيى. فقال أبو عبيدة ان الذى تعيب علينا كله شىء بان لنا فقلناه ولم نفسره برأينا. وقام وركب حماره وانصرف

وزعم الباهلى صاحب كتاب المعانى ان طلبة العلم كانوا اذا أتوا مجلس الاصمعي اشتروا البعر فى سوق الدرر . واذا أتوا مجلس أبى عبيدة اشتروا الدرر فى سوق البعر لأن الاصمعى كان حسن الانشاد والزخرفة ردىء الاخبار والاشعار حتى يحسن عنده القبيح ، وان الفائدة مع ذلك عنده قليلة. وان ابا عبيدة كان معه سوء عبارة مع فوائد كثيرة وعلوم جمة

نقول فى هذا القول تحامل على الاصمعى فقد دل تاريخ الادب فى جملته

وتعصبه على أن الرجل كان قطبا من أقطاب العربية ناهيك انه اشهر رواة الاخبار لايجهل اسمه احد (انظر ترجمته)

لم يكن أبو عبيدة يفسر الشعر .

وقال المبرد: كان أبوزيد الانصارى أعلم من الاصمعى وأبى عبيدة بالنحو ، وكانا بعده يتقاربان ، وكان أبو عبيدة أكمل القوم

وكان على بن المدنى يحسن ذكر ابى عبيدة ويصحح روايته وقال كان لا يحكى عن العرب الا الشيء الصحيح

وحمل أبو عبيدة والاصمعى الى هرون الرشيد للمجالسة فاختار الاصمعى لأنه كان أصلح للمنادمة

وكان أبو نواس يتعلم من أبى عبيدة ويصفه ويسب الاصمعى ويهجوه، فقيل له ماتقول فى الاصمعى ؟ قال بلبل فى قفص . فقيل له ماتقول فى خلف الاحمر . فقال جمع علوم الناس وفهمها ، قيل فما تقول فى أبى عبيدة ، فقال ذاك أديم طوى على علم

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى النديم يخاطب الفضل بن الربيع يمدح أبا عبيدة ويذم الاصمعى لقوله :

عليك أبا عبيدة فاصطنعه
فان العلم عند أبى عبيدة
وقدمه وآثره عليه
ودع عنك القريد بن القريدة

قيل كان أبو عبيدة أن أنشد بيتا لايقيم وزنه. واذا تحدث أو قرأ لحن اعتمادا منه لذلك ، ويقول النحو محدود

قال أبو عبيدة لما قدمت على الفضل ابن الربيع قال لى من أشعر الناس ؟ فقلت الراعى. قال وكيف فضلته على غيره ؟ فقلت لأنه ورد على سعيد بن عبد الرحمن الاموى فوصله فى يومه الذى لقيه فيه وصرفه. فقال يصف حاله معه :

وأنضاء تحن الى سعيد
طروقا ثم عجلن ابتكارا
حمدن مناخه وأصبن منه
عطاء لم يكن عدة ضمارا

فقال الفضل فما أحسن ما اقتضيتنا يا أبا عبيدة ثم غدا الى هرون الرشيد فأخرج لى صلة وأمر لى بشيء من ماله وصرفنى

وكان أبو عبيدة معمر من موالى بنى عبد الله ابن معمر التميمي

كان أبو عبيدة جباها لم يكن بالبصرة

أحد الا وهو يداجيه وينقيه على عرضه . قال له بعض الاجلاء : تقع فى الناس فمن أبوك ؟ فقال أخبرنى أبى عن أبيه انه كان يهوديا من أهل باجوران ، فمضى الرجل وتركه

خرج أبو عبيدة الى بلاد فارس قاصداً موسى بن عبد الرحمن الهلالى فلما قدم عليه قال لغلمانه احترزوا من أبى عبيدة فان كلامه كله دق . ثم حضر الطعام فصب بعض الغلمان على ذيله مرقة . فقال له موسى قد أصاب ثوبك مرق وأنا أعطيك عوضه عشر ثياب . فقال ابو عبيدة لاعليك فان مرقك لايؤذى . اى مافيه دهن . ففطن لها موسى وسكت

وكان الاصمعى اذا أراد الدخول الى المسجد قال انظروا لايكون فيه ذاك .يعنى أبا عبيدة خوفاً من لسانه . فلما مات لم يحضر جنازته أحد لأنه لم يكن يسلم من لسانه احد لاشريف ولا وضيع .

وكان أبو عبيدة وسخاً ألثغ يميل لى مذهب الخوارج

قال ابو حاتم السجستانى كان ابو عبيدة يكرمنى على انى من خوارج سجستان

وقال الثورى دخلت المسجد على أبى عبيدة وهو ينكث الارض جالسا وحده فقال لى من القائل :

أقول لها وقد جشأت وجاشت
مكانك تحمدى أو تستريحي

فقلت له قطرى بن الفجاءة (وهو من زعماء الخوارج) فقال فض الله فاك هلا قلت هو لأمير المؤمنين أبى نعامة (هى كنية قطرى بن الفجاءة) . ثم قال اجلس واكتم على ماسمعت منى . قال فما ذكرته حتى مات

قال ابن خلكان الذى ننقل منه هذه الترجمة : ان هذه الحكاية فيها نظر لأن هذا البيت من جملة أبيات لعروة ابن الاطنابة الانصارى الخزرجى واطنابة امه واسم أبيه زيد بن مناة لايكاد يخالف فيه احد من اهل الادب فانها أبيات مشهورة للشاعر المذكور

وذكر المبرد فى كتاب الكامل أن معاوية بن ابى سفيان الاموى قال اجعلوا الشعر اكبر همكم ، واكثر آدابكم ، فان فيه مآثر اسلافكم ، ومواضع ارشادكم . فلقد رأيتنى يوم الهزيمة وقد عزمت على الفرار فما ردنى الاقول ابن الاطنابة الانصارى

ابت لى عفتى وابى بلائى
واخذى الحمد بالثمن الربيح
واجشامى على المكروه نفسى
وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدى او تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات
وأحمى بعد عن عرض صريح

قال الزمخشرى فى كتاب ربيع الابرار فى باب الاسماء والكنى والالقاب: سأل رجل أبا عبيدة عن اسم رجل فما عرفه . فقال كيسان انا اعرف الناس به هو خداش او خراش او رياش او شىء آخر . فقال ابو عبيدة ما أحسن ما عرفته . فقال اى والله وهو قرشى ايضا . قال فما يدريك ؟ قال او ماترى كيف احتوشته الشينات من كل جانب ؟ واخبار ابى عبيدة كثيرة

(مؤلفات ابى عبيدة) لابى عبيدة نحو مائتى مصنف فمنها كتاب مجاز القرآن ، وكتاب غريب القرآن ، وكتاب معانى القرآن ، وكتاب غريب الحديث ، والديباج والتاج ، والحدود . وخراسان . وخوارج البحرين واليمامة . والموالى . والبله . والضيفان . ومرج راهط . والمنافرات والقبائل . وخبر البراض والقرائن . والبازى والحمام . والحيات . والعقارب . والنواكح والنواشر . وحضر الخيل . والاعيان . وبيان باهلة . وايادى الازد . والخيل . والابل . والانسان والزرع . والرحل . والدلو . والبكرة . والسرج واللجام . والفرس . والسيف والشوارد . والاحتلام ومقاتل الفرسان . ومقاتل الاشراف . والشعر والشعراء . وفعل وافعل . والمثالب . وخلق الانسان . والفرق . والخف . ومكة والحرم . والجمل . وصفين . وبيوت العرب . واللغات والغارات والمعاتبات والملاومات والاضداد . ومآثر العرب . ومآثر غطفان . وادعية العرب . ومقتل عثمان . وأسماء الخيل . والعفة . وقضاء البصرة . وفتوح الاهواز . وفتوح ارمينية . ولصوص العرب واخبار الحجاج . وقصة الكعبة . والحمس من قريش . وفضائل الفرس . وما تلحن فيه العامة . والسواد وفتحه . ومن شكر من العمال وحمد . والجمع والتثنية . والاوس والخزرج . وكتاب محمد وابراهيم ابنى عبد الله بن الحسن بن على بن ابى طالب . وكتاب الايام الصغير خمسة وسبعون

يوما ، وكتاب الايام الكبير الف ومائتا يوم؛ وأيام بني مازن وأخبارهم ؛ وغير ذلك من الكتب النافعة مما يطول ذكره

ولد أبو عبيدة في سنة (١١٠) وقيل (١١١) وقيل (١١٤) وقيل (١٠٨) وقيل (١٠٩) هـ . والاول أصح؛ وتوفي سنة (٢٠٩) وقيل (٢١١) وقيل (٢١٠) وقيل (٢١٣) هـ

وكان سبب موته ان محمد ابن القاسم ابن سهل النوشجاني اطعمه موزا فدخل عليه ابو العتاهية فأعطاه موزا فقال يا أبا جعفر قتلت ابا عبيدة بالموز وتريد ان تقتلني به ؟ لقد استحليت قتل العلماء

كان أصل أبو عبيدة معمر بن المثنى من باجروان من بلاد بلخ من اعمال الرقة واسم لمدينة بنواحي أرمينية من أعمال سروان وأبو عبيدة من هذه المدينة

﴿ عبد المؤمن ﴾ هو ابو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب المغرب

كان والده وسطا في قومه وكان يصنع الآنية من الطين فيبيعها وكان وقورا عاقلا

يحكى ان ابه عبد المؤمن كان نائما في صباه تجاهه وهو يشتغل في عمله بالطين اذ سمع دويا في السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار فنزلت كلها مجتمعة على عبد المؤمن وهو نائم فغطته ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ لها فرأته أمه على تلك الحالة فصاحت خوفا على ولدها فسكتها ابوه . فقالت اخاف عليه . فقال لابأس عليه بل اني متعجب مما يدل عليه ذلك . ثم انه غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينتظر مايكون من أمر النحل فطار عنه بأجمعه فاستيقظ الصبي وما به من ألم فتفقدت أمه جسده فلم تر به أثرا ، ولم يشك اليها ألما . وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر ؛ فمضى أبوه اليه فأخبره بما رآه من النحل مع ولده . فقال الزاجر يوشك أن يكون له شأن يجتمع على طاعته اهل المغرب فكان من أمره ما اشتهر

قيل ان محمد بن تومرت المعروف بالمهدي كان قد ظفر بكتاب في الجفر وفيه مايكون على يد عبد المؤمن من جلائل الاعمال وقد ورد في ذلك الجفر صفته وحليته واسمه . فأقام ابن تومرت مدة ينطلبه حتى وجده فصحبه وهو اذ ذاك غلام فكان يكرمه ويقدمه على أصحابه

وأفضى اليه بسره ، وانتهى به الى مراكش وصاحبها يومئذ أبو الحسن بن يوسف بن تاشفين ملك الملثمين وجرى له معه مايطول بسطه وأخرجه منها فتوجه الى الجبال فحشد الجيوش واستمال الناس ولكنه لم يملك شيئا من البلاد فاستخدم عبد المؤمن هذه الجيوش بعد موت ابن تومرت على الترتيب الذى رتبه

وكان ابن تومرت اذا رأى عبد المؤمن تفرس فيه النجابة وأنشد :

تكاملت فيك أوصاف خصصت بها
فكلنا بك مسرور ومغتبط
السن ضاحكة والكف مانحة
والنفس واسعة والوجه منبسط

وهذان البيتان لابى الشيص الخزاعي الشاعر المشهور . وكان ابن تومرت يقول لاصحابه صاحبكم هذا غلاب الدول . ولم يصح عنه انه استخلفه ، بل راعى أصحابه فى تقديمه اشارته فتم له الامر وكمل

أول ماأخذ عبد المؤمن من بلاد المغرب وهران ثم تلمسان ثم فاس ثم سلا ثم سبتة وانتقل بعد ذلك الى مراكش وحاصرها احد عشر شهراً ثم ملكها ، وكان أخذه لها فى سنة (٥٤٢) واستوثق له الامر وامتد ملكه الى المغرب الاقصى والادنى وبلاد افريقية وكثير من بلاد الاندلس ، وتسمى أمير المؤمنين وقصدته الشعراء وامتدحته بأحسن المدائح

ذكر العماد الاصبهانى فى كتاب الخريدة أن الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبى العباس التيفاشى لما أنشده :

ماهز عطفيه بين البيض والاسل
مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

أشار اليه بأن يقتصر على هذا البيت وأمر له بألف دينار

ولما استتب له الامر وصفا له الحال خرج من مراكش الى مدينة سلا فأصابه بها مرض شديد توفى منه سنة (٥٥٨) وكانت مدة ولايته ثلاثا وثلاثين سنة وأشهرا

كان عند وفاته شيخا نقى البياض معتدل القامة عظيم الهامة أشهل العينين كث اللحية خشن الكفين طويل القعدة واضح بياض الاسنان ، بخده الايمن خال قيل ان ولادته كانت سنة (٥٠٠) وقيل (٤٩٠)

عهد الى ولده أبى عبد الله محمد

فاضطرب له الامر وخلع من سنة ولايته وبايعوا أخاه يوسف بن عبد المؤمن

قلت ان ابن تومرت وجد كتابا من الجفر وهو على مايعلم كتاب فيه ذكر الحوادث المستقبلة ينسب تأليفه لبعض مشهوري العلماء والأئمة . ذكره ابن قتيبة فى أوائل كتاب اختلاف الحديث فقال بعد كلام طويل :

وأعجب من هذا التفسير تفسير الرافضة للقرآن الكريم وما يدعونه من علم باطنه بما وقع اليهم من الجفر الذى ذكره سعد بن هرون العجلى وكان رأس الزيدية ثم قال:

ألم تر أن الرافضين تفرقوا
فكلهم فى جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا أمام ومنهم
طوائف سمته النبى المطهرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم
برئت الى الرحمن ممن تجفرا

والأبيات أكثر من هذا ذكرها ابن قتيبة كلها ثم قال وهو جلد جفر ادعوا انه كتب لهم فيه الامام كل مايحتاجون اليه وكل مايكون الى يوم القيامة والله أعلم

قولهم الامام يريد به جعفر الصادق عليه السلام والى هذا الجعفر أشار أبو العلاء المعرى بقوله من أبيات :

لقد عجبوا لأهل البيت لما
اتاهم علمهم فى مَسك جَفر
ومرآة المنجم وهى صغرى
أرته كل عامرة وقفر

المَسْك الجلد . والجفر مابلغ أربعة أشهر من أولاد المعز ، وجفر جنباه وفصل عن أمة والانثى جفرة ، وكانت عادتهم فى ذلك الزمان انهم يكتبون فى الجلود والعظام والخزف وما أشبه ذلك

العبادلة هم ثلاثة رجال من وجوه الصدر الاول فى الاسلام وهم عبد الله بن مسعود وعبدالله بن عمر وعبدالله ابن عباس (انظر تراجمهم هنا)

ابن عباد هو المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبى عمرو عباد بن الظافر المؤيد بالله أبى القاسم محمد قاضى أشبيلية ابن ابى الوليد اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن اسلم بن عمرو ابن عطاف بن نعيم اللخمى من ولد النعمان ابن المنذر اللخمى آخر ملوك الحيرة

كان المعتمد بن عباد المذكور ملك

قرطبة واشبيلية وما والاهما من بلاد الاندلس وفيه وفى أبيه يقول بعض الشعراء :

من بنى المنذرين وهو انتساب
زاد فى فخرهم بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالى
والمعالى قليلة الاولاد

كان بدء أمرهم فى بلاد الاندلس أن نعيما وابنه عطافا أول من دخل اليها من بلاد المشرق وهما من أهل العريش القرية القديمة الفاصلة بين الشام ومصر وأقاما بها مستوطنين بقرية بقرب تومين من اقليم طشانة من أرض اشبيلية. وامتد لعطاف عمود النسب من الولد الى الظافر محمد ابن اسماعيل القاضى فهو أول من نبغ منهم فى تلك البلاد . وتقدم باشبيلية الى أن ولى القضاء بها فأحسن الحكم والسياسة وتحبب الى الناس فرمقته القلوب وكبر فى العيون

وكان يحيى بن على بن حمود الحسنى المنعوت بالمستعلى صاحب قرطبة سيئ السيرة فتوجه الى اشبيلية محاصراً لها فلما نزل عليها اجتمع رؤساء اشبيلية وأعيانها وأتوا القاضى محمد المذكور وطلبوا اليه أن يملكوه عليهم فلبى طلبهم وثبوا على يحيى فركب اليهم وهو سكران فقتل وتم الأمر للقاضى محمد . ثم ملك بعد ذلك قرطبة وغيرها من البلاد

ثم قيل للقاضى محمد المذكور بعد استيلائه على البلاد ان هشام بن الحكم من أولاد خلفاء بنى أمية فى مسجد بقلعة رباح فأرسل اليه من أحضره وفوض الامر اليه وجعل نفسه كالوزير له . وفى هذه الحادثة يقول الحافظ أبو محمد بن حزم الظاهرى فى كتاب نقط العروس

الخلوقة لم يقع فى الدهر مثلها فانه ظهر رجل يقال له خلف الحصرى بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المنعوت بالمؤيد وادعى انه هشام فبويع وخطب له على جميع منابر الاندلس فى أوقات شتى وسفك الدماء وتصادمت الجيوش فى أمره . وأقام المدعى انه هشام نيفا وعشرين سنة والقاضى محمد بن اسماعيل فى رتبة الوزير بين يديه والامر اليه ولم يزل الامر كذلك الى أن توفى المدعو هشاما فاستبد القاضى محمد بالأمر بعده . وكان من أهل العلم والادب والمعرفة التامة بتدبير الدول . ولم يزل ملكا مستقلا الى

أن توفى فى ليلة الاحد لليلة بقيت من جمادى الاولى سنة (٤٣٣) وقيل انه عاش قريب الخمسين واربعمائة ودفن بقصر اشبابية

واختلفوا فى مبدأ استيلائه فقيل سنة (٤١٤) وهو الذى ذكره العماد الكاتب فى الخريدة وقيل سنة (٤٢٤)

لما مات محمد القاضى قام بعده بالملك ولده المعتضد بالله ابو عمرو عباد

قال فى حقه ابو الحسن على بن بسام صاحب كتاب الذخيرة :

ثم أفضى الامر الى عباد سنة (٤٣٣) وتسمى اولا بفخر الدولة ثم بالمعتضد . قطب رحى الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة ، ناهيك من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ، ولا سلم منه قريب ولا بعيد ، جبار أبرم الامر وهو متناقض ، وأسد فرس الطلا وهو رابض ، متهور تتحاماه الدهاة ، وجبان لا تأمنه الكماة ، متعسف اهتدى ، ومنبت قطع فما أبقى ، ثاروالناس حرب ، وضبط شأنه بين قائم وقاعد حتى طالت يده ، واتسع بلده ، وكثر عديده وعدده ، وكان قد أوتى أيضاً من جمال الصورة وتمام الخلقة وفخامة الهيئة وسباطة البنان وثقوب الذهن وحضور الخاطر وصدق الحدس مافاق على نظرائه ، ونظر مع ذلك فى الادب قبل ميل الهوى به الى طلب السلطان أدنى نظر بأذكى طبع حصل منه لثقوب ذهنه على قطعة وافرة علقها من غير تعمد لها . ولا امعان النظر فى غمارها ، ولا اكثار من مطالبتها ، ولا منافسة فى اقتناء صحائفها ، اعطته سجيته على ذلك ماشاء من تحبير الكلام ، وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة فى معان أمدته فيها الطبيعة ، وبلغ فيها الارادة ، واكتتبها الادباء للبراعة . جمع هذه الخلال الظاهرة الى جود كف بارى السحاب بها ، وأخذ المعتضد فى جميع أفعاله ، وضروب أعماله غريبة بديعة ، وكان اذا كلف بالنساء فاستوسع فى اتخاذهن وخلط فى أجناسهن ، فانتهى ذلك الى مدى لم يبلغه أحد من نظرائه ، ففشا نسله لتوسعه فى النكاح ، وقوته عليه ، فذكر انه كان له من الولد نحو العشرين ذكرا ومن الاناث مثلهم

ثم أورد له ابن بسام عدة مقاطيع منها قوله :

شربنا وجفن الليل يغسل كحله
بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر أما نجارها
فضخم وأما جسمها فدقيق

ولولده المعتمد فيه من أجله ابيات :

سميذع يهب الآلاف مبتدئا
ويستقل عطاياه ويعتذر
له يد كل جبار يقبلها
لو لا نداها لقلنا انه الحجر

ولم يزل فى عز سلطانه ، واغتنام مساره حتى أصابته علة الذبحة، ولما أحس بقرب يومه استدعى مغنيا ليغنيه ليجعل أول ما يبدأ به فألا . فأول ماغناه كان :

نطوى الليالى علما ان ستطوينا
فشعشعيها بماء المزن واسقينا

فتطير من ذلك ولم يعش سوى خمسة أيام ، توفى سنة (٤٦١)

قام بالملك بعده ابنه المعتمد بن عباد الذى نحن بسبيل الترجمة له

قال أبو الحسن على بن قطاع السعدى فى كتاب لمح الملح فى حق المعتمد بن عباد المذكور:

« انه أندى ملوك الاندلس راحة ، وأرحبهم ساحة، واعظمهم عماداً، وارفعهم عماداً، ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ، ومألف الفضلاء ، حتى أنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه، ويشتمل عليه حاشيتا جنابه »

وقال ابن بسام فى كتابه الذخيرة :

كان للمعتمد بن عباد شعر كما انشق الكمام عن الزهر ، لو صار مثله ممن جعل الشعر صناعة، واتخذه بضاعة ، لكان رائقا معجبا ، ونادراً مستغربا ، فمن ذلك قوله :

اكثرت هجرك غير أنك ربما
عطفتك أحيانا على أمور
فكأنما زمن التهاجر بيننا
ليل وساعات الوصال بدور

وعزم المعتمد على ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من أول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتا من جملتها :

سايرتهم والليل أغفل ثوبه
حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعا وتسلمت
منى يد الاصباح تلك الأنجما

وله فى وداعهن أيضا :

ولما وقفنا للوداع غدية
وقد خفقت فى ساحة القصر رايات
بكينا دما حتى كأن عيوننا
بجرى الدموع الحمر منها جراحات

ومن شعره أيضا :

لولا عيون من الواشين ترمقنى
وما أحاذره من قول حراس
لزرتكم لا أكافيكم بجفونكم
مشيا على الوجه أو سعيا على الراس

وكتب الى ندمائه من قصره بقرطبة وقد اصطبحوا بالزهراء يدعوهم الى الاغتباق عنده :

حسد القصر فيكم الزهراء
ولد. رى وعمركم ما اساء
قد طلعتم بها شموسا نهارا
فاطلعوا عندنا بدورا مساء

والزهراء سراى من أعجب ماصنع الصانعون انشأها ابو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر أحد ملوك بنى أمية بالاندلس بالقرب من قرطبة فى سنة (٣٢٥) طولها من الشرق الى الغرب الفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة الى الجنوب الف وخمسمائة ذراع وعدد السوارى التى بها أربعة آلاف سارية وعدد أبوابها الخارجية يزيد على خمسة عشر بابا . وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس يومئذ خمسة آلاف الف دينار (خمسة ملايين) وأربعمائة الف وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة الف وخمسة وستون الف دينار

وكان ابو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمى الدانى الشاعر المشهور مائلا الى بنى عباد بطبعه اذ كان المعتمد الذى جذب بطبعه وله فيه المدائح الانيقة فمن ذلك قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الاربعة وهم الرشيد عبد الله والراضى يزيد والمأمون والمؤتمن ومن جملتها قوله :

بغيثك فى محل يعنيك فى ردى
يروعك فى درع يروقك فى برد
جمال واجمال وسبق وصولة
كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد
بهمته شاد العلا ثم زادها
بناء بأبناء جحاجحة لد
بأربعة مثل الطباع تراكبوا
لتعديل جسم المجد والشرف العد

قوى أمر اللاذفونش قره كنند ملك الفرنج فى مدة ابن عباد وكانت الاندلس قد انقسمت الى عدة ممالك عليها ملوك من المسلمين سموا ملوك الطوائف انصدعت منهم وحدة المملكة وتفرقت كلمتها وضعف أمرها على عدوها. فكان هؤلاء الملوك يؤدون للاذفونش الفرنجى ضريبة سنوية ثم انه أخذ طليطلة سنة (٤٨٧) بعد حصار شديد وكان ملكها القادر بالله ابن ذى النون. وفى أخذها يقول ابو محمد عبد الله بن فرج بن عرنون اليحصبى ويعرف بابن العسال الطايطلى:

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس
فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى
سلك الجزيرة منثوراً من الوسط
من جاور الشر لم يأمن عواقبه
كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وكان المعتمد بن عباد صاحب هذه الترجمة اكبر ملوك الطوائف واكثرها بلاداً وجيوشا ومع ذلك كان يؤدى للاذفونش الضريبة كغيره. فلما ملك الاذفونش طليطلة لم يقبل ضريبة المعتمد طمعا فى أخذ بلاده وأرسل اليه يتهدده ويأمره أن ينزل عن الحصون التى بيده ويكون له السهل فضرب المعتمد الرسول وقتل من كانوا معه. فبلغ الخبر الاذفونش وهو متوجه لحصار قرطبة فرجع الى طايطلة لأخذ آلات الحصار فلما سمع مشايخ الاسلام وفقهاؤها بذلك اجتمعوا وقالوا ان ملوك الاندلس مشتغل بعضهم بمقاتلة بعض وان استمرت الحال على ما هو عليه أفضت الى ضياع البقية الباقية فى أيدى المسلمين فجاؤا الى القاضى عبد الله بن محمد ابن أدهم وفاوضوه فيما نزل بالمسلمين وتشاوروا فيما يفعلونه فرأى كل منهم رأيا ثم أجمعوا أمرهم على ان يكتبوا الى ابى يعقوب يوسف بن تاشفين ملك المسلمين صاحب مراكش يستنجدونه على الافرنج فاجتمع القاضى بالمعتمد بن عباد وأخبره بما جرى فوافقه عليه وقالوا له تمضى اليه بنفسك فامتنع فألزمه بذلك فقال استخير الله سبحانه وخرج من عنده وكتب فى الوقت كتابا الى يوسف بن تاشفين يخبره بصورة الحال وسيره اليه مع بعض عبيده. فلما وصله خرج مسرعا الى مدينة سبتة للنائه واعلامه بحال المسلمين. فأمر بعبور عسكره الى الجزيرة الخضراء وهى مدينة بالاندلس وأقام

بسبتة من مراكش وأرسل الى مراكش يستدعى من تخلف بها من جيشه فلما تكاملوا عنده أمرهم بالعبور وعبر آخرهم وهو فى عشرة آلاف مقاتل واجتمع بالمعتمد وقد جمع أيضا جنوده وتسامع المسلمون بذلك فخرجوا من كل البلاد طلبا للجهاد وبلغ الاذفونش الخبر وهو بطليطلة فخرج فى اربعين الف فارس غير من انضم اليه وكتب الادفونش الى الامير يوسف كتابا يتهدده وأطال الكتاب فكتب يوسف الجواب فى ظهره : الذى يكون ستراه . ورده اليه . فلما وقف عليه أرتاع لذلك وقال هذا رجل عازم ، ثم سار الجيشان والتقيا فى مكان يقال له الزلاقة وتصافا فحدث قتال عنيف انتصر فيه العرب وهرب الاذفونش بعد استئصال جنوده فلم يسلم معه منهم الا نفر يسير وكان ذلك سنة (٤٧٩)

أما المعتمد بن عباد فأبلى فى ذلك اليوم بلاء حسنا وأصابته عدة جراحات فى وجهه وبدنه وشهد له بالشجاعة

ورجع الامير يوسف بن تاشفين الى بلاده والمعتمد الى بلاده

ثم أن الامير يوسف عاد الى الاندلس فى العام الثانى وخرج اليه المعتمد وحاصر بعض حصون الافرنج فلم يقدر عليه فرحل عنه وعبر الى غرناطة فخرج اليه صاحبها عبدالله بن بلكين ثم دخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه من الاموال والذخائر مالا يحد . ثم رجع الى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الاندلس ومابها من القصور والبساتين ، وجعل خواصه يعظمون عنده الاندلس ويحسنون له أخذها ويوغرون صدره على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير عليه وقصده فلما انتهى الى سبتة جهز اليه العساكر وقدم عليها سيرين بن أبى بكر الاندلسى فوصل الى اشبيلية وبها المعتمد فحاصره أشد محاصرة . وظهر من مصابرة المعتمد وشدة بأسه وترامية على الموت بنفسه مالم يسمع بمثله . واستولى على الناس فى البلد الفزع فصاروا يقطعون سبلها سباحة ويخوضون نهرها سباحة ويترامون من شرفات الاسوار فلما كان سنة (٤٨٤) هاجم جنود يوسف ابن تاشفين البلد ولم يتركوا لأحد شيئا وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بأيديهم وقبض على المعتمد وأهله ، وكان قد قتل له ولدان قبل ذلك أحدهما المأمون وكان ينوب عن والده فى قرطبة

فحصروه بها الى ان اخذوه وقتلوه والثانى الراضى كان أيضا نائبا عنه فى رندةوهى من الحصون المنيعة فنازلوها وأخذوها وقتلوا الراضى ولأبيهما المعتمد فيهما مراث عديدة

لما أسر المعتمد بن عباد قيدوه من ساعته وجعل مع أهله فى سفينة واحتشد الناس بضفتى الوادى يبكونهم وفى ذلك يقول أبو بكر محمد بن عيسى اسماعيل الدانى المعروف بابن اللبانة :

تبكى السماء بدمع رايح غادى
على البهاليل من أبناء عباد

ومنها :

ياضيف اقفر بيت المكرمات بها
فضم رحلك واجمع فضلة الزاد

وهى قصيدة طويلة مؤثرة وفى هذه الحادثة يقول ايضا أبو محمد عبدالجبار بن حمديس الصقلى :

ولما رحلتم بالندى فى أكفكم
وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لسانى بالقيامة قد دنت
فهذى الجبال الراسيات تسير

تقول ماأهلك المسلمين الا هذه الخصال من التحاسد والتناهب بحسد أمير أميرا على مابيده فبدل أن يسير سيره فى عمارية البلاد ، واصلاح حال العباد ، يغير عليه كما يفعل اللصوص لا لينصر حزبا اصلاحيا ، ولاليؤيد أصلا دينيا ، ولكن ليتمتع دونه بالرياض والقصور ، والمآكل والحور ، وهذا فى الوقت الذى كان فيه أعداؤهم يتربصون بهم المقاتل ويتحينون لأهلاكهم الفرص ، فبئس أولئك الملوك وبئست المذاهب

حمل ملك الأندلس المعتمد بن عباد الى الامير يوسف بن تاشفين فأمر بارساله الى اغمات واعتقله بها حتى مات

قال الوزير الفتح بن خاقان فى كتابه قلائد العقيان : ولما أجلى عن بلاده ، وأعرى عن طارفه وتلاده ، وحمل فى السفين ، وأحل فى العدوة محل الدفين ، تندبه منابره وأعواده ، بقى آسفا تتصعد زفراته ، وتطرد اطراد المذانب عبراته ، لايخلو بمؤانس ، ولايرى الا غريبا بدلا عن تلك المكانس ، ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ، ولم يروجه سره مجلوا ، تذكر منازله فشاقته ، وتصور بهجتها فراقته ، وتخيل استيحاش اوطانه ، واجهاش قصره الى قطانه ، واظلام جوه من اقماره ، وخلوه

من حراسه وسماره، وفى اعتقاله يقول أبو بكر الدانى المذكور فى قصيدته المشهورة التى أولها :

لكل شىء من الاشياء ميقات
وللمنى من مناياهن غايات
والدهر فى صبغة الحرباء منغمس
ألوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج فى يده
وربما قمرت بالبيدق الشاة

ثم قال :

انفض يديك من الدنيا وساكنها
فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الارضى قد كتمت
سريرة العالم العلوى أغمات

وله أيضا فى حبسه قصيدة عملها باغمات سنة (٤٨٦) هـ

تنشق رياحين السلام فانما
أفض بها مسكا عليك مختما
وقل لى مجازا ان عدمت حقيقة
لعلك فى نعمى وقد كنت منعما
افكر فى عصر مضى لك مشرقا
فيرجع ضوء الصبح عندى مظلما
وأعجب من رفق المجرة اذ رأى
كسوفك شمسا كيف اطلع انجما
لقد عظمت فيك الرزية اننا
وجدناك منها فى المزية اعظما
قناة سعت للطعن حتى تقصدت
وسيف أطال الضرب حتى تثلما
بكى آل عباد ولا كمحمد
وأبنائه صوب الغمامة اذ همى
حبيب الى قلبى حبيب لقلبه
عسى طلل يدنو بهم ولعلما
صباحهم كنا بهم نحمد السرى
فلما عدمناهم سرينا على عمى
وكنا رعينا العز حول حماهم
فقد أجدب المرعى وقد أجدب الحمى
وقد ألبست أيدى الليالى محلهم
مناسج سدى الغيث فيها والحما
قصور خلت من ساكنيها فما بها
سوى الادم تمشى حول واقفة الدما
يجيب بها الهام الصدى ولطالما
أجاب القيان الطائر المترنما
كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى
بها الوفد جمعا والخميس عرمرما
حكيت وقد فارقت ملكك مالكا
ومن ولهى أحكى عليك متمما
مصاب هوى بالنيرات من العلا
ولم يبق فى أرض المكارم معلما

تضيق على الارض حتى كأنما
خلقت واياها سوارا ومعصما
بكيتك حتى لم يخل لي الاسى
دموعا بها أبكي عليك ولا دما
واني على رسمي مقيم فان امت
سأجعل للباكين رسمي موسما
بكاك الحيا والريح شقت جيوبها
عليك وناح الرعد باسمك معلما
ومزق ثوب البرق واكتسب الضحي
حدادا وقامت أنجم الجو مأتما

ومنها قوله :

وحار ابنك الاصباح وجدا فما اهتدى
وغاض اخوك البحر غيضا فما طما
وما حل بدر التم بعدك داره
ولا اظهرت شمس الظهيرة مبسما
قضى الله ان حطوك عن ظهر اشقر
اسم وان امطوك اشأم ادهما

وكان قد انفكت عنه القيود فأشار لذلك بقوله :

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت
قيودك منهم بالمكارم ارحما
عجبت لأن لان الحديد وقد قسوا
لقد كان منهم بالسريرة اعلما
سينجيك من نجى من الجب يوسفا
ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

ووفد الداني المذكور على المعتمد وهو باغمات وفادة وفاء لا وفادة استجداء ، وحكى انه لما عزم عن الانفصال عنه بعث اليه المعتمد عشرين دينارا وشقة بغدادية وكتب معها :

اليك النزر من كف الاسير
فان تقبل تكن عين الشكور
تقبل ما يكون له حياء
وان غدرته احوال الفقير

وهي عدة ابيات قال الداني فرددتها اليه لعلمي بحاله وانه يترك عنده شيئا وكتب اليه جوابها وهو :

سقطت من الوفاء على خبير
فذرني والذي لك في ضميري
تركت هواك وهو شقيق نفسي
لئن شقت برودي عن غدور
ولا كنت الطليق من الرزايا
لئن اصبحت اجحف بالاسير
جذيمة أنت والزباء خانت
وما أنا من يقصر عن قصير
اسير ولا اسير الى اغتنام
معاذ الله من سوء المصير

انا ادرى بفضلك منك انى
لبست الظل منه فى الحرور
ومنها قوله :
تصرف فى الندى خيل المعالى
فتسمح من قليل بالكثير
وأعجب منك انك فى ظلام
وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعنى سرورا
اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلنى رتب المعالى
غداة تحل فى تلك القصور
تزيد عن ابن مروان عطاء
بها وازيد ثم على جرير
تأهب ان تعود الى طلوع
فليس الخسف ملتزم البدور
ودخل يوما عليه بناته السجن وكان
يوم عيد وكن يغزلن للناس بالاجرة فى
اغمات حتى ان احداهن غزلت لبيت
صاحب الشرطة التى كان فى خدمة
أبيها وهو فى سلطانه فرآهن فى
اطمار رثة وحالة سيئة فصدعن قلبه
وانشد :
فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا
فساءك العيد فى اغمات مأسورا
ترى بناتك فى الاطمار جائعة
يغزلن للناس لا يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة
أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن فى الطين والاقدام حافية
كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
لا خد الا ويشكو الجدب ظاهره
وليس الا مع الانفاس ممطورا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا
فردك الدهر منهيا ومأمورا
من مات بعدك فى ملك يسر به
فانما بات بالاحلام مغرورا
ودخل عليه وهو فى تلك الحال ولده
ابو هاشم والقيود قد أثقلته ، والمحنة قد
عضته فلما رآها بكى وقال :
قيدى اما تعلمنى مسلما
[illegible] او ترحما
دمى شراب لك واللحم قد
أكلته لا تهشم الا عظما
يبصرنى فيك ابو هاشم
فينثنى والقلب قد هشما
ارحم طفيلا طائشا لبه
لم يخش أن يأتيك مسترحما

وارحم اخيات له مثله
جرعتهن السم والعلقما
منهن من يفهم شيئا فقد
خفنا عليه للبكا والعمى
والغير لا يفهم شيئا فما
يفتح الا لرضاع فما

وكان قد اجتمع عليه جماعة من الشعراء وهو فى تلك الحال وألحوا عليه فى السؤال فأنشد :

سألوا اليسير من الاسير وانه
بسؤالهم لأحق منهم فاعجب
لولا الحياء وعزة لخمية
طي الحشا لحكاهم فى المطلب

أشعار المعتمد كثيرة وأشعار الناس فيه أيام دولته ونكبته لا تحصى

توفى المعتمد بن عباد باغمات فى سجنه سنة (٤٨٨) ﻫ وله من العمر نحو (٥٨) سنة فنودى فى جنازته بالصلاة على الغريب بعد ما كان له من الدولة والصولة فسبحان المعز المذل. واجتمع عند قبره جماعة من الشعراء الذين كانوا يهدونه فى أيام دولته بالمدائح فيغدق عليهم المنايح فنعوه بقصائد بديعة وأنشدوها عند قبره وبكوا عليه . منهم ابو بكر عبد الصمد شاعره الذى كان مختصا به رثاه بقصيدة طويلة أحسن فيها كل الاحسان أولها :

ملك الملوك أسامع فأنادى
ام قد عدتك عن السماع عوادى
لما نقلت عن القصور ولم تكن
فيها كما قد كنت فى الاعياد
أقبلت فى هذا الثرى لك خاضعا
وجعلت قبرك موضع الانشاد

ولما فرغ من انشادها قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فأبكى عليه كل من حضر

ويحكى أن رجلا رأى فى منامه أثر الكائنة عليه كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة واستقبل الناس وأنشد :

رب ركب قد أناخوا عيسهم
فى ذرى مجدهم حين بسق
سكت الدهر زمانا عنهم
ثم أبكاهم دما حين نطق

ورأى أبو بكر الدانى حفيد المعتمد ابن عباد وهو غلام وسيم المحيا قد اتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب فى أيام دولتهم فخر الدولة وهو من الألقاب السلطانية عندهم فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ فقال من جملة قصيدة :

شكا تنافيك يا نجر العلا عظمت
والرزء يعظم فيمن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة
ضاقت عليه وكم طوقتنا النعما
وعاد طرقك في دكان قارعة
من بعدما كنت في قصر حكى ارما
صرفت في آلة الصواغ انملة
لم تدر إلا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها
فتستقل الثريا ان تكون فما
يا صائغا كانت العليا تصاغ له
حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى
انى رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت إذ نظرت عيني عليك به
لو أن عيني تشكو قبل ذاك عمى
ما حطك الدهر لما حط من شرف
ولا تحيف من أخلاقك الكرما
لح في العلا كوكبا ان لم تلح قمرا
وقم بها ربوة ان لم تقم علما
والله لو انصفتك الشهب لانكسفت
ولو وفى لك دمع العين لانسجما
أبكى حديثك حتى الدهر حين غدا
يحكيك رهطا والفاظا ومبتسما

هذا ما أردنا ايراده من سيرة المعتمد بن عباد ونكبته وهي من أعجب ما حدث للملوك في ذلك العصر المظلم حين انقسم المسلمون على أنفسهم وصار ملوكهم وقادتهم أشباه المتلصصين يترصد بعضهم لبعض فمتى لاحت لأحدهم فرصة أغار على جاره وما زال به حتى يثل عرشه ثم لا يعامله معاملة تليق بمثله بل معاملة البهائم والوحوش فيثقله بالقيود ويمزق شمل أسرته كل ممزق ، ويفقر عليه حتى يضطره هو وأهله للتسول . ولا ندري من أين سرت الى أمراء المسلمين هذه الخصلة الشنيعة والاسلام يأمر بالاجتماع وينفر من الفرقة ويوجب الاحسان الى الاسير ومعاملة كل بما هو أهله ؟

ابن عباد هو الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن احمد بن ادريس الطالقاني

كان نادرة في فضائله وفواضله ؛ وآية في كرمه ومكارمه ، أخذ الادب عن أبي الحسين احمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب المجمل في اللغة وعن أبي الفضل ابن العميد وغيرهما

قال ابو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه :

« ليست تحضرني عبارة ارضاها للافصاح عن علو محله في العلم والادب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفرده بالغايات في المحاسن ، وجمعه اشتات المفاخر لان همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعانيه ؛ وجهد وصفي يقصر عن يسير فواضله ومساعيه »

وقال ابو بكر الخوارزمي في حقه :

« الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب ودرج من وكرها ؛ ورضع أفاويق درها ، وورثها عن آبائه كما قال ابو سعد الرستمي في حقه :

ورث الوزارة كابرا عن كابر
موصولة الاسناد بالاسناد
يروى عن العباد عباد وزا
رته واسماعيل عن عباد

وهو اول من لقب بالصاحب من الوزراء لانه كان يصحب ابا الفضل بن العميد فقيل له صاحب ابن العميد ثم اطلق عليه اللقب لما تولى الوزارة وبقي علما عليه

وذكر الصابي في كتاب التاجي انه انما قيل له الصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب واشتهر به ، ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده . وكان أولا وزير مؤيد الدولة أبي منصور بويه ابن ركن الدولة بن بويه الديلمي تولى وزارته بعد أبي الفتح علي بن أبي الفضل ابن العميد المذكور في ترجمة أبيه محمد فلما توفي مؤيد الدولة سنة (٣٧٣) بجرجان استولى على مملكته اخوه فخر الدولة أبو الحسن علي واقر الصاحب على وزارته وكان مبجلا عنده ومعظما نافذ الامر وأنشده أبو القاسم الزعفراني يوما أبياتا نونية من جملتها :

أيا من عطاياه تهدي الغنى
الى راحتي من نأى أو دنا
كسوت المقيمين والزائرين
كسى لم نخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في
صنوف من الخز الا انا

فقال الصاحب قرأت في اخبار معن ابن زائدة الشيباني ان رجلا قال له احملني ايها الامير فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية . ثم قال ولو علمت ان الله سبحانه

وتعالى خلق مركوباً غير هذا لحملتك عليه . وقد أمرنا لك من الخزيجية وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس . ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه

اجتمع عند الصاحب من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بغرر المدايح

وكان حسن الاجوبة رفع الضرابون من دار الضرب اليه رقعة في مظلمة مترجمة بالضرابين . فوقع تحتها هذه العبارة (في حديد بارد)

وكتب بعضهم اليه ورقة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقع فيها (هذه بضاعتنا ردت الينا)

وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره . ثم صعد السطح يوماً فاطلع عليه فرآه فناداه المحبوس بأعلى صوته (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) فقال الصاحب (اخسأوا فيها ولا تكلمون)

صنف في اللغة كتاباً سماه المحيط وهو في سبع مجلدات رتبه على حروف المعجم كثر فيه الالفاظ وقلل الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر . وله أيضا كتاب الكافي في الرسائل . وكتاب الاعيان وفضائل النيروز . وكتاب الامامة يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويثبت امامة من تقدمه . وكتاب الوزراء وكتاب الكشف عن مساوى شعر المتنبي وكتاب أسماء الله تعالى وصفاته وله رسائل بديعة ونظم جيد منه قوله :

رق الزجاج وراقت الخمر
وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح
وكأنما قدح ولا خمر

وله يرثي كثير بن احمد الوزير وكنيته أبو علي :

يقولون لي أودى كثير بن احمد
وذلك مرزوء على جليل
فقلت دعوني والعلى نبكه معاً
فمثل كثير في الرجال قليل

وحكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب اليه ورقة في السر يستدعيه ليفوض اليه وزارته وتدبير أمر مملكته . فكان من جملة اعذاره اليه انه يحتاج لنقل كتبه خاصة الى اربعمائة جمل . فما الظن بما يليق به من التجميل ؟

قيل لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان

فى حياته غير الصاحب فانه لما توفى أغلقت له مدينة الرى واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته. وحضر مخدومه فخر الدولة المذكور أولا وسائر القواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياما ورثاه أبو سعيد البرسمى بقوله :

ابعد ابن عباد يهش الى السرى
اخو امل او يستماح جواد
أبى الله الا أن يموتا بموته
فما لهما حتى المماد معاد

وكانت ولادته سنة (٣٢٦) باصطخر وقيل بالطالقان. ووفاته سنة (٣٨٥) الرى ثم نقل الى اصبهان ودفن فى قبة بمحلة تعرف بباب دزيه

وتوفى والده أبو الحسن عباد بن العباس فى سنة (٣٥٤) وكان وزير ركن الدولة ابن بويه وهو والد فخر الدولة وعضد الدولة ممدوح المتنبى

والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوين لا من طالقان خراسان

قال أبو القاسم بن أبى العلاء الشاعر الاصبهانى رأيت فى المنام قائلا يقول لى لم لم ترث الصاحب مع فضلك وشعرك ؟ فقلت ألجمتنى كثرة محاسنه فلم أدر بما أبدأ منها وقد خفت أن أقصر وقد ظن بى الاستيفاء لها

فقال أجز ما أقول :

فقلت قل فقال:

ترى الجود والكافى معا فى حفيرة

فقلت :

ليأنس كل منهما بأخيه

فقال :

هما اصطحبا حيين ثم تعانقا

فقلت :

ضجيعين فى لحد بباب دزيه

فقال :

اذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم

فقلت:

أقاما الى يوم القيامة فيه

﴿الدولة العبدالية﴾ هى من الدول الافغانية قامت من سنة ١١٦٠ الى ١٢٠٢ هجرية أى من سنة ١٧٤٧ الى سنة ١٧٨٨ ميلادية

تتألف أفغانستان من عدة قبائل أشهرها قبيلتنا الغلجائى والعبدال فاستمرت

هذه القبائل خاضعة للدولة الصفوية الفارسية

فلما تولى شاه عباس الكبير أساء الحاكم الفارسي السيرة في بلاد الافغان فذهب احد أمراء العبدالية واسمه سدو الى اصفهان ليشكو هذه الحال الى شاه عباس ويعده بالطاعة لكل حاكم عادل يرسله فيهم فسر منه شاه عباس فولاه على افغانستان ورفعه الى مقام الامراء المستقلين تحت سيادة ايران . ففرح أهل الافغان بذلك وهم للآن يعتبرون أعقاب السدوزية اى اولاد سدو المذكور من اهل الكرامات الذين لا تجوز معاقبتهم أو الانتقام منهم على اى جناية وقعت منهم ان لم تكن جناية القتل

فلما قامت الدولة الغلجائية واستولت على ولاية قندهار ثم أغارت على ايران واستولت عليها قام ازاد خان العبدالى في الوقت نفسه واستولى على مدينة هرات ورفع لواء الاستقلال ولم تزل أعقابه حاكمين عليها حتى انقرضت الدولة الغلجائية بقيام نادرشاه الفاتح الفارسي المشهور الذى استولى على جميع بلاد الافغان وضمها الى ملكه ولكن لم تطل مدة نادر شاه لانها انتهت سنة ١١٦٠ فقام بالامر على الافغان بعده احمد خان العبدالى وهو راس هذه الدولة (احمد شاه بابا) لما مات نادر شاه قام احمد العبدالى السدوازى الذى كان في معسكر نادرشاه مع جموع من الافغانيين والازبك وهاجم الايرانيين ثم سار الى قندهار . واستولى عليها واستولى على الخراج الذى كان مرسع من كابل وبلاد السند الى نادر شاه عند مروره بقندهار فقوى جانبه فأعلن استقلاله ولقب نفسه شاه افغان

ثم انه فتح هراة ومشهد وسجستان وغيرها من بلاد خراسان واشتغل بتنظيم حكومة هذه البلاد حتى تم له ما أراد. ثم هاجم البلاد الهندية مرارا وانتصر انتصاراً باهراً على المراتبين وهم من الوثنيين الذين اعجزوا السلاطين التيمورية في الهند وكانوا يريدون نزع السلطة من أيدى المسلمين فهزم المراتبين شر هزيمة وبالغ في النكاية بهم حتى صارت هذه الواقعة مانعة لهم من العودة الى غاراتهم فذاع صيت احمد شاه فدان كثير من أقطار الهند كبنجاب وكشمير والسند ومايتاخمها

ثم فتح بلوخستان ومكران وبلخ

وكان شجاعا حازما عادلا رحيما كان الافغانيون يعتبرونه ابا شفيقا لهم فلقبوه بابا وتوفى سنة ١١٨٧

(سليمان بن احمد) تولى الملك بعده ابنه سليمان بن احمد وكان اخوه الاكبر تيمور فى هرات فلما بلغه موت ابيه جمع أعوانه وحضهم على استخلاص حقه من اخيه فتقدم الى قندهار وظفر بأخيه واعتقله وحكم البلاد

(شاه تيمور احمد) تولى الافغانيين من سنة ١١٨٧ الى ١٢٠٧ (١٧٧٣ – ١٧٩٣) فقام باخضاع البلاد التى اظهرت العصيان فى الهند وكشمير ولاهور وألجأها للعود الى طاعته

وبعد ذلك بسنين قلده ولده الثانى محمودا ولاية هرات ونقل العاصمة من قندهار الى كابل وجعل على قندهار ولده الثالث زمان الذى كان على جانب عظيم من كرم الخلال

(شاه زمان بن تيمور) كان همايون ابن تيمور فى قندهار عند وفاة ابيه فلما بلغه الخبر أخذ البيعة لنفسه من اهل قندهار وقصد كابل ليستولى عليها فبلغ ذلك اخاه زمان فقابله بجيش جرار وتقاتلا فانهزم همايون وفر الى هرات والتجأ الى أخيه محمود وطلب اليه أن يعينه على أخيه زمان فلم يجبه فترك هرات ومكث بينها وبين قندهار فمرت به قافلة فنهبها واستعان بأموالها على حشد جيش فبلغ ذلك حيدر ابن زمان فخرج لصده ولكنه عاد منهزما ودخل همايون مدينة قندهار وعذب اهلها ونهب اموالهم واتخذها الجيوش فقصده أخوه زمان فانهزم همايون وفر الى منتان فهزمه واليها وأسره وبعث به الى اخيه فسمل عينيه وخلص الملك لزمان. ولكن اخاه محموداً ثار عليه وسار قاصداً قندهار فلقيه زمان فهزمه وأسره أمراء جيشه ثم صالح أخاه على ان تكون له هرات بشرط ان يخطب فيها باسم زمان

ثم ان زمان استولى على لاهور وما جاورها من بلاد الهند وبينما هو بلاهور اذ بلغه ان اخاه محموداً شق عصا الطاعة فعاد اليه ولكن كان ابنه قيصر بن زمان قد حارب عمه محموداً وفاز عليه وفتح هرات فولاه ابوه عليها والتجأ محمود وابنه كامرات الى بلاد العجم

ثم عاد محمود لفتح هرات فلم ينجح والتجأ الى مراد خان شاه بخارى ثم ذهب

الى خوارزم قاصداً فتح على شاه سلك ايران مستعينا به على أخيه فأعانه بالجنود فتمكن محمود من الاستيلاء على قندهار ثم تقدم الى كابل فلقيه أخوه زمان شاه بجيشه فهزمه محمود وأسره وأمر بسمل عينيه ودخل محمود كابل وجلس على سرير الملك

(شاه محمود بن تيمور) لما جلس شاه محمود على سرير الملك جاءه قيصر ابن شاه زمان محاربا ولكنه انهزم فصفا الملك لمحمود ولكنه اشدة تشيعه كرهه أهل السنة ثم خذله الشيعة أيضا فأجمعوا على عزله فعزلوه وحبسوه وأجلسوا شاه زمان وهو كفيف البصر ليحكم فيهم حتى يجيء شاه شجاع بن تيمور

(شاه شجاع بن تيمور) وصل شاه شجاع فجلس على سرير الملك فقدم اليه شاه محمود لينتص منه فعفا عنه وأعاده للسجن

ثم قصد كشمير لتأديب واليها عطا محمد على عصيانه فلما وصل الى المدينة مظفر آباد وصل اليه رسول عطا محمد يعرض عليه توبته فعفا عنه ورجع

وبينما هو فى الطريق اذ بلغه ان شاه محمودا ومن كان معه من الامراء قتلوا حراس السجن وهربوا الى قندهار فوصل شاه شجاع الى كابل فوجدها فى غاية الاضطراب وعلم ان أخاه بين هرات وقندهار يقطع الطريق على القبائل ليأخذ أموالها يستعين بها على تجنيد الجنود فتم له ما أراد وقصد قندهار فاستولى عليها ولم يمض زمن كبير حتى بلغ عدد جيشه مائة الف فساقهم الى كابل وقاتل شاه شجاع وهزمه فهرب الى بيشاور

(شاه محمود ثانية) دخل شاه محمود كابل ثانية وجعل ابنه كامران واليا على قندهار

أما شاه شجاع فكاتب عطا محمد خان والى كشمير أن يمده بالمال والرجال فأبى أن يعطيه شيئا الا برهن فأرسل اليه شاه شجاع الجوهرة المسماة دربازى نور فأقرضه الخان خمسة عشر لك روبية (اللك يساوى عشرة آلاف جنيه) ولم يرسل له رجالا فجهز شجاع خان بهذا المال جيشا ولما بلغ أخاه محمود الخبر أرسل اليه يصالحه بحجة ان توالى الحروب قد أباد الحرث والنسل فاتخذ شاه شجاع هذا الصلح وسيلة لتهديد عطا محمود فأظهر هذا انه عاد الى طاعته وانه ممده بجيش فجاءه

على رأس خمسة آلاف مقاتل مظهرا الطاعة ومضمرا السوء فلما تمكن منه أخذه أسيراً من بيشاور الى كشمير واجتهد فى تحصينها وكاتب الانكليز فى الهند للاتفاق معهم على حرب رنجيت سنك الزعيم الوثنى الذى كان ثائراً فى بعض بلاد البنجاب فوقعت الرسالة فى يد رنجيت سنك بواسطة جواسيسه فبعث بها الى شاه محمد فجهز كل منهما جيشا ففاجآه وأخذاه أسيراً الا أن محمود عفا عنه وخلص أخاه شجاعا من أسره وأقام عظيم خان أخا وزيره فتح خان والياً على كشمير

وبعد مضى سنتين طمع رنجيت سنك فى الاستيلاء على كشمير فجهز ثمانين الفا من الوثنيين البابا ناكيين وسار بهم الى تلك المدينة ولم يكن عند واليها عظيم خان غير عشرة فتمكن بهم حتى دخل جيش رنجيت سنك الوادى فأحدق بهم وأعمل فيهم السلاح حتى قتل وأسر منهم ٤٠ الفا وفر الباقون فكتب رنجيت سنك يستعطف محموداً ويعتذر اليه مما فعل مدعيا انه فعله باغراء أخيه شاه شجاع. فخاف هذا عاقبة هذه التهمة فالتجأ الى حكومة الانكليز فى الهند

فأكرمت مثواه

وفى سنة (١٢٢٢) هجرية طمع فيروز الدين بن تيمور الذى كان والياً على هرات من قبل أخيه شاه محمود فى الاستيلاء على خراسان فقصدها بجيوشه ولكنه انهزم امام الايرانيين واضطر أن يستميل ملكهم ويعده بدوام الطاعة فصارت هراة تابعة لايران

كان فيروز بعد هذا الصلح مع ايران فى حال مترددة الى أن اشتدت المنافسة بينه وبين حسن على مرزا بن فتح على شاه والى خراسان. فأرسل سفيراً الى أخيه شاه محمود يستنجده فانتهز شاه محمود هذه الفرصة للاستيلاء على هرات فأرسل وزيره فتح محمد خان لفتحها فلم يسمح له فيروز بالدخول وأمره أن يتوجه لأخذ غوريان من يد الايرانيين فاحتال محمد خان على أخذ هرات كما كلفه بذلك مولاه ورجا فيروز ليحضر الى معسكره للمشاورة فلما حضر قبض عليه ودخل المدينة. وأرسل أخاه كهندل خان لفتح غوريان فلما سمع بذلك حسن على ميرزا أرسل جيشا للمدافعة عن غوريان فجهز فتح محمد خان جيشا وسار لاعانة أخيه كهندل خان. فلما

وصل الى كوسيه بلغه ان حسن على ميرزا وصل بجنوده الى كافر قلعة لمقاومته فزحف فتح محمد خان على كافر قلعة ولكنه انهزم وتقهقر الى هرات فاضطرب شا محمود وولده كامران فأرسل مولى شمس مفتى هرات وخان مولى خان (أى شيخ الاسلام) الى فتح على شاه يخبرانه بأن هذه الجرأة هى من فتح خان ولم تكن من محمود ويستعطفان قلبه اليه . فطلب فتح على شاه من السفيران يخبر شاه محمود بين احد امرين . فاما ان يبعث اليه بفتح خان المذكور واما ان يسمل عينيه

فلما اطلع كامران بن شاه محمود على رسالة شاه ايران حمله الضعف على سمل عينى ذلك الرجل الذى كان سببا فى ايصال أبيه الى سرير الملك

ولما أشاع هذا الامر أرسل أخوه عظيم خان والى كشمير اثنين من اخوته وهما دوست محمد (جد الاسرة المالكة للافغان الآن) وياور محمد خان الى بيشاور لطلب شاه زاده ايوب اخا شاه محمود ليقلداه الملك وأعلنا ذلك ودخلا فى حدود جلال آباد وهجم دوست محمد خان على كابل وافتتحها سنة (١٨٢٦) م

وأرسل أيضا أخاه محمد زمان خان لطلب شاه شجاع المذكور وحارب سندر خان والى درنة وغلبه

الخلاصة ان اخوة فتح خان الذين يبلغ عددهم عشرين رجلا اتخذ كل واحد منهم مع واحد من أبناء تيمور شاه الذين يبلغ عدهم اثنين وثلاثين رجلا وطافوا بهم البلاد الافغانية شرقا وغربا وهدموا أساس ملك شاه محمود ولم يبق فى يده سوى قندهار وهرات

ثم انتزعوا الملك من أبناء تيمور واستقل كل واحد منهم فى ولاية من ولايات افغانستان كل هذا أخذاً بثار عينى أخيهم وبعد قليل استولوا على قندهار وانتزعوها من يد شاه محمود أيضا فانحصرت سلطة محمود فى هرات ونواحيها

وفى سنة (١٢٤١) هساء ظن شاه محمود بابنه كامران فخاف هذا أن يقبض أبوه عليه فهرب من هرات وجمع بعض القبائل وتوجه لمحاربته ثم اضطر للاستنجاد بحسن على ميرز اأفأنده فهزم أباه واستولى على هرات

(شاه كامران بن محمود) تولى شاه كامران ولكن أباه شاه محمود مازال

يواصل السعي لاسترداد ملكه من ابنه حتى توفى سنة (١٢٤٥)

وفى سنة (١٢٤٨) عزم عباس ميرزا ابن ملك الفرس على فتح هرات فوقعت بينه وبين الافغان وقائع آلت الى حصار مدينة هرات سنة (١٢٤٨) فحاصرها عباس ميرزا وتدخل سفير انجلترا لمنعه فلم يصغ لتهديده فجاءت العمارة الانجليزية الى خليج فارس فاستولت على جزيرة خاوق فاضطر شاه الفرس أن يلتفت للانجليز وترك هرات سنة (١٢٥٥)

ولما رأى الانجليز بالافغانيين ميلا الى الفرس اذ كان دوست محمد أمير كابل وكهندل خان والى قندهار وسائر اخوتهما الذين نالوا الملك بعد تفرق كلمة ابناء تيمور يراسلون الشاه عند محاصرته لمدينة هرات لما رأى الانجليز ذلك أرادوا رفع الراية على أفغانستان حتى يأمنوا على الهند. فجهزوا شاه شجاع بجيش تحت قيادة ضباط الانجليز فسار الى قندهار فهرب واليها كهندل خان الى طهران فقلده الشاه ولاية شهر بابك فدخل شاه شجاع قندهار ثم قصد كابل فهرب صاحبها دوست محمد الى بخارى ليستعين بأميرها فلم ينجده واحتقره فسلم نفسه للانجليز فأسروه وبعثوا به الى مملكته وانقسمت أفغانستان لى قسمين هرات وأعمالها بيد كامران شاه وباقى المملكة وقاعدتها كابل بيد شاه شجاع

فقام محمد أكبر خان بن دوست محمد وحارب الانجليز فعقدوا معه صلحا سنة (١٢٥٨) تعهدوا به برد دوست محمد خان الى بلاد الافغان فاستولى على ما كان بيد شاه شجاع وحاول الاستيلاء على هرات من يد كامران فلم يستطع

بقى كامران بمدينة هرات يقاوم الايرانيين تارة والافغانيين أخرى ثم غلب عليه الطيش فانهمك على اللهو فكرهه الناس فانتهز وزيره ياور محمد خان اليامى هذه الفرصة وخنقه فى قرية خارج المدينة واستولى على الملك فانقرضت بموته الدولة العبدالية السدوزائية

﴿عبر﴾ النهر يعبر عبوراً قطعه وجاوزه بوزن نصر

(عبّر الرؤيا) وعبرها أى فسرها

(اعتبر الشيء) اختبره

(استعبر) جرت عبرته أى دمعته

(العبارة) هى الالفاظ الدالة على

المعانى

(العبرة) النوع والعجب والعظة

(العَبير) الزعفران، أو اخلاط من الطيب

﴿العبرانية﴾ هى اللغة التى يتكلم بها اليهود وهى من اللغات الثرية أنزل الله بها التوراة والانجيل والعبرانية بمعنى اللغة اليهودية أيضا

(انظر تاريخ العبرانيين فى كلمة اسرائيل)

﴿ابو العبر﴾ هو محمد بن أحمد الهاشمى المشهور بأبى العبر . كنيته أبو العباس فصيرها أبا العبر ثم انه كان يزيدها كل سنة حرفا فمات وهو أبو العبرطرطيك طنكندى بك بك بك

كان شاعرا ترك الجد وعدل الى الهزل حبسه المأمون وقال هذا عار على بنى هاشم فصاح فى الحبس نصيحة لامير المؤمنين فأخبروه فاستحضروه وقال هات نصيحتك فقال الكشكية أصلحك الله لا تطيب الا بكشك. فضحك منه وقال أرى انه مجنون فقال أبو العبر (انما امتخطت حوت) فقال له ويحك مامعنى قولك؟ فقال أصلحك الله زعمت انى مجنون . فقلت انما امتخطت حوت . فأطلقه وقال أظننى فى حبسك مأثوما. قال بل ماء بصل . فقال المأمون اخرجوه عنى ولا تقم فى بغداد فهذا عار علينا

كان أبو العبر فى أول أمره صالح الشعر مع توسط لا يتفق مع أبى تمام والبحترى واضرابهما فعمد الى الهزل وكسب بذلك اضعاف ما كسبه كل شاعر بالجد ومن قوله الصالح :

لا أقول الله يظلمنى
كيف أشكو غير متهم
واذا ما الدهر ضعضعنى
لم تجدنى كافر النعم
قنعت نفسى بما ظفرت
وتناهت فى العلا همى

قال عبد العزيز ابو محمد: كان أبو العبر يجلس فى مجلس تجتمع اليه فيه المجان فكان يجلس على سلم وبين يديه بالوعة بها ماء وحمأة وقد سهل مجراها وبيده قصبة طويلة وعلى راسه خف وفى رجليه قلنسوتان ومستمليه فى جوف بئر وحوله ثلاثة يدقون بالهواوين حتى تكثر الجلبة للسماع ويصيح مستمليه من البئر ثم يملى عليهم فان ضحك أحد ممن حضر منهم

قاموا نصبوا على رأسه البالوعة ان كان وضيعاوان كان ذامروءة رشوا عليه بالقصبة من مائها ثم يجلس فى ذلك الى ان ينقضى المجلس فلا يخرج أحد منه حتى يغرم درهمين

ومن شعره الصالح :

ايها الامرد المولع بالهج
ر أفق ماكذا سبيل الرشاد
فكأنى بحسن وجهك قد ا
بس فى عارضيك ثوب حداد
وكأنى بعاشقيك وقد أب
دلت فيهم من خاطة ببعاد
حيث تغضى العيون عنك كما ين
قبض السمع من حديث معاد
فاغتنم قبل أن تصير الى كا
ن وتضحى من جملة الاضداد

وقال أيضا :

رأيت من العجائب قاضيين
هما أحدوثة فى الخافقين
هما اقتسما العمى نصفين عمداً
كما اقتسما قضاء الجانبين
هما فأل الدمار لملك يحيي
اذا افتتح القضاء باعورين
وتحسب منهما من هز رأسا
لينظر فى مواريث ودين
كأنك قد جعلت عليه دنا
فتحت بزاله من فرد عين

وكان المتوكل يرمى به فى المنجنيق الى البركة فاذا علا فى الهواء يقول الطريق جاءكم المنجنيق . حتى يقع فى البركة فتطرح عليه الشباك ويصطاد ويخرج وهو يقول:

وما مر بى الملك ذا الملك ، ويصطادنى بالشبك ؛ كما فى بعض السمك. ويضحك لى هك هك

توفى بعد الاربعين ومائتين

﴿العبسى﴾ أبو القاسم العبسى هو جمال الملك على بن أفلح الشاعر المشهور كان من ظرفاء الشعراء مدح الخلفاء فمن دونهم وجاب البلاد ولقى قادتها وكبراءها ولكنه كان كثير الهجاء

من شعره يخاطب محبوبه :

ياجاهلا قدر المحبة ساءنى
ماضاع من كلفى ومن تبريحى
سيان عندك مغرم بك هائم
وخلى قلب فيك غير قريح
لو كنت أعلم أن طبعك هكذا
لم أعص يوم نصحت فيه نصيحى

ماكان فى عزمى السلو وانما
ألزمتنيه بكثرة التنبيه
وله فى بعض الرؤساء وقد وصل الى
بابه فمنعه البواب :
حمدت بوابك اذ ردنى
وذمه غيرى على رده
لأنه قلدنى نعمة
نستوجب الاغراق فى حمده
اراحنى من قبح ملقاك لى
وكبرك الزائد فى حده
توفى ببغداد سنة (٥٣٥) وقيل
(٥٣٦) وقيل (٥٣٧) وعمره اربع وستون
سنة

﴿العباس﴾ هو العباس بن عبد
المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم اسلم
بمكة سرا حين هجرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجاءه مع جيش المشركين فى حرب
بدر فأسره المسلمون وافتدى نفسه واعلن
اسلامه ومكث يجاهد مع المسلمين

﴿ابن عباس﴾ هو ابن المتقدم ولد
قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالفهم فى القرآن
فكان يدعى الحبر لسعة علمه
وقد روى للامة احاديث لا تحصى
وكان يقصده الناس من كل قطر ليأخذوا
عنه العلم
توفى سنة (٦٨) بالطائف

﴿العباس بن الاحنف﴾ هو خال
ابراهيم بن العباس الصولى وهو حنفى يمامى
كان رقيق الحاشية لطيف الطبع وله مع
الرشيد اخبار
قال بشار بن برد مازال غلام من بنى
حنيفة يدخل نفسه ويخرجها حتى قال :
ابكى الذين اذاقونى مودتهم
حتى اذا ايقظونى للهوى رقدوا
واستنهضونى فلما قمت منتصبا
بثقل ما حملونى منهم قعدوا
لأخرجن من الدنيا وحبهم
بين الجوانح لم يشعر به احد
قيل وكان فى العباس آيات الظرف
فكان جميل المنظر نظيف الثوب فاره
المركب حسن الالفاظ كثير النوادر شديد
الاحتمال طويل المساعدة
طلبه يحيى بن خالد البرمكى يوماً فقال
ان مارية هى الغالبة على امير المؤمنين ،
وانه جرى بينهما عتب فهى بعزة دالة
المعشوق تأبى ان تعتذر ، وهو بعزة الخلافة
وشرف الملك والبيت يأبى ذلك . وقد

رمت الامر من قبلها فأعياني وهو أحرى ان نستفزه الصبابة . فقل شعراً تسهل به عليه هذه القضية . وأعطاه دواة وقرطاساً فطلبه الرشيد فتوجه اليه ونظم العباس قوله :

العاشقان كلاهما متغضب
وكلاهما متوجد متجنب
صدت مغاضبة وصد مغاضبا
وكلاهما مما يعالج متعب
ان التجنب ان تطاول منكما
دب السلو له فعز المطلب

ثم قال لاحد الرسل أبلغ الوزير انى قد قلت أربعة أبيات فان كان فيها مقنع وجهت بها اليه فعاد الرسول وقال هاتها ففي أقل منها مقنع . فكتب الابيات وكتب تحتها أيضا :

لابد للعاشق من وقفة
تكون بين الوصل والصرم
حتى اذا الهجر تمادى به
راجع من يهوى على رغم

فدفع يحيى الرقعة الى الرشيد فقال والله ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا الشعر . والله لكأنى قصدت بهذا . فقال والله يا أمير المؤمنين وأنت المقصود به . فقال الرشيد يا غلام هات نعلي فانني أراجعها على رغم . فنهض وأذهله السرور أن يأمر للعباس بشيء

ثم ان مارية لما علمت بمجيء الرشيد اليها تلقته وقالت كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ فأعطاها الشعر وقال هذا الذى جاء بي اليك . قالت فمن قاله ؟ قال العباس بن الاحنف . قالت فبم كوفيء ؟ قال ما فعلت بعد شيئا . فقالت والله لا أجلس حتى يكافأ . فأمر له بمال كثير . وأمرت له هي بدون ذلك وأمر له يحيى بدون ما أمرت به وحمل على برذون

ثم قال له الوزير تمام النعمة عندك أن لا تخرج من الدار حتى نؤثل لك بهذا المال ضيعة . فاشترى له ضياعا بجملة من ذلك المال ودفع اليه بقيته

حدث أبو بكر الصولى عن أبي زكريا البصرى قال حدثنى رجل من قريش قال خرجت حاجا مع رفيقين لى فعرجنا على الطريق لنصلى . فجاءنا غلام فقال لنا هل فيكم أحد من أهل البصرة؟ فقلنا كلنا من أهل البصرة . فقال ان مولاى من أهلها ويدعوكم اليه . فقمنا اليه فاذا هو نازل على عين ماء فجلسنا حوله فأحس بنا فرفع طرفه

ضعفا وأنشأ يقول:

يابعيد الدار عن وطنه
مفردا يبكي علي شجنه
كلما جد الرحيل به
زادت الاسقام فى بدنه

ثم أغمى عليه طويلا ونحن جلوس حوله اذ أقبل طائر فوقع على أعالى صخرة كان تحتها وجعل يغرد. ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ثم أنشأ يقول :

ولقد زاد الفؤاد شجا
طائر يبكى على فننه
شفه ماشفنى فبكى
كلنا يبكى على سكنه

ثم تنفس تنفسا فاضت معه نفسه فلم نبرح من عنده حتى غسلناه وكفناه وتولينا الصلاة عليه . فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه . فقال هذا العباس بن الاحنف

أما ماذكر من أنه مات هو والكسائى وابراهيم الموصلى وهشيمة الخارة فى يوم واحد وان الرشيد أمر المأمون أن يصلى عليهم وانه قدم العباس بن الأحنف لقوله :

وسعى بها قوم وقالوا انها
لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم
انى ليعجبنى المحب الجاحد

ففيه نظر لان الكسائى مات سنة (١٥٩) على خلاف فيه . وما كان المأمون كما قيل ليقدم العباس على مثل الكسائى وأيضا فقد روى الصولى انه رأى العباس ابن الاحنف بعد موت الرشيد بمنزله بباب الشام والله أعلم اى ذلك كان

ومن شعره :

وحدثتنى ياسعد عنهم فزدتنى
جنونا فزدنى من حديثك ياسعد
هواها هوى لم يعرف القلب غيره
فليس له قبل وليس له بعد

ومن شعره أيضا :

اذا أنت لم تعطفك الا شفاعة
فلا خير فى ود يكون بشافع
واقسم ماتركى عتابك عن قلى
ولكن لعلمى انه غير نافع
وانى أن لم ألزم الصمت طائعا
فلا بد منه مكرها غير طائع

ومن شعره من قصيدة .

يا ايها الرجل المعذب نفسه
اقصر فان شفاءك الاقصار
نزف البكاء دموع عينك فاستعر
عينا بعينك دمعها المدرار
من ذا يعيرك عينه تبكى بها
أرأيت عينا للبكاء تعار

توفى سنة (١٩٢) وقيل (١٩٣)

﴿العباسية﴾ هى الدولة الاسلامية الشهيرة التى تولت الخلافة من سنة (١٣٢) الى سنة (٦٥٦) هجرية ببغداد وقد رأينا ان نأتى على تاريخها تفصيلا لانه يشمل تاريخ المسلمين فى زهرة دولتهم ، وابان قوتهم

(كيف ظهرت الدعوة العباسية؟)

ابتدأ ظهور هذه الدعوة سنة (١٠٠) وأول من أظهرها محمد بن على بن عبدالله ابن عباس عم النبى صلى الله عليه وسلم اذ جمع اليه اثنى عشر من خاصته سماهم النقباء ، وهم سليمان بن كثير الخزاعى ولاهز ابن قريظ التميمى وقحطبة بن شبيب الطائى وموسى بن كعب التميمى وخالد ابن ابراهيم والقاسم بن مجاشع وعمران بن اسماعيل ومالك بن الهيثم وطلحة بن رزيق وعمرو بن اعين وشبل بن طهمان وعيسى بن احمد

ثم اختار سبعين رجلا ونشر فيهم منشورا ليكون لاعمالهم دستورا وأرسلهم الى الآفاق يذيعون دعوته . وكان هو مقيما بالشراة من الشام بقرية يقال لها الحميمة

توفى محمد بن على المذكور وقام بعده ابنه ابراهيم الملقب بالامام ثم اتصل به رجل يقال له أبو مسلم الخراسانى وكان فصيح اللسان جرىء القلب فأعجب به الامام وجعله من خاصته

ثم رأى اعوان ابراهيم الامام ان يرسلوا واحدا الى خراسان فوقع انتخاب الامام على ابى مسلم وكان لم يتجاوز العشرين من عمره فسار اليها . وكان عامل مروان على خراسان نصر بن سيار فخرج عليه جديع بن على الازدى الملقب بالكرمانى وسار معه أهل اليمن فتغلب بهم على مرو فلما وصل أبو مسلم الخراسانى الى خراسان سنة (١٢٩) أظهر الدعوة للدولة العباسية جهاراً فرأى عامل مروان على خراسان ان أبا مسلم اضر على الدولة الاموية من الكرمانى فأرسل الى الخليفة مروان بن محمد يطلب انجاده بالجنود وكان مروان

مشغولا بقتال الخوارج فلم يجب عامله الى طلبه فكتب الى مروان يشرح له حال أبي مسلم وكثرة من انضم اليه وانه يدعو الى ابراهيم الامام وأردف ذلك بهذه الابيات:

أرى خلل الرماد وميض نار
وأخشى أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تزكو
وان الحرب مبدؤها الكلام
لئن لم يطفها عقلاء قوم
فان وقودها جثث وهام
أقول من التعجب ليت شعري
أأيقاظ أمية أم نيام
فان كانوا لحينهم نياما
فقل قوموا لقد حان القيام

فلم يجب مروان عامله بشيء ولكنه قصد الحميمة وقبض على ابراهيم الامام وحبسه حتى مات

وكان ابراهيم الامام قد أوصى أهله حين قبض عليه أن يسيروا الى الكوفة مع أخيه أبي العباس السفاح وأوصى اليه بالامر فسار السفاح بأهله ومعه أخوه أبو جعفر المنصور الى الكوفة وأقاموا بها مستترين

أما أبو مسلم فانه انتهز ضعف عامل خراسان من حربه مع الكرماني فأخذ يكتب الى شيبان ثم يقول للرسول اجعل طريقك على بني مضر فكانوا يأخذون الكتب ويقرأونها فيجدون فيها قول أبي مسلم. «رأيت اليمن لا وفاء لهم ولا خير بهم فلا توثقن بهم ولا تطمئن اليهم فاني أرجو أن يريك الله في اليمانية ما تحب ولئن بقيت لا أدع لهم شعراً ولا ظفرا »

ويرسل رسولا آخر بكتاب فيه ذكر مضر بمثل ذلك ويأمر الرسول أن يجعل طريقه على اليمانية حتى صار هوى الفريقين معه

ثم جعل يكتب الى نصر بن سيار والى الكرماني : « الامام اوصاني بكم لست أعدو رأيه فيكم »

وسار أبو مسلم حتى خندق بين جيش نصر وجيش الكرماني فهابه الفريقان وأرسل الى الكرماني: (انى معك) فاشتد الامر على نصر بن سيار عامل مروان فأرسل الى الكرماني يقول: « لا تغتر فوالله اني خائف عليك وعلى أصحابك من أبي مسلم »

ثم دارت رحى الحرب بين الفريقين

ووجد نصر بن سيار غرة من الكرمانى فضربه ضربة كانت القاضية عليه وصلبه فأقبل ابن الكرمانى وقد اجتمع اليه جمع كثير واتحد ابو مسلم معه أيضا فقاتلوا نصراً حتى أخرجوه من دار الامارة وتغلب ابن الكرمانى على مرو ثانية

كان أمر أبى مسلم قد استفحل وذاع صيته وأتت الناس من مرو وغيرها اليه فرأى نصر ان امره وأمر ابن الكرمانى آيل الى السقوط فأرسل الى خصمه يدعوه الى الاتحاد معه على قتال ابى مسلم فعلم ابو مسلم بذلك وكان معسكراً بالماخوان فتحول الي اليمن خوفا من أن يقطع عليه نصر الماء

فجمع ابو مسلم اصحابه للحرب فكان سليمان بن كثير بإزاء ابن الكرمانى فقال له سليمان ان ابا مسلم يقول لك «اما تأنف من مصالحة نصر وقد قتل بالامس اباك وصلبه وما كنت احسبك تجتمع مع نصر فى مسجد تصليان فيه »

فرجع ابن الكرمانى عن رأيه وانتقض صلح العرب فحالف ابو مسلم ابن الكرمانى وحاربا نصر وانتصرا عليه فهرب ودخل ابو مسلم مرو واخذ البيعة بها للعباسيين وبايع ابن الكرمانى مع من بايع واستتب الامر فى مرو لابى مسلم ثم ارسل جنوده تترى حتى جميع خراسان وخاف ابو مسلم من اجتماع كلمة ابنى الكرمانى عليه فقتلهما

(المبايعة لأبى العباس)

قلنا ان أبا العباس السفاح اخا ابراهيم الامام سار بأهله الى الكوفة مستخفيا فبقوا بها الى شهر ربيع الاول سنة (١٣٢)

فظهر ابو العباس السفاح فسلم عليه الناس بالخلافة وعزوه فى أخيه الامام فدخل دار الامارة صباح الجمعة ثانى عشر ربيع الاول سنة (١٣٢) ثم خرج الى المسجد وصلى بالناس وحضهم على الطاعة

فبلغ مروان هذا الامر وكان اذذاك بحران فسار منها الى الزاب وهو فى مائة وعشرين الف مقاتل فسار اليه ابو عون عامل بنى العباس على شهرزور بما عنده من الجموع وامده السفاح بعساكر مع عمه عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس وعندمروان جسراعلى الزاب وعبر الى جهة عبد الله المذكور فالتقيا وكان على ميمنة عبد الله ابا عون وعلى ميسرته الوليد بن معاوية فاشتد القتال بين الجيشين فانهزم

مروان وغرق كثير من جيشه وغنم عبد الله سلاحا كثيرا وكتب الى أخيه الخبر

ففر مروان بالموصل فسبه أهلها فسار عنها حتى أتى حران فأقام بها بضعا وعشرين يوما حتى دنا منه عسكر السفاح فحمل أهله وخيله ومضى منهزما الى حمص فتعقبه عبد الله بن على المذكور فسار مروان من حمص الى دمشق ثم الى فلسطين وعبد الله يطارده ثم قصد مروان مصر فأرسل عبد الله فى أثره أخاه صالحا فأدركه صالح فى كنيسة بوصير وانهزم أصحابه فطعنه رجل برمح فقتله واجتز رأسه وأحضره الى صالح فأرسل صالح رأس مروان الى السفاح وكتب اليه

قد فتح الله مصر عنوة لكم
وأهلك الكافر الجعدى اذ ظلما

وبايع اهل مصر لبنى العباس وبعد أن استتب الامر بها رجع صالح الى الشام تاركا أبا عون بمصر وهرب أبناء مروان عبد الله وعبيد الله الى الحبشة وقاتلهما الاحباش فقتل عبد الله ونجا عبيد الله فى عدد ممن معه وبقى الى خلافة المهدى فأمسكه عامل فلسطين وبعث به اليه

بقتل مروان انتهت الخلافة الاموية

(خلافة أبى العباس السفاح) من سنة ١٣٢ الى ١٣٦

أول عمل شرع فيه ابو العباس السفاح بعد توليه الخلافة استئصال بنى أمية حتى من تابعه ودخل فى طاعته منهم فطاردهم مطاردة الحيوانات وأعمل فيهم السيف حيث ثقفهم

وكان قد أمن سليمان بن هشام الاموى فبينما سليمان فى حضرته يوما اذ دخل الشاعر سديف فلما راى سليمان بن هشام أنشد:

لا يغرنك ما ترى من رجال
ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى
لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأمر السفاح بقتل سليمان بن هشام للحال . وقتل عمه عبد الله بن على تسعين رجلا منهم دعاهم لوليمة عنده ثم غدر بهم وأمر بقتلهم جميعا

وهرب عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس فانتخبه الناس خليفة للمسلمين هنالك فصار للشرق خليفة فى بغداد وللغرب خليفة فى الاندلس

لما تم الامر لأبى العباس أقرأبا

مسلم على خراسان والعراقين واباعون على مصر وعمه عبد الله بن على على الشام وبنى الهاشمية بالانبار وجعلها مقر خلافته

ايام ابى العباس كانت كثيرة القلاقل فقد خلع اقوام طاعته وحاربوه منهم حبيب ابن مرة ومن معه من اهل النبية وحوران وكان حبيب هذا من قواد مروان ابن محمد. فسار اليه عبد الله بن على وقاتله ثم صالحه وأمنه

ومنهم ابو الورد مجزءة بن الكوثر وكان من قواد مروان أيضا ودعا اهل قنسرين للخروج معه فأجابوه فوجه اليه عبد الله ابن على اخاه عبد الصمد فانهزم فسار اليه عبد الله نفسه فانهزم اصحاب أبى الورد وثبت هو وخمسمائة معه حتى قتلوا جميعا

ثم ثار أهل الجزيرة على السفاح فأرسل اليهم ابو العباس اخاه اباجعفر المنصور فدارت الدائرة على الثائرين وهرب رئيسهم ابو اسحق الى سميساط فتبعه ابو جعفر وعبدالله بن على فتصالح الطرفان وخرج ابو اسحق من سميساط آمنا وولى السفاح اخاه على الجزيرة وارمينية واذربيجان

وثار بسام بن ابراهيم فى خراسان وسار الى المدائن فأرسل اليه السفاح حازم بن خزيمة فهرب بسام بعد قتال عنيف

وخرج على السفاح شيبان بن عبد العزيز فأرسل اليه حازم بن خزيمة فقتل شيبان وقتل أصحابه

وفى هذا الوقت انتهز الروم ان الفرصة فوجهوا جيشا لافتتاح ملطية وأخذوها عنوة

توفى السفاح سنة ١٣٦ وعمره ثلاث وثلاثون سنة وكان موته بالجدرى فأوصى بالخلافة لأبى جعفر المنصور

أول من اتخذ الوزراء فى الاسلام السفاح فان خلفاء بنى أمية لم يستوزروا

(ابو جعفر المنصور) من سنة ١٣٦ الى ١٥٨

مات السفاح وابو جعفر بمكة حاجا ومعه ابو مسلم الخراسانى فبويع له بالخلافة وهو بالطريق وكان عمه عبد الله بن على بالشام فلم يبايع له ودعا الناس لصلاة جامعة وخطبهم قائلا :

« ان السفاح عهد الى بولاية العهد من بعده والسبب فى ذلك انه لما أراد مطاردة مروان لم يقو على هذا الامر أحد فقال من قام بهذا الامر جعلته ولى

عهدى . وعلى هذا الشرط طاردت انا مروان حتى ظفرت به »

وصادق كثيرون ممن معه على قوله فبايعه الناس بالشام وسار عبد الله الى حران وكان ابو مسلم قد عاد مع ابى جعفر من الحج . فلما علم ابو جعفر بانتقاض عمه عليه امر ابامسلم بالمسير اليه وقتاله . فأرسل ابو مسلم الى عبد الله عم المنصور يقول : انى لم أؤمر بقتالك ولكن امير المؤمنين ولانى الشام . فقال من كان من اهل الشام مع عبد الله كيف يكون معك وهذا يأتى بلادنا ويقتل من قدر عليه من رجالنا ويسبى ذرارينا فنحن نرجع الى بلادنا ونمنعه ونقاتله. فقال لهم عبد الله : والله ما يريد الشام وما اتى الا لقتالكم فأبوا الا المسير الى الشام فارتحل عبد الله الى الشام وتبعه ابو مسلم فاقتتلوا خمسة اشهر كان النصر فيها اغلبه لعبد الله ورأى ابومسلم اهل خراسان يتراجعون فارتجز وقال :

من كان ينوى اهله فلا رجع
فر من الموت وفى الموت وقع

ثم انه حمل على عبد الله حملة صادقة فهزمه وسار عبد الله حتى اتى اخاه سليمان بالبصرة واقام عنده مستخفيا

ذاع صيت أبى مسلم حتى خافه المنصور على ملكه . فأراد قتله . وكان قد بدا من أبي مسلم ما أغضب المنصور عليه

من ذلك انه لما حج تقدم أبا جعفر وكان يعطى الحسنات ويحفر الآبار فجعل كل الذكر له . ولما بلغ أبا مسلم موت السفاح لم يعزه ولم يهنه بالخلافة . وكان يأتيه كتاب المنصور فيقرأه ثم يعطيه لمالك ابن الهيثم فيقرأه ويضحكان استهزاء . ولما حارب ابو مسلم عبد الله بن على عم المنصور غنم منه غنائم كثيرة فأرسل أبو جعفر اليه أبا الخطيب ليكتب ما أصاب من الاموال فسار الى أبى مسلم وبلغه طلب المنصور. فقال له أبو مسلم أنا أمين على الدماء خائن فى الاموال؟ وشتم المنصور وأراد أن يقتل أبا الخطيب فشفع فيه فخلى سبيله

فرجع أبو الخطيب وأخبر المنصور بما قال ابو مسلم فخشى المنصور ان يصلى ابو مسلم الى خراسان فيحتمى بها وفيها شيعته فكتب اليه :

«انى وليتك الشام ومصر فهما خير لك من خراسان فوجه الى مصر من احببت واقم بالشام فتكون بقرب امير

المؤمنين فان أحب لقاءك أتيته من قريب»

فلما أتاه الكتاب غضب وقال يولينى مصر والشام وخراسان لى ؟

فكتب الرسول الى المنصور بذلك وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعاً على الخلاف وخرج قاصداً خراسان. فسار المنصور من الانبار الى المدائن وكتب الى أبي مسلم فى المسير اليه. فكتب اليه أبو مسلم يقول:

« انه لم يبق لامير المؤمنين أكرمه الله عدواً الا أمكنه الله منه. وقد كنا نروى عن ملوك آل ساسان أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء. فنحن نافرون عن قربك حريصون على الوفاء لك ماوفيت. حريون بالسمع والطاعة غير انها من بعيد، حيث يقارنها السلامة. فان أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك. وان أبيت الا أن تعطى نفسك ارادتها نقضت ماأبرمت من عهدك ضنا بنفسى »

فرد عليه أبو جعفر المنصور يقول:

«قدفهمت مقالتك وليست صفتك صفة اولئك الوزراء الغاشين لملوكهم. الذين يتمنون اضطراب احوال الدولة لكثرة جرائمهم. فانما راحتهم فى انتشار نظام الجماعة فلم ساويت نفسك بهم ؟ فأنت فى طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الامر على ماأنت به وليس مع الشريطة التى أوجبت منك سمعاً ولا طاعة. وحمل أمير المؤمنين اليك عيسى بن موسى رسالة لتسكن اليها ان أصغيت. وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك. فانه لم يجد بابا يفسد فيه نيتك أوكد عنده من الباب الذى فتحه عليك »

وأرسل المنصور هذا الكتاب كما يفهم من نصه مع عيسى ولكنه قيل أنه أرسله مع أبى حميد الحرورى وكان داهية

فلحق ابو حميد بأبى مسلم وهو بحلوان ودفع اليه الكتاب وقال له:

ان الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين مالم يقله وخلاف ماعليه رأيه فيك حسداً وبغياً يريدون ازالة النعمة وتغييرها. فلا يفسد ماكان منك. وانك لم تزل أمير آل محمد يعرفك الناس بذلك. وماذخر الله لك من الاجر عنده فى ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك فلا تحبط أجرك ولا يستهوينك الشيطان

فقال له أبو مسلم: متى كنت تكلمني بهذا الكلام؟

« فقال انك دعوتنا الى هذا الامر والى طاعة أهل بيت النبي بني العباس وأمرتنا بقتال من خالف ذلك. فدعوتنا من أرضين متفرقة، واسباب مختلفة: فجمعنا الله على طاعتهم. والف مابين قلوبنا وأعزنا بنصرنا لهم ولم نلق رجلا منهم الا بما تقذف الله في قلوبنا حتى أتيناهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة، أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى املنا ان نفسد امرنا ونفرق كلمتنا وقد قلت لنا من خالفكم فاقتلوه وان خالفتكم فاقتلوني »

فأقبل أبو مسلم على ابي نصر بن مالك ابن الهيثم فقال له:

أما تسمع مايقول لي هذا؟ ماترى في قوله يامالك؟

فقال له مالك. لاتسمع قوله، ولا يهولنك هذا منه فلعمري ماهذا كلامه. فامض لامرك ولاترجع فو الله لئن أتيته ليقتلنك وقد وقع في نفسه شيء فلا يأمنك ابدا

ثم استشار أبو مسلم نيزكا أيضا فقال له مثل قول مالك فعزم على عدم المسير الى أمير المؤمنين وقال لابي حميد ارجع لصاحبك فما أنا بذاهب أبدا

فعاجله باللين فلم يفد شيأ فهدده بالحرب. فوجم قليلا ثم ارسل أحد ثقاته الى أمير المؤمنين حتى يتجسس له الامر فتلقاه بنو هاشم بكل مايحب. فرجع اليه وحبب له المسير الى الخليفة. فعزم أبو مسلم على ذلك

فرحل أبو مسلم حتى اتى أمير المؤمنين في ثلاثة آلاف من اصحابه فأمر المنصور بأن يتلقاه الناس ويحتفلوا به ثم دخل على المنصور فقبل يده فأمره بأن ينصرف ويروح نفسه ثلاثا وانصرف

فلما كان الغد أمر المنصور أربعة من الحرس ان يقتلوا أبا مسلم اذا هو صفق لهم بيديه وجعلهم وراء الرواق وارسل الى أبي مسلم يستدعيه وكان عنده عيسى بن موسى يتغدى معه

فقال المنصور لابي مسلم: اخبرني عن نصلين اصبتهما مع عبد الله بن علي

قال أبو مسلم: هذا احدهما

قال المنصور: ارنيه. فأنضاه أبو مسلم وناوله اياه فوضعه المنصور تحت فراشه. واقبل عليه يعاتبه وقال له: اخبرني عن

كتابك الى السفاح تنهاه عن الموت. أردت أن تعلمنا الدين ؟

قال أبو مسلم: ظننت ان اخذه لا يحل فلما أتانى كتابه علمت انه أهل بيت معدن العلم

قال: فأخبرنى عن تقدمك اياى بطريق مكة

قال: كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس فتقدمتك للرفق

قال: فقولك لمن أشار اليك بالانصراف الى بطريق وحين أتاك موت أبى العباس، الى أن تقدم فنرى رأينا ومضيت، فلا أنت أقمت حتى لحقتك ولا أنت رجعت الى

قال: معنى عن ذلك ما أخبرتك من طلب الرفق بالناس وقلت تقدم الى الكوفة وليس عليك من خلاف

قال: فجارية عبد الله أردت أن تتخذها. فقال لا ولكن خفت أن تضيع فحملتها فى قبة ووكلت بها من يحفظها

قال: فما أرفقك! وخروجك الى خراسان؟

قال: خفت ان يكون قد دخلك منى شيء. فقلت آتى خراسان فأكتب لك عذرى فأذهب ما فى نفسك

قال: فالمال الذى بخراسان ؟

قال: أنفقته على الجند تقوية لهم واستصلاحا

قال: ألست الكاتب الى تبدأ بنفسك وتخطب عمتى آمنة بنت على وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله بن عباس؟ لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا

ثم قال: وما الذى دعاك الى قتل سليمان بن كثير مع أثره فى دعوتنا وهو أحد فتياننا قبل أن ندخلك فى هذا الامر

قال: أراد الخلاف وعصانى فقتلته

فلما طال عتاب المنصور قال أبو مسلم لا يقال هذا الى بعد بلائى وما كان منى

قال المنصور: يا ابن الخبيثة والله لو كانت أمة مكانك لاجزأت، انما عملت فى دولتنا وبريحنا فلو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلا

فأخذ أبو مسلم بيده يقبلها ويعتذر

فقال المنصور: ما رأيت كاليوم وما زدتنى الا غضبا

فأخذ أبو مسلم يستعطفه فشتمه وصفق بيديه فخرج عليه الحرس فلما رآهم بسيوفهم قال للمنصور استبقنى لعدوك

يا أمير المؤمنين
فقال له المنصور : لاأبقانى الله اذن،
اى عدو اعدى لى منك ؟
وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه
وهو يصيح العفو
فقال المنصور : ياابن اللخناء العفو
والسيوف قد أعتورتك ؟
فكان قتله لخمس بقين من شعبان
سنة (١٣٧) . ولما قتل قال المنصور :

زعمت أن الدين لا ينقضى
فاستوف بالكيل ابا مجرم
سقيت كأساً كنت تسقى بها
امر فى الحلق من العلقم

وكان ابو مسلم قد قتل فى دولته ستمائة
الف صبراً
فلما قتل دخل عيسى بن موسى وهو
ابن اخى المنصور على المنصور وقال:
يا أمير المؤمنين اين ابو مسلم ؟
فقال قد كان ههنا
فقال عيسى قد عرفت نصيحته وطاعته
ورأى الامام ابراهيم كان فيه
فقال المنصور: يا أحمق والله ما أعلم فى
الارض عدواً اعدى لك منه. هاهو فى ذا
البساط

فقال عيسى: انا لله وانا اليه راجعون .
وكان لعيسى فيه رأى
فقال المنصور لعيسى : خلع الله قلبك
وهل كان لك أمر أو نهى أو ملك أو سلطان
مع أبى مسلم ؟
ثم دعا المنصور بجعفر بن حنظلة فدخل
عليه فقال :
ما تقول فى أمر أبى مسلم ؟
قال يا أمير المؤمنين ان كنت
أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل ثم
اقتل
فقال المنصور وفقك الله هاهو فى
البساط
قال يا أمير المؤمنين عد من اليوم
خلافتك
وبعد قتل أبى مسلم كتب المنصور
الى ابى نصر مالك بن الهيثم على لسان
ابى مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلف عنده ،
وان يقوم وختم الكتاب بخاتم أبى مسلم ،
فلما رأى الخاتم كاملا (وكان ابو مسلم
اوصاه قائلا اذا اتاك كتابى عليه خاتمى
ناقصاً فهو منى وان كان كاملا فلا) فقال
فعلتموها وانحدر الى همذان هارباً من وجه
المنصور

وفى سنة (١٤١) خرج الراوندية على المنصور وهم قوم من أهل خراسان كانوا يعتقدون تناسخ الارواح ويزعمون ان روح آدم حلت فى عثمان بن نهيك وان ربهم هو أمير المؤمنين المنصور وان جبريل الهيثم ابن معاوية فلما ظهروا أتوا قصر المنصور وقالوا هذا قصر ربنا

فأخذ المنصور رؤساءهم وحبس منهم مائتين

فغضب أصحابهم وأخذوا نعشا ومشوا به كجنازة حتى أتوا باب السجن فرموا بالنعش وكسروا باب السجن واخرجوا رؤساءهم وساروا جميعا وهم نحو ستمائة رجل قاصدين المنصور. فتنادى الناس واغلقت الابواب وخرج المنصور ماشيا من القصر ثم أتى بدابة فركبها وسار نحوهم فتكاثروا عليه وكادوا يقاتلونه فظهر عند ذلك معن بن زائدة (وكان مستخفيا من المنصور) وقاتل الراوندية فانتصر عليهم وتكاثرت عليهم الناس فقتلوا جميعا ولم ينج منهم احد فعفا المنصور عن معن بن زائدة لحسن بلائه فى هذه الحادثة

كان المنصور يخاف على ملكه من بنى الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب وخصوصا من محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسين بن على فطلبه فلم يتمكن من القبض عليه فحبس احد عشر شخصا من بنى الحسن فى سجن ضيق حتى كان الواحد منهم يبول ويغوط على الآخر حتى ماتوا جميعا

فهاجت هذه الحادثة محمد بن عبد الله ابن الحسن فثار على المنصور بالمدينة وتسمى بالمهدى وتولى على المدينة وضواحيها وارسل أخاه ابراهيم الى البصرة فى ثلاثين الفا فأرسل اليه المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى فسار حتى أتى المدينة وجرى بين الفريقين قتال فقتل محمد بن عبد الله وجماعة من أهل بيته واصحابه. وتعقب عيسى بن موسى ابراهيم بن عبد الله بالبصرة فانهزم ايضا

بعد هذه الوقعة شدد المنصور فى طلب آل على حتى كاد يفنيهم جميعا

وفى سنة (١٥٤) بدأ ابو جعفر المنصور ببناء بغداد وسماها مدينة السلام ثم دعيت بعد ذلك بغداد ودان الناس لخلافته الا الاندلسيين

فى عصر هذا الخليفة اخذ العرب

يترجمون علوم اليونان وشرع علماء الدين فى تدوين الحديث والفقه

وفى سنة (١٥٨) سار المنصور ليحج فنزل قصر عبودية فأنقض هناك كوكب بعد الفجر وبقى أثره ظاهراً حتى مطلع الشمس فأحضر المنصور ابنه المهدى وأوصاه وعهد اليه وسار فلما وصل الى بئر ميمون مات بها فى تلك السنة وكان عمره ثلاثا وستين سنة بعد ان ولى اثنتين وعشرين سنة

(صفاته) كان نحيفا اسمر خفيف العارضين وكان من أحسن الناس خلقا ما لم يخرج الى الناس . وكان مع هذا كثير التقلب كثير الهواجس لا يستقر على رأى

(محمد المهدى بن المنصور) من سنة (١٥٨ الى ١٦٩)

كان المنصور قد عهد بالخلافة بعد وفاته لعيسى بن موسى فلما مات المنصور احتال مولاه الربيع فكتم موته وجعل على وجهه كلة خفية يرى شخصه منها وجمع اهله حوله ثم قرب منه الربيع كأنه يخاطبه ثم رجع اليهم وأمرهم عنه ببيعة المهدى ابنه ولابن عمه عيسى بن موسى من بعده

ثم ان المهدى استقدم اليه عيسى بن موسى وألح عليه فى خلع ولاية العهد ومبايعة ابنه الهادى فامتنع فهدده بالقتل وفعل

فى أيام المهدى سنة (١٥٩) ظهر المقنع بخراسان وكان رجلا من أهل مرو يسمى حكيما يقال انه اتخذ له وجها من ذهب يضعه على وجهه وادعى الالوهية وكان يدعى ان الله خلق آدم فحل فى صورته ثم صورة نوح وهلم جرا الى أبى مسلم الخراسانى وكان يعتقد انه أفضل من النبى صلى الله عليه وسلم ثم حل فى هاشم وهو اسمه . قيل وكان يحسن الشعوذة فاستغوى بها خلقا كثيراً فتحصنوا فى قلعة بكش وبث الدعاة فى الناس وادعى احيا الموتى وعلم الغيب فبعث المهدى فى طلبه فحوصر حصاراً شديداً فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم سما فماتوا وأحرق القلعة بالنار وقال لأصحابه من أحب ان يرتفع معى الى السماء فيلق نفسه فى النار معه فألقى نفسه وألقى من معه أنفسهم فاحترقوا جميعاً

وفى سنة (١٦٣) ارسل ابنه هرون الرشيد لغزو بلاد الروم فسار حتى بلغ خليج القسطنطينية فارتاعت الملكة اريني

الوصية على ابنها ليون فصالحته على الجزية سبعين الف دينار سنويا

وكان هرون يغز بلاد الروم كل سنة

وفى سنة (١٦٩) عزم المهدى على خلع ابنه موسى الهادى والبيعة لابنه الآخر هرون الرشيد فبعث اليه وهو بجرجان فى هذا المعنى فلم يفعل فبعث اليه فى القدوم عليه فضرب الرسول ولم يلب طلب والده فسار المهدى يريده فلما بلغ ماسبذان مات مسموما . وكان السبب فى ذلك انه كانت له جارية تدعى حسنة وجارية أخرى يفضلها عليها فعمدت حسنة الى كمثرى وسممت أحسنها وأرسلتها هدية للجارية الاخرى فرأى المهدى الكمثرى وهى مع الخدم فأخذ واحدة فأكلها فأصابه السم فمات وسمعت حسنة بموته فجاءت تبكى وتقول أردت أن أنفرد بك فقتلتك ورجعت حسنة وعليها المسوح فقال ابو العتاهية فى ذلك :

رحن فى الوشى واقبلـ
ـن الينا فى المسوح
كل نطاح من الدنـ
ـيا له يوم نطوح
لست بالباقى ولو عـ
ـمرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نح ان
كنت لا بد تنوح

توفى المهدى سنة (١٦٩) وعمره ثلاث واربعون سنة ومدة خلافته عشر سنين وكان الرشيد معه يوم موته فى ما سبذان

(الهادى بن المهدى) من سنة ١٦٩ ـ ١٧٠

بويع له يوم وفاة أبيه . فخرج عليه الحسين بن على بن الحسن بن الحسين بن على بن ابى طالب بالمدينة وانتصر على عامل الهادى . ثم قصد الحسين مكة فاقتتل هنالك مع بعض أشياع بنى العباس فقتلوه

وفى سنة ١٧٠ عزم الهادى على خلع بيعة الرشيد وتولية ابنه جعفر فعاجلته المنية. قيل فى سبب موته أن امه الخيزران كانت قد استبدت بالملك فكانت المواكب تغدو وتروح الى بابها. ثم كلمته يوما فى امر فلم يجد الى اجابتها سبيلا ، فقالت لا بد من الاجابة اليه فغضب الهادى وقال والله لاقضينها لك . قالت:

اذن لا أسالك حاجة أبداً . قال لا أبالى . فقامت مغضبة فقال لها مكانك . والله لئن بلغنى انه وقف ببابك أحد من قوادى لأضربن عنقه ولأقبضن ماله . ماهذه المواكب التى تغدو وتروح أمام بابك؟أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك ؟ اياك اياك أن تفتحى بابك لمسلم أو ذمى . فانصرفت وهى لا تعقل ثم أمرت جواريها أن يقتلنه فجلسن على وجهه وهو نائم فمات وعمره ست وعشرون سنة ومدة خلافته سنة وثلاثة أشهر

(هرون الرشيد) من سنة ١٧٠ الى ١٩٣

كان عمره حين ولى الخلافة اثنين وعشرين سنة

لما مات أخوه موسى الهادى جاء اليه يحيى بن خالد البرمكى وهو نائم فى فراشه وقال له : قم ياأمير المؤمنين. فقال له الرشيد كم تروعنى اعجابا منك بخلافتى ؟ فكيف حالى مع الهادى اذا بلغه هذا؟

فأعلمه بموته وأعطاه خاتمه . وبينما يحيى بن خالد يبشر الرشيد بالخلافة اذ دخل عليهما مبشر بمولود للرشيد فسماه عبد الله المأمون

استوزر الرشيد يحيى بن خالد البرمكى وفى ذلك يقول ابراهيم الموصلى النديم:

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة
فلما ولى هرون اشرق نورها
بيمن امين الله هرون ذى الندى
فهرون واليها ويحيى وزيرها

فى سنة (١٧٦) ظهر يحيى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين من آل على بن أبى طالب عليه السلام فاشتدت شوكته وكثرت جموعه وأتاه الناس من الامصار فندب اليه الرشيد الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى فى خمسين الفا . فكاتبه الفضل وبذل له الامان وما يختاره. فأجاب يحيى الى الصلح وقدم يحيى الى الرشيد فسر بذلك ولقيه أحسن لقيا وأمر له بمال كثير ثم حبسه حتى مات

وفى سنة (١٨٧) خرج الوليد بن طريف التغلبى وهو من الخوارج فاستولى على كثير من مدن ارمينية واذربيجان فسير اليه الرشيد يزيد بن مزيد وهو ابن أخ معن بن زائدة فانتصر عليه وقتله

وفى سنة (١٨٢) حملت ابنة خاقان ملك الترك الى الفضل بن يحيى فماتت

بردعة فرجع من معها الى أبيها وأخبروه نأنها قتلت غيلة فأغار على بلاد الاسلام وأوقع بالمسلمين والذميين وسبي أكثر من مائة الف نسمة وأتى أمراً عظيما لم يسمع بمثله فى الارض

وفى سنة (١٨٧) أوقع الرشيد بالبرامكة بعد أن قتل جعفر بن يحيي . والسبب فى ذلك تعاظم أمر البرامكة وتحول الناس اليهم فخشى الرشيد أمرهم فأمر بقتلهم فحزن عليهم الناس حزناشديداً لفضلهم وكرمهم وحسن يلائهم فى خدمة الدولة العباسية وفى ذلك يقول الرقاشى وقيل أبو نواس :

الآن استرحنا واستراحت ركابنا
وأمك من يجدى ومن كان يجتدى
فقل للمطايا قد أمنت من السرى
وطى الفيافى فدفداً بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر
ولن تظفرى من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلى
وقل للرزايا كل وقت تجددى
ودونك سيفا برمكيا مهنداً
أصيب بسيف هاشمى مهند

وحبس الرشيد يحيي أباجعفر والفضل أخاه حتى ماتا

قلنا أن ايرنى كانت تدفع الجزية لهرون الرشيد فلما خلعت الروم هذه الملكة وأقامت نيقفور بدلها كتب الى هرون الرشيد :

« من نيقفور ملك الروم الى هرون الرشيد ملك العرب . أما بعد فان الملكة ايرنى حملت اليك من أموالها ماكنت حقيقا بأن تحمل أضعافه اليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابى هذا فاردد ما أخذت والا فالسيف بيننا وبينك »

فلما قرأ الرشيد هذا الكتاب استشاط غضبا وكتب على ظهره .

« الجواب ماتراه دون ما تسمعه »

وجهز جيشه وسار به حتى نزل على مقربة من القسطنطينية بعد أن دمر المدن التى مر بها فارتاع نيقفور من ذلك وطلب الصلح متعهدا بدفع الجزية

فعاد الرشيد ولم يكد يصل الى بغداد حتى نكث نيقفور عهده فعاد اليه الرشيد فانتهب ودمر كل مامر به فى آسيا الصغرى حتى وصل الى البوسفور فجزع ملك الروم وبالغ فى استماحة الرشيد فعفا عنه وعاد

ولكن ابن نيقفور أغرى أباه على السير الى الرشيد فحشد جيشا جرارا ولحق بالرشيد فى فريجيه فدارت بين الفريقين حرب شعواء قتل فيها من جيش الروم نحو اربعين الف نسمة ونهب الرشيد ودمر كثيراً من مدن آسيا الصغرى وضرب الجزية على نيقفور ثم رجع

كان بين الرشيد وبين شارلمان ملك الفرنكيين وامبراطور الرومان صداقة وكان يهاديه فأهداه مرة بشطرنج ثمين وبساعة شمسية من اختراع العرب وأرسل اليه أيضا مفاتيح كنيسة القيامة فى القدس ومعنها أمر لعماله أن يعاملوا حجاج النصارى أحسن معاملة

كان الرشيد قد أرسل رافع بن الليث عاملا على خراسان فخلع الطاعة وملك مدينة سمرقند فاستاء الرشيد من ذلك وخرج لتأديبه بنفسه وكان مريضاً فلما وصل الى مدينة طوس من خراسان اشتد مرضه فالتفت الى وزيره الفضل وأنشد:

أحين دناما كنت أخشى دنوه
رمتنى عيون الناس من كل جانب
فأصبحت مرحوما وكنت محسداً
فصبراً على مكروه مر العواقب
سابكى على الحب الذى كان بيننا
وأندب أيام السرور الذواهب

ثم مات ودفن هناك سنة (١٩٣) وله من العمر سبع واربعون سنة وخمسة أشهر ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهران

كان هرون الرشيد وديع الاخلاق محبا للرعية حتى أنه كان يطوف بغدا دليلا ليرى ما عليه العامة بنفسه فان رأى منكراً غيره، وكان محباً للعلم والعلماء، بلغت العلوم والآداب فى أيامه أوجها الأعلى وكان كثير العطاء حتى قيل انه لم ير خليفة قبله أعطى منه للمال

وقد كانت أيامه أحسن أيام دولة العباسيين واكثرها يمنا وبركة وصفاء. وقد بلغ من الشهرة فى حياته وبعد مماته ما لم يبلغه غيره من الخلفاء، وأولع الناس بتدوين مناقبه وأيامه حتى خرجوا فى المبالغة فيها عن الحدود المعقولة بسبب شهرته وبعد صيته. ناهيك انه ليس فى العالم الشرقى من يجهل اسم هرون الرشيد

(خلافة محمد الامين) من سنة ١٩٣ الى ١٩٨

كان هرون الرشيد قد عهد بالخلافة

الى أولاده الامين ثم المأمون ثم المؤتمن
وكان الامين ببغداد حين وفاة أبيه وكان المأمون بمروفكتب صالح بن الرشيد الى أخيه الامين يخبره بوفاة والده وأرسل له الخاتم والقضيب والبردة. فانتقل الامين من قصره الى قصر الخلافة وصلى بالناس الجمعة ثم صعد المنبر فنعى الرشيد وعزى نفسه ووعدهم خيراً

كان الامين ضعيف الرأى منهمكا على اللذات مدمناً على الخمر مشتغلا بولائمه وسهراته

استوزر الفضل بن الربيع وزير أبيه وكان الفضل يخاف من المأمون فحسن للامين خلع أخيه وأخذ البيعة لابنه موسى فخاف الامين عاقبة هذا الامر فأغرى الفضل كثيراً من الناس ليحثوا الامين على ذلك فلما رأى كثرة مشجعيه أمر بالدعاء لابنه على المنابر ولقبه بالناطق بالحق وأبطل الدعاء للمأمون

ثم أرسل الامين لأخيه المأمون يأمره بالقدوم عليه فأبى . فأرسل الامين جيشا لمقاتلة المأمون تحت قيادة على بن عيسى فأرسل المأمون جيشه لملاقاته وعليه طاهر ابن الحسين ولقب المأمون نفسه من ذلك الحسين بأمير المؤمنين وبايعته شيعته بخراسان . فالتقى الجيشان قرب الرى فانهزم جيش الامين وقتل قائده فأرسل المأمون جيشا آخر لتقوية طاهر بن الحسين عليه هرثمة بن أعين وأمرهما أن يقصدا بغداد وكان الامين قد أرسل جيشاً ثانياً لقتال أخيه تحت قيادة احمد بن مرشد وعبد الله بن حميد فاختلفا فى طريقهما ولم يجدا طاهر فعادا

أما طاهر بن الحسين فوصل الى بغداد وحاصرها سنة ثم هاجمها فتحصن الامين بمدينة المنصور وتفرق عنه عامة جنده وخصيانه فلما أيقن بالهلاك أرسل الى هرثمة يطلب الامان فراجع هرثمة طاهراً فى ذلك فأباه. ولكن الامين خرج قاصداً هرثمة فوجد حراقته فنزل اليها فلما قابله هرثمة قبل يديه فلم يرض طاهر بذلك فأمر برمى حراقة هرثمة ولكن الامير كان عارفا بالسباحة فنجا الى الشاطىء فأمسكه أصحاب طاهر وحبسوه . ثم ان طاهراً أمر بعض الجنود بقتله فقتل وأرسل رأسه الى المأمون

ثم دخل طاهر المدينة وصلى بالناس وخطب للمأمون وكان قتل الامين سنة

١٩٨ وكان عمره ثمانياً وعشرين سنة
(عبد الله المأمون) من سنة ١٩٨ الى ٢١٨

أرسل القائد طاهر بن الحسين للمأمون الخاتم والبردة والقضيب وهو بخراسان وهنأه بالخلافة وهو بمرو

فقام سنة ١٩٨ نصر بن سيار مطالباً بدم الامين فاجتمع اليه خلق كثير من أهل المطامع فتغلب على كيسوم وسميساط وغيرها ثم عبر نهر الفرات وقويت شوكته حتى كانت سنة ٢٠٩ فأرسل المأمون عبد الله بن طاهر لقتاله فهزمه فطلب الامان فأمنه وأرسله للمأمون

وفى سنة ١٩٩ خرج على المأمون محمد ابن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب يدعو الى الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة فبايعه أهل الكوفة فأرسل اليه المأمون الحسن بن سهل فانهزم ولكن الثائر العلوى مات فجأة فأقيم مقامه غلام من ولد على بن أبى طالب فاستولى أبو السرايا القيم عليه على البصرة وواسط وجرت بينه وبين المأمون عدة وقائع انتهت بهزيمة أبى السرايا وقبض الحسن ابن سهل عليه وقتله وأرسل رأسه الى المامون

وفى سنة ٢٠٠ ظهر ابراهيم بن موسى ابن جعفر بمكة فاستولى على اليمن

وفى سنة ٢٠١ ماطل الحسن بن سهل الجند فى دفع مرتباتهم فثاروا وساروا الى المنصور بن المهدى لمبايعته فلم يقبل فبايعوا أميراً منهم وكثر الفساد فى بغداد فتطوع جيش منهم سموه (المتطوعة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) فتتبع الاشرار وهدأت الاحوال

فى هذه السنة عهد المأمون بالخلافة الى على بن موسى من آل على عليه السلام ولقبه الرضا وكتب للآفاق بذلك قائلا انه لم يجد فى بنى العباس وبنى على أفضل ولا أورع ولا أعلم من على بن موسى فلذلك جعلته ولى عهد الخلافة من بعدى وأمر جنده بطرح السواد شعار العباسيين ولبس الثياب الخضراء شعار العلويين وكتب بذلك الى الآفاق أيضاً

فلم يرض بذلك بنو العباس فخلعوا المأمون وبايعوا ابراهيم بن المهدى ببغداد وسموه المبارك

فمات على بن موسى وقبل سمه

المأمون وكتب الى الآفاق بموته فخلع أهل بغداد ابراهيم بن المهدى وكانت مدة خلافته سنة واحدة واحد عشر شهراً وما زال مختفياً الى سنة ٢١٠ حيث أخذوهو متنقب بين امرأتين فحبسه المأمون ثم اطلقه

وعاد المأمون من خراسان الى بغداد سنة (٢٠٤) فانقطعت الفتن بقدومه. وعاد الى لبس السواد

وفى سنة (٢١٤) غزا المأمون الروم ووصل طرسوس وفتح عدة حصون ثم عاد الى دمشق ثم عاود الحرب فى السنة التالية وفتح حصون اخرى ثم عرج على مصر

وفى سنة (٢١٨) اظهر المأمون بدعة القول بأن القرآن مخلوق وليس بقديم وكتب للآفاق بامتحان رجال العلم فى ذلك وتعذيب من لم يقل به

وفى تلك السنة مرض فخلع اخاه القاسم المؤتمن من ولاية العهد واخذ البيعة لاخيه الآخر أبى اسحق المعتصم ثم توفى وهو يقول: «يامن لا يموت ارحم من يموت»

فكانت مدة خلافته عشرين سنة وعمره ثمانياً وأربعين

كان المأمون أعلم خلفاء بنى العباس واحسنهم خلقا واكثرهم مآثر على العلم والعلماء أمر بترجمة الكتب اليونانية والهندية وغيرهما وانفق فى هذا السبيل أموالا طائلة فكان واضع أساس النهضة العلمية الاسلامية التى بهرت أنوارها العالم كله فى سنين معدودة

(المعتصم بن الرشيد) من سنة ٢١٨ الى ٢٢٧

لما تولى الخلافة ثار الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فأحضره المعتصم وأخذ منه البيعة فهدأت الفتنة

وفى سنة (٢١٩) ظهر محمد بن القاسم بالطالقان بخراسان وهو من اولاد على عليه السلام يدعو الى الرضا من آل محمد فتبعه خلق كثير فأرسل اليه المعتصم عبد الله بن طاهر فهزم محمد بن القاسم وارسله الى المعتصم فحبسه فهرب فجعل لمن دل عليه مائة الف فلم يوقف له على أثر

وفى ايام المعتصم قوى أمر بابك الخرمى المجوسى الذى كان بدء ظهوره فى عهد المأمون فاستولى على جبال طبرستان وهزم عدة جيوش للمأمون والمعتصم فلما كانت سنة ٢٢٠ وجه المعتصم الأفشين

حيدر بن كاوس اليه وزوده بالاطباء لمعالجة الجرحى وبالصيادلة لتركيب العقاقير

التقى الانشين ببابك الخرمى فحدثت بينهما حرب طاحنة انتهت بانكسار الثانى فهرب بأسرته الى بلاد الروم وبينما هو فى الطريق اسره سهل بن سنباط وارسله الى الانشين فقتله وكان من اعصى الناس واشدهم فسادا

وفى سنة (٢٢٣) أغار توفيل ملك الروم على بلاد الاسلام فأحدث احداثا منكرة حتى انه سمل اعين الاسرى وقطع آنافهم وآذانهم فبلغ المعتصم ان امرأة هاشمية سمعت تنادى وهى فى اسره وامعتصماه فجمع جنوده وسار قاصداً بلاد الروم يخرب وينهب فى طريقه حتى بلغ عمورية وهى مدينة فى غلاطية وكان توفيل يقود جيشه بنفسه فلما ضاقت عليه الامور أرسل للمعتصم يطلب الصلح فلم يقبل الخليفة واستمر على ضرب عمورية بالمجانيق ثم اقتحمها وذبح سكانها واحرقها وكانت اعمر مدينة فى الشرق

ثم اتى المعتصم برسل توفيل الذين كان ارسلهم لطلب الصلح وقال لهم عودوا الى مولاكم فأبلغوه بأنى اخذت بثأر مدينة زبطرة . وهى المدينة التى كان أغار عليها توفيل فأحدث منكراته بها

ارتكب المعتصم تساهلا كان سبباً فى خراب دولته وذلك انه اتخذ حرساً من الاتراك فانتهى أمرهم بالتغلب على الخلفا كما سترى

وفى هذه السنة توفى المعتصم بعد أن حكم ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وكان عمره سبعا واربعين سنة

كان طيب الاخلاق الا اذا غضب.

وكان ضعيف القراءة والكتابة

مما يؤثر عن كرم اخلاقه انه انفرد مرة عن اصحابه فى يوم مطير فرأى شيخا معه حمار عليه حمل شوك وقد ارتطم فى الوحل ووقع الحمل و لرجل ينتظر من يمر عليه ويساعده فنزل المعتصم عن دابته وخلص الحمار ورفع الحمل عليه ثم غسل يده وركب . فقال الشيخ غفر الله لك ياشاب. ثم لحقه اصحابه، فأمر للشيخ بأربعة آلاف درهم

(الواثق بالله بن المعتصم) من سنة ٢٢٧ الى ٢٣٢

ثارت فى ايامه القيسية بدمشق فأرسل اليهم رجاء بن ايوب الحضارى فقاتلهم وحل

جماعتهم

وارسل الواثق سنة ٢٣٠ بغا الكبير لقتال بني سليم الذين كانوا يفسدون حول المدينة المنورة فانتصر عليهم واخضعهم

وفي سنة ٢٣١ مات الواثق بالاستسقاء

ولما حضرته الوفاة جعل يردد هذين البيتين :

الموت فيه جميع الناس مشترك
لا سوقة منهم تبقى ولا ملك
ما ضر اهل قليل في تفاقرهم
وليس يغني عن الملاك ما ملكوا

كان عمره حين مات ٣٢ سنة

(المتوكل على الله بن المعتصم) من سنة ٢٣٢ الى ٢٤٧

كان في عزم رجال الدولة تولية محمد ابن الواثق ثم عدلوا عنه لصغره فبايعوا المتوكل على الله وكان عمره ستا وعشرين سنة

في سنة ٢٣٤ عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد وهم محمد ولقبه المنتصر بالله ، وأبو عبد الله ولقبه المعتز بالله ، وابراهيم ولقبه المؤيد بالله . وعقد لكل واحد منهم لوائين احدهما اسود وهو لواء العهد والآخر ابيض وهو لواء العمل

وأقطع المنتصر افريقية والمغرب كله والعواصم وقنسرين والثغور جميعها الشامية والجزرية وديار مضر وربيعة والموصل وكل الاراضي التي يرويها الدجلة ومكة والمدينة وحضرموت والبحرين والسند وسائر ا وكل توابعها

وأقطع المعتز خراسان وطبرستان وارمينية واذربيجان

واقطع المؤيد دمشق وحمص ومرج الاردن وفلسطين

وفي سنة ٢٣٥ أمر المتوكل اليهود والنصارى بلبس الطيالسة العسلية وشد الزنانير وركوب السروج بركب الخشب وعمل رقعتين على لباس مماليكهم مخالفتين للون الثوب كل واحدة منهما قدر أربعة أصابع ولونها غير لون الاخرى ومن خرج من نسائهم فلتلبس ازارا عسليا ومنعهم من لباس المناطق وأمر بهدم بيعهم المحدثة وأن يجعل على أبوابهم صور شياطين من خشب ونهى أن يستعان بهم في أعمال الحكومة وأمرهم بأن لا يظهروا صلبانا في شعانينهم وأمر بتسوية قبورهم بالارض وكتب بذلك الى الآفاق ثم أمرهم أن

يتمصرو فى ركوبهم على البغال والحمير وان لا يركبوا الخيل والبراذين

وفى سنة ٢٣٦ أمر بهدم قبر الحسين ابن على عليه السلام وهدم ماحوله من المنازل ومنع الناس من زيارته وكان شديد البغض للامام على كرم الله وجهه

وفى سنة ٢٣٧ ولى المتوكل يوسف ابن احمد ارمينية وأذربيجان ولما وصل الى خلاط انى بقراط ابن اشوط البطريق فقيده وحمله الى المتوكل فأجتمع بطارقة ارمينية مع ابن اخى بقراط وتحالفوا على قتل يوسف ووافقهم على ذلك موسى بن زرارة صهر بقراط فوثبوا بيوسف فقتلوه وكل من قاتل معه. ومن لم يقاتل من اصحابه فأخذوا ملابسهم وتركوهم عرايا وصردوهم على تلك الحال فهلك اكثرهم بردا

فلما بلغ المتوكل هذا الخبر وجه اليهم بغا الكبير قائده فقتل ثلاثين الفا وسبى خلقا كثيرا ثم سار الى مدينة تفليس وحاصرها ورماها بالنفط فأحرقها وأحرق بها خمسين الف نسمة

وفى سنة ٢٣٨ جاءت ثلاثمائة سفينة حربية للروم تحت قيادة ثلاثة من أمراء البحر فرست مئة سفينة بدمياط ونزل جنودها فقتلوا منها خلقا كثيرا وسبوا النساء والاطفال

وفى سنة (٢٤١) ثارت البجاة بالنوبه فوجه المتوكل لحربهم محمد بن عبد الله فقتل رئيسهم فطلبوا الصلح وجاء خليفة قائدهم الى المتوكل تائبا فصالحه على اداء الادوات والنفط واشترط عليه ان لا يمنع المسلمين من استخراج المعادن

وفى سنة (٢٤٧) قتل المتوكل قتله غلام تركى اسمه باغر قيل قتله باغراء المنتصر ابنه وكان عمره اربعين سنة

(المنتصر بن المتوكل) من سنة ٢٤٧ الى ٢٤٨

بايعه قتلة أبيه فى ليلة قتلهم اياه وفى الصباح بايعه الناس

وفى سنة ٢٤٨ ألح وصيف وبغا وباقى الاتراك على المنتصر ان يخلع اخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد خوفا منهما ان ينتقما من قتلة ابيهما فخلعهما ومات المنتصر وله من العمر خمس وعشرون سنة

(المستعين بالله بن المعتصم) من سنة ٢٤٨ الى ٢٥٢

لما توفى المتوكل اجتمع الموالى الهارونية

من الغد وفيهم بغا الكبير وبغا الصغير وأتامش من قوادالاتراك والمغاربةوأجمعوا على عدم تولية أحد من أولاد المتوكل لئلا يغتالهم ويبايعوا احمد بن محمد بن المعتصم ولقبوه المستعين بالله

وفى سنة (٢٥٢) ثار الجنود طالبين عزل القواد الاتراك وثار معهم الناس وفتحوا السجون واخرجوا المسجونين وقطعوا الجسور ونهبوا دور أهل اليسار ليصرفوها فى سبيل الثورة وامتدت الفتنة الى سامرا وثار الموالى باتامش وزير المستعين فقتلوه ونهبوا داره

وفى سنة ٢٥٢ قتل وصيف وبغا باغر التركى وقاتل المتوكل وحصر الجنود المستعين مع وزيريه فى قصره بسامرا فهرب الى بغداد

فأخرج الثائرون المعتز بن المتوكل من السجن وبايعوه فأرسل جيشا لمحاربة المستعين فأكرهه أهل بغداد على التنازل فخلع نفسه سنة (٢٥٢) وخطب ببغداد للمعتز بالله بن المتوكل فأمر بقتل المستعين فقتل وفى ذلك يقول بعض الشعراء :

خلع الخليفة احمد بن محمد
وسيقتل التالى له او يخلع
ويزول ملك بنى أبيه ولا ترى
أحد بملك منهم بتمتع
ايها بنى العباس ان سبيلكم
فى قتل أعبدكم سبيل مهيع
رفعتكم دنياكم فتمزقت
بكم الحياة تمزقا لا يرقع

(المعتز بن المتوكل) من سنة ٢٥٢ الى ٢٥٥

اول عمل عمله ان خلع أخاه المؤيد من ولاية العهد وحبسه حتى مات

وفى سنة (٢٥٣) خرج عليه عبد العزيز بن أبى دلف بهمذان فوجه اليه المعتز يوسف بن بغا الكبير فانتصر عليه

وفى هذه السنة ابتدأت دولة يعقوب الصفار بهرات أن تظهر

وفى سنة (٢٥٤) وجه احمد بن طولون عاملا على مصر وهو تركى الأصل فانتهى أمره بأن ملك مصر والشام

وفى سنة (٢٥٥) سار الجنود الاتراك اليه يطلبون حقوقهم فماطلهم فدخلوا عليه فجروه من رجليه وضربوه بالدبابيس ووضعوه بالشمس حافى القدمين فكان يرفع رجلا ويضع رجلا من شدة الحر . ثم سلموه لمن يتولى تعذيبه فمنعه الطعام

والشراب ثلاثة ايام ثم ادخلوه سردابا وجصصوا عليه حتى مات وكان عمره اربعا وعشرين سنة

(المهتدى بن الواثق) من سنة ٢٥٥ الى ٢٥٦

ظهر فى ايامه صاحب الزنج وهو على ابن محمد بن عبدالرحيم من ولد عبدقيس فجمع اليه زنج البصرة وادعى انه من ولد على عليه السلام وكان أهل البحرين قد أحلوه محل النبى صلى الله عليه وسلم فحارب جيوش المهتدى وانتصر عليها

ثم ان المهتدى أوعز الى أحد القادة الاتراك وهو باكيال بقتال موسى بن بغا فاتحد مع موسى على قتل المهتدى فأسرع المهتدى فحبس باكيال ثم قتله وبعدها سار لقتال موسى بن بغا فانقلب عليه أصحابه فداسوا على خصيتيه وصفعوه حتى مات

(المعتمد بن المتوكل) من سنة ٢٥٦ الى ٢٧٩

بايع الاتراك المعتمد. فى أيامه اشتدت شوكة على بن محمد صاحب الزنج واستولى على الاهواز والبصرة وواسط وغيرها وأكثر القتل والنهب وهزم جيش المعتمد فأرسل هذا اخاه الموفق فحارب صاحب الزنج سنين حتى انتصر عليه وقطع رأسه

وفى سنة (٢٦٢) أغار يعقوب الصفار على الاهواز فدحره الموفق ثم عاد فى السنة الثانية فملك الاهواز

ثم ان الموفق اشتد أمره فضيق على اخيه المعتمد حتى انه احتاج الى ثلاثمائة دينا فلم يجدها فقال :

أليس من العجائب ان مثلى ... يرى ماقل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما منها يسير فى يديه

وفى سنة (٢٧٨) تحرك بالكوفة قوم يعرفون بالقرامطة . وكان بدء أمرهم أن رجلا فقيراً قدم من ناحية خوزستان الى سواد الكوفة وكان يظهر العبادة وكان يعظ الناس بالزهد ويقول لهم انه يدعو الى الامام من أهل بيت النبوة فاستجاب له قوم كثيرون فاتخذ منهم اثنى عشر نقيبا وأمرهم أن يدعو الناس الى مذهبهم فبلغ خبره عامل تلك الجهة فقبض عليه وحبسه وأقسم ليقتلنه فأشفقت احدى الجوارى عليه فأخذت مفتاح السجن من سيدها حال سكره وفتحت الباب للرجل فهرب ووضعت المفتاح مكانه

فلما هب العامل من نومه أراد أن يقتل الخارجي فلم يجده فشاع هذا الامر وافتتن به أهل تلك الناحية وزعموا انه رفع الى السماء

ثم ظهر فى ناحية أخرى وقال للناس لايمكن أن ينالنى أحد بسوء . ثم رحل الى الشام وتسمى باسم رجل كان ينزل عنده اسمه كرمينه ثم خفف فقيل قرمط

من مذهب القرامطة ان عيسى عليه السلام ظهر للفرج بن عثمان من أهل قرية نصرانة فقال له: انك الداعية وانك الحجة وانك الناقة وانك الدابة وانك يحيي بن زكريا وانك روح القدس . وعرفه ان الصلوات أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها والصوم يومان فى السنة وهما يوم النيروز ويوم المهرجان . وان النبيذ حرام والخمر حلال ولا يؤكل كل ذى ناب ولا كل ذى مخلب وان الجمعة يوم الاثنين لايعمل فيه شيء الى غير ذلك

وفى سنة (٢٧٩) توفى المعتمد وكان عمره خمسين سنة وستة أشهر

(المعتضد بن الموفق) من سنة ١٧٩ الى ٢٨٩

فى عهده انتشر مذهب القرامطة فى سواد الكوفة فقاتلهم واحضر رئيسهم فقال له المعتضد :

اخبرنى هل تزعمون ان روح الله تحل فى أجسادكم ؟

فقال الرجل : ياهذا ان حلت روح الله فينا فما يضرك ، وان حلت روح ابليس فلا تنفعك ؟ فلا تسأل عما لا يعنيك وسل عما يخصك

فقال المعتضد: وما تقول فيما يخصنى ؟

فقال أقول ان النبى صلى الله عليه وسلم مات وأبوك العباس حى فهل طلب الخلافة أم بايعه أحد من الصحابة على ذلك ؟

ثم مات أبو بكر واستخلف عمر وهو يرى موضع العباس ولم يوص اليه

ثم مات عمر وجعلها شورى فى ستة انفس ولم يوص الى العباس ولا أدخله فيهم فبماذا تستحقون انتم الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها؟

فأمر به المعتضد فعذب وخلعت عظامه ثم قطعت يداه ورجلاه ثم قتل

كان المعتضد شهما شجاعا وقيل لما حضرته الوفاة أنشد :

تمتع من الدنيا فانك لاتبقى
وخذصفوها مان صفت ودع الرنقا
ولا تأمنن الدهر انى امنته
فلم يبق لى خلا ولم يرع لى حقا
قتلت صناديد الرجال ولم أدع
عدواً ولم أمهل على طغيه خلقا
وأخليت دار الملك من كل نازع
فشردتهم غربا ومزقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزاً ورفعة
وصارت رقاب الخلق أجمع لى رقا
رمانى الردى سهما فأخمد جمرتى
فها أنا ذا فى حفرتى عاجلا ألقى
ولم يغن عنى ماجمعت ولم أجد
لدى الملك والاحياء فى حسنها رفقا
فياليت شعرى ... ما ألقى
الى نعم الرحمن ام ناره القى

(المكتفى بن المعتضد) من سنة ٢٨٩ الى ٢٩٥

اشتدت شوكة القرامطة فى عهده حتى حصروا دمشق وتسمى أميرهم الحسين بالمهدى امير المؤمنين وعهد الى عمه عبد الله ولقبه المدثر ، زعماً منه انه المدثر المذكور فى القرآن الكريم ثم سار الى حماة والمعرة وغيرهما فقتل أهلها حتى النساء والاطفال وسار الى سلمية فأخذها بالأمان ولكنه قتل أهلها حتى صبيان المكاتب

فلما اشتد أمره خرج له المكتفى فى سنة (٢٩١) فأوقع بالقرامطة واخذ رئيسهم فقتله

وكانت مصر اذ ذاك مستقلة تحت حكم الدولة الطولونية وعليها هرون بن خمارويه فأرسل المكتفى جيوشه فامتلكت الشام ومصر ومات هرون وانقرضت الدولة الطولونية

ثم ظهرت القرامطة بدمشق وأمعنوا فيها قتلاونهباً ثم نهبوا طبرية وساروا الى الكوفة فأرسل المكتفى اليهم جيشاً فدحروه وغنموا ما كان معه ولكن والى دمشق انتصر عليهم وحمل رئيسهم الى بغداد

وفى سنة (٢٩٤) هجم القرامطة على الحجاج فى طريق العراق فقتلوهم عن آخرهم وكانوا عشرين الفاً فسير اليهم المكتفى بالجنود فدحروهم وقتلوا منهم عدداً كبيرا و... رئيسهم ذكرويه مجروحا الى بغداد

توفى المكتفى سنة ٢٩٥ وعمره ثلاث وثلاثون سنة

(المقتدر بن المعتضد) من سنة ٢٩٥

الى ٣٢٠

كان عمره حين بويع له بالخلافة ثلاث عشرة سنة فاستصغره رجال الدولة فعزموا على خلعه وتولية عبد الله بن المعتز وهو المشهور بالشعر والادب فى كتب المحاضرات فبايعوه ولقبوه المرتضى بالله فوجه الى المقتدر يأمره بالانتقال الى الدار التى كان مقيما فيها لينتقل هو الى دار الخلافة فأجابه بالسمع والطاعة وسأله الامهال الى الليل فعاد غلمانه الى دار الخلافة (غلمان المرتضى بالله) وقاتلوا غلمان المقتدر طول النهار وانصرفوا عنهم آخر النهار . فلما جن الليل سار الحسين ابن حمدان من أنصار المرتضى بالله عن بغداد بأهله وماله الى الموصل ولم يكن بقى مع المقتدر من القواد غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن

فلما رأى ابن المعتز ذلك ركب ومعه وزيره محمد بن داود وغلام له وساروا نحو الصحراء ظناً منه ان من بايعه من الجنود يتبعونه فلما لم يتبعه أحد رجع واختفى فوقعت الفوضى فى بغداد وكثر السلب والنهب

فخرج المقتدر بعسكره وقبض على جماعة وقتلهم وعاد الى الخلافة واستتب له الامر فيها

ابتدأت دولة الفاطميين تظهر فى أيام المقتدر بعد انقراض دولتى الاغالبة والادارسة بالمغرب بقيام عبد الله المهدى

من اكبر الاحداث وأعجبها فى عهد هذا الخليفة انه فى سنة (٣١٧) ثار الناس والجنود ناقمين على تصرف رجال الحكومة فى اموال المملكة وطلبوا أن يجعل الحق للامة فى تدبير الشؤن . ثم هجموا على بيت الخليفة وأخرجوه وبايعوا محمد بن المعتضد ولقبوه القاهر بالله

ثم طلب منه الجنود حقوقهم فماطلهم فثاروا عليه فهرب منهم

فساروا الى الدار التى فيها المقتدر وأخرجوه وحملوه الي دار الخلافة وبايعوه ثانية ولم تكن خلافة القاهر الا يومين اثنين

وفى سنة (٣٢٠) سار القائد مؤنس الملقب بالخادم مغاضباً وأرسل خادمه الى الخليفة برسالة . فسأله الوزير عنها فقال أمرنى مولاى ان لا اذكرها الا لأمير المؤمنين . فضربه الوزير وصادر ثلاثمائة الف دينار من أموال سيده

فلما بلغ مؤنسا ماجرى وهو اذ ذاك بحربى ينتظران بطيب الخليفة قلبه وبعيده

وبعيده سار نحو الموصل ومعه جميع القواد فاجتمع بنو حمدان على محاربته وجندوا له ثلاثين الف مقاتل وكان مؤنس فى ثمانمائة مقاتل فهزم بنى حمدان واستولى على أموالهم فاجتمع معه جيش جرار فانحدر بهم الى بغداد و نزل بباب الشماسية واشار اصحاب المقتدر عليه بحضور الحرب ظنا منهم ان الناس اذا رأته عادوا جميعا اليه فخرج وهو كاره وبين يديه الفقهاء والقراء ومعهم المصاحف منشورة وعليه البردة والناس حوله

فوقف على تل بعيد عن المعركة فأرسل اليه قواده يسألونه التقدم فلما تقدم من موضعه انهزم أصحابه قبل وصوله اليهم فأراد العود فلحقه قوم من المغاربة وشهروا عليه سيوفهم . فقال ويحكم أنا الخليفة . قالوا قد عرفناك ياسفلة . وضربه واحد منهم بسيفه على عاتقه فسقط الى الارض وذبحه بعضهم ورفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه . وأخذوا جميع ما عليه حتى سراويله وتركوه مكشوف السوأة الى ان مر به رجل فستره بحشيش ثم حفر له فى موضعه ودفن ولما حمل رأس الخليفة الى القائد مؤنس بكى ولطم وجهه ورأسه وأنفذ الى دار الخلافة ومنعها من النهب

(القاهر بن المعتضد) من سنة ٣٢٠ الى ٣٢٢

لما قتل المقتدر استعظم مؤنس قتله فأراد ان ينصب ابنه أبا العباس مكانه لأنه هو الذى رباه وأدبه

فاعترضه اسحق النوبختى وقال بعد الجهد استرحنا من خليفة له أم وخالة وخدم يدبرونه ، فنعود الى تلك الحال . لا والله لا نرضى الا برجل كامل يدبر نفسه ويدبرنا وما زال بمؤنس حتى رده عن رأيه وذكر له أبا المنصور محمد بن المعتضد فأجابه مؤنس كارها لعلمه بشر أبى المنصور وظلمه

فبويع لأبى المنصور بن المعتضد سنة ٣٢٠ ولقبوه القاهر بالله واستحلفه مؤنس بأن لا يتعرض له ولا لحاجبه بليق ولا لعلى ابن بليق بسوء

ثم اشتغل القاهر بالبحث عمن استتر من أولاد المقتدر وأحضر أم المقتدر وكانت مريضة فسألها عن اموالها فلم تقر ببعضها فضربها وعلقها من رجليها وضرب المحلات الغامضة من بدنها

وصادر القاهر أموال جميع حاشية المقتدر بعد أن حل أوقافها

ثم ان مؤنس الخادم والوزير على بن مقلة ويلبق الحاجب وعلى بن يلبق أخذوا يضيقون على القاهر حتى أنهم وكلوا به من يفتش الداخل اليه والخارج من عنده فنوى القاهر الايقاع بهم قبل أن يوقعوا به

اما الوزير بن مقلة ويلبق وغيرهم فانهم اتفقوا على القبض عليه فدخل ابن يلبق القصر فوجده مملوءا جنوداً كان القاهر قد أعدهم للايقاع بمن يريد اغتياله فهرب ابن يلبق وهرب الوزير . اما يلبق فدخل على القاهر فأمر بالقبض عليه وأرسل فقبض على مؤنس القائد

فثار الجنود لحبسه وطلبوا اخراجه من السجن ثم ظفر القاهر بابن يلبق فذبحه وأمر بوضع رأسه على طشت بين يديه وحملت الى أبيه فى السجن فلما رأى رأس ابنه أخذ يبكى ويقبلها فأمر بذبحه هو أيضا ثم ذهب بالرأسين الى مؤنس فلما رآهما تشهد ولعن قاتلهما فأمر بذبحه ، ووضع رأسه بجانب الرأسين وأمر بأن يطاف بها فى الشوارع ثم أمر بالرؤس فنظفت وحفظت فى خزانة الرؤس كما جرت به العادة اذ ذاك

وأخذ القاهر يتلطف بالوزير ابن مقلة وكان مختفيا يعمل على خلعه وما زال يدس الدسائس حتى تمكن من غرضه فهجمت الجنود عليه ليلا وخلعته بعد أن حكم عاما واحدا وسبعة أشهر ثم عاش خاملا الى أن مات سنة ٣٣٨

(الراضى بالله بن المقتدر) من سنة ٣٢٨ الى ٣٢٩

كان محبوساً مع والدته فأخرج وبويع له بالخلافة فاستوزر ابن مقلة فأحسن هذا الوزير الى كل من أساء اليه

فى سنة ٣٢٣ عظم شأن الحنابلة فصاروا يكبسون دور القواد والعامة وان وجدوا نبيذاً أراقوه وان وجدوا مغنية ضربوها فأزعجوا بغداد . وركب مدير الشرطة ونادى فى جانب بغداد أن لا يجتمع من الحنابلة اثنان ولا يصلى منهم امام الا اذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى صلاة الصبح والعشائين

وكتب الراضى كتابا وبعث به ليقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فيه فعلهم ويوبخهم على تشبيه الله بخلقه . منه :

« انكم تارة تزعمون ان صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين

وتذكرون الاصابع والكف والرجلين والنعلين المذهبين والشعر القطط والصعود الى السماء والنزول الى الارض وتنسبون شيعة آل محمد الى الكفر والضلال وتنكرون زيارة قبور الأئمة وتشنعون على زوارها بالابتداع ،ومع ذلك أنتم تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام وتدعون له معجزات الانبياء فلعن الله شيطانا زين لكم هذه المنكرات وما أغواه وأمير المؤمنين يقسم بالله قسما جهيدا يلزمه الوفاء به لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقكم ليوسعنكم ضربا وتشريدا وتبديدا وقتلا وليستعملن السيف فى رقابكم والنار فى منازلكم ومحالكم »

فى زمن هذا الخليفة صارت الخلافة رسما دينيا فقط وانقسمت المملكة الى دول تولى كلا منها أمير مستقل ولم يبق لأمير المؤمنين غير بغداد وأعمالها ومع ذلك فكان الحكم فيها لابن رائق الوزير وليس للخليفة الا الخطبة والسكة (النقود)

وكان ابن رائق المذكور واليا بواسط فقلده الخليفة امارة الجيش ولقبه أمير الامراء وهو أول من نال هذا اللقب فبطلت الوزارة ببغداد وأمر الخليفة بأن يخطب لابن رائق على المنابر

انقسمت المملكة بين امراء مستقلين فكانت البصرة فى يد ابن رائق . وخوزستان فى يد البريدى وفارس فى يد عماد الدولة بن بويه . وكرمان فى يد أبى على بن الياس . والرى واصفهان والجبل فى يد ركن الدولة بن بويه ووشمكير بن زياد يتنازعان عليها .والموصل وديار بكر وربيعة ومضر فى يد بنى حمدان . ومصر والشام فى يد الاخشيد . والمغرب وافريقيا فى يد القائم العلوى.والاندلس فى يد عبد الرحمن بن محمد الاموى ، وخراسان وما وراء النهرين فى يد نصر بن أحمد بن سامان ، وطبرستان وجرجان فى يد الديلم والبحرين واليمامة فى يد أبى طاهر القرمطى

توفى الراضى وعمره اثنان وثلاثون سنة وكان أديبا ومن شعره قوله :

كل صفو الى كدر
كل أمن الى حذر
ايها الآمل الذى
تاه فى لجة الغرر
أين من كان قبلنا
درس العين والاثر

لادردر الشيب من
واعظ ينذر البشر
ومن شعره يرثى أباه المقتدر:
ولو أن حيا كان قبراً لميت
لصيرت أحشائى لاعظمه قبرا
ولو ان عمرى كان طوع مشيئتى
وساعدنى التقدير قاسمته العمرا
بنفسى ثرى ضاجعت فى تربة البلى
لقد ضم منك الغيث والليث والبحرا
كان الراضى آخر خليفة جالس الجلساء وآخر خليفة كانت نفقاته وجراياته وخزائنه ومطابخه وأموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين

(المتقى بالله بن المقتدر) من سنة ٣٢٩ الى ٣٣٣

لم يكن له من الخلافة الا الاسم

فى سنة ٣٣٠ مات ابن رائق أمير الامراء فقلد المتقى ناصر الدولة بن حمدان امرة الامراء ولقبه سيف الدولة

ثم تولى توزون التركى امارة الامراء

وفى سنة ٣٣٢ ظهر لص ببغداد يعرف بابن حمدى أعجز الناس فأمنه ابن شيرزاد وهو من كبار قواد توزون واشترط ان يأخذ منه كل شهر خمسة عشر الف دينار فى مقابل عدم تعقبه فكان يستوفيها منه واللص يعثو فى بغداد الفساد تحت حمايته وهذا مالم يسمع بمثله

ثم خاف المتقى من توزون فأرسل الى ناصر الدولة بن حمدان يطلب اليه انفاذ حرس مع ابن عمه فخرج المتقى بأهله ووزيره الى الموصل وأقام بها. ثم استوحش من ابن حمدان أيضا فسار الى الرقة وأرسل الي توزون يسأله الصلح فأمنه فانحدر المتقى من الرقة الى الفرات فلما بلغ هيت أرسل الى توزون من يجدد اليمين فحلف له توزون ثانية ثم سار عن بغداد ليستقبل أمير المؤمنين فتلقاه بالسندية ونزل وقبل الارض وقال: ها أنا قد وفيت بيمينى والطاعة لك. ثم أمر توزون بسمل عينى الخليفة ووزيره وحرمه ونزل بهم الى بغداد

(المستكفى بالله بن المكتفى) من سنة ٣٣٣ الى ٣٣٤

احضر توزون عبد الله بن المكتفى وولاه الخلافة ولقبه المستكفى بالله

توفى توزون فخلفه على امارة الامراء ابن شيرزد . فلما علم معز الدولة بن بويه بموت توزون سار الى بغداد فاختفى

المستكفى وابن شيرزاد. ووصل معز الدولة ولقى المستكفي وأمنه فلقبه الخليفة معز الدولة ولقب أخاه عليا عماد الدولة وأخاه حسنا ركن الدولة وأمر بضرب القابهم وكناهم على الدراهم والدنانير

كان توزون قد اتخذ قهرمانة عاقلة لدس الدسائس له سماها علم فبلغ معز الدولة انها اخذت تكيد له . فلما كان يوم ٢٢ جمادى الآخرة من سنة ٣٣٤ حضر معز الدولة عند الخليفة والناس معه فحضر رجلان من نقباء الديلم فتناولا يد المستكفي فظن انهما يريدان تقبيلها فمدها اليهما فجذباه عن سريره وجعلا عمامته فى عنقه وساقاه ماشيا الى معز الدولة فحبس بها وأخذ علم القهرمانة فقطع لسانها

(المطيع لله بن المقتدر) من سنة ٣٣٤ الى ٣٦٣

لما بويع له بالخلافة أمر بسمل عينى المستكفى وزال ما كان قد بقى للخلافة من عمل واستبد معز الدولة بكل شىء ولم يسمح للخليفة بوزير بل بكاتب يدير اقطاعه واخراجاته ولم يبق بيد المطيع لله الا ما أقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجاته

فى سنة (٣٤٣) مرض معز الدولة فخاف على نفسه الموت فأحضر ابنه (بختيار) وقلده ولاية العهد فى امارة الامراء من بعده ثم عوفى معز الدولة . ثم عاوده المرض فجدد العهد لابنه ولقبه عز الدولة وأظهر التوبة وتصدق بأكثر ماله وأعتق مماليكه . توفى فكانت امارته احدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا ويومين

تولى بعده ولده فأساء السيرة واشتغل باللهو وفى سنة ٣٤٨ أمسك خاه حبشي وحبسه وكثرت حروبه مع أمراء البلاد المجاورة له كالموصل وغيرها وكثر شغب جنوده عليه

فلما أصيب المطيع بالفالج خلع نفسه من الخلافة وسلمها الى ابنه عبد الكريم ولقب بالطائع لله

(الطائع لله بن المطيع) من سنة ٣٦٣ الى ٣٨١

فى سنة ٣٦٤ أغار عضد الدولة على العراق واستولى عليه فأرسل اليه بختيار يطلب اليه أن يقدم لفتح بغداد وكان السبب فى استدعائه له هياج الاتراك عليه فلما سمع الفتكين أحد قادة الاتراك بقدوم

عضد الدولة تجهز لرده وجاء عضد الدولة فحاصر بغداد فقلت اسعارها وسادت الفوضى فيها ثم خرج الفتكين لمقاتلة عضد الدولة فانهزم ففر هو واتراكه الى تكريت ودخل عضد الدولة الى بغداد وقبض على بختيار . فلما سمع ابن ركان واليا على البصرة امتنع فيها وكاتب ركن الدولة والامراء المجاورين ليعينوه فأجابوه وانتصروا جميعا على عضد الدولة وأجلوه عن بغداد وأعادوا بختيار

ولكن عضد الدولة أعاد الكرة فخرج بختيار قاصداً الشام ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له على المنابر ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد غير الخليفة . ثم ان عضد الدولة تعقب بختيار وقبض عليه وقتله فكانت مدة امارته احدى عشرة سنة وشهوراً

ثم إن عضد الدولة أصيب بالصرع فبدأ بتعمير بغداد وكانت قد خربت من توالى الفتن وأخذ يوزع الاموال على العلماء والغرباء وأذن لوزيره نصر بن هرون وكان نصرانيا فى عمارة البيع والاديرة واطلاق الاموال لفقراء النصارى وتزوج أمير المؤمنين ابنته وكان صداقها مائة الف دينار

ثم مات عضد الدولة سنة (٣٧٢) بعد أن حكم خمس سنين ونصفا وكان عاقلا فاضلا حسن السياسة شديد الهيبة محبا لأهل الفضل

خلفه ولده صمصام الدولة فأقطع اخويه فارس ولكن أخاه شرف الدولة ملك واستضاف اليه أخوه صمصام الدولة مع بعض خاصته فقبض عليه شرف الدولة وسمل عينيه

فتولى بعده اخوه ابو نصر بهاء الدولة

وفى سنة (٣٨١) قبض بهاء الدولة على الطائع وحمله الى بيته وأشهد عليه بالخلع وأخذ ما بدار الخلافة من الذخائر وكان الشريف الرضى العلوى موجودا حين القبض على الطائع فقال :

من بعدما كان رب الملك مبتسما
الى أدنيه فى النجوى ويدنينى
امسيت ارحم من قد كنت اغبطه
لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكنى
يا قرب ما عاد بالضراء يبكينى
هيهات اغتر بالسلطان ثانية
قد ضل ولاج أبواب السلاطين

والشريف الرضى هذا من أولاد على عليه السلام

(القادر بالله بن اسحق بن المقتدر)
من سنة ٣٨١ الى ٤٢٢

توفى بهاء الدولة سنة ٤٠١ وولى الملك بعده ابنه سلطان الدولة ابو شجاع

وفى سنة ٤١١ عظم أمر أبى على مشرف الدولة بن بهاء الدولة فأزال ملك سلطان الدولة عن العراق

وفى سنة ٤١٥ توفى سلطان الدولة وتولى بعده ابنه ابو كاليجار

وفى سنه ٤١٦ تولى مشرف الدولة وخطب ببغداد لاخيه جلال الدولة أبى طاهر

ومن العجيب ان الاتراك والديلم هابوا القادر بالله فأطاعوه أحسن طاعة وكان تقيا حليما كريما وكان يخرج من داره فى زى العامة ويزور قبور الصالحين . توفى وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر وخلافته احدى واربعون سنة

(القائم بأمر الله بن القادر بالله) من سنة ٤٢٢ الي ٤٦٧

فى سنة توليته حصلت فتنة ببغداد لاستبداد القواد بالمال فهاجت الجنود فهرب امير الامراء جلال الدولة الى عكبرا وخطب الاتراك ببغداد للملك أبى كاليجار وراسلوه ليقدم عليهم فامتنع ، فأعادوا الخطبة لجلال الدولة واعتذروا اليه فعاد

فى عهد هذا الخليفة أنحلت الخلافة والسلطة معا ببغداد فصارت السلطنتان غير قادرتين على حفظ الامن فى المدينة وانتشر العرب فى البلاد فنهبوها

وفى سنة ٤٢٩ لقب جلال الدولة بملك الملوك

وفى سنة ٤٣٥ توفى الملك جلال الدولة وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة واحد عشر شهرا . فولى بعده ابو كاليجار فلقبه الخليفة بمحيي الدين

فى أيامه قويت شوكة السلجوقيين وملكوا خراسان وجرجان وكرمان فأرسل الملك كاليجار فى سنة ٤٣٩ الى السلطان ركن الدين طغرلبك ابنه أبى كاليجار وتزوج الامير المنصور بن أبى كاليجار بابنة الملك داود اخى الملك طغرلبك

توفى أبو كاليجار سنة ٤٤٠ وتولى ابنه الملك الرحيم فامتنع الخليفة أن يطلق عليه هذا اللقب قائلا لايجوز أن يتلقب أحد بأخص صفات الله واستقر ملكه بالعراق والبصرة وخوزستان

في سنة ٤٤٢ ملك السلطان طغرلبك اصفهان وفي سنة ٤٤٦ استولى على اذربيجان . وفي سنة ٤٤٧ وصل الى بغداد وخطب له فيها . فأزال ملك بني بويه وكان الملك الرحيم آخرهم

تزوج الخليفة القائم ارسلان خاتون خديجة ابنة داود أخي طغرلبك

وفي سنة ٤٥٠ سار البساسيري احد قواد المستنصر بالله الخليفة الفاطمي بمصر الى بغداد فدخلها وخطب في مساجدها للمستنصر وأبعد الخليفة العباسي عن بغداد وكان طغرلبك مشتغلا بقتال اخيه ابراهيم فلما قتله وعاد الى العراق رد الخليفة العباسي وقاتل البساسيري وقتله

وفي سنة ٤٥١ دخل الخليفة القائم الى بغداد فكان طغرلبك آخذا بلجام بغلته

وفي سنة ٤٦٢ خرج رومانوس امبراطور الروم في مائة الف حتى وصل الى ملاذكرا من أعمال خلاط فأسرع اليه السلطان الب آرسلان السلجوقي بخمسة عشر الفا فلما قرب العسكران طلب الهدنة من ملك الروم فلم يقبل. فبكى الب ارسلان وقال للناس من أراد أن ينصرف فليس هنا سلطان يأمر وينهي وألقى القوس والنشاب وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط . ثم قال : ان قتلت فهذا كفني وزحف الى الروم فقاتلهم قتال اليائس فانهزموا وأسر ملكهم فلما مثل بين يدي الب ارسلان ضربه ثلاث مقارع وقال له ألم أطلب اليك المهادنة فأبيت ؟

فقال له الامبراطور دعني من التوبيخ وافعل ما بدا لك

فقال السلطان : ما عزمت أن تفعل بي ان أسرتني ؟

فقال الامبراطور : أفعل القبيح

فقال له السلطان : فما تظن ان افعل بك ؟

قال الامبراطور : اما ان تقتلني او تشهر بي في بلادك ؛ والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الاموال واصطناعي نائباعنك

قال السلطان ما عزمت على غير هذا ففداه بألف الف دينار وأن يطلق كل أسير عنده من المسلمين . ثم أجلسه معه على سريره وأرسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها وأطلق جماعة من البطارقة وخلع عليه وعليهم وسير معه جنودا ليوصلوه الى

مأمنه وشيعه فرسخا

اما الروم فلما بلغهم خبر اسر الملك دومانوس وثب ميخائيل السابع على المملكة فلك البلاد. فلما وصل دومانوس الى قلعة دوقية وبلغ الخبر لبس الصوف واظهر الزهد وارسل الى ميخائيل بما تقرر بينه وبين السلطان الب ارسلان وجمع دومانوس ماعنده فبلغ مائتى الف دينار فارسل بها الى السلطان وحلف له انه لا يقدر على غير ذلك

قتل السلطان الب ارسلان سنة (٤٦٥) قتله محافظ قلعة من قلاعه يوسف الخوارزمى وكان قد امر ان تشد اطرافه الى اربعة اوتاد . فشتم السلطان فامر السلطان بتركه ليقتله بالنشاب فرماه بيده فاخطاه فوثب على السلطان وبرك عليه وطعنه بخنجر

توفى الب ارسلان بعد ان اوصى بالملك لابنه ملكشاه فسار سيرة ابيه فى الغزو حتى وصل الى الرى

ولما سمع قاروت بك اخو الب ارسلان بموته سار الى الرى قاصداً الاستيلاء على ممالكه . فكان ملك شاه قد سبقه اليها فتقاتلا فانهزم قاروت بك

ثم سار ملك شاه الى ترمذ وملكها ثم سار الى سمرقند فصالحه صاحبها فعاد الى خراسان ومنها الى الرى واقطع بلخ وطخارستان لاخيه شهاب الدين تكش

توفى الخليفة القائم وعمره ست وسبعون سنة وثلاثة اشهر

فكانت خلافته اربعا واربعين سنة وتسعة اشهر

(المقتدى بأمر الله) من سنة ٤٦٧ الى سنة ٤٨٧

هو ابو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بامر الله

فى سنة ٤٦٨ ارسل تاج الدولة تتش ابن الب ارسلان احد قواده الى دمشق ففتحها وخطب فيها للمقتدى

وفى سنة ٤٧٢ سار ملك شاه الى كرمان وكان عليها سلطان شاه بن قاروت فخرج لاستقبال ابن عمه ومعه الهدايا فأقره على ملكه

وفى سنة ٤٨٤ زفت ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة بعد ان اشترط عليه شروطا قبلها . منها ان لا يكون له زوجة ولا سرية غيرها

فى سنة ٤٨٥ مات السلطان ملك

شاه وخلفه ابنه محمود وعمره اربع سنين وخطب له على المنابر ولقب ناصر الدنيا والدين .وسارت والدته وهى تركان خاتون من بغداد الى اصفهان وبها بركيارق وهو أكبر أولاد ملك شاه من غيرها فخرج منها الى الرى فسيرت تركان خاتون الجيوش لقتاله فانحاز اليه جماعة منهم فعاد بهم الى اصفهان وحاصرها

ثم قدم بركيارق بغداد وملكها وخطب له بها ولقب ركن الدولة

توفى المقتدر فجأة وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة وثمانية أشهر

(المستظهر بالله بن المقتدر) من سنة ٤٨٧ الى ٥١٣

فى هذه السنة شبت الحرب بين السلطان بركيارق أمير الامراء وبين عمه تتش والسبب فى ذلك ان تتش بن الب ارسلان طمع فى ملك اخيه ملك شاه لما مات فاستولى على هيت والموصل وديار بكر وأذربيجان

فلما بلغ السلطان بركيارق الخبر وكان بنصيبين عبر نهر الدجلة ولم يكن معه الا الف فارس وتلاقيا فانهزم بركيارق الى اصبهان وكانت لاخيه محمود فمنعه من الدخول ثم صرح له بالدخول ليقتله . ولكن السلطان محمودا مرض ومات فملك أهل اصبهان عليهم بركيارق فكاتب الامراء العراقيين والخراسانيين فاستمالهم فسار بركيارق الى عمه تتش بنحو ثلاثين الف مقاتل فانهزمت جنود تتش وثبت هو حتى قتل

فى سنة (٤٩٠) جهز السلطان بركيارق الجنود وأرسلها لقتال عمه ارسلان ارغون فى خراسان فاتفق ان بعض غلمانه قتله فسار بركيارق الى نيسابور فملكها وكذلك باقى البلاد الخراسانية بلاقتال . فأقر السلطان أخاه الملك سنجر عليها

وفى سنة ٤٩١ وصلت جموع الصليبيين الى بلاد المسلمين وملكوا بعضاً منها كما تراه فى كلمة صليبيين

فى سنة ٤٩٣ جرت حرب بين السلطان بركيارق وبين أخيه السلطان محمد انهزم فيها الاول وتنقل فى البلاد الى اصفهان وسار الى خوزستان وخطب للسلطان محمد فى بغداد

وفى سنة ٤٩٤ حصلت وقعة أخرى بين بركيارق وأخيه السلطان محمد فانهزم الاخير الى خراسان وكانت لاخيه سنجر

فأقام بجرجان

أما السلطان بركيارق فرجع الى بغداد وأعاد الخطبة لنفسه بها ولكن لم يلبث طويلا حتى جاء أخوه السلطان محمد بجيش أمده به أخوه السلطان سنجر فهرب بركيارق من بغداد ودخلها السلطان محمد فأعاد له الخليفة الخطبة

وبعد أن دامت الحرب بين الاخوين مدة هلك بينهما فيها خلق كثير اصطلحا سنة ٤٩٧ واتفق بينهما أن بركيارق لا يعترض أخاه محمدا فى الطبل وأن لا يذكر معه على منابر البلاد التى صارت له وهى ديار بكر والجزيرة والشام

توفى السلطان بركيارق بعد أن عهد لابنه ملك شاه وعمره اربع سنين وثمانية أشهر فأحضر الامراء وأعلمهم بأنه جعل ابنه ولى عهده وجعل الامير اياز اتابكاله (أى مربيا له) فأجابوه كلهم بالسمع والطاعة وخطب للطفل ملكشاه بمساجد بغداد

وفى سنة ٤٩٩ سار السلطان محمد من أذربيجان الى الموصل ليأخذها من جكرميش فأرسل اليه محمد يبذل له الطاعة ودخل اليه وزير السلطان محمد وقال له: المصلحة أن تحضر الساعة الى السلطان فانه لا يخالفك فى كل ما تطلبه منه. فسار معه جكرميش فلما رآه جنوده ذاهباً الى السلطان محمد أخذوا يبكون ويضعون التراب على رؤسهم خوفا عليه. فلما دخل على السلطان محمد أكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال له ارجع الى رعيتك فان قلوبهم عليك. فقبل الارض وعاد وعمل من الغد بساطا بظاهر الموصل عظيما وحمل الى السلطان الهدايا والتحف ولوزيره أشياء ثمينة

وفى سنة ٥١٢ توفى المستظهر بالله وعمره احدى واربعون سنة

(المسترشد بالله بن المستظهر) من سنة ٥١٢ الى ٥٢٩

فى سنة ٥١٣ خرج الملك طغرل على أخيه السلطان محمود والسبب فى ذلك ان الملك طغرل كان قد أقطعه والده زنجان وغيرها. فلما آلت السلطنة الى اخيه محمود خشى أمره فأرسل اليه بهدايا وحسن له المجىء اليه بواسطة الامير كنتغدى فعكس هذا الامير الامر وحسن لطغرل العصيان

فسار اليهما السلطان محمود بمدينة

ميبران فهرب طغرل وكنتغدى الى قلعة سرجهان ولحقها بكنجة فقصدهما أصحابهما فقويت شوكتهما

وفى سنة ٥١٧ وقعت الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين دبيس بن صدقة والسبب فى ذلك ان دبيسا أرسل الى الخليفة يطلب اليه أحد رجاله واسمه البرسقى ويهدده بالقتل ان لم يفعل

فأمر الخليفة المسترشد قائده البرسقى بتجهيز الجنود لقتال دبيس فانهزم هذا الاخير وهرب الى الملك طغرل واحتمى به

فى سنة ٥٢٠ استحكم الخلاف بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان محمود وأمير الامراء والسبب فى ذلك أن السلطان ولى شحنكية بغداد شخصا يدعى برتقش فاختلف مع نواب الخليفة لأسباب فهدده الخليفة بالقتل ان يرجع عن اختلافه مع نوابه فخاف على نفسه وهرب الى السلطان محمود وأقنعه بالمسير لقتال الخليفة وقال له انه قد قوى أمره وصارت له جنود وانه حضر الحرب . فان لم يؤخذ على غرة وفى بداية أمره فربما لم يتمكن من اخضاعه فيما بعد ، وربما طمع فى استرجاع حقوق الخلافة على ما كانت عليه

فسار السلطان محمود بعساكره الى بغداد وجمع الخليفة عساكره ودارت بين الفريقين حروب كاد يظفر فيها الخليفة بخصمه لولا ان بعض قواده انحاز بعساكره الى السلطان محمود . عند ذلك طلب الخليفة الصلح فتم ودفع الخليفة ما طلب منه من الاموال

وفى سنة ٥٢١ أسند السلطان محمود شحنكية بغداد الي اتابك عماد الدين زنكى بن أقسنقر

وفى سنة ٥٢٥ توفى السلطان محمود بهمذان وكان عمره نحو سبع وعشرين سنة وكان حليما كريما عاقلا يعفو عند المقدره

ملك بعده ابنه داود . وفى سنة ٥٢٦ كاتب السلطان سنجر عماد الدين زنكى ودبيس بن صدقة وأمرهم بقصد العراق فساروا ونزلوا بالمناربة من دجيل وعبر الخليفة المسترشد بالله الى الجانب الغربى فنزل بالعباسية والتقى العسكران بحصن البرامكة فابتدأ برنكى فحمل على ميمنة الخليفة وعليها جمال الدين اقبال فانهزمت وحمل نصر الخادم من ميسرة

الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس وعماد الدين

وفى سنة ٥٢٧ أرسل المسترشد بهاء الدين أبا الفتح الاسفرائنى الواعظ الى عماد الدين زنكى برسالة فيها خشونة وزادها أبو الفتح ثقة بقوة الخليفه وناموس الخلافة. فقبض عليه زنكى وأهانه. فلما بلغ الخليفة ذلك سار بثلاثين الف مقاتل فلما قارب الموصل تركها أتابك زنكى فى بعض عسكره وترك الباقى فضيق الخليفة عليها الحصار ولم يظفر بها فرجع عنها ثم الصلح بين الخليفة وأتابك زنكى سنة ٥٢٨

وفى سنة ٥٢٩ سار الخليفة المسترشد لقتال السلطان مسعود فقابلهم مسعود فانحازت ميسرة الخليفة الى السلطان واقتتلت ميمنة وميسرة الخليفة قتالا ضعيفا ودار بهما عسكر السلطان فانهزمتا وثبت الخليفة فأخذ أسيرا فأنزله السلطان الى خيمة ووكل به من يخدمه ويقوم له بالواجب ثم أخذ يراسله فى الصلح حتى تم على أن يدفع الخليفة مبلغا من المال وأن لا يعود بعدها لجمع العساكر وأن لا يخرج من داره ثم أركب الخليفة وحمل الغاشية بين يديه ولم يبق الا أن يعود الى بغداد فوصل الخبر بقدوم رسول من السلطان سنجر وخرج الناس والسلطان محمود للقائه وفارق الخليفة بعض من كان موكلا به وكانت خيمته منفردة عن العسكر فقصده أربعة وعشرون رجلا من الباطنية ودخلوا عليه فقتلوه بعد أن جرحوه جراحات عديدة ومثلوا به وجدعوا أنفه وأذنيه وتركوه عريانا وكان عمره ثلاثا وأربعين سنة

(الراشد بالله بن المسترشد) من سنة ٥٢٩ الى ٥٣٠

فى سنة ٥٢٩ قتل دبيس بن صدقة بظاهر جونج وكان السلطان محمود أمر غلاما أرمنيا بقتله

وفى سنة ٥٣٠ اجتمع الملوك وأصحاب الاطراف ببغداد وخرجوا عن طاعة السلطان مسعود وسار الملك داود بن محمود فى عسكر أذربيجان الى بغداد ووصل أتابك عماد الدين زنكى بعده من الموصل وخطب للملك داود ببغداد

فلما بلغ السلطان مسعود الخبر سار الى بغداد وحاصرها فلما لم يظفر بها عزم

على العود الى همذان فوصله طرنطاى صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد اليها فاختلفت كلة الامراء المجتمعين ببغداد فعاد الملك داود الى بلاده وتفرق الامراء وكان عماد الدين زنكى بالجانب الغربى فعبر اليه الخليفة الراشد وسار معه الى الموصل فى نفر يسير من أصحابه ودخل السلطان مسعود الى بغداد واستقر بها وجمع القضاة والشهود وعرض عليهم اليمين التى حلف بها الراشد له وفيها بخط يده هذه الجملة : «انى متى جندت أوخرجت أولقيت أحداً من اصحاب السلطان مسعود بالسيف فقد خلعت نفسى من الامر»

فأفتى العلماء بخلعه وقطع خطبته من بغداد وسائر البلاد

(المقتفى لامر الله بن المستظهر) من سنة ٥٣٠ الى ٥٥٥

لما قطعت الخطبة للراشد بالله أستشار السلطان الامراء والاعيان فيمن يصلح للخلافة . فقال الوزير يصلح لها احد عمومة الراشد ولكنى لاأفصح عن اسمه لئلا يقتل

فتقدم السلطان بعمل محضر فى خلع الراشد ذكروا فيه ماارتكبه من أخذ أموال وأشياء تقدح فى الامامة ثم حرروا استفتاء قالوا فيه . ما تقول العلماء فيمن هذه صفته هل يصلح للامامة أم لا ؟

فأفتوا ان من هذه صفته لا يصلح للامامة : ثم إن السلطان احضر القاضى أبا طاهر الكرخى فشهدوا عنده بذلك فحكموا بخلعه

ثم اقترح الوزير تولية ابى عبد الله الحسين بن المستظهر ، فأحضر وأجلس فى اليمين ودخل السلطان والوزير وتحالفوا على شروط قد اقترحوها . خرج السلطان وأحضر الامراء والعلماء وبايعوه سنة ٥٣١

وفى سنة ٥٣٢ وقعت الحرب بين السلطان مسعود وبين الملك داود فغلب السلطان خصمه وتفرق عسكره للنهب فأعاد الملك داود عليه الكرة فقهره فقصد السلطان مسعود أذربيجان وقصد الملك داود همذان

وفى سنة ٥٣٣ ملك أتابك زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل وبعلبك

وفي سنة ٥٤٧ توفى السلطان مسعود ابن ملكشاه بهمذان فعهد بالملك لابن أخيه ملكشاه فخطب له الامير خاصبك ورتب له الامور . ثم قبض عليه وأرسل

الى أخيه الملك بخوزستان يستدعيه ليملك مكانه وكان قصده أن يحضر اليه ليقبض عليه ويخطب لنفسه . فسار اليه محمد فأجلسه على السرير وخطب له

ثم شعر محمد بخيت نية خاصبك فقتله ومعه زنكي الجاندار ورمى برأسيهما فبقيا حتى أكلتهما الكلاب واستتب الامر لمحمد

وفي سنة ٥٥٤ توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد ملكشا وملك بعده عمه سليمان شاه بن محمد

وفي السنة التالية توفي الخليفة المقتفي لأمر الله وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وعمره ستاً وستين سنة وهو أول من استبدل بالعراق منفرداً عن سلطان يحكمه وينفذ حكمه على جيشه من منذ تحكم المماليك على الخلفاء

(المستنجد بالله بن المقتفي) من سنة ٥٥٥ الى ٥٦٦

لما اشتد المرض على المقتفي أرادت احدى حظاياه وهي ام ولده أبي علي أن تكون الخلافة لابنها دون ولي العهد يوسف ابن المقتفي فأوعزت الى بعض الجوارى أن يقتلن ولي العهد اذا دخل على والده وأعدت لهن السكاكين لهذا الغرض ، وكان ليوسف خصي صغير يتعرف له الاخبار فرأى الجوارى بأيديهن السكاكين فأخبر سيده . فاستدعى يوسف أستاذ الدار وأخذه معه واستصحب عدداً من الخدم ولبس درعه ودخل الدار وهو شاهر سيفه فقابلته الجوارى بالسكاكين فضرب واحدة فجرحها وضرب أخرى ثم صاح بأستاذ الدار فدخل هو والخدم فهرب الجوارى . ثم أخذ أخاه أبا علي وأمه فسجنهما وقتل بعض الجوارى وأغرق بعضاً

ولما مات أبوه تولى الخلافة ولقب المستنجد

في سنة ٥٥٦ قتل السلطان سليمان شاه لتهوره ولهوه فتولى بعده ارسلان شاه ابن طغرل بن محمد ملكشاه فخطب له على منابر بغداد

وفي سنة ٥٦٦ توفي المستنجد بالله وعمره ست وخمسون سنة وكان من أحسن الخلفاء سيرة

وكان سبب موته انه كتب الى وزيره مع طبيبه يأمره بالقبض على أستاذ الدار وقطب الدين قايماز وصلبهما وكان قد اشتد

مرضه فاجتمع الطبيب بهما وأطلعها على الامر . فقالا له : عداليه وقل له : انى أوصلت الخطالى الوزير. ففعل. ثم دخل الرجلان على المستنجد ومعهما رجالهما فحملوه وهو يستغيث الى الحمام وألقوه وأغلقوا الباب عليه وهو يصيح الى ان مات

(المستضىء بأمر الله بن المستنجد)

من سنة ٥٦٦ الى ٥٧٥

كان سنة ٥٦٥ قد مات قطب الدين مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل . وكان قد اوصى بالملك لابنه الاكبر عماد الدين زنكى . ثم عدل عنه الى ابنه الثانى سيف الدين غازى . وسبب ذلك ان القائم بتدبير الدولة كان خادماً يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين لانه كان طائعاً لعمه نور الدين وكان هذا يبغض فخر الدين . فاتفق فخر الدين وابنه حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى وهى والدة سيف الدين على تولية ابنها المذكور

فقصد عماد الدين عمه نور الدين صاحب دمشق مستنصراً به فلما كانت سنة ٥٦٦ أنجده نور الدين بجيش فملك الرقة ونصيبين والخاربون وسنجار وأتى مدينة بلد وهى فوق الموصل وعبر الدجلة ونزل على حصن نينوى فأرسل فخر الدين عبد المسيح الى نورالدين فى تسليم البلداليه على ان يقر مابيد سيف الدين ويطلب لنفسه الامان فأجابه الى ذلك وشرط على فخر الدين ان يكون معه بالشام ويعطيه اقطاعا مرضية . فتسلم البلدوسلم الموصل الى سيف الدين وسنجار لعماد الدين وعادالى الشام ومعه فخر الدين عبد المسيح

فى سنة ٥٧٥ توفى الخليفة المستضىء وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة

(الناصر لدين الله بن المستضىء)

من سنة ٥٧٥ الى ٦٢٢

في سنة ٥٧٦ مات سيف الدين غازى بن مودودبن زنكى صاحب الموصل وولى بعده عزالدين الموصلى فأعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده معزالدين سنجرشاه وأعطى قلعة شوش لابنه الصغير ناصر الدين كبك وكان المدبر لدولة عز الدين مجاهد الدين قايماز

(الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله) من سنة ٦٢٢ الى ٦٢٣

كان والده قد بايع له بولاية العهد سنة ٥٨٥ ثم نفر منه وخافه على نفسه

فانه كان شديداً قويا عالى الهمة فأسقط اسمه من ولاية العهد وحبسه ومال الى أخيه الصغير الا انه توفى فى حياته

فرجع الناصر فبايع لابنه الظاهر ولما توفى والده أخرجه رجال الدولة من الحبس وبايعوه بالخلافة فأظهر العدل والاحسان وفرق فى الناس أموالا جزيلة

(المستنصر بالله بن الظاهر) من سنة ٦٢٣ الى ٦٤١

بويع له عقب موت أبيه فأظهر من العدل فوق مافعل أبيه. وأفاض الصدقات وعمم أعمال البر وأنشأ المدرسة المستنصرية فكانت من أكمل المدارس بناء وأكفأها معلمين ورتب لها من الطعام مايكفيها وجعل فيها الاطباء والصيادلة لتطبيب الطلبة

الا أنه أخطأ خطأ عظيما فى نقص عدد الجنود طلبا للاقتصاد

وهو الذى أعاد له محمد بن يوسف ابن هود الدعوة العباسية بالاندلس فولاه عليها وذلك سنة ٦٢٩

فى أيام هذا الخليفة استولى التتار على كثير من بلاد المسلمين حتى وصلوا فى بعض غاراتهم الي بغداد ولكن ردهم عساكر الخلافة

(المعتصم بالله بن المستنصر) من سنة ٦٤١ الى ٦٥٦

اشتهر هذا الخليفة بلهوه وقصفه فكان يلعب بالطيور ويلهو بالنساء وكان ضعيف الرأى قليل الحزم كثير الغفلة وكان كثيراً ماينبه الى استفحال أمر التتار ويستحث على مايجب عليه أخذه من الأهبة لاستخلاص البلاد من أيديهم واتقاء ماعسى أن يصيب الخلافة منهم فكان يقول . أنا يكفينى بغداد وهم لا يستكثرونها على اذا تنازلت لهم عن باقى البلاد ولايهجمون على وأنا بها وهى بيتى ودار مقامى

ترك الامور تجرى على مايشاء أعداؤه فكانت البلاد تقع الواحدة بعد الاخرى فى يد التتار أى (المغول) فينهبونها ويدمرونها ويسبون نساءها وأطفالها وهو لاه بنفسه لايحرك ساكنا

فبعد أن ملك المغول الرى واصبهان وهمذان وأكثر بلاد العراق تقدموا فى سنة ٦٥٥ قاصدين مدينة بغداد . وهم تحت قيادة هولاكو بن الفاتح الاشهر جانكيزخان

فلما بلغ الخليفة ما قصده هولاكو من الاستيلاء على دار الخلافة جمع خواصه وتشاوروا فى الأمر فأشار عليه الوزير أن يبذل الاموال والهدايا والتحف لهولاكو وخواصه ليكون ذلك مقدمة للصلح معهم على أمر لائق

فقال الدويدار الصغير لأصحابه ان الوزير انما يدبر شأن نفسه مع التتار وهو يروم تسليمنا اليهم فلا نمكنه من ذلك

فامتنع الخليفة لهذا السبب من العمل بمشورة الوزير وأرسل لهولاكو أشياء لا قيمة لها فغضب وعزم على الاسراع الى بغداد

وفى هذه الاثناء حدثت فتنة في بغداد بين السنية والشيعة وكان الوزير شيعيا فأمر الخليفة بنهب دور الشيعة فنهبت ولم تراع ذمة الوزير فشق ذلك عليه وارسل الى هولاكو يهون عليه أمر بغداد

فلما كانت ٦٥٦ نزل هولاكو بجميع التتار على بغداد وحاصرها ورماها بالمجانيق والنفط فلما رأى الخليفة فى نفسه العجز عن المقاومة ارسل وزيره ابن العلقمى الى هولاكو لطلب الصلح فاستأمن لنفسه وأخذ امانا للمستعصم منه أن يبقى على خلافته

فخرج المستعصم لمقابلة هولاكو ومعه الفقهاء والاعيان فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معه ثم قتل المستعصم ضربا بالعمد ووطىء بالاقدام جثته

وركب الى بغداد فاستباحها أياما وخرج النساء والصبيان على رؤسهم المصاحف والالواح فداستهم العساكر المغولية فماتوا جميعا

قيل انه قتل فى هذه الحادثة من المسلمين نحو مليون ونصف وهو غلو عظيم الا انه يدل على عظم المجزرة التى أمر بها هولاكو

وقد نهبت جنود المغول دور الخلفاء والامراء وألقوا كتب العلم فى نهر دجلة ومروا عليها بالخيول فذهبت نفائس الكتب وذخائر القرائح كأنها لم تكن

فكانت مدة الخلافة العباسية خمسمائة واربعا وعشرين سنة حكم فى اثنائها سبعة وثلاثون خليفة

عَبْس بنو عبس هى قبيلة عربية (انظر عرب)

عَبِق الطيب يعبَق عبقا انتشرت رائحته

العَبْقَرى الكامل من كل

شيء . والسيد والذى ليس فوقه شيء

(العَبل) الضخم. (العَبلة) الضخمة

(العَبْهر) الممتلىء الجسم والنرجس والياسمين

(العَباهلة) الملوك الثابتون في ملكهم

(عَتب) عليه يعتُب ويعتِب عتباً غضب عليه

(عاتبه) لامه

(أعتبه) اعطاه العُتْبَى اى الرضى

(استعتبه) طلب اليه واعطاه العُتبى

(العَتَب) الامر الكريه والفساد

(العتبي) هو ابو عبد الرحمن محمد ابن عبد الله بن عمر بن معاوية بن عمر ابن عتبة بن أبي سفيان القرشي الاموى المعروف بالعتبي الشاعر البصرى المشهور

كان اديبا فاضلا شاعراً مجيدا وكان راوية لأخبار العرب وايامها له شعر جيد في رثاء بنيه

روى العلم عن ابيه وسفيان بن عيينة ولوط بن مخنف . روى عنه ابو حاتم السجستاني وابو الفضل الرياشي واسحق ابن محمد النخعي وغيرهم

قدم بغداد وحدث بها وأخذ عنه اهلها

كان العتبي وابوه سيدين اديبين فصيحين وله من التصانيف كتاب الخيل وكتاب اشعار الاعاريب وأشعار النساء اللاتى احببن ثم ابغضن وكتاب الذبيح وكتاب الاخلاق وغير ذلك

قال العتبي المذكور سمعت اعرابيا يقول لرجل أن فلانا وان ضحك لك فان عقاربه تسرى اليك فان لم تجعله عدواً في علانيتك فلا تجعله صديقاً في سريرتك

ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف وابن المنجم في كتاب البارع وروى له قوله :

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى
فأعرض عنى بالخدود النواضر
وكن متى ابصرننى او سمعن بى
سعين فرقعن اللوى بالمحاجر
فان عطفت عنى اعنة اعين
نظرن بأحداق المها والجآذر
وانى من قوم كريم ثناؤهم
لاقدامهم صيغت رؤس المنابر

خلائف فى الاسلام فى الشرك قادة
بهم وابهم فخر كل مفاخر
ومن شعره أيضاً :
لما رأتنى سلمى قاصرا بصرى
عنها وفى الطرف عن امثالها زور
قالت عددتك مجنوناً فقلت لها
ان الشباب جنون برؤه الكبر
وذكر له المبرد فى الكامل بيتين يرثى بهما أولاده وهما :
أضحت بخدى للدموع رسوم
أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها
الا عليك فانه مذموم
شعر العتبى جيد وهو يعتبر من فحول شعراء المحدثين
توفى سنة (٢٢٨)

عَتَدَ الشىء يعتُد عَتَادة وعَتَاداً تهيأ
(عتّد الشىء وأعتَدَه) هيأه
(العَتيد) الحاضر

العِترة ولد الرجل وقيل رهطه وعشيرته الادنون

عَترسه أخذه بالشدة
(العِتريس) الجبار والغضبان

عتُق الشىء يعتُق عَتاقة قدم فهو عتيق
(عتَقت البنت) تعتِق عَتقا صارت عاتقا و (العاتق) الجارية اول بلوغها
(عتَق الرقيق) يعتِق عِتقا خرج عن الرق
(أعتق العبد) أخرجه عن الرق
(العِتاق) من الخيل النجائب مفرده عَتيق
(العتيق) القديم والكريم

العتق اتفق الائمة ان العتق من أعظم القربات المندوب اليها وقد جعلها الشارع من بعض الكفارات عن الذنوب تيسيراً للعتق

العاتك الكريم والخالص من كل شىء
(العاتكة) المرأة التى تكثر الطيب

العَتَكى هو الحسن السكرى جامع ديوان الشعراء الهذليين. توفى سنة (٢٥٧) ه

عتَله يعتُله عتلا أخذه بمجامعه وجذبه بعنف
(العَتَلة) حديدة كالعصا لها رأس مفلطح يهدم بها

﴿العَتَمة﴾ ثلث الليل الاول . وقيل وقت صلاة العشاء

﴿عته﴾ عِتَه عتَها قص عقله

(عُتِه الرجل) نقص عقله
(تعتّه فلان) تجنن
(العتاهية) الاحمق

﴿ابو العتاهية﴾ هو ابو اسحق اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزى بالولاء العينى المعروف بأبى العتاهية الشاعر المشهور

ولد بعين التمر وهى قرية بالحجاز قرب المدينة وقيل انها من أعمال سقى الفرات وقيل انها قرب الانبار ونشأ بالكوفة وسكن بغداد وكان مبدأ أمره يبيع الجرار فقيل له الجرار واشتهر بمحبة عتبة جارية أمير المؤمنين المهدى وأكثر نسيبه فيها فمن ذلك قوله :

أعلمت عتبة أننى
منها على شرف مطل
وشكوت ما ألقى اليـ
ـها والمدامع تستهل
حتى اذا برمت بها
أشكو كما يشكو الأقل

قالت فأى الناس يه
لم ما تقول فقلت كل

وكتب يوما الى أمير المؤمنين المهدى وعرض بطلبها منه :

نفسى بشىء من الدنيا معلقة
الله والقائم المهدى يكفيها
انى لأيأس منها ثم يطعمنى
فيها احتقارك للدنيا وما فيها

قال ابو العباس المبرد فى كتاب الكامل ان ابا العتاهية كان قد استأذن فى ان يطلق له أن يهدى الى أمير المؤمنين فى النيروز والمهرجان . فأهدى له فى أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مطيب قد كتب على حواشيه هذين البيتين المتقدم ذكرهما . فهم بدفع عتبة اليه . فجزعت وقالت يا أمير المؤمنين حرمتى وخدمتى أتدفعني الى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومتكسب بالشعر فأعفاها وقال له املأوا له البرنية مالا . فقال للكتاب أمر لى بدنانير فقالوا له لا ندفع لك الا دراهم الى أن يفصح بما اراد . فاختلف فى ذلك هؤلاء فقالت عتبة لو كان عاشقاً كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول فى التمييز بين الدراهم والدنانير وقد اعرض عن ذكرى صفحا

ومن شعره فى المديح :

انى أمنت من الزمان وصرفه
لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله
تخذوا له حر الخدود نعالا
ان المطايا تشتكيك لأنها
قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن خفائفا
واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

مدح بهذه الابيات عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين الفا وخلع عليه حتى لم يقدر أن يقوم . فغار الشعراء منه فجمعهم ثم قال . يا معشر الشعراء عجبا لكم ماأشد حسدكم بعضكم بعضا ان أحدكم يأتينا ليمدح بقصيدة يشبب بصديقته بخمسين بيتاً فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره . وقد أتانا أبو العتاهية فشبب بأبيات يسيرة ثم قال وأنشد الابيات المذكورة فما لكم منه تغارون؟

وكان أبو العتاهية لما مدحه بتلك الأبيات تأخر عنه بره قليلا فكتب اليه يستبطئه :

أصابت علينا جودك العين ياعمرو
فنحن لها نبغى التمائم والنشر
سنرقيك بالاشعار حتى تملها
وان لم تفق منها رقيناك بالسور

قال أشجع السلمى الشاعر المشهور أذن الخليفة المهدى للناس فى الدخول عليه فدخلنا فأمر بالجلوس فاتفق أن جلس بجنبى بشار بن برد وسكت المهدى فسكت الناس . فسمع بشار حساً فقال لى من هذا فقلت أبو العتاهية . قال فأمره المهدى أن ينشد فأنشد :

ألا ما لسيدتى ما لها
أدلت فأحمل ادلالها

قال فنخسنى بشار بمرفقه وقال ويحك أرأيت أجسر من هذا ؟ ينشد مثل هذا الشعر فى هذا الموضع ؟ حتى بلغ الى قوله :

أتته الخلافة منقادة
اليه تجرجر أذيالها
فلم تك تصلح الا له
ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره
لزلزلت الارض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلوب
لما قبل الله أعمالها

فقال لى بشار انظر ويحك يا أشجع هل طار الخليفة عن فرشه ؟؟ قال أشجع

فو الله ماانصرف أحد عن ذلك المجلس بجائزة غير أبى العتاهية

لأبى العتاهية فى الزهد أشعار كثيرة من الطبقة العليا وهو يعد من طبقة المولدين فى درجة بشار بن برد وأبى نواس وتلك الطائفة وشعره كثير

يحكى انه لقى أبا نواس يوما فقال له كم تعمل فى يومك من الشعر ؟ فقال له البيت والبيتين . فقال له أبو العتاهية لكننى أعمل المائة والمائتين فى اليوم . فقال له أبو نواس لانك تعمل مثل قولك

ياعتب مالى ولك
ياليتنى لم أرك

ولو أردت مثل هذا الالف والالفين لقدرت عليه وأنا أعمل مثل قولى

ثم أنشد بيتا فيه مجون كبير . ثم قال له ولو اردت مثل هذا لأعجزك الدهر

من ألطف شعر أبى العتاهية قوله :

ولقد صبوت اليك حتى
صار من فرط التصابى
يجد الجليس اذا دنا
ريح التصابى فى ثيابى

ومن شعره فى عتبة جارية المهدى :

ياإخوتى ان الهوى قاتلى
فنشروا الاكفان من عاجل
ولا تلوموا فى اتباع الهوى
فاننى فى شغل شاغل

ويقول فيها أيضا :

عينى على عتبة منهلة
بدمعها المنسكب السائل
يامن رأى قبلى قتيلا بكى
من شدة الوجد على القاتل
بسطت كفى نحوكم سائلا
ماذا تردون على السائل
ان لم تنيلوه فقولوا له
قولا جميلا بدل النائل
أو كنتم العام على عسرة
منه فمنوه الى القابل

وحكى صاعد اللغوى فى كتاب الفصوص ان أبا العتاهية زار يوما بشار ابن برد فقال له أبو العتاهية انى لأستحسن قولك اعتذارا من البكاء اذ تقول :

كم من صديق لى اسا
رقه البكاء من الحياء
واذا تفطن لامنى
فأقول مابى من بكاء

لكن ذهبت لارتدى
فطرفت عينى بالرداء
فقال له ايها الشيخ ماغرفته الا من بحراك، ولانحته الا من قدحك، وأنت السابق حيث تقول:
وقالوا قد بكيت فقلت كلا
وهل يبكى من الجزع الجليد
ولكن قد أصاب سواد عينى
عويد قذى له طرف جديد
فقالوا ما لدمعهما سواء
أكلتا مقلتيك أصاب عود
قال صاعد وتقدمهما الى هذا المعنى الحطيئة حيث يقول:
اذا ما العين فاض الدمع منها
اقول بها قذى وهو البكاء
وكان أبو العتاهية ترك قول الشعر فحكى قال: لما امتنعت من قوله أمر المهدى بحبسى فى سجن الجرائم فلما دخلته دهشت ورأيت منظراهالنى فطلبت موضعا آوى فيه فاذا أنا بكهل حسن البزة والوجه عليه سيما الخير فقصدته وجلست على غير سلام عليه، لما انا فيه من الجزع والحيرة والفكر. فمكثت كذلك مليا واذا الرجل ينشد:
تعودت مس الضر حتى ألفته
وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر
وصيرنى يأسى من الناس واثقا
بحسن صنيع الله من حيث لاأدرى
قال أبو العتاهية فاستحسنت البيتين وتبركت بهما وثاب الى عقلى فقلت له تفضل أعزك الله على باعادتهما. فقال يااسماعيل ويحك ماأسوأ أدبك، وأقل عقلك ومروءتك. دخلت فلم تسلم على تسليم المسلم على المسلم، ولاسألتنى مسألة الوارد على المقيم، حتى سمعت منى بيتين من الشعر الذى لم يجعل الله تعالى فيك خيراً ولا أدبا ولا معاشا غيره طفقت تستنشدنى مبتدئا كأن بيننا أنسا وسالف مودة توجب بسط القبض، ولم تذكر ما كان منك، ولا اعتذرت عما بدا من اساءة أدبك؟
فقلت اعذرنى متفضلا فدون ما أنا فيه مدهش
قال وفيم أنت؟ تركت الشعر الذى هو جاهك عندهم، وسببك اليهم، ولابد أن تقوله فتطلق. وأنا بدعى الساعة بى فأدعى بعيسى بن زيد بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان دللت عليه لقيت الله

تعالى بدمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمي فيه والا قتلت فأنا أولى بالحيرة منك، وها أنت ترى صبري واحتسابي

فقلت يكفيك الله عز وجل. وخجلت منه

فقال لا أجمع عليك التوبيخ والمنع اسمع البيتين : ثم أعادهما على مرارا حتى حفظتهما . ثم دعا بي وبه فقلت له : من أنت أعزك الله عز وجل ؟ قال أنا حاضر صاحب عيسى بن زيد

فأدخلنا على المهدي فلما وقفنا بين يديه

قال للرجل ابن عيسى بن زيد ؟

قال ومايدريني ابن عيسى بن زيد؟ تطلبته فهرب منك في البلاد ، وحبستني فين أين أقف لك على خبر ؟

قال له متى كان متواريا وأين آخر عهدك به وعند من لقيته ؟

قال مالقيته منذ توارى ولاعرفت له خبراً

فقال والله لتدلن عليه أو لأضربن عنقك الساعة

فقال اصنع مابدالك ، فوالله لاأدلك على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان بين ثوبي وجلدي ما لك عنه

قال المهدي اضربوا عنقه. فضرب عنقه .

ثم دعا بي فقال أتقول الشعر أوألحقك به ؟

قلت بل أقول

قال أطلقوه ، فأطلقت

حدث الانباري أبو بكر قال : أرسلت زبيدة ام الأمين الى أبي العتاهية ان يقول على لسانها أبياتا بعد قتل الامين يستعطف بها المأمون فأرسل اليها هذه الابيات :

آلان صرف الدهر يدني ويبعد ... ويمتع بالآلاف طوراً ويفقد
أصاب بريب الدهر مني يدي يدي ... فسلمت للاقدار والله أحمد
وقلت لريب الدهر ان هلكت يد ... فقد بقيت والحمد لله لي يد
اذا بقي المأمون لي فالرشيد لي ... ولي جعفر لم يفتقد ومحمد

فلما قرأها المأمون استحسنها وسأل عن قائلها فقيل له ابو العتاهية فأمر له بعشرة آلاف درهم وعطف على زبيدة وزاد في تكرمتها وقضى حوائجها جميعا

قال ثمامة أنشدنى أبو العتاهية :

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه
تملكه المال الذى هو مالكه
الا انما مالى الذى أنا منفق
وليس لى المال الذى أنا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذى
يحق والا استهلكته مهالكه

فقلت له من أين قضيت بهذا ؟ قال من قوله صلى الله عليه وسلم : انما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو أعطيت فأمضيت . فقلت أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه الحق ؟ قال نعم. قلت فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة فى دارك لاتأكل منها ولاتشرب ولا تزكى ولا تقدمها ذخراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ قال ياأبامعن والله ان ماقلت لحق ولكنى أخاف الفقر والحاجة الى الناس . قلت وما يزيد حال من افتقر على حالك وانت دائم الحزن لا تأكل ولا تشرب منها، دائم الجمع شحيح على نفسك لاتشترى اللحم الا من عيد الى عيد؟ فترك جواب كلامى كله ثم قال لى والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم

فلما قال لى هذا المسكين أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه أومعاتبته وأمسكت عنه وعلمت أنه لممن يشرح الله صدره للاسلام

وقيل له مالك تبخل بما رزقك الله تعالى ؟ فقال والله ما بخلت بما رزقنى الله قط . قيل له فكيف ذاك وفى بيتك من المال مالا يحصى ؟

قال ليس ذلك رزقى فلو كان رزقى لانفقته

قيل أطبع الناس بالشعر بشار بن برد والسيد الحميرى وأبو العتاهية وما قدر احد قط على جمع شعر هؤلاء الثلاثة بأسره لكثرته

كان أبو العتاهية غزير البحر كثير المعانى لطيفها سهل الالفاظ كثير الافتنان قليل التكلف الا انه كثير الساقط المرذول. وأكثر شعره فى الزهد والامثال وكان قوم من أهل عصره ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث والنشور ويحتجون بأن شعره انما هو فى ذكر الموت والفناء دون النشور والمعاد

حدث الخليل بن اسد النوشجانى قال أتانا ابو العتاهية الى منزلنا فقال زعم الناس انى زنديق والله مادينى الا التوحيد. فقلنا له قل شيئا نتحدث به عنك، فقال :

الا اننا كلنا بائد
واى بنى آدم خالد
وبدأهم كان من ربهم
وكل الى ربه عائد
فياعجبا كيف يعصى الاله
ام كيف يجحده الجاحد
وفى كل شيء له آية
تدل على انه واحد

لأبى العتاهية أرجوزه سماها ذات الامثال وفيها اربعة آلاف مثل فمنها :

حسبك مماتبتغيه القوت
ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا
من اتقى الله رجا وخافا
هى المقادير فلمنى اوفذر
ان كنت اخطأت فما أخطأ القدر
لكل مايؤذى وان قل ألم
ما أطول الليل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله
وخير ذخر المرء حسن فعله
ان الفساد ضده الصلاح
ورب جد جره المزاح
من جعل النمام عينا هلكا
مبلغك الشر كباغيه لكا
ان الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أى مفسدة
يغنيك عن كل قبيح تركه
يرتهن الرأى الاصيل شكه
ما عيش من آفته بقاؤه
نغص عيشا كله فناؤه
يارب من أسخطنا بجهده
قد سرنا الله بغير حمده
ماتطلع الشمس ولا تغيب
الا لأمر شأنه عجيب
لكل شيء قدر وجوهر
وأوسط واصغر واكبر
فكل شيء لاحق بجوهره
أصغره متصل بأكبره
من لك بالمحض وكل ممتزج
وساوس فى الصدر منك تختلج
مازالت الدنيا لنا دار أذى
ممزوجة الصفو بأنواع القذى
الخير والشر بها ازواج
لذا نتاج ولذا نتاج

من لك بالمحض وليس محض
يخبث بعض ويطيب بعض
لكل انسان طبيعتان
خير وشر وهما ضدان
والخير والشر اذا ماعدا
بينهما بون بعيدا جدا
انك لو تستنشق الشحيحا
وجدته انتن شيء ريحا
عجبت حتى ضمني السكوت
صرت كأني حائر مبهوت
كذا قضى الله فكيف أصنع
والصمت ان ضاق الكلام أوسع

يقال ان أبا العتاهية جلس يوما يلوم أبانواس على استماع الغناء ومجالسته لاصحابه، فقال له أبو نواس :

أتراني يا عتاهي
تاركا تلك الملاهي
أتراني مفسداً بال
نسك عند القوم جاهي

فوثب ابو العتاهية وقال لا بارك الله عليك

ومن مدائحه البديعة مامدح به هرون عند عقد الولاية لبنيه الثلاثة الامين و المأمون والمؤتمن منها قوله :

وراع يراعي الليل في حفظ أمة
يدافع عنها الشر غير رقود
بألوية جبريل يقدم أهلها
ورايات نصر حولها وبنود
تجافى عن الدنيا فأيقن أنها
مفارقة ليست بدار خلود
وشد عرى الاسلام منه بفتية
ثلاثة أملاك ولاة عهود
هم خير أولاد هم خير والد
له خير آباء مضت وجدود
بنو المصطفى هرون حول سريره
فخير قيام حوله وقعود
تقلب الحاظ المهابة بينهم
عيون ظباء في قلوب اسود
جدودهم شمس أتت في أهلة
تبدت لراء في نجوم سعود

وقال يمدح الرشيد :

وهرون ماء المزن يشفي من الصدى
اذا ما الصدى بالريق غصت حناجره
واوسط بيت في قريش لبيته
وأول عز في قريش وآخره
وزحف له تحكي البروق سيوفه
وتحكي الرعود القاصفات حوافره

اذا حميت شمس النهار تضاحكت
الى الشمس فيه بيضه ومغافره
اذا نكب الاسلام يوما بنكبة
فهرون من بين البرية ناصره
ومن ذا يعود الموت والموت مدرك
لذا لم يفت هرون ضد ينافره
وقال يمدح الفضل بن الربيع :
اذا ما كنت متخذا خليلا
فمثل الفضل فاتخذ الخليلا
يرى الشكر القليل له عظيما
ويعطى من مواهبه الجزيلا
اراني حيثما يممت طرفي
وجدت على مكارمه دليلا
وقال يمدح المهدى:
انت المقابل ي المدا
برفى المناسب والعديد
بين العمومة والخؤو
لة والابوة والجدود
فاذا انتميت الى ابي
ك فأنت فى المجد المشيد
واذا انتمى خال فما
خال بأكرم من يزيد
يريد يزيد بن منصور وكانت ام
المهدى ام موسى بنت منصور الحيرى

وقال يمدح يزيد بن مزيد الشيبانى
أحد قواد الرشيد :
كأنك عند الكر فى الحرب انما
تفر من الصف الذى من ورائكا
فما آفة الابطال غيرك فى الوغى
وما آفة الآمال غير حبائكا
وقال يمدح عمرو بن العلاء:
رضيت ببعض الظلم خوف جميعه
وليس لمثلى بالملوك يدان
وكنت امرأ أخشى العقاب وأتقى
مغبة ماتجنى يدى ولسانى
ولو اننى عاتبت صاحب قدرة
لعرضت نفسى صولة الحدثان
فهل من شفيع منك بضمن توبتى
فانى امرؤ أوفى بكل ضمان
وقال يمدح هرون الرشيد:
يامن تبغى زمنا صالحا
صلاح هرون صلاح الزمن
كل لسان هو فى ملكه
بالشكر من احسانه مرتهن
ولد ابو العتاهية سنة (١٣٠) وتوفى
سنة (٢١٣) وقيل (٢٢٣)
يقال انه لما حضرته الوفاة قال
أشتهي أن يجيء مخارق المغني ويغني عند

رأسي
اذاما انقضت عنا من الدهر مدتي
فان عزاء البا كيات كثير
سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتي
ويحدث بعدي للخليل خليل
وأوصى أن يكتب على قبره هذا البيت :
ان عيشاً يكون آخره الموت
لعيش معجل التنغيص
﴿عتا﴾ الرجل يعتو عتوا وعتيا وعِتيا استكبر
(العَتِيّ) العاتي
﴿عثر﴾ بعثر عثرا وعثورا زل وكبا
(عثّره وأعثره) جعله يعثر
(تعثر) عثر
(العاثور) المهلكة وما يعثر به جمعها عواثير
(العِثْيَر) التراب
(العُثمان) فرخ الحبارى وفرخ الثعبان
﴿عثمان بن عفان﴾ هو ثالث الخلفاء الراشدين بعد النبي صلى الله عليه وسلم
هو عثمان بن عفان بن ابى العاص ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصى القرشي الاموي يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف
كنيته أبو عبد الله وأبو عمرو وأشهرهما الثانية
ولد في السنة السادسة بعد عام الفيل أمه اروى بنت كريمة بنت ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مناف . وأمها البيضاء بنت حكيم بن عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان عثمان قبل أن يسلم تاجر بز وكان غنيا كريما محببا من قومه لكرم اخلاقه ومحترما لديهم حتى قيل ان المرأة كانت ترقص صبيها وهي تقول :
أحبك والرحمن
حب قريش عثمان
فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى جماعة في مقدمتهم أبو بكر دعاهم الى الاسلام فأسلم فأحبه النبي صلى الله عليه وسلم وجعله موضع ثقته ثم زوجه ابنته رقية فماتت في السنة الثانية من الهجرة فزوجه بابنته الاخرى ام كلثوم ولذا سمي ذا النورين ثم توفيت ام كلثوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان لنا ثالثة لزوجناك
وروى انه لما أسلم أخذه عمه الحكم

ابن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطا وقال له : ترغب عن ملة آبائك الى دين محدث والله لا أدعك أبداً حتى تدع ما انت عليه فقال عثمان والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه. فلما رأى الحكم صلابته فى دينه تركه

ولما اشتدت قريش فى اضطهاد المسلمين هاجر الى الحبشة مع رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أول من هاجر ثم هاجر الهجرة الثانية الى المدينة

بذل عثمان فى نصرة الاسلام نفسه وماله وجاهه حتى انه حمل فى تجهيز جيش العسرة ألف بعير وخمسين فرسا وكان هذا الجيش متوجها الى تبوك

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها ويقول ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم

ثم اشترى بئر دومة بعشرين الف درهم فجعلها للمسلمين يستقون منها

لما حضرت عمر الوفاة اوصى ان يجتمع الستة الرجال الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأن ينتخبوا واحدا منهم، وهم على وعثمان وعبد الرحمن ابن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وشرط أن يكون معهم ابنه عبد الله وليس له شيء غير الشورى

فاجتمعوا وتناجوا ثم ارتفعت اصواتهم فقال عبد الله بن عمر : سبحان الله ان أمير المؤمنين لم يمت بعد

فسمعها عمر فانتبه فقال: الاأعرضوا عن هذا أجمعين فاذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم . ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شيء له من الامر، وطلحة شريككم فى الامر فان قدم فى الايام الثلاثة فأحضروه أمركم . ومن لى بطلحة ؟ فقال سعد بن ابى وقاص أنا لك به ولا يخالف ان شاء الله

فقال عمر ارجو ان لا يخالف ان شاء الله وما أظن أن يلى الا احد هذين الرجلين على وعثمان . فان ولى عثمان فرجل فيه لين وان ولى على ففيه دعابة وأحران يحملهم على طريق الحق . وان تولوا سعداً فأهلها هو ، والا فليستعن به الوالى، فانى لم أعزله عن خيانة ولا ضعف . ونعم ذو الرأى

عبدالرحمن ابن عوف مسدد رشيد له من الله حافظ فاسمعو اليه

وقال لأبي طلحة الانصاري : ياأبا طلحة ان الله عز وجل طالما أعز الاسلام بكم فاختر خمسين رجلا من الانصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم

وقال للمقداد بن الاسود : اذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلا منهم

وقال لصهيب . صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة ان قدم وأحضر عبد الله بن عمر ولاشيء له من الامر وقم على رؤسهم . فان اجتمع خمسة ورضوا رجلا وابى واحد فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسيف . وان اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما عليه الناس

فخرجوا فقال على لقوم كانوا معه من بني هاشم : ان أطع فيكم قومكم لم يؤمنوا ابدا

وتلقاه العباس فقال له على . عدلت عنا . فقال وما علمك ؟ فان قرن بي عثمان وقال كونوا مع الاكثر فان رضي رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف. وعبدالرحمن صهر عثمان لايختلفان فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن فلو كان الآخران معي لم ينفعاني، بله اني لاأرجو الا احدهما

فقال العباس: لا أدفعك في شيء الا رجعت الى مستأخراً بما أكره . أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله فيمن يلي هذا الامر فأبيت وأشرت عليك حين سماك عمر في الشورى أن لاتدخل معهم فأبيت . احفظ عني واحدة . كلما عرض عليك القوم فقل لا الا ان يولوك واحذر هؤلاء الرهط فانهم لايزالون يدفعوننا عن هذا الامر حتى يقوم لنا به غيرهم . وايم الله لاينالة الا بشر لا ينفعه خير

فقال علي: اما لئن بقي عثمان لأذكرنه ماأتى ولئن مات ليتداولنها بينهم ، ولئن فعلوا ليجدوني حيث يكرهون . ثم تمثل بهذين البيتين .

حلفت برب الراقصات عشية
غدون خفافا فابتدرن المحصبا
ليختلين رهط بن يعمر مارثا
نجيعا بنو الشداخ روداً مصلبا

والتفت فرأى اباطلحة فكره مكانه

فقال ابو طلحة : لم ترع أبا الحسن

فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدى علي، وعثمان أيهما يصلي عليه. فقال عبد الرحمن كلا كما يحب الامرة لستما من هذا في شيء. هذا الى صهيب، استخلفه عمر يصلي بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس على امام

فصلى عليه صهيب

فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة، ويقال في بيت المال، ويقال في حجرة عائشة بأذنها وهم خمسة معهم ابن عمر وطلحة غائب. وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فصحبهما سعد وأقامهما. وقال تريدان أن تقولا حضرنا وكنا في أهل الشورى

اجتمع اهل الشورى وكثر بينهم الكلام فقال ابو طلحة انا كنت لأن تدافعوها أخوف مني لأن تنافسوها. لا والذى ذهب بنفس عمر لاأزيدكم على الايام الثلاثة التى أمرتم. ثم أجلس فى بيتى فأنظر ماذا تصنعون

فقال عبد الرحمن : أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد

فقال عبد الرحمن: فأنا أنخلع منها. فقال عثمان أنا أول من رضي فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أمين فى الارض أمين في السما

فقال القوم : قد رضينا وعلي ساكت

فقال : ماتقول ياأبا الحسن ؟

قال : أعطني موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألوه الامة

وقال : أعطوني مواثيقكم على ان تكونوا معي على من بدل وغير، وان ترضوا من اخترت، ولكم على ميثاق الله ان لا أخص ذا رحم لرحمه : ولا آلو المسلمين

فأخذ ميثاقهم وأعطاهم مثله

فقال لعلي : انك تقول انى أحق من حضر بالامر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك فى الدين، ولم تبعد. ولكن أرأيت لو صرف هذا الامر عنك فلم

تحضر ، من كنت ترى من هؤلاء الرهط احق بالامر

قال : عثمان

ثم خلا بالزبير فكلمه بمثل ماكلم به عليا ، فقال عثمان

ثم خلا بسعد فكلمه

فلقى على سعداً فقال له : اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا . أسألك برحم ابنى هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرحم عمى حمزة منك أن لاتكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً على فانى أدلى بمالا يدلى به عثمان

ثم دار عبد الرحمن لياليه يلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وافى المدينة من أمراء الاجناد واشراف الناس يشاورهم لايخلو برجل الا امره بعثمان حتى اذا كان فى الليلة التى يستكمل فى صبيحتها الاجل أتى منزل المسور بن مخرمة بعد ابهيرار من الليل (اى بعد انتصافه) فأيقظه فقال : ألا أراك نائما ولم أذق فى هذه الليلة كثير غمض . انطلق فادع الزبير وسعدا : فدعاهما فبدأ الزبير فى مؤخر المسجد فى الصفة التى تلى دار مروان . فقال له خل ابنى عبد مناف وهذا الامر . فقال نصيبى لعلى

وقال لسعد : اذاً وأنت كلالة فاجعل نصيبك لى فأختار

قال ان اخترت نفسك فنعم ، وان اخترت عثمان فعلى أحب الى . أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤسنا

قال ياأبا اسحق انى قد خلعت نفسى منها على ان أختار ولو لم افعل وجعل الخيار الى لم اردها . انى رأيت (اى فى المنام) كروضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل لم أر قط فحلا أكرم منه كأنه سهم لايلتفت الى شىء مما فى الروضة حتى قطعها لم يعرج ودخل بعير يتلوه فاتبع أثره حتى خرج من الروضة ثم دخل فحل عبقرى يجر خطامه ويلتفت يمينا وشمالا ويمضى قصد الاولين حتى خرج ثم دخل بعير رابع فرتع فى الروضة لا والله لاأكون الرابع ولايقوم مقام ابى بكر وعمر بعدهما احد فيرضى الناس عنه . فانى اخاف ان يكون الضعف قد أدركك فامض لرأيك فقد عرفت عهد عمر

وانصرف الزبير وسعد وأرسل عبد الرحمن المسور بن مخرمة الى على فناجاه

طويلا وهو لايشك انه صاحب الامر ، ثم نهض وارسل المسور الى عثمان فكانا فى نجيهما حتى فرق بينهما اذان الصبح

فقال عمرو بن ميمون قال لى عبدالله ابن عمر ياعمر من أخبر انه يعلم ما كلم به عبدالرحمن بن عوف عليا وعثمان فقد قال بغير علم فوقع قضاء ربك على عثمان

فلما صلوا الصبح جمع عبدالرحمن الرهط وبعث الى من حضره من أهل السابقة والفضل من الانصار وأمراء الاجناد فاجتمعوا حتى التج المسجد بأهله اى ازدحم فقال :

ايها الناس قد احب ان يلحق أهل الامصار بأمصارهم وقد علموا من اميرهم

فقال سعيد بن زيد : انا نراك أهلا لها

فقال عبدالرحمن اشيروا على بغير هذا

فقال عمار : ان اردت ان لا يختلف المسلمون فبايع عليا

فقال المقداد بن الاسود : صدق عمار ان بايعت عليا قلنا سمعنا وأطعنا

قال ابن أبى سرح : ان اردت أن لاتختلف قريش فبايع عثمان

فقال عبدالله بن أبى ربيعة: صدق أن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا

فشتم عمار ابن ابى سرح وقال متى كنت تنصح المسلمين ؟

فتكلم بنو هاشم وبنو أمية

فقال عمار : ايها الناس ان الله عز وجل أكرمنا بنبيه وأعزنا بدينه ، فانى تصرفون هذا الامر عن أهل بيت نبيكم؟

فقال رجل من بنى مخزوم لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما أنت وتأمير قريش لانفسها

فقال سعد بن أبى وقاص: ياأباعبد الرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس

فقال عبد الرحمن : انى قد نظرت وشاورت فلاتجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا. ودعا عليا وقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده

فقال ارجو أن أفعل واعمل بمبلغ علمى وطاقتى

ودعا عبدالرحمن عثمان فقال له مثل ما قال لعلى

قال عثمان : نعم فبايعه

فقال على : حبوته حبو دهر، وليس هذا اول يوم تظاهرتم فيه علينا . فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. والله

ماوليت عثمان الا ليرد الامر اليك . والله كل يوم هو فى شأن

فقال عبد الرحمن : يا على لا تجعل على نفسك سبيلا، فانى قد نظرت وشاورت الناس فاذاهم لايعدلون بعثمان

فخرج على وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله

فقال عمار: ياعبد الرحمن أما والله لقد تركته وانه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون

فقال : يا عمار والله لقد اجتهدت للمسلمين

قال ان كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المسلمين

وقال المقداد : مارأيت مثل ما أوتى أهل هذا البيت بعد نبيهم، انى لأعجب لقريش انهم تركوا رجلا ماأقول ان احدا أعلم ولا أقضى منه بالعدل. أما والله لو أجد أعوانا

فقال عبد الرحمن : يامقداد اتق الله فانى خائف عليك الفتنة

فقال رجل للمقداد : رحمك الله من أهل هذا البيت ومن هذا الرجل؟

قال المقداد : أهل البيت بنو عبد المطلب والرجل على بن عبد الله

فقال على : ان الناس ينظرون الى قريش وقريش تنظر الى بيتها ، فتقول ان ولى عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبدا، وما كانت فى غيرهم من قريش تداولتموها بينكم

وقدم طلحة فى اليوم الذى بويع فيه لعثمان فقيل : بايع عثمان

فقال : أكل قريش راض به

قيل : نعم . فأتى عثمان فقال له عثمان: انت على رأس أمرك ان ابيت رددتها

قال : اتردها ؟

قال : نعم .

قال : أكل الناس بايعوك

قال : نعم ؟

قال طلحة : قد رضيت ، لا أرغب عما قد اجتمعوا عليه، وبايعه

وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن : يا أبا محمد قد أصبت ان بايعت عثمان .

وقال لعثمان لو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا

فقال عبد الرحمن : كذبت يا أعور لو بايعت غيره لبايعته ولقلت هذه المقالة

وكان المسور بن مخرمة يقول : ما

رأيت رجلا بذ قوما (غلبهم) فيما دخلوا فيه بأشد مما بذهم عبد الرحمن بن عوف

وكانت البيعة لعثمان لليلة بقيت من ذي الحجة سنة (٢٣) فاستقبل بخلافته المحرم سنة (٢٤)

وقيل أنه استخلف لثلاث مضين من المحرم سنة (٢٤) فخرج فصلى بالناس العصر

وأراد أن يخطب الناس فارتج عليه (أى أقفل عليه باب الكلام)فقال: أيها الناس ان أول مركب صعب ، وان بعد اليوم أياما ، وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها ، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله

(فتوحات عثمان) أعاد عثمان فتح بلاد ارمينية واذربيجان بعد أن انتقضت على المسلمين

ولى عثمان معاوية على الشام والجزيرة وثغورهما وأمره أن يغزو شمشاط وهى بارمينية فأرسل معاوية فاتحها الاول وهو حبيب بن مسلمة .فخرج اليها سنة (٢٦) فقاتله أهلها ثم طلبوا الصلح فصالحهم على ذلك

فجمع له بالطريق ارمينافش جيشا ، فصد حبيب بن مسلمة فطلب هذا المدد فأرسل اليه معاوية بالفي مقاتل وأرسل الى عامله على الكوفة أن يمده فأرسل اليه ستة آلاف رجل ، فتقابل الجمعان فانهزم الارمن وقتل قائدهم

ثم توغل حبيب فى ارمينية الغربية واتجه أحد قواده وهو سلمان الخير الى امينية الشرقية ففتحا جميع البلاد الى بين البحر الاسود وبحر الخزر حتى القوقاز

فلما وصل المسلمون الى نهر ترك الذى يصب فى بحر الخزر صدهم الارمن ومنعوهم عن التوغل فيما وراء بحر قزوين فعادوا لغزو بلاد الروم فأغار معاوية بن أبى سفيان على الاناضول سنة ٢٥ أو ٢٦ من جهة اقليمى كبادوكيا وفريجيا فأخذ عمورية ثم أعد أسطولا وأمر عبد الله بن سعد بن أبى سرح أن يعد له أسطولا آخر واستعمل عبد الله بن قيس الجاسى على البحر وسار الاسطولان فاجتمعا فى قبرص فصالحهم أهلها

وفتح معاوية جزيرة كريد ويسميها العرب اقريطش وجزيرة كوس وجزيرة رودس

وكان عمرو بن العاص قد فتح فى خلافة عمر بن الخطاب برقة وطرابلس

فلما ولى عثمان بن عفان أرسل عبدالله بن ابى سرح لغزو افريقية سنة ٢٤ أو ٢٥ وهى تونس فصالحه أهلها على مال يؤدونه ولم يستطع ان يتوغل فيها

ثم عاود الكرة عليها وكان عثمان قد أمدهم بجيش فيه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن جعفر وعبدالله بن الزبير فساروا مع عبدالله بن سعد بن ابى سرح سنة ٢٦ فقاتلهم الرومان بطرابلس فهزموهم ثم قصدوا افريقية (تونس) فقاتلهم واليها من قبل الرومان بمائة وعشرين الف مقاتل فنشب بينهم قتال شديد انتهى بهزيمة الرومانيين وفى هذه الموقعة قتل عبد الله بن الزبير غريغوار قائد الجيش الرومانى وسبى ابنته وتم الفتح فكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف وهو فتح لم يسمع بمثله

ثم سار هذا الجيش مخترقا شمال افريقا من الشرق الى الغرب فاتحا كل ما يصادفه من المدن والقلاع حتى انتهى الى جبل طارق وهى نهاية مراكش فانقادت جميع هذه الممالك واذعنت لدفع الجزية وانجلت عنها الجنود الرومانية

فى السنة الثالثة من خلافة عثمان انتقضت بعض بلاد الفرس على المسلمين وفعل فعلها بعض بلاد الكرد . فأرسل عثمان عبيدالله بن معمر فى خراسان وولاها عميرة بن عثمان وارسل الاول الى فارس. فأثخن عبيد الله بن معمر فى خراسان حتى بلغ فرغانة ولم يدع كورة الا أصلحها

ثم انتقضت فارس على عبيد الله بن معمر فلقى الثائرين فى اصطخر فقتل عبيد الله فاستنفر عبد الله بن عامر والى البصرة أهلها وسار بنفسه الى فارس فلقيه الثائرون باصطخر فقتل منهم عددا عظيما وانهزموا ففتح اصطخر عنوة وسار الى دار ابجرد ومدينة جور ففتحهما ثم عاد الى اصطخر وقد انتقضت ثانية فحاصرها وافتتحها وفنى فيها أكثر أهل البيوتات و لاساورة لانهم كانوا لجأوا اليها . ووطىء ابن عامر أهل فارس وطأة لم يزالوا منها فى ذل

ولما رجع عبدالله بن عامر الى البصرة انتقضت خراسان فوجه الى سجستان الربيع بن زياد الحارثى والى كرمان مجاشع بن مسعود السلمى . وسار هو الى نيسابور فأتى الطبسين .وهما حصنان يعتبران بابى خراسان ففتحهما ثم سير

قواده الى أعمال نيسابور وكل أعمالها وطوس وهراة

ووجه عبد الله بن عامر أيضا الاحنف بن قيس الى طخارستان فأتى سوانجرد فصالحه أهلها ثم مضى الى مرو فصالحه أهلها أيضا واستولى على رستاق بغ فاجتمع على قتاله أهل الجوزجان والطالقان والفارياب ومعهم الصغانيان (التركستان الشرقية) فهزمهم الاحنف بن قيس جميعا وفتح البلاد المذكورة

ثم سار الى بلخ وهى عاصمة طخارستان فافتتحها ثم انعطف الى خوارزم فلم يتيسر له فتحها فعاد

وأما مجاشع بن مسعود الذى توجه الى كرمان فانه فتح عميد والسيرجان وجيرفت ولم يدع بلداً فى كرمان الا فتحه

واما الربيع بن زياد الذى سار الى سجستان فانه فتح حصن زالق وكركويه وروشت وناشروذ وشرواذوزرنج . الخ

وفتح عبد الرحمن كابل وزابلستان وهى ولاية غزنة

اما طبرستان ففتحها سعيد بن العاص فى خلافة عثمان سنة (٣٠)

(مقتل يزدجرد ملك الفرس) كان يزدجرد قد التجأ فى مدة عمر بن الخطاب الى حلوان ثم اصفهان وكان كلما تقدمت جيوش المسلمين يفر أمامها حتى استقر فى كرمان

ولما ثارت فارس فى عهد عثمان وأخضعها عبد الله بن عامر مرة ثانية كان فى أثناء اخضاعها يطارد يزدجرد ملك الفرس أرسل فى أثره هرم بن حيان فأتبعه الى كرمان فهرب منه الى خراسان ثم لحق بمرو الروذ وكاتب ملوك الصين وفرغانة والخزر فأمده فسار بالجيوش الى سجستان وقيل الى جرجان فلتقى بجيوش المسلمين فهزموه فالتجأ الى مرو الشاهجان فمنعه صاحبها من الدخول وكتب الى نيزك طرخان من ملوك الترك يستقدمه لقتل يزدجرد ومصالحة العرب عليه وأن يعطيه كل يوم الف درهم فجاء نيزك الى يزدجرد متظاهر ابنصرته واحتال عليه ليقتله فأحس يزدجرد بالمكيدة ففر الى ارحاء على نهر المرغاب فقتله صاحب الرحى ورماه فى النهر وانقرضت به الدولة الساسانية من بلاد الفرس وكانت مدة ولايتها (٣٢٩) سنة

(طعن الناس على عمال عثمان) كان

الوليد بن عقبة عاملا لعمر على الجزيرة فعزل عثمان سعد بن ابى وقاص وولاها الوليد بن عقبة فقدم الكوفة وأحسن السيرة فى الناس ولبث فيهم خمس سنين ثم اتهمه بعضهم بشرب الخمر

قيل انه سكر وصلى الصبح بأهل الكوفة اربعاء ثم التفت لهم وقال: أزيدكم؟ فقال ابن مسعود مازلنا معك فى الزيادة منذ اليوم . وشهدوا عليه عند عثمان فأمر عليا بجلده فأمر على عبدالله بن جعفر بجلده فجلده

وروى الطبرى ان الناس كانوا فى عهد الوليد فرقتين العامة معه والخاصة عليه . وفى رواية ان الوليد ادخل على الناس الخير حتى جعل يقسم المال للولائد والعبيد ولقد تفجع عليه الاحرار والمماليك وكان يسمع الولائد وعليها الحداد حين عزله وتولية سعيد ابن العاص يقلن :

ياويلنا قد عزل الوليد
وجاءنا مجوعا سعيد
ينقص فى الزاد ولا يزيد
فجوع الاماء والعبيد

وفى رواية الطبرى عن الشعبى انه كان مما زاد عثمان على يد الوليد رد على كل مملوك فى الكوفة من فضول الاموال ثلاثة فى كل شهر يتسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم

ولكن قوما تألبوا عليه فاتهموه أمام عثمان بأنه يشرب الخمر وشهد عليه آخرون زوراً فجلده عثمان

(حادثة ابوذر) كان أبو ذر الغفارى من خيرة المسلمين علما وتقوى وشدة فى الدين وجرأة فى قول الحق . وكان يعتقد ان كل اموال الفيء من حقوق المسلمين وليس للامام اومن يقوم مقامه أن يدخر شيئا منها بل يجب أن تقسم على الناس كما كان ذلك فى عهد ابى بكر وعمر رضى الله عنهما

وكان معاوية يكثر من ادخار المال فى ولايته بالشام لانفاقه وقت الحاجة وكان يقول : المال مال الله . فوجد محبو الفتنة من مذهب أبى ذر وسيلة يتوسلون بها لايجاد الشاغب فانطلق عبد الله بن سبأ الى الشام واندس على ابى ذر فوسوس له قائلا : ألا تعجب ياأباذر الى معاوية يقول المال مال الله ، الا ان كل شيء لله ، كأنه يريد ان يحتجنه اى (يكتنزه) دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين

لقى ابو ذر معاوية وقال ما يدعوك الى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟

قال معاوية يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والامر أمره ؟ قال فلا تقله

فقال معاوية : انى لاأقول انه ليس لله ولكن سأقول مال المسلمين

ثم قام ابو ذر بالشام وجعل يقول : يا معشر الاغنياء واسوا الفقراء ، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم

فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك واوجبوه على الاغنياء حتى شكا الاغنياء مايلقون من الناس

فكتب معاوية الى عثمان ان أبا ذر قد اعضل بى وقد كان من أمره كيت وكيت

فكتب عثمان الى معاوية ان الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها فلم يبق الا أن تثب فلا تنكأ القرح وجهز أبا ذر الى وابعث معه دليلا وزوده وارفق به وكفكف الناس ونفسك ما استطعت فانما تمسك ما استمسكت

فبعث معاوية الى عثمان بأبى ذر ومعه دليل فلما قدم المدينة ورأى المجالس فى أصل سلع (هو اسم جبل بالمدينة) قال: بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار (اى ذات أهوال)

ودخل على عثمان فقال له : يا أبا ذر ما لأهل الشام يشكون ذربك (اى حدة لسانك)

فأخبره أنه لا ينبغى أن يقال مال الله ولا ينبغى للاغنياء أن يقتنوا مالا

فقال عثمان يا ابا ذر على أن اقضى ما على وآخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الزهد وأن ادعوهم الى الاجتهاد والاقتصاد

قال ابو ذر فتأذن لى فى الخروج فان المدينة ليست لى بدار

فقال عثمان : او تستبدل الا شراً منها

فقال ابو ذر : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخرج منها اذا بلغ البناء سلعا

قال عثمان : فأنفذ ما أمرك به فخرج ابو ذر حتى نزل الربذة فخط بها مسجداً وأقطعه عثمان صرمة من الابل وأعطاه

مملوكين وأرسل اليه أن تعاهد المدينة حتى لا ترتد اعرابيا

وروى الطبرى عن ابن عباس قال كان ابو ذر يختلف من الربذة الى المدينة مخافة الاعرابية وكان يحب الوحدة والخلوة فدخل على عثمان وعنده كعب الاحبار (وكان من علماء اليهود ثم أسلم)

فقال ابو ذر: لا ترضوا من الناس بكف الاذى حتى يبذلوا المعروف. وقد ينبغى للمؤدى الزكاة ان لا يقتصر عليها حتى يحسن الى الجيران والاخوان ويصل القرابات

فقال كعب الاحبار من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه

فقال له ابو ذر يا ابن اليهودية ما أنت وما هنا، والله لتسمعن منى أو لأدخلن عليك. ورفع محجنه فضربه فشجه

فاستوهبه عثمان (اى استوهب كعب الاحبار حقه) فوهبه له

فقال عثمان لأبى ذر اتق الله واكفف يدك ولسانك

(مبادىء الثورة) قضى عثمان الشطر الاكبر من خلافته وهو أحب الى الناس من عمر لرأفته واقبال الدنيا على الناس فى عهده. ولكنه آثر بنى أمية على غيرهم وأغدق عليهم الاموال وآثرهم بالمناصب فانحرفت عنه القلوب، وتطلع الناس لمناقشته الحساب

قال ابن جرير الطبرى فى تاريخه كان عثمان مستضعفا طمع فيه الناس وأعان على نفسه بأفعاله وباستيلاء بنى أمية عليه. وكان ابتداء الجراءة عليه ابلا من ابل الصدقة قدم بها عليه فوهبها لبعض ولد الحكم بن ابى العاص فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان فى داره. فكان ذلك أول وهن دخل على خلافة عثمان

وقيل انه خطب يوما وبيده عصا كان رسول الله وأبو بكر وعمر يخطبون عليها فأخذها جهجاه الغفارى من يده وكسرها على ركبته. فلما تكاثرت احداثه وتكاثر طمع الناس فيه كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم الى من بالآفاق بذلك وأن يقدموا لخلع عثمان فهاج الناس وكان ما كان

وقد كان أول ما تكلم به فى الخارج محمد بن ابي حذيفة ومحمد بن أبى بكر ان عابا عثمان فى غزوة ذات الصوارى التى

غزاها مع عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى البحر سنة احدى وثلاثين وأظهروا عيبه وما خالف به أبابكر وعمر وأنه استعمل عبد الله بن سعد رجل أباح دمه رسول الله ونزل القرآن بكفره ونزع أصحاب رسول الله عن الاعمال وولاها مثل عبد الله بن سعد وسعيد بن العاص الى غير ذلك من الكلام الذى ساء عبد الله فعزلهما عن المسلمين فى مركب ليس فيه غير القبط حتى رجع الجيش الى مصر وأخذ ابن ابى حذيفة يفسد قلوب المسلمين على عثمان

وكان السبب فى ظهور التذمر من عثمان فى العواصم كمصر والبصرة والكوفة هو تألف جمعية سرية قام بها عبد الله ابن سبأ المعروف بابن السوداء (وكان يهوديا ثم أسلم على عهد عثمان) أسسها على مبدأين دينيين أولهما وجوب رجوع محمد عليه الصلاة والسلام الى الدنيا كما قيل برجوع عيسى عليه السلام. فكان يقول العجب ممن يصدق ان عيسى يرجع ويكذب أن محمداً يرجع. فقبل جمهور من الناس هذه العقيدة منه.

المبدأ الثانى وصاية على بن أبى طالب فكان يقول للناس انه كان لكل نبى وصى وعلى وصى محمد فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على وصيه. وان عثمان أخذها بغير حق فانهضوا فى هذا الامر وابدأوا بالطعن على أمرائكم. وبعث دعاته وكاتب رجالا من الانصار وكاتبوه دعوا فى السر الى ما عليه رأيهم حتى تم له الأمر

ثم قام حمران بن ابان فى البصرة لايغار الصدور على عثمان لانه كان حاقداً عليه اذ ضربه على زواجه بامرأة فى العدة واجترأ أهل الكوفة على التظاهر بالعداء وتجاوزوا حدود الادب فى تناول عثمان وسيرته حتى أن سعيد بن العاص لما ولاه عثمان الكوفة جعل خاصته من وجوه أهلها وأهل القادسية فكان يسمر عنده مثل مالك بن كعب الارحبى وعلقمة بن قيس النخعى وثابت بن قيس الهمدانى وجندب بن زهير الغامدى وعروة بن الجعد وصعصعة بن صوحان وابن الكواء وطليحة بن خويلد وغيرهم وكانوا يفيضون فى ذكر الاحوال والرجال وربما انتهوا الى الملاحاة والمشاتمة والتضارب. فاذا لامهم حجاب سعيد نهروهم وضربوهم

ثم منع سعيد السمر عنده فكان

هؤلاء القوم يجتمون فى مجالسهم يذمون سعيداً وعثمان فكتب سعيد واهل الكوفة الى عثمان فى اخراجهم فكتب الى معاوية أن نفراً خلقوا للفتنة فقم عليهم وانههم وان آنست منهم رشداً فاقبل وان أعيوك فارددهم علىّ

فأنزلهم معاوية وأجرى عليهم من الرزق ماكان لهم بالعراق وأقاموا عنده يحضرون مجلسه . فقال لهم يوما: أنكم قوم من العرب لكم أسنان (أعمار) وألسنة وقد أدركتم بالاسلام شرفا وغلبتم الامم وحويتم مواريثهم ، وقد بلغنى انكم نقمتم قريشا ولو لم تكن قريش كنتم أذلة . ان أئمتكم لكم جنة فلا تفترقوا عن جنتكم وان أئمتكم يصبرون لكم على الجور ويحتملون عنكم المؤنة والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم السوء ولا يحمدكم على الصبر . ثم تكونون شركاء فيما جررتم على الرعية فى حياتكم وبعد وفاتكم

فقال رجل منهم وهو صعصعة : أما ماذكرت من قريش فانها لم تكن أكثر العرب ولا امنعها فى الجاهلية . وأما ما ذكرت من الجنة فان الجنة اذا اخترقت خلص الينا

فقال معاوية عرفتكم الآن وعلمت ان الذى أغراكم على هذا قلة العقول . وأنت خطيبهم ولا أرى لك عقلا . أعظم عليك أمر الاسلام وتذكرنى بالجاهلية . أخزى الله قوما عظموا أمركم. افقهوا عنى ولا أظنكم تفقهون . أن قريشا لم تعز فى جاهلية ولا اسلام الا بالله تعالى . لم تكن بأكثر العرب ولا أشدها ولكنهم كانوا أكرمهم احسابا، وامحضهم انسابا ، وأكملهم مروءة، ولم يتمنعوا فى الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا الا بالله . فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من حولهم . هل تعرفون عجميا أو عربيا أو أسود أو أحمر الا وقد أصابه الدهر فى بلده وحرمته ؛ الا ماكان من قريش فانهم لم يردهم أحد من الناس بكيد الا جعل الله خده الاسفل حتى أراد الله أن يستنقذ من أكرمه واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه ، ثم ارتضى له أصحابا فكان خيارهم قريشا ثم بنى هذا الملك عليهم بحوطهم فى الجاهلية وهم على كفرهم افتراه لايحوطهم وهم على دينه ؟ أف لك ولاصحابك . أما انت ياصعصعة فان قريتك شر القرى ، أنتنها بيتا وأعمقها

واديا وأعرفها بالشر وألأمها جيرانا ، لم يسكنها شريف قط ولا وضيع الا سب بها ، ثم كانوا ألأم العرب ألقابا وأصهارا ، نزاع الامم وأنتم جيران الخط وفعلة فارس حتى أصابتكم دعوة النبى صلى الله عليه وسلم فأنت شر قومك حتى اذ أبرزك الاسلام وخلطك بالناس أقبلت تبغى دين الله عوجا وتنزع الى الذلة ، ولا يضر ذلك قريشا ولا يضعفهم ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم ان الشيطان عنكم غير غافل قد عرف بالشر فأغرى بكم الناس وهو صارعكم ولا تدركون بالشر أمراً أبداً الا فتح الله عليكم شراً منه وأخزى

ثم قام وتركهم فتقاصرت اليهم أنفسهم. فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال انى قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم أحداً ولا يضره ، ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة ، فان أردتم النجاة فالزموا الجماعة ولا يبطرنكم الانعام فان البطر لا يعترى الخيار . اذهبوا حيث شئتم فسأكتب الى أمير المؤمنين فيكم

وكتب معاوية الى عثمان انه قدم على أقوام ليست لهم عقول ولا أديان ، أضجرهم العدل ولا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلمون بحجة أنما هم الفتنة وأموال أهل الذمة ، والله مبتليهم ومختبرهم ثم فاضحهم ومخزيهم ، وليسوا بالذين ينكرون احداً الا مع غيرهم فان سعيداً ومن عنده منهم فانهم ليس الاكثر من شغب وتكبر

فقيل انهم خرجوا يريدون الجزيرة فسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وهو بحمص فدعاهم ووبخهم

وقيل كتب عثمان الى معاوية بردهم الى الكوفة فأطلقوا السنتهم فكتب سعيد يشكوهم فأمر عثمان باشخاصهم الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص وكان على حمص فقال لهم : يا آلة الشيطان (أى ياحربة الشيطان) لامرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعد فى نشاق ، خسر الله عبد الرحمن ان لم يؤدبكم يا معشر من لا أدرى أعرب هم أم عجم ثم مضى فى توبيخهم على ما فعلوا وما قالوا لسعيد ومعاوية

فهابوا سطوته وطفقوا يقولون نتوب الى الله أقلنا أقالك الله . حتى قال تاب الله عليكم

(ما نقمه الناس على عثمان) نقم الناس على عثمان أشياء نسردها من أوثق

مصادرها

منها اتمامه الصلاة فى منى وعرفة وكان رسول الله والخليفتان بعده يقصرونها

ومنها زيادة النداء الثالث على الزوراء يوم الجمعة

ومنها اخراج ابى ذر من الشام والمدينة الى الربذة

ومنها سقوط خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من يده فى بئر اريس

ومنها افشاؤه الولايات فى أهله وبنى عمه

ومنها صلته لأهله وبنى عمه الاموال واقطاعهم القطائع وحملهم على رقاب الناس واستئثاره برأيه ورأيهم وترك المهاجرين والانصار لا يستشيرهم ولا يوليهم

ومنها انه أعطى مروان بن الحكم خمس الغنيمة من غزو افريقية . ووصل عبد الله بن خالد بن اسيد بأربعمائة الف درهم . وأقطع الحرث بن الحكم موضع سوق بالمدينة كان تصدق به رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين . وأعطى ابا سفيان بن حرب مائتى الف درهم . وانكح الحرث بن الحكم ابنته عائشة فأعطاه مائة الف من بيت المال

ومنها انه حمى الحمى (المراعى) حول المدينة الا عن بنى أمية . ورد الحكم بن العاص الذى كان طرده رسول الله الى المدينة وأعطاه مائة الف درهم

ومنها استعماله السوط بدل الخيزران فى الضرب فضرب ظهور الناس بالسياط

ومنها تطاوله فى البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته

ومنها ضربه عبد الله بن مسعود حتى كسر ضلعا من اضلاعه

ولكن عثمان اعتذر عما عزى اليه بأعذار أكثرها يكاد يكون مقبولا

فاعتذر عن اتمامه الصلاة يعنى أى عن صلاته أربع ركعات بدل ركعتين بأنه سمع ان بعض من حج من أهل اليمن وجفاة الناس زعموا ان الصلاة للمقيم ركعتان واحتجوا بأن أمير المؤمنين يصلى ركعتين فصلى عثمان اربعاً دفعاً لهذه الشبهة

واعتذر عن الحمى الذى حماه حول المدينة بقوله ان عمر حمى الحمى قبلى لابل الصدقة ، وقد وليت وانى لأكثر العرب بعيراً وشاة ومالى اليوم شاة ولا بعير غير

يعير بن الحجى

واعتذر عن صلة اهله بالاموال بأنه ائتمر بأمر الله فيها اذ أمر بصلة الاهل . وقال ان أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما . أما أنا فأخذت ماهولي من بيت المال نقسمته فى أهلى . ومع هـذا فانه قد اشير عليه باسترداد ما اعطاه لمروان وخالد ابن اسيد فاسترده. واعاده لبيت المال

واعتذر عن رد الحكم بن ابى العاص بأنه مكى وقد سيره رسول الله الى الطائف ثم رده

واعتذر عن تولية الاحداث من أهله بقوله انه لم يستعمل الا مجتمعا محتملا مرضيا (يريد عبد الله بن عامر) واحتج بأن رسول الله قد ولى اسامة بن زيد ولم يبلغ العشرين

واعتذر عن اعطاء عبد الله بن سعد ابن ابى سرح الخمس بقوله انه نفله خمس ماافاء الله عليه فكان مائة الف وقد جعل مثل ذلك ابو بكر وعمر . فزعم الجند انهم يكرهون ذلك فرده عليهم وليس ذلك لهم

ثم أن ام سلمة احدى زوجات النبى صلى الله عليه وسلم نصحته ان يتوخى السبيل التى سلكها أبو بكر وعمر فأجابها عما يأتى .

«يا امنا قد قلت فوعيت ، وأوصيت فاستوصيت. ان هؤلاء النفر رعاة غثرة (اى سفلة) تطأطأت لهم تطاطؤ المائح الدلاء (اى الذى يتناول الماء من أعلى البئر) وتلددت لهم تلدد المضطر (اى تلفت لهم يمينا وشمالا) فأرانيهم الحق اخوانا ، وأراهمونى الباطل شيطانا أجررت المرسون منهم رسنه (اى مكنت المشدود منهم من زمامه اى اهملته وشأنه) وأبلغت الراتع مسماه ، فانفرقوا على فرقا ثلاثا . فصامت صمته انفذ من صول غيره ، وساع اعطانى شاهده ، ومنعنى غائبه ، ومرخص له فى مدة رينت على قلبه . فأنا منهم بين ألسن لداد ، وقلوب شداد ، وسيوف حداد . عذيرى الله ألا ينهى منهم حليم سفيها ، ولا عالم جاهلا ، والله حسبى وحسبهم يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون

لما فشت الثورة فى الامصار ، وتوغرت الصدور على عثمان عزم سعيد بن العاص والى الكوفة على المسير الى عثمان سنة (٣٤) فانتهز دعاة الثورة خلو البلد من رئيس فاظهروا أمرهم وعزموا على الذهاب

لخلع عثمان تحت قيادة يزيد بن قيس فبادره القعقاع بن عمرو فقال انما نستعفى من سعيد بن العاص فتركه . وكتب يزيد الى الرهط الذين عند عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد بحمص فى القدوم فساروا اليه وسبقهم الاشتر ووقف على باب المسجد يوم الجمعه يقول :

جئتكم من عند عثمان وتركت سعيداً يريده على نقصان نسائكم على مائة درهم (اى من العطاء) ورد اولى البلاء منكم الى الفين ويزعم ان فيكم بستان قريش . فهاج القوم لهذا الخبر . ونادى يزيد فى الناس من شاء ان يلحق بيزيد لرد سعيد فليفعل فخرجوا وذوو الرأى يعذلونهم فلا يسمعون ونزل يزيد واصحابه الجرعة لاعتراض سعيد ورده عن الرجوع الى الكوفة . فلما وصل سعيد اليهم بالجرعة قالوا ارجع فلا حاجة لنا بك . فرجع سعيد الى عثمان فأخبره بخبر القوم وانهم يختارون اباموسى الاشعرى فولاه الكوفة وكتب اليهم.

أما بعد فقد امرت عليكم من اخترتم واعفيتكم من سعيد ، ووالله لاقرضنكم عرضى ، ولابذلن لكم صبرى ، ولاستصلحنكم ، بجسدى فلا تدعوا شيئا احببتموه ولا يعصى الله فيه الا سألتموه ، ولاشيء كرهتموه لا يعصى الله فيه الا استعفيتم منه ، انزل فيه عندما أحببتم حتى لا يكون لكم عند الله حجة ولنصبرن كما أمرنا حتى تبلغوا ماتريدون

ثم خطبهم أبو موسى الاشعرى وأمرهم بلزوم الجماعة وطاعة عثمان فرضوا

أما عثمان فانه احضر اهل شوراه وهم عبد الله بن سعد بن ابى سرح وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر وعمرو بن العاص ومعاوية وكانوا بطانته دون الناس فجمعهم وشاورهم فيما يفعل ليتقى شر الناس

فقال له عبد الله بن عامر . ارى لك ياأمير المؤمنين ان تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذلوا لك

وقال سعيد بن العاص . احسم عنك الداء فاقطع عنك الذى تخاف ، ان لكل قوم قادة متى هلكت تفرقوا ولا يجتمع لهم أمر

وقال معاوية . ايسر عليك أن تأمر امراء الاجناد فيكفيك كل رجل منهم ماقبله واكفيك انا اهل الشام

وقال عبد الله بن سعد . ان الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف

عليك قلوبهم

ثم قام عمرو بن العاص فقال: ياأمير المؤمنين انك قد ركبت الناس بمثل بنى أمية فقلت وقالوا وزغت وزاغوا فاعتدل او اعتزل، فان ابيت فاعزم عزما، وامض قدما

فقال له عثمان: مابالك قمل فروك، أهذا الجد منك ؟

فسكت عمرو حتى تفرقوا ثم قال: والله ياأمير المؤمنين لأنت أكرم على من ذلك ولكنى علمت أن بالباب من يبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت أن يبلغهم قولى فيثقوا بى فأقود اليك خيرا وأدفع عنك شراً

وقال الطبرى: كان عمرو بن العاص ممن يحرض على عثمان ويغرى به ؛ ولقد خطب عثمان يوما فى آخر خلافته فصاح عمرو بن العاص:

اتق الله يا عثمان فانك قد ركبت امورا وركبناها معك فتب الى الله نتب

فقال عثمان: وانك ههنا ياابن النابغة قملت والله جبتك منذ نزعتك عن العمل

وقال الطبرى ايضا: كان عمرو بن العاص شديد التحريض والتأليب على عثمان وكان يقول: والله ان كنت لألقى الراعى فأحرضه على عثمان فضلا عن الرؤساء والوجوه

فلما اشتد الشر بالمدينة خرج عمرو ابن العاص الى منزله بفلسطين فبينما هو بقصره ومعه ابناه عبد الله ومحمد وعندهم سلامة بن روح الخزامى اذ مر بهم راكب من المدينة فسألوه عن عثمان فقال محصور

فقال عمرو أنا أبو عبد الله: العير يضرط والمكواة فى النار

ثم مر بهم راكب آخر فسألوه. فقال قتل عثمان

فقال عمرو أناأبوعبدالله اذا نكأت قرحة أدميتها

فقال سلامة بن روح: يا معشر قريش انما كان بينكم بين العرب باب فكسر تموه. فقال نعم أردنا أن نخرج الحق من خاصرة الباطل ليكون الناس فى الامر شرعا سواء

(نرجع لذكر عثمان) لما سمع عثمان مشورات أصحابه عمل بمشورة عبد الله ابن عامر فشغل الناس بالغزو فلم يقف ذلك ألسنة الناس عن الطعن على حكومة عثمان والنيل منها، واخذوا يتكاتبون من

الامصار وكان كبار الصحابة ملازمين الصمت الا نفرا منهم كانوا يذبون عنه مثل زيد بن ثابت وأبى أسيد الساعدى وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فلم يغنوا عنه شيأ

فاجتمع الناس الى على بن أبى طالب عليه السلام فكلموه فى ذلك فدخل على عثمان وقال :

« الناس ورائى وقد كلمونى فيك ، والله ماأدرى ما اقول لك ، ولا أعرف شيأ تجهله ، ولاأدلك على أمر لا تعرفه ، انك لتعلم ، ما سبقناك الى شىء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشىء فنبلغكه ، وما خصصنا بأمر دونك ، وقد رأيت وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت منه ونلت صهره ، وما ابن أبى قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بشىء من الخيرمنك ، وانت أقرب الى رسول الله رحما ولقد نلت من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم ينالاه وما سبقناك الى شىء ، فالله فى نفسك فانك والله ما تبصر من عمى ، ولا تعلم من جهالة . وان الطريق لواضح بين ، وان اعلام الدين لقائمة. اعلم ياعثمان ان افضل عباد الله امام عادل هدى وهدى فأقام سنة معلومة ، وأمات بدعة متروكة ، فوالله ان كلا لبين ، وان السنن لقائمة لها أعلام ، وان البدع لقائمة لها أعلام . وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وأضل فأمات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة ، وانى أحذرك الله وسطواته ونقماته فان عذابه شديد أليم ، واحذرك ان تكون امام هذه الامة الذى يقتل فتفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة ويلبس امورها عليها ويتركها شيعا لا يبصرون الحق لعلو الباطل ، يموجون فيها موجا ويمرحون فيها مرحا »

قال عثمان : قد علمت والله لتقولن الذى قلت . اما والله لو كنت مكانى ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك وما جئت منكرا ان وصلت رحما وسددت خلة (حاجة) وآويت ضائعا ووليت شبيها بمن كان عمر يولى . أنشدك الله ياعلى هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك ؟ قال نعم . قال فتعلم ان عمر ولاه ؟ قال نعم . قال فلم تلومنى ان وليت ابن عامر فى رحمه وقرابته ؟

قال على ان عمر كان يطأ على صماخ من ولى ان بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ

تفعل به أقصى العقوبة. وانت لا تفعل. ضعفت ورفقت على اقربائك

قال عثمان وهم اقرباؤك ايضا

قال اجل ان رحمهم منى لقريبة ولكن الفضل لغيرهم

قال عثمان: هل تعلم ان عمر ولى معاوية ؟ فقد وليته

فقال على: انشدك الله هل تعلم ان معاوية كان اخوف لعمر من يرفأ غلام عمر؟

قال عثمان نعم

قال على: فان معاوية يقتطع الامور دونك ويقول للناس هذا امر عثمان وانت تعلم ذلك فلا تغير عليه

ثم خرج من عنده وخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر ثم قال:

اما بعد فان لكل شيء آفة، ولكل امر عاهة، وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة، عيابون طعانون، يرونكم ما تحبون، ويسترون عنكم ما تكرهون، يقولون لكم ويقولون، امثال النعام يتبعون اول ناعق، احب مواردهم اليهم البعيد، لا يشربون الا نغصا (كدرا)، ولا يردون الا عكرا، ولا يقوم لهم رائد، وقد اعيتهم الامور، الا والله لقد عبتم على ما أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم، ولنت لكم وأوطأتكم كتفى، وكففت يدى ولسانى عنكم فاجترأتم على، اما والله لأنا اعز نفرا واقرب ناصرا، واكثر عددا واخرى ان قلت هلم أتى الى، ولقد أعددت لكم اقرانا، وافضلت عليكم فضولا، وكشرت لكم عن نابى واخرجتم منى خلقا لم أكن أحسنه، ومنطقا لم أنطق به فكفوا عنى ألسنتكم وعيبكم، وطعنكم على ولاتكم فانى كففت عنكم من لو كان هو الذى يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقى هذا. الا فما تفقدون من حقكم والله ما قصرت عن بلوغ ما بلغ من كان قبلى ولم تكونوا تختلفون عليه

فقام مروان بن الحكم فقال:

ان شئتم حكمنا والله بيننا وبينكم السيف. نحن وأنتم والله كما قال الشاعر:

فرشنا لكم اعراضنا فنبت بكم
مغارسكم تبنون من دمن الثرى

فقال عثمان اسكت لأسكت دعنى واصحابى ما منطقك فى هذا؟ ألم أتقدم

اليك ان لاتنطق ؟

فسكت مروان ونزل عثمان عن المنبر فاشتد قوله على الناس وعظم فزاد حنقهم عليه

فأخذ الناس يتكاتبون فى الامصار ويتداعون الى العمل ضد عثمان فكان محمد بن ابى بكر الصديق وعمار بن ياسر ومحمد بن جعفر يكاتبون اهل مصر فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عُدَيس البلوى فى خمسمائة وقيل فى الف . وخرج اهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدى والاشتر النخعى . وخرج اهل البصرة وفيهم حكيم بن جبلة العبدى وذريح بن عباد وعليهم حرقوص بن زهير السعدى وكلهم فى مثل عدد اهل مصر

خرجوا جميعا فى شوال مظهرين للحج ولما كانوا من المدينة على ثلاث مراحل تقدم ناس من اهل البصرة وكان هواهم فى طلحة فنزلوا فى اخشب وتقدم ناس من اهل الكوفة وكان هواهم فى الزبير فنزلوا الاعوص ونزل معهم ناس من اهل مصر وكان هواهم فى على وتركوا عامتهم بذى المروة

فقال زياد بن النضر وعبد الله بن الاصم من اهل الكوفة لاتعجلوا حتى ندخل المدينة فقد بلغنا انهم عسكروا لنا فوالله ان كان حقا لايقوم لنا امر . ثم دخلوا المدينة ولقوا عليا وطلحة والزبير وامهات المؤمنين واخبروهم انهم اتوا للحج وان يستعفوا من بعض العمال واستأذنوا فى ان يذهب من اهل الكوفة وكل مصر فريق الى من هواهم فيه . وقال كل فريق منهم ان بايعنا صاحبنا والا كذبناهم وفرقنا جماعتهم ثم رجعنا عليهم حتى نبغتهم

فأتى المصريون عليا عليه السلام وهو فى عسكر عند احجار الزيت وقد بعث ابنه الحسن الى عثمان فيمن اجتمعوا عليه وعرضوا على على امرهم فلم يأبه بهم وردهم

وأتى البصريون طلحة والكوفيون الزبير ففعلا مثل مافعل على فانصرفوا وتفرق اهل المدينة فلم يشعروا الا والتكبير فى نواحيها وقد هجموا واحاطوا بعثمان ونادوا بأمان من كف يده ؛ وصلى عثمان بالناس اياما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا الناس من كلامه

وغدا عليهم على عليه السلام وقال:

ما ردكم بعد ذهابكم . قالوا أخذنا كتابا مع بريد بقتلنا

فقال لهم علي كيف علمتم بمالقي أهل مصر وكلكم على مراحل من صاحبه حتى رجعتم علينا جميعا ؟ هذا أمر ابرم بليل

فقالوا اجعلوه حيث شئتم ولا حاجة لنا بهذا الرجل ليعتزعاينا. ثم منعوا الناس من الاجتماع بعثمان

وكتب عثمان الى الامصار يستنجدهم ويخبرهم ماالناس فيه فخرج أهل الامصار، خرج من مصر معاوية بن خديج بأمر واليها عبدالله بن سعد . وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو بأمر ابى موسى الاشعرى . وخرج من البصرة مجاشع بن مسعود السلمى بأمر عبد الله بن عامر . وخرج من الشام حبيب بن مسلمة الفهرى بأمر معاوية وكان مع كل منهم جنود للدفاع عن عثمان

اما عثمان فخطب في يوم الجمعة خطبة قال منها :

يا هؤلاء الله الله . فوالله ان أهل المدينة ليعلمون انكم ملعونون على لسان محمد فامحوا الخطأ بالصواب

فقال محمد بن مسلمة أنا أشهد بذلك . فأقعده حكيم بن جبلة . وقام زيد بن ثابت ليدافع عن عثمان فأقعده آخر . وأخذ الثائرون يرمون الناس بالحصى وأصيب عثمان فصرع وقاتل دونه سعد بن أبي وقاص والحسين بن علي وزيد بن ثابت وأبو هريرة . ودخل عثمان بيته وعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا

ودخل علي وطلحة والزبير على عثمان يعودونه وعنده نفر من بنى أمية فيهم مروان . فقالوا لعلي : أهلكتنا وصنعت هذا الصنع ؟ والله لأن بلغت الذى تريد لتمرن عليك الدنيا

فقام علي عليه السلام مغضبا

صلى عثمان بالناس وهو محصور ثلاثين يوما ثم منعوه الصلاة . وصلى بالناس أمير المصريين الغافقي وقيل ابو أيوب الانصارى وقيل سهل بن حنيف حتى قتل عثمان

ولقد كان لعثمان رضى الله عنه متسع من الوقت ومندوحة عن الاسترسال مع المتغلبين على الامر من بنى أمية فان الثائرين من المصريين لما قصدوا عثمان نزلوا بذى خشب فلما بلغ عثمان ذلك جاء الى بيت علي وتوسل اليه بالقرابة في ان

يركب اليهم ويردهم

فقال له علي قد كلمتك في ذلك فأطعت أصحابك وعصيتني فعلى أي شيء أردهم ؟

فقال عثمان : ردهم على أن أصير الى ما تراه وتشير به وأن أعصي اصحابي واطيعك

فركب علي في ثلاثين من المهاجرين والانصار فأتوا المصريين وتولى الكلام معهم علي ومحمد بن مسلمة فرجعوا الى مصر ورجع علي ومن معه الى المدينة ودخل على على عثمان وأخبره برجوع المصريين وأشار عليه أن يسمع الناس ما عول عليه من النزع قبل أن يجيء غيرهم . ففعل وخطب خطبته التي ينزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة وقال :

انا أول من اتعظ . استغفر الله مما فعلت وأتوب اليه . فمثلي نزع وتاب فاذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروا في رأيهم فوالله لأن ردني الحق عبداً لاستنن بسنة العبد ، ولأذلن ذل العبد ، وما عن الله مذهب الااليه ، فوالله لأعطينكم الرضى ولأنحين مروان وذويه ولا أحتجب عنكم ثم بكى وبكى الناس حتى اخضلت لحاهم

وعد عثمان بما وعد ولكن بني أمية لم يرقهم ذلك فقصده مروان بن الحكم وسعيد بن العاص ولاموه على ما فعل . فوبختهم امرأته نائلة وقالت لهم : انكم لا تزالون به حتى تقتلوه . فلم يرجعوا الى قولها واستذلوه في اقراره بالخطبة والتوبة عند الخوف

واجتمع الناس بالباب وقد ركب بعضهم بعضاً فقال لمروان كلمهم . فكلمهم وأغلظ لهم في القول . وقال جئتم لنزع ملكنا من ايدينا والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ، ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الى منازلكم فانا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا

فلما بلغ عليا عليه السلام ما قال مروان أنكر ذلك وقال لعبد الرحمن بن الاسود أسمعت خطبته ومقالة مروان للناس اليوم؟ يالله وللناس ان قعدت في بيتي قال تركتني وقرابتي وحقي ، فان تكلمت فجاء ما يريد لعب به مروان وساقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبة الرسول

ثم قام مغضبا قاصداً عثمان وقال له : « أما رضيت من مروان ورضي منك

الا يتحرك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يشاء ربه . والله مامروان بذي رأى فى دينه ونفسه . وايم الله انى لأراه يوردك ولا يصدرك . وما أنا عائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك.أذهبت شرفك وغلبت على رأيك »

ثم دخلت عليه امرأته نائلة وقد سمعت قول على ، فساعدته فى عذل زوجها على طاعة مروان.وقالت انما تركك الناس لمكان على فأرسل اليه فاستصلحه

فبعث عثمان اليه فلم يأته فأتاه عثمان الى منزله يستلينه ويعده الثبات على رأيه معه

فقال على بعدأن قام مروان على بابك يشتم الناس ويؤذيهم ؟

فخرج عثمان وهو يقول خذلتنى وجرأت الناس على

فقال على . والله انى أكثر الناس ذبا عنك ولكن كلما جئت بشىء أظنه لك رضى ، جاء مروان بأخرى فسمعت قوله وتركت قولى

بقى على مغضبا لايتدخل فى أمر عثمان الى أن منعه أعداؤه الماء،فتأثر على عليه السلام وأمر بادخال الماء اليه

وجاء فى رواية انه لما حصر عثمان كان على عليه السلام بخيبر فاشتد طعن الناس على عثمان فى غيبته فكتب اليه هذا الكتاب .

« أما بعد فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين، وارتفع أمر الناس فى شأنى فوق قدره ، وزعموا انهم لا يرضون دون دمى ، وطمع فىّ من لا يدفع عن نفسه

وانك لم يفخر عليك كفاخر
ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

قد كان يقال أكل السبع خير من افتراس الثعلب، فأقبل على اولى

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلى
والا فأدركنى ولما أمزق

ولما جاء على الى المدينةوجد الناس مجتمعين عند طلحة وقدم عليه عثمان وقال له .

أما بعد فان لى حق الاسلام، وحق الاخاء والقرابة والصهر . ولو لم يكن من ذلك شىء وكنا فى الجاهلية لكان عاراً على بنى عبد مناف ان ينتزع اخو بنى تيم (يعنى طلحة) أمرهم

فقال له على سيأتيك الخبر ثم خرج

الى المسجد فرأى اسامة فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحة وهو فى خلوة من الناس

فقال له ياطلحة ماهـذا الامر الذى وقعت فيه ؟

فقال ياأبا الحسن بعد مامس الحزام الطبيين ؟

فانصرف على الى بيت المال وأعطى الناس فانصرفوا عن طلحة وسر بذلك عثمان . وجاء اليـه طلحة تائبا. فقال والله ماجئت تائبا ولـكن جئت مغلوبا .فالله حسيبك ياطلحة

ورووا سببا آخر لعود المصريين الى محاصرة عثمان بعـد أن نصحهم على بالرجوع

وهو ان عبـد الله بن سعد بن أبى سرح ضرب رجلا ممن كانوا شـكوه الى عثمان حتى قتله فركب المصريون الى المدينة وبسطوا الامر لـكبار الصحابة فاجتمعوا على عثمان وألحوا عليه فى انصاف القوم من عامله . فقال لهم اختاروا رجلا. أوله عليهم فقالوا استعمل محمد بن أبى بكر فكتب عهده وولاه وخرج معه عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين ابن ابى سرح وأهـل مصر . وبينما هم على مسيره ثلاثة أيام من المدينـة رأوا راكبا يدنومنهم ويبتعدعنهم فقبضوا عليه وسألوه فقال أنا غلام أمير المؤمنـين وجهنى الى عامل مصر

وقيل بل كان الذى قبضوا عليه لبس بغـلام عثمان بل هو الاعور السلمى ففتشوه فوجدوا معه أنبوبة من رصـاص وفيها كتاب الى عامل مصر ففتحوه فاذا فيه :

« اذا أتاك محمد بن أبى بكر وفلان وفلان وفلان فاقتلهم وابطل كتابهم وأقر على عملك حتى يأتيك رأيى»

وسواء صح خبر ولاية محمد بن أبى بـكر على مصر أو لم يصح فان المصريين لما علموا ان فى الكتاب الامر بقتل بعضهم رجعوا ورجع الكوفيون والبصريون وقرأوا الـكتاب فى محضر من الصحابة

وقام على ومحمد بن مسلمه فأتيا عثمان وقالا له ماقال المصريون . فأقسم بالله ما كتبه ولاعلم له به

فقال محمد بن مسلمة . صدق ، هذا من عمل مروان

ثم انه دخـل على عثمان وفـد من المصريين فلم يسلموا عليه بالخلافة فذكر

له رئيسهم ابن عُديس ما فعل والى مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح من الاستبداد بالمال والرأى ، فاذا قيل له فى ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين . ثم ذكروا له أمر الكتاب فحلف انه ما كتبه ولا علم به . وسألوه عمن كتبه قال لا أدرى . فقالوا كيف يكتب فى مثل هذه الامور العظيمة وينقش عليها خاتمك وأنت لا تعلم ؟ فان كنت كاذبا فقد استحققت الخلع . وان كنت صادقا فقد استحققت أن تخلع نفسك لضعفك عن هذا الامر وغفلتك وخبث بطانتك ولا ينبغى لنا أن نترك هذا الامر بيد من تقطع الامور دونه فاخلع نفسك كما خلعك الله

فأجابهم عثمان انى لا أنزع قميصا ألبسنيه الله ولكنى أتوب وأنزع

قالوا لو كان هذا أول ذنب تبت منه قبلنا . لكنا رأيناك تتوب ثم تعود ولسنا منصرفين حتى نخلعك أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله تعالى وان منعك أصحابك نقاتلهم حتى نخلص اليك

ثم أخذوا فى حصاره ليحملوه على خلع نفسه ولو أرادوا قتله لقتلوه . فهاجر المدينة اناس كثيرون ونصح بعضهم عثمان بالخروج فأبى وكتب لولاته يستمدهم

ثم إن الثائرين منعوا عنه الماء ليذعن حتى لا يقتلوه وكان ذلك التضييق باشارة من طلحة

فبلغ الثائرون خبر توارد القواد الذين أرسلهم ولاة عثمان لانجاده فحاولوا أن يدخلوا على عثمان ليقتلوه فمنعهم الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن طلحة وابن الزبير وأبو هريرة وسعيد بن العاص ومروان وجم غفير

فلما طال الامر وخاف الثائرون وصول المدد اليه رأى محمد بن أبى بكر ان الحسن أصيب بجراح وهو يدافع الثائرين وخاف أن يراه بنو هاشم فيأتوا ويطردوا المحاصرين بالقوة فأمرهم بالهجوم على عثمان من البيوت المجاورة لبيته فاقتحموا داره من دار عمر بن حزم ولم يشعر بهم أحد ممن يدافعون عنه وندبوا له رجلا يقتله ، فدخل عليه ذلك الرجل فقال له اخلعها وندعك . فأبى فخرج الرجل ودخل آخر وآخر كلهم يعظه ويخرج ثم دخل عليه محمد بن أبى بكر فحاوره طويلا فاستحيا وخرج ثم دخل عليه الغوغاء من الثائرين

فطعنه عمرو بن الحمق عدة طعنات ودافعت عنه امرأته نائلة فنفحها أحدهم بالسيف فى أصابعها وتولى قتله كنانة بن بشر . وجاء غلمان عثمان فقتلوا من قاتليه سودان ابن حمران وغيره

وبلغ الخبر علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فدخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فقال على لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ورفع يده فلطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمدا بن طلحة وعبد الله بن الزبير وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله

وكان قتله لثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة (٣٥) وكان عمره حين قتل بين الثانية والثمانين والتسعين ومدة خلافته اثنتى عشرة سنة الا بضعة أيام

قتل عثمان فافترقت الامة فى أمر قتله الى اربع فرق ثم انفصل عنهم صنف آخر فصاروا خمسة

(أولها) شيعة عثمان وهم أهل الشام وأهل البصرة فقال أهل الشام ليس أحد أولى بطلب دم عثمان من أسرة عثمان وقرابته ولا أقوى على ذلك من معاوية فولوه الزعامة فى المطالبة بدمه

وأما أهل البصرة فقالوا ليس أحد أولى بطلب دم عثمان الا طلحة والزبير لأنهما من أهل الشورى

(ثانيها) شيعة على عليه السلام وهم أهل الكوفة فكانوا يرون انه كان أولى من عثمان بالخلافة

(ثالثها) المرجئة فهم الذين شكوا وكانوا بعيدين عن المدينة مشغولين بالجهاد فلما قدموا المدينة بعد قتل عثمان ووجدوا هذا الخلاف قالوا تركناكم وأمركم واحد ليس بينكم اختلاف وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون . فبعضكم يقول قتل عثمان مظلوما وكان أولى بالعدل واصحابه . وبعضكم يقول كان على أولى بالعدل وأصحابه . كلهم ثقة وعندنا مصدق فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما ولا نشهد عليهما ونرجيء أمرهما الى الله حتى يكون الله هو الذى يحكم بينهما

(رابعها) من لزم الجماعة وهم سعد ابن أبى وقاص وأبو ايوب الانصارى وأسامة بن زيد وحبيب بن مسلمة الفهرى وصهيب بن سنان ومحمد بن مسلمة فى عشرة آلاف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين . فقالوا نتولى عثمان

وعليا ولا نتبرأ منهما ونشهد عليهما وعلى شيعتهما بالايمان ونرجو لهم ونخاف عليهم

(خامسها) الحرورية فقالوا نشهد على المرجئة بالصواب ثم خلطوا بعد ذلك وكفروا كل من خالفهم

ثم أن هذه الفرق انقسم بعضها على بعض فصارت سبعين فرقة

(ما حدث بعد قتل عثمان) اجتمع رأى الناس على اسناد الخلافة لعلى بن أبى طالب عليه السلام فأباها أولا ثم اضطر لقبولها فقبلها فخرج عليه معاوية بن أبى سفيان بالشام مدعيا انه هو الذى أوعز بقتل عثمان . وخرج عليه طلحة والزبير وعائشة مطالبين بدم عثمان فكانت حروب هلك فيها جم غفير من المسلمين سنلم بها فى تاريخ على كرم الله وجهه

(مراثى عثمان رضى الله عنه) أكثر الشعرا بعد قتل عثمان من رثائه فقال حسان ابن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم من أبيات :

أتركتم غزو الدروب وراءكم
وغزوتمونا عند قبر محمد
فلبئس هدى المسلمين هديتم
ولبئس أمر الفاجر المتعمد

وله ايضا:

ان تمس دارين أروى منه خاوية
باب صريع وباب محرق خرب
فقد يصادف باغى الخير حاجته
فيها ويهوى اليها الذكر والحسب
يا أيها الناس أبدوا ذات أنفسكم
لا يستوى الصدق عند الله والكذب

(صفة عثمان رضى الله عنه) لم يكن بالطويل ولا بالقصير وكان حسن الوجه رقيق البشرة كث اللحية عظيمها أسمر اللون عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين كثير الشعر وكان يلون لحيته بالصفرة ويشد أسنانه بالذهب

أما ولده فهم عبدالله الاكبر أمه فاختة بنت غزوان وعبد الله الاصغر أمه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى صغيرا ،وعمرو وأبان وخالد وعمر وسعيد والوليد وأم سعيد والمغيرة وعبد الملك وأم عمرو وعائشة

وقد كان عمرو أسنى أولاده وأشرفهم عقبا . وكذلك ابنه عبد الله الاكبر ، وله عقب كثير وممن أعقب من أولاده

أيضا خالد

(نظرة فى الثورة التى حدثت فى عهد عثمان)

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركا للأمة الخيرة فى انتخاب من يقوم بأمرها ، والحرية فى اختيار شكل حكومتها فاجتمع رأيها على أن يكون أميرها بالانتخاب وأن يكون شكل حكومتها على نحو ما كان عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى أشبه بملكية يقودها رئيس واحد الى ما يرى فيه المصلحة ملقبا بلقب خليفة

ونحن لانستطيع ان نسمى هذا الشكل من الملكية لاملكية مقيدة ولا مطلقة ولا استبدادية ولا دستورية لأخذها من مقومات كل من هذه الاشكال بقسط . فمن رأى الخليفة قائما بالامر وحده غير مكلف بأخذ رأى وزارة مسؤولة ولا مقيد بمجلس نيابى خيل له ان هذا الشكل ملكية مطلقة ليس للقائم بالامور فيها ما يمنعه عن الاستبداد برأيه . ولكن فانه ان من اكبر مميزات الحكومات المطلقة علو ارادة القائم فيها على كل ارادة حتى على نصوص القانون نفسه وتغلب سلطانه على كل سلطة حتى على سلطة الامة . ولم يكن الامر كذلك فى الشكل الذى كانت عليه الخلافة الاسلامية الاولى . فان الخليفة وان كان مطلق الارادة الا انه كان خاضعا لسلطة القانون الالهى وهو القرآن وسنة الرسول . وكانت سلطته مستمدة من سلطة الامة فانها هى التى انتخبته لمركز الخلافة بارادتها ، فلم يرق اليها لا بالوراثة ولا بالتغلب . وكل أمة تهب السلطة تستطيع أن تسلبها فكان الخليفة الاسلامى يشعر بهذه القيود فكان يصرح فى أول خطبة له بأنه سيعمل بكتاب الله وسنة رسوله ويعترف للامة بحق عزله ان حاد عنهما

ولكنا مع هذا لانستطيع أن نحكم بأن هذا الشكل من الحكومة كان من الملكية المقيدة بالمعنى السياسى المعروف الآن . فان التقييد الحكومى لايكون الا بقانون نظامى وسلطات متنوعة تقوم بحفظه من العبث . ولم يكن فى شكل الخلافة الاسلامية ظل من هذه السلطات فكان المسلمون ينتخبون الامير ويدعونه وشأنه يعمل ماشاء بغير رقيب ولا حسيب الدستور القرآنى يسع كل ماجدّ

البوم من اشكال السلطات الدستورية فى قوله تعالى : «وأمرهم شورى بينهم» وفى مبدأ انتخاب الامير ماكان يمكن أهل الحل والعقد فى الامة الاسلامية الاولى من تأليف وزارة مسؤولة ومجلسين نيابيين كما عليه الحال فى البلاد الدستورية اليوم ، ولكن عذر المسلمين الاولين انهم كانوا أهل بداوة لاعلم لهم بنظام الدول ، بل كان العالم كله فى ذلك العهد لايدرك من معنى الدستور ما يسعه معناه ، فلم يكن من السهل على امة كالامة العربية أن تبلغ فى شكل حكومتها المبلغ الذى يحتمله دستورها الالهى فاكتفت بما وصل اليه علمها من شكل الخلافة

تولى الخليفة الاول فسار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يختلف عليه أحد ، وسارت الحكومة سيرها الطبيعى وارتقت الامة رقيها المقدر لها فى عهده . ثم خلفه الخليفة الثانى فاستن بسنة سلفه فلم تنجم ناجمة من شر ، واطردت الامة طريقها فى الرقى والتقدم

ولكن لاننس ان انتظام سير الحكومة فى هذين العهدين كان ثمرة أخلاق الرجلين اللذين مثلاها لاثمرة نظامها الذاتى ، لان نظامها كما قدمنا كان خالياً من كل ضمان وكل قيد فلم يكن يصد ارادة القائم بها شىء الا مايكون من انتقاد المحكومين فى مجالسهم الخاصة ولا أثر لذلك فى تغيير وجهة الامور

تولى الخليفة الثالث وهو عثمان رضى الله عنه فلم يكن من طراز أبى بكر وعمر فى ترفعهما عن المؤثرات الخارجية فاستولى عليه أهله وعشيرته فاتخذوا الولايات الاسلامية طعمة لهم ، وخضع هو نفسه لاهوائهم فأخذ يغدق عليهم من الاموال مالم يسمع بمثله فى أيام صاحبيه فأنكر الناس عليه ذلك وكان ماكان من أمر التألب عليه

ان الناظر فى حادثة عثمان على ما أحاطها به المؤرخون من عبارات التضليل الباعث عليه ضعف النقد بعدها أمراً جللا وهى فى حقيقتها أمر طبيعى كان كنتيجة لازمة لمقدمات سابقة . ونحن لانود أن نقول بأن عثمان رضى الله عنه استحق أن يقتل ، ولكننا نقول انه استحق ان يعزل ولكن الشكل الفذ الذى كانت عليه الحكومة اذذاك لم يسمح الا بحدوث هذه النتيجة المحزنة المريعة

عثمان استحق أن يعزل لبضعة أسباب :

(أولا) لضيعة هيبة الخلافة فى عهده فانه كان يجترىء رجل مثل جهجاه على كسر العصا التى كان يتوكأ عليها وهو على المنبر فلم يقو على معاقبته بما استحق أو يتؤاخذنه بحيث لا يجترىء عليه مجترىء بمثلها

وقد تبين من التاريخ الذى سردناه انه كان يصعد الى المنبر فيتوب مما فعل ويستغفر الله ثم يعود سيرته الاولى من الخضوع لرأى فتية بنى أمية . وفى توبته اقرار بأنه أخطأ ثم فى عودته دليل محسوس على خضوعه للمؤثرين عليه وكفى بهذا اسقطا لهيبة الخلافة وهى الخطة التى كان يعتبر صاحبها الرئيس الاعلى للامه

(ثانيا) لوقوعه تحت تأثير قرابته من امثال عبد الله بن سعد بن أبى سرح وعمرو بن العاص وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ومعاوية بن أبى سفيان وغيرهم وهم امامن الطلقاء الذين من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بالعفو عند فتح مكة بعد ان كان تاريخهم فى مكافحة الدعوة الاسلامية اقبح تاريخ ، وإما هم من الفتيان الذين لا حريجة لهم فى الدين ولا صفة لهم بين المؤمنين

(ثالثا) لحرمانه المجتمع الاسلامى من مكونيه الاولين امثال على بن ابى طالب وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وأبى أيوب الانصارى وعبد الله بن عمر وغيرهم من كبار الصحابة ، واعتماده على فتيان بنى أمية . فكان يرسل الى الولايات الكبرى كمصر وسورية والعراقين والفرس من أولئك الفتية من لا يحسنون قيادة ولا يعرفون سيادة ، ويترك امثال أولئك الكاملين عاطلين بلا عمل وهم مكونو المجتمع الاسلامى وأرواحه التى أقامته بين المجتمعات البشرية

هذه الامور الثلاثة وحدها كانت كافية لتبديد المجتمع الاسلامى وحل الوحدة الدينية وهى وحدها كانت كافية لحمل المسلمين على خلع ذلك الخليفة ولكن شكل تلك الحكومة لم يكن يسمح لهم بخلعه فحدثت الحادثة التى انتهت بقتله

كان عثمان يستطيع أن يتلافى الوقوع فى شر هذه الحوادث بتولية أمثال على وطلحة والزبير الولايات الكبيرة فان هؤلاء النفر كان لهم من المقام الرفيع ، والسوابق الجليلة ، والحب فى نفوس الناس ، ما كان يقيم الكافة على الطريق السوى ويوجد

للمجتمع الاسلامى روحه المدبر . ولكن عثمان كان تحت تأثير مثل عبدالله بن سعد ابن أبى سرح المطعون فى دينه ومروان بن الحكم المكروه من الناس وغيرهما من الغلمان والاحداث دون أولئك الصحابة الأكرمين الذين استعان بهم النبى صلى الله عليه وسلم نفسه فى تكوين الامة ، واستعان بهم أبو بكر وعمر فى تقويم معوج الشؤون ، فكيف لا تنحرف عنه الامة وكيف لا تسقط مهابة الخلافة ، وكيف لا يجترىء الناس عليه؟

ان قتل عثمان رضى الله عنه على حسن سوابقه وفواضله فى اقامة الدين وبذله نفسه وماله فى مساعدة رسول الله يمد من الامور المريعة ، ولكن الثائرين طلبوا اليه أن يخلع نفسه فأبى فحاصروه ليحملوه على ذلك فأصر على الاباء ، فدخلوا عليه وهددوه بالقتل فلم يزدد الا اباء ، فاستهدف بذلك كل ما حدث

هذا رأينا ولكن اخواننا المؤلفين الأولين كانوا يذهبون فى تعظيم الاشخاص مذهبا لا يلائم روح الدين نفسه فاستنكروا حادثة عثمان استنكاراً لم يفعله معاصروه أنفسهم واننا نرى من اتمام الفائدة ان تأتى على نص دفاع دافع به عنه أبو بكر محمد بن يحيى الاشعرى فى كتابه « التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان » وهو مثال لغيره قال :

« اعلم رحمك الله ان الرافضة والملحدة قد طعنوا على عثمان وتعلقوا عليه بأشياء فعلها لا يثبت لهم عليه بها حجة ، قد ذكرنا أكثرها فيما مضى ونذكر الآن منها طرفا ونذكر الجواب عنها بحسب الامكان فنقول :

« فان قيل ان ابن مسعود أنكر على عثمان فى أمر المصاحف وتحريقها ، فالجواب ، ان ابن مسعود دونه فى الفضل والمرتبة فكان عثمان أعلم بما فعل ، ولأن الرجل كان يقول للرجل قراءتنا خير من قراءتك فأزال عثمان هذا وجمعهم على شيء واحد وكان قد ولى زيد بن ثابت أمر المصاحف ولو كان ذلك متوجها الى عثمان لكان ذلك طعنا على من قبله من الصحابة وقد روى ان عليا قال : عن ملأ منا أصحاب رسول الله فعل عثمان . ولو كان منكراً لكان على قد غيره لما صار الامر اليه ، فلما لم يغيره علم ان عثمان كان مصيبا فيما فعل

«فان قيل انه اعتدى بتولية الوليد ابن عقبة وانه سكر فصلى بهم الفجر ركعتين ثم التفت فقال أزيدكم؟فالجواب انه قد ولى رسول اللهصلى الله عليه وسلم بعض الناس على الصدقة ففسق فأنزل الله (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا .الآية) فليس يلحق عثمان الا مالحق رسول الله صلى الله عليه وسلم . وولى عمر بن الخطاب قدامةبن مظعون البحرين فشرب الخمر متأولا فجلده عمر،وقدامة بدرى من أولى السابقة والفضل ، وكذلك عثمان. وولى علىّ المختار بن أبي عبيد المدائن فأتاه بصرة فقال هذه من أجور المومسات . فقال على رضى الله عنه قاتله الله لو شق عن قلبه لوجد فيه حب اللات والعزى وهو أفسق من الوليد . فأخذ المختار المال ولحق بمعاوية

« وكان على يلقى من ولاته وعماله الأمر الشديد فكان يقول وليت فلانا فأخذ المال ووليت فلانا فخانني الى غير ذلك .ذكر ذلك أبو نعيم فى كتاب الامة

«فان قيل قد انكر ابن مسعود وأبو ذر اتمام عثمان الصلاة بمنى وانه صلى اربعا . فالجواب انه قد اعتذر عن ذلك وقال ذاك رأى رأيته . ثم لو كان فعله خلاف الحق لما تبعاه ووافقاه.فقيل لهما فى ذلك فقالا الخلاف شر

«وقد روى جماعة من الصحابة اتمام الصلاة فى السفر منهم عائشة وسلمان وأربعة عشر من الصحابة . والذى حمل عثمان على اتمام الصلاة انه بلغه أن قوما من الاعراب شهدوا الصلاة معه بمنى ، فرجعوا الى قومهم فقالوا الصلاة ركعتان كذلك صليناها مع عثمان بمنى . فلاجل ذلك صلاها أربعا ليعلمهم مابنوا به الخلاف والاشتباه . وكذلك فعل عمر فى أمر الحج وأن يجمعوا بين الحج والعمرة فى أشهر الحج وخالفه ابنه عبدالله وقال سنة رسول الله أحق أن تتبع . وتابعه أبو موسى وجماعة من الصحابة على ترك الجمع بين الحج والعمرة مع علمهم بفعل رسول اللهصلى الله عليه وسلم واقامة الاحرام حتى دخل مكة معتمراً حتى فرغ من المناسك ولم ينكروا ذلك على عمر ولو انكروه لما تابعوه على رأيه

« فان قيل أنه أعطى من مال الصدقة ووفر أقرباءه فالجواب ان عثمان أعلم ممن أنكر عليه والامام اذ رأى المصلحة

فى فعل شىء فعله فلا يكون انكار من جهل المصلحة فى ذلك حجة على من عرفها فانه لا يخلو زمان من قوم يجهلون وينكرون الحق من حيث لا يعرفون. فقد فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فى المؤلفة قلوبهم يوم الجعرانة وترك الانصار لما رأى فى ذلك من المصلحة حتى قالوا تقسم غنائمنا فى الناس وسيوفنا تقطر من دمائهم؟ وجهلوا ما رآه عليه السلام من المصلحة وذلك أعظم مما فعله عثمان لان مال المؤلفة من الغنيمة فلا يلزم عثمان من انكار من أنكر عليه الا مالزم رسول الله صلى الله عليه وسلم

« فان قيل الذى أعطى رسول الله كان من الخمس قيل لو كان من الخمس لما أنكرت الانصار ذلك ولما قالت غنائمنا، ولقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أعطيتهم من مال الله. ألا تراه استمال قلوبهم بقوله : ألا ترضون أن يذهب الناس بالاموال وتذهبون برسول الله الى بيوتكم؟ قالوا رضينا والحديث مشهور

« فان قيل ان عثمان ضرب عمارا قيل هذا لا يثبت ولو ثبت فان للامام أن يؤدب بعض رعيته بما يراه وان كان خطأ. ألا ترى ان النبى عليه السلام أقص من نفسه وأقاد وكذلك ابو بكر وعمر أدبا رعيتهما باللطم والدرة وأقادا من أنفسهما وذلك لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطن رجل بخشبة فجرحه فرفع قميصه وقال تعالى فاقتص. فعفا عنه. وجاء رجل الى أبى بكر يستحمله فلطمه فأنكر ذلك الناس فقال أبو بكر انه استحملنى (أى طلب ان أحمله على دابة) فحملته فبلغنى انه باعه . ثم قال له دونك فاستقد فعفا عنه .وضرب عمر جارية سعد بالدرة فساء ذلك سعداً فناوله عمر الدرة وقال له اقتص . فعفا

« فان قيل عثمان لم يقد من نفسه قيل له كيف ذاك وقد بذل من نفسه مالم يبذله أحد خصوصا يوم الدار فانه قال ياقوم ان وجدتم فى كتاب الله أن تضعوا رجلى فى قيد فضعوها . وقد ذكرنا ان عماراً تقاذف هو ورجل آخر فجلدهما عثمان حد القذف

« فان قيل أعطى عثمان من بيت المال من ليس له فيه حق. قيل لا يثبت ذلك عنه. وكيف نقبل ذلك وعثمان من

اكثر الناس مالا وأكثرهم عطية ومعروفا مع ان العصر لا يخلو من جهال يقولون مالا يعلمون فقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقال له رجل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فبلغ ذلك النبي عليه السلام فغضب ثم قال : رحم الله موسى لقد أوذى بأكثر من ذلك فصبر . وقسم يوم حنين تبراً فقال له رجل اعدل يا محمد فقال له ويحك ومن يعدل اذا لم أعدل ؟ فهذا رسول الله كان يلقى من الجهال هذا فكيف بعثمان رضى الله عنه

« فان قيل انه ولى أقواما لا يستحقون الولاية منهم الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر وغيرهم . قيل فمن أين لكم ان هؤلاء لم يعدلوا ولئن جاز لكم ادعاء الفسق فى ولاة عثمان لجاز ذلك فى ولاة عمر ، فقد ولى المغيرة البصرة فرمى بما لا يثبت . وولى أبا هريرة البحرين فقالوا خان مال الله . وولى قدامة البحرين فشرب الخمر متأولا (أى انه أحل بتأويله ما ورد فيه من النهى لا عاصيا) . وولى علىّ الاشتر وأمره ظاهر . وولى ابن مخنف فأخذ المال وهرب . فلم خصصتم عثمان بالطعن مع ان النبى صلى الله عليه وسلم ولى زيد بن حارثة فطعن الناس فيه حتى قام خطيبا منكراً عليهم فيما طعنوا فيه . وقالوا فيه وفى اسامة ابنه والحديث مشهور وانما طعن الناس على عثمان للينه وحيائه وكثر فى أيامه من لم يصحب النبى عليه السلام ومن جهل فضل الصحابة

« قال قيل فقد نفى أباذر الى الربذة فردا . قيل لم يكن ذلك نفيا وانما كان ذلك تخييراً له لانه كان كثير الخشونة لم يكن يدارى من الناس مايدارى غيره فخيره عثمان بعد استئذانه فى الخروج من المدينة فاختار الربذة ليبعد عن الناس ومعاشرتهم وذلك انه كان بالشام فجرى بينه وبين معاوية مناظرة فى هذه الآية (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، الآية) فقال معاوية هى فى أهل الكتاب وقال أبو ذر هى فيهم وفينا فكتب معاوية الى عثمان فى ذلك ، فكتب الى أبى ذر أن أقدم علىّ . قال فقدمت عليه ، فانثال علىّ الناس كأنهم لم يعرفونى . فشكا ذلك الى عثمان رضى الله عنه واستأذن فى الخروج من المدينة فخيره فاختار نزول الربذة لما يلقي من الناس واجتماعهم عليه فخاف الافتتان بهم . هذا

هو الصحيح . فأما الرافضة فيضعون عليه أشياء لاأصل لها . فان جعل إشخاص أبى ذر من الشام وحبسه بالمدينة طعنا على عثمان ، قيل الأئمة اذا خشوا الفتنة والاختلاف فلهم أن يبادروا الى حسمه. وقد فعل عمر مثل ذلك ، حبس جماعةمن الصحابة عنده بالمدينة لأجل أحاديث حدثوها الناس ومنعهم من الخروج ومنعهم من لبس أشياء كانت مباحة خوفاً أن يتأسى بهم من لاعلم له ولا ورع عنده فيرتكب بذلك ماليس له مع ان للامام أن ينفى أقواما اذا خاف الافتتان بهم . فقد روى ان عمر بن الخطاب نفى نصر ابن حجاج لما خاف أن يفتتن به النساء لحسن صورته . وقصته مع أم الحجاج بن يوسف مشهورة . وشعرها فيه :

هل من سبيل الى خمر فأشربها
ام هل سبيل الى نصر بن حجاج

«ونفى على رضى الله عنه النعمان عن ملأ من الصحابة ونفى حسان أيضا والله أعلم

«فان قيل ان جماعة وافقوا على حصره وقتله فقد روى ان حذيفة وعمارا قالا قتلناه كافرا ، وان طلحة فيمن حصره ، وان عليا أعان على قتله وان الناس خذلوه وأسلموه الى غير ذلك من الامور . قيل هذا لايصح عن حذيفة وانما المنقول عنه خلاف ذلك وانما هذا من كلام الرافضة وان نقل ذلك فانه لايخلو أحد من الصحابة من حاسد وممن يبغضه فكيف بعثمان وهو من أهل السابقة والفضل والكمال ؟ والطعن على عثمان طعن على من تقدمه ، وأما طلحة فانه كان يقول يوم الجمل اللهم خذ لعثمان منى حتى ترضى ، وأما على فانه قال غير مرة اللهم انى أبرأ اليك من دم عثمان . وقال والله ماقتلت عثمان ولا مالأت على قتله . ولما بلغه قتله قال : اللهم انى لم أرض بقتله ولم آمر به . وقال فيه كان عثمان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين . وسئلت عائشة عن عثمان فقالت : قتل مظلوما لعن الله قاتله ، أقاد الله من ابن أبى بكر ، وساق الله الى أعز بنى تميم هوانا ، واهرق الله دماء بنى بديل ، وساق الله الى الاشتر سهما من سهامه . فوالله مامن القوم أحد الا أصابته دعوتها . وأما ترك الصحابة الانكار على من حصره فلقد ناصحوا عنه ولم يظنوا

ان الامر يبلغ الى قتله وأنما ظنوا انها تكون معتبة . ومع ذلك فان عثمان كان يعزم عليهم ليكفوا عن القتال ولقد أنكروا وبالغوا فى الانكار . منهم على وزيد بن ثابت وعبد الله بن سلام وابن عمر وأبو هريرة والمغيرة والزبير وابن عامر وحمل الحسن بن على يومئذ جريحا ولبس ابن الزبير الدرع مرتين رضى الله عنهم. وعن ابن عون لقد قتل عثمان وان فى الدار لسبعمائة رجل منهم الحسن وابن الزبير ولو أذن لهم لضربوهم حتى أخرجوهم من المدينة . وأما طلحة فانه انصرف ولم يكن فيمن حضره . كيف وهو يلعن قاتله مع عائشة صباحا ومساء . وكان هو والزبير وعائشة ومعاوية يطلبون بدمه . فكيف يعينون عليه ويطلبون بدمه هذا خلف ومع هذا فينبغى الكف عما شجر بين الصحابة والاستغفار لهم والامساك عما نسب اليهم من الرذائل ، وكذلك أتباع الانبياء انما يذكر محاسنهم التى مدحوا عليها ويمسك عما سواها

« فان قيل ان عثمان حمى الحمى ومنع منه الناس قيل روى أن المصريين جاؤا الى عثمان فقالوا : ادع بالمصحف فدعا به فنحوا سورة يونس وقرأ هذه الآية : « قل أرأيتم ما نزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا . الآية » فقالوا له أرأيت ما حميت من الحمى آلله أذن لك اما على الله تفترى ؟ فقال هذه الآية نزلت فى كذا وكذا ، وأما الحمى فقد حمى الائمة قبلى لابل الصدقة فلما زادت ابل الصدقة زدت فى الحمى فجعلوا لا يأخذونه بآية الا قال نزلت فى كذا وكذا حتى أخذ عليهم أن لا يشقوا عصا المسلمين ، فأقبلوا راجعين الى بلادهم راضين. فرأوا فى الطريق غلاما معه كتاب فرجعوا اليه فقال انى لم آمر به ولا شعرت به فحصروه باغين عليه ظالمين له . وقد حمى النبى صلى الله عليه وسلم نقيع الخضمات لخيل المسلمين. وقال البخارى بلغنا ان النبى عليه السلام حمى النقيع وحمى عمر السرف والربذة واستعمل على الحمى مولى يدعى هنيا . فلم يثبت على عثمان ذنب ولو ثبت لما استحق بذلك القتل وانتهاك الحريم وشق العصا وتفريق الجماعة . ولكن الله أكرمه بالشهادة وألحقه بالنبى عليه السلام وصاحبيه فى الجنة حافظا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خلع القميص وحقن

قاتلوه بالخزى واللعنة وانتهاك حرمة المدينة فى الشهر الحرام

« فان قيل فقد رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر فتنة تكون بعده وقال فى عثمان فاتبعوا هذا وأصحابه فانهم على هدى فأخبرنا من أصحابه . قيل أصحابه أصحاب رسول الله المشهود لهم بالجنة المذكور بعضهم فى التوراة والانجيل الذين من أحبهم سعد ومن أبغضهم شقى مثل على بن أبى طالب وطلحة والزبير وسعد وسعيد وغيرهم من الصحابة ممن كان فى وقتهم فانهم كلهم كانوا على هدى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وكلهم أنكر قتله وكلهم استعظم ماجرى على عثمان وشهدوا على قتلته انهم فى النار ، وهم الذين تجمعوا وتألبوا عليه مثل عبد الله ابن سبأ وأصحابه الذين أشقاهم الله بقتله حسداً منهم له وبغيا عليه وارادة الفتنة وأن يوقعوا الضغائن بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم لما سبق عليهم من الشقاء فى الدنيا ومالهم فى الآخرة من العذاب الأليم فاجتهد الصحابة فى نصرته والذب عنه وبذلوا أنفسهم دونه فأمرهم بالكف عن القتال وقال انى أحب أن ألقى الله سالما مظلوما ولو أذن لهم لقاتلوا عنه . قال ابن سيرين كان معه فى الدار جماعة من المهاجرين والانصار وأبنائهم . فقالوا ياأمير المؤمنين خل بيننا وبينهم فعزم عليهم أن لايقاتلوا

« فان قيل فقد علموا انه مظلوم وقد أشرف على الهلاك فكان ينبغى عليهم أن يقاتلوا عنه وينصروه وان كان قدمنعهم . قيل أن القوم كانوا أهل طاعة لامامهم وقد وفقهم الله تعالى للصواب من القول والعمل وقد فعلوا مايجب عليهم من الانكار بقلوبهم والسنتهم وعرضهم لنصرته على حسب طاقتهم فلما منعهم من نصرته علموا ان الواجب عليهم السمع والطاعة له ولا يسعهم مخالفته وكان الحق عندهم فيما رآه عثمان

« فان قيل فلم منعهم عن نصرته وهو مظلوم وقد علم ان قتالهم عنه نهى عن المنكر واقامته حق يقيمونه . فالجواب ان منعه اياهم يحتمل وجوها كلها محمودة . أحدها علمه بأنه مقتول مظلوم لاشك فيه لان النبي صلى الله عليه وسلم قد أعلمه انه يقتل مظلوما وأمره بالصبر فقال : اصبر . فلما أحاطوا به تحقق انه مقتول وان الذى قاله

النبي عليه السلام له حق لابد أن يكون . ثم علم أن قد وعد من نفسه الصبر فصبر كما وعد وكان عنده من طلب الانتصار لنفسه والذب عنها فاذا رضى فليس هذا بصابر اذ وعده من نفسه الصبر

« الوجه الثانى انه كان قد علم أن فى الصحابة قلة عدد وان الذين يريدون قتله كثير عددهم فلو أذن لهم فى القتال لم يأمن أن يتلف من أصحاب النبى عليه السلام بسببه فوقاهم بنفسه إشفاقا منه عليهم لأنه راع عليهم والراعى يجب عليه أن يحفظ رعيته بكل ما أمكنه . ومع ذلك فقد علم انه مقتول فصانهم بنفسه . الوجه الثالث انه لما علم انها فتنة وان الفتنة اذا سل فيها السيف لم يؤمن أن يقتل فيها من لا يستحق القتل فلم يختر لاصحابه أن يسلوا السيوف فى الفتنة اشفاقا عليهم من تقم تذهب فيها الاموال وتهتك فيها الحريم فصانهم عن جميع هذا

« ووجه رابع وهو انه يحتمل ان يكون صبر عن الانتصار لتكون الصحابة شهوداً على من ظلم وخالفا أمره وسفك دمه بغير حق لان المؤمنين شهداء الله فى ارضه . مع ذلك فلم يحب ان يهرق بسببه دم مسلم ولا يخلف النبى صلى الله عليه وسلم فى أمته بسفك دم رجل مسلم فكان عثمان بهذا الفعل موفقا معذورا رشيدا مجبورا وكان الصحابة فى عذر وشقى قاتله وخذل والله أعلم » انتهى

* * *

هذا مثال مما يكتبه مؤرخو المسلمين عن الحوادث الكبرى فى تاريخ الصدر الاول وهى كتابات من يعتقد ان الله يتقرب اليه بمثلها مما يقصد به تنزيه أصحاب رسوله من الخطأ والزلل، والذهاب فى تقديسهم الى أبعد ما يصل اليه وهم المتوهم . وغفل هؤلاء المؤرخون انهم بذلك يسخطون الحق ويضللون الامة عن رؤية وجوه العبر من تاريخ أسلافها ويحرمونها من الاستفادة من تسلسل حوادثه وتضامنها ؛ وكل هذه هفوات لا تغتفر ارتكبوها فى سبيل الاعتقاد بأن الغلو فى ادعاء العصمة لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من القربات التى توجب لفاعلها المغفرة وحسن الخاتمة

ان الذى يطالع ما نقلناه من دفاع أبى بكر محمد بن يحيى الاشعرى يخيل اليه انه يقرأ حادثة دينية أشبه بما تاريخ به الشعوب

القديمة عن أنبيائها فيرى خليفة بلغ الغاية فى القيام بما عهد اليه قد أحاط به أعداء الحق من كل صوب ، وكبار صحابته جاثون حوله يلتدمون صدورهم ، خاشعة أبصارهم ، يسألونه أن يأمرهم ببذل أرواحهم للدفاع عنه ، فيأبى عليهم ذلك تحققا منه انه مقتول ، فيصمتون حيارى لايدرون ماذا يفعلون ثم ينتهى الامر بهجوم أولئك الفجرة المحاصرين فيقتلونه وهو بين أيديهم تحقيقا للنبوءة السابقة ، واحقاقا للمحنة اللاحقة

هذا ماينبادر الى خيال تالى ذلك الدفاع وكفى بهذا تضليلا للعقول ، وافسادا لعبر التاريخ ، وطمساً لمعالم الحقيقة الاجتماعية وخروجا على سنة القرآن ، وتشويها لصورة المجتمع الاسلامى فى ذلك العصر

لقد سهل على هذا المدافع عن عثمان رضى الله عنه أن يصور كبار الصحابة الذين كانوا على عهده فى صور الاخشاب المسندة لايبدون حراكا تاركين خليفتهم فى يد طغمة من خشارة الناس يحاصرونه ويمنعونه الصلاة والماء ثم يهجمون عليه فيقتلونه كأن من سنة الدين الاسلامى أن لايجوز لأحد أن يغير مكروها رآه ولو كان فيه ازهاق روح الخليفة واسقاط هيبة الخلافة وشعب وحدة المسلمين . كل هذا يسيغه المدافع فى سبيل الانتصار لفرد غير معصوم من الخطأ

نحن مثله نجل مقام عثمان رضى الله عنه ونعده ركنا من أركان الدعوة الاسلامية الاولى ببذل فى سبيلها روحه وماله ، ونرى من الحوادث المنكرة قتله ولكننا أكثر اجلالاً للحق لان الله هو الحق وليس بعد الحق الا الضلال ، فلا يظنن أحد اننا من أعداء الخليفة الثالث أو اننا من الشيعة نرى أن علياً كان أولى منه بالخلافة ، ولكننا نحب أن تقرر حادثة تاريخية بغير تضليل للعقول ، فنريد أن نرى القارىء الاسباب ونتائجها كما هى وكفى بهذا خدمة للناس

فان كان يرى بعض الناس انهم يتقربون من الله بالانتصار المطلق للصحابة والتعسف فى الاعتذار عنهم ، وطمس معالم الحقيقة لانتحال الحجج لتنزيههم ، فاننا نرى ان عبادة الله لاتكون الا بمظاهرة الحق وتجليته ابيض ناصعا كما هو فى ذاته ، ونعتبر من الانحراف عن الدين السعى فى طمس أعلامه ، وتعفية آثاره

كفانا أن نقول إن عثمان رضى الله عنه كان واحداً من أجلاء الصحابة تقيا نقيا ورعا قضى عمره فى نصرة الاسلام وبذل ماله لتكوين شيعته ، ولكنه كان من اللين ورقة الجانب بحيث تغلب عليه فتيان بني أمية أمثال مروان بن الحكم وسعيد ابن العاص وعبد الله بن سعد بن أبى سرح وغيرهم ممن لافضيلة لهم ، بل ممن سيرتهم كانت مذمومة ،وطريقتهم مريبة، فاضطرب حبل الامور ، واختل توازن المجتمع ، فدعا ذلك الى التذمر والشغب ، وجر ذلك الى تكوُّن عصابة انتدبت لخلعه او احداث حدث يمنع تدخل الاغرار فى تلك الحكومة القيمة ، فأدت الامور الى ما كان ، وهو حادث حصل مثله فى كل أمة من أمم المعمور. ولقد كان عثمان رضى الله عنه يستطيع أن ينفى ذلك كله بخلع نفسه من الخلافة ولكنه أبى ذلك مدفوعا باشارة مروان وأمثاله

مما يدل على ان كبار الصحابة كانوا متذمرين من استسلام عثمان لمشيريه من فتيان بني أمية ان بقية أهل الشورى كعلى وطلحة والزبير وسعد كانوا ضده. فكان على عليه السلام كثيراً ما ينهاه عن الاسترسال فى الخضوع لاولئك الفتيان حتى حمله على أن يتوب على ملأ من المسلمين على المنبر. وكان طلحة ممن يغرى بالتشديد فى حصاره ليحمله على خلع نفسه حتى انه أشار على الثوريين بمنع الماء عنه . وكان الزبير وسعد على رأيهما فى ذلك. هؤلاء عدا كبار الصحابة أمثال أبى أيوب الانصارى ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ولو كان هؤلاء معه لاستطاعوا أن يكفوا الثائرين عنه فلا يصلون اليه بسوء

فان قال قائل بأن هؤلاء لا يستطيعون ذلك فقد قال شططا لان المحاصرين لعثمان كانوا أهل مصر والبصرة والكوفة وكان هوى الاولين مع على والآخرين مع طلحة والزبير فكان يكفى أن يشير اليهم هؤلاء بالانصراف لينصرفوا كما فعلوا أول مرة . ولكنهم لما رأوا ان أمر استسلام عثمان لبنى مروان قد استفحل تركوا الثائرين وشأنهم . ولزم كل منهم بيته

أما قول أبى بكر محمد بن يحيى الاشعرى فى دفاعه انه كان مع عثمان فى الدار جماعة من المهاجرين والانصار وأبنائهم قالوا يا أمير المؤمنين خل بيننا وبينهم فعزم

عليهم ان لا يقاتلوا ، ثم قول أبى بكر المذكور فى الاعتذار من عدم نصرته ان القوم كانوا أهل طاعة لامامهم وقد وفقهم الله تعالى للصواب من القول والعمل وقد فعلوا مايجب عليهم من الانكار بقلوبهم وألسنتهم وتعرضهم لنصرته على حسب طاقتهم فلما منعهم من نصرته علموا ان الواجب عليهم السمع والطاعة ولا يسعهم مخالفته الخ الخ فهو من قبيل تصيد الاعذار للتموية لبس غير . فهل يعقل ان قوما كأصحاب النبى يتركون خليفتهم المحبوب يهدده جفاة العرب وأجلافهم فيستأذنوه فى نصرته فيمنعهم فيجلسون بجانبه مغلولة أيديهم الى أعناقهم ينتظرون به الدوائر؟

ان مثل هذه الحال لاتعقل من الحمقى العاجزين فكيف من الصحابة أئمة الدين؟ ان أشباه هذه السفسطات لو جازت على بعض الاحلام الضعيفة ووافقت بعض الاذواق الكليلة فلا تسوغ فى نظر نقدة التاريخ ، والدارسين لمقدمات الحوادث ونتائجها . فهى أقوال يتعلل بها القارئون تمضية للوقت ولكنها لاتفيد فى تهذيب الامم وترقية ارواحها واعدادها للحياة الصحيحة

أما قول ابى بكر المذكور : فان قيل فلم منعهم عن نصرته وهو مظلوم وقد علم ان قتالهم عنه نهى عن المنكر واقامة حق يقيمونه ؟ فالجواب ان منعه اياهم يحتمل وجوها كلها محمودة. أحدها علمه بأنه مقتول مظلوم لاشك فيه لأن النبى عليه السلام قد أعلمه انه يقتل مظلوما وأمره بالصبر . قال اصبر . فلما أحاطوا به تحقق انه مقتول وان الذى قاله النبى عليه السلام له حق لابد أن يكون ، ثم علم انه قد وعد من نفسه الصبر فصبر كما وعد وكان عنده من طلب الانتصار لنفسه والذب عنها فاذا رضى فليس هذا بصابر اذ وعده من نفسه الصبر

نقول : ان هذا القول من غرائب الاقوال ، فان عثمان لو كان يعلم انه مقتول لما أرسل يستنجد بقواده ليتقذوه ، ولما أغلق بابه عليه ، ولترك الثائرين يفعلون ماشاؤا . ثم كان الصحابة علموا ذلك وكان انبنى عليه فساد عظيم ولم تجر سنة النبى صلى الله عليه وسلم باخبار أحد بأنه سيقتل مظلوما وكل ماورد فى ذلك يمكن عده من الاحاديث الموضوعة لأنها تنافى روح الاحاديث النبوية وعبارتها أشبه

بعبارات الوضاعين لتجسيم شأن الحوادث في نظر العامة

هذا ردنا على الوجه الاول من الوجوه التي سردها أبو بكر محمد بن يحيي صاحب الدفاع . ثم قال :

الوجه الثاني انه علم ان في الصحابة قلة عدد وان الذين يريدون قتله كثير عددهم فلو أذن لهم في القتال لم يأمن أن يتلف من أصحاب النبي عليه السلام بسببه فوقاهم بنفسه اشفاقا منه عليهم لانه راع والراعي يجب عليه أن يحفظ رعيته بكل ماأمكنه ومع ذلك فقد علم انه مقتول فصانهم بنفسه

نقول : مما ينافي هذا الوجه ان عثمان رضي الله عنه كان قد أرسل وهو محصور يستنجد بولاته في الامصار ويطلب اليهم الجيوش لامداده وخاف المحاصرون له أن تجيء تلك الأمداد فعجلوا بقتله وكانوا لايقصدون غير عزله

ثم قال ابو بكر المذكور :

الوجه الثالث انه علم انها فتنة وان الفتنة اذا سل فيها السيف لم يؤمن أن يقتل فيها من لايستحق القتل فلم يختر لاصحابه أن يسلوا السيف في الفتنة اشفاقا عليهم من نقم تنهب فيها الاموال وتهتك فيها الحريم فصانهم عن جميع هذا

نقول هذا الوجه يدفعه ردنا على الوجه المتقدم

ثم قال أبو بكر محمد المذكور :

ووجه رابع : وهو انه يحتمل ان يكون صبر عن الانتصار لتكون الصحابة شهوداً على من ظلمه وخالف أمره وسفك دمه بغير حق لأن المؤمنين شهداء الله في ارضه ومع ذلك فلم يحب أن يهراق بسببه دم مسلم ولا يخلف النبي صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك دم رجل مسلم فكان عثمان بهذا الفعل موفقا معذورا رشيداً مجبوراً ، وكان الصحابة في عذر وشقي قاتله وخذل والله أعلم

نقول : ان هذا الوجه مما لا يحتاج الى رد وهو فوق ذلك يوجب الاسف مما وصلت اليه حالة تعليل الحوادث لدى آبائنا الأولين فيما يختص بتاريخ الصحابة فقد صبغوها بصبغ دينية ، وأحاطوها بتلف من العبارات لاينفذ منها الذهن الى حقيقة الواقع ، فستروا بذلك وجوه العبر عن اعين الناس ؛ وغلا بعضهم فاستحسن ان لا

يخوض خائض فى تحليل الحوادث التى حدثت فى عهد الصحابة حتى لايتناول النقد التاريخى واحداً منهم ولا ندرى حاملا لهم على ذلك غير ما ورد من الاحاديث فى مدح بعض الصحابة، واتقاء الله فى تناولهم بسوء . ولا نرى فى هذا ما يحمل على اغفال حوادثهم من النقد التاريخى الذى هو حق الامة لا حقهم الشخصى ، فما دام تاريخ الامة مرتبطا بتاريخهم وحوادثها متولدة من حوادثهم فان من حقها ان تتبع حوادثها الى مصادرها، وان تتعقب حلقات سلسلتها الى اولاها لتدعم تاريخها على اصوله الثابتة فتصل حاضرها بماضيها صلة محكمة . والتاريخ لم يوضع لمجرد الفكاهة كما يظنه الاكثرون ولكنه ادوار نشوء الحياة الاجتماعية فى الامة لا بد لها من الالمام بها لتستكمل العلم بأطوار وجودها، لتحيا حياة صحيحة . فتناول حوادث الصحابة وتسليط النقد العلمى عليها واجب وجوب البحث عن مقومات حياتنا الاجتماعيه

اما ماورد من الاحاديث فى وجوب احترامهم واتقاء الله فيهم فمحمول على عدم بخسهم حقهم ، والتحامل عليهم لنسوىء سمعتهم

ثم اننا نختم هذه المادة بقولنا أن عثمان لم يعبه شىء، غير افراط فى الاستسلام لذوى قرابته فهم الذين أوردوه الموارد ،اما هو فى نفسه فكان أبر المسلمين نفسا ، وأتقاهم قلبا ، وأطولهم باعا فى نصرة الدين. ناهيك انه جهز جيشا للنبى صلى الله عليه سلم من ماله وانه بذل فى سبيله ما يعبر عنه بالقناطير المقنطرة ثم ناهيك أن النبى صلى الله عليه وسلم رضيه لمصاهرته فزوجه باحدى بناته فلما توفيت زوّجه بأخرى فلما توفيت قال لو كان لنا بنت ثالثة لزوجناكها . هذا يدل على فضل عثمان وعلو كعبه فى الشرف والسؤدد ولولا ماحدث من أستسلامه لبنى أمية لكان تاريخه أكرم تاريخ للأئمة الراشدين . يكفيك دليلا على ذلك ان المسلمين فى السنين الأولى لخلافته كانوا يفضلون عهده على عهد عمر . فلما اشتد كلب فتيان امية على الامارات والاموال كره الناس امرته بسببهم والكمال لله وحده

﴿العثمانيون﴾ هم ملوك آل عثمان الاتراك وكان يطلق اسم عثمانى على كل محكوم بحكومتهم أوداخل ضمن سيادتهم . وقد

استوفينا تاريخهم فى كلمة ترك فانظره هناك

﴿ابو عثمان الجيزى﴾ هو سعد بن اسماعيل الواعظ المشهور . كان كبير الشأن وكان اذا وعظ ينشد :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى
طبيب يداوى والطبيب مريض

يقال انه كان مستجاب الدعوة . قام فى مجلسه رجل فقال يا أبا عثمان متى يكون الرجل صادقا فى حب مولاه ؟

قال اذا خلا من خلافه كان صادقا فى حبه

فوضع الرجل التراب على وجهه وصاح وقال كيف ادعى حبه ولم اخل طرفة عين من خلافه ؟

فبكى ابو عثمان واهل المجلس وجعل ابو عثمان يقول صادق فى حبه ، مقصر فى حقه

قال ابو عمر كنت اختلف الى ابى عثمان مدة فى وقت شبابى وحظيت عنده .

ثم اشتغلت مدة بشىء مما يشتغل به الفتيان فانقطعت عنه وكنت اذا رأيته من بعيد او فى طريق اختفيت حتى لا يرانى فخرج على يوما من سكة فى عطفة

فلم أجد عنه محيصاً فتقدمت اليه وأنا دهش ، فلما رأى ذلك قال يا أباعمرو لا تثقن بمودة من لا يحبك الا معصوما

وكان يقول طول العتاب فرقة ، وترك العتاب حشمة

وكان يقول لا يستوى الرجل حتى يستوى فى قلبه أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل

وكان يقال ثلاثة أشياء لا رابع لها أبو عثمان بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام

وقال أبو عثمان منذ اربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى شىء فكرهته ، لا نقلنى الى حال فسخطته

وقالت مريم ابنة أبى عثمان . كنا نؤخر اللعب والضحك والحديث الى أن يدخل أبو عثمان فى ورده من الصلاة ، فانه اذا دخل ستر الخلوة لم يحس بشىء من الحديث وغيره

وقالت صادفت من أبى عثمان خلوة فاغتنمتها وقلت يا أبا عثمان اى عملك أرجى عندك

فقال يا مريم لما ترعرعت وانا بالرى وكانوا يراودوننى على التزوج فأمتنع جاءتنى امرأة فقالت يا أبا عثمان قد أحببتك حبا

ذهب بنومی وقراری وأنا أسألك بمقلب القلوب أن تتزوج بی

فقلت ألك والد ؟ قالت نعم، فلان الخياط فی موضع كذا

فراسلته فأجاب فتزوجت بها . فلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء سيئة الخلق فقلت اللهم لك الحمد على ما قدرته؛ وكان أهل بيتی يلومونی على ذلك فأزيدها براً واكراما الى أن صارت لا تدعنی أخرج من عندها فتركت حضور المجلس ايثاراً لرضاها وحفظا لقلبها وبقيت معها على هذه الحالة خمس عشرة سنة وكنت معها فی بعض أوقاتی كأنی قابض على الجمر ولا أبدی لها شيئا من ذلك الى أن ماتت فما شیء عندی أرجی من حفظی عليها ما كان فی قلبها من جهتی

توفی ابو عثمان سنة (٢٩٨)

﴿ ابو عثمان الخالدی ﴾ كان شاعرا كثير الحفظ . قال محمد بن اسحق النديم قال لی الخالدی وقد تعجبت من كثرة حفظه : انا احفظ الف سفر فی كل سفر مائة ورقة

وكان هو وأخوه مع ذلك اذا استحسنا شيأ غصباه صاحبه حياً كان أو ميتاً ، لاعجزاً منهما عن قول الشعر؛ ولكن كذا كان طبعهما . وقد عمل أبو عثمان شعره وشعر أخيه قبل موته؛ وله تصانيف منها حماسة شعر المحدثين

من شعره قوله :

ومن نكد الدنيا اذا ما تعذرت
امور وان عدت صغاراً عظائم
ادارمت بالمنتاش نتف اشاهبی
اتيحت له من تفهن الادام
فأنتف ما أهوى بغير ارادتی
وأترك ما اقلی وانفی راغم

وله أيضا :

بنفسی حبيب بان صبری لبينه
وأودعنی الاشجان ساعة ودعا
وأنحلنی بالهجر حتى لو اننی
قذی بين جفنی ارمد ما توجعا

وقال يصف غلامه رشا ويسرد مناقبه فی خدمته :

ما هو عبد لكنه ولد
خولنيه المهيمن الصمد
وشد ازری بحسن خدمته
فهو يدی والذراع والعضد
صغير سن كبير منفعه
تمازج الضعف فيه والجلد

فى سن بدر الدجى وصورته
فتله بصطفى ويعتقد

الى أن قال:

ظريف مزح مليح نادرة
جوهر حسن شرارة تقد
ومنفق مشفق اذا انا اسـ
ـرفت وبذرت فهو مقتصدْ
مبارك الوجه مذ حظيت به
حالى رخى وعيشتى رغد
مسامرى ان دجا الظلام فلى
منه حديث كأنه الشهد
خازن مالى يدى وحافظه
فليس شىء لدى يفتقد
يصون كتبى فكلها حسن
يطوى ثيابى فكلها جدد
وأبصار الناس بالطبيخ فكالـ
ـمسك القلايا والعنبر الثرد
وهو بدير المدام ان جليت
عروس دن نقابها الزبد
تمنح كاسى يد انامها
تنحل من لينها وتنعقد
ثقف كذا كيس فلا عجب
فى بعض أخلاقه ولا أود
وصبرفى القريض وزان دي
نار المعانى الجياد منتقد
ويعرف الشعر مثل معرفتى
وهو على ان يزيد مجتهد
وكاتب توجد البلاغة فى
الفاظه والصواب والرشد
وواجد بى من المحبة والر
أفة أضعاف مابه أجد
اذا تبسمت فهو مبتهج
وان تنمرت فهو مرتعد
ذا بعض أوصافه وقد بقيت
له صفات لم يحوها أحد

للشيخ شهاب الدين محمود فى غلام له عكسا فى هذا المعنى متصوداً للفكاهة قال:

ما هو عبد كلا ولا ولد
الا عناء يضنى به الكبد
وفرط سقم أعيا الاساة فلا
جلد عليه يبقى ولا جَلَد
اقبح ما فيه كله فلقد
تساوت الروح منه والجسد
أشبه شىء بالقرد فى الورى ولد
ان كان للقرد فى الورى ولد
وجنته مثل صبغة الورس لـ
كن ذاك صاف ولونها كمد

يقطر سما فضحكه ابدا
شر بكاء وبشره حرد
فومقلة حشوجفنها عمص
يسيل دمعا وما بها رمد
كأنما الحد في نظافته
قد اكلت فوق صحنه غدد
يجمع كتفيه من مهانته
كأنه في الهجير مرتعد
يطرف لا من حيا ولا خجل
كأنه للتراب منتقد
ألكن الا في الشمس ينبح كالـ
كلب ولو كان خصمه الاسد
يشتمني الناس حين يشتمهم
اذ ليس يرضى بسبه احد
كسلان الا في الاكل فهو اذا
ماحضر الاكل جمرة تقد
كالنار يوم الرياح في الحطب الـ
يابس يأتى على الذى يجد
يرفل في حلة منبتة
من قمله رقم طرزها صرد
أجل اوصافه النميمة والـ
كذب ونقل الحديث والحسد
كل عيوب الورى به اجتمعت
وهو بأضعاف ذاك منفرد
ان قلت لم يدر ما اقول وان
قال كلانا في الفهم متحد
كأن مالى اذا تسلمه
مني ماء وكفه برد
حملته لي دوبة حسنت
كنت عليها في الظرف اعتمد
كمثل زهر الرياض ما وجدت
عيني لها شبها ولا أجد
فمر يوما بها على رجل
لديه علم اللصوص ينتقد
أودعها عنده ففر بها
وما حواها من بعدها بلد
فجاء يبكي فظلت اضحك من
فعلي وقلبي بالغيظ متقد
وقال لي لاتخف فحليته
مشهورة الوصف حين ينتقد
عليه ثوب وعمة وله
وجه وذقن وساعد يد
وقائل بعه قلت خذه ولا
وزن تجازى به ولا عدد
فني الذى قد أضاعه عوض
وهو على ان يزيد مجتهد
كانت وفاة الخالدى في حدود
الاربعمائة

﴿العثنون﴾ اللحية

﴿عثا﴾ يعثو عثوا وعثا يعثا وعَثِيَ يعثَى عِثِيا افسد وتكبر

﴿عجِب﴾ من كذا يعجَب عجَبا اخذه العجب

(عجّبه) حمله على العجب

(اعجبه الامر) حمله على العجب منه

(أُعْجِب فلان من الشيء) اذا عجب منه

(العُجَاب) ماجاوز الحد في العجب

(العَجْب) اصل الذنب

(العُجْب) الزهو والكبر

(الأُعجوبة) العجيبة جمعها أعاجيب

﴿فعل التعجب﴾ للتعجب صيغتان وهما ماأفعله وأفعِل به نحو : (ما اعظم العلم واعظم به) تصاغان من فعل متصرف قابل للتفاوت بشرط ان يكون ثلاثياً تاماً مثبتاً مبنياً للمعلوم لم يجيء الوصف منه على أفعل . فلا يتعجب من نحو عسى ومات ويتوصل للتعجب مما لم يستوف الشروط بذكر مصدره منصوبا بعد نحو ما اشد . ومجرورا بعد نحو أشدد فتقول ما أشد فائدة لعلم ، وما اكثر عائدته ، وأعْظِم بكثرة فائدته

﴿عَجَّ﴾ الرجل يعِج ويعُج عَجا وعجيجا صاح ورفع صوته ومثله (أعج)

(العَجَاج) الغبار ومثله (العَجَاجة)

(العجّاج) الصُياح ومثير العجَاج

﴿عُجَره وبُجَره﴾ اى ما اختفى وما ابدى من ذوات صدره

﴿العَجْرَد﴾ الخفيف السريع والغليظ الشديد

(المُجرَّد) العريان

﴿عجرف﴾ تعجرف تكبر وبغا

(العَجْرَفة) جفوة في الكلام وخرق في العمل

﴿عَجَزت﴾ المراة تَعجُز عُجوزاً صارت عجوزا

(عجَز عنه) يعجِز ويعجز عجزا ضعف عنه ولم يقدر عليه

(العَجُز) مؤخر الشيء

(أعجاز النخل) اصولها

(العَجيزة) عجز المرأة خاصة

﴿المعجزة﴾ هي الامر الخارق للعادة الذي يحصل على يد نبي مرسل ادلالا على صدق رسالته . ولقد كان من سنة الله ان يرسل رسله الى الناس بالمعجزات ليحملهم بها على الاذعان لهم

فانهم كانوا من غلظ الشعور بحيث لايتأثرون الا بما يؤثرعلى خيالهم فقد ارسل موسى بالعصا يلقيها فتنقلب حية تسعى ويدخل يده فى جيبه ثم يخرجها فتنقلب بيضاء من غير سوء . وارسل عيسى عليه السلام بابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله . فلما كان العصر الذى ارسل الله فيه محمداً صلى الله عليه وسلم كانت القلوب قد رقت والعقول قد ارتقت والشعور قد تلطف فلم يرسل رسوله بالمعجزات الخارقة لنظام الطبيعة فجعل معجزاته الحكمة وفصل الخطاب واحقاق الحق وازهاق الباطل والتغلب على الارواح والعقول بمحض الدعوة والسيرة الصالحة فكانت معجزاته أبلغ المعجزات . لأنه ان ساغ للمتشكك ان يشك فى كل معجزة سابقة فلا يستطيع ان يشك فى ان محمداً عليه الصلاة والسلام قد بعث وحيداً بغير مال ولا جاه فغير عقائد أمته ووحد قبائلها وأسس لها ملكا وحاطه بدستور كريم سمح لها بالتدرج فى مراقى الكمال ونفخ فيها روحا ارتقت بها الى اوج العزة والجلال فى سنين معدودة . وكفى بهذه الانقلابات معجزة لمن غبر ومن حضر ولمن يأتى بعدنا الى يوم الدين

ولقد آمن به عدد من كبار فلاسفة الغرب مثل المؤرخ الفيلسوف كارليل الانجليزى والبارون هنرى دوكاسترى الفرنسى واللورد هادلى وغيرهم من هذا الطريق . وانصف تاريخه كبار المؤرخين فأعجبوا بأعماله وأظهروا دهشهم من الروح التى بثها فى امته امثال سديو ودوبرسفال وجوستاف لوبون وربنان ودروى وغيرهم من هذا الطريق أيضا . فمعجزته خير المعجزات وادومها على مر الدهور

ثم لايسبق الى ذهن القارىء ان محمداً صلى الله عليه وسلم لم تحدث على يد المعجزات على الاطلاق ، لا بل حدثت على يده خوارق للعادة لاتقل عما حدث لعيسى وموسى وغيرهما ولكنه لم يجعلها اساساً للدعوة للايمان

فقد روى انه كان اذا عطش جيشه وضع يده فى اناء صغير فنبع الماء من بين اصابعه فشرب جيشه وادخر ماء لسفره . وكان اذا جاع عسكره امر بجمع بقية مايكون لديه من الاغذية فوضع يده فيها فيتغذى جيشه ويتزود منها زاداً يكفى

لأن يوصله لغايته

وقد ثبت عنه غير هذا شيء كثير جداً حتى روى عنه احياء الموتى

لايوجد اليوم من يستطيع أن ينكر امكان حدوث المعجزات غير جماعة الماديين الذين وقفوا من العلم الطبيعي مع ماوصل اليه منذمائة سنة . ولوكان هؤلاء الماديون يستعرضون أمامهم ماهدى اليه ألوف من العلماء الباحثين فى المباحث النفسية فى مشارق الارض ومغاربها أمثال الاساتذة وليم كروكس وروسل ولاس واللورد افبرى واكسون وتندل وباركس ولودج ومورغان الخ من الانجليز وكاميل فلامريون والدكتور داريكس والدكتور جيبنيه والاستاذ شارل ريشيه من الفرنسيين وعدد لايحصى من العلماء الايطاليين والالمانيين والروس وسواهم لرأوا ان كل هؤلاء قد هدوا بالتجارب التى أجروها على القوى النفسية الى نواميس أرقى من النواميس الحاكمة على المادة وفى استطاعتها فى شروط مخصوصة ابطال عمل تلك النواميس واحداث ظواهر جديدة خارقة للنظام الطبيعي المادى فأصبحت المعجزات فى نظر العالم من الممكنات وعلم انها تابعة لنواميس خاصة بها

انا لاأقول ان مايحصل فى جلسات استحضار الارواح والتجارب النفسية من حدوث طرقات اورفع أثاثات الغرف الى السقف او امرار الخزانات الجسيمة والحيوانات من خلال الحوائط اواحداث رياح ترتج منها البيوت أوتتداعى بها الى السقوط او ظهور اشباح نورانية واشباح جسدية تكلم الناس وتنصحهم الخ أنا لاأقول ان هذا كله من باب المعجزات ولكنى أقول ان من يتأمل فى هذه الخوارق التى تتعطل معها نواميس الطبيعة ويتحقق من حدوثها يعرف ان هناك نواميس روحانية أرقى من النواميس المادية وانه لو كانت هذه الخوارق تظهر لمجرد وجود واسطة من عامة الناس فكيف لايحدث أرقى من ذلك على يد نبي مرسل وصل من صفاء الروح وكمال الفطرة الى حيث لاتناله الهمم ولاتحوم حوله الافكار ؟

يصعب على من يحبس نفسه فى أقفاص الحس أن يصدق بأن فى أوروبا خوارق من هذا القبيل تحصل على أيدى علماء الطبيعة وتحت أعينهم فى شروط علمية صارمة ومراقبات لاتحتمل الشبهة

وفى منازل اولئك العلماء انفسهم . نعم يصعب على المحبوس فى قفص الحس أن يتصور ذلك وعذره انه لم يقرأ منه شيأ او أنه هاله أمر الطبيعة المحسوسة فوقف عندها وترك ماوراء ذلك لاصحاب الافئدة القوية والعقول الطامحة (انظر كلمتى روح ونوم مغناطيسى)

﴿ عَجِفَ ﴾ يعجَف عَجَفا ذهب سمنه وهزل فهو (أعجف) وهى عَجْفاء . و (العَجَف) الهزال

﴿عجِل﴾ الرجل يعجَل عجَلا وعجَلة أسرع ومثله (عجَّل)

(عاجله بذنبه) أخذه به ولم يمهله

(أعجله) سبقه

(تعَجَّل) عجل

(استعجله) حثه

(العاجلة) الدنيا

(العُجَالة) ماتعجلته من شىء وما يعجل للضيف

(العِجْل) ولد البقرة

(العَجَل) السرعة . و (العَجِيل) المسرع ومثله(العَجْلان)

(العَجَلة) الخفة والسرعة والآلة التى تجر عليها الاثقال

(العَجول) المسرع والكثير العجلة

﴿المنتخب العجلى﴾ هو أبوالفتوح أسعد بن ابى الفضائل محمود بن خلف ابن أحمد بن محمد العجلى الاصبهانى الملقب منتخب الدين الفقيه الشافعى الواعظ

كان فيها فاضلا زاهدا مشهورا بالعبادة والقناعة عرف عنه انه ما كان يأكل الا من كسب يده وكانت مهنته التوريق

سمع الحديث ببلده على ام ابراهيم فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية والحافظ أبى القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل وأبى الوفاء غانم بن أحمد بن الحسن الجلودى وأبى الفضل عبد الرحيم بن أحمد ابن محمد البغدادى وابى المطهر القاسم بن الفضل بن عبد الواحد الصيدلانى وغيرهم

قدم بغداد وسمع بها من ابى الفتح محمد بن عبد الباقى بن سلمان المعروف بابن البطى وغيره

ثم عاد الى بلده فاشتهر وصنف عدة تصانيف منها شرح مشكلات الوسيط والوجيز للغزالى فتكلم فى المواضيع المشكلة من الكتابين ونقل من الكتب المبسوطة

عليهما . وله كتاب تتمة التتمة لابى سعد الماقولى . وعليه كان الاعتماد فى الفتوى باصبهان

ولد سنة (٥١٤) أو (٥١٥) باصبهان وتوفى بها سنة (٦٠٠) ه

﴿العجلى﴾ نسبة الى عِجل بن لجيم وهى قبيلة كبيرة مشهورة من بنى ربيعة الفرس ولُجَيم هو عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل

قال أبو عبيدة كان عجل بن لجيم يعد فى الحمق بين العرب وكان له فرس جواد فقيل له ان لكل فرس جواد اسما فما اسم فرسك ؟ فقال لم اسمه بعد ، فقيل له فسمه ففقأ احدى عينيه وقال قد سميته الاعور وفيه قال بعض شعراء العرب:

رمتنى بنو عجل بداء أبيهم
وهل أحد فى الناس أحمق من عجل
أليس ابوهم عار عين جواده
فسادت به الامثال فى الناس بالجهل
يقال عار العين اذا فقأها

﴿عجَم﴾ الحرف يعجُمه عَجْما نطقه

(عَجَم الشىء) عضه ولاكه و(عَجَم فلانا) امتحنه

(عجِم يعجَم عُجْمة) كان فى لسانه لكنة

(أعجم الكتاب) ضد أعربه

(تعاجم) تظاهر بالعجمة

(انعجم عليه الكلام) خفى فلم يفهمه

(استعجم) سكت عجزا. و(استعجم الكلامُ) استبهم

(العَجْماء) البهيمة

(العَجَمِىّ) من جنسه العجم وان أفصح

(العَجَم) خلاف العرب (انظر تاريخ العجم فى مادة فرس)

(الأعجم) من لا يفصح كلامه

﴿عجَن﴾ الدقيق يعجُنه ويعجِنه عجنا معروف

(تعجّن الشىء) صار عجينا

(العِجان) الاست وتحت الذقن جمعه عُجُن وأعْجِنة

﴿العجوة﴾ التمر الجيد.

﴿عَدّه﴾ يَعُدّه حسبه وأحصاه

(عَدّ زيدا عالما) حسبه وظنه عالما

(أعد الشىء) هيأه

(اعتد) صار معدوداً

(اعتدّت المرأة) دخلت فى عدتها
(هذا شىء لا يُعْتَدُّ به) اى لا يلتفت اليه
(استعد فلان للامر) تهيأ له
(الماء العِدّ) أى الجارى الذى لا ينقطع
(العديد) المعدود والاسم من العد يقال ما اكثر عديدهم أى عددهم
(أيام عديدة) أى معدودة
(هو فى عِدّادهم) أى يعد معهم
(العِدّة) الجملة من الاشياء

العدد هو الاحصاء

الفاظ العدد من ثلاثة الى تسعة فى اللغة العربية تكون على عكس المعدودة فى التذكير والتأنيث سواء أكانت مفردة كسبع ليال وثمانية أيام أم مركبة كخمسة عشر بيتا وست عشرة دارا . أومعطوفا عليها . كثلاثة وعشرين كرسيا وأربع وعشرين ناقة

أما واحد واثنان فهما على وفق المعدود فى الاحوال الثلاثة . تقول فى المذكر واحد واحد عشر . وواحد وثلاثون . واثنان واثنا عشر واثنان وثلاثون . وفى المؤنث واحدة واحدى عشرة واحدى وثلاثون . واثنتان واثنتا عشرة واثنتان وثلاثون

واما مائة والف فلا يتغير لفظهما فى التذكير والتأنيث . وكذلك الفاظ العقود كعشرين واربعين الا عشرة فهى على عكس معدودها ان كانت مفردة كعشرة رجال وعشر نسوة ، وعلى وفقه ان كانت مركبة كخمسة عشر رجلا وخمس عشرة امرأة

عدة المرأة اتفق الائمة على ان عدة الحامل مطلقا بالوضع وعدة من لم تحض أو يئست ثلاثة أشهر وعلى ان عدة من تحيض ثلاثة اقراء اذا كانت حرة فان كانت أمة فقرءان بالاتفاق وقال داود الظاهرى ثلاثة أقراء

العدس من الزروع البقلية التى يعتنى بها فى بلادنا غاية العناية . ويعتبر الفلاحون العدس من أغذيتهم الرئيسية

أكثر مايزرع العدس فى أراضى الحياض بالوجه القبلى ولا يزرع منه كثير فى الوجه البحرى حيث تروى الارض من الترع . وهو زرع شتوى يزرع فى الوقت الذى تزرع فيه الحنطة

أما وقت زرعه فى أراضى الحياض فيتوقف على نزول مياه النيل بعد الفيضان

فتبزر بزوره نثراً فى العادة على الطين وتغطى بالمرمروم وفى بعض الاوقات تحرث فى الارض بعد أن تجف وتتماسك

أما فى حالة الرى الدائم فقد جرت العادة بحرث الارض وتزحيفها مرتين . واذا كانت الارض حينئذ محروثة حرثا جيداً فان الحبوب تبزر نثراً وتغطى بالزحافة

يكفى الفدان نحو أربع كيلات من العدس

تنحصر الاعمال بعد البذر فى ازالة الاعشاب من ارض العدس . لانه بطىء النمو ولا يبلغ حجما عظيما

اذا زرع العدس فى الحياض فلا يسقى بعد زراعته ولكن فى الارض التى تروى بالترع يسقى بعد زرعه مباشرة . ويزرع العدس غالبا مختلطا مع الفول او الشعير او الحنطة وسبب ذلك ان العدس ينحنى اذا كان وحده ويستلقى على الارض لضعف ساقه . فيزرع معه من تلك الاصناف لتسنده وتزيد فيما يتخلله من النور والهواء فيزيد محصوله

يدرك العدس بعد زرعه بنحو خمسة [illegible] أو خمسة اشهر ونصف

تقلع العدس باليد واذا كان مزروعا مع نوع آخر فانهما يدرسان معاً وبعد ذلك تنفصل حبوب كل عن الآخر . والافضل أن يقلع كلا النوعين على حدة

متوسط المحصول نحو ٤ أو ٥ أرادب من الحبوب ونحو حملين او ثلاثة من التبن وهذا التبن مفذ جداً وله قيمة ثمينة فى تغذية الماشية الحلوب

العدس بعيد جداً عن أن تضره الحشرات ولكن قد يعاق عن النمو كثيرا كما أنه قد يكون عرضة لان تقتله الاعشاب

(القيمة الغذائية للعدس) العدس أغذى البقول على الاطلاق فهو أغذى من أرقى أنواع اللحوم . اليك احصا يبين لك مقدار مايوجد من المادة الزلالية المغذية فى كل الف جزء من الاغذية المختلفة ومن العدس بينها وهو مقتبس من دائرة معارف القرن العشرين الفرنسة

زلال البيض	١١٧
مح البيض	١٦٣
لحم العجل	١٦٦
لحم البقر	١٧٤
لحم المعزى	١٨٧
لحم البط	٢٠٣
لحم الحمام	٢٠٩

البازلة (البسلة)	٢٢٣
الفاصولياء	٢٢٥
الفول	٢٤٠
العدس	٢٦٤

ثم انه فوق ذلك يحتوى على ٤٠٠ جزء فى كل الف من المواد النشوية وعلى ٦٥ر١٥١ من الدكسترين وعلى٤٥ر٢٧ من السكر وعلى١٠ر٢٤ من المواد الدهنية

فالعدس كما يرى الرائى أغذى البقول على الاطلاق وأغذى من اللحوم أيضا وقد هدى العمال والنوتية والفلاحون الى التعويل عليه وهذا سر صبرهم على الاعمال وجلدهم على المشاق

قالت دائرة معارف القرن العشرين الفرنسوية فى مادة غذاء ما يأتى :

« من المحقق ان الجبن والعدس والفاصولياء والبازلة والفول أغذى من لحم البقر من جهة المواد الزلالية وجهة المواد الايدروكربونية والدهنية أيضا وكثير من الناس يتوهمون بأن اللحم هو الغذاء الاكثر تعويضا للجسم فان التحليلات الكيماوية دلتنا على مبلغ خطأ هذا الرأى والعمل اليومى يقوى هذه النظرية لأن كثيراً من الناس المشتغلين بأجسادهم كالفلاحين والعمال وطوافة البريد بالقرى وأدلاء الجبال عمدة غذائهم الجبن »

هذا ما قالته دائرة المعارف الفرنسية ولكن ظهرت مباحث علمية مؤسسة على الاختبار دلت على أن البقول كاللحوم مصدر كثير من أنواع الاملاح الضارة بالجسم بل المهلكة له . من العلماء الذين قالوا بهذا المذهب الدكتور (هيج) الانجليزى فانه قال بأنه لا يهلك الجسم شىء أكبر من حمض البوليك اذا انتشر فى الدم. وهذا الحمض مصدره الاغذية فهو يوجد بكمية عظيمة فى اللحوم والبقول والقهوة والشاى فنصح الناس بترك هذه المواد الغذائية بتاتا وأمرهم بالاكتفاء بالنباتات الخضراء والجبن والفواكه قائلا انها حاصلة على جميع ما يحتاج اليه البدن من صنوف المواد الداخلة فى تركيبه. وأنا نحيل قارئنا للاطلاع على الفصل الذى كتبناه فى كلمة (طب) فان فيه بسط آراء الدكتور هيج تفصيلا وآراء غيره من كبار العلماء

(فوائد العدس طبياً) قال علماء الطب العربى العدس يسكن الحرارة ويزيل بقايا الحمى ومزورته بدهن اللوز بعسل

العرق تؤمن من النكس . وماؤه يسكن السعال وأوجاع الصدر . وبلغ الثلاثين حبة منه يقوى المعدة والهضم ودقيقه مع العسل يصلح الكى ويلحم القروح . وغسل البدن به ينقى البشرة ويصفى اللون . والطلاء به مع الخل والعسل وبياض البيض يحل الأورام الصلبة والاستسقاء والترهل وهو يحرق الاخلاط ويظلم البصر ويورث الدمعه . وادمان أكله يولد السرطان والجذام والماليخوليا. وان خالطه حلو فى البطن ولد سدداً توجب القولنج والاستسقا. وتقوى الباسور طبيخه مع القديد بوقع فى أمراض رديئة ونفخ وقراقر

والتضمد به مع السفرجل والاكليل يحلل النزلات والرمد . ويصلح فساده طبيخه بالخل والسيرج والسلق

اما المر منه فعظيم النفع فى قلع الآثار والحكة وادمال الجراح . وغسل الوجه به مع بزر البطيخ يجذب الدم الى ظاهر البدن ويحمر الالوان وينقى الصفار

يحرق فيبيض رماده الاسنان وان طلى على الجفن منع استرخاءه

***

هـذا قول أطباء العرب ومنه يرى انهم يتفقون فى ضرر العدس مع هيج وأمثاله . فان قيل فلم لا نشاهد آثار هذا الضرر على آكليه من النوتية والفلاحين قلنا ان هؤلاء يأتون من الحركات الجسدية فى الهواء الطلق ما يكفى لتحليل السموم الغذائية واخراجها بطريق الافرازات الجلدية والكلوية والرئوية والمعوية . أما الذين حياتهم جلوسية فلا أظن انهم يستطيعون اتقاء مضار العدس وسواه من البقول لو أكثروا من أكلها

وعندنا انه يكفى الانسان أن يغتذى باللبن وما يصنع منه والجبن والنباتات الخضراء والفواكه ليتقى شر الأمراض الكثيرة التى تصيب البدن فتجعل عيش صاحبه مراً . وحق الانسان أن يأكل ليعيش لا أن يعيش ليأكل

وان هذا الجبن الذى يعده بعضهم من الأغذية الضعيفة يحتوى من المواد المغذية على نحو ضعفى ما يحتوى عليه اللحم فقد روت دائرة المعارف ان ما يحتويه أرقى اللحوم فى الالف من المواد المغذية ٢٠٩ ولكن مقدار ما يحتويه الجبن منها ٣٣٤

﴿ عدَل ﴾ الشيء يعدِله عدلاً أقامه

(عدَل الطريقُ) مال

(عدّل فلان بفلان) سوى بينهما

(عدّل عن الطريق) حاد

(عدَل الحاكم) أنصف

(عدُل الرجلُ) صار عدْلا

(عدّل الشيء) اقامه

(عادله) وازنه

(اعتدل) توسط

(العَدْل) ضد الجور. والعادل والمثل والنظير

(العِدْل) المثل والنظير

(العَديل) المثل والنظير ايضا

العدل ماهو العدل ؟ العدل روح كل شريعة وهو الغاية البعيدة التى يسعى مشترعو العالم الى الوصول اليها من القدم الى اليوم، فما هو العدل وكيف انبعث الانسان للبحث عنه وكيف وجده وكيف حدده ؟

من البداهة التى لاتحتاج لدليل ان الانسان اجتماعى بطبعه فكل خصائصه تسوقه للاجتماع وليس الانسان بالكائن الوحيد المتمتع بهذه المزية فان هنالك من الحيوانات كالنحل والنمل وكثير من أنواع الطيور وغيرها مالاتعيش الا مجتمعة ولكن الفرق بين مجتمعاتها ومجتمع الانسان كالفرق بينها وبينه من حيث الخصائص العقلية والقابلية للارتقاء. تلك جمعتها الحاجة الحيوية على ابسط احوالها فلم تجد من فطرتها القابلية للتخطى خطوة للامام فظلت كما هى من يوم وجودها. واما الانسان فجمعته أولا الحاجة الحيوية المحضة ثم قادت فطرته القابلة للترقى الى باحات متعاقبة من المدنية حتى وصل الى ماهو عليه اليوم مقوداً بتأثير نوعين من الحاجات، وهما حاجات جسدية وحاجات أدبية، وتحت تأثير عاملين عامين من عوامل الارتقاء وهما شعوره (بشخصية مستقلة) لها حق فى الوجود، و (تمتعه بعقل) يفرق به بين الحسن والقبيح

محض اجتماع الانسان الى ابناء جنسه أشعره بضرورة اقامة قوة حاكمة لتحمى شخصه واسرته وماله من عاديات بنى جنسه فوجدت (الحكومة). شعرت الحكومة لاجل حسم كل نزاع يقوم بين فرد وآخر من افراد الجمعية بحاجتها الى هاد يهديها الى طريق الحق فى حكمها فحكمت (العقل)، وما اداها اليه هذا العقل من الاحكام سمته (عدلا). فالعدل

اذن هو مظهر من مظاهر العقل

هنا يلزمنا أن ننبه الى موضوع خطير وهو أن مشترعى أوروبا عامة يميبون الدينيين فى اعتقادهم بأن أصل الشرائع الوحى ولهم فى ذلك عليهم مطاعن فى نهاية الصرامة . ونحن هنا لا مناص لنا من حل هذه الشبهة فنقول :

القرآن الكريم توسع فى معنى الوحى فلم يقصره على النبيين بل أطلقه على أدنى درجات الانسياق الطبيعى الحيوانى فقال تعالى : « واذ أوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » واذا صح اطلاق الوحى على هذا الانسياق النظرى الحيوانى صح من باب أولى اطلاقه على نتائج العقل الانسانى لأن الله خالق كل شىء والباعث على كل شىء . فيكون لا تنافى بين قول مشترعى اوروبا ان الشرائع أصلها العقل وبين قول الدينيين ان أصلها الوحى

اذا لم يقبل الدينيون هذا الحل الموافق للكتاب والعلم فقد تعرضوا لشبه لا مخلص لهم منها وهى:

(أولا) لو كان أصل الشرائع الوحى بمعناه الخاص لنزلت الشرائع الاولى حاصلة على العدالة بمعناها الخاص والمشاهد من حوادث التاريخ ان الشرائع بدأت مناسبة لعقل الانسان وسذاجته ونقص أخلاقه ، والله يتنزه عن ذلك

(ثانيا) فى الارض أمم كثيرة فى أدنى درجات التوحش ولديها شرائع على حسب مداركها مطابقة فى أصولها الاولية لشرائع الجماعات البشرية الاولى فلماذا تحكم بأن شرائع المتوحشين العصريين هى من تلقاء أنفسهم وتلك الشرائع هى من الوحى مع تشابهها فى النقص والسذاجة ؟

ان قال قائل لقد نزهت الله عن ايحاء الشرائع الناقصة ولكنك قررت بأنها باعتبار كونها من مقتضيات الفطرة يصح اطلاق اسم الوحى عليها كما أطلق على الانسياق الحيوانى فى آية النحل ألا ترى فى هذا ماينافى التنزيه ؟

نقول فى هذا الاعتراض مغالطة صريحة لان العقل يدرك فرقا بين ماينسبه للخالق مباشرة وبين ماينسبه له بالواسطة . وذلك اننا نرى فى الكون جمالا وقبحا فنرى انفسنا مضطرين لنسبة الجمال لله لان الله هو الكمال المحض الذى لا يصدر

منه الا الكمال المحض. أما القبيح المشاهد مثل ثوران البراكين واكتساحها للمدائن المأهولة والزلازل المجتاحة التي تخسف القرى بما أقلت الخ ، فالعقل يأبى نسبته للخالق وان كان هو فاعله . وليس في هذا تناقض في أحكام العقل فان الله وهو الكمال المحض خالق العالم الدنيوي على ما فيه من النقص درجة تمهيدية لعالم أرقى منه ولذلك سماه الدنيا في الحياة الدنيا فكل ما فيه من نقص سيتأدى الى الكمال في عالم آخر . مثل الله في ذلك، وله المثل الاعلى ، كمثل بانى البيت ينسف الجبال ويقطع صخورها ويقتلع الاشجار ويستخدم اخشابها لتكوين البيت . فلو اقتصرت على نظر أفعاله المؤقتة ونحلته صفاتها ظلمته ، اى ان رأيته وهو يقطع الشجر أو ينسف الصخور فلقبته بلقب متلف الاشجار وناسف الجبال ظلمته، ولا سيما ان كان قال لك ان تلك الاعمال وقتية لها نتيجة سامية ستنتهي اليها . وكذلك الخالق سبحانه وتعالى جعل هذا العالم الارضي سلما لما بعده فكل مايشاهد من نقص فيه من مقتضيات التكوين والبناء ، لا ينافي انه الكمال المحض وانت مع علمك بهذا لا ترى من العقل ان تنسب لله الامور التمهيدية كحوادث الزلازل المجتاحة والفيضانات المخربة لتقتك بأنها الممهدات لعالم أرقى منه أو لحال في العالم الانساني أعلى وأكرم . فأنت لا تستحسن ولا تجد من الحق أن تنسبها اليه مع انها فعله . كذلك ليس مما يناقض التنزيه أن تعتقد بأن الشرائع الأولية الناقصة وحيه والهامه بالمعنى الأعم كما نعتقد ان كل الحوادث المجتاحة فعله بالمعنى الاعم أيضا

فان قال قائل قد ثبت شرعا ان أول البشر آدم عليه السلام وهو نبي بالاجماع وقد ذكر الله انه أوحى اليه وعلمه فيكون أصول الشرائع الوحي بالمعنى الخاص

نقول ان صح ان ايحاء الله لآدم كان بالمعنى الخاص ولم يكن بمعنى الالهام والنفث في الروع من طريق مقتضيات الفطرة الانسانية فان الله لم يذكر انه أوحى اليه شريعة بل لم يكن الحال يقتضي ذلك في ذلك العهد لقلة الناس وقربهم من حالة الفطرة وكل ما ذكره الله من الوحي اليه أنه علمه الاسماء كلها وأنه لقنه كلمات فتاب عليه بها الخ وقد

ذكر الله كتبه وشرائعه في مواطن من القرآن كثيرة ولم يذكر شريعة لآدم كما ذكر صحف ابراهيم وألواح موسى وتوراته وزبور داود وانجيل عيسى وقرآن محمد عليهم الصلاة والسلام. وبهذا فقد انحلت الشبهة المتقدمة

قلنا العدل مظهر من مظاهر العقل ونقول الآن انه شيء حقيقي وزيادة عن هذا فهو حدث اجتماعي خطير ، فيجب علينا أن نبحث عن موضعه ووظيفته فنقول :

اذا اعتبرنا حكما عادلا أيا كان وأخذنا في بحثه رأينا له مصدرين اثنين ، وان شئت فقل وجدناه نتيجة عاملين اثنين ؛ أحدهما الحوادث الاجتماعية والثاني القانون الاخلاقي . أما عناصر العامل الاول فالملكية والاسرة وحقوق الأب والزوج واختلاف الجنسين والسن والاعمال التي مصدرها الارادة والاختيار . هذه هي مواد فن التشريع وهي كما ترى لم توجدها القوانين وانما سنت القوانين من أجلها . ولا يخفى ان كلا من هذه الاشياء والاعمال يقتضي على حسب طبيعته نتائج تشريعية يحددها العقل . ولكن أي طريق يسلكه العقل في تحديدها ؟

لا شك انه سيسلك في تحديدها عين الطريق الذي سلكه في ادراكها . وهنا تأتي مهمة القانون الاخلاقي لأن كل الحوادث لها ارتكاز على الاخلاق من بعض الوجوه مثال ذلك الاحكام التشريعية الخاصة بالاسرة تكون في الجماعة المكونة للقانون مطابقة لمكان الاسرة من اصولهم الاخلاقية . ومن هنا ترى ان هنالك رابطة صميمة بين القانون الاخلاقي والعدالة فهما مرتبطان بحيث لا ينفصلان وان كانا متميزين كل التمايز فقاعدة العدالة مرتكزة على طبيعة الحوادث ذاتها وهذه الحوادث ليست أموراً فرضية اخترعها المشترعون وانما هي حوادث حسية مشاهدة أما الاصل المحدد للعدالة فمعتمد على ما يدركه الانسان عن ذاته اي على القانون الاخلاقي . وانما كان الامر كذلك لأن القانون الاخلاقي هو الموجب على الانسان احترام العدالة . فاذا كانت العدالة موجودة بين البشر فما ذلك الا لأن الطبيعة تشعر الانسان بوجوب احترامه لنظيره ولأن القانون الأخلاقي يوجب أول أصل من أصوله على الانسان بأن لا يضر غيره

وان يؤدى لكل ذى حق حقه . وبذلك يمكن القول بأن الاخلاق أصل الشريعة او بأن الشريعة فرع من علم الاخلاق وان كانا متميزين احدهما عن الآخر تمام التمايز لان كليهما وان نتج من العقل والحرية الانسانية الا أن لكل منهما غرضا خاصا . فعلم الاخلاق يبعث الانسان للخير والصلاح ونتيجته ان يسلم للانسان حكومة نفسه بتغليبه على شهواته . واما العدالة فبالعكس اساسها المنفعة وغايتها حماية الذات الانسانية وحياطتها لتصل الى كمالها فلا مانع يمنع حقها من ذلك . والاخلاق انما تنتج من القلب فهى تسبح بالانسان فى عالم الفكر والخيال . أما العدالة فمجالها الحقائق الموجودة وهى لاجل أن تسود على ذويها فى حاجة الى قوة خارجة عنها

مما مر يمكن استنتاج جملة نتائج وهى :

(اولا) العدالة فى الامة تكون مناسبة لعاداتها واخلاقها

(ثانيا) الامم تكون على النظام الذى تدرك به نفسها

(ثالثا) ان كل ترق اخلاقى يتبعه ترق تشريعي

(رابعا) الشريعة لا تصل الى اوج كمالها فى امة الا اذا كانت المساواة بين الافراد بالغة حدها الاقصى ، اى اذا ترقت فيها الاخلاق لدرجة ان الرجل منها يعتبر غيره نظيره وهذه هى الحالة الوحيدة التى يتخلص فيها العقل من أوهامه الاجتماعية فيواجه الطبيعة الحقة للحوادث ويترك لها زمامه لتقوده الى العدالة المحضة

من هنا يرى الرائى كيف ان كل انقلاب حدث فى اخلاق امة يتأدى بطبعه الى انقلاب فى شريعتها . ويدرك تبعا لهذا سبب فساد الاحكام وبعدها عن العدالة فى بعض الامم المتدينة التى تقرر مبدأ التمايز فى افراد الجماعة فتهب لبعضهم حقوقا تسلبها عن الآخرين باعتبارات دينية

هنا نلفت نظر القارىء الى أمر خطير يدل فى اجماله على أن الشريعة الاسلامية هى أعدل الشرائع وأرقاها بحكم اكبر أصل من أصول فلسفة التشريع . وذلك ان هذه الفلسفة تقرر بأن الشريعة لا تصل الى اوج الكمال الا اذا كانت المساواة تامة بين الافراد وهذه الشريعة الاسلامية مبناها (انما

المؤمنون اخوة) فلم تقرر فى أصولها أدنى امتياز لاية طائفة فتكون بهذا الدليل أعدل الشرائع

(العدل الوضعى والعدل الطبيعى)

قسم فلاسفة الشرائع العدل الى قسمين قسم سموه (العدل الوضعي) وقسم سموه (العدل الطبيعى)

فالعدل الوضعى هو العدل المعتبر فى الشرائع الوضعية عند الامم المختلفة، وأما العدل الطبيعى فهو العدل المطلق الذى يتصوره العقل ويعتبره حقا طبيعيا للانسان. والامم فى تكوينها لشرائعها انما تحدد العدل على قدر ما تدركه من حقائق الاشياء وما تتأثر به ضمائرها من الآداب. ولكن فوق هذا العدل الانسانى الوضعى يوجد أصل سام هو العدل الطبيعى الذى ترقى الامم اليه درجة درجة محفوزة بعوامل التقدم الادبى والمدنية . هذ ما يمكن الاستدلال عليه من النظر لترقى الامم فى تهذيب شرائعها ونظاماتها وأن الشرائع لم تترق ولم تتهذب الا لوجود أصل ثابت هو العدل المطلق تتقرب منه الامم فى تدرجها نحو الكمال .وقد كتب مشرعو الفرنسيين فى مقدمة قانونهم المدنى قولهم «يوجد عدل عام ثابت لا يتغير بتغير الامكنة والازمنة ،هو أصل كل الشرائع الوضعية وماهو فى ذاته الا الروح العام السائد على جميع الانام» انتهى

فالبحث عن هذا الروح العام الذى تنزل منه جميع الشرائع الوضعية وهو غرض ذلك العلم العالى المسمى بفلسفة التشريع

(الحقوق الوضعية والحقوق الطبيعية)

كما يوجد عدل طبيعى عام يعتبر مطمح نظر جميع الشرائع الوضعية ، وكما يوجد عدل هو غاية اجتهاد الشرعيين وثمرة محاولاتهم التشريعية ، كذلك يوجد حقوق طبيعية وحقوق وضعية كانت فى كل جيل غرض الواضعين للشرائع وكان تباينهم فى تحديدها أو تخالفهم فى تقديرها على حسب الامكنة والازمنة والامم سببا لتخالف الشعوب فى شرائعها وتفاضلها فى ادراك جوهر العدالة المطلقة

المشرع ليس هو المخترع للحق ولا للحقوق فان الانسان بفطرته يشعر بأن له حقوقا على الهيئة الاجتماعية التى هو عائش بين ظهرانيها ومن وظيفة الشارع احترام تلك الحقوق وباعتبارها ثم جمعها

والتأمل فيها وتقرير ما يجب لكل منها على قدر ما لديه من المعلومات والقابلية لادراك الحق وهو بمحاولاته هذه انما يسعى لان يصل الى أخص معانى العدل المطلق الذى مظهره هذا الكون المحسوس بحقائقه الثابتة كما ورد فى الاثر « بالعدل قامت السموات والارض »

ثم إن الانسان اذا شعر بأن له حقوقا فانما يشعر بذلك لانها من مقتضيات طبيعته وتركيبه ولانه يحس من نفسه بأنه حر عاقل

وقد كان هذا الشعور ملازما للانسان فى كل أطواره فهو من يوم وجوده يشعر بأن له حقوقا يجب عليه أن يدافع عنها ضد المسيطرين عليه بل قد ينمو فيه هذا الشعور أحيانا فيدفعه الى احداث الثورات الهائلة وليس بعدهذا برهان على أن شعور الانسان بحقوقه أمر فطرى فيه وانما كان فطريا لاستناده على طبيعته الثابتة وفطرته الاصلية

وكما ان للانسان حقوقا يطالب بها فان عليه واجبات تطلب منه . وهذه الحقوق والواجبات تتحدد أمام الانسان بواسطة شعوره بوجود أصل الخير والشر أى بواسطة القانون الاخلاقى الذى هو من فطرة الروح الانسانية

(أقسام الحق الوضعى)

اصطلح فلاسفة التشريع على تقسيم الحق الوضعى الى قسمين وهما :

(١) الحق الداخلى (٢) والحق الخارجى او الحق العام بين الامم

فالحق الداخلى ينقسم الى حق خاص وحق عام وحق عقابى . قال مونتسكيو الشارع الفرنسى (١) فى كتابه (أصول القوانين) : « الناس باعتبار انهم سكان كوكب سماوى كبير هو الكرة الارضية فيها أمم مختلفة فقد تقررت بينهم روابط سميت بالحقوق العامة بين الامم . وباعتبار انهم اعضاء جماعة يجب حفظ قوتها وهيئتها فقد تقررت بينهم روابط اخرى باعتبار انهم افراد أمة واحدة سميت بالحقوق المدنية» انتهى كلام مونتسكيو

أما الحق العقابى فهو الذى يحدد علاقات الافراد فيما بينهم من جهة المسؤلية عن أعمالهم

(درجة الشعور بالحق)

رأينا مما تقدم ان أصل الشعور بالحق

(١) توفى سنة ١٧٧٥

هو شعور الانسان بالحرية والاستقلال وذلك الشعور لم يكن بوجد لولا ارتباط الانسان بطائفة من أمثاله في الهيئة الاجتماعية وبناء عليه فيكون شعور الامة بحقوقها مناسباً لشعورها بحريتها . وقد تخالفت الشرائع في تحديد الحقوق على قدر تخالف الامم في الشعور بالحرية

وقد رأينا من استقراء حوادث التاريخ انه كلما ترقت الامم في المدنية ترقت حدود الحقوق فيها وأخذت شكلا علمياً تجريديا

واذا صعدنا بأفكارنا الى أقدم أحيان التاريخ رأينا ان الانسان في مبدأ وجوده كان ضعيف الشعور بحريته ، لذلك كان شعوره بحقوقه ضعيفاً كذلك . وما كان شعوره قويا الا بشيء واحد وهو انه يوجد قانون يثيب على الحسنات ويعاقب على السيآت فكان يحس بضرورة السير على موجبه بكل جهده . وكانت عقيدته في ذلك القانون انه وحي الهي لا يجوز تغييره ولا تحويره يجب الخضوع لاحكامه خضوعا أعمى

من هنا كان الشعور بالحق لدى تلك المجتمعات الاولية مغطى بغواشي التقيد . ولذلك كان امتياز الطوائف والحكم المطلق والعبودية وكراهة الاجنبي من الاوصاف العامة لكل تلك المجتمعات البشرية

هذا كان شأن قدماء المصريين والهنود وجميع الأمم الشرقية ولذلك بقيت كل هذه الأمم حافظة لتقاليدها مقدسة لشرائعها على ما فيها من عوج قرونا مستطيلة وكانت الصفات الرئيسية التي تقتضيها هذه الشرائع ملازمة لها في كل أدوار حياتها وتلك الصفات المميزة وجود الطوائف الممتازة والحكم الاستبدادي المطلق والاستعباد والحقد على الاجنبي

فنشأت الطوائف الممتازة من طبيعة تقسيم العمل في الجماعات الحديثة النشأة . فأسندت الجماعة القيام بأمر العلم والدين الى طائفة منها فنشأت طائفة الدينيين نالت من الامتيازات بقدر ما يسمح به استعدادهم للتقليد

ثم حدثت طائفة المدافعين عن الجماعة بعد طائفة الدينيين مباشرة بلغت من الامتيازات هي أيضا ما قدر لها على قدر اجلال الناس لافرادها

ونشأ الحكم المطلق الاستبدادي من طبيعة الاحوال في تلك الجماعات فان

كل جماعة ليس للفرد الواحد فيها اعتبار وليس له هو بحقوقه الذاتية شعور يضيع فيها معنى الدستور ويكون الحكم فيها استبداديا بحتاً . فان الذى يوجد الدستور للأفراد والذى يسوق الافراد لايجاده هو شعورهم بالحرية والاستقلال وطريق كل ذلك المطالبة فمتى لم يوجد شيء من ذلك لم يوجد الدستور وهذا ظاهر

وأما الاسترقاق وكراهة الاجنبي فنشأ من اعتبار الاقدمين كل من ليس منهم عدواً لهم جاء ليعدو عليهم ويجتاح أموالهم وأولادهم وقد كان الشأن كذلك فى مبدأ تكون الجماعات البشرية لعدم وجود الحاجة الى تبادل المنافع والمرافق فكان كل فرد من أمة يقع فى ايدى امة أخرى يكون جزاؤه الاهلاك بلا محاكمة . ثم ترقت الاعمال قليلا وشعر الانسان بالحاجة الى المعين له فى العمل فأبدلت الجماعات قتل الاجنبي باستعباده وتشغيله مع البهائم وقد عد علماء العمران هذا الاسترقاق درجة من درجات الترقي

هذا نظر فلسفة التشريع فى أصول الشرائع القديمة التى ادعى اصحابها انها وحي من الله اليهم وليس حكمها على شرائع المرسلين المشهورين ليعلو عن هذا الحكم علواً يسمح لهم بأن يعدوها فى مصاف شرائعهم الوضعية العصرية

ولما كان من غرضنا فى هذا الفصل خدمة الشريعة الاسلامية فلا يجوز لنا أن نتخطى هذا المجال الى غيره حتى نثبت بالادلة القاطعة الحسية ان الشريعة الاسلامية مع انها شريعة موحاة وغير قابلة للتبدل والتحور هى أرقى شرائع العالم وأحوزها على الاصول الثابتة المقررة التى يعتبرها الفلاسفة أصول العدل المطلق الذى لا يتغير . ونحن لا طريق لنا للوصول الى هذه النتيجة الا ببسط ما يسميه الفلاسفة بالحقوق الطبيعية التى كشفها العلم وصارت معياراً لعدالة الشرائع ثم نقارنها بأصول الشريعة الاسلامية فان انطبقت عليها كانت الشريعة الاسلامية هى مظهر الشريعة الطبيعية التى أجمع الفلاسفة على اعتبارها أصولا ثابتة لا تتغير فنقول :

(ما هى الحقوق الطبيعية ؟)

هى مجموع الاصول الطبيعية السائدة على الناس بمقتضى فطرتهم قبل سيادة أى قانون عليهم فهى مطلوب الفطرة

الانسانية التي لو خلا منها القانون عد ناقصاً او جائراً

فالحق الطبيعي الاول للانسان هو حق الحياة فلا يجوز أن يسلبه أحد هذا الحق ولا يجوز له أن يسلبه نفسه . ومن مقتضى هذا الحق ينتج حقه في الدفاع عن نفسه فلو قتل الهاجم عليه فلا اثم عليه ولا على من يعينه على قتل الهاجم عليه اذا لم يجد طريقة أخرى للدفاع بها عن حياته . ومما ينتج من هذه القاعدة انه ليس للانسان أن يقتل نفسه بأي حجة من الحجج وهذا القانون الطبيعي الذي يحرم على الانسان قتل نفسه يحرم عليه أيضا ان يبتر لنفسه عضوا او أن يعطل فيه وظيفة

هذا الاصل الطبيعي ينطبق على الشريعة الاسلامية تمام الانطباق فقد حرم الله قتل النفس الا بحق واعتبر قاتل النفس الواحدة كقاتل الناس جميعا وليس بعد هذا زجر عن القتل فقال تعالى: «ومن قتلها فكأنما قتل الناس جميعا » ونهى عن قتل النفس نهياً صارماً فقال تعالى: « ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما » ونهى عن بتر الاعضاء وتعطيل وظائفها فقال عليه الصلاة والسلام : « ملعون من خصى او اختصى» . وزاد حتى حرم بتر أعضاء الحيوانات وعدها من الآثام الشنيعة

هذا وقد كان قتل النفس مسموحا به في شرائع الاقدمين . بل كان لدى اليونانيين والرومانيين من علائم احتقار الآلام واستصغار الحوادث الجسام . وكان لديهم بتر الاعضاء مسموحا به أيضا

الحق الطبيعي الثاني يقضي بأن يعيش الانسان معيشة كائن عاقل شاعر . ومن هنا ينتج وجوب تمتعه بحق استعمال مواهبه وحريته في عقائده

من هذه الجهة فشريعة الاسلام اول شريعة اعترفت ببلوغ الانسان رشده فخاطبته مخاطبة الراشد فوجهت الخطاب اليه ، وناقشته مناقشة الشاعر بماله وما عليه وحاكمته الى عقله . حتى ان هذا الدين سلك هذا المسلك من جهة العقائد فقد قررها وبرهن عليها وطلب من المعتقد بها الدليل على حقيتها . وليس بعد هذا مزيد في اعتبار رشد الانسان وحرية فكره

ومن دلائل اعتبار الله للانسان رشيدا

شاعرا انه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فى الامر فقال: « وشاورهم فى الامر » وليس بعد أن يأمر الله رسوله بأن يشاورهم فى الامر من مزيد فى الدلالة على ان هذا الدين بنى على قاعدة الحق الطبيعى لا على الاستبداد والتقليد الاعمى وكثيراً ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجع عن رأيه الى رأيهم فيما لم ينزل فيه وحى مثل حاله فى وقعة أحد ، كان رأيه أن ينتظر العدو فى المدينة ورأيهم ان يخرج اليه فاتبع رأيهم . ثم ندموا على أن أشاروا عليه بالخروج وكرهوا ان يكون رأيهم غالباً فنزلوا عن آرائهم فلم يرجع عن عزمه تمكيناً لهذه الحالة من نفوسهم

اما من جهة حرية الانسان فى عقيدته فقد قال الله: « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى »

ومما يجب لفت النظر اليه فى هذه النقطة ان الشريعة الاسلامية لا تعتبر الاختلافات الدينية فى الامور الحقوقية فالمسلم وغيره من أهل الملل سواء امام العدل والحق وقد ثبت ان عمر بن الخطاب حكم لمصرى ان يضرب ابن عمرو بن العاص عامل مصر عقوبة له على تعديه على ذلك المصرى بالضرب وليس بعد هذا مزيد للعدل والحرية واحترام الحقوق الانسانية

الحق الثالث الطبيعى للانسان أن يكون حراً فى عمله وأن يكون ذا حق فى استغلال الارض وما عليها فى مصلحته بلا سيطرة عليه ولا منع من أحد الا اذا كان فى ذلك تعد منه على غيره

والناظر للاسلام من هذه الوجهة يرى انه قد طالما نشط الناس لاستغلال الارض وامتلاكها وبعث الهمم للتبارى فى ايجاد الصنائع النافعة يدل على ذلك سرعة تقلبهم لكل آثار مدنية الهنود والرومان واليونان والفرس فى صدرهم الاول بسرعة عدت أمراً خارقاً للعادة فى تاريخ البشر

الحق الطبيعى الرابع أن يكون الناس سواء فى الحقوق ولا امتياز لأمير على مأمور ولا لعالم على جاهل ولا لغنى على فقير لانهم كلهم فى الخلقة سواء

وقد قرر الاسلام بأن الناس كلهم سواء فى الخلقة والحقوق فقال تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى » وقال تعالى « انما المؤمنون اخوة » وقد قرر الدين ان ليس لعربى على أعجمى فضل ولا لغنى على فقير حق ولا لعالم على جاهل

امتياز بل الكل امام العدل الالهى سواء وانما التفاضل فى الدرجات الروحية فى العالم المقبل الذى يجزى فيه الانسان جزاء وفاقا على كل عمل عمله فى هذا العالم وكل سابقة حظى بها فيه . واظهر مظهر لهذا العدل السامى قوله صلى الله عليه وسلم: «والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها»

هذه هى الحقوق الطبيعة الاصلية التى تتنزل منها سائر الاصول الثانوية وقد رأيت انها مطابقة لما ورد عنها فى الشرع الاسلامى تمام المطابقة فهل بعد هذا يقال ان الشرع الاسلامى ليس بشرع ثابت او انه فى حاجة الى التحوير والتبديل مع حصوله على هذه الاصول بأوسع المعانى واعدل الاساليب

بقى علينا ان ننظر نظرة الى ماقالته فلسفة التشريع من ان امتيازات الطوائف والحكم الاستبدادى والعبودية وكراهة الاجنبى من الصفات لجميع الشرائع القديمة التى قيل انها وحى الهى فنقول :

قد ثبت مما قررناه لك عن الاسلام فى الكلام على الحق الطبيعى الرابع انه قرر مبدأ المساواة بين الافراد ولم يجعل امتيازاً لطائفة على اخرى

واما من جهة الحكم الاستبدادى فقد قلنا انه اتى بمبدأ الشورى فقال تعالى: «وشاورهم فى الامر» وذكر المؤمنين فوصفهم بقوله : «وأمرهم شورى بينهم»

وأما من جهة الاسترقاق فقد حدده الاسلام بالحروب الشرعية ولم يبطله لكونه كان سنة عامة فى القوانين الوضيعة والالهية ولو أبطله لحاجه الناس بالمقررات الدينية والوضيعة والعادات ولخرج بذلك عن كونه ديناً مراعياً للاطوار الانسانية فأقره وعلقه على اختيار الحاكم وما علقه على اختيار الحاكم الا لانه سيأتى يوم يعتبر فيه الاسترقاق شنيعاً فيبطل بلاحرج بدون ان تشعر به الهيئة الاجتماعية الاسلامية وقد قررنا هذا بتفصيل فى الجزء العاشر من مجلة الحياة فى ردنا على ماورد فى تقرير اللورد كرومر مما يختص بالاسلام

اما من جهة كراهة الاجنبى فليس له أثر فى الاسلام بل قرر الله تعالى ان الله لم يوزع الامم فى الارض الا لتتعارف وتبادل المنافع والمرافق فقال تعالى «ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند

الله أتقاكم »

انظر كيف تلطف فذكرنا اولا بأصلنا المشترك زجراً لنا عن ظلمهم وايذائهم ثم ذكر لنا انهم افترقوا قبائل وشعوبا لضرورة المعيشة ويكون فى تعرفنا اليهم ارضاء للخالق جل وعز وهو خالق الكل والمتجلى بالرحمة على الكل

هذا الانطباق المحكم بين مقررات شريعة وجدت قبل اكثر من الف وثلاثمائة سنة وبين مقررات فلسفة التشريع العصرية يشعر بأن هذه الشريعة لا يمكن أن تكون من فكر البشر فان ارسطو ذاته وهو أكبر عقل فى الاقدمين وافلاطون وسولون وليكورج وجميع مشترعى الامم لم يستطيعوا أن يأتوا بشريعة تطابق العدل الطبيعى والحقوق الطبيعية مع انقطاعهم لتلك الابحاث عمرهم ومزاولتهم لهذا الفن علما وعملا فى بلاد كلها فلاسفة ومشترعون فكيف يعقل ان عربيا ربى يتيما محروما من العلم وفى بلاد ليس فيها قضاء ولا حكومة ولا دستور ولا نظام يستطيع أن يكون هذا القانون منطبقا على أقصى درجات العدل المطلق ومطابقا لفلسفة التشريع الاصلية ؟

هذا أكبر دليل على أن هذا الرسول الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم جاء بهذا الشرع وحياً من عند الله « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً »

عدِم المال يعدَمه عدَما فقده و(أعدمه) جعله عادما

(العُدْم والعَدَم) الفقدان

عدَن بالمكان يعدُن ويعدِن عَدْنا وعُدونا أقام به

(جنات عَدْن) اى جنات اقامة لمكان الخلود

(المَعْدِن) منبت الجواهر من ذهب ونحوه

عدَن مستعمرة انجليزية على الساحل الجنوبى لبلاد العرب على شبه جزيرة صغيرة صخرية يظن انها كانت بركانا قديما منصلة بالارض بمضيق حرج جعلت فيها انجلترة فرضة حربية ومستودعا للفحم لامداد الاساطيل يسكنها نحو (٣٥٠٠٠) نسمة ترسو عليها البواخر الذاهبة للشرق الاقصى لتتزود منها فحما . وهى مرتبطة تلغرافيا بجميع أجزاء الكرة الارضية تستعمل فيها السكة الهندية وهى

الروبية . اشترتها انجلترا من حكومة عمان سنة ١٨٣٩ (انظر عمان من كلمة عرب)

عدنان هو أبو قبيلة عربية (انظر عرب)

عدا الرجل يعدو عدْوا جرى

(عدا عليه عُدْوانًا) ظلمه

(عدا عن الامر) جاوزه وتركه

(عَدَا) يستثني بها مع ما وبغير ما مثل خلا . تقول جاء الناس عدا زيدا ، وماعدا زيدا

(عَدَّاه عن الامر) صرفه عنه

(عَدَّى الشيء) أجازه وأنفذه

(عاداه) خاصمه

(تعدّاه) جاوزه

(تعدّى عليه) ظلمه ومثله (اعتدى عليه)

(استعداه) استعانه واستنصره .

(فأعداه) اى فأغاثه

(العَوادى) جمع العادِيَة وهو الشغل يصرف الانسان عن الشيء

(دفعت عنه عادِيَة فلان) اى ظلمه

(العَدَّاء) الشديد العدْو اى الجرى

و(العَدْو) الجرى

(العِدَى) المتباعدون الغرباء

(العِدَى والعُدَى) الاعداء

(العَدْوَى) ما يعدى من الامراض

(العُدْوَى والعُدْوان) الظلم

(العُدْوة) المكان المتباعد

(العُدْوة والعَدْوة) جانب الوادى جمعه عَدَاء وعَدَيات

(عَدِيّ) قبيلة شهيرة والنسبة اليها عَدَوِيّ

العَدْوِى حسن العدوى العالم الازهرى له شرح على البخارى اسمه (النور السارى على صحيح البخارى)

توفى سنة (١٣٠٣) ه

العَدَوى على العدوى هو من علماء الازهر مؤلف حاشيه على (المختصر) فى فقه الامام مالك . توفى سنة (١١٨٩)

العدوى هو محمد عبادة العدوى من علماء الازهر له حاشية على شرح شذور الذهب فى النحو . توفى سنة (١١٩٣) ه

العدوانى هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد الاديب أبو محمد بن ابى الاصبع العدوانى المصرى الشاعر المشهور الامام في الادب كان من أئمة الادب المتبحرين ، وله تصانيف حسنة ممتعة وشعر جيد .منه قوله

تصدق بوصل ان دمعى سائل
وزود فؤادى نظرة فهو راحل
جعلتك بالتمييز نصباً لناظرى
فلِمْ لا رفعت الهجر والهجر فاعل

ومن شعره قوله :

فديت التى اذ ودعتنى أودعت
من اللطف سمعي ساعة البين جوهرا
فلما التقينا رد دمعى لنحرها
وديعتها فهى اللآلى التى ترى
بكت ورنت نحوى فجرد لحظها
من الجفن سيفا بالدموع مجوهرا

ومن شعره أيضا :

من يذم الدنيا بظلم فانى
بطريق الانصاف أثنى عليها
وعظتنا بكل شىء لو انا
حين جاءت بالوعظ من مصطفيها
نصحتنا فلم نر النصح نصحا
حين أبدت لاهلها ما لديها
أعلمتنا ان المآكل بقينا
للبلى حين جددت اعصريها
كم أرتنا مصارع الاهل والاحـ
باب لو نستفيق بين يديها
ولكم مهجة بزهرتها اغتر
ت فأدمت ندامة كفيها
أتراها أبقت على سبأ من
قبلنا حين بدلت جنتيها
يوم بؤس لها ويوم رخاء
فتزود ما شئت من يوميها
وتيقن زوال ذاك وهذا
تسل عما تراد من حالتيها
دار زاد لمن تزود منها
وغرور لمن يميل اليها
مهبط الوحى والمصلى التى كم
عفرت صورة بها خديها
متجر الاولياء قد ربحوا الجنـ
نة فيها وأوردوا عينيها
رغبت ثم رهبت ليرى كل
لبيب عقباه من حالتيها
فاذا أنصفت تعين أن يثـ
نى عليها البر من ولديها

ومن شعره ايضا :

انتخب القرب لفظا رقيقا
كنسيم الرياض فى الاسحار
فاذا اللفظ رق شف عن المعـ
نى فأبداه مثل ضوء النهار
مثلما شفت الزجاجة جسما
فاختفى لونها بلون العقار

وقال فى قيم حمام :

وقيم كلمت جسمي أنامله
بغير السنة تكليم خرصان
ان امسك اليدمنى كاديكسرها
أوسرح الشعر من فودى ادمانى
فليس يمسك إمساكا بمعرفة
ولا يسرح تسريحا باحسان

ومن شعره ايضا :

جفتنى الليالى فاغتديت كأننى
أفتش دهرى فى التراب على نجم
أرانى لا ينفك نجمي هابطا
تراه يراه ربنا حسب الرجم
فصرت اذاً قوساوعقلى راميا
ورأيى الذى احى الرمايابه سهمى

ومن شعره ايضا :

وساق اذا ما أضحك الكأس قابلت
وقائعها من ثغره اللؤلؤ الرطبا
خشيت وقد أمسى ضجيعى على الدجى
فأسبل دون الصبح من ثغره حجبا
وقسمت شمس الطاس بالكاس انجما
وياطول ليل شمسه قسمت شهبا

ومن شعره ايضا :

اذا ما سقانى ريقه وهو باسم
تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرنى من قده ومدامعى
مجر عوالينا ومجرى السوابق

ومن شعره ايضا :

ايا عبلة الارداف لحظك عنتر
ومالى على غاراته فى الحشا صبر
نعم أنت ياخنساء خنساء عصرنا
وشاهد قولى ان قلبك لى صخر

ومن شعره ايضا :

رأيت بفيه اذ تبسم ادمعا
فقلت رثى لى اذ بكى فمه حزنا
أجاد له فى النظم شاعر ثغره
ولكنه من مقلتى سرق المعنى

ومن شعره أيضا :

تبسم لما ان بكيت من الهجر
فقلت ترى دمعى فقال أرى ثغرى
فديتك لما أن بكيت تنظمت
بفيك لآلى الدمع تغنى عن الدر
فلا تدعى ياشاعر الثغر صنعة
فكاتب دمعى قال ذا النظم من نثرى

توفى المدوانى سنة (٦٥٤) بعد أن عاش نيفا وستين سنة

﴿ عذُب ﴾ الشيء يعذُب عذوبة كان عَذْبا

(عذّبه) أوقع به العذاب . والعذاب

كل ما شق على الأنسان ومنعه من مراده
جمعه أغدية
(العَذْب) الطيب
﴿ عذَره ﴾ يعذِره عذْرا ومَعذِرة
رفع عنه اللوم والذنب
(عذّره) بالغ فى عذره
(عذّر الرجل) لم يثبت له عذرفهو
مُعَذّر
(عذّر فى الامر) قصرفيه
(أعذر الرجل) أبدى عذرا
(أعذر زيد) ثبت له عذر
(تعذّر عن الامر) تأخر
(تعذّر عليه الامر) صعب
(العِذار) جانب اللحية الذى يحاذى
الاذن . والعِذار الحياء أيضا
يقال : (هوأبو عُذْر هذا الكلام)
اى اول من افتضه واصله العَذْرة وهى
البكارة
(العَذْراء) البكر
(العَذِرة) فضلات الانسان
(العَذِير) العاذر
(المعاذير) جمع المعذار وهى الستور
والحجج
(المعاذر) الحجج مفردها معذِرة

﴿ العَذْق ﴾ النخلة بحملها
(العِذق) عنقود البلح
﴿ عذَله ﴾ يعذُله ويعذِله لامه
(العَذَل) الملامة
﴿ عَرُب ﴾ الرجل يعرُب عُروبة
كان عربيا خالصا ولم يلحن
(أعرب الشيء) أبانه
(تعرّب) أقام بالبادية وصار اعرابيا
(العرب العاربة) هم الخلّص
(الخيل العِراب) الكرائم
(العَرْباء من العرب) هم الخلّص
(العُربون) والعَربون هو ما يعطى من
الثمن مقدما قبل الانفاق
(العَروب) المرأة المتحببة الى زوجها
(عَروبة) يوم الجمعة
(الأعراب) سكان البادية خاصة
واحده أعرابى
(العرب المستعربة والمتعربة)
الدخلاء الذين ليسو بخلص
﴿ العرب ﴾ الامة العربية من اقدم
الامم وأشهرها لعبت فى التاريخ القديم
والحديث أدواراً لا تزال آثارها باقية
للآن ؛ وقد خلد الله وجودها ولغتها بما
خصها به من اجتبائه خاتم رسله منها

وانزاله لتمنوحيه بلغتها. واذا كانت الامة العربية من الجنس الابيض أرقى الاجناس البشرية وقد عدها بعض علماء التشريح نموذج التقويم البشرى الكامل (انظر اتنولوجيا) فان لغتها أرقى اللغات الحية على الاطلاق وأشملها لمقومات الآداب والعلوم من الالفاظ والتراكيب . ثم ان تاريخ كل أمة اسلامية يختلط أصله بتاريخ هذه الامة فى صدر الاسلام فلا غرو ان أسهبنا فى بسط تاريخها جاهلية واسلامية وأفضنا فى بيان فضل لغتها قديما وحديثا

(تاريخ العرب فى الجاهلية) لا يزال فى تاريخ العرب فى الجاهلية شىء من الغموض على كثرة ما تكلم فيه المتكلمون وخاض لججه الخائضون

فلقد طفحت الكتب الادبية بذكر قبائل العرب وأخبارها وأشعارها ووقائعها ولكن ذلك كله لم يتعد مدى قرن أو قرنين قبل البعثة المحمدية فأين هذا القدر من تاريخها فى مدى القرون البعيدة ، والاجيال السابقة فى عهد تكونها واشتقاقها من أصولها ؟ ثم إن كل ما كتب فى الكتب العربية من تاريخ العرب يراد به الوجهة الادبية التاريخية غالبا فأين هو من الحقائق المؤيدة بالاساطير والنقوش التى لا مجال للشك فيها ؟

كتب فى تاريخ العرب فطاحل من مؤرخى اوروبا درورى وسديو وجوستاف لوبون وكوسان دوبرسفال وهو أشهرهم جميعا وكتابه أجمع الكتب لتاريخ العرب ولكنه مستمد من الكتب العربية وليس له فيها الا حسن التبويب ، وكمال الترتيب وصحة الاستنتاج. وهذا لا يكفى لتحقيق تاريخ العرب فصارت الآمال معقودة الآن على ما يبذله المنقبون فى النقوش الاثرية العربية مما يوجد فى اليمن وتدمر وغيرها عسى أن يتكلل مسعاهم بالنجاح فيقعوا على أصدق ما يجب أن يعرف عن أصل تاريخ العرب وحقيقة أدواره المتعاقبة

يوجد للتاريخ العربى مصادر غير عربية أقدمها التوراة فان فى سفر التكوين شىء من أخبار العرب وفى أسفار أخرى ذكر بعض قبائلهم وملوكهم

وقد ألم المؤرخ اليونانى هيرودوتس المتوفى فى أوائل القرن الخامس من الميلاد بشىء من ذكر العرب . وألم غيره من المؤرخين بذكر أشياء عن العرب ليس فيها كبير فائدة . وانما الفضل فى الافاضة

فى تاريخ العرب للمؤرخين استرابون وبلينيوس وبريبلوس وبطليموس فانهم آلموا بجميع ماقيل عن العرب وفصلوه تفصيلا

(الآثار العربية والتاريخ) للآثار فائدة كبيرة جداً فى كشف تواريخ الامم فقد كان تاريخ المصريين لايزال غامضا لولا مادونوه من أخبارهم على آثارهم ومعابدهم

كذلك للعرب آثار باليمن والحجاز وغيرها عليها نقوش حميرية بالقلم المسند أو نقوش آراميه بالقلم النبطى وغيره. فلما اهتدى بحاثو اوروبا الى اماكنها قصدوها لحل رموزها وكشف النقاب عن تاريخ العرب

أول من تصدى لهذه المباحث العالم الالمانى ميخايلس المتوفى سنة ١٨٩١ ثم عثر الضابط الانجليزى ولسند سنة ١٨٣٨ على نقوش حميرية باليمن اهتم بها العلماء غاية الاهتمام ولم يستطيعوا حل رموزها الا بعد سنين

ووجد الضابط الانجليزى كروتندن فى صنعاء نقوشا ظن انها من خرائب مدينة مأرب

أول من تصدى من الفرنسيين للبحث عن هذه النقوش كان الـ [illegible] (ارنو) فانه اخترق اليمن سنة ١٨٤٣ وعاد ومعه ٥٦ نقشا نقلها من صنعاء والخريبة وحرم بلقيس

ثم جاء المستعرب (ارسياندر) فحل رموز الآثار التى وجدها ارنو وذلك سنة ١٨٤٥

ثم ان وزارة المعارف فى باريز أرسلت المستعرب يوسف هاليفى سنة ١٨٦٩ الى اليمن فسار حتى بلغ مأرب ورجع ومعه ٦٨٠ نقشا

ثم جاء ادورد غلازر الالمانى فساح فى اليمن مرارا ونقل منها الف نقش بينها نقوش غاية فى القيمة التاريخية

ثم حاول الوصول الى مأرب رجال آخرون فهلكوا فى الطريق

وعثر الباحثون أيضا فى شمال بلاد العرب على آثار الانباط فوجدوا منها آثاراً كثيرة فى مدينة بطرا ومدينة الحجر . واكتشفوا فى حوران والعلا نقوشا بالخط المسند الحميرى فكشفت جميع هذه النقوش النقاب عن جزء من التاريخ العربى القديم وما بقى منه أكثر

ثم إن البحاثين عثروا فى آثار بابل وآشور ومصر وفنيقيةعلى شىء من تاريخ العرب . فوجدوا فى بابل نقوشا بالخط المسمارى وقفوا منها على تاريخ العمالقة من العرب البائدة . واستدلوا من النقوش التى وجدوها فى آشور وبابل على قيام دولة حورابى العربية استولت على بابل عدة قرون قبل الميلاد بأكثر من ألفى سنة

(جغرافية بلاد العرب) جزيرة العرب يحدها من الشمال الشرقى خليج فارس من شواطىء عمان الى مصب نهر الفرات والدجلة الى أعلى سورية ومن الشمال الغربى نهر الفرات وفلسطين وخليج العقبة ومن الجنوب الشرقى طول البحر الاحمر الى باب المندب ومن الجنوب الغربى بحر العرب على شواطىء اليمن وحضر موت والشحر الى شواطىء عمان

وتنقسم بلاد العرب الى خمسة أقسام كبيرة وهى الحجاز وتهامة ونجد والعروض واليمن وكل منها ينقسم الى أقسام

أما الحجاز فهو اقليم مستطيل يحده غربا البحر الاحمر وشرقا البادية الكبرى وجنوبا بلاد عسير وشمالا بادية الشام وطوله من الشمال الى الجنوب يبلغ ١٥٠٠ كيلو متر وعرضه من الغرب الى الشرق يبلغ ثلاثمائة كيلو متر . ويقطعه من الشمال الى الجنوب جبال السراة ويبلغ ارتفاع بعضها ٨٠٠٠ قدما وفيها مياه كثيرة وغابات وقرى آهلة بالناس. ومنحدرات هذه الجبال يتصل بها سهل الى البحر يسمونه تهامة وأرضه رمليه وبعضها قابل للزراعة

والحجاز كان ولاية عثمانية منذ سنة ٩٢٢ هجرية وكان قبل ذلك التاريخ تابعا لحكومة مكة

أما اليمن فهى واقعة فى الجنوب الغربى من جزيرة العرب وطولها من الشمال الى الجنوب نحو ٧٥٥ كيلو متراً ومن الغرب الى الشرق نحو ٤٠٠ كيلو متر ويقدر سكانها بنحو أربعة ملايين كلهم مسلمون على مذهب الزيدية . فيهم قليل من اليهود . أما أهل العسير فهم وهابيون

تنقسم أرض اليمن الى قسمين قسم السهول وتسمى تهامة وهى الى البحر ، وقسم الجبال وهى سلسلة من جبال السرورات متصل بعضها ببعض من الشمال الى الجنوب أعلاها جبل كوكبان يبلغ

ارتفاعه ٣٠٠٠ متر

جميع هذه الجبال آهلة بالسكان وفيها عيون كثيرة تتكون منها أنهار تسير في وديان خصبة منها مايسير الى الغرب ويصب في البحر الاحمر وأكبرها وادي مشرف ووادي كانون جنوب القنفذة ووادي عاشور عند ثغر حلي ووادي السهام قرب الحديدة ، ووادي هندان الذي يمر بمدينة تعيز والوادي الكبير قرب مخا

أما الأنهار التي تصب في المحيط الهندي فهي وادي الميدن ويصب قرب ميناء عدن ووادي داما ووادي الشارد اللذان يجريان قرب صنعاء وينحدران الى الصحراء أحدهما ماراً بخرائب مأرب والثاني بخرائب معين

بعض هذه الأنهار تغيض مياهه بالصحراء قبل أن تصل الى البحر الازمن شدة الامطار التي تكاد لاتنقطع في تلك البلاد مدة الشتاء والربيعين

من حاصلات اليمن الدخن والقمح والشعير والعدس والسمسم والذرة والفول والقطن والنيلة والتبغ والنباتات الخضراء والفاكهة بأنواعها

اكبر ثغور اليمن الحديدة فيها نحو ٧٠ الف نسمة من أجناس مختلفة كالأحباش والسوماليين والهنود والجاويين والفرس والسودانيين

من أحسن فرضات اليمن عدن يعتبر موقعها أمنع موقع في تلك الجهات لانها في وسط جزيرة صخرية تتصل بالقارة بلسان من الرمل احصنها الانجليز تحصيناً منيعاً . وهي على الدوام غاصة بالسفن والاساطيل الانجليزية . ويقدرون عدد السفن التي تسير بينها وبين البصرة وبومبي بنحو ١٨٠٠ سفينة في السنة . وقد بلغت وارداتها سنة ١٩٠٨ سبعة ملايين وسبعمائة الف جنيه يبلغ عدد أهلها نحو ثلاثمائة الف نسمة وكانت قبل احتلال الانجليز لها لايزيد عدد أهلها عن خمسة آلاف نسمة

وقد أبرمت بين تركيا وبين انجلترة معاهدة سنة ١٩٠٤ جعلت فيها أملاك الانجليز ببلاد العرب ممتدة من بوغاز باب المندب الى نهر بانا شرقا وهو مالا يقل عن ٢٠٠ كيلومتر طولا وخمسين كيلو متراً عرضاً

ومما يدخل تحت سلطة الانجليز في جنوب بلاد العرب واحة الشيخ عثمان

المشهورة بسلطنة لحج ومركز سلطانها الحوطة ثم جزيرة بريم الواقعة فى مدخل بوغاز باب المندب ومساحتها ٨٠ ميلا مربعا

للانجليز عدا هذا شبه سيادة على الحكومات الصغيرة التى فى ساحل حضرموت فهم يعطون ملوكها مرتبات شهرية حتى لا يتنازلوا عن شىء من ممالكهم لدول أخرى . أهمها سلطنة المكلة وسلطنة تمهرة والشِحر ونريم

أما عمان فهى واقعة فى الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد العرب . كل ساحلها عامر بالبلاد والسكان وطوله من ثغر مربط الى شبه جزيرة القطر نحو ٢٢٠٠ كيلو متر وعرضه فى داخل البلاد الى الغرب نحو ٣٠٠ كيلو متر . عاصمتها مسقط

عمان تنقسم الى البطنة ولا تمتد أكثر من ٤٠ كيلو متراً أغلبها مغطى بالنخيل المشهور بجودة ثمره والى قسم الجبال أكبرها الجبل الاخضر ويرتفع الى نحو ٣٠٠٠ متر . ويوجد بين هذه الجبال وديان كثيرة خصبة تسقى بواسطة مجارى ماء لها خزانات وسدود

من حاصلات عمان التمر والحنطة والذرة والشعير والبرسيم والنيلة والنباتات الخضراء وكثير من أنواع الفاكهة ولا سيما الجوز الهندى والمانجو . ومن محصولاتها خشب الند والصندل والصمغ العربى والصبر والتنباك وفى جبالها كثير من المعادن كالحديد والرصاص والنحاس والكبريت والملح الجبلى . وعلى سواحلها مغاصات كثيرة للؤلؤ

أهل سواحل عمان يشتغلون بصيد السمك فيصدرون منه مقادير عظيمة الى بلاد الفرس وغيرها . وما يبقى منه يعطونه غذاء للبقر ويسمدون به أراضيهم

عمان مشهورة بجودة خيلها وبقرها وغنمها

يبلغ أهل عمان مليونا وتسعمائة الف نسمة مساحتها تبلغ نحو (٨٠) الف ميل مربع عاصمتها مسقط وعدد سكانها ٢٠ الف نسمة

ينقسم سكانها الى قسمين قسم البدو وقسم المتحضرين وهم خليط من الهنود والعجم والبلوخستان والعرب والزنوج

أهل عمان على مذهب الاباضية المنسوب الى عبد الله بن إبَاض المرى الذى استولى على افريقية الشمالية سنة

(١٥٢)ھ . وادعى فيها الخلافة

كانت عمان تابعة لحكم التبابعة باليمن ثم أسلمت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى سنة (١٥٠٨) استولى البرتغاليون على سواحل عمان واتخذوا مسقط قاعدة لغاراتهم البحرية

وفى سنة (١٦٥٨) طرد أهل عمان البرتغاليين من بلادهم . ثم دهمهم الفرس فاستعان العمانيون بملك الشحر احمد بن سعيد فأجلى الفرس عن بلادهم فبايعوه ملكا على بلادهم سنة ١١٦٧ هجرية هى فى يد بنيه الى الآن

وقد عقدت معهم انجلترة بضع معاهدات من سنة (١٧٩٨) ضمنت بها لسلطان عمان مرتبا شهريا وتكلف بحفظ استقلاله وصيانة الامن فى بلاده فى مقابل عدم تنازله عن شىء من أملاكه لدولة أخرى

ومن ثم أخذت السلطة الانجليزية تمتد الى تلك البلاد فاستولت سنة (١٨٥٤) على جزائر كوريا موريا وعلى جزائر خشم الواقعة فى مضيق هرمز فى سنة ١٨٧٦ وفى هذه السنة أعلنت حمايتها على جزيرة سوقطرة

أما نجد فهو أوسع الاقسام وهو واقع فى وسط جزيرة العرب وفى منتصف المسافة بين المدينة وبغداد . وهو ينقسم الى قسمين الشمالى وهو الحائل وما والاه ويسمونه نجد الحجاز ، والثانى العارض وما يليه ويسمونه نجد اليمن

يرتفع سهل نجد عن البحر بنحو ١٢٠٠ متر ولذلك سمى نجداً

فيه جبال مشهورة منها جبل سلمى وجبل طويق وجبل أجأ . ويحيط بنجد من الشمال صحراء الشام ومن الغرب صحراء الحجاز ومن الجنوب البادية الكبرى ومن الشرق لسان من الدهناء

(من هم العرب) العرب من الساميين والساميون هم الشعوب الذين يتكلمون بالعربية والعبرانية والسريانية والحبشية . ومنها الشعوب التى كانت تتكلم باللغة الفنيقية والآشورية والآرامية

ومعنى ساميين انهم منسوبون الى سام بن نوح عليه السلام

والناقد البصير يحكم لاول وهلة أن هذه اللغات مشتقة كلها من أصل واحد لتشابهها لفظا وتركيبا

وقد أصطلح مؤرخو العرب أن يقسموا تاريخهم قبل الاسلام الى قسمين : العرب البائدة والعرب الباقية. فالبائدة عندهم هي التي بادت قبل الاسلام والباقيـة قسمان العرب القحطانية باليمن، والعرب العدنانية بالحجاز وما يليها

(العـرب البائدة) هي قبائل عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن يتصل بهم . ويقال لهم العرب العاربة

وقد كان لهذه القبائل ملوك ودول وقد امتد ملكهم الى الشام ومصر

وروى المؤرخون ان هذه القبائل كانت تسكن اولا في بابل من آسيا الصغرى ثم هاجروا الى جزيرة العرب . وقالوا ان بني عاد والعمالقة ملكوا العراق

ثم ان مؤرخي العرب يقسمون القبائل البائدة الى قسمين العماليق وهم من نسل لاوذ بن سام وسائر القبائل الاخرى من ارم بن سام

فالعمالقة في نظر مؤرخي العرب من نسل لاوذ بن سام والعرب البائدة من نسل إرم اي الآرميين

العمالقة هم أهل شمال الحجاز مما يلي جزيرة سيناء فتحوا مصر مـدة الفراعنة وأسسوا فيها أسرة ملكية

قلنا أن العرب ملكوا العراق وأسسوا بها دولة ونقول إن تلك الدولة سماها المؤرخون المحدثون دولة حمورابي وهو اسم اكبر ملوكها ومؤسس اقـدم شريعة في العالم . وزعموا انه كان من أهـل القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد . أغار على الدولة البابلية الاولى فاقتبس قومه تقاليد البابليين ومدنيتهم واستخدموا لغتهم ثم فني المقهورون في القاهرين وصارت الدولة البابلية عربية بحتة

أما دولة العمالقة في مصر فتبتدىء من سنة ٢٢١٣ الى ١٧٠٣ قبل الميـلاد جاؤها من طريق برزخ السويس أو البحر الاحمر فأقاموا بها وكثر عددهم فيها ثم لما سنحت لهم الفرصة وثبوا على ملوكها وملكوا البلاد دونهم. وكان أول ملوكهم سلاطيس وحكم بعده بنوه الى سنة ١٧٠٣ فتمكن المصريون من انتزاع الملك من أيديهـم وطردهم فتفرقوا في جزيرة العرب قبائل وأفخـاذاً وأنشأوا دولا في اليمن والحجاز وسائر جزيرة العرب

أما عاد فهي من القبائل الآراميـة

ولذلك سميت أيضا عاد ارم والعرب يضربون المثل بها فى القدم ، وكل ما ذكر عنهم مبالغ فيه فقد ذكر قدماء المؤرخين ان طول الرجل منهم كان ٧٠ ذراعا الى مائة ذراع وان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وعينه تفرخ بها السباع ولم يذكروا من ملوكها الا بضعة ملوك أولهم عاد وقالوا عنه انه عاش ١٢٠٠ سنة وانه تزوج بألف امرأة وولد له أربعة آلاف ولد ذكر . وكل هذا من المبالغات التى لا تثبت على النقد العلمى

أما ثمود فكان مقامها فى الحجر المعروفة بمدائن صالح فى وادى القرى بطريق الحاج الشامى وكان اليهود يسكنونها قبل الاسلام

اما طسم وجديس فقد قال عنهما مؤرخو العرب انهما من ارم مثل سائر العرب البائدة وذكروا انهما سكنتا اليمامة فى شرق نجد وقاعدتها القرية وكانت طسم صاحبة السيادة الى أن تولاها رجل ظلوم فأنفت جديس من الخضوع له فقتلوه هو وخاصة قومه ، نهرب الى تبع اليمن حسان بن أسعد فشكا اليه ما أتته طسم واستنجده فأرسل الى طسم وجديس جيشا فأفناهم معا

من أشهر مدن طسم وجديس القرية فى اليمامة ويقال لها خضراء حجر وفيها آثار وحصون . وفى اليمامة قرية اسمها جعدة فيها قصر يسمونه العادى اشارة الى قدمه يقولون انه من بناء طسم

(دولة الانباط) ذكر العرب دولة الانباط فى كتبهم وارادوا بهم أهل العراق وقد تحقق المتقنون فى الآثار والمتتبعون لتاريخ اليونان والرومان وما ذكر فى التوراة ان دولة الانباط كانت عربية قامت بمشارف الشام فى الجنوب الشرقى من فلسطين ممتدة الى رأس خليج العقبة ويحدها من الجنوب بادية الحجاز ومن الشمال فلسطين ومن الشرق بادية الشام وكان اليونان يسمون هذه المملكة ببلاد العرب الحجرية وكانت عاصمتها بطرا (الحجرية)

كان أقدم سكان هذه الجهة الحوريين وهم سكان الكهوف القدماء وكانوا قبائل على كل منها رئيس . غزاهم داود ملك اليهود وكانوا يسمونهم الادوميين وبقوا تحت سيادة اليهود الى أن ضعف أمرهم فاستقلوا وكبر سلطانهم فى عهد بختنصر فساعدوه

فى حروبه لليهود . ثم دهمهم الانباط من الشرق فملكوا مملكة ادوم قبل القرن الرابع للميلاد وبقيت الى أوائل القرن الثانى بعده حتى دخلت فى حوزة الرومان سنة ١٠٦ وهم عرب على الارجح

اما مدينة بطرا عاصمتهم فكانت قائمة فى مستوى من الارض تحيط به الصخور عند ملتقى طرق القوافل بين تدمر وغزة وخليج فارس والبحر الاحمر واليمن وكان العرب يسمونها الرقيم . قال المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم)

« الرقيم قرية على فرسخ من عمان على تخوم البادية فيها مغارة لها بابان صغير وكبير يزعمون ان من دخل الكبير لم يمكنه الدخول من الصغير . وفى المغارة ثلاثة قبور تسلسل لنا من أخبارها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : بينما نفر ثلاثة يتماشون اذ أخذهم المطر فمالوا الى غار فى الجبل فانحطت الى فم غارهم صخرة من الجبيل فأطبقت عليهم الى آخر الحديث »

وقال الاصطخرى : « الرقيم مدينة بقرب البلقاء وهى صغيرة منحوتة بيوتها وجدرانها فى صخر كأنها حجر واحد »

كان للنبطيين ملوك ووزراء ونظام سياسى واقتصادى وكان الاسم الغالب على ملوكهم الحارث او عبادة أو مالك فكان الحارث الاول عن سنة ١٦٩ قبل الميلاد اول ملوكهم

اختلف المؤرخون فى أصل الانباط فقال قوم انهم من نسل نبايوط بن اسماعيل متابعين فى ذلك ما قالته التوراة . وذهب آخرون انهم من أهل العراق لأن النبط يطلق على سكان ما بين النهرين

وذهب آخرون انهم من جبل شمر فى أواسط بلاد العرب نزحوا الى العراق حتى داهمهم فيها الآشوريون فأخرجوهم من واديهم الذى كانوا به

وقال آخرون ان الانباط جاؤا من خليج العجم

ووجه الخلاف بين المؤرخين فى هل هم عرب او آراميون

فالقائلون بأنهم عرب احتجوا بأن أسماءهم عربية وبأن اليونانيين قالوا عنهم انهم عرب حيث ذكروهم

والقائلون بآراميتهم يحتجون بأن لغتهم آرامية وان العرب يطلقون كلمة نبط على أهل العراق . ولكن الذى ثبت انهم كانوا يكتبون باللغة الآرامية

يتكلمون بالعربية

أما مدينة تدمر فهي الواقعة في طرف البادية التي تفصل الشام عن العراق وتبعد نحو ١٥٠ ميلا عن دمشق نحو الشمال الشرقي تحيط بها جبال

لم يذكر العرب مدينة تدمر الا بعد الاسلام فأحاطوها بالغلو الشديد فقالوا انها من بناء سليمان مع أنها لم تكن في حوزته

حاول الرومانيون فتحها فأخفقوا ثم نجحوا في ذلك ولكن كانت سلطتهم اسمية. أشهر ملوكها اذينة اتفق سنة ٢٥٨م مع فالبريان الروماني لمحاربة سابور ملك الفرس. فلما غلب سابور ارسل اليه اذينة هدايا واراد ان يتقرب اليه فرفض سابور هداياه فغضب اذينة ورجع للتقرب من الرومان وطلب اليهم نجدة لمقاتلة ملك الفرس فسر الرومان بطلبه وأرسلوا اليه جنوداً فهجم على الفرس وانتقم للرومان واسترجع البلاد التي كان سابور قد فتحها. فأصبح لاذينة سورية وما يليها ولقب ملك الملوك

ومن أشهر ملوك تدمر (زينوبيا) وهي امرأة اذينة وكانت وصية على ابنها القاصر فملكت مصر والشام والعراق وما بين النهرين وآسيا الصغرى الى انقرة فقاتلها القيصر اورليان وهزمها

كانت زينوبيا من أعجب النساء شجاعة ودهاء، كانت تركب الخيل وتجالس قوادها

وقد رجح بعضهم ان زينوبيا هي التي يسميها العرب الزباء ملكة الجزيرة بعد أبيها عمرو بن الظرب بن حسان العمليقي ويذكرون انها احتالت على جذيمة الابرش ملك الحيرة الذي قتل ابيها حتى قتلته

(من غزا بلاد العرب) اقدم الامم التي غزت بلاد العرب المصريون في عهد احمس منقذ مصر من حكم العمالقة فانه بعد أن اخرجهم من مصر طاردهم الى أواسط جزيرة سيناء نحو سنة ١٧٠٠ قبل الميلاد

فلما تولى تحوتمس الثالث في القرن السادس عشر قبل الميلاد قطع برزخ السويس واكتسح أعالي بلاد العرب وسورية وفلسطين وفنيقية وما بين النهرين

ولما تولى الفرعون رعمسيس الثالث من الاسرة العشرين المصرية نحو سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد أرسل وفداً للبحث عن المعادن الكريمة في شبه جزيرة سيناء

واقتدى به رمسيس الرابع سنة ١١٦٦ قبل الميلاد فافتتح طريقا قريبا الى بلاد العرب

وقد غزا بلاد العرب من الآشوريين الملك تغلات فلاسر فى القرن التاسع قبل الميلاد فقاتل قبيلة على حدود مصر وولى عليها رجلا من جنده

وغزا ساراجون الآشورى بلاد العرب سنة ٧٠٥ قبل الميلاد وأوغل فيها حتى وصل الى اقصى البلاد العامرة

وغزاها من ملوك الآشوريين أيضا سنحاريب فى القرن السابع قبل الميلاد فبلغ فى فتوحاته غرب بلاد العرب وشمالا الى حوالى جزيرة سيناء وهى من أقدم بلاد العرب عمرانا

ومنهم اسور اخدين فى القرن السابع أيضا فانه أوغل فى بلاد العرب حتى وصل الى البحرين واليمامة

ومنهم اسور بانيبال المتوفى سنة (٦٠٥) قبل الميلاد فقد ورد انه هزم العرب قرب دمشق وكانوا متحدين مع أعداء الآشوريين فى تلك الجهات

ومنهم نبوحودونوزوروهو الذى يسميه العرب بختنصر قال ابن الاثير فى تاريخه « وسار بختنصر الى معد فلقى جموع العرب فقاتلهم وهزمهم وأكثر القتل فيهم وسار الى الحجاز فجمع عدنان العرب وتلاقى هو وبختنصر فى ذات عرق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عدنان وتبعه بختنصر الى حصون هناك واجتمع عليه العرب وخندق كل واحد من الفريقين على نفسه وأصحابه فكمن بختنصر كمينا وهو أول كمين عمل فأخذتهم السيوف فنادوا بالويل ونهى عدنان عن بختنصر وبختنصر عن عدنان وافترقا »

أما الفرس فانهم بعد أن انتقلت اليهم مملكة آشور كان جيرانهم من العرب يؤدون اليهم الجزية ولما حمل قمبيز ملك الفرس على مصر أعانه العرب فكانوا يمدون له الماء

ثم إن العرب رفعوا غير الفرس عن عواتقهم واستضعفوا سابور ملك الفرس لصغر سنه فدخلوا الى بلاده وشنوا الغارة على الناس وأكثروا من الافساد . فلما كبر سابورو حارب اولئك العرب واكثر فيهم من القتل وقطع الخليج الفارسى الى البحرين واليمامة والقطيف وأسرف فى قتل من صادفه ثم عطف على ديار بكر وربيعة بالجزيرة وأوقع بأهلها

أما اليونانيون فطمعوا فى فتح بلاد العرب ولم يفلحوا . فلما تغلب الاسكندر الاكبر على العالم هم بفتح بلاد العرب فمات قبل بلوغ أربه

ترى مما تقدم ان للعرب مع الامم الفاتحة تاريخا مملوءا بالحوادث لم يذكره العرب في تاريخهم ولولا البحاثون فى آثارهم لما وقفنا على شيء منه

(دول اليمن) اليمن هو الجزء الجنوبي الشرقي من جزيرة العرب وكان ينقسم الى ٨٤ مخلافا والمخلاف تحته مدن ومحافد وقرى

أما تاريخ اليمن فمن أشد التواريخ سقما واضطرابا

أول من ملك اليمن يعرب بن قحطان فانه قهر قوم عاد باليمن والعمالقة بالحجاز وولى اخوته على ما كان بأيديهم فولى أخاه جرهما على الحجاز ، وعاد بن قحطان على الشحر وحضرموت بن قحطان على جبال الشحر ، وعمان بن قحطان على عمان

ثم تولى بعده ابنه يشجب بن يعرب ثم ابنه عبد شمس وهو سبأ الذى بنى سد مأرب المشهور.

وقد أعقب سبأ هذا عدة أولاد أشهرهم حمير وكهلان . ولما مات سبأ خلفه ابنه حمير وهو مؤسس الدولة الحميرية وهى طبقتان الملوك التبابعة وملوك حمير . للمؤرخين اختلافات كبيرة فى عددهم وعصورهم وتتابعهم ولكنهم اتفقوا بأن آخر ملك حمير وأول التبابعة هو الحارث الرائش.

أما التبابعة فأولهم الحارث الرائش المذكور وآخرهم ذو جدن حكم بعد ذى نواس الذى غلبه الاحباش وأخذوا اليمن منه وقد بلغ عدد التبابعة ٢٦ تبعا حكموا نحو ١٧٠٠ سنة وهى مدة طويلة جدا فانه يخص كلا منهم أكثر من ٦٥ سنة ولم يعهد فى تاريخ دولة من الدول مثل هذه الحال

ومما هو جدير بلفت النظر اليه ان المؤرخين من العرب جعلوا مدة حكم اول التبابعة الحارث الرائش ١٢٥ سنة ومدة ابرهة ذى المنار ١٨٣ سنة ومدة الأقرن ابن أبى مالك الشهابى ١٦٣ وهى مدد يظهر الاول وهلة انها أطول مما جرت به العادة

ثم فتح الاحباش اليمن فى آخر عهد التبابعة وكان عليها التبع ذو نواس

فهرب وهلك فى هروبه فخلفه ذوجدن فقهره الاحباش أيضا وأقاموا باليمن وقائدهم ابرهة بن الاشرم فأراد هدم الكعبة فقصدها فى عام الفيل فهلك جيشه ثم خلفه يكسوم ابنه فأساء السيرة فذهب سيف بن ذى يزن بن أحد ملوك التبابعة الى كسرى مستنجداً اياه فأنجده بجيش فأخرج الاحباش وتولى سيف اليمن تحت سيادة العجم فقتلته بطانته ولم يملك بعده أحد بل استقل كل أهل ناحية تحت رئيس منهم

ولقد كانت اليمن فى أقدم أزمانها تقسم الى محافد وكل محفد الى قصور، والقصر حصن أو قلعة يحيط به سور يقيم فيه أمير أو وجيه له أعوان ويعرف صاحب المحفد بوضع لفظ (ذو) امام اسمه فيقال ذو غمدان . وذومعين ؛ ومعناه صاحب غمدان وصاحب معين وتعرف هذه الطبقة من الحكام بالاذواء أو الذوين . وقد كان لكل محفد من هذه المحافد حكومة قائمة بذاتها . وربما اجتمعت عدة محافد تحت حكم أمير واحد يسمونه (قيل) وكان الاقيال كثيراً ما يتقاتلون لاختلاف يشجر بينهم

وقد كان يكبر شأن قيل من الاقيال فيدخل جميع الاقيال تحت سلطته فيؤسس دولة ويرث الملك أعقابه مدة طويلة . وقد دلت الآثار التاريخية على قيام ثلاث دول فى اليمن على هذا النحو وهى الدولة المعينية والدولة السبائية والدولة الحميرية ولا بد لنا من كلمة على كل منها

(الدولة المعينية) لم يتنبه علماء التاريخ الى هذه الدولة الا حديثا ولم يكن لها ذكر فى تواريخ العرب أنفسهم . وما نبههم اليها الا ورود ذكرها فى كلام المؤرخ اليونانى استرابون وقد ذكرها غيره من المؤرخين القدماء كبلينيوس وذيونيسيوس وبطلميوس فكان العلماء يظنون ان المعينيين هم المنائيون نسبة الى منى بقرب مكة ولكن المستعرب هاليفى لما ارتاد بلاد الجوف فى شرق صنعاء اكتشف انقاض معين وقرأ اسمها عليها مكتوبا بالقلم المسند ووجد بجانبها براقش ونقل معه ثلاثمائة وثلاثة نقوش منها ٧٩ وجدت بمعين و ١٥٤ وجدت ببراقش و ٧٠ وجدت بالسوداء فقرأ المستعرب المذكور اسماء الكثيرين من ملوك الدولة المعينية ووقف على كثير

نظامها. وقد بلغ عدد من عثر على أسمائهم من ملوك معين ٢٦ يشترك كل عدد منهم فى اسم ويتميزون بالالقاب فمنهم (اب يدع يثيع) أى المنقذ و (أب يدع ريام) أى السامى

وقد ثبت أن سلطان هذه الدولة امتد الى شواطىء البحر الابيض المتوسط وشواطىء خليج العجم وبحر العرب أى انها استولت على جميع شبه جزيرة العرب وكانت دولة تجارية وسلام لافتح ولا حرب

والظاهر أن أصل هذه الدولة قبيلة من عرب العراق الذين أسسوا دولة حمورابى فى بابل فلما بادت دولتهم هنالك نزحوا الى اليمن وأسسوا فيها الدولة المعينية

(الدولة السبأية) دولة سبأ قحطانية ويسمون بالعرب المتعربة ولكن المؤرخين من العرب أغفلوا ذكر اصل هذه الدولة والذى عرف الآن ان هذه الدولة تأسست فى القرن الثامن قبل الميلاد بعد الدولة المعينية وقد بلغ عدد من عرفت أسماؤهم من ملوك هذه الدولة اكثر من ثلاثين ملكا استولوا عليها من النقوش الاثرية وقد كانت دولة سلام وتجارة وقد دفعت الجزية للآشوريين ويظهر من النقوش ان هذه الدولة مرت على أربعة أدوار تتميز بألقاب ملوكها فكان ملكها فى الدور الاول يلقب بلقب (مكرب سبأ) وكان فى الدور الثانى يلقب (بملك سبأ) وفى الدور الثالث (بمكرب سبأ وريدان) وفى الدور الرابع (بمكرب سبأ وريدان وحضرموت وغيرها)

يرجح أن هذه الدولة وجدت سنة ٨٥٠ وزالت سنة ١١٥ قبل الميلاد

من ملوكها يثعمر وزمر على ويدع ابل بن سمهعلى ينوف وذرب وكرب ابل ويرم ايمن

(دولة حمير) الحميريون فرع من السبأيين وحمير عند العرب هو ابن سبأ ويظهر ان الحميريين كانوا يقيمون فى ريدان قبل توليتهم بعدة قرون فلما سنحت لهم الفرصة أخضعوا اخوانهم السبأيين ثم أشركوهم معهم فصار ملكهم يدعى (ملك سبأ وذوريدان)

تمتاز دولة حمير عن دولة سبأ بأنها كانت دولة فاتحة فقد حاربت العجم والاحباش وغيرهما

كان آخر ملوك حمير ذا نواس سنة (٥٢٥) ميلادية فكان مدة بقاء الدولة

السبأية ٦٤٠ سنة

وقد اختلف المؤرخون والنقابون عن الآثار فى من كان أول ملوكها ولا يزال هذا الامر غامضاً الى اليوم وغاية ماعرف من هذا الشأن ان اولم كان اسمه علهان نهفان فحكم من سنة ١١٥ الى ٨٠ قبل الميلاد: خلفه ابنه شمر وتار

قال العرب ان أشهر ملوك حمير شمر يرعش وهو الذى تولى من سنة ٢٧٥ الى ٣٠٠ بعد الميلاد . قالوا انه وطىء أرض العراق وفارس وخراسان وأخرب مدينة الصغد وقيل انه ملك بلاد الروم

قال مؤرخو العرب ومن كبار ملوك حمير اسعد ابو كرب قالوا انه غزا اذربيجان وهزم الترك وقتل وسبى منهم ثم رجع الى اليمن فهابته الملوك وهادنته امراء الهند ثم غزا الترك والروم والفرس مرة أخرى وجاز الى الصين وغنم منها مغانم شتى . وضرب ابنه يعفر الجزية على القسطنطينية ثم سار الى رومية وحاصرها ولكن وقوع الطاعون فى معسكره جعلهم عرضة لهجوم الرومانيين فلم يفلت منه أحد

ولكن هذه الاقوال بعيدة عن العقل فان انتقال جيش عربى من اليمن الى الصين والقسطنطينية ثم رومية على صعوبة وسائل النقل فى تلك العصور مما يجعل هذه الغارات مستحيلة

(فتح الاحباش لليمن) العلاقة بين اليمن والحبشة كانت موجودة من القدم لقرب البلادين وقد طمع بعض ملوك الحبشة فى الاستيلاء على اليمن فروى ان أحدهم حاول امتلاكها فى أوائل القرن الثانى للميلاد وان واحداً آخر ملك بعض مدنها فى أواخر القرن الثالث فطرده الحميريون ثم عاد الاحباش فى منتصف القرن الرابع فاكتسحوا اليمن كلها فحدثت بينهم وبين العرب وقائع كثيرة ولاسيما بين ملك الحبشة العلى اسكندى وبين الهدهاد ملك حمير ثم بين العلى عيدة وبين الهدهاد وبلقيس ثم تم للاحباش فتح اليمن بمساعدة الرومان ومكثوا بها الى سنة ٣٧٤ ميلادية ثم استردها الحميريون الى سنة ٥٢٥ حيث أعاد الاحباش عليها الكرة وملكوها ثانية فحدث فى هذه المدة ماحدث من أبرهة بن الاشرم الذى تصدى لهدم الكعبة

ثم مل الحميريون سلطة الاحباش فذهب أحد أمرائهم واسمه سيف بن ذى

يزن الى الفرس واستنجد بهم فأنجدوه بجيش قهر به الاحباش فوقعت اليمن تحت سيادة الفرس الى أن فتحها المسلمون فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم

(مدنيـة العرب فى اليمن) تبين القارىء مما تقدم أن أهل اليمن لم يقلوا عن أهل مصر وفنيقية مدنية فى العصور القديمة اذ كان منهم الملوك الفاتحون والتجار المتنقلون وكان لديهم مدن عامرة وآثار جميلة ويظهر انهم اقتبسوا ذلك من البابليين أولا على عهد دولة حورابى التى أغارت عليهم قبل نحو أربعة آلاف عام وقد عثر البحاثون على آثار قصورهم واطلال معابدهم وقطع من سكنهم (اى نقودهم)

وقد عرف أيضا انه كانت لهم تجارة واسعة فى أنواع البخور والطيوب والصموغ وروى انهم كانوا يفلحون الارض ويستثمرونها وكانوا يستخرجون المعادن من باطن الارض كالذهب والفضة والاحجار الكريمة . وكانت لهم قصور شاهقة كقصر غمدان وقصر ناعط وقصر ريدة وقصر صرواح . هذا غير القلاع والسدود والجسور

قال الهمذانى وياقوت ان الذى بنى قصر غمدان الملك ليشرح يحصب فيكون قد بنى فى القرن الاول للميلاد وبقى الى عهد عثمان بن عفان ويكون قد قاوم أفاعيل الطبيعة نحواً من ستة قرون . وقد شاهد الهمذانى أطلاله فقال انه كان مؤلفا من عشرين طبقة بين كل سقفين عشرة أذرع . وقال أن بانيه لما بلغ به غرفته العليا جعل سقفها رخامة واحدة شفافة وكان يعرف الموجود بها مايطير فوقه فيميز الغراب من الحدأة . وكانت حروفه أربعة تماثيل من أسود نحاسية مجوفة رجلا الاسد فى الدار ورأسه وصدره خارجان من القصر وما بين فيه الى مؤخره حركات مدبره فاذا هبت الريح فدخلت أجواف الاسود سمع لها زئير كزئير الاسود وكان يصبح فيها بالقناديل فترى من رأس عجيب وكانت غرفة الرأس العليا مجلس الملك اثنى عشر ذراعا وكان للغرفة أربعة أبواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب وعند كل باب منها تمثال من نحاس اذا هبت الريح زأر وفيها مقيل من الساج والآبنوس وكان فيها ستور لها أجراس اذا ضربت الريح تلك الستور

تسمع الاصوات من بعد

وقد وصف العرب بقية القصر نثراً وشعراً ولا حاجة للاطالة بنقل ذلك

(الدول القحطانية الاخرى) كان عرب اليمن كثيراً ماينزحون من بلادهم عند نزول الشدائد بهم فينزلون الحجاز أو اليمامة والبحرين اوعمان وقد تيسر لبعضهم انشاء دول فى بعض تلك الجهات وقد عد العرب من دولهم الغساسنة بالشام والمناذرة بالعراق وكندة بنجد

وقد اعتبر العرب تسع عشرة قبيلة خارج اليمن من بنى قحطان أى يمنية غير عدنانية وهى : قبائل طيء والاشعر وبجيلة وجذام والازد وعاملة وكندة ولخم ومذحج وهمذان ومازن وغسان وعدنان ومزيقيا وازد شنوءة والاوس والخزرج وخزاعة. ولكل من هذه القبائل بطون وأفخاذ وعمائر وعشائر لاسبيل لحصرها هنا

وقد نشأت من بعضها وهي غسان ولخم وكندة دول سيرد ذكرها

وقد اتفق العلماء على ان هذه القبائل كلها قحطانية وانهم خرجوا من اليمن بعد انهدام سد مأرب على أثر سيل العرم .

وانا لذاكرون موجزاً من تاريخ كل دولة من هذه الدول الثلاث المار ذكرها

(دولة الغساسنة)

قلنا أن بنى غسان هاجروا من اليمن لتهدم سد مأرب بسيل العرم فنزلوا مشارف الشام وحاربوا بها قوما من قضاعة يقال لهم الضجاعمة وأخذوا مابأيديهم وأسسوا هنالك دولة تحت حماية الرومان فى الجهة التى تعرف الآن باسم البلقاء وحوران فبلغوا درجة عالية من المدنية فبنوا القصور ومصروا الامصار واتخذوا لهم عاصمة فى بصرى بحوران يسميها الاتراك الآن الشام القديمة

وقد بلغ عدد ملوكهم اثنين وثلاثين ملكا حكموا نحو ستة قرون كما ورد فى كتب العرب وكان أولهم جفنة بن عمرو وآخرهم جبلة بن الأيهم الذى استولى المسلمون على ملكه فأسلم ثم هرب الى قيصر وارتد

ولكن بحاثى الاوروبيين يزعمون ان عدد ملوك الغساسنة لايتجاوز العشرة وان أولهم جبلة بن ثعلبة وآخرهم جبلة بن الأيهم. وقد وقف الاوروبيون على تحرير ماقالوه عن هذه الدولة من كتب اليونان

والسريان

امتد ملك الغساسنة حتى عم مشارف الشام وتدمر وفلسطين ولبنان وبنى ملوكهم القصور الفخمة والقناطر الضخمة من قصورهم المشهورة القصر الابيض وقصر المشتى وقصر الفضاء وقصر السويداء وقصر بين وغيرها

(دولة اللخميين فى العراق)

اول من حكم العراق آل تنوخ ومنهم جذيمة الابرش ثم صار الحكم بعده الى ابن اخته عمرو بن عدى وهو من آل نصر فرع من لخم . وقعت دولة اللخميين تحت سلطة الفرس كما كانت قد وقعت دولة الغساسنة تحت سلطة الرومان ويطلق العرب على ملوكهم اسم ملوك الحيرة

بلغ عدد هؤلاء الملوك اثنين وعشرين ملكا فى ثلاثمائة واربع وستين سنة كلهم من نسل عمرو بن عدي الا سنة منهم

كان اول ملوك الحيرة عمرو بن عدى كما قدمنا وآخرهم المنذر المغرور . وكانت عاصمتهم مدينة الحيرة وهى على نحو ثلاثة أميال من الكوفة فى موضع يقال له النجف على الساحل الغربى للفرات وكانت آهلة بالقصور والمبانى العظيمة والحدائق الغناء

وبقيت الحيرة عامرة فى الاسلام بضعة قرون . وكان بجوارها القصران المشهوران وهما الخورنق والسدير

أما ديانة ملوك الحيرة فقد قال بعضهم انها النصرانية تنصروا على عهد امرىء القيس الاول فى أوائل القرن الرابع وقال غيره ان أول من تنصر النعمان بن المنذر فى آخر القرن السادس

(دولة كندة)

كندة بطن من كهلان فهم قحطانيون ، اصلهم من البحرين والمشقر هاجروا الى حضرموت فأقاموا ببلدة اسمها كندة فكانوا هنالك موالين للحميريين

فاتفق ان حجر بن عمرو آكل المرار سيد كندة كان أخا حسان بن تبع ملك حمير من أمه فولاه قبائل معد كلها

ولكن اليعقوبى قال ان سبب نزوح كندة عن حضرموت ان وقع بين القبيلتين حروب طالت حتى كادت تفنيهما فرحلت كندة من اليمن فصارت الى أرض معد فجاورتهم . ثم ملكوا رجلا منهم اسمه مرتع بن معاوية بن ثور فكان أول ملوكهم . ثم خلفه آخر وآخر حتى

الحارث بن عمرو بن حجر

حارب النعمان بن المنذر ملك الحيرة الحارث بن عمرو المذكور وهزمه ثم تمكن منه وقتله لمنافسة كانت بينهما فبقى أولاده الاربعة يحكم كل منهم فى الجهة التى عينه بها أبوه قبل موته فأغرى النعمان بينهم العداوة فلم يبق بينهما غير اثنين وهما حجر ابن الحارث على بنى أسد ومعدى كرب ابن الحارث صاحب قيس وعيلان . ثم ثار بنو أسد فقتلوا حجرا فهب ابنه امرؤ القيس بن حجر الشاعر المشهور للأخذ بثأره فأوقع ببنى أسد ثم قصد قيصر ليمده بجنود فمات بالقسطنطينية وقيل بل سممه قيصر ، فضعفت دولة كندة ولم يبق منها الا معدى كرب بن الحارث على بنى قيس وبنى عيلان وأمراء آخرون لهم سيادة على بعض القبائل . وكان أشهر فروع تلك الدولة فى دومة الجندل والبحرين ونجران وغمر ذى كندة فبقيت فى كل منها دولة صغيرة حتى ظهر الاسلام فانقرضت جميعها

تأسست هذه الدولة فى القرن الخامس وانقرضت بوفاة امرىء القيس سنة ٥٦٠

تاريخ العرب العدنانية

قلنا ان العرب ينقسمون الى قسمين العرب القحطانية باليمن وبغيرها من الممالك التى أسسوها بالعراق والبحرين وغيرها ، والعرب العدنانية ، وقد بقى علينا أن نتكلم على العرب العدنانية فنقول :

العرب العدنانية هم ذرية اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام ، وذلك ان ابراهيم هاجر بامرأته هاجر وابنها اسماعيل الى بلاد العرب فأسكنهما بمكة وبنى البيت الحرام ثم عاد الى الشام فلما كبر اسماعيل تزوج بامرأة من جرهم أصحاب مكة فى ذلك العهد فولدت له اثنى عشر ولداً فتناسلوا وبارك الله فيهم حتى بلغ عددهم الملايين وكانت العرب تسميهم الاسماعيلية والعدنانية أيضا نسبة الى عدنان أحد ذرية اسماعيل

والفرق بين العرب العدنانية والعرب القحطانية ينحصر فى النظام الاجتماعى وفى الدين واللغة

فمن الوجهة الاجتماعية يمتاز العرب العدنانية عن القحطانية بأن جمهورهم أهل بداوة يسكنون الخيام ويربون الماشية ويرحلون وراء المياه والاعشاب فهم لا

يبنون بيوتا ولا يؤسسون امصارا الا أهل مكة فانهم تحضروا منهم

ومن الوجهة الدينية يمتاز القحطانيون بأن آلهتهم تقرب من آلهة البابليين منها عشتار وايل وبعل الخ ولكن آلهة العدنانيين كانت لاتشترك مع سواها ولها أسماء خاصة كاللات والعزى ومناة وهبل

ومن الوجهة اللغوية يوجد بين الطائفتين خلاف جوهرى وان كان الجميع يتكلمون العربية والخلاف يتناول الاعراب والضمائر والاشتقاق والتصريف

أقدم ماذكره العرب عن العرب الاسماعيلية يتصل باسماعيل نفسه

قالوا لما نزل اسماعيل بمكة وشب تزوج من بقية بنى جرهم وتعلم العربية فولد له اثنى عشر ولداً تناسلوا فكانوا أصل العرب العدنانية ويسمون المستعربة لانهم ليسوا من العرب بل دخلاء فيهم كالقحطانية أيضا

أشهر أولاد اسماعيل قيدار ملكه أخواله على الحجاز ومن ذريته عدنان وبينهما اربعون ابا. وقال بعضهما بل بينهما عشرون وقيل أقل من ذلك . فولد لعدنان عك ومعد . ومعد هذا هو أبو القبائل

العدنانية

كان هؤلاء العرب العدنانية على حالة قبائل وكان لهم ماشية كثيرة وتجارة وكان مقامهم فى تهامة والحجاز ونجد على حالة بداوة الا قرشا فقد تحضرت وسكنت مدينة مكة

وقد قسم المؤرخون العدنانية الى قسمين بنى عك وبنى معد. فبنو عك نزلوا نواحى زبدة جنوب تهامة وليس لها شأن كبير فى حوادث التاريخ

اما بنو معد فمنهم تناسل عقب عدنان كلهم . انقسم بنو معد الى قسمين بنى نزار وبنى قنص والاول أكثر عدداً وأعز نفراً وهى عدة فروع منها قضاعة ومضر وربيعة واياد وانمار وكانت منازلهم فى تهامة والحجاز ونجد . فكانت قضاعة بجهة جدة على ساحل البحر الاحمر الى حيز الحرم المكى وكانت مضر فى حيز الحرم الى السروات . وكانت ربيعة فى مهبط الجبل من غمر ذى كندة بينه وبين مكة مسيرة يومين وفى بطن ذات عرق وما والاها من نجد . وكانت اياد وانمار مابين حد ارض مضر الى حد نجران وكانت قنص فى ارض مكة وأودبتها

وشعابها وما والاها من البلاد

ثم ان هذه القبائل نزحت من بلادها لطلب العيش فأنشأ بعضها دولا وضاع ذكر البعض الآخر

فكان أول من نزح بنو قضاعة فتفرقت بطونها فى جزيرة العرب فى نجد والبحرين ومشارف الشام فأنشأ بعضها دولا بالعراق والشام وكان نزوح هذه القبيلة حوالى القرن الاول للميلاد

(دول قضاعة)

من بطون قضاعة (جهينة وبلى) وكانت منازلهم بين ينبع ويثرب ومصر على شواطىء البحر الاحمر ولم تكن لهم دولة ذات ملوك ولكنهم غلبوا على بادية مصر وصعيدها اجيالا

قال ابن خلدون عنهم انهم انتشروا مابين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هناك سائر الامم وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهقوها

ولقد كان هؤلاء العرب يقاتلون للغنم لا للفتح

ومن دول قضاعة (تنوخ) هو فرع كبير من قضاعة . وقال بعض المؤرخين ان تنوخا كانت مزيجا من قضاعة والأزد وكانت دولتهم فى أوائل ظهور النصرانية

كان لتنوخ دول فى مشارف الشام والعراق منها دولة جذيمة الابرش كانت عاصمتها فى المضيرة بين بلاد الخانوقة وقرقبسيا . ويرى المؤرخون ان هذه الدولة كانت فى نحو القرن الثالث من الميلاد

أول ملوكها مالك بن فهم ثم خلفه ابنه جذيمة الابرش وكان ملكا فاتحا استولى على البلاد الواقعة بين الحيرة والانبار والرقة وسائر القرى المجاورة لبادية العراق

ثم خلفه ابن اخته عمرو بن عدى وجعل الحيرة عاصمة له وهو جد دولة لخم التى منها المناذرة

وهناك دولة أخرى تنوخية قامت فى مدينة بطرا عند زوال دولة النبطيين قامت تحت حماية الرومانيين من ملوكها النعمان بن عمرو وعمرو بن النعمان

لم تطل أيام هذه الدولة فحل محلها بطن آخر من قضاعة اسمه سليح

(دولة سليح)

سليح بطن من قضاعة ملكوا مشارف الشام بعد تنوخ وكان مقرهم فى

مواب من ارض البلقا. وفى سلمية وحوارين والزيتون . ومن ملوكها النعمان بن عمرو ومالك بن النعمان وعمرو ابنه ثم خلفهم الغساننة كما مر والاولون هم الضجاعمة الذين ذكرنا ان الغساسنة تغلبوا عليهم

(انمار)

انمار بطن من قضاعة رحلت الى جبال السروات فملكوها ثم تخاصمت هنالك القبيلتان المكونتان لانمار وهى بجيلة وخثعم فحدث بينهما حروب بطول بسطها

(اياد)

اياد بطن من قضاعة نازعتها مضر الحياة فنزحت من تهامه الى العراق قرب الكوفة ثم انهم شنوا الغارة على الفرس فأوقع بهم كسرى انوشروان واجلاهم عن العراق فنزلوا الى تكريت والجزيرة والموصل ثم نزحوا منها الى بلاد الرومان والشام

(ربيعة)

هاجرت ربيعة من تهامه فنزحت قبيلة عبد القيس منها الى البحرين وهجر ونزلت قبائل أخرى منها الى نجد والحجاز واليمن . وكانت القبائل التى نزلت بالحجاز منها بكر وتغلب وعنزة وضبيعة. ثم حدثت بينهم حروب فتغلبت بكر على تغلب فتفرقت تغلب فى البلاد وانتشرت بكر ابن وائل وعنزة وضبيعة باليمامة الى سواد العراق . وانحازت النمر وغفيلة الى أطراف الجزيرة وعانات . وكانت الزعامة لعنزة ثم تحولت الى عبد القيس ثم الى النمر بن قاسط ثم الى بكر بن وائل ثم الى تغلب وتولى منها وائل بن ربيعة وهو كليب المشهور

(مضر)

استأثرت مضر بتهامة حتى كثر عددها فوقعت بين بطونها الحروب وأشهر تلك البطون قيس بن عيلان وخندف فغلبت الثانية فظعنت قيس بن عيلان الى نجد الا قبائل منها انحازت الى أطراف الغور من تهامة فنزلت هوازن ما بين غور تهامة الى ما والى بيشا وبركا وناحية السراة والطائف وذى المجاز وحنين وأوطاس

وكان بنو خندف يتألفون من قبيلتى طابخة ومدركة فنزلت طابخة بظواهر نجد والحجاز وأوت مزينة الى جبال رضوى وما والاها بالحجاز ورحلت تميم وضبة الى منازل بكر وتغلب وهاجرت بنو سعد

الى يبرين ونزلت طائفة الى عمان واخرى بين اطراف البحرين الى مايلي البصرة واقامت قبيلة مدركة بتهامة . وكانت لهذيل بنو فهم وعدوان من قيس عيلان . وأقام بنو النضر بن كنانة حول مكة أنزلهم قصى بن كلاب الحرم وهم قريش فكان بالحجاز من العرب اسد وعبس وغطفان وفزارة ومزينة وسليم وفهم وعدوان وهذيل وخثعم وسلول وهلال وكلاب وطيء وأسد وجهينة وغيرها

(خلاصة ماتقدم)

يستخلص مما مر ذكر ان العرب ثلاثة اقسام (اولها) العرب البائدة وهي قبائل عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس واميم وجرهم وحضر موت ومن يتصل بهم وهذه بادت قبل الاسلام ويقال لهم العرب العاربة كان لهم ملوك امتد ملكهم الى الشام ومصر . كان مقرها أولا بابل من آسيا الصغرى ثم هاجرت الى جزيرة العرب

والمؤرخون يقسمون العرب البائدة الى قسمين العمالبق وهم من نسل لاوذبن سام ، ومن عداهم فمن نسل ارم بن سام فالاولون يقال لهم ساميون والآخرون آرميون

العمالبق ملكوا مصر مدة الفراعنة وأسسوا فيها اسرة ملوكية . وملكوا العراق وأسسوا بها دولة يقال لها دولة حمورابى فى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد

ولما حدث سيل العرم وخربت بلاد اليمن هاجرت قبائل كثيرة منها الى العراق ومشارف الشام فأسسوا هنالك دول غسان ولخم وكندة : فمن جاور الرومان بالشام منها وقع تحت سيطرتهم كالغساسنة ومن جاور مملكة الفرس جهة العراق وقع تحت سلطانهم كدولة اللخميين .

(ثانيها) العرب القحطانية وهم العرب الذين هاجروا من بلاد بابل حين انقراض دولة حمورابى بها ونزلوا اليمن فأسسوا عدة دول منها الدولة المعينية والدولة السبأية ودولة التبابعة والدولة الحميرية

(ثالثها) العرب العدنانية ويقال لهم العرب المستعربة وهم من ذرية اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام الذين من ذريتهم خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه

وسلم وكان مقامهم فى تهامة والحجاز ونجد ومنها قبائل قضاعة وربيعة ومضر واياد وانمار وقريش وتميم الخ الخ

﴿ الحالة الاجتماعية للعرب ﴾
(قبل الاسلام)

حالة العرب الاجتماعية قبل الاسلام كانت تابعة لحالتهم الاقتصادية كما هو الشأن فى كل أمة فما كان من قبائلهم فى خفض من العيش وفى بيئة مناسبة للرقى العقلى والصناعى بلغ من المدينة الشأو الذى بلغته أرقى أمة فى زمانهم . ومن كان فى شظف منه بقى على حالة البداوة يعانى أهوالا ويكابد تكاليفها فقد بلغت عاد وثمود من المدينة شأواً بعيداً حتى ان ماورد عنهما فى كتب العرب لا يكاد يعقل . وقد دلت الآثار على انهما بلغا من المدنية الى ما كانت تسمح به وسائل الناس فى ذلك العهد البعيد واذا صح ان دولة حورابى فى بابل كانت عربية فان هذه الدولة كانت لا تقل فى المدنية عن أرقى أمم الارض فى زمانها

وقد ثبت ان العرب ملكوا مصر فى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد وأسسوا فيها أسرة مالكة فلم يكونوا أحط من الاسرة المصرية فى شىء من مظاهر الرقى الصورى والمعنوى

ثم ان الدول المينية والسبائية والحميرية التى قامت باليمن نالت من بسطة الحياة وفخامة المدنية حداً أدى معاصروهم من اليونانيين القدماء أن يسموا بلادهم ببلاد العرب السعيدة . ناهيك انهم وصلوا من المعارف الهندسية الى حد بنوا معه سد مأرب الذى يعد من أضخم وأبدع ما صنعه الانسان من الآثار الدالة على بعد النظر وكمال المعرفة

واذا كان لا بد من ايراد شىء من تفصيلات أحوال العرب من الوجهة الاجتماعية والسياسية والصناعية فان ما اورده علماء الفرنج من نظام دولة حورابى فيه بلال للصدى ونقع للغلة

فقد قالوا ان الامة العربية فى تلك الدولة كانت مؤلفة من طبقات مختلفة الامتيازات وكان يندر أن تختلط تلك الطبقات بالمصاهرات . وقد كانوا يعرفون الاسترقاق ويتخذ الرجال السرارى وكان للزواج عندهم عقد مكتوب وكانت المحافظة على حقوق الزواج مرعية . وكانوا يحرمون الزنى ويعاقبون مرتكبه بالقتل

وكان من عاداتهم انه اذا أسر زوج امرأة فى بعض الحروب جاز لتلك المرأة أن تعيش مع رجل حتى يعود زوجها فتعود اليه . واذا نتج لها أولاد من ذلك الرجل تركتهم له يعولهم. واذا كان زوجها قد هرب من القتال ثم عاد فلا يجوز لتلك المرأة أن تعود اليه

وكان من شروط الزواج عندهم ان الرجل يحمل الى امرأته مهراً وتأتى هى من بيت أبيها بمال ويصبح كلاهما حقا لها . وكان من حقوق البنات على آبائهن أن يعطوهن مهورهن وان لم يتزوجن

وكان الطلاق معروفا لديهم ولكن للمرأة أن تتولى تربية أولادها بنفقة من مطلقها. وكان لها سهم من ميراث زوجها

وكان للمرأة أن تطلب الطلاق فاذا رأى القاضى انها محقة فى طلبها طلقت والا كان جزاؤها ان تطرح فى الماء

وكان كل من الزوجين مسئول عن وفاء دين صاحبه فاذا عجزت المرأة عن دفع دينها وعجز زوجها عن أدائه عنها حبس الدائن زوجها حتى يفيه حقه

وكان التسرى محرما لديهم الا عند عقم الزوجة وكان للمرأة أن تشتغل بالاعمال الخارجية كالرجل ولها أيضا أن تلى الوظائف الدينية

وكان الميراث يقسم على التساوى بين الذكور والاناث

وكان للتجارة عندهم نظام راق لها عقود ووثائق وكان الدائن له الحق اذا عجز المدين عن الوفاء أن يحبس امرأته وأولاده عنده يخدمونه حتى يؤدى اليه دينه

وكان للحكومة الحق فى تسعير عروض التجارة وتقدير أجور العملة وأصحاب الصناعات من كل نوع حتى الاطباء

وقد وجد الباحثون آثار مدرسة لتعليم الاطفال، فيها حجارة عليها دروس للأطفال من حساب ولغة وخط

أما مدنية دولة الانباط العربية فقد رووا أنهم كانوا يحرمون الخمر وبناء المنازل ويعيشون فى البوادى وكانوا يقتاتون بلحوم الابل وألبانها والغنم وكانت لهم تجارة فى الطيوب والمر وغيرها يحملونها الى مصر وشواطئ البحر الابيض المتوسط. وكانت لهم صهاريج يشربون منها فى البوادى يحكمون صنعها ويسوقون اليها ماء المطر

وكان لهم سكة يتعاملون بها

اما مدنية مدينة تدمر فقد أطنبوا فيها فقيل أنه كان فيها شوارع وتماثيل وهياكل منها هيكل الشمس او هيكل بعل وهو مربع طول كل ضلع من أضلاعه ٧٤٠ قدما يحيط به سور ارتفاعه ٧٠ قدما وفيه من الاسطوانات شيء كثير بقي منها قائما الى الآن نحو مائة اسطوانة

ومنها الرواق الاعظم وقد كان قائما على بعد نحو مائتي متر من هيكل الشمس وكان يتألف من شارع اوسط وشارعين عن الجانبين ويمتد على طول المدينة وكان عدد أساطينه ٧٥٠ لايزال قائما منها نحو ١٥٠ اسطوانة ارتفاع كل منها نحو ٥٧ قدما

ومن مباني تدمر العجيبة مدافنها وهي كالابراج المستطيلة يزيد عددها على المائة

وكانت تدمر مركزاً لتجارة عظيمة يجتاز منها الذهب والجزع واليشب والصموغ والند الوارد من بلاد العرب ويحمل اليها من البحرين اللآلىء ومن الهند أنواع المنسوجات والقرنفل والبهار والفولاذ والعاج

ولما كان الناس في تدمر طبقات كان الوجهاء يقيمون في القصور الشاهقة واما من عداهم فيقيم في بيوت صغيرة . وكان لتدمر سكة خاصة (أي نقود) عليها صور وكتابات

أما أهل اليمن فحدث عن تمدنهم ولاحرج فكان ملكهم مطلق التصرف له قصر بديع في مأرب وكانت الحكومة وراثية وكانت لهم سكة خاصة (نقود) نقشوا عليها صور ملوكهم وأسماء من التي ضربت فيها بالحرف المسند وزينت برسوم اخرى رمزية

وكانوا يركبون الصافنات الجياد و المركبات تجرها الخيول او الفيلة . وكان ملوكهم يلبسون المآزر المحوكة بالذهب وعلى اذرعتهم اساور ثمينة

وكانت الأمة مكونة من طبقات اولها الجنود ثم الزارعون ثم الصناع ثم التجار وكان لكل طائفة منها حدود ورسوم

وكان من عادتهم ان يتزوج الاخوة امرأة واحدة فمن دخل اليها منهم ترك عصاه على الباب وكان الليل خاصاً بأكبرهم. قيل وكانوا يأتون امهاتهم

ومن قوانينهم ان من تزوج من غير أسرته قتل . وكانوا يأتون أخواتهم ايضاً

وكان من صناعاتهم تحضير البخور والصموغ . وكانوا يزرعون على السيول والامطار وكان من محصولات بلادهم المر والبخور والبلسم وجميع العطريات والبلح والعناب والتين والكمثرى والاجاص والبرقوق والتفاح والجوز واللوز والسفرجل

وكانوا يستخرجون الذهب والفضة والاحجار الكريمة والحديد وغير ذلك

* * *

هذا ما كان من الصناعات وآثار العمران لدى العرب القحطانيين الذين مصروا الامصار وجاروا الرومان والفرس

واما العرب العدنانيون الذين كانوا يسكنون الحجاز ونجد وتهامة فكانوا اهل بادية راجت فيهم الفروسية والفصاحة فكانوا يفتخرون بالشجاعة وحماية الجوار وشن الغارات . وكان من أخلاقهم الكرم والنجدة وحب الحرية . وكانوا كجميع أمم البادية مجردين من العلم والصناعة الا ما لا بد منه لقوام معيشتهم الساذجة

كانوا ممدحين للزوجات لا يورثون النساء وكان الرجل يرث امرأة أبيه . وكان من عاداتهم وأد البنات . يأتي ذلك بعضهم انفة من العار وبعضهم خشية الفقر ولم يكن لديهم من آثار العمران الا مكة والمدينة والطائف

(مكة)

اختلف المؤرخون فيمن بنى مكة فذهب جمهور منهم ان أول من بناها العمالقة وخلفهم عليها بنو جرهم وهم طائفة من العرب القحطانية نزحت اليها من اليمن ثم جاء اسماعيل كما تقدم فكثرت بها ذريته ثم سكنها بنو الازد ثم بنو خزاعة فبنو كنانة ثم قريش فكانت تتوالى عليها هذه القبائل فيغلب عليها بعضها دون البعض الآخر . أقامت بها جرهم حتى وفد عليها اسماعيل ثم جاءت خزاعة وهي من القبائل اليمنية فأخرجت جرهما ودخلت محلها وكانت قد استعانت على ذلك بكنانة ثم نازعتها وغلبتها واستقلت بأمر الكعبة وجعلت لكنانة أعمالا تتولاها في الحج

فتشعبت بطون كنانة وخزاعة وصاروا أحياء وبيوتات متفرقين وصارت قريش فرقتين قريش البطاح وقريش الظواهر . وكانت خزاعة بادية لكنانة

فصارت كنانة بادية لقريش ثم صارت قريش الظواهر بادية لقريش البطاح والجميع بطون من مضر فتحضرت كنانة وقريش واستأثرتا بأمور الحج فصار لهما التقدم على جميع مضر. وامور الحج كانت لديهم تنحصر فى السدانة والسقاية والرفادة وهذه الخطط كانت تعتبر عندهم فى الدرجة القصوى من الخطورة

فالسدانة هى حجابة الكعبة فكان صاحبها بيده مفاتيح الحرم وهذه الوظيفة كانت ارقى الوظائف عندهم

والسقاية هى وظيفة كان القائم عليها يتولى سقاية الحجاج فكان يصنع حياضا من الجلد توضع فى فناء الكعبة ينقل اليها الماء من الآبار وما زال هذا دأبهم حتى حفرت زمزم

والرفادة هي ما كانت تخرجه قريش من أموالها الى صاحب هذه الوظيفة لاطعام فقراء الحجاج

(وقعة الفيل)

كان العرب قبل البعثة المحمدية يؤرخون بعام الفيل وهو حادث جلل أصاب قريشا منه هم كبير

ذلك ان ابرهة الحبشى بنى فى اليمن كنيسة وأراد أن يصرف الناس عن الكعبة اليها فحملت الغيرة أحد العرب الى الذهاب الى تلك الكنيسة ليلا والتغوط فيها فغضب أبرهة لذلك وأقسم ليهدمن الكعبة فجهز جيشا وركب هو على فيل وراءه بضعة أفيال وقصد مكة فلما وصلها أمر أهلها أن يخرجوا منها لأنه لم يأت لحربهم ولكن لهدم الكعبة ولم يكن لقريش ولا لمن جاورهم من القوة ما يحمون به بيتهم الحرام من الذى يقصده بالسوء. فأصابت جيش أبرهة مصيبة اضطرته للرجوع عن عزمه

وقد قص الله تعالى هذه الحادثه بقوله:

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأ كول »

قال المفسرون فى تفسير الطيور الأبابيل انها طير خرجت من البحر رمت جيش أبرهة بأحجار صغيرة كانت فى مناقيرها فهلكوا . ولكن يصح أن يحمل كلام الله على غير ظاهره لكثرة الاستعارات والمجازات فى كلام العرب والقرآن نزل بلغتهم فيصح أن يقال انه صور الحادث الجلل الذى أصاب جيش أبرهة

من حيث لا يحتسب بطيوراً رسلت عليهم من السماء ترجمهم بالاحجار

وقعت هذه الحادثة فى عهد عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم

(يثرب)

كانت هـذه المدينة عامرة بالحجاز من عهد العمالقة ولا يعلم من بناها . اول من نزلها ... ولعلهم هم الذين بنوها حين هاجروا الى تلك الجهـة بعد سيل العرم . ثم نزلها اليهود قبل اتوها من أيام موسى عليـه السلام اثناء حروبه مـع الـكنعانيين فاقتنى اليهود بها الاموال واشتغلوا بالتجارة حتى استأثروا بكل ثروة يثرب (المدينة) فلما ظهرت النصرانية واضطهد الرومان اليهود هاجر الى يثرب منهم جمهور كبير

ثم نزل يثرب الاوس والخزرج وهم بطون من الازد والعرب القحطانيـين وكانوا أهل فاقة فلم يجدوا مع اليهود من وجه يرتزقون منه فاستغاثوا ببعض العرب فأغاثوهم وقتل رؤساء اليهود فأصبح الاوس والخزرج زعماء يثرب

(مدينة الطائف)

... الطائف من مدن الحجاز وهي مدينة فيها حدائق وبساتين يسكنها بنو عدوان فـكان منهم نحو سبعين الفا ثم تغلبت عليها ثقيف وهم فرع من هوازن

(الحالة الاجتماعية لبلاد العرب)

قبيل البعثة المحمدية

لم يكن العرب قبيل البعثة المحمدية على شيء من الاسـتعدادات لاحداث انقلابات اجتماعية خطيرة كالتى حدثت على يد النبي صلى الله عليه وسلم . بل كانوا على الضـد من ذلك فقد فقدوا عوامل نهضتهم الاولى التى أسسـوا بها الملك فى اليمن والبحرين وغيرهما . ويحسن بنا أن نستشهد على صدق هـذا القول بأقوال بحاثى الاوربيـين فانهم يتنزهون عن المحاباة فى مثل هذه الشؤن . قال المسيو جول لا بوم فى المقدمة التى كتبها على فهرست القرآن الكريم المترجم الى اللغة الفرنسية :

« لم يكن العرب أحسن استعداداً من غيرهم لقبول أى دين من الاديان . قال المسيو (دوزى) فى كتابه تاريخ عرب اسبانيا :

« كان يوجد على عهد محمد فى بلاد العرب ثلاث ديانات الموسوية والعيسوية

والوثنية. فكان اليهود من بين أتباع هذه الاديان أشد الناس تمسكا بدينهم وأكثرهم حقداً على مخالفي ملتهم. نعم يندر أن تصادف اضطهادات دينية في تاريخ العرب الاقدمين ولكن ماوجد منها فمنسوب الى اليهود وحدهم. أما النصرانية فلم يكن لها أتباع كثيرون. وكان المتمذهبون بها لا يعرفونها الا معرفة سطحية ... وكانت هذه الديانة تحتوي على كثير من الخوارق والاسرار بحيث يتعذر أن تسود على شعب حسي كثير الاستهزاء. أما الوثنيون الذين كانوا هم السواد الاعظم من الامة العربية كان لكل قبيلة بل أسرة منهم آلهة خاصة والذين كانوا يصدقون بوجود الله تعالى ويعتبرون تلك الآلهة شفعاءهم لديه فقد كانوا يحترمون كهانهم وأصنامهم بعض الاحترام ولكنهم مع ذلك كانوا يقتلون الكهان اذا لم تتحقق أخبارهم بالمغيبات. أو لو عولوا على فضحهم عند الاصنام وان قربوا لها ظبية بعد أن نذروا لها نعجة وكان من العرب من كان يعبد الكواكب وخصوصاً الشمس فكنانة كانت تدين للقمر وللدبران، وبنو لخم وجرهم كانوا يسجدون للمشترى. وكان الاطفال من بني عقد يدينون لعطارد. وبنو طي يدعون سهيلا وكان بنو قيس عيلان يتوجهون للشعرى اليمانية. وكان علمهم بما وراء الطبيعة على نسبة أفكارهم الدينية. قال (كوسان دو برسفال) في كتابه تاريخ العرب: كان من العرب من يعتقد بفناء الانسان اذا خلعته المنون من هذا العالم. وكان منهم من يعتقد بالنشوء في حياة بعد هذه الحياة. فكان هؤلاء الاخيرون اذا مات أحد أقربائهم يذبحون على قبره ناقة أو يربضونها ثم يدعونها تموت جوعا معتقدين أن الروح لما تنفصل عن الجسد تتشكل بهيئة طير يسمونه الهامة أو الصدى وهي نوع من البوم ولا تبرح تطير بجانب قبر الميت نائحة ساجعة تأتيه بأخبار أولاده فاذا كان الفقيد قد مات قتيلا تصيح صداه قائلة (اسقوني) ولا تزال تردد هذه اللفظة حتى ينتقم له أهله من قاتله بسفك دمه»

قال المسيو جول لابوم بعد ايراد هاتين الكلمتين عن الاستاذين السابقين «وكانت طباع العرب وأخلاقهم لاتدل الناظر اليها الا على أنهم شعب لم يكادوا يجوزون العقبة الاولى من عقبات

الاجتماع لو لم تكن الاسرة عندهم بل والقبيلة أيضا — وهذه نقطة تلفت النظر — تهتم اهتماما عظيما بحفظ سلسلة نسبها، ولو لم يكن — وهو أمر أغرب من سابقه — ادراكهم للقوانين وسعة لغتهم من جهة أخرى داعيين الى الالتفات بنوع أخص »

ثم قال المسيو جول لابوم :

« قال المؤلف المحقق الذى اقتبسنا منه أكثر هذه التفصيلات لمتندمة :

« كان العرب مغرمين بشرب الخمر . ويوجد من الشعر ما يدل على انهم كانوا يفخرون ويعجبون به ويلعب الميسر . وكان من عوائدهم ان الرجل له أن يتزوج من النساء بقدر ما تسمح له به وسائله المعيشية . وكان له أن يطلقهن متى شاء هواه . وكانت الارملة تعتبر من ضمن ميراث زوجها ومن هنا نشأت تلك الارتباطات الزوجية بين أولاد الزوج ونساء الاب وقد حرم ذلك الاسلام وعده زواجا ممقوتا . . . . وكان هنالك عادة أفظع من كل ما مر وأشد معارضة للطبيعة وهى وأد الاهل لبناتهم (أى دفنهم احياء)

« هذا كله لا يشير الى أن العرب لم يكن فيهم أى جرثومة خلقية صالحة يمكن تقويمها وتهذيبها، فقد كانوا يحبون الحرية حبا جما ويمارسون فضائل الكرم وبذل القرى

« الأفراد الذين كانوا تابعين لأمم أرقى من الامة العربية والذين كانوا مبعثرين هنا وهناك من جزيرة العرب كانوا قليلى العدد جداً ولا يظهر انهم كلفوا أنفسهم بوظيفة الدعوة الى مللهم فاليهود الذين كانوا متشبعين بالأثرة الشعبية على مثال الصينيين واليابانيين والمصريين لا يرى منهم لليوم خاصية التأثير على غيرهم الا بالخضوع لقوانين الامه التى يشتغلون تحت ظل حمايتها بالامور المالية . ولئن شوهد انهم أدخلوا الى ملتهم بعض العرب فلم يكن ذلك الا نتيجة بسيطة لاشتراكهم فى الاساطير التاريخية وهو اشتراك يدل . على قرابة قريبة بين الأمتين ، تلك القرابة يستدل عليها أيضا بتساويهم فى حب الكسب وتآزيهم فى الاستعداد لعدم الانفة من سلوك أى طريق من الحيل والمكر لنيل كسب أو حطام ولا ينتظر أن يكون من

نتيجة الاجتماع بهذه الاعتبارات ادنى ترق ادنى . أما المسيحيون فكانوا يفدون شيئا فشيئا الى بلاد العرب هربا من الاضطهادات الدينية التى كانت فى مملكة الرومانيين ولكن لم يكن فى حالهم نور يلفت البصر تألقه . وفى حالة مسيحى الحبشة اليوم نموذج لذلك . فانه لا يمكن أن يتحلى الانسان بمدركات العقائد السامية من دين بمجرد التسليم بنص تلك العقائد

ثم ختم المسيو جول لابوم مقدمته بقوله :

« فى عهد هذه الاحوال الحالكة وفى وسط هذا الجيل الشديد الوطأة ولد محمد بن عبدالله فى ٢٩ أغسطس سنة ٥٧٠ » انتهى ماترجمناه .

﴿ الانقلاب الذى احدثه الاسلام ﴾
(فى احوال العرب)

ليس فى تاريخ البشر من جهة الانقلابات الاجتماعية ماهو اعجب من الانقلاب الاجتماعي للعرب الذى تم على يد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فقد كانت الأمة العربية من الوجهة الاجتماعية على مارأيته من كلام المسيو جول لابوم فى حالة انحطاط وانحلال فى جميع الروابط العمرانية : فلم تكن لها وحدة قومية، ولا جامعة سياسية ، ولا رابطة وطنية ، ولا أصل من الاصول التى ترتكز عليها الميول والعواطف الانسانية فتسموبها الى الغايات الحيوية

نعم دلت الامة العربية على استعداد فطرى للترقى بما أوجدته من المدنيات السامية فى بابل واليمن وأظهرت قبولا منها للأخذ بمدنيات الامم الناهضة بما اقتبسه الغساسنة والمناذرة بمشارف الشام والعراق من مدنيتى الرومان والفرس ولكن كل ذلك لم يتم الا فى قرون عديدة وبعد أن حرم العرب نير تلك الامم الراقية شأن الجاهل ازاء العالم

فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم جعل من هؤلاء العرب المختلفى القبائل والنزعات ، المتنافرى الاغراض والغايات أمة موحدة الوجهة ، مشتركة الغاية ، ذات مقومات أدبية ، وروابط اجتماعية ، مودعا فيها روحا عالية تسمو بها الى الغايات البعيدة، وجاعلا لها دستورا يقيد حكومتها الرشيدة . فبلغت هذه الدولة فى ثمانين عاما من بسطة الملك . وانتشار السلطان . مالم تبلغه دولة الرومان فى ثمانية قرون. فكان

هذا الانقلاب الاجتماعي في سرعة أدواره واستكمال أطواره ، أعجب انقلاب حدث في العالم الانساني الى اليوم . واننا تاركو الكلام في هذا الصدد للعلماء من الاوربيين ليكون البيان أوقع في الصدور ، وأبعد عن الظنن فنقول :

قال العلامة درابر الاستاذ بجامعة نيويورك الامريكية في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) في النسخة الفرنسية ما ترجمته :

« بعد وفاة محمد ترجمت الى اللغة العربية أهم المؤلفات الاغريقية . وترجمت القصائد اليونانية الشهيرة (كالالياذة) و(الاوديسه) الى اللغة السريانية ليطلع عليها العلماء دون العامة لما رأوه فيها من الاقاصيص الخرافية عن آلهة اليونانيين مما يخشى منه على عقائدهم . ولما ولي الخلافة أبو جعفر المنصور (من سنة (٧٥٣ الى ٧٧٥) نقل عاصمة الملك الى بغداد وجعلها عاصمة فخمة . فلم يأل جهداً في بذل الوسع في درس العلوم الفلكية وتأسيس مدارس الطب والشريعة . ولما جلس حفيده هرون الرشيد على عرش الملك (٧٨٦) اتبع أثر جده في هذه الفتوحات العلمية وأمر باضافة مدرسة الى كل مسجد في جميع أرجاء ملكه . ولكن عصر العلم الزاهر في القارة الاسيوية لم يشرق الا في خلافة المأمون الذي تولى الخلافة من سنة (٨١٣ الى ٨٣٢) فانه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمى وجمع اليها كتبا لا تحصى ، وقرب اليه العلماء ، وبالغ في الحفاوة بهم

« هذا المركز الذي اكتسبه العرب وهذا الذوق السليم في العلم استمر لديهم حتى بعد أن انقسمت المملكة الى ثلاثة أقسام حتى ان العباسيين في آسيا والفاطميين في مصر والامويين في اسبانيا لم يكونوا متناظرين متغايرين على الحكومة فقط بل كانوا كذلك على الآداب والعلوم أيضا

« ذاق العرب في الفنون الادبية كل ما من شأنه أن يحد القريحة ويصقل الذهن وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدرما أنجبت منهم الامم كلها مجتمعة . أما في العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئا من الاسلوب الذي توخوه في المباحث . وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الاوربيين فانهم تحققوا أن الاسلوب العقلي النظري لا يؤدي الى

التقدم ، وان الامل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها ومن هنا كان شعارهم في ابحاثهم الاسلوب التجريبي والدستور العملي الحسي . وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية أدوات ومعدات لعلم المنطق . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم المدبجة على الميكانيكا والادروستاتيك (علم موازنة السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) ونظريات الضوء والابصار بأنهم قد اهتدوا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات . هذا هو الذي قاد العرب لأن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء والمكتشفين لجلة آلات للتقطير والتصعيد والاسالة (اسالة الجوامد) والتصفية الخ وهذا بعينه أيضا هو الذي جعلهم يستعملون في ابحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة والاسطرلابات (هي آلات لقياس ابعاد الكواكب) : وهو أيضا الذي بعثهم لاستخدام الميزان في العلوم الكيماوية ، وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته ، وهو أيضا الذي أرشدهم لعمل الجداول عن الاوزان النوعية للاجسام . والازياج الفلكية (هي جداول تعرف منها حركات الكواكب) مثل التي كانت في بغداد وقرطبة وسمرقند وهو أيضا الذي أوجب لهم هذا الترقي الباهر في الهندسة وحساب المثلثات ، وهو أيضا الذي هداهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم لاستعمال الارقام الهندية . هذا هو ثمرة تفضيلهم لاسلوب ارسطو الاستدلالي على مقالات افلاطون الاستنتاجية

«ولقد دأبوا على جمع الكتب بصفة منتظمة لاجل أن يتوصلوا الى تكوين المكتبات التي تكلمت عنها وقد قيل ان المأمون نقل الى بغداد مائة حمل بعير من الكتب وقد كان أحد شروط معاهدة الصلح بينه وبين الامبراطور ميشيل الثالث أن يعطيه احدى مكتبات القسطنطينية التي كان فيها بين الذخائر الثمينة الاخرى كتاب بطليموس على الرياضيات السطوحية فأمر المأمون بترجمته للعربية وسماه المجسطي . وقد حصلت عناية بأمر هذه المكتبات حتى ان مكتبة القاهرة كان بها نحو من مائة الف كتاب معتنى بكتابتها وتجليدها غاية الاعتناء . وكان يوجد من بين هذه الكتب ستة آلاف

وخمسمائة مجلد فى الطب والعلوم الفلكية فقط . وكان من نظام هذه المكتبة انها تعير كتبها للطلبة الساكنين فى القاهرة وكان بتلك المكتبة كرتان أرضيتان احداهما من الفضة والاخرى من البرنز . قيل ان الاولى صنعها بطليموس الفلكي نفسه وانها استدعت ثلاثة آلاف كورون (نقود يونانية) من الذهب وقد اشتملت مكتبة خلفاء الاندلس فيما بعد على ستمائة الف مجلد وكان جدول أسمائها وحده محويا فى أربعة وأربعين جزءاً . وغير هذا فقد كان بالاندلس سبعون مكتبة عامة وكثير من المكتبات الخاصة ومما يحكى أن احد الدكاترة العرب رفض دعوة سلطان بخارى له محتجا بأن كتبه لايمكن نقلها الا على أربعمائة بعير

« لقد كان يوجد فى كل مكتبة محل خاص للنسخ والترجمة . وقد كان لبعض الخاصة مثل ذلك . فان هونيان الطبيب النسطورى كان له محل من هذا القبيل ببغداد (سنة ٨٠٥) ترجم فيه كتبا لارسطو والافلاطون وهيبوكرات وغاليان الخ . أما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة أساتذة هذه الجامعة أن يؤلفوا كتبا فى الفروع العلمية التى تطلب منهم . وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه . ومن ينظر الى تلك الاقاصيص والحكايات التى هى مثل الف ليلة وليلة يعرف مقدار التصور الشعرى الذى كان لدى العرب . ولم يقف بحث العرب عند حد فقد كتبوا فى كل فن وفى كل علم كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والابل وكل هذه المؤلفات كانت تنتشر بدون رقابة ولاحجر . وما يعلم من المراقبة على الكتب اللاهوتية فقد حدث فيما بعد هذا التاريخ . وقد كانت كتب العرب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لان تتخذ مادة فى العلوم كثيرة جداً فى الجغرافية والاحصاءات والطب والتاريخ ونواميس اللغة . وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد أبو عبد الله . وكان للعرب ذوق دقيق فى صنع الورق النظيف الناصع البياض . وفى اعطاء الحبر الالوان المختلفة وفى زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الالوان المختلفة من الحبر والابداع فى تنميقها وتذهيبها على صفات شتى

كان الملك الاسلامي العربى مملوءاً

بالمدارس والكليات؛ وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والاندلس حاصلة على عدد كبير منها . وكان فى طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة التى فاقت المملكة الرومانية كثيراً مرصدفى سمرقند لرصد الكواكب وكان يقابله في الطرف الآخر مرصد جيرالد فى الاندلس . وقال جيبون (عند ذكر الحماية والرعاية التى بذلها المسلمون للعلوم ما يأتى :)

« كان أمراء المسلمين فى الاقاليم يناظرون الملوك فى حماية العلم والعلماء وكان من نتائج تنشيطهم هذا للعلماء أن انتشر الذوق العلمى فى المسافة الشاسعة التى بين سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة. ويروى عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتى الف دينار لتأسيس كلية علمية فى بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد الطلبة فيها ستة آلاف لافرق بين غنى وفقير فكان ابن السيد العظيم وابن الصانع الفقير على السواء وكانوا يكفون التلامذة الفقراء مؤنة دفع اجر التعليم ويعطون الاساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة وكانت المؤلفات الجديدة الادبية تنسخ وتجمع سداً لحاجة أهل العلم وشهوة الاغنياء فى جمع الكتب » انتهى كلام العلامة جيبون . ثم قال درابر :

« وكانت قيادة العقول مودعة لذوى المدارك الواسعة فكانت اما بيد النسطوريين أو اليهود لأن المسلمين لم يكونوا يتحرون عن جنسية العالم وديانته وما كانوا يزنون قدره إلا من أعماله ولقد فاه الخليفة الكبير المأمون بفكره على حقيقة العلماء فقال: ان صفوة خليقة الله، وأفضل عباده وانفعهم هم الذين يقفون حياتهم على تربية مواهبهم الطبيعية وان الذين يعلّمون العلم والحكمة للناس هم مصابيح العالم ، ولولاهم لارتكس الخلق فى عماية الجهالة وغياهب البربرية

ثم قال درابر :

« ولقد اتبعت المدارس الطبية عامة مثال مدرسة الطب فى القاهرة فى اختبار الطلبة قبل اخراجهم نهائيا بحيث لا يستطيع أحدهم أن يشتغل بمهنة الطبيب الا بهذا الشرط »

« وأول مدرسة أنشئت من هذا القبيل فى أوروبا هى المدرسة التى أسسها العرب فى (سالرن) من ابطاليا ، وأول مرصد أقيم فيها هو ما اقامه المسلمون فى

اشبيلية باسبانيا »

« ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب. فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً. واوجدوا علوما أخرى لم تكن معروفة من قبلهم »

ثم تكلم المؤلف على براعتهم فى العلوم الرياضية وعلى التسهيلات التى أدخلوها عليها وعلى تفوقهم فى حساب المثلثات والعلوم الفلكية وما ألفوه فيها من الكتب وما سطروه من الجداول والتقاويم

ثم قال :—

« العلماء الفلكيون من العرب اهتموا أيضا بتحسين آلات الارصاد وتهذيبها . وبحساب الازمنة بالساعات المختلفة الاشكال والساعات المائية والسطوح المدرجة الشمسية . وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض

« أما فى عالم العلوم التجريبية فقد اكتشفوا الكيمياء وبعضا من محللاتها الشهيرة مثل حمض الكبريتيك وحمض النتريك والكحول (الاسبرتو). استخدم العرب علم الكيمياء فى الطب لانهم أول من نشر علم تحضير العلاجات والاقرباذينات واستخراج الجواهر المعدنية . أما فى علم الميكانيكا فانهم عرفوا ووحددوا قوانين سقوط الاجسام وكانوا عارفين تمام المعرفة بعلم الحركة . أما فى الايدروستاتيك وهو علم موازنة السوائل وتقدير الضغط الواقع منها على أوانيها فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لانواع الاوزان النوعية وكتبوا ابحاثا على الاجسام السابحة والغائصة تحت الماء. أما فى نظريات الضوء والابصار فقد غيروا الفرض اليونانى الذى مقتضاه ان الابصار يحصل بوصول شعاع من البصر الى الجسم المرئى وقالوا بعكس ذلك أى ان الابصار يحصل بوصول الشعاع من المرئى الى العين وكانوا يعرفون نظريات انعكاسات الاشعة وانكساراتها وقد اكتشف الحسن الشكل المنحنى الذى يأخذه الشعاع فى سيره فى الجو وأثبت بذلك اننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهرا حقيقة فى الافق وكذلك فى الغروب نراها قليلا بعد أن يغيبا

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذى نالته الصنائع فى عصرهم . فقد استفادت منها فنون الزراعة فى اساليب الري والتسميد

وتربية الحيوانات وسن النظامات الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الارز والسكر والبن ، وقد انتشرت المعامل والصنائع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن ، وكانوا يذيبون المعادن وكانوا يجرون فى عملها على ماحسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها

« وكان العرب من عشاق الموسيقى والشعر وقد وهبوهما وقتا كبيراً وحبوهما مكانة من أفئدتهم وهم الذين علموا الاوروبيين لعب الشطرنج وبثوا فيهم ذوق مطالعة الاقاصيص . وكان للعرب لذات روحية حتى فى المجالات الزاهرة للأدبيات الفلسفية ، فكان لديهم مؤلفات عالية جداً فى تقلب الاحوال الانسانية وعلى نتائج عدم التدين ، وعلى زوال النعم ، وعلى أصل العالم وبقائه وآخرته ، وانا ندهش أحيانا حينما نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر . من ذلك ان مذهب النشوء والتحول للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهبا حديثا كان يدرس فى مدارسهم وقد كانوا وصلوا به الى أبعد مما وصلنا اليه وذلك بتطبيقه على المواد الجامدة والمعدنية أيضا . فان النظرية التى ابتنى عليها علم الكيمياء (كيمياء استخراج الذهب) هى زعمهم ان المعادن تكونت تكونا تدريجيا . قال الخازنى : «اذا سمع الجهال قول العلماء بأن الذهب تكون بالتدريج على طريقة الترقى يفهمون من هذا بأنه استحال أولا الى معادن أخرى بمعنى انه كان فى مبدأه رصاصا ثم صار خارصينا ثم برنزاً ثم صار فضة ثم استحال الى ذهب ولم يعلموا ان الفلاسفة يقولون عن الذهب كما يقولون عن الانسان اى انه ما صار انسانا الا من طريق الترقى التدريجى وهذا لايستلزم أن يكون قد استحال الى استحالات نهائية كأن كان أولا نورا ثم صار حماراً ثم صار قرداً ثم انتهى أخيراً بأن صار انسانا » انتهى ماقلناه عن درابر

وجاء فى (كتاب تمدن العرب) للدكتور الشهير (جوستاف لوبون) قال الدكتور المومأ اليه مانصه :

« العرب مع ولوعهم بالابحاث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع ، فقد أكسبت علومهم الصنائع جودة عالية جداً ، واننا كنا لم نزل نجهل

أكثر الطرق التى سلكوها فى ذلك الا اننا نعرف نتائجها وآثارها . فنعرف مثلا انهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب ، وانهم قد برعوا جداً فى صناعة الصباغة ، وانهم مهروا فى سقى الفولاذ مهارة بعيدة المدى حتى ان صفاح طليطلة أصدق البراهين على ذلك ، ونعرف أيضا انه كان لمنسوجاتهم وأسلحتهم ومدبوغاتهم من الجلود ولورقهم شهرة عامة ؛ وانهم فى كثير من فنون الصنائع برعوا براعة لم يلحق لهم شأو فيها للآن (تأمل)

«ومن بين المكتشفات المعزوة للعرب أشياء ذات شأن كبير كالبارود مثلا وهذه المكتشفات لا يجمل بنا أن نسردها سرداً بل علينا أن نهبها شيئا من التفصيل .... الى أن قال : «مما ربتجلى للقارىء ان ديوان المكتشفات العربية فى العلوم الطبيعية لا يقل فى الخطورة والقدر عما لهم منها فى العلوم الرياضية والفلكية وما نسرده عليك هنا يبرهن لك تلك الخطورة وذلك انه كانت لهم معلومات عالية فى الطبيعة النظرية خصوصا فى نظريات الضوء والابصار ، وقد حفظ عنهم اختراعهم لأجهزة ميكانيكية من أدق مايعرف من نوعها ، واكتشافهم للجواهر التى تعد من أعظم أركان علم الكيمياء مثل الكحول وحمض النتريك وحمض الكبريتيك وقد سجلت لهم أكبر الاعمال السياسية مثل التقطير مثلا ، واثر عنهم استخدام الكيمياء لفن الصيدلة »

هذا بعض ما كتبه علماء أوروبا عن اشتغال آبائنا بالعلوم الكونية والفلسفية التى لها الفضل الاول على مدنية أوروبا

أما عن أخلاق المسلمين وآدابهم فى تلك المدنية فقد قال درابر صفحة ١٠١ :

« كان خلفاء الاندلس مغمورين فى الترف التى تسمح به الحياة الشرقية . فكان لهم قصور شاهقة وحدائق غناء . ودور مملوءة بالجمال والبهجة ، ولم تكن اوروبا العصرية بأعلى ذوقا ولا أرق مدينة ولا ألطف رونقا من عواصم الاندلس فى عهد العرب . فقد كانت شوارعهم مضاءة بالانوار ومبلطة أجمل تبليط والبيوت مفروشة بالبسط وكانت تدفأ شتاء بالمواقد ، وتهوى صيفا بالنسمات المعطرة بواسطة امرار الهواء من تحت الارض من خلال أوعية مملوءة زهراً

وكان لهم حمامات ومكتبات ومحلات للغذاء وينابيع مياه عذبة وكانت المدن والخلوات ملأى بالاحتفالات التى كانوا يرقصون فيها على آلات الطرب

«وكانوا ابدلا من ان ينصرفوا للهو وادمان السكر فى المآدب الليلية كجيرانهم الاوروبيين ، يحلون مآدبهم بالقناعة المعتدلة . فكانت الخمر محرمة عندهم وكانت غاية لذاتهم البدنية تنحصر فى تمشيهم فى الليالى القمرية فى حدائقهم البالغة حد الجمال او بجلوسهم حوالى اشجار البرتقال يسمعون قصة مسلية أو يتجادلون فى موضوع فلسفى متعزين عن مصائب الدنيا وآلامها بقولهم انها لو كانت بلا آلام واوصاب لنسوا حياتهم الآخرة وكانوا يوفقون بين جهادهم لهذه الحياة وبين آمالهم فى النعيم المقيم فى الآخرة انتهى » كلام درابر

(هل كان قبل الاسلام
آثار تدل على قرب
نهضة العرب)

ذهب المتكلمون من مؤرخى الاوروبيين فى شؤن العرب من أمثال العلامتين دوزى ودبرسفال وغيرهما على أن العرب قبل البعثة المحمدية كانوا كجميع الامم المتبدية فى غفلة بتنازع البقاء عن كل نهضة اجتماعية . تدل على ذلك حروبهم الكثيرة التى كادت تفنى قبائل برمتها وكانت قريش عاكفة على ما لديها من الاصنام ومكتفية بما فى يدها من مناسك الحج لم ينبغ فيها من أخذ على نفسه احداث ذلك الحدث الاكبر وهو جمع قبائل العرب الى وحدة دينية أو سياسية

ولكن الفاضل جورجى بك زيدان مؤلف كتاب تاريخ التمدن الاسلامى ذهب غير هذا المذهب فقال فى الجزء الاول من ذلك الكتاب :

« اذا تدبرت تاريخ العرب قبل الاسلام على غموضه وابهامه تبين لك امور تدعو الى الاعتبار وأعمال الفكرة منها ان العرب على اختلاف القبائل والبطون قلما نبغ فيهم شاعر او خطيب او حكيم او كاهن الا بعد دخولهم فى القرن الاول قبل الهجرة . ولا يعترض بضياع أخبار من ظهر منهم قبل ذلك التاريخ فقد حفظوا اخبار عاد وثمود وصالح وهود قبل ذلك بقرون متطاولة فلو نبغ منهم فى القرون الاخيرة قبل الاسلام شاعر أو

خطيب لما ضاع ذكره ضياعا تاما

«فنبوغ الشعراء والخطباء والحكماء في القرن الاخير قبل الاسلام دفعة واحدة هو ما عبر عنه بالنهضة العربية او الادبية. على انها لم تكن تقتصر على الادب والشعر ولكنها شملت الدين فقد كان هناك نهضة دينية اضطربت فيها الافكار واختلطت الاعتقادات فلم يكن اهل الجاهلية يعرفون لمن يصلون ولا الى من يتوسلون فقد يذبح احدهم للصنم ويدعو الله وفيهم عبدة الحجارة وعبدة النار وعبدة الاصنام وفيهم الموحدون والمشركون وغير ذلك من أنواع العبادات المتضاربة وظهر في اثناء ذلك الاضطراب من حرم الخمر ورفض الاصنام واصبح الناس يتوقعون الفرج من باب النبوة وكان ذلك حديث الناس في مجالسهم فادعى النبوة غير واحد من قبائل مختلفة وهم بعضهم بادعائها مما يدل على تنبه الاذهان الى امر الدين والافتكار في عواقب الاعمال»

ثم عالج المؤلف علة تلك النهضة فقال تحت عنوان (ماهو سبب تلك النهضة) :

« بينا في ماتقدم استعداد العرب العدنانية للنهوض وأهليتهم للتمدن لما فطروا عليه من صفاء الذهن وسرعة الخاطر ولكنهم لم يكونوا يستخدمون تلك القوى لانشغالهم بالغزو وقعودهم عن طلب العلى لبعدهم عن العالم المتمدن . والانسان قلما تظهر قواه الا بالعراك او الضغط شأن القوى الطبيعية فالفرد لايسعى في طلب العلى غالبا الا اذا عضه الفقر فأحرجه طلب الرزق اونافسه منافس في امر يبعث الى الاستئثار به

«اما الامم فانما يدعوها الى طلب العلى الحروب الخارجية او الثورات الداخلية والاولى اكثر تأديباً لما يرافقها غالبا من الاختلاط بالامم الاخرى وفي ذلك من الاحتكاك مايدعو الى الاقتباس والمنافسة وفي التاريخ شواهد كثيرة على ذلك

«ومن هذا القبيل ما اصاب العرب في القرنين الاخيرين قبل الاسلام من سطو الحبشة على اليمن ثم على الحجاز في أواسط القرن الاول قبل الهجرة لفتح مكة والاستيلاء على الكعبة وكانت سدانتها يومئذ الى عبد المطلب جد النبي فجاء الاحباش بأفيالهم ورجالهم وعدتهم واهل مكة لم يتعودوا شيئا من ذلك لما

للكعبة من المنزلة الرفيعة فى أنفس القبائل وغيرهم فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يتهددهم من الخطر وأحسوا بافتقارهم الى الاتحاد لدفع الاجانب عنهم فدفعوا الاحباش وقد تنبهت أذهانهم وأخذت مواهبهم فى الظهور ومما يدل على شدة تأثير ذلك الهجوم فى نفوسهم انهم جعلوا يؤرخون منه وهو مايسمونه عام الفيل ولم يقتصر تأثير ذلك الاحتكاك على تلك النهضة الادبية أو الدينية ولكنها أنتجت رجالا نبغوا فى السياسة والقيادة والادارة وكانوا من أهم العوامل تأثيرا فى سرعة نشر الاسلام كما أنتجت الثورة الفرنساوية بونابرت وقواده وسيأتى بيان ذلك

« على أن عام الفيل لم يكن أول نهضتهم ولكنها بدأت بغزو الحبشة اليمن ونمت بقدومهم الى الحجاز ومهما يكن من السبب فان بلاد العرب كانت قبل الاسلام فى نهضة أدبية دينية تمهيداً لقبول الدعوة الاسلامية والقيام بنصرتها ومثل هذه النهضة تتقدم الدعوات الدينية على الغالب استعداداً لقبولها » انتهى

***

هذا ما كتبه مؤلف كتاب تاريخ التمدن الاسلامى ومن يطلع عليه يخيل له أن العرب كانوا برمين بما هم فيه من الفرقة والاختباط فى شؤونهم الاجتماعية وعقائدهم الدينية فكانوا ينتظرون ظهور من يأخذ بأيديهم الى طريق الكمال فما كادوا يسمعون بظهور محمد صلى الله عليه وسلم حتى مدوا بأيديهم اليه يبايعونه على الدخول فى دينه والائتمار بأمره ، وكان ما كان من شأن انتشار ملته وظهور دعوته ونهضة العرب على بكرة ابيهم تلك النهضة التى أدهشت العالم وغيرت وجوه الممالك . وهذا خطأ كبير لا يجوز لنا اغفال التنبيه اليه خشية أن يجور على بعض قصار النظر من القارئين فتصغر فى أعينهم وظيفة النبى صلى الله عليه وسلم وينحط قدره عن اقدار اخوانه النبيين. وربما ساغ لمن يعتقد صحة تلك النظرة التاريخية ان يظن برسوله الظنون . فنحن دفعا لمثل هذه النتائج نبادر بدفع تلك الشبهة فنقول :

يقول الفاضل صاحب تاريخ التمدن الاسلامى :

« العرب على اختلاف القبائل

والبطون قلما نبغ فيهم شاعر أو خطيب أو حكيم أو كاهن الا بعد دخولهم فى القرن الاول قبل الهجرة ولا يفترض بضياع اخبار من ظهر منهم قبل ذلك التاريخ فقد حفظوا أخبار عاد وثمود وصالح وهود قبل ذلك بقرون متطاولة فلو نبغ منهم فى القرون الاخيرة قبل الاسلام شاعر او خطيب لما ضاع ذكره ضياعا تاما »

نقول : ان هذا القول من الغرابة بمكان فان الامة التى قامت منها الدول العظيمة كالمعينية والسبأية والحميرية فنبغ فيها الصناع والزراع والمهندسون الذين تمكنوا من بناء سد مأرب والقصور الشامخة التى وصفناها هنا قبل الاسلام بعدة قرون لا يتصور ان لا ينبغ فيها شاعر أو خطيب أو حكيم أو كاهن الا بعد دخولها فى القرن الاول قبل الهجرة

ولا يمكن حمل قوله هذا على العرب العدنانية فانه ذكر العرب علي الاطلاق بل جاء بما يؤخذ منه صراحة انه يقصد العرب كافة فقد قال : (ان العرب على اختلاف القبائل والبطون قلما نبغ فيهم شاعر او خطيب : الخ) راجع ما نقلناه عنه هنا

أما قوله :(ولا يعترض بضياع أخبار من ظهر منهم قبل ذلك التاريخ) فأعجب مما مر فانه قد ثبت أن العرب قد أضاعوا تاريخ دول برمتها منهم كدولة حمورابى ببابل والدولة المعينية باليمن ولا يخفى أن هذه الدول كانت من أعلى الامم المعاصرة كعبا فى المدنية ولا يمكن أن تخلو مثلها من الحكماء والعلماء والخطباء ورجال الحرب والسياسة فأحر بالعرب بعد اضاعتهم تاريخ دولهم أن يضيعوا تاريخ أفرادهم

ثم اننا ننبه القراء هنا الى أمر جدير بالنظر وهو ان رواة أخبار العرب وأيامها انما وجهوا همتهم لحفظ اللغة واستجماع شواردها لا لحفظ تاريخ دولها وما كانوا يذكرونه عن العرب مما يختص بالتاريخ فانما كانوا يتلقفونه من رجال البادية تلقفا وينقلونه على سبيل التفكه والاغراب ليس الا ، فلا عجب ان اضاع العرب تاريخ الافراد المعدودين فى الجاهلية

ولقد كان رواة اللغة الذين عاشروا العرب انفسهم يعترفون بأن ما ضاع من شعر العرب وحكمها لا يدخل تحت حصر فقد روى يونس بن حبيب عن ابى عمرو

ابن العلاء الراوية المشهور قوله :

« ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير »

والعلم والشعر لا يكون الا من علماء وشعراء فأين هم وماهي أسماؤهم ؟

وقد علل عمر رضى الله عنه هذا الضياع تعليلا معقولا وقد نقل عنه ابن سيرين انه قال كما جاء فى المزهر للسيوطى قال :

« كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته ؛ فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالامصار راجعوا رواية الشعر ، فلم يأولوا الى ديوان معدود ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه كثير »

ان قيل أن قول عمر هذا لا ينص الا على ضياع كثير من الشعر وليس فيه ما يشير الى ان ذلك الشعر كان فى القرون البعيدة عن عصر الاسلام قلنا اذا ثبت ان العرب بتشاغلهم بالاسلام أضاعوا ماقرب منهم من الشعر فأحربهم أن يضيعوا ما قبل ذلك

ثم قال صاحب تاريخ التمدن الاسلامى :

« انها أى (هذه النهضة العربية) لم تكن تقتصر على الادب والشعر ولكنها شملت الدين فقد كان هناك نهضة دينية » الى أن قال : « وظهر فى أثناء ذلك الاضطراب من حرم الخمر ورفض الاصنام وأصبح الناس يتوقعون الفرج من باب النبوة وكان ذلك حديث الناس فى مجالسهم ، فادعى النبوة غير واحد من قبائل مختلفة وهم بعضهم بادعائها مما يدل على تنبه الاذهان الى أمر الدين والافكار فى عواقب الاعمال »

نقول أما ادعاء ان العرب قبيل الاسلام كانوا فى نهضة دينية فما لم يقل به أحد من الباحثين بل قالوا بضده فقد نقلنا عن المسيو جول لابوم قوله : « لم يكن العرب بأكثرهم من سواهم استعدادا لقبول أى دين جديد »

فاذا اغتر مؤلف تاريخ التمدن الاسلامى ببعض من كره السجود

للاصنام من العرب أو ممن حرم الخمر منهم فذلك كان شاذاً نادراً ولا تخلو أمة من أمم المعمور فى أحط أدوارها من أمثاله . فقد وجد فى جاهلية اليونانيين والرومانيين وغيرهم مثل ذلك

وليس فى تحريم الخمر والزنا وغيرهما من عجب فانهما يعتبران بذاتهما من الآثام عند كل أمة أو قبيلة لديها مسكة من الشعور الانساني . ونحن لا نقول ان من العرب من كان يحرمهما بل نقول ان العرب كافة كانوا يعتقدن حرمتهما ذوقا وشعوراً بسوء أثرهما فى حالة المجتمع ، ووخامة عاقبتها على مقترفيهما

اما ادعاء النبوة فلم يحصل فى بلاد العرب فيما نعلم وليس لدى المؤلف دليل عليه الا ما كان مما وضعه رواة اللغة على مثل أمية بن أبى الصلت الشاعر وغيره من توقّع النبوة مما لا يتجاوز عدده نصف عدد أصابع الكف الواحدة

ومع ذلك فلو حصل فى الامة العربية حتى فى أبعد عصور تاريخها فليس بعجيب لان العرب كانوا فى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد مالكين لمملكة بابل باسم دولة حمورابى ومستولين على مصر باسم العرب الرعاة ثم أسسوا الدولة المعينية والسبأية والحميرية باليمن واختلطوا قبل الاسلام بعدة قرون بالفرس والرومان وكانوا أهل أديان ولهم أنبياء ورسل وقديسون فلا عجب ان قام مدع يدعى النبوة فى تلك العصور التى تبعد عن عصر الاسلام بعدة قرون

ومن التحكم أن يزعم المؤلف فى كتاب تاريخ العرب بأن العرب كانوا أسبق الامم الى وضع النظامات الحكومية والشرائع الوضعية مستدلا بدولة حمورابى التى ظهرت قبل المسيح ثم يقرر بأنهم لم ينهضوا نهضة أدبية الا فى القرن الاخير قبل الاسلام . فهل يستبعد على الامة التى تسن شريعة حمورابى الذى زعم الاوربيون ان موسى عليه السلام نسج شريعته على منوالها ، وعلى الامة التى تؤسس المدنية المعينية باليمن أن يقوم منها رجل بدعوى النبوة قبيل القرن الذى ظهر فيه الاسلام بل قبله بعشرة قرون ؟

ثم أخذ المؤلف بعد ذلك يعلل سبب تلك النهضة فقال :

« الانسان قلما تظهر قواه الا بالعراك أو الضغط شأن القوى الطبيعية . فالفرد

لا يسمى فى طلب العلى غالبا الا اذا عضه الفقر فأحرجه الرزق أو نافسه منافس فى أمر يحبب الى الاستئثار به

« أما الامم فانما يدعوها الى طلب العلى الحروب الخارجية أو الثورات الداخلية والاولى أكثر تأثيراً لما يرافقها من الاختلاط بالامم الاخرى وفى ذلك من الاحتكاك ما يدعو الى الاقتباس والمنافسة وفى التاريخ شواهد كثيرة على ذلك

« ومن هذا القبيل ما أصاب العرب فى القرنين الاخيرين قبل الاسلام من سطو الحبشة على اليمن ثم على الحجاز فى أواسط القرن الأول قبل الهجرة لفتح مكة والاستيلاء على الكعبة . وكانت سدانتها يومئذ الى عبد المطلب جد النبى فجاء الأحباش بأفيالهم ورجالهم وعدتهم وأهل مكة لم يتعودوا شيئا من ذلك لما للكعبة من المنزلة الرفيعة فى أنفس القبائل وغيرهم . فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يتهددهم من الخطر وأحسوا بافتقارهم الى الاتحاد لدفع الاجانب عنهم فدفعوا الاحباش وقد تنبهت أذهانهم وأخذت مواهبهم فى الظهور . ومما يدل على شدة تأثير ذلك الهجوم فى نفوسهم انهم جعلوا يؤرخون منه وهو ما يسمونه عام الفيل.

ولم يقتصر تأثير ذلك الاحتكاك على تلك النهضة الادبية والدينية ولكنها أنتجت رجالا نبغوا فى السياسة والقيادة والادارة وكانوا من أهم العوامل تأثيراً في سرعة انتشار الاسلام كما أنتجت الثورة الفرنساوية بونابرت وقواده وسيأتى بيان ذلك »

نقول ان هذا الكلام يشبه التعليلات العلمية للحوادث الانسانية وليس منها فى شىء، والمراد منه كما يتضح تعليل فوز النبي صلى الله عليه وسلم فى دعوته من طريق الاسباب الطبيعية لا من طريق التأييد الالهى، وانا لنعذر صاحب كتاب تاريخ التمدن الاسلامى فى تكلفه هذا لأنه لم يكن من المعتقدين بنبوة خاتم النبيين

ولكننا نرى من واجبنا تفنيد هذه الآراء تفنيداً علمياً تأييداً للدعوة المحمدية وادلالا على انها كانت بتأييد الهي خاص لا بأسباب اجتماعية محض . ولسنا فى حاجة الى التعسف والتخبط فى هذا السبيل فالأمر ظاهر لا يحتاج الا الى لفت نظر القارئين للبداهة التاريخية

أصاب المؤلف فى دعواه ان العرب

كانوا مستعدين للنهوض لما فطروا عليه من صفاء الذهن . ولكننا نخالفه فى قوله « ولكنهم لم يكونوا يستخدمون تلك القوى لاشتغالهم بالغزو وقعودهم عن طلب العلى لبعدهم عن العالم المتمدن » نخالفه فى هذا القول لانه لم يكن السبب الوحيد الذى منعهم على استخدام قواهم فان الذى كان يمنعهم عن ذلك حقيقة هو وجودهم فى بلاد قاحلة، وبيئات ماحلة، وهى العوامل الاقتصادية التى لها أكبر الآثار فى انهاض الامم . ألا ترى كيف تمكن عرب اليمن من استخدام قواهم العقلية بسبب وجودهم فى بلاد خصبية فأنشأوا الدول القوية والمدنيات الجليلة وقعد سواهم من سكان السهوب الجدبة عن لحاق شأوهم فى ذلك فبقوا على الحالة البدوية واشتغلوا بمقاتلة بعضهم بعضا عشرات من القرون بسبب جدوبة ارضهم وطبيعة بيئتهم ومثل هذا شائع فى كل امة من أمم المعمور والأمثلة عليه لا تعد ولا تحصى واقرب مثال له الامة اليونانية فان الساكنين منهم فى الجهات الشمالية من بلادهم تمكنوا فى أقدم عصورهم من انشاء مدنية راقية وجمهورية قوية باسم جمهورية اتينا فنبغ فيهم الفلاسفة والصناع والعلماء وبقى اخوانهم الساكنون فى مقاطعة اسبارطا على حالة وحشية قرونا متطاولة وهم أبناء اب واحد ويتكلمون بلغة واحدة . ولا سبب لذلك الا وجود الاولين فى الجهة الثرية التربة ، ووجود الآخرين فى البقعة الماحلة ، والسهوب الجدباء

وما صدق عن اليونانيين يصدق على العرب من هذه الوجهة فالذى منع العرب العدنانية من التضام وتكوين دولة كالدولة المعينية والسبابه مثلا هو جدوبة أرضهم وصعوبة العيش لديهم. فوقعوا فى البداوة ولزمتهم حالاتها من الغزو وشن الغارات والوقوف عن الترقى آماداً طويلة

اما قوله: « والانسان فلما تظهر قواه الا بالعراك والضغط شأن القوى الطبيعية الخ . » فهو صحيح ولكن اى عراك كان أشد من تعارك القبائل العدنانية وقد غصت الاسفار بذكر أيامهم وحروبهم قرونا متطاولة ؟ ألا كان فى ذلك العراك فى تلك القرون الطويلة ما يكفى لأن يظهر قواهم ، ويستجيش مزاياهم فيرفعهم من حالة البداوة الى حالة الحضارة ؟

كان يكفى بعض ذلك العراك والصراع

لاحدث هذه النتيجة ولكن ما الخيلة وبلادهم لا تصلح مجالا لتلك القوى العقلية والروحية كي صلحت اليمن مجالا لقوى اخوانهم القحطانيين فأخذت بأيديهم الى أرفع منصات المدنية

اما قوله: «ومن هذا القبيل ما أصاب العرب في القرنين الاخيرين قبل الاسلام من سطو الحبشة على اليمن ثم على الحجاز الخ» فهو من أعجب ما قرأنا من التعليلات الاجتماعية فان سطوة الحبشة على اليمن لم تكن سببا لتمدن عرب اليمن لانها جاءت بعد أن انقرضت الدولة المعينية والدولة السبأية وهم أرقى الامم العربية مدنية بل جاءت والدولة في إدبارها في عهد التبابعة فلم تكن سبباً لنهضة عرب اليمن بل كانت علامة على انحطاطهم وعدم قدرتهم على طرد المغير على بلادهم

وأما قوله : « فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يتهددهم من الخطر وأحسوا بافتقارهم الى الاتحاد لدفع الاجانب عنهم فدفعوا الاحباش وقد تنبهت أذهانهم وأخذت مواهبهم في الظهور الخ» فهو من عجائب التعليل فضلا عن انه يحوى من الخطأ التاريخى ما لا يغفر . فقد قلنا ان الاحباش لم يغيروا على اليمن الا ابان انحطاط مدنيته ، وانحلال دولته فلم يشعر العرب بحاجتهم الى الاتحاد بعد غارة الحبشة بل انهم قد أحسوا بتلك الحاجة قبل ذلك بقرون فأنشأوا الدول العظيمة في بلادهم وخارجها . ثم ان عرب اليمن لم يطردوا الاحباش من بلادهم الا بمساعدة الفرس فقد استنصر ذو يزن بكسرى فأمده بجيش فتمكنت اليمن من طرد الاحباش ولكنها وقعت تحت سيطرة الفرس حتى إن المسلمين لما افتتحوها أسلم عاملها الفارسى الذى كان معينا عليها من قبل يزدجرد شاه الفرس

ومن أعجب العجائب ان صاحب تاريخ التمدن الاسلامى جعل الغارة الحبشية على الكعبة فاتحة النهضة العربية التى هيأت ظهور الاسلام وأنتجت أقطاب السياسة والقيادة والادارة الذين ساعدوا النبى صلى الله عليه وسلم على نشر دعوته كما أنتجت الثورة الفرنسية بونابرت وقواده

نعم اننا نعد هذا التعليل من أعجب العجائب فان غارة الحبشة على الكعبة كان يجب أن تزيدهم اعتقاداً بأن للبيت ربا

يحميه دونهم وانه فى غـنى عن الجيوش الجرارة والمقاتلة لأن أبرهة لم يكد يصل الى مكة بقضه وقضيضه حتى أصاب جيشه حادث جلل اضطره للنكوص على عقبيه ولم يرتكب مما تصدى له شيئا . وقد عالل العرب هذا الحادث تعليلات تتفق مع معتقداتهم الدينية حتى ان صاحب تاريخ التمدن الاسلامى قال فى كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام ما نصه :

« وأما أبرهـة فحدث فى معسكره اضطراب وأصيبوا بالوباء والعرب يقولون ان طيراً خرجت من البحر يقال لها أبابيل رمتهم بالحجارة فلم يصب أحد بحجر الا هلك فتراجعوا عن مكة وزادت الـكعبة بذلك كرامة وتقديسا »

نقول : ان قوما يعتقدون ان لبيتهم الحرام قدرة سماوية لرد كل مغير عليهم وعليه ، لجديرون بأن يخلدوا الى السكينة مطمأنين وأن يبقوا على ما هم عليه لاهين ساهين . لا أن يتنبهوا للاتحاد لرد كل عادية ، ومقابلة كل صغيرة وكبيرة

نعم لو كانت غارة ابرهة قامت بما تصدت له فهدمت البيت الحرام ، وطعنت قلوب العرب حوله بهذا العمل الخطير ، لـكان لنا أن نقول هذا الحادث الجلل يـكفى لأن يشعر من أصيبوا به بعاطفة الاتحاد والالتئام لحماية الذمار ، والذياد عن الديار ولكنها لم تفشل بسبب عادى فى نظرهم بل حماها الله بطير أبابيل رجمتهم بالاحجار فهلكوا فما أحرى أن يكون هذا الاعتقاد سبب قعودهم ، وعلة أخلادهم الى ما هم فيه

أما قوله ان شدة تأثير هذه الغارة جعلتهم يؤرخون منها . فنوافقه على ذلك التأثير ولـكننا نخالفه فى أثره . فهو تأثير مثبط كما ذكرنا . لا أنه باعث لأية حركة اجتماعية أو انقلاب خطير

ولو كانت هذه الغارة باعثا على شىء لـكنا سمعنا عنهم انهم بعد هذه الغارة جمعوا كبـارهم ومشيختهم فى دار الندوة وأخذوا يتنـاجون فى وجوه الدفاع عن حوزتهـم ان طاف بخيال فاتح أن يغير عليهم أو لو كر أبرهة راجعا اليهم

لم يحدث شىء من ذلك البتة ولو حدث لسمعنا به لقرب عهده بالبعثة المحمدية ولتعلق تاريخ الـكعبة بتاريخ المناسك الاسلامية

أما قوله ان تلك النهضـة أنتجت رجالا نبغوا فى السياسة والقيادة والادارة

وكانوا من أهم العوامل تأثيراً فى نشر الاسلام فمن أشد الاقوال بعداً عن الصواب فقوله (السياسة) لاندرى ما أراد بهذه الكلمة . أأراد معناها العلمى أم معناها العرفى ؟ إن معناها العلمى ممتنع على العرب لبعدهم عن مصادر أحط العلوم الكونيه فضلا عن الاجتماعية . وأما العرفى فلا نعرف ان قوما يخلون من أهل البصر بالأمور فى عصر من عصورهم فأى مرجح يرجح كثرة نبوغ السياسيين العرب فى العصر الذى سبق عصر البعثة المحمدية وأين كان أولئك السياسيون حين كان القرشيون يردون دعوة النبى صلى الله عليه وسلم ويقاتلونه عليها بالسلاح ولم تك الا فى مصلحتهم من كل وجه ؟ بل أين كان أولئك السياسيون وقد اضطروا النبى إلى الهجرة الى المدينة واتخاذ أنصاره منها ثم عودته الى الحرم فاتحا ولم يدخله فاتح قبله ؟

أما القيادة فقد كانت الوصف المميز للعرب من أول وجودهم لأنهم كانوا اكثر الامم حروبا ، واشدها لاساليبها مراسا

وأما الادارة فهى تابعة للقيادة ولكنها كانت ادارة بدوية ساذجة تناسب حالة العرب الساذجة . أما الادارة التى نجحت بعد دعوة النبى صلى الله عليه وسلم فكانت أثر الآداب الاسلامية لمخالفتها لما فطر عليه العرب من الخشونة وتحكيم القوة

أما قوله : « كما أنتجت الثورة الفرنسية نابليون » فنرده بأنه لو كان كتب للعرب أن ينبغ منهم مثل نابليون لكان يجب أن يكون ذلك حين اشتعال بلادهم بنيران الحروب الداخلية . لامن جراء اغارة الحبشة على الكعبة تلك الغارة الخائبة

أما قوله : « فان بلاد العرب كانت قبل الاسلام فى نهضة أدبية دينية تمهيداً لقبول الدعوة الاسلامية والقيام بنصرتها » فهو قول بعيد عن الصواب بعد الباطل عن الحق . ولا نقول ان هذا القول قد دعا اليه ميل المؤلف لابطال النبوة المحمدية وتقليل خطورتها ، ولكنا نقول انه أخطأ فى تعليله كما أخطأ فى تعليلات كثيرة من كتابه ذلك

واننا نرد هذه الشبهة بقولنا إن العرب لم يكونوا قبل البعثة على حالة تمهيدية لقبول الدعوة الاسلامية بدليل أنهم نفروا منها غاية النفور وصارحوا الداعى

اليها بالعداوة ثلاث عشرة سنة حتى اضطروا العدد القليل الذى آمن معه الى الهجرة إلى بلاد الحبشة فآثروا أن يتحملوا نير هذه الامة المتوحشة على الصبر على اضطهاد اخوانهم لهم

فلو كان ما يقوله مؤلف تاريخ التمدن الاسلامى من أن العرب كانوا ينتظرون دعوة داع ليهبوا لنصرته صحيحا لما عارضوا دعوة رسولهم وهو من أعلى بيت فيهم ، هذه المعارضة العنيفة البالغة حد الوحشية

ثم لو كان العرب قد تأثروا من غزوة أبرهة ومالوا للانضمام والالتئام لرد العوادى عنهم كما يقول المؤلف المذكور . لكانت قريش أولى القبائل بذلك لأن الاحباش انما قصدوا البيت الذى هى صاحبة السدانة عليه ، واليه ينتهى مجدها بين العرب ، وزعامتها على القبائل . وأنت ترى أن قريشا ظلت معارضة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذها السيف وعضتها الحرب بأنيابها فخضعت مقهورة . وكان الذين قاموا بنصرته هم الأوس والخزرج من العرب القحطانية الذين لم يتأثروا بغارة الاحباش اذ كانوا بيثرب (المدينة) وهى بعيدة عن مكة بنحو اثنى عشر يوما

والمعهود فى الامم التى يكون قد حدث فيها تمهيد لقبول دعوة الدعاة أن تهب لنصرتهم عند أول اشارة من الداعى اليها كما حدث للوثر عند دعوته للبروتستانتية اذ لباه أمراء الالمان وغيرهم ممن كانوا متأثرين من ثقل نير البابوية . وكما حدث لنابليون اذ لباه الفرنسيون لكراهتهم لحكومة لويز فيليب . والأمثلة على هذه الظاهرة الاجتماعية لاتحصى

ثبت من هذا البيان ان العرب لم يكونوا على شىء من الاستعداد لقبول دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت تبعا لذلك ان نجاحه فى دعوته كان بتأييد الهى ، وعون سماوى ، وهو ما أردنا التدليل عليه هنا والسلام

﴿ لغة العرب ﴾

لغة العرب من أثرى اللغات الانسانية ، وأكثرها انتشاراً بين الاسرة البشرية وهى احدى اللغات السامية أى التى كان يتكلمها بنوسام . وتلك اللغات هى العربية والسريانية والعبرية والفنيقية والآشورية والبابلية والحبشية ولا يعلم للآن أي هذه اللغات أصل لسائرها .

والمرجح أنهن مشتقات جميعا من لغة أصلية انقرضت من عهد بعيد جدا

كانت اللغة العربية لهجات عديدة تختلف باختلاف القبائل والبطون كلهجات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وغيرها وقد كانت هذه اللهجات يتباعد بعضها عن بعض بنسبة اختلاط أهلها بالاجانب. ولذلك طرأ عليها من الالفاظ الاعجمية عدد كبير شأن كل لغة يختلط أهلها فى معاملتهم مع أمم أخرى

فقد دخل فى العربية ألفاظ فارسية ويونانية وحبشية وعبرية فتهذبت اللغة العربية باحتكاكها بهذه اللغات وكانت أرقاها جميعا لغة قريش التى نزل بها القرآن الكريم. لان القبائل كانت تتوارد الى مكة فى موسم الحج وكان القرشيون يختلطون بها فيأخذون من لغاتهم مارق وسهل، ويتركون ماخشن وصعب، فأصبحت لغتهم من أعذب اللهجات العربية ألفاظا وأشملها لجميع المعانى والتصورات

(أدوار تهذيب اللغة العربية)

اللغات فى اول وضعها لاتكون كاملة من جميع الوجوه فلا بد لها من أدوار تدخل فيها فتتهذب وتصقل فتحرج منها أشمل لجميع الحاجات التعبيرية على نسبة ترقى الامة التى تتكلمها. وقد طرأ على اللغة العربية ثلاثة أدوار من التهذيب ستأتى عليها تفصيلا فى هذا الباب ولكننا قبل أن نوردها نعطى القارىء خلاصة ما نقله العلماء عن اختلاف لهجات العرب ليتبين مبلغ تهذب لغة قريش، ورقيها على جميع تلك اللهجات

من اللهجات العربية لهجة ربيعة ومضر وقد كانوا يجعلون بعد كاف الخطاب فى المؤنث شينا فيقولون قابلتكش فى قابلتك. وقد كان قسم منهم يحذف الكاف ويكتفى بالشين فيقول قابلتش فى قابلتك

وكانوا يجعلون بعد الكاف أو مكانها فى خطاب المذكر سينا فيقولون قابلتكس وقابلتس فى قابلتك

وكان أهل اليمن يجعلون الكاف شينا حيثما وجدت فيقولون عليش به فى عليك به

وكانت تميم وقيس يبدلون الهمزة من أول الكلمات بعين فيقولون عنك فى انك وعرنب فى ارنب وهلم جرا

وكانت هذيل تبدل حاء الكلمات بعين فيقولون فى (الحلم حلى كل حلاحل) مثلا (العلم على كل علاعل) وهلم جرا

وكانت قضاعة تجعل الياء المشددة جيما فتقول فى مصرى مصريج ، وفى لغوى لغويج

وكان أهل اليمن يجعلون مكان السين تاء فى الالفاظ فيقولون الفرت بدل الفرس

وكانت ربيعة تكسر كاف الخطاب فى الجمع فيقولون وطنكِم فى وطنكم

وكانت سعد وهزيل والازد وغيرهم يجعلون الغين الساكنة نونا اذا جاورت الراء فيقولون فى اعرابى انرابى

وكانت طيء تقطع اللفظ قبل تمامه فتقول جاء الحكا بدل جاء الحكام

وكان عرب الشحر يحذفون بعض الحروف اللينة فيقولون (مشاالله) فى ماشاء الله

وكانت حمير يبدلون لام التعريف ميما فيقولون فى السلام عليكم (امسلام عليكم)

وكان منهم من يبدل الميم باء والباء ميما فيقولون فى بلد (ملد) وفى طبرية (طمرية)

وكان منهم من يبدل تاء الجمع هاء اذا وقفوا عليها فيقولون البناه فى البنات

ومنهم من كان يقلب الياء الفا بعد ابدال الكسرة التى قبلها فتحة من كل ماض ثلاثى مكسور العين فيقولون فى رضى (رضا)

ومنهم من كان يبدل الهمزة فى بعض المواطن هاء فيقول (هِن اجتهدت سدت) بدل إن اجتهدت سدت

ومنهم من كان يقول (مبيوع) بدل مبيع وماماثله

ومنهم من كانوا يقلبون الالف فى الوقف ياء فيقولون (النوِى) فى النوى و(الهدِى) فى الهدى

ومنهم من كان يقلبها همزة فيقول (النوأ والهدأ)

ومنهم من كان يقول (اولالك) فى أولئك

ومنهم من كانوا يحذفون نون اللذين واللتين فى حالة الرفع فيقولون (اللذا واللتا) بدل اللذان واللتان

ومنهم من كان يشددها فيقولون (اللذانّ واللتانّ) ومنهم من كان يقول فى الذى (ذو) وفى التى (ذات) ولا

يغيرونها فى أحوال الاعراب

ومنهم من كان يقف على الاسم المنون بالسكون فى كل احوال الاعراب فيقول (أكلت تفاح)

ومنهم من كان يبدل التنوين فى الوقف من جنس حركة آخر الكلمة فيقول (جاءمحمودو ومررت بمحمدى)

ومنهم من كانوا يضعفون الحرف الأخير من الكلمة فى حال الوقف فيقولون (جاء محمدّ)

ومنهم من كانوا يقلبون الياء بعد الفتحة الفا فيقولون (لباك) فى لبيك ، و (علاك) فى عليك

ومنهم من كانوا يبدلون الحاء هاء فيقولون (لاتفره) فى لاتفرح، و (الارجه) فى الارجح

ومنهم من كانوا يكسرون أول ما يجيء على وزن فعيل وفعِل اذا كان ثانيهما حرفا من حروف الحلق فيقولون فى سخيف ونجيب (سِخيف ونِجيب) وفى فبهم (نِهِم)

ومنهم من كان يكسر لام الجر مطلقا مع الظاهر والضمير فيقولون: الفضل لِك ولِه

ومنهم من كان يضم هاء الغائب مطلقا اذا وقعت بعد ياء ساكنة نحو: اليهُ وعليهُ

ومنهم من كان يضم هاء التنبيه فيقول (يا ايهُ الرجل)

ومنهم من كان يسكن ضمير النصب المنصل كقول شاعرهم :

وأشرب الماء مابى نحوه عطش
الا لأن عيونه سال واديها

ومنهم من كان يبدل اواخر بعض الكلمات المجرورة ياء كقولهم الثمالى فى الثعالب ، والضفادى فى الضفادع

وكان بعضهم يقلب بعض الحروف ياء كقولهم فى سادس سادى، وفى خامس خامى

ومنهم من كان يجعل الكاف جيما فيقول (الجعبة) بدل الكعبة

وبعضهم ينطق بالتاء طاء كقولهم (أفلطنى) فى افلتنى

وبعضهم كان يقول لألنى فى لعلنى

وبعضهم يقول نلعزم فى تلعثم . وبعضهم كان يقول هُوْ وهِىْ فى هو هى

وبعضهم يقول فى نَعَم نَعِم ونِعِم ونَحَم

وبعضهم يبدل هاء التأنيث تاءآ فى

الوقف فيقول هذه أمت . وسمع بعضهم يقول : ياأهل سورة البقرت . فأجابه مجيب بقوله : ماأحفظ منها آيت

وبعضهم يقول عَلاَّيه فى عليه وبعضهم يقول عَلِيّه وعايِبه بالامالة

ومنهم من كانوا يشربون الشين المجزومة صوت الجيم فتنطق كحرف j الفرنجية

ومنهم من كانوا ينطقون الصاد متى كانت ساكنة زايا مفخمة غير خالصة فيقولون فى مصدر مزدر

وقد يضارعون بالصاد ايضا منطق الزاى اذا كانت الصاد متحركة فيقولون فى صدق زدق . وربما ضارعوا بها وهى متحركة وبعيدة عن الدال نحو (الزراط) فى الصراط

ومنهم من كانوا يضارعون الشين بالزاى اذا كان بعدها دال فيقولون (ازدق) فى أشدق

وكان منهم من ينحو بالالف نحو الواو فينطقونها كحرف O الفرنجية كقولهم (الصلوة) فى الصلاة و (والزكوة) فى الزكاة . وقد كتبت هاتين الكلمتين فى المصاحف على هذه اللغة

وكان منهم من ينطق لفظة (كافر) مثل جافر وهو حرف بين الجيم والكاف

ومنهم من كان ينطق الجيم كالكاف فيقول فى رجل وجمل (ركل وكمل)

ومنهم من كان يقول فى مثل اجتمعوا اشتمعوا وفى مثل أجدر (أشدر)

ومنهم من كان يقول فى مثل اجتمعوا (اجدمعوا) بالدال

ومنهم من كان ينطق القاف كالكاف فيقول (الكوم) بدل القوم وهى لغة بعض الناس اليوم فى مصر

وقد قال الشاعر بهذه اللغة :

ولا اكول لكدر الكوم قد نضجت
ولا اكول لباب الدار مكفول

ومراده ان يقول

ولا أقول لقدر القوم قد نضجت
ولا أقول لباب الدار مقفول

ومنهم من كان يقرب الصاد من السين فيقول فى مثل صلب (سلب)

ومنهم من كان يعكس فيقول فى سالم (صالم)

ومنهم من كانوا ينطقون بالطاء تاء مع تفخيم قليل فيقولون فى سلطان (سلتان)

ومنهم من كانوا ينطقون الباء فى

بعض الكلمات كحرف *P* الفرنجية. ومنهم من ينطقها كحرف *V*

ومنهم من كانوا يشمون الياء صوت الواو فتخرج كحرف *EU* الفرنسية فى نحو (بيع وقيل)

ومنهم من كان ينطق الواو فى نحو (مذعور) كحرف *U* الفرنسية

وقد استوعب أكثر هذه اللغات العلامة اللغوى مصطفى أفندى صادق الرافعى فى كتابه الجليل آداب العرب وقد نقلنا هذه الكلمات عنه

﴿ التهذيب الاول للغة ﴾

دخلت هذه اللغة فى أدوار ثلاثة من التهذيب أوله يرجع الى عهد اسماعيل عليه السلام وكان المسلمون الاولون يعتبرون لهجات العرب ثلاثا القحطانية والحميرية والعربية الخالصة التى نزل بها القرآن الكريم وكانوا يعتقدون ان هذه العربية الخالصة وحى الهى أوحاها الله الى اسماعيل

ولكن ذهب بعض الناظرين منهم الى انها ليست بوحى وانما اصطلح عليها اصطلاحا بين اسماعيل وجرهم بمكة وهو الصواب عندنا . فان اسماعيل عليه السلام كان يتكلم العبرية وهى اخت العربية وكانت العبرية أوسع صدرا من العربية اذ ذاك فلما اضطر اسماعيل الى معاشرة العرب حدث اختلاط بين اللغتين فترقت العربية الى درجة ما فكان فى هذا الترقى تهذيب لها

﴿ التهذيب الثانى للعربية ﴾

يرجع دور هذا التهذيب الثانى للعربية الى عهد تشعب القبائل العدنانية من ذرية اسماعيل عليه السلام . فان هذه القبائل لما ضاقت بها ضواحى مكة تباعدت بحكم الطبيعة لطلب العيش فكثرت علاقاتها، واتسعت دائرة معاملاتها وطاوعتهم اللغة بما فطرت عليه من قبولها للترقى، وصلاحيتها للاتساع فحدثت فيها ألفاظ لم تكن فيها وتراكيب لم تكن تتسع لها فكان هذا هو الدور الثانى للتهذيب اللغوى

﴿ التهذيب الثالث للغة ﴾

اختصت قريش بتهذيب اللغة فى دورها الثالث . فانها لما كانت قائمة على سدانة الكعبة، كانت مثابة للقبائل العربية كافة، يقصدون مدينتها من أطراف بلادهم فكانوا يجتمعون فى موسم الحج فيتعارفون ويتعاملون وكانت قريش تقوم فيهم مقام المضيف من ضيفانه فتسمع من لهجاتهم وطرائق تعبيراتهم، مالم يتسن لقبيلة

سواها ، فكانت تأخذ مارق من جمهور تلك اللهجات ، وترفض ماخشن منها فترقت لغتها بما دخل عليها من منتخل الالفاظ ، ومنتخب التعبيرات

ثم انها كانت ترحل الى الشام واليمن وفارس والحبشة للاتجار ركان في ذلك من الاختلاط بأهل المدنية ما يسمح لها بتحسين منطقها ودوام التهذيب لاسلوبها فيه فتم من تهذيب العربية مالم يتم لسواها

ومن العوامل التى أثرت فى تهذيب اللغة فى هذا الدور الاسواق التى كانت تقيمها العرب للتعامل والتفاخر وتناشد الاشعار كما كان يحصل فى سوق عكاظ وهو أشهرها

أسست هذه السوق حوالى سنة ٥٤٩ ميلادية ونهبت سنة ١٢٥ من الهجرة نهبها الخوارج الحرورية تحت قيادة المختار بن عوف الذى ثار للمطالبة بدم الحسين بن على عليه السلام

وعكاظ هذه هى واد بين نخلة والطائف كانت تؤمه القبائل كلها حين توجههم الى الحج فكانوا يتعاملون فيه ويتناشدون الاشعار على ملأ الناس فكان يقوم فيها الخطيب فيخلب الاسماع ، ثم يتلوه الشاعر فيستهوى القلوب. فكانت لاتنبغ كلمة ، ولايزهر تعبير ، ولا يجود لفظ ، فى جميع أنحاء البلاد العربية الا أعلن فى هذه السوق فيتلقفه الناس ويتناقلونه. وكانت قريش أجمع لذلك كله فبلغت لهجتها ذروة من الاتقان ، استأهلت معه أن ينزل بها القرآن فكانت حصتها من التهذيب الثالث للغة أوفر حصة فنسب اليها كما رأيت

﴿ كيف اتسعت اللغة العربية ؟ ﴾

اللغة وسيلة التعامل ، وآلة التفاهم فكلما اتسعت دائرة التعامل ومست الحاجة الى زيادة التفاهم ، اضطرت الحاجة أهلها الى تكميل تلك الوسيلة وترقية تلك الآلة حتى تفى بتلك الحاجة والا وقفت حركة الحياة أو جمدت حيث هى وليس ذلك بالامر السهل على أمة أو قبيلة برمتها

هذا هو الطريق الذى تمشت عليه كل لغة حية فى العالم ، فما هى السبل التى اتبعها العرب فى توسيع دائرة لغتهم وجعلها صالحة لشمول جميع حاجاتهم من التفاهم الذى قضى به عليهم العمران ؟

كان أول تلك السبل (الارتجال)

وهو وضع الفاظ جديدة للدلالة على المعانى الطارئة المراد التعبير عنها ، فكان العرب يضعون لكل معنى جديد لفظا جديداً يدل عليه وقد ثبت عن العجاج ورؤبة ابنه الراجزين المشهورين انهما كانا ممن يضعون الالفاظ الجديدة وكان الناس يأخذونها عنهما ويستعملونها فى لهجتهم وقد سبقهما غيرهما ممن لا يحفظ التاريخ أسماءهم كما لا يحفظ أسماء أول من اصطلح على الالفاظ الاولى من العربية

وكانت ثانية تلك السبل (الاشتقاق) وهو أخذ كلمة من أخرى مع تناسب بينهما فى المعنى وتقارب فى اللفظ . أو يقال انه تحويل اللفظ الواحد الى صيغ مختلفة ليدل على ما لم يستدل عليه باللفظ الاصلى . مثاله كلمة (شُرب) تتحول بالاشتقاق الى شَرِب يشرب وشراب ومِشربة وهلم جرا . وهذا التحول أو الاشتقاق انما يلحق الاصول الدالة على الافعال لانها هى التى تتغير وتستحيل بتأثير العوارض عليها . فالشرب يختلف باختلاف زمن حدوثه

أما الاصول الدالة على الموارد والاعيان وهي ما تسمى بالاسماء الجامدة فلا تطرأ عليها هذه العوارض ولذلك [illegible] يمكن الاشتقاق منها كأرض وأسد وبيت . ومع هذا فقد سمع من العرب ما يدعى انهم اشتقوا منها فقالوا استنوق الجمل اشتقوه من ناقة وهى اسم جامد [illegible] أى ضربه بالسيف اشتقوه من سيف وهو جامد

ثالثة السبل فى توسيع لغة العرب ويسمى بالاشتقاق الكبير وهو أن يكون بين اللفظين تناسب فى اللفظ والمعنى دون الترتيب مثل (جبذ) اشتقوه من جذب لا من الجبذ ولكن الحروف فى كلتا الكلمتين واحدة ولم يغفل منها الترتيب والمعنى فى كليهما متناسب

وقد كان العرب يجعلون الكلمة الاكثر شيوعا أصلا يشتقون منه

ومن أمثلة القلب كلمة (أوشاب) اى اخلاط الناس أصلها من (الشوب) وهو الخلط . يقال شاب العسل بالسمن أى خلطه به . فقلبوا الواو شين الشين فقالوا (وشب) ثم جمعوها فصارت أوشاب . ثم قلبوا (شوب) أيضا فجعلوها (وبش) وجمعوها فصارت أوباش ومعناها اخلاط الناس أيضا . وقد [illegible] منها

(او بشت الارض) اى أنبتت واختلط نباتها . ثم قالوا (بوش) وهومقلوب بما تقدم وجعلوا معناها القوم المختلطين من قبائل شتى . و (البوش) ايضا اطلقوه على طعام مختلط من حنطة وعدس . واشتقوا من هذا قولهم(تركناهم هوشا بوشا) اى مختلطين . و(بوشوا تبويشا) اى اختلطوا وهلم جرا

بهذه السبيل تمكن العرب من توسيع دائرة لغتهم توسيعاً مناسباً لحاجاتهم

رابعة السبل (الابدال) ويسمى الاشتقاق الاكبر وهو أن يكون بين اللفظين تناسب فى المعنى والمخرج نحو نعق ونهق ومعناهما متقارب اذ يدلان على الصوت المكرر والمستبشع وليس بينهما تناسب فى اللفظ

يصعب على الباحث أن يعرف أى هذين اللفظين أصلا للآخر

من امثلة الابدال قولهم فدخ وفدغ، وفدح وفضح وأن وحن، وثلم وثلب، وهمهم وحمحم وغمغم، وطنطن ودندن

كل هذه الامثلة من الابدال فيها بين بعض حروف المبدل والمبدل منه تناسب فى المخرج ولكن من علماء اللغة من رأى ان العرب تصرفت فى الابدال غير مقيدة بتناسب المخارج كأخذهم صريف الباب والقلم من صرير البكرة ولا تناسب بين الفاء والراء كما ترى . واشتقوا الخرب وهو كل ثقب مستدير والخرت وهو ثقب الاذن من الخرق ولا تناسب كما ترى بين القاف والباء والتاء . وأخذوا هديل الحمام من هدير البعير . ولا تناسب بين اللام والراء

وقد توسعوا فأبدلوا الحرف الثانى من الفعل المضاعف بحرف آخر نحو أخذهم كدح من كد . ورصف من رص . ورجف من رج . وضمد من ضم وردع من رد

وأبدلوا أيضا الف الفعل الناقص حرفا آخر نحو رسا ورسب ، وسما وسمق ، وزجا وزجر ، وهذى وهذر ، ومحا ومحق ، واحتفى واحتفل

وحولوا المضاعف الى ناقص نحو : رب وربا ، وطم وطما وتمطط وتمطى ، وتظنن وتظنّى

وحولوا المضاعف أيضا الى أجوف نحو : كع عن لقاء العدو وكاع أى نكص عنه

خامسة السبل التى اتبعها العرب فى توسيع لغتهم (النحت) وهو نوع من أنواع الاشتقاق

والنحت هو أن تعمد الى كلمتين أو جملة كلمات فتنتزع من مجموع حروف كلماتها كلمة واحدة تدل على ماكانت تدل عليه الجملة كلها . ولما كان هذا النزع يشبه النحت من الخشب أو الاحجار سمى نحتا وهو فى حقيقته من نوع الاشتقاق وان لم يكنه بالفعل

النحت أربعة أقسام : فعلى ووصفى واسمى ونسبى

فالفعلى ان تنحت من الجملة فعلا يدل على النطق بها أو على حدوث مضمونها كقولهم (بأبأ الصبى) اذا قال له قائل بأبى أنت والهمزة الاخيرة فى لفظ بأبأ منحوتة من (اب) . ومثله (حمدل) اى قال الحمد لله . و (حوقل) اى قال لاحول ولاقوة الا بالله . (وسمعل) اى قال السلام عليكم . و (قذلك العدد) اى قال ان ذلك العدد بلغ كذا . و (لاشاه) أى جعله لاشيء

والنحت الوصفى ان تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدل على صفة بمعناها أو بأشد منه مثاله (ضبطر) صفة الرجل الشديد منحوت من (ضبط وضبر) وفى ضبر معنى الشدة والصلابة ، يقال جمل مضبور أى مكتنز اللحم ومثله (الصلدم) منحوت من الصلد والصدم

والنحت الاسمى أن تنحت من كلمتين اسما مثل جلمود من (جلد وجمد)

والنحت النسبى أن تنسب شيئا أو شخصا الى بلد أو شخص مثل قولهم للمنسوب لطبرستان وخوارزم (طبرخزى) أى هو منسوب الى المدينتين كليهما ومثل قولهم للمنسوب الى أبى حنيفة والشافعى (شفعنتى) وللمنسوب الى أبى حنيفة والمعتزلة (حنفلتى)

سادسة تلك السبل (التعريب) وهو تحويل كلمة أعجمية الى عربية وقد جرى العرب فى هذا السبيل شوطا بعيداً فعربوا كثيراً من الكلمات الحبشية واليونانية والفارسية والهندية وغيرها وفى القرآن الكريم نفسه من تلك الكلمات المعربة كثير فيه من الفارسية أباريق وسجيل واستبرق، ومن الرومية قسطاس وصراط وشيطان ، ومن الحبشية أرائك وجبت ودري وكفلين ؛ ومن السريانية

سرادق و... طود وربانيون،ومن الزنجية حسب وسرى ، ومن العبرانية فوم ، ومن التركية القديمة غساق ، ومن الهندية مشكاة ،ومن القبطية هيت لك. وقد عدها السيوطى فبلغت نحو مائة كلمة

أما مايوجد فى اللغة العربية كلها من الكلمات المعربة فلا يحصى كثرة فمن اسماء الحيوانات ... ة جاموس وسمور وبوط وباشق ... رن وهملاج وحرباء وبختى وسوذنيق

ومن المعربات النباتية باذنجان ولوبياء وتوت وخوخ وخيار وكمثرى وأجاص واترج وأرزونارنج وليمون وبندق وقصطل واستان ونارجيل وفلفل وجوز ولوز

ومن المعربات العقّارية: قرفة وأهليلج وكرويا وقرمز

ومن المعربات الطعامية : كشك ونشا وسميذ وسكر وقد وكباب وجردق

ومن المعربات العطرية: مسك وعنبر وصندل

ومن المعربات اللباسية : قميص وسراويل وتكة وطيلسان

... المعربات المعدنية : توتياء ... رصاص ... وزئبق وبورق

ومن المعربات الجوهرية : جوهر وألماس وبهرجان وزمرذ وياقوت

ومن المعربات الآلية : اسطرلاب وطرجهارة (هى آلة مائية) وزيج وبركار ومنجنيق وموسيقى وقانون وناى وطست وطبق وقصعة ودورق وكوز وفنجان

ومن المعربات العلمية : أستاذ وجهبذ وتلميذ وكيمياء وهيولى وفلسفة وسفسطة وطلسم وتاريخ. وقد عد كثيرا منها الاستاذ المغربى فى (الاشتقاق والتعريب)

(كيف دخل اللحن الى العربية)

لم يكن قبل الاسلام لحن وأول حدوثه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمع العرب كلهم على الاسلام فاختلط الناس بعضهم ببعض وفيهم الفارسى والزنجى والحبشى

ولقد كان الاعراب سجية فى العرب تجرى به ألسنتهم بغير تكلف ولا روية وان كان بعض النحاة زعم ان العرب كانوا يترددن في كلامهم فيعطون كل كلمة حقها من الاعراب ، وهو خطأ لان مثل هذا التكليف يقتضى أن يكون قد سبقه تعليم ولم يرو عن العرب أنهم كانوا يتخذون لمثل هذا الامر أقل حيطة

ثم لما فتحت مصر والشام وفارس واختلط العرب بأهل هذه البلاد فشا اللحن فيهم فكانوا يهجنون من يقع فيه. وروى ان عمر أمير المؤمنين مر بقوم يرمون السهام فاستقبح رميهم فقال ما أسوأ رميكم فقالوا نحن قوم (متعلمين) فقال عمر لحنكم أشد على من فساد رميكم

وروى ان كاتبا لابى موسى الاشعرى كتب الى عمر فلحن، فكتب عمر الى أبى موسى : عزمت عليك لما ضربت كاتبك سوطا

ولكن لما نشأ الجيل الثانى انتشر اللحن انتشاراً مريعاً وصار لا يستطاع تجنبه لكثرة شيوعه وجريانه على الألسنة

فأخذ أهل البيوتات الرفيعة يؤاخذون أبناءهم على اللحن، حتى روى ان ابن عمر كان يضرب بنيه على اللحن

وروى ان الخطيب المصقع خالد بن صفوان (المتوفى فى أوائل القرن الثانى) كان يحدث بلال بن ابى بردة فيلحن فقال له بلال يوما : اتحدثنى أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاآت ؟ فكان خالد بعد ذلك يذهب الى المسجد فيتلقى النحو على معلميه

وقال الجاحظ : أول لحن سمع بالبادية قول بعضهم : (هذه عصاتى) وكان الصواب ان يقول : (هذه عصاى)

وقال ان أول لحن سمع بالعراق (حى على الفلاح) بكسر الياء وصوابه بالفتح

وكان اللحن فى الدولة الاموية يعتبر من مسقطات الكرامة، روى انه استأذن رجل من وجهاء أهل الشام على عبد الملك بن مروان وبين يديه قوم يلعبون بالشطرنج فقال يا غلام غطها. فلما دخل الرجل وتكلم لحن، فقال عبد الملك : ياغلام اكشف عنها الغطاء ليس للاحن حرمة

وكان من شدة استهجان خلفاء بنى أمية للحن انهم كانوا يرسلون أولادهم الى البادية لينشأوا على الاعراب

ولما وليت الاسرة العباسية الخلافة كان اللحن قد بلغ أشده فلم يستطع الناس أن يتحاموه الا بالتكلف

اما البادية فكان تأثرها باللحن بطيئا حتى قيل انها بقيت على عروبتها الخالصة الى آخر القرن الرابع . ثم أخذت ألسنتهم تضطرب بعد ذلك حتى صار بعضهم ينبه بعضا الى الصواب

من أضر ما احدثه اللحن فى الامة الاسلامية اختلاف لغات شعوبها فتكونت اللغات العامية على خلاف شديد بينها فأصبحت عامية العراق غير عامية مصر وهما غير عامية الشام وهلم جرا فلم نعد العربية رابطة لغوية قوية ، اللهم الا فيما بين الخاصة الذين يكتبون اللغة الفصحى وهم فى المسلمين عدد محصور

وبما انه لا سبيل لتوحيد هذه اللغات العامية فالاولى الرجوع الى اللغة العربية الفصحى بنشر التعليم وتعميمه بين جميع الطبقات ولكننا نستبعد أن يكون من الممكن التكلم بالاعراب لما فى ذلك من التكلف الشديد ولكن ترك الاعراب فى الكلام لا يضر ما دام المتكلمون يحرصون على الكلمات العربية ولكن لا سبيل فى نظرنا لابدال الالفاظ الحديثة كتلفون وتلغراف وبسكليت بألفاظ عربية فان ذلك فوق الوسع وهو مع ذلك مخالف للسنن التى قامت عليها اللغات . فالاولى تعريبها أى تركها على ما هى بعد صقلها صقلة عربية بحيث تتفق مع منحى اللسان العربى

كل هذا لا يمكن حدوثه الا بوجود جماعات لغوية تقوم على صيانة اللغة وتهذيبها وتعريب ما يجب تعريبه من الالفاظ الاعجمية ونشر ذلك بين الناس ليعتمدوه فى كلامهم وكتاباتهم

(العرب وبلادهم فى العصر الحاضر)

تنقسم بلاد العرب فى العصر الحاضر الى ستة أقسام من الوجهة الادارية وهى: الحجاز ، واليمن ويتبعها عسير ، وحضرموت وعمان ، والبحرين ، ونجد ويتبعها الحسا

فالحجاز اقليم مستطيل يحده البحر الاحمر غربا ، والبادية الكبرى شرقا ، وبلاد عسير جنوبا ، وبادية بلاد الشام شمالا . طوله من الشمال الى الجنوب يبلغ ١٦٠٠ كيلو متر وعرضه من الغرب الى الشرق يبلغ ثلاثمائة كيلومتر ، يقطعه من الشمال الى الجنوب جبال السراة التى يبلغ ارتفاعها نحو ثمانية آلاف قدم ، فيها مياه كثيرة وغابات وبساتين وقرى آهلة بالسكان من الاعراب . منحدرات هذه الجبال يتصل بها سهل الى البحر يسمى تهامة ، أرضه رملية ، وبعضها يصلح للزراعة

الحجاز ولاية عثمانية منذ سنة ٩٢٢ هجرية وكان قبل ذلك تابعا فى أكثر

حولها لحكومة مكة . فلما دخل الحجاز فى حوزة الاتراك صاروا يرسلون اليه الولاة يديرون شؤنه ، ويجبون امواله وجعلوا على مكة أميراً من الاشراف لينظر فى امور العرب

كان للحجاز مجلس ينظر فى اموره الهامة يتألف من قاضى مكة والدفتر دار ومدير الحرم وكاتب أسرار الولاية ويسميه الاتراك المكتوبجى ومن نقيب الاشراف ونائب الحرم وصاحب سدانة الكعبة ومفتى الحنيفية وقائم مقام الشريف ومدير الصحة ونقيب الحسينية

وكان يوجد بمكة محكمة نظامية تنظر فى الدعاوى المدنية والجنائية ويسميها الترك ديوان التمييز احكامها تستأنف فى محاكم الاستانة وتتألف هذه المحكمة من نائب الشرع وثلاثة اعضاء منتخبين من أهالى مكة وقائمقام الشريف

كان قاضى مكة يعين من قبل الدولة لمدة سنة واحدة أما النائب فكان يعين لسنتين

وكان لولاية الحجاز نواح يلقب حاكمها بقائمقام منها الطائف ورابغ . لكل قائمقامية مجلس يتركب من القائم مقام ونائب الشرع ومأمور المالية ومن بعض الاهالى بنتخبهم شريف مكة

أما القبائل فلها مجالس عرفية تنظر فى مخاصماتهم ابتداء واستئنافا وتتألف من القاضى وبعض الشيوخ ورؤساء القبائل مع من يختاره الطرفان

لاصحاب القضايا حق رفض احكام هذه المجالس العرفية واستئنافها عند شريف مكة فان بت فيها او عدلها نفذ حكمه وللمتقاضين الحق فى توكيل من يحامى عنهم امام القضاء

يقدر اهل الحجاز بمليونين ونصف مليون من النسمات كلهم على حالة البداوة الا اهل مكة وجدة . اهل الداخل يعيشون من ماشيتهم واما اهل السواحل فيعيشون من الصيد على الزوارق وكلهم شافعية وقد استقل الحجاز الآن وأصبح الشريف ملكا

﴿ ولاية اليمن ﴾

اليمن واقع فى الجنوب الغربى من جزيرة العرب طوله من الشمال الى الجنوب نحو ٧٥٥ كيلومترا ومن الغرب الى الشرق نحو ٤٠٠ كيلو متر ويقدر اهله بأربعة ملايين من النفوس كلهم مسلمون على مذهب الزيدية وفيهم عدد قليل من اليهود . اما اهل عسير فهم وهابيون أتباع

الشيخ عبد الوهاب الزعيم الدينى الذى ظهر فى القرن الحادى عشر الهجرى وأراد ارجاع المسلمين الى دينهم القويم خاليا من البدع مثل اقامة القبور وادخالها فى المساجد وايقاد السرج عليها وتعميمها بالعمائم والطواف حولها وماشا كل ذلك وقد انتشر هنالك مذهبه وتبعه بعض أمراء العرب وكبر شأنهم حتى تغلبوا على مكة والمدينة وجردوا الحرم النبوى من زخارفه وأخذوا منه الالماسة المسماة بالكوكب الدرى فأمر السلطان العثمانى والى مصر محمد على باشا فقاتلهم ورد ماكانوا أخذوه الى مكانه ولايزال لهم دولة فى بلاد نجد تغلبت على الحجاز سنة ١٩٢٥

اليمن كانت ولاية عثمانية وهى تنقسم الى قسمين قسم السهول وتسمى تهامة وهى الى البحر وقسم الجبال وهى سلسلة من جبال السروات متصل بعضها ببعض من الشمال الى الجنوب أعلاها جبل كوكبان ويبلغ ارتفاعه ٣٠٠٠ متر

جميع هذه الجبال آهلة بالسكان وفيها عيون كثيرة تتكون منها أنهار فى وديان خصيبة فاليمن اقليم زراعى وكلما أمعن الانسان فى الارتفاع فوق الجبال وجدها خضراء نضراء بما عليها من المزروعات المختلفة وفيها غابات من اشجار مثمرة وغير مثمرة

حاصلات اليمن اليوم الدخن وعليه مدار حياة اهله ، والقمح والشعير والعدس والسمسم والذرة والفول والقطن والنيلة والتبغ والنباتات الخضراء بأنواعها والفواكه الكثيرة ومنها المانجو ويسمونها الامبا واللوز والبرقوق والتين الشوكى . ولكن اكبر حاصلات اليمن البن

كانت تنقسم اليمن فى ادارتها الى اربع لواءات. لواء صنعاء ولواء تعز ولواء الحديدة ولواء عسير وفيها نحو ١٩٠٠ قرية

اسلم اهل اليمن فى العام العاشر من الهجرة ووفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم فولى عليهم معاذ بن جبل . ولما توفى النبى صلى الله عليه وسلم تبع اليمن الخلافة الاسلامية الى سنة (٢٠٤) وفى هذه السنة استقل بها محمد بن زياد واليها من قبل العباسيين استقلالا وسميت الاسرة التى أسسها بالدولة الزيادية وبقى حكمها الى سنة (٤٠٩) هـ

فى تلك الاثناء قامت دولة اليعافرة فى صنعاء من سنة (٢٤٧) الى (٣٨٧)

ثم قامت الدولة النجاحية فى زبيد من سنة (٤١٢) الى سنة (٥٥٣) ثم قامت الدولة الصليحية فى صنعاء من سنة (٤٢٩) الى سنة (٤٩٦) وكانت قامت فى صعدة الدولة الرسية من سنة (٢٤٦) وبقيت الى سنة (٦٠٠) وكان أمراؤها من الزيدية وينسبون الى الهادى يحيى حفيد قاسم الرسى أحد غلاة الشيعة فى زمن المأمون

ثم قامت فى عدن الدولة الزريعية من سنة (٤٧١) الى سنة (٥٦٩) وفى هذه السنة دخلت اليمن برمتها فى حكم الايوبيين الى سنة (٦٢٥) وفيها قامت الدولة الرسولية الى سنة (٨٥٠)

وفى هذه السنة الاخيرة قامت الدولة الطاهرية الى سنة (٩٠٦) وفيها استولى عليها قانصوه الغورى ملك مصر

من ذلك العهد تبعت اليمن حكم المماليك حتى دخلت فى حكم العثمانيين فى عهد السلطان سليمان حوالى سنة (٩٥٠) ﻫ ولكنهم انسحبوا منها سنة (١١٤٣) ﻫ لكثرة ثوراتها الداخلية فعادت حكومتها الى الائمة

وحوالى سنة (١٢٦٠) زحف الامام محمد بن يحيى على تهامة (اليمن) وكانت تحت سلطة شريف مكة فاستولى عليها ودخلت زبيد والحديدة تحت حكمه فبعث السلطان العثمانى اذ ذاك حملة تحت قيادة توفيق باشا أحد قواده الى اليمن فتخلى الشريف له عنها واتفق توفيق باشا مع الامام على اعتراف الامام بسيادة الدولة وأن يرتب له ٢٧ الف ريال شهريا يأخذها من ايرادات اليمن والباقى يقسم مناصفة بينه وبين الدولة وأن تقام فى صنعاء قوة عثمانية مركبة من الف جندى

فلما علم أهل اليمن بفحوى هذا الصلح ثاروا وأبادوا الحامية العثمانية وجرح توفيق باشا فى تلك الوقعة ومات من جراحه بالحديدة وبقيت سلطة العثمانيين فى هذه البلاد على الساحل الغربى لليمن نحواً من عشرين سنة . وبعدها جردت الدولة حملة على صنعاء مدة السلطان عبد الحميد فاحتلها وحجزت الامام فى صنعاء ورتبت له مرتبات شهرية ولما مات خلفه أحد أقاربه واسمه حميد الدين ثم تولى بعده ولده الامام يحيى الحالى وفى عهده حدثت عدة ثورات فى اليمن كانت صنعاء تقع تحت يده تارة وتحت يد تركيا تارة أخرى

وبعد اعلان الدستور العثمانى قامت باليمن ثورتان احداها تحت قيادة الامام يحيى والاخرى تحت زعامة الادريسى بالعسير فسارت الجنود العثمانية من الحديدة الى صنعاء فاستولت عليها بعد حرب ضروس واعتصم الامام يحيى برجاله الى الجبال وأقام بها فى مدينة اسمها شهارثم حدث صلح مؤداه اعتراف الامام يحيى بسيادة الدولة وهو اليوم مستقل

أما ثورة عسير فقد تولى اطفاءها الشريف حسين باشا شريف مكة سنة (١٣٢٩) فلما وصل الى قنفذة أتته رؤس قبائل عسير مقدمة طاعتها للدولة الاقبيلة خرشان فانها أبت الاذعان فجرد عليها جيشا تحت قيادة ابنه الشريف عبد الله بك فهزمها وأسر عدداً من وجوهها ثم سار الشريف مع جنود الدولة حتى دخل عاصمة عسير مدينة ابهاء

فلما رحلوا عنها عادت اليها الفتنة ثم سكنت الآن ولكننا لاندرى على أى وجه

أكبر ثغور اليمن اليوم الحديدة عدد سكانها ٦٠ الفا من أجناس مختلفة فيهم الحبشي والسومالى والهندى والجاوى والفارسى والزنجى

أشهر البلاد التى فى هذا الطريق مناخة وهى تبعد عن الحديدة بنحو ١٥٠ كيلومترا وبنحو ١٠٠ كيلومتر عن صنعاء التى بها مركز الولاية

عدد أهل صنعاء ٤٥ الفا منهم ٣٥ الفا من العرب والباقون من الاتراك ومن الهنود

أكبر موانى اليمن عدن وهى فى يد الانجليز من سنة ١٨٣١ وهى الآن مركز للتجارة بين الشرق الاقصى والغرب. وتعتبر فى موقعها من أحصن بلاد الدنيا فى وسط جزيرة صخرية تتصل بالقارة بلسان من الرمل. حصنها الانجليز تحصينا عظيما فترى الاساطيل الانجليزية محيطة بها وذاهبة منها أو آيبة اليها. وقد قدر عدد السفن التى رست بمينائها سنة ١٩١٨ بنحو ١٨٠٠ سفينة وبلغت وارداتها فى السنة المذكورة سبعة ملايين وسبعمائة الف جنيه وقد تقدم الكلام عليها

يبلغ عدد سكانها ٣٥٠ الف نسمة أكثرهم من الهنود والسوماليين والاحباش واليهود وأما العرب فقليلون هناك

وقد حدث اتفاق بين العثمانيين

والانجليز سنة ١٩٠٤ على أن تكون املاك الانجليز فى جنوب بلاد العرب ممتدة من بوغاز باب المندب الى نهربانا وشرقا وهو مالا تقل مساحته عن ٢٢٠ كيلومتراً طولا على ساحل المحيط الهندى وخمسين كيلو متراً فى داخل البلاد

ومما يدخل فى سلطة الانجليز بجنوب بلاد العرب واحة الشيخ عثمان المعروفة بسلطنة لحج (مركز سلطانها الحوطة) ثم جزيرة بريم الواقعة فى مدخل بوغاز باب المندب ومساحتها ٨٠ ميلا مربعا ثم جزائر كوريا موريا على ساحل حضر موت

كل هذه الجهات تابعة فى ادارتها لحكومة عدن . ثم ان للانجليز عدا هذا شبه سيادة على الحكومات الصغيرة التى فى فى سواحل حضرموت أهمها سلطنة لمكلة وسلطنة مهرة ، والشحر وتريم. وكلها على الساحل الجنوبى لحضرموت الاتريم فانها تبعد عنه بنحو ٢٠ كيلو مترا

(عمان)

عمان واقعة فى الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد العرب وكل ساحل عمان عامر بالبلاد والسكان وطوله من ثغر مربض الى شبه جزيرة القطار نحو ٢٢٠٠ كيلو متر وعرضه داخل البلاد الى الغرب نحو ٣٠٠ كيلو متر عاصمتها مسقط

تنقسم عمان الى البطنة (تهامة) ولا تمتد أكثر من أربعين كيلو مترا اكثرها مشغول بالنخيل المشهور بجودة بلحه ، ثم الى قسم الجبال اعلاها الجبل الاخضر الذى يبلغ ارتفاعه نحو ٣٠٠٠ متر

يوجد بين هذه الجبال وديان خصبة كثيرة تسقى بواسطة مجار لها خزانات وسدود

من حاصلات عمان الحنطة والذرة والشعير والبرسيم والنيلة والنباتات الخضراء وكثير من صنوف الفواكه لاسيما الجوز الهندى والمانجو . ومن محصولاتها خشب الند والصندل والصمغ والصبر والتنباك

وفى عمان كثير من المعادن كالحديد والرصاص والنحاس والكبريت والملح الجبلى . وعلى سواحلها مغاصات اللؤلؤ أشهرها فى مدينة صحار ودملر ومسقط . أهل سواحلها يشتغلون بصيد السمك ويصدرون مقادير وافرة الى بلاد العجم وغيرها ويجففون منه مقادير أخرى وما

يبقى يعلفون منه البقر ويسمدون به أراضيهم عمان مشهورة بخيلها وبقرها وغنمها

يبلغ أهل عمان مليونين وستمائة الف نسمة ومساحتها لا تقل عن ثمانين الف ميل مربع عاصمتها مسقط بها نحو ٥٥ الف نسمة بينها وبين مكة أكثر من الفى كيلو متر ، لها ميناء صغيرة ترسو فيها السفن

ينقسم سكان عمان الى البدو وسكان الخيام وهم قوم رحل يتتبعون المراعى ثم المتحضرون وهم خليط من الهنود والعجم وأهل بلوخستان والعرب والزنوج

العمانيون اباضيون ينتسبون الى عبد الله بن أبى محمد المرى الذى استولى على افريقيا الشمالية وادعى فيها الخلافة سنة ١٥٢

كانت عمان تابعة للتبابعة ثم أسلمت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الخوارج تلجأ اليها هربا من خلفاء بنى أمية والعباسيين وكان تجارها ينتقلون فى جزر المحيط الهندى مثل جاوة وسومطرة وغيرها من سواحل افريقيا الشرقية فكثر الاسلام فى تلك الجهات بدعوة العمانيين وكثر توارد العرب الى تلك الجهات واتصلوا بأهلها بالمصاهرات حتى صارت لهم هنالك السيادة

فى سنة ١٥٠٧ استولى البرتغاليون على سواحل عمان واتخذوا مسقط قاعدة لاعمالهم الحربية البحرية . ولكن فى سنة ١٦٥٨ ثار أهل مسقط على البرتماليين فأجلوهم عن بلادهم. ثم استولى الهولانديون على مسقط فطردهم أهلها

ثم أتى الفارسيون لفتحها فاستنجد العمانيون بأحمد بن سعيد حاكم الشحر فأنجدهم وطرد الفرس فولوه عليهم سنة ١١٦٧ هجرية فامتد ملكه الى جزيرة القطر وجزائر البحرين شمالا ، والى حضرموت وظفار جنوبا

فلما تولاها سعيد بن أحمد من هذه الاسرة أنشأ أسطولا مركبا من ثلاثين سفينة حربية وسلحها بالمدافع واستولى على جزيرة هرمز فى الخليج الفارسى ثم استولى على جزيرة سوقطرة وجزيرة زنجبار ثم وضع يده على سواحل زنجبار ورأس غاردفوى فأصبح له الحكم المطلق على خليج العجم والبحر الهندى

وكان الوهابيون قد وضعوا الاتاوة على عمان فامتنع هذا السلطان من أدائها

فأغاروا عليه وأحرقوا كثيراً من بلاده ولم ينقذه منهم الا تحولهم الى محاربة محمد على باشا والى مصر

ثم ان السلطان سعيد باع أسطوله وقسم ملكه بين أولاده الثلاثة فجعل زنجبار وما يليها من سواحل افريقيا وجزيرة سوقطرة الى ولده ماجد وجعل القسم الشمالى من مملكته وهو جزائر خليج البصرة وما يليه من الساحل الغربى لابنه الاكبر التوينى وجعل القسم الجنوبى الى ابنه تركى

ولما توفى طلب التوينى من أخيه ماجد أن يؤدى اليه خراجا سنويا فلم يقبل فقامت بينهما الحرب سنتين حتى أصلح الانجليز بينهما على أن يستقل ماجد بزنجبار وأن يؤدى فى نظير ذلك الى أخيه التوينى كل سنة أربعين الف ريال

ثم نازع التوينى أخاه تركيا فى نصيبه فكره رجاله تعديه وانفضوا عنه وبايعوا أخاه تركيا وساعده الانجليز على دخوله مسقط فهرب التوينى الى فيصل الوهابى فأرسل معه جيشا بقيادة ابنه عبد الله واستولى على بلاد عمان وسلمها الى التوينى فانفرد بالحكم فيها حتى توفى سنة ١٢٨٥ خلفه ابنه سالم فقبض على عمه تركى وسجنه ثم اخلى سبيله بتوسط الانجليز فسافر الى بومبى. أما سالم فثار عليه قريب له اسمه عزان ونزع الملك من يده . فبلغ ذلك تركيا فأسرع الى بلاده وقتل عزان واستولى على عمان سنة ١٢٨٧ وكان أخوه ماجد قدمات فى زنجبار فعين أخاه برغشا سلطانا عليها

ومن هذا الوقت دامت حكومة عمان موالية للانجليز ينقد سلطانها مرتبا شهريا فى نظير عدم تنازله عن شىء من بلاده الى حكومة اجنبية

ثم ان الانجليز استولوا على بعض أطراف هذه المملكة فبدأوا بجزائر كوريا موريا سنة (١٨٥٤) ثم ثنوا بجزائر خشم الواقعة فى مضيق هرمز سنة (١٨٧٦) وفى هذه السنة أعلنت حمايتها على جزيرة سوقطرة

وكان سلطان زنجبار تنازل لالمانيا سنة (١٨٩٠) عن قسم من بلاده يبتدىء من مصب نهر روفوما جنوبا وينتهى الى ونغا شمالا فى مقابل ٤ ملايين مارك فبادرت انجلترة فوضعت يدها على ما بقى لسلطنة زنجبار من السواحل ثم أعلنت

حمايتها على جزيرة زنجبار نفسها

(جزائر البحرين)

اكبر هذه الجزائر جزيرة عوال ، فيها نحو ستين قرية صغيرة عاصمتها منامة يسكنها نحو ٥٠ الف نسمة والى جوارها جزيرة اراد

اصل سكان هذه الجزيرة من قبيلة طسم وجديس ثم استولى عليها الفرس واتبعت لحكم المناذرة ملوك الحيرة ثم استولى عليها المسلمون فى السنة السادسة للهجرة مدة حكم العلاء الحضرمى

ثم استولى عليها البرتغاليون ثم الايرانيون ثم سلطان مسقط ثم الدولة العثمانية . فنازعها عليها الانجليز وصورها كل منهما فى خريطته بلون بلاده . حاكمها اليوم يدعى عيسى بن على تحت حماية حكومة الهند. أهم محصولاتها اللؤلؤ وقد بلغت صادراتها سنة ١٩١٠ مليونا ومائة وسبعين الف جنيه انجليزى

يقدر عدد سكان جزائر البحرين بمائتى الف نسمة

(نجد)

نجد قسم فسيح الارجاء واقع فى وسط بلاد العرب وفى منتصف المسافة بين المدينة وبغداد ومقسم الى قسمين الشمالى وهو الحائل ويسمونه نجد الحجاز والثانى العارض ويسمى نجد اليمن

فى هذين القسمين جبال مشهورة بكثرة خيراتها منها جبل سلمى وجبال طويق وجبل أجأ . ويحيط بنجد من الشمال صحراء الشام ومن الغرب صحراء الحجاز ومن الجنوب البادية الكبرى ومن الشرق لسان من الدهناء

(شمر)

شمر واقعة فى منتصف المسافة بين مكة والبصرة وهى عبارة عن جبل شمر وجبل سلمى . والاودية التى بينهما صالحة للزراعة فيها كثير من الحدائق تقدر مساحتها بأربعين كيلومتراً مربعاً يديرها آل الرشيد ومركزهم مدينة الحائل يقطنها نحو عشرين الف نسمة

فى شمر نحو اربعين قرية كبيرة تحيط بها غابات من النخل الا ان اكثر سكانه من ذوى الخيام ويقدر عددهم بنحو اربعمائة الف نسمة يعرفون بالسماحة والنخوة

بشمر اجمل خيول الدنيا وفيها حمير وبقر واغنام كثيرة ويوجد عندهم نعام وفهود وأبقار وحشية وثعالب وذئاب

وغزلان وارانب وغيرها

والى شرق جبل شمر يميل نحو الجنوب بلاد القصيم اكثر أرضها وديان خصيبة تزرع فيها الحبوب والفواكه وفى وسطها غابات كثيفة يقدرون عدد أهل القصيم بثلاثمائة الف نسمة كلهم يسكنون الخيام الا القليل منهم فمنهم يسكنون القرى التى لا يزيد عددها عن الثلاثين أشهرها بريدة وعنيزة

هذه البلاد نصفها الشمالى تابع لامير شمر ونصفها الجنوبى تابع لامير العارض

(العارض)

هى جبال نجد اليمن كما مر وهى المشهورة بنجد الآن فاذا أطلق هذا اللفظ فلا ينصرف الا اليها . وبها عيون غزيرة واودية كثيرة خصيبة تكثر فيها الزروع المختلفة

هذه البلاد وما والاها من بلاد القصيم فى حكم آل سعود عاصمتها الرياض وهى احسن مدن نجد . يكثر فيها النخل والابل والغنم اكثر اهلها بدو ويقدرون بخمسمائة الف نسمة كلهم وهابيون

امارتا العارض والحائل كانتا تابعتين لمتصرفية نجد التى تدخل فى دائرة الحسا ومركزها مدينة الحسا وكلها كان تابعا لولاية البصرة

يشتغل اهل سواحل العارض بالتجارة وصيد اللؤلؤ والاسماك بجفنونها ويصدرون مقادير عظيمة منها الى الخارج

اعمر بلاد الحسا قضاء القطيف ثم البلاد التى بجنوبها الى شبه جزيرة القطر واكثرها صحارى رملية . تكثر المزارع فيها من جهة السواحل حيث يكثر فيها النخل

بلاد الحسا مشهورة بالحمير الحساوية ويقال لها بمصر الحصاوية بالصاد خطأ

ويكثر فى فيافيها السباع والنعام وحمر الوحش

يصنع فى هذه البلاد العباءات المشهورة ومنسوجات أخرى وأدوات نحاسية

تنقسم هذه البلاد الى أربعة أقضية قضاء الحسا وقضاء القطيف وقضاء القطر وقضاء الخوف وهو اكبرها واوسعها

عدد سكان الحسا يقدر بخمسة وثلاثين الف نسمة نصفهم حضريون

ارض هذه البلاد تسقى من الاحساء

وهى الجداول الطبيعيـة وقد تجتمع جملة جداول وتصب فى بركة تكون بمثابة خزان مستديم لرى الاراضى

(اخلاق العرب اليوم)

لايزال العرب كما كانوا أهل شجاعة وكرم وغيرة على النساء وعزة وانفة ونجدة ومن اخلاقهم العزيزة عليهم حمـاية من استجـار بهم فلو بغى رجـل على آخر فطلب فقال انا فى وجه فلان يعنى رجلا من قبيلتهم ولو فى غيبته كفوا عنه واحترموا حماية صاحبهم ودخل فى دعواه معهم كأنه غريمهم

ثم ان العرب الى اليوم من أبعـد الناس عن الرياء والنفاق وهم أبعد الناس عن التـأنق فى الملبس والمأكل ولكنهم مع هذا قد عادوا الى ماكانوا عليه أيام جاهليتهم من غزو بعضهم بعضا فحروبهم الداخلية لاتنقطع ، ومطالباتهم بثاراتهم لاتقف عند حد ، فان الرجل مهما ضعف أمره فلا يغفل عن المطالبـة بثأره فتراه لايقر له قرار ولا يهدأ له بال حتى يثأر لنفسه .ومن عادتهم فى الاخذ بالثأر ان احدهم ان لم يظفر بغريمـة انتقم من احد اقربائه

وبعضهم يقنع بالدية للقتيل وقدرها ثمانمائة ريال فى العبد والف ريال فى الحر وعشرة آلاف فى الرجل الشريف

واذا قتل احدهم وقفوه فى قبره حتى يأخذوا بثأره وعند ذاك ينبشون جثته ويناموه فيه

ومن عوائدهم انه اذا قتل احـدهم ذهب اهـل القاتل الى اهـل المقتول وسألوهم (المهادة) اى تأجيل المطالبـة بالقصاص الى اجل معين فيجـابون الى طلبهم وينصرفون بدون أن يتعاطى احدهم طعاما ولاشرابا من بيت خصومهم ويصبح القاتل حرا فى تصرفاته فى اثناء مدة التأجيل لايتعرض له احد بسوء حتى تنقضى المدة فاذا حدث خلالها اتفاق تم الامر بين الطرفين على شروط مقررة واذا لم يتم عاد اهل المقتول للمطالبة العنيفة

واذا اتهم شخص منهم بتهمة وانكر أتى به الى (الملحس) وهو رجل خاص بالفصل فى التهم فيأتى بحديدة محماة فى النار ويدفعها للمتهم ويأمره بلحسها فان احرقت لسانه اعتبر جانياً والا اعتـبر بريئا لاعتقادهم انه ان كان بريئا فان النار لاتضره

وبعضهم يخط دائرة فى الارض فيقف فيها المتهم ويحلفه فاذا كان كاذبا لم يمكنه الخروج منها فى زعمهم

هذه جملة من أخلاق العرب ولا يشذ عنها منهم الا سكان المدن فانهم تخلقوا بأخلاق سواهم من جالية الشعوب فى بلادهم فصاروا من شر خلق الله ولا يصح أن تتخذ اخلاقهم دليلا على اخلاق العرب الخلص الذين ذكرناهم

هنا يحسن بنا ان نأتى على جدول يبين القبائل الموجودة الآن نأتى عليه نقلا من كتاب الرحلة الحجازية للفاضل محمد لبيب بك البتنونى كما نقلنا عنه معلومات كثيرة عن نظام الولايات العربية تحت حكم الدولة العثمانية

(جدول بالقبائل الموجودة ببلاد العرب ومساكنها وعدد سكانها)

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عددهم	مساكنها
	(قبائل الحجاز)		
عنزة	الحسنة . حلاس (ومنهم الرولة والمحفف) وبشير ومنهم (ماجد وسلفى) واولاد على (ومنهم المشارقة . أم المشطا الحاميدة الجدالمة وطلاح)	٣٥٠٠	شمال المدينة فى شرق مدائن صالح الى خيبر
الحويطات	الجاراى ، الريضات ، عمران بنى عطيه . دبور . بدول السابحة الزراين والبطحة	٧٠٠٠٠	من محطة العلاء الى معان والعقبة وغزوة
بلى	. . .	....	من العقبة الى جنوب الوجه
جهينة	بنى مالك (ويتفرع منهم الصحية ، العيايشة ، عروة ، كومة سنبات ، الحصينات ، الاوساورة	٥٠٠٠٠	شرق وشمال المدينة الى الوجه

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عددهم	مساكنهم
	المسادى ، الرفاعة، بنى كلب، الحيادلة ، الحدة والموالبد) ثم بنى موسى ويتفرع منهم: البراهمة الموال البرادين، العلاوين زبيان، العوامرة، تنره، والسمايحه)		
عبس(١) هيثم	مهيمبزان ، ذوى الرشيد ، ذوى براك ، النوامسة ، الشرارات الهتمان		وهى قبلة صغيرة فى شمال ينبع
حرب	بنى سالم ومنهم ميمون وتتفرع الى محامدة ، رلاوعة ، رحلة ، عمرو حيدر ، احامدة، صبح ثم المراوحة وهى الحوازم وتنفرع الى نوامية، قراف، طواهر ، جبول، حنبطات ذرعات ، حجلة مزينة، رداددة، جنائبة) ثم بنى مسرح (وتتفرع منها عطور، مناشك، بشر، معبد البلادية، حمران ، البدارين، بنى جابر ، عوف زبيد)	٨٠٠٠	وهم يسكنون من الحمرة وشرقا وغربا الى عسفان
النخاولة(١)(١)	قبيلة حقيرة فى ضواحى المدينة	١٢٠٠٠	

(١) عبس هذه هى التى كان لها فى الجاهلية ذلك الجاه المنيع وكانت الى القرن الثامن الهجرى نوبة فاعتدت على جاراتها فنقم العرب عليها وأوقعوا بها فتشتت شملها الى اليمن وغيره ومن ثم ضعف امرها

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عددهم	مساكنهم
	يستعملهم أهلها فى خدمتهم وفى زراعة بساتينهم وحقولهم وهم رافضة ولا يسمون ابناءهم بأسماء ابى بكر وعمر وعثمان وعائشة ويسمون أولادهم المرون وهم يحللون نكاح المتعة وأهل المدينة لا يصاهرونهم		
مطير	درويش، ميمون، بنى عبد الله	٤٠٠٠	شرق المدينة شمالا الى نجد وجنوبا الى الصفينة
بنى سليم	. . . .	٢٠٠٠	شرق المدينة بجنوب الى حاذة
عتيبة	برقا وبربا (ويتفرع منها قبائل روسان ، الروقة ، الشيابين ، الدعاجين ، العصمة ، جلعان ، الحناتيس		
قريش	. . . .	٢٠٠٠	شمال عرفة والطائف
هذيل	والعلويين ، التدويين، بنى خالد ،	١٠٠٠٠	الجبال التى بين مكة
ثقيف	بنو سفيان ، بنو سعد ، ناصرة ، ربيعة ، عيلة	٣٠٠٠٠	جنوب وشرق الطائف
البقوم والبجوم	. . .	٢٠٠٠	شرق الطائف
عدوان	. . .	٢٠٠٠	» »
بنى الحارث	. . .	٢٠٠٠	» »
بنى سعد	. . .	٣٠٠٠	جنوب »

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عدد	مساكنهم
بنى لحيان		١٥٠٠	بين مكة وجدة
الجحادلة			وارى يلم الى البحر
قبائل	بنى فهم ، يزيد ، بجالة ، معنان اشراف ذوى زيد ، بنى هلال ، بنى عفيف اشراف ، ذوى حسن ، بلأسود ، بلأعور ، بنى سليم ، بنى عمر ، بنى على ، بنى زيدان	١٠٠٠	جنوب مكة وعلى طريقها الى الليث
قبائل	رؤساء العبيدات ، الهجالجة ، بنى كبير ، اكلوب ، العبادلة ، البيشة بنى سعد ، بنى سعد ميمون ، بنى مالك ، زهران ، غامد ، شمران ، وبلمون ، بنى الاسمر ناصر ، بنى الاحمر وشهران	٦٠٠٠٠	شرق الطائف الى الجنوب فى جنوب الطائف الى عسير

﴿ قبائل عسير ﴾

قبائل	بنى ملقم زفيرة بنى ربيعة المقيد	١٠٠٠	شمال وجنوب العسير
قحطان	رفيف عبيدة شريف سحان وراعة	١٠٠٠	جنوب العسير بشرق
يام	ذوى محمد وذوى حسين	٣٠٠٠٠	فى وادى بحران

مين

بآبعر	بنى زيد بنى حرب بنى عبس وبنى سهيم	٦٠٠٠	شمال القنفذة
	بنى بحير وبنى الروحة	٥٠٠	فى وادى وبة قرب القنفذة
	يلمنتشر بلعران العوامر بلكنانى	٤٠٠	وادى حلى قرب وادى يبة

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عددهم	مساكنهم
قبائل	بنى سبيل . بنى شبيل وجيران	٦٠٠	قرب العريش
«	بنى مروان ، حرض	١٥٠٠	بين جيران ولحية شمال الحديدة
«	بنى قصير ، بنى جامع ،بنى شيبة ، بنى شاسع	١٠٠٠	بجوار
«	بنى ربن ، بنى راجح ،الفرانتة بنى طهران وبنى هيجان	٧٠٠٠	وادى الوعظات شرق ...
«	بنى حسن بنى عبس اسلم	٥٠٠	قرب وادى الواعظات
«	آل مرة الكر الصبعر	٣٠٠٠٠	بين جبل برط والجوف
«	نهم أرحب		بلاد حاسد شمال صنعاء
«	عمران	٦٠٠٠	شمال الحديدة
«	همدان	٦٠٠٠	شمال صنعاء
«	بنى مطير	٣٠٠٠	شمال صنعاء
«	البروبة	١٠٠٠٠	قرب صنعاء غربا
«	الحضور	٤٠٠٠	جنوب صنعاء
«	بنى شداد خولان بنى جبير عبس فلاح ضبيان مجاهد قيس الاغماس	٦٠٠٠	شرق صنعاء

قبائل حضرموت

قبائل	آل عمورى المراشدة القشن الخامعة ونوح	٢٥٠٠	فى وادى دغن جنوب شبام
«	الحالكة آل محفوظ آل يزيد آل بطاطى وآل كثير		فى وادى لسير أحد شعاب وادى دغن
«	آل العوابسة	٦٠٠	فى وادى العين

اسم القبيلة — البطون المتفرعة منها		عددهم	مساكنهم
قبائل	باصليب باتيس، بنى ماضى	١٥٠٠	وادى عمد
»	الجعدة الصقرة نهب وبنى مخاشن		
»	بنى حيدرة، بنى الليثوشحاء		وادى رقية
»	آل بالعبيد، الصبعرونافع	٢٥٠٠	وادى دهر
»	آل كثير العوامرة، آل باجرى	٦٠٠٠	وادى ابن راشد
»	آل جبيرو آل تميم		
»	يافع	٢٠ الف	الجبال الواقعة شرق شمال عدن
»	العوالق آل ديب آل عبدالواحد	٦٠٠٠	بين عدن والمكلة
»	شيبان العكابرة وبنى حسن		
»	آل حموم	١٠٠٠	بجوار الشحر
»	بنى هود مناهل ومهرة	٢٠٠٠	بين قريتى هود وظفار
»	آل كثير	٥٠٠	ظفار وما حولها
»	قرا والشحرة	٣٠٠٠	الجبال المشرفة على ظفار
»	السادات العلوية	٣٠٠	حضرموت
قبائل عمان	بنى شنعاب النقاربون		
قبائل الحسا	قبيلة الحرة	٣٠٠٠	فى اطراف القطيف
»	قبيلة بنو هاجر	٤٥٠٠	غرب القطيف
»	بنو خالد (ابن الوليد)	١٠٠٠٠	غرب الحسا
قبائل نجد	بنو سبيع	٦٠٠٠	بين الرياض والحسا
»	قبائل عنزة (بطن من التى بالحجاز) الدبى الفرم بنى سالم بنى نخيض	١٤٠٠	بين المدينة المنورة والقصيم
»	العجمان وهم مشهورون بالشجاعة والفروسية	٦٠٠٠	شمال الرياض

قبائل	البطون المتفرعة منها	عدد	مساكنهم
«	قبائل قحطان (وهم غير قحطان اليمن)	....	ينقسمون الى قسمين الاول بين الرياض ورينة والثانى بالحوطة
«	قبائل الضعيفات، الجافر والربايعة بنى ضيغم	١٥٠٠	وادى الدواسر جنوب الرياض بغرب
«	بنو سلجة، بنو لحم، بنو حيثم، عرب الاخايل (ويقال انهم بقية من بنى هلال المشهورة)		فى القصيم

﴿ابن الاعرابى﴾ هو ابو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابى الكوفى اللغوى المشهور

أصله من موالى بنى هاشم فهو مولى العباس بن محمد على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان أبوه عبداً

وقيل انه من موالى بنى شيبان وقيل غير ذلك والاول أصح

اشتهر ابن الاعرابى برواية أشعار القبائل ومعرفة أنساب مشهورى العرب. وكان له المام كبير باللغة فهو من أئمتها المبرزين. يقال لم يكن فى الكوفيين أشبه برواة البصريين منه. هو ربيب المفضل ابن محمد الضبي صاحب المفضليات اللغوى المشهور كانت أمه تحته

أخذ الادب عن أبى معاوية الضرير والمفضل الضبي والقاسم بن معن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود (الذى ولاه المهدى القضاء) والكسائى

وأخذ عنه ابراهيم الحربى وأبو العباس ثعلب وابن السكيت وغيرهم

ناقش ابن الاعرابى العلماء وناظر الادباء واستدرك عليهم اشياء وخطأ كثيراً من نقلة اللغة وكان رأساً فى الكلام الغريب. وكان يزعم ان أبا عبيده والاصمعى لا يحسنان شيئاً وكان يقول جائز فى كلام العرب ان يعاقبوا بين الضاد والظاء فلا يخطىء من يجعل هذه فى موضع تلك ثم ينشد:

الى الله أشكو من خليل أوده
ثلاث خلال كلها لى غائض
بالضاد بدل الظاء ويقول هكذا سمعته من فصحاء العرب

وعلى ذلك فلا يصح تخطئة الترك حين ينطقون قولهم فى حضرتك «حظرتك» ولا قولهم فى أريد بعضه «أريد بعظه»

كان يحضر مجلس ابن الاعرابى خلق كثير من المستفيدين فيملى عليهم غرر اللغة ونوادرها

قال أبو العباس ثعلب شاهدت مجلس ابن الاعرابى وكان يحضره زهاء مائة انسان وكان يسأل ويقرأ عليه فيجيب من غير كتاب . ولزمته بضع عشرة سنة مارأيت بيده كتابا قط . ولقد أملى على الناس مايحمل على اجمال . ولم ير أحد فى علم الشعر أغزر منه

ورأى فى مجلسه يوما رجلين يتحادثان ، فقال لأحدهما من أنت؟ فقال من اسبيجان . وقال للآخر من أين أنت؟ فقال من الاندلس . فعجب من ذلك وأنشد :

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا
وقد يلتقى الشتى فيأتلفان

ثم أملى على من حضر بقية الابيات وهى :

نزلنا على قيسية يمنية
لها نسب فى الصالحين هجان
فقالت وأرخت جانب الستر بيننا
لاية أرض أم من الرجلان
فقلت لها أما رفيقى فقومه
تميم وأما أسرتى فبانى
رفيقان شتى ألف الدهر بيننا
وقد يلتقى الشتى فيأتلفان

ومن أماليه مارواه أبو العباس ثعلب قال أنشدنا ابن الاعرابى محمد بن زياد المذكور :

سقى الله حيادون بطنان دارهم
وبورك فى مرد هناك وشيب
وانى واياهم على بعد دارهم
كخمر بماء فى الزجاج مشوب

من تصانيفه كتاب النوادر وهو كبير . وكتاب الانواء . وكتاب صفة النخل . وكتاب صفة الزرع . وكتاب النبات . وكتاب الخيل . وكتاب تاريخ القبائل . وكتاب معانى الشعر . وكتاب تفسير الامثال . وكتاب الالفاظ وكتاب نسب الخيل . وكتاب نوادر الزبيريين

وكتاب نوادر بني فقعس . وكتاب الذباب وغير ذلك

قال ثعلب سمعت ابن الاعرابي يقول : ولدت في الليلة التي مات فيها الامام ابو حنيفة وذلك في رجب سنة (١٥٠) على الصحيح. وتوفي سنة (٢٣١) بسر من رأى وقيل سنة (٢٣٠) والاول أصح . وصلى عليه القاضي احمد بن أبي دواد الايادي

﴿ابن العربي﴾ هو ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد المعروف بابن العربي المعافري الاندلسي الاشبيلي الحافظ المشهور

قال عنه ابن بشكوال هو الحافظ المستبحر ختام علماء الاندلس وآخر أئمتها وحفاظها لقيته بمدينة اشبيلية ضحوة يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة (٥٠٦) فأخبرني انه رحل الى المشرق مع ابيه يوم الاحد مستهل شهر ربيع الاول سنة (٤٨٥) وانه دخل الشام ولقى بها ابا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي وتفقه عنده ودخل بغداد وسمع بها عنده جماعة من اعيان مشايخها ثم دخل الحجاز فحج في موسم سنة (٤٨٩) ثم عاد الى بغداد وصحب بها ابا بكر الشاشي وابا حامد الغزالي وغيرهما من العلماء والادباء ثم صدر عنهم ولقي بمصر والاسكندرية جماعة من المحدثين فكتب عنهم واستفاد منهم وأفادهم ثم عاد الى الاندلس سنة (٤٩٣) وقدم الى اشبيلية بعلم كثير لم يدخل أحد بمثله ممن كانت له رحلة الى المشرق . وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها . مقدماً في المعارف كلها متكلما في انواعها ، نافذاً فيها جميعها ، حريصا على ادائها ونشرها ، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها . ويجمع الى ذلك كله آداب الاخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف ، وكثرة الاحتمال وكرم النفس ، وحسن العهد وثبات الود

استقضى ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه، وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة ثم صرف عن القضاء واقبل على نشر العلم وبثه

قال ابن بشكوال وسألته عن مولده فقال ولدت ليلة الخميس لثمان بقين من من شعبان سنة (٤٦٨)

توفي بالعدوة ودفن بمدينة فاس في

شهر ربيع الآخر سنة (٥٤٣)

له مصنفات عديدة منها كتاب عارضة الاحوذى فى شرح الترمذى وغيره معنى العارضة القدرة على الكلام والاحوذى الخفيف فى الشىء لحذقه

ابن العربى — هو محمد بن علي ابن محمد بن احمد بن عبدالله الشيخ محي الدين ابو بكر الطائى الحاتمى الاندلسى المعروف بابن العربى الصوفى الاشهر

ولد فى شهر رمضان سنة (٥٦٠) بمرسية ذكر انه سمع بمرسية من ابن بشكوال وسمع ببغداد ومكة ودمشق وسكن بلاد الروم

زاره ملك الروم يوما فلما عاد قال هذا رجل تذعن له الاسود . فسئل محي الدين عن ذلك . فقال خدمت بمكة بعض الصلحاء فقال لى يوما : الله يذل لك أعز خلقه ؛ أو كما قال

وقيل ان ملك الروم أمر له بدار تساوى مائة الف درهم فلما كان يوما قال له بعض السؤال شيء لله ، فقال مالى غير هذه الدار خذها لك

كان محي الدين على مذهب داود الظاهرى فى العبادات باطنى النظر فى الاعتقادات ثم حج ولم يرجع الى بلده برع فى علم التصوف وله فيه مصنفات كثيرة . ولقى جماعة من العلماء والمتعبدين

قال الشيخ شمس الدين عنه: «وله توسيع فى الكلام وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيق فى التصوف وتآليف جمة فى العرفان . ولولا شطحه فى الكلام لم يكن به بأس . ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته فيرجي له الخير »

وقال الشيخ قطب الدين اليونينى فى ذيله على المرآة وكان يقول أنا اعرف اسم الله الاعظم واعرف الكيمياء

قال محيى الدين بن العربى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت يارسول الله ايما افضل الملك أو النبى ؟ فقال الملك . فقلت يارسول الله أريد على هذا برهان دليل اذا ذكرته عنك اصدق فيه. فقال ما جاء عن الله تعالى انه قال من ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه

عظمه الشيخ جمال الدين بن الزملكانى فى مصنفه الذى عمله فى الكلام على الملك والنبى والصديق والشهيد فقال فى الفصل الثانى فى فضل الصديقية قال

الشيخ محي الدين بن العربي البحر الزاخر في المعارف الالهية . وذكر من كلامه جملة . ثم قال في آخر الفصل : انما نقلت كلامه وكلام من يجرى مجراه من اهل الطريق لأنهم اعرف بحقائق هذه المقامات وابصر بها لدخولهم فيها وتحققهم بها ذوقا والمخبر عن الشيء ذوقا مخبر عن اليقين فاسئل به خبيرا . انتهى

من تصانيف محي الدين بن العربي الفتوحات المكية يقع في عشرين مجلدا ، والتدبيرات الالهية ، والتنزلات الموصلية وفصوص الحكم . وقد عمل ابن سويدكين شرحا عليها سماه نقش الفصوص . والاسرا الى المقام الأسرى . وشرح خلع النعلين . والاجوبة المسكتة عن سؤالات الحكيم الترمذى . وتاج الرسائل . ومنها الوسائل . وكتاب العظة . وكتاب السبعة وهو كتاب البيان . والحروف الثلاثة التي انعطف واخرها على اوائلها . والتجليات ومفاتيح الغيب . وكتاب الحق . ومراتب علوم الوهب . والاعلام باشارات اهل الالهام . والعبادة والخلو . والمدخل الى معرفة الاسماء . وكنه ما لا بد منه . والبقاء وحلية الابدال . والشروط فيما يلزم اهل طريق الله تعالى من الشروط . واسرار الخلوة . وعقيدة أهل السنة . والمقنع في ايضاح السهل الممتنع . واشارات القولين . وكتاب الهو بقرالأحدية . والاتحاد العشقي والجلالة والازل والقسم وعنقاء مغرب . وختم الاولياء . وشمس المغرب . والشواهد . ومناصحة النفس . واليقين . وتاج التراجم . والقطب . والامامين . ورسالة الانتصار . والحجب . والانفاس العلوية في المكاتبة . وترجمان الاشواق والذخائر والاعلاق في شرح ترجمان الاشواق . ومواقع النجوم . ومطالع أهلة الاسرة . والمواعظ الحسنة . والمبشرات . وخطبة ترتيب العالم . والجلال والجمال ، ومشكاة الانوار فيما روى عن الله عز وجل من الاخبار . وشرح الالفاظ التي اصطلحت عليها الصوفية . ومحاضرات الابرار ومسامرات الاخيار خمس مجلدات وغير ذلك

كان محي الدين بن العربي من الذين يصرحون بالمعارف الالهية التي يحظر علماء الشرع التصريح بها بحجة انها معارف ذوقية لا تحسن العبارات تأديتها بالالفاظ الاصطلاحية . ولكن محي الدين

ابن العربي ملأ الدنيا بها نثرا وشعرا فاعتبره الصوفية امامهم الاعظم حتى لقبوه بالشيخ الأكبر ومن اطلع على كتبه وكان واقفا على مرامي الفلسفة الروحانية العصرية تحقق انه سبق كل متكلم في هذه المعارف العالية ، فلا يقال الآن مهما علا وغلا الا هو مقتبس من كلامه ، أو صدر ممن هو منته الى مثل ماانتهى اليه .

وقد روى ان محيي الدين بن العربي قال : خضت بحراً وقفت الانبياء على ساحله

من شعره قوله :

اذا حل ذكركم خاطرى
فرشت خدودى مكان التراب
وأقعد فى الذل على بابكم
قعود الاسارى لضرب الرقاب

ومن شعره قوله :

نفسى الفداء لبيض خرّد عُرُب
لعبن بى عند لثم الركن والحجر
ماأستدل اذا ماتهت خلفهم
الا بريحهم من طيب الاثر
غازلت من غزلى فيهن واحدة
حسناء ليس لها أخت من البشر
ان أسفرت عن محياها أرتك سنى
مثل الغزالة اشراقا بلا غير
للشمس غرتها لليل طرتها
شمس وليل معا من أحسن الصور

ومن قوله :

سلام على سلمى ومن حل بالحمى
وحق لمثلى رقة ان يسلما
وماذا عليها أن ترد تحية
علينا ولكن لا احتكام على الدمى
سروا وظلام الليل أرخى سدوله
فقلت لها صبا غريبا متيما
فأبدت ثناياها واومض بارق
فلم أدر من شق الحنادس منهما
وقالت اما يكفيه انى بقلبه
يشاهدنى فى كل وقت أما أما

وقال ايضا :

درست عهودهم وان هواهم
ابداً جديداً فى الحشا مايدرس
هذى طلولهم وهذى الادمع
ولذكرهم ابداً تذوب الانفس
ناديت خلف ركابهم من حبهم
يامن غناه الحس هاأنا مفلس
ياموقداً ناراً رويداً هذه
نار الصبابة شأنكم فلتقبسوا

وقال أيضا .

ناحت مطوقة فحن حزين
وشجاه ترجيع لها وحنين
جرت الدموع من العيون تفجعا
لحنينها فكأنهن عيون
طارحتها ثكلى بفقد وحيدها
والثكل من فقد الوحيد يكون
بي لاعج من حب رملة عالج
حيث الخيام بها وحيث العين
من كل فاتكة اللحاظ مريضة
أجفانها لظبا اللحاظ تكون
مازلت أجرع دمعتي من علق
اخفي الهوى عن عاذلي واصون
حتى اذا صاح الغراب ببينهم
فضح الفراق صياحه المحزون
وصلوا السرى قطعوا البرى فلعيسهم
تحت المحامل رنة وأنين
عاينت أسباب المنية عندما
أرخوا أزمتها وشد وضين
ان الفراق مع الغرام لقاتل
صعب الغرام مع اللقاء يهون
مالي عزول في هواها انها
معشوقة حسناء حيث تكون

ومن قوله ايضا :

ليت شعري هل دروا
اي قلب ملكوا
وفؤادي لو دري
أي شعب سلكوا
أتراهم سلموا
أم تراهم هلكوا
حار ارباب الهوى
في الهوى وارتبكوا

ومن شعره قوله :

مرضي من مريضة الاجفان
عللاني بذكرها عللاني
شدت الورق في الرياض وناحت
شجو هذا الحمام مما شجاني
ياطلولا برامة دارسات
كم حوت من كواعب وحسان
بأبي طفلة لعوب تهادى
من بنات الخدور بين الغواني
طلعت في العيان شمسا فلما
أعلنت أشرقت بأفق جناني
ياخليلي عرجا بعناني
لأرى رسم دارها بعياني
واذا مابلغتما الدار حطا
وبها صاحباي فلتبكيان

وقفا بى على الطلول قليلا
تتباكى أوأبك مما دهانى
واذكرا لى حديث هند ولبنى
وسليمى وزينب وعنان
ثم زيدا من حاجر وزرود
خبراً عن مراتع الغزلان
طال شوقى لطفلة ذات نثر
ونظام ومنبر وبيان
من بنات الملوك من دار فرس
من أجل البلاد من اصفهان
هى بنت العراق بنت إمام
وأنا ضدها سهيل اليمانى
هل رأيتم ياسادتى أوسمعتم
ان ضدين قط يجتمعان
لو ترونا برامة نتعاطى
أكؤسا للهوى بغير بنان
والهوى بيننا يسوق حديثا
طيبا مطربا بغير لسان
لرأيتم مايذهل العقل فيه
يمن والشآم معتنقان
كذب الشاعر الذى قال قبل
وبأحجار عقله قد رمانى
أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استهلت
وسهيل اذا استهل يمانى

كل اشعار محي الدين بن العربى على هذا النسق يرمى بها الى أغراض علوية ، فى قوالب غزلية ، على أسلوب الصوفية

ولد فى شهر رمضان سنة (٥٦٠) بمرسية من الاندلس وتوفى فى ربيع الآخر سنة (٦٣٨)

﴿ عربد ﴾ السكران ساء خلقه

(العِرْبِد) الكثير العربدة

(العِرْبِدُ) الحية والارض الخشنة

(العِرَبَدّ والعِرْبِدّ) الشديد من كل شىء تقول : (غضب غضبا عِرِبِدّا)

﴿ العِرْبِس ﴾ المتن المستوى من الارض

(العَرْبسيس) الداهية

﴿ عربض ﴾ العُرابض الغليظ

(العِرْباض والعِرَبْض) الغليظ الشديد من الناس ومن الابل . والاسد الثقيل العظيم

(العُرَابِض) الغليظ

﴿ عربنه ﴾ أعطاه العربون

(العَربون والعُربون) هو ماعقد

به المبايعة من الثمن اوهو أن يشترى الرجل شيئا او يستأجره ويعطى بعض الثمن أو الاجرة ثم يقول ان تم العقد احسبنا والا فهو لك ولا آخذه منك

﴿عرتب﴾ العَرْتبة الانف وقيل ما لان منه. وقيل الدائرة تحته وسط الشفة أو طرف وترة الانف

﴿عرتم﴾ العَرْتمة مقدم الانف أو مابين وترته والشفة او الدائرة عند الانف وسط الشفة العليا

يقال : (فعله على عَرْتمته) اى رغم انفه

﴿عرثه﴾ يعرُثه عرثا انتزعه وقيل دلكه

﴿عرَج﴾ الرجل فى السلم يعرُج عُروجا ومَعرجا ارتقى

(عُرِج به) صُعد به

(عرَج فى الشىء وعلى الشىء) يعرُج ويعرِج عروجا رقى

(عرَج الرجل) اصابه شىء فى رجله فخمع ومشى مشية العُرْجان وليس بخلقة فهو (عارج)

فاذا كان ذلك خلقة قيل (عرِج يعرَج عَرَجا) أو عرُج يعرُج عرَجا أو عرِج يعرُج فهو (اعرج وهى عَرْجاء) جمعه عُرْج وعُرْجان

(عرِجت الشمس) تعرَج غابت أو انفرجت نحو الغرب

(عرَّج الرجل) دخل فى وقت غيبوبة الشمس ووقف ولبث ومال من جانب الى جانب

(عرَّج البناء) ميله

(عرَّج على الشىء) أقام عليه

(عرَّج عنه) عدل عنه

(أعرج فلان) حصل له عَرْج أى قطيع من الابل

(أعرجه) وهبه عَرْجا من الابل

(العَرْج) القطيع من الابل ... الثمانين او منها الى تسعين أو مائة وخمسين أو من خمسمائة الى الف . جمعه أعراج وعُروج

(العَرَج) ان تطول احدى الرجلين على الاخرى أو ان يصيبها شىء فيخمع صاحبها

(العَرَج) النهر والوادى لانعراجهما

(العَرَجان) مشية الأعرج

(العَرِجة) مايعرج عليه اى يقام عليه ويقال له العُرْجة ايضا

(امر عَريج) أي لم يحكم
(العُرَيجاء) الهاجرة. وان يأكل الانسان كل يوم مرة
(اعرنجج الرجل) جد في الامر
(تعرّج البناء) مال. و (تعرّج فلان على المنزل) حبس مطيته عليه وأقام
(تعارج) تكلف العرج وليس به
(انعرج) الشيء انعطف واعوج
و (انعرج القوم عن الطريق) مالوا عنه
و (انعرج الطريق) مال
(الأُعَيرج) حية صماء لاتقبل الرقة وتقفز كالأفعى
(التّعَرّج والتعريج) الاقامة
(مُنعرَج الوادي) منعطفه يمنة ويسرة
(المعراج والمعرَج) السلم والمصعد جمعه مَعاريج ومَعارج
﴿المعراج﴾ ليلة المعراج هي التي روى ان النبي صلى الله عليه وسلم عرج فيها الى السماء بعد الاسراء به الى بيت المقدس وقد ورد مافسر به ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى:
« والنجم اذا هوى، ماضل صاحبكم وماغوى، ومايَنطق عن الهوى، ان هو الا وحي يوحى، علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الاعلى، ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو ادنى، فأوحى الى عبده ماأوحى، ماكذب الفؤاد مارأى، أفتمارونه على مايرى، ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، اذ يغشى السدرة ما يغشى، مازاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى »
ولقد كان هذا المعراج بعد ان أُسرى به صلى الله عليه وسلم من مكة الى بيت المقدس ليلا وقد ورد مافسر به ذلك في قوله تعالى:
« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير »
جاء في السيرة النبوية والآثار المحمدية للعلامة السيد أحمد زيني دحلان مفتى الشافعية بمكة قال:
« اعلم انه لاخلاف في الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاء بتفصيله وشرح عجائبه احاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من النساء والرجال نحو

الثلاثين . ومن ثم حمل بعضهم اختلاف روايات الاحاديث على تعدد الاسراء وانه وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات وأكثر وكان واحد منها بجسده وروحه وباقيها فى المنام . وكان صلى الله عليه وسلم لا يرى شيأ فى اليقظة الا بعد أن يريه الله فى المنام

« فبعض تلك الاسراءات التى كانت فى المنام سابق على الذى فى اليقظة وبعضها متأخر وكان الاسراء بجسده وروحه سنة احدى عشرة من البعثة . وقيل قبل الهجرة بسنة . قيل فى شهر ربيع الاول وقيل فى رمضان . وقيل فى شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس . وكان ليلة الاثنين كبقية أطواره صلى الله عليه وسلم من الولادة والهجرة والوفاة . وقيل ليلة الجمعة . وكان الاسراء الى بيت المقدس والعروج به صلى الله عليه وسلم الى السموات ليطلع على عجائب الملكوت، كما قال تعالى لنريه من آياتنا . والا فالله تعالى لا يحويه زمان ولا مكان . ورأى ربه تعالى تلك الليلة وأوحى الى عبده ما أوحى وفرض عليه خمس صلوات وجمع الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم فى بيت المقدس ثم استقبلوه فى السموات ورجع صلى الله عليه وسلم من ليلته مكة . فلما أصبح أخبر الناس بما رآه فصدقه الصديق وكل من آمن ايمانا قويا وكذبه الكفار واستوصفوه بيت المقدس فوصفه لهم وسألوه عن أشياء فى المسجد . فمثل بين يديه فجعل ينظر اليه ويصفه ويعد أبوابه بابا بابا فيطابق ما عندهم ؛ وسألوه عن عير لهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها . فكان كما أخبر . وكل ذلك مشهور فى الكتب مسطور فلا حاجة لنا الى الاطالة به لان قصة الاسراء والمعراج قد افردت بالتآليف

« وفى السيرة الحلبية أن صخرة بيت المقدس لما أراد جبريل عليه السلام ان يربط البراق لانت له فصادت كهيئة العجين فخرقها وربط البراق بها

« قال الامام أبو بكر بن العربى فى شرح الموطأ : « صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فانها صخرة قائمة فى وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذى يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ؛ فى أعلاها من جهة الجنوب قدم النبى صلى الله عليه وسلم ، حين صعد عليها ومن الجهة

الآخرى اصابع الملائكة التى أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التى انفصلت من كل جهة فهى معلقة بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من ان أدخل تحتها لانى كنت أخاف أن تسقط على بسبب ذنوبى . ثم بعدمدة دخلتها فرأيت العجب العجاب ، تمشى فى جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شىء ولا بعض شىء ، وبعض الجهات أشد انفصالا من بعض» . انتهى

« يروى أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع الى مكة من ليلته فأخبر بمسراه أم هانىء بنت أبى طالب أخت على رضى الله عنه وعنها وانه يريد أن يخرج الى قومه يخبرهم بذلك لانه ما أحب أن يكتم قدرة الله ، وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم ، فتعلقت بردائه ام هانىء وقالت أنشدك الله، أى أسألك به يا ابن عمى ان لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك . وفى رواية انى أذكرك الله أن تأتى قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك . فضرب بيده على ردائه فانتزعه منها . قالت وسطع نور عند فؤاده كاد يخطف بصرى فخررت ساجدة فلما رفعت رأسى فاذا هو قد خرج ، قالت فقلت لجاريتى نبعة (وكانت حبشية وهى معدودة فى الصحابة رضى الله عنها) اتبعيه وانظرى ماذا يقول فلما رجعت اخبرتنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش فى الحطيم ، وهو ما بين الكعبة والحجر الاسود وقيل ما بين الركن والمقام وذلك النفر الذى انتهى اليهم المطعم بن عدى وابو جهل بن هشام وأخبرهم بمسراه. وفى رواية أنه لما دخل المسجد قطع وعرف ان الناس تكذبه وما أحب أن يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه فقعد حزينا فمر به عدو الله ابو جهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم ، فقال كالمستهزىء هل كان من شىء؟ قال نعم ، أسرى بى الليلة . قال الى أين ؟ قال الى بيت المقدس . قال ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال نعم . فلم يرأن يكذبه مخافة أن يجحده (اى ينكره صلى الله عليه وسلم الحديث الذى حدث به ان دعا قومه اليه) . قال أرأيت ان دعوت قومك أن تحدثهم بما حدثتنى؟ قال نعم . قال يامعشر

بنى كعب بن لؤى ؟ فانفضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما . فقال حدث قومك بما حدثتنى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أسرى بى . قالوا الى أين ؟ قال الى بيت المقدس فنشر لى رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم . قال ابو جهل كالمستهزىء صفهم لى . قال اما عيسى عليه السلام ففوق الربعة ودون الطويل ، يعلوه حمرة كأنما يتحادر عن لحيته الجمان . وفى رواية كأنما خرج من ديماس اى حمام . واما موسى فضخم آدم طويل كأنه من رجال شنوأة . وأما ابراهيم فانه والله لأشبه الناس بى خلقا وخلقا ، وفى رواية لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه . يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم . فلما سمعوا ذلك ضجوا وأعظموا ذلك الاسراء وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجباً . وقال المطعم بن عدى كان امرك قبل اليوم امرا يسيرا غير قولك اليوم وهو يشهد أنك كاذب . نحن نضرب اكباد الابل الى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً تزعم انك أتيته فى ليلة واحدة . واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذى تقول قط

« فقال أبو بكر رضى الله عنه : يامطعم بئس ماقلت لابن أخيك ، جبهته (أى استقبلته بالمكروه) وكذبته أنا أشهد انه صادق

« وفى رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا أسلموا . وحينئذ فقول المواهب فصدقه الصديق وكل من آمن بالله فيه نظر ، الا أن يراد من ثبت على الايمان ، وفى رواية فسعى رجال من المشركين الى أبى بكر رضى الله عنه فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس . قال وقد قال ذلك ؟ قال نعم . قال لئن قال ذلك لقد صدق . قال أتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال نعم انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك . أصدقه فى خبر السماء فى غدوة وروحة . (اى لأنه يخبرنى ان الخبر يأتيه من السماء الى الارض فى ساعة من ليل او نهار فأصدقه فمجىء الخبر له من السماء بواسطة الملك أعجب مما تعجبون منه) . فقال المطعم يامحمد صف لنا بيت المقدس اراد بذلك

اظهار كذبه . فعرف الصديق رضى الله عنه فصدقه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكذب قط . قال ابو بكر رضى الله عنه صفه لى يارسول الله ، فانى قد جئته اراد بذلك اقامة البرهان على قومه بظهور صدقه صلى الله عليه وسلم . فجاء جبريل بصورته ومثله فجعل يقول باب منه فى موضع كذا وباب منه فى موضع كذا وابو بكر رضى الله عنه يقول اشهد انك رسول الله حتى اتى على اوصافه

«وفى رواية عنه صلى الله عليه وسلم قال لما كذبتنى قريش وسألتنى عن اشياء تتعلق ببيت المقدس لم اثبتها قالوا كم للمسجد من باب ؟ فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله قط فجلا الله لى بيت المقدس

«وفى رواية فجيء بصورته وانا انظر اليه فطفقت اخبرهم عن آياته اى علاماته وكانوا يعلمون انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط ، فكان يخبرهم بما يعرفونه وابو بكر رضى الله عنه يصدقه على كل مقالة يقولها . فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من الوصف ولم يخطىء فى شيء . قالوا صدق الوليد بن المغيرة (اى فى قوله انه ساحر) فأنزل الله تعالى: « وماجعلنا الرؤيا التى اريناك الافتنة للناس »

«قالت نبعة جارية ام هانىء. وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ ياابا بكر ان الله قد سماك الصديق . ومن ثم كان على رضى الله عنه يحلف بالله تعالى ان الله تعالى انزل اسم ابى بكر الصديق من السماء رضى الله عنه

« وفى رواية ان كفار قريش لما اخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ووصفه لهم ، قالوا ماآية ذلك يامحمد ؟ اى ماالعلامة الدالة على هذا الذى اخبرت به فاننا لم نسمع بمثل هذا قط ؟ أرأيت فى مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك ؟ (اى لان وصفك لبيت المقدس يحتمل ان تكون حفظته عمن ذهب اليه) قال آية ذلك انى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا فأنفر عيرهم حس الدابة (يعنى البراق) فندّ لهم بعير فدللتهم عليه وانا متوجه الى الشام . ثم اقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء فكشفت غطاءه وشربت مافيه . ثم غطيت عليه

كما كان

« وفي رواية فعثرت الدابة (يعني البراق) فقلب بحافره القدح الذي فيه الماء الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة (والمراد الوضوء اللغوي) ثم قال صلى الله عليه وسلم وانتهيت الى عير بني فلان فنفرت من الدابة (يعني البراق) وبرك منها بعير احمر عليه جوالق مخطوط ببياض لا ادري اكسره البعير ام لا

« وفي رواية ثم انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا كذا فيه جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر . وأضلوا بعيراً لهم قد جمعه فلان بدلالتي لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فلما قدموا سألوهم عن ذلك كله فقالوا كله صدق . فقالوا صدق الوليد (أي في قوله انه ساحر) ثم قالوا له صلى الله عليه وسلم متى تجيء عير بني فلان فقال يأتوكم يوم كذا يقدمهم جمل أورق عليه مسح آدم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجيء حتى كادت الشمس ان تغرب اودنت للغروب فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير كما وصف صلى الله عليه وسلم

«قال الامام السبكي :

وشمس الضحى طاعتك عند مغيبها
فما غربت بل وافقتك بوقفة

« فأما اهل الايمان الكامل كأبي بكر رضي الله عنه فازدادوا ايمانا الى ايمانهم واما اهل الكفر والعناد فازدادوا طغيانا على طغيانهم قال تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس ». ومع ذلك لم يخبرهم صلى الله عليه وسلم بشيء مما شاهده من عجائب الملكوت . وقد افردت قصة الاسراء والمعراج بالتأليف وقد أشار صاحب الهمزية اليها بقوله :

فطوى الارض سائراً والسموا
ت العلى فوقها له اسراء
فصف الليلة التي كان للمخـ
تار فيها على البراق استواء
وترقى بها الى قاب قوسيـ
ن وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الاماني حسرى
دونها ما وراءهن وراء

انتهى ما نقلناه من السيرة النبوية

لمؤلفها الشيخ احمد زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة على مافيها من الروايات التي لا تحتمل النقد كوقفة الشمس وغيرها، وليس المقام هنا مقام مناقشة في صحة هذه الروايات وانما غرضنا ان نثبت اولا ماقيل عن الاسراء والمعراج ثم نتبعه برأينا الخاص في هذه المسألة الخطيرة

اما المعراج وهو ماروى عن عروجه صلى الله عليه وسلم الى السماء فقد روى عنه حديث مشهور نثبته هنا بنصه :

روى عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسرى به فقال :

« بينا انا في الحطيم (وربما قال في الحجر) مضطجعا اذا اتاني فشق ما بين هذه الى هذه يعني من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطشت من ذهب مملوء ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد

«وفي رواية ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملىء ايمانا وحكمة ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد ارسل اليه ؟ قال نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء . ففتح ، فلما خلصت فاذا فيها آدم . فقال هذا ابوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد علىّ السلام . ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى اتى السماء الثانية فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد ارسل اليه ؟ قال نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء . ففتح . فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة . قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما . فسلمت فردا . ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد ارسل اليه ؟ قال نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء . ففتح ، فلما خلصت اذا يوسف . قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد . ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى اتى السماء الرابعة

فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك؟قال محمد . قيل وقد ارسل اليه ؟ قال نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء . ففتح . فلما خلصت فاذا ادريس.قال هذا ادريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد . ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح.ثم صعدبي حتى اتى السماء الخامسة . فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد ارسل اليه ؟ قال نعم. قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء.فلما خلصت فاذا هرون . قال هذا هرون فسلم عليه، فسلمت عليه فرد . ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى اتى السماء السادسة،فاستفتح. قيل من هذا؟ قال جبريل . قيل ومن معك؟ قال محمد. قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت فاذا موسى . قال هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام . ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح . فلما تجاوزت بكى قيل ما يبكيك ؟ قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من امتي . ثم صعد بي الى

السماء السابعة فاستفتح جبريل ؛ قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد بعث اليه ؟ قال نعم. قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء.فلما خلصت فاذا ابراهيم . قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام . ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح.ثم قال رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى، فاذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران . قلت ما هذان ياجبريل ؟ قال أما الباطنان ، فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات . ثم رفعت الى بيت المعمور ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل . فأخذت اللبن فقال هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك . ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم . فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت؟ قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف لأمتك . فرجعت

فوضع عنى عشرا . فرجعت الى موسى فقال مثله . فرجعت فوضع عني عشرا . فرجعت الى موسى فقال مثله . فرجعت فوضع عني عشرا . فرجعت الى موسى فقال مثله . فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم وليلة . فرجعت الى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم . فرجعت الى موسى فقال بما أمرت ؟ قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم وليلة . قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم . وانى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف لأمتك . قال قلت سألت ربى حتى استحييت ولكني ارضى واسلم : قال فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتى وخففت عن عبادى

«وروى ثابت عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته فى الحلقة التى يربط بها الانبياء. قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاء لى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن. فقال جبريل اخترت الفطرة. ثم عرج بنا الى السماء وقال فى السماء الثالثة واذا أنا بيوسف اذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير وقال فى السماء السابعة فاذا أنا بابراهيم مسنداً ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه . ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال . فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فأوحى الله الىّ ما أوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى : وقال : ولم أزل أرجع بين ربى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة. ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشراً . ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة

«عن ابن شهاب عن أنس رضى الله عنه قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال فرج عني سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى فعرج بى الى السماء . فلما جئت الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح فلما فتح علونا السماء الدنيا اذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر جهة شماله بكى فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح فقلت لجبريل من هذا ؟ قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التى عن شماله اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى

«وقال ابن شهاب رضى الله عنه فأخبرنى ابن حزم ان ابن عباس رضى الله عنه وابا حبة الانصارى كانا يقولان قال النبى صلى الله عليه وسلم ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الاقلام

«وقال ابن حزم وأنس قال النبى صلى الله عليه وسلم ففرض الله على امتى خمسين صلاة فرجعت حتى مررت على موسى فراجعنى فوضع شطرها ، وقال فى الآخر فراجعته فقال هى خمس وهى خمسون ما يبدل القول لدى. فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت استحييت من ربى. ثم انطلق بى حتى انتهى بى الى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدرى ما هى ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك

عن عبد الله قال : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السابعة اليها ينتهى ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال (اذ يغشى السدرة ما يغشى) قال فراش من ذهب قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من امته شيئا • المقحمات

«عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله

فرفعه الله تعالى لى انظراليه ما يسألوننى عن شىء إلا أنبأتهم ولقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلى فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوأة واذا عيسى قائم يصلي اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى واذا ابراهيم قائم يصلى اشبه الناس به صاحبكم ، يعنى نفسه ، فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لى قائل يامحمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه ، فالتفت اليه فبدأنى بالسلام »

(اختلاف العلماء فى الاسراء والمعراج)

نقلنا ما تقدم عن الاسراء والمعراج فيحسن بنا ان نورد اختلاف العلماء فيهما هل كانا بالجسد والروح معا ام بالروح وحدها ؟

قال العلامة نظام الدين الحسن النيسابورى فى تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان :

«واعلم ان الاكثرين من علماء الاسلام اتفقوا على انه اسرى بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاقلون على انه ما أسرى الا بروحه

« حكى محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة انه قال كان ذلك رؤيا « وانه ما فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عرج بروحه . وحكى هذا القول عن عائشة ايضا

« وقد احتج على هذا القول بوجوه منها : ان الحركة الجسمانية البالغة فى السرعة الى هذا الحد غير معقولة ، ومنها ان صعوده الى السموات يوجب انخراق الفلك . ومنها انه لو صح ذلك لكان من اعظم معجزاته فوجب ان يكون بمحضر من الجم الغفير حتى يستدلوا بذلك على صدقه . وما الفائدة فى اسرائه ليلا على حين غفلة من الناس ؟ ومنها ان الانسان عبارة عن الروح وحده لانه باق من اول عمره الى آخره ، والاجزاء البدنية فى التغير والانتقال ، والباقى مغاير للمتغير ، ولان الانسان يدرك ذاته حين مايكون غافلا عن جميع جوارحه واعضائه . ومنها قوله سبحانه وتعالى وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ، وماتلك الرؤيا الا حديث المعراج وانما كانت فتنة الناس لان كثيراً ممن آمن به حين سمعها ارتد وكفر به . ومنها ان حديث المعراج الجسمانى اشتمل على اشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه بماء زمزم وركوبه البراق وايجاب خمسين

صلاة فان ذلك يقتضى نسخ الحكم قبل حضور وقته وانه يوجب البداء

« أجاب الاكثرون عن الاول بأن حركة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى فوق الفلك الاعظم لم يكن الا نصف قطر الفلك ونسبة نصف القطر الى نسبة الدور نسبة الواحد الى ثلاثة أمثال وسبع وهى نصف حركة الفلك فى يوم بليلته ، واذا كان الاكثر واقعا فالاقل بالامكان أولى ، ولو كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم فى ليلة واحدة ممتنعا لكان القول بنزول جبريل من العرش الى مكة فى لحظة واحدة ممتنعا لأن الملائكة ايضا اجسام عند جمهور المسلمين . وكذا القول فى حركات الجن والشياطين وقد سخر الله تعالى الريح لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر وقد قال الذى عنده علم الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ، وكان عرش بلقيس فى اقصى اليمن وسليمان فى الشام وعلى قول من يقول ان الابصار بخروج الشعاع فانما ينتقل شعاع العين من البصر الى الكواكب الثابتة فى آن واحد فيثبت ان المعراج أمر ممكن فى نفسه واقصى ما فى الباب الاستبعاد وخرق العادة ، ولكنه ليس مخصوصاً بهذه الصورة وانما ذلك امر حاصل فى جميع المعجزات ، وعن الثانى ان انخراق الافلاك عند حكماء الاسلام جائز ، وعن الثالث ان فائدة الاسراء قد عادت اليه حيث شاهد العالم العلوى والعرش والكرسى وما فيها وعليها فحصل فى قلبه زيادة قوة وطمأنينة بها انقطعت تعلقاته فى الكونين ولم يبق مشغول القلب بشىء من امور الدنيا والآخرة . وعن الرابع ان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد . وعن الخامس ان تلك الرؤيا هى غير حكاية المعراج كما سيجىء فى تفسيره ولو سلم انها هى المعراج فالرؤيا بمعنى الرؤية . وعن السادس انه لا اعتراض على الله تعالى فى شىء من أفعاله وأنه على كل شىء قدير »

« واعلم أنه ليس فى الآية دلالة على العروج من بيت المقدس الى السموات والى ما فوق العرش الا أنه ورد فى الحديث به ، ومنهم من استدل على ذلك بأول سورة النجم أو بقوله لتركبن طبقا عن طبق ، وتفسيرهما مذكور فى موضعه

هذا ماقاله العلامة نظام الدين

الحسن النيسابوري فى تفسيره أما تفسير سورة النجم فهو كما ورد فى تفسير القاضى البيضاوى

(والنجم اذا هوى) أقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه ، اذا غاب او انتثر يوم القيامة أو انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهو بالضم اذا علا وصعد ، او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نما وارتفع على قوله (ماضل صاحبكم) ماعدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الصراط المستقيم (وما غوى) وما اعتقد باطلا، والخطاب لقريش والمرادمابنسبون اليه (وما ينطق عن الهوى) وما يصدر نطقه بالقرآن او الذى ينطق به (ان هو) ما القرآن أو الذى ينطق به (الاوحى يوحى) الاوحى يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له . وأجيب عنه اذا أوحى اليه بأن يجتهد كان اجتهاده ومايستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحى (شديد القوى) ملك شديد قواه وهو جبرائيل فانه الواسطة فى ابداء الخوارق • روى انه قلع قرى قوم لوط رفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين (ذو مرة) حصافة فى عقله ورأيه (فاستوى) فاستقام على صورته الحقيقة التى خلقه الله تعالى عليها . قيل ما رآه أحد من الانبياء فى صورته غير محمد عليه الصلاة والسلام مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض • وقيل استوى لقوته على ماجعل له من الامر (وهو بالافق الاعلى) افق السماء والضمير لجبرائيل — (ثم دنا) من النبى (فتدلى) فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلي فدنا من الرسول فيكون اشعاره بأنه عرج به غير منفصل عن محله تقريراً لشدة قوته فان التدلى استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة يقال دلى رجله من السرير وأدلى دلوه والدوالى الثمر المعلق (فكان) جبريل كقولك هو منى معقد الازار والمسافة بينهما (قاب قوسين) مقدارهما (اوأدنى) على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحى اليه بنفس البعد الملبس (فأوحى) جبريل (الى عبده) عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها (ما أوحى) به جبريل وفيه تفخيم للوحى

به اوالله اليه . وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى . كما فى قوله هو الرزاق ذو القوة المتين . ودنوه منه برفع مكانته ، وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس (ما كذب الفؤاد ما رأى) ما رآه ببصره من صورة جبرائيل او الله تعالى اى ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر . اوما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه بصره او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا . ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل هل رأيت ربك ؟ قال رأيته بفؤادى . وقرىء ما كذب اى صدقه ولم يشك فيه (افتمارونه على ما يرى) افتجادلونه عليه ، من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب افتمرونه اى افتغلبونه فى المراء ، من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى تضمين الفعل معنى الغلبة فان المارى والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم (ولقد رآه نزلة اخرى)

مرة أخرى . فعلة من النزول : أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعاراً بأن الرؤية فى هذه المرة كانت أيضا بنزول ودنو الكلام فى المرئى : والدنو ما سبق» وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفى الريبة عن المرة الاخيرة (عند سدرة المنتهى) التى ينتهى اليها علم الخلائق او اعمالهم او ماينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهى شجرة النبق لانهم يجتمعون فى ظلها وروى مرفوعاً انها فى السماء السابعة (عندها جنة المأوى) الجنة التى يأوى اليها المتقون اوأرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد . وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها (مازاغ البصر) ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وماطغى) وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدا عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها وما جاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) اى والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة

المعراج وقد قيل انها المعينة بمارأى ويجوز ان تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اى شيء من آيات ربه او من مزيدة »

(رأينا فى هذه المسألة) اتينا فى الفصلين المتقدمين على جمهور ماقاله رجال العلم فى مسألة الاسراء والمعراج وآن لنا ان نبدى رأينا الخاص فى هذه المسألة الخطيرة فنقول :

الاسراء بالجسد والروح من مكة الى المدينة الى بيت المقدس ممكن غير مستحيل فقد ثبت من تجارب العلماء الاوروبيين فى المسائل الروحانية ان مايسمونه الارواح تأتيهم بالزهور الندية الغضة من اقصى البلاد كالصين والهند مثلا وتنثره عليهم وهم جلوس فى الغرف الموعودة بل تأتيهم بالاشياء الثقيلة فتمرها من خلال الحوائط على مرأى منهم

ثبت هذا الامر لجمهور العلماء الذين امضوا عشرات السنين فى التجارب ودونوه فى مؤلفاتهم ولا عبرة بالتكذيبات التى يبديها بعض الجامدين من الكتاب الذين لم يحضروا هذه التجارب ولا قرأوا فيها كتابا

فاذا ثبت هذا جاز ان ينتقل نبى مرسل من بلده الى بلد قاص بطريق الاعجاز فان الله اقدر مما يسمونه الارواح على نقل الاجسام وان بعد ذلك عن متناول العقول، ولا عبرة بعجزنا عن تعليل ذلك تعليلا علميا، فقد عجز علماء اوروبا انفسهم عن تعليل نقل الازهار والاثاثات الثقيلة من الاماكن البعيدة الى غرف التجارب فانهم وان رأوا ذلك رأى العين الا انهم لايزالون حائرين فى تعليله . وقد ذهب بعضهم الى أن الارواح قبل نقل تلك الاجسام تحيلها الى هيولاها الاصلية وهى على غاية من اللطافة بحيث تتمكن ان تخترق بها الاهواء والحوائط على تلك الصورة ثم تعيدها بقوتها الى سيرتها الاولى بعد ان تحضرها ، فهل يبعد بعد هذا أن يرق الجسد الانسانى ويتلطف حتى يصير ألطف من الاثير نفسه فينتقل من بلد الى بلد ثم يعود الى ماكان عليه بخاصة فيه او بقدرة الحق سبحانه وتعالى ؟

المسئلة صعبة على العقول ولكن الذين شاهدوا بأعينهم التجارب الروحية او قرأوا امهات كتبها مما وضعه المجربون امثال الاساتذة وليم كركس وألفرد

دوسل ولاس وباركس ولودج وزولنر وهيزلوب ومابس وهار وغيرهم من الانجليز والالمان والفرنسيين لا يعد هذه المسألة من الصعوبة بمكان خطير وان أضاف الى هذا علمه بأن النواميس الطبيعية التي اكتشفناها ليست شيئا يذكر بجانب ما هو مخبوء عنا يتحقق بأن هذا الامر في ذاته لا يستحق ان ينظر اليه بأكثر مما ينظر الى الامور الصعبة التعليل ليس الا

نقول هذا وليس في القرآن ما يدل على ان الاسراء حصل جسدا وروحا ولو كان فيه ذلك لما اختلف العلماء فيه بل ولما قال مثل حذيفة وعائشة وغيرهما بأنه كان مناما لا يقظة

اما مسألة العروج الى السماء فانها مستحيلة لانه ثبت اليوم علميا بأن السماء ليست سقفا ماديا بل هي فضاء لا نهاية له تسبح فيه أجرام علوية، منها ما يحترق كالشمس ومنها ما هو بارد وعليه عوالم كعالمنا. وما ورد في القرآن مما يوهم انها سقف أو نحوه يجب تأويله عملا بالقاعدة الاسلامية التي مؤداها وجوب تأويل النص ان خالف العقل. وكون السماء سقفا يخالف العقل والحس معا كما ثبت من علم الفلك الحديث ولا يحسن بعلم أن يتشبث بآراء القدماء في المسائل الفلكية ليدافع عن مسألة جعل الله مندوحة من التورط فيها

ثم ان ما ورد من شق الصدر واخراج القلب وركوب البراق وغير ذلك كله من الامور المستحيلة عقلا وحسا فمن كان يؤمن بالاسلام وجب عليه أن يرجع الى تحكيم العقل في هذه الامور لأن الكتاب جعله القسطاس الذي نوزن به المعتقدات حتى انه قرر أن يؤول النص في كل ما يخالفه، وقد خالف هذا الامر العقل والعلم فوجب تأويل تلك النصوص. وقد سهل لنا القائلون بأن المعراج كان مناما سبيل التخلص من هذه الورطة

اذا تقرر هذا فلا شبهة عندنا بأن الاسراء والمعراج أو ان المعراج وحده كان رؤيا رآها النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى: «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس»

العَرَّة هو الرجل الذي يشين قومه

المُعْتَرّ الفقير

عرّس القوم نزلوا في السفر في

آخر الليل

(أعرس الرجل) اتخذ عرسا

(العِرّيس والعِرّيسة) مأوى الاسد

(العِرْس) امرأة الرجل او رجل المرأة

(العِرس والعُرس) طعام الوليمة

(العروس) الرجل والمرأة ماداما في أعراسهما وجمع الذكور عُرُس وجمع الاناث عرائس

﴿ ابن عرس ﴾ هو دابة تسمى بالفارسية راسو وهي حيوان دقيق كما قال القزويني يعادي الفأر ويدخل جحره ويخرجه ويعادي التمساح أيضا فان التمساح لا يزال مفتوح الفم وابن عرس يدخل فيه وينزل جوفه ويأكل أحشاءه ويمزقها ويخرج . ويعادي الحية أيضا ويقتلها

ولكننا لا نعقل ما يقوله القزويني انه يدخل الى جوف التمساح فيأكل احشاءه فان تلك الاحشاء خالية من الهواء فكيف يتسنى لابن عرس ان يبقى فيها . ثم هو معد للهضم وفيه من العصارات المذيبة الهاضمة ما لا يقوى جسم ابن عرس على تحملها فكيف لا ينهضم فيها لا نشك في أن هذا القول من المبالغات التي لا تخلو منها كتب الحيوانات القديمة

يقال اذا مرض ابن عرس أكل بيض الدجاج فشفي

قال عبد اللطيف البغدادي : وأظنه الحيوان المسمى بالدلق وانما يختلف لونه ووبره بحسب البلاد . وفي طبعه أنه يسرق ما وجد من الفضة والذهب كما يفعل الفأر وربما عادى الفأر فقتله. ولكن خوف الفأر من السنور أشد من خوفه منه

قال وهو كثير الوجود في منازل أهل مصر

قال وقد حكى من فطنته ان رجلا صاد فرخا منها وحبسه في قفص بحيث تراه امه فلما رأته ذهبت ثم جاءت وفي فمها دينار فألقته بين يديه كأنها تفتدي ولدها فلم يتركه لها فذهبت وعادت بدينار آخر حتى كمل العدد خمسا فلما رأت انه لا يطلقه ذهبت وعادت بخرقة كأنها تشير الى فراغ حاصلها فلم يكترث بها فلما رأت ذلك منه عادت الى دينار منها لتأخذه فخشي الرجل من ذلك فأطلق لها ولدها

نقول ان ما ذكره عبد اللطيف

البغدادي لا يعقل فان عمل ابن عرس هذا يقتضي ان يكون قد علم بقيمة الذهب عند بني آدم وهو مما لا يحسن التسليم به لاسباب لاتخفى على المتأمل

قال الجاحظ هو نوع من الفأر وأنشد قول أبي الشمقمق :

نزل الفأران بيتي
رفقة من بعد رفقة
وابن عرس رأس بيتي
صاعد في رأس طبقة

ثم قال يصفه :

صبغة أبصرت منها
في سواد العين زرقة
مثل هذا في ابن عرس
أغبش تعلوه بلقة

فوصفه بكونه أغبش أبلق وانه من الفأر . وهو أنواع كثيرة

﴿ عَرَش ﴾ يعرِش ويعرُش عرشا بنى بناء من خشب وهو كنصر وضرب

(عرّش الكرم) رفع دواليه على الخشب

(عرّش البئر) طواها بالحجارة

(عرّش الكرم) بمعنى عرشه

(عَرْش البيت) سقفه

(العَرْش) سرير الملك والعز

﴿ العرش ﴾ ذكر الله العرش في القرآن في غير آية فقال تعالى : « وكان عرشه على الماء » وقال : « وترى الملائكة حافين من حول العرش » وقال: « الرحمن على العرش استوى » وغير ذلك فما هو هذا العرش؟

قال بعض العلماء انه هو الكرسي المذكور في قوله تعالى «وسع كرسيه السموات والارض »

قال الحسن عن الكرسي انه جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لأن السرير قد يوصف بأنه عرش وبأنه كرسي لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه

وقيل المراد من الكرسي ان السلطان والقدرة والملك لله لان الالوهية لاتحصل الا بهذه الصفات . والعرب تسمي أصل كل شيء الكرسي . أو لأنه تسمية للشيء باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسي

قال العلامة نظام الدين الحسن النيسابوري في تفسيره

« وقيل المراد به العلم لان موضع العلم

هو الكرسى . وايضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسى الارض كما يقال هم اوتاد الارض

وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسى هناك ولا قعود ولاقاعد . واختاره جمع من المحققين كالقفال والزمخشرى . وتقريره انه يخاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوا من ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتاله يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم ، وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الاسود انه يمين الله فى ارضه . ثم جعله مقبل الناس كما تقبل ايدى الملوك وكذلك ماذكر فى القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشا فقال على العرش استوى ووصف عرشه فقال : « وكان عرشه على الماء » ثم قال « وترى الملائكة حافين من حول العرش » ثم قال : « ويحمل عرش ربك يومئذ فوقهم ثمانية » ثم أثبت لنفسه كرسياولما توافقنا ان المراد من الالفاظ الموهمة للتشبيه فى الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة فى العرش والكرسى

جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : « ثم استوى على العرش » فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وقد زيف العلماء هذا القول بوجوه عقلية ونقلية ذكرها العلامة نظام الدين النيسابورى فى تفسيره قال :

« منها استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب الذى يلى العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لامحالة الى محدث مخصص فلايكون واجبا

« ولقائل ان يقول لم لا يكون الا له تعالى نورا غير متناه ويراد استقراره على العرش بلا تناهيه أحاطته من الجوانب ونفوذه فى الكل لا كاحاطة الفلك الحاوى بالمحوى ولا كنفوذ النور المحسوس فى الشرف بل على نحو آخره تعوزه العبارة

« ومنها انه تعالى لو كان فى مكان وجهة لكان اما ان يكون غير متناه من كل الجهات او متناهيا من بعضها دون بعض ، وعلى الاول يلزم اختلاطه بجميع الاجسام حتى القاذورات ومع ذلك فالشىء

الذى حمل السموات أما ان يكون عين الشيء الذى هو محل الارض أو غيره وعلى الاول يلزم أن يكون السماء والارض حالين فى محل واحد فهما شيء واحد لا شيئان، وعلى الثانى يلزم التركيب والتجزئة فى ذاته تعالى . وأما ما كان متناهيا من الجهات فلو حصل فى جميع الاحياز فهو محال بالبديهة ، وان حصل فى حيز واحد فلو كان جوهرا فرداً لزم أن يكون واجب الوجود احقر الاشياء والا لزم التبعيض لان جهة الفوق منه تكون مغايرة لما بذاتها وكذا الكلام فيه أن كان متناهيا من بعض الجهات . ولو جاز أن يكون الشيء المحدود من جانب أو جوانب قديما أوليا فاعلا للعالم، فلم لايجوز ان يقال فاعل العالم هو الشمس والقمر او كوكب آخر، وايضا يصح على الشق المتناهى أن يكون غير متناه ، وعلى غير المتناهى أن يكون متناهياً لان الاشياء المتساوية فى تمام الماهية كل ماصح على واحد منها صح على الباقى فيصبح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفرق والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا لاواجبا قديما . ولقائل أن يقول انه غير متناه ولا يلزم من ذلك أن يكون محلا للعالم، ولا حالا فيه واستصحاب الشيء للمحل غير كونه نفس المحل أو مفتقراً الى المحل ، وحديث اختلاطه بالقاذورات تخييل لا أصل له عند الرجل البرهانى

«ومنها انه لو كان البارى تعالى أزليا وان لم يكن موجوداً لزم كون العدل المحض ظرفا لغيره ومشاراً اليه بالحس وذلك باطل

« واعترض بأن ذلك أيضا ورد عليكم فى قولكم الجسم حاصل فى الحيز والجهة ؛ وأجيب بأن مكان الجسم عندنا عبارة عن السطح الظاهر من الجسم المحوى وهذا المعنى بالاتفاق فى حق الله محال فسقط الاعتراض

« ولقائل أن يقول الجهة مقطع الاشارة الحسية وهذا فى حقه محال لعدم تناهيه ، ولايجوز أن يكون المكان خلاء لزم فى الاجساد أيضا بل لابعد هناك فلا يلزم تدخل البعدين ، ولو لزم هناك ولا امتداد. ولو فرض فلن يلزم منه الانقسام فى الخارج

« ومنها انه امتنع وجود البارى تعالى بحيث لايكون مختصا بالحيز والجهة

لكانت ذاته منتقرة فى تحققها ووجودها الى غيرها فيكون ممكنا. والجواب مامر من أن استصحاب المكان لا يوجب الافتقار اليه

« ومنها أن الحيز والجهة لا معنى له الا الفراغ المحض ولان هذا المفهوم واحد فالاحياز بأسرها متساوية فى تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالي بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل ما كان فعل الفاعل المختار فهو محدث وكل مالا يخلو عن الحادث فهو أولى بالحدوث فالواجب محدث . هذا خلف

« ولقائل أن يقول مالا يتناهى لا يعقل له حيز معين ، ولو فرض لاتناهى الاحياز أيضا فانتقاره اليها ممنوع، وكيف يفتقر الشيء الى ماتأخر وجوده عن وجود ذلك الشيء، والمعية بعد ذلك لاتضر

« ومنها لو كان فى الحيز والجهة لكان مشارا اليه بالحس، ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التجزى، والا لكان نقطة أو جوهرا فردا ، فلا يبعد ان يقال له أن اله العالم جزء من الف جزء من رأس ابرة ملتصقة بذنب قملة اونملة

« ولقائل ان يقول لانسلم انه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة يستلزم كونه مشارا اليه حسا ، فان العقل يعجز عن ادراكه فضلا عن الحس وباقي الكلام لا يستحق الجواب

« ومنها كل ذات قائمة بالنفس يشار اليها بحسب الحس فلا بد ان يكون جانب يمينه مغايرا لجانب شماله فيكون منقسما ، وكل منقسم مفتقر ممكن . قالوا هذا الدليل مبنى على نفى الجوهر الفرد

« ومنها لو كان فى حيز لكان إما أعظم من العرش أو مساويا أو اصغر منه والثالث باطل بالاجماع . والأولان يستلزمان الانقسام لأن المساوى للمنقسم منقسم وكذا الزائد عليه لان القدر الذى فضل مغاير لماسواه

« ولقائل ان يقول لانسبة بين الجسم وبين نور الانوار وتستحيل هذه التقادير

« ومنها انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات كما يزعم الخصم لزم لاتناهى الابعاد وانه محال لبرهان تناهى الابعاد

« ولقائل ان يقول براهين تناهى الابعاد لاتسلم : ولو سلم فلا بعد فيما وراء

العالم الجسمانى ولا امتداد

« ومنها انه سبحانه وتعالى لو كان حاصلا فى الحيز وكونه هناك اما ان يمنع من حصول جسم آخر فيه أولم يمنع، وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام فى هذا المعنى ثم انه ان لم تحصل بينه وبينها مخالفة عن سائر الوجوه كان مابه المشاركة مغايراً لما به المخالفة فيكون الواجب مركبا بل ممكنا. وأيضا ان مابه المشاركة وهو طبيعة البعد والامتداد اما أن يكون محلا لما به المخالفة او حالا فيه اولا هذا ولا ذاك. فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه والامور التى بها حصلت المخالفة اعراض وصفات واذا كانت الذوات متساوية فى تمام الماهية وكل مايصح على بعض الاجسام من التفرق والتمزق والنمو والذبول والعفونة والفساد يصح على ذاته تعالى

« وان كان ما به المخالفة محلا وذوات وما به المشاركة حالا وصفة فذلك المحل ان كان له أيضا اختصاص بحيز وجهة فيجب افتقاره الى محل آخر لا الى نهاية والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا وامتدادا. هذا خلف

« وان لم يكن حالا ولا محلا كان أجنبيا مباينا فتكون ذات الله تعالى متساوية لتمام الاجسام فى الماهية ويلزم التشبيه. هذا محال .

« وعلى التقدير الثانى وهو ان ذاته تعالى لا يمنع من حصول جسم فى حيزه ان سريانه فى ذلك الجسم وتداخل البعدين كما مر والكل محال فالمقدم وهو كونه تعالى فى حيز محال

« ولقائل أن يقول كون البارى تعالى مع الحيز مغاير لكون الجسم فى الحيز فأين الاشتراك ، ولو سلم فالاشتراك فى اللوازم لا يوجب الاشتراك فى الملزومات فمن أين يلزم التركيب ،

« قوله فان كان محلا له كان البعد جوهراً قائما بنفسه ، قلنا كون البعد جوهرا قائما بنفسه حق، ولكن الملازمة ممنوعة . وكذا قوله الامور التى بها حصلت المخالفة أعراض وصفات لجواز قيام العرض بالعرض كالبطء والسرعة القائمين بالحركة

« قوله والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا ممنوع لما قلنا من احتمال وجود بعد مجرد بلا وجوبه والكلام فى سريانه

في الموجودات قد مر

« ومنها انه لو كان في حيز فان أمكنه التحرك بعد سكونه فيه كان المؤثر في حركته وسكونه فاعلا مختارا ، وكل فعل لفاعل مختار فهو محدث وما يخلو من المحدث اولى بأن يكون محدثا . وان لم يمكنه التحرك منه كان كالزمن المقعد العاجز ، وذلك محال. وايضا لا يبعد فرض اجسام اخرى مختصة بأحياز معينة بحيث يمتنع خروجها عنها فلا يمكن ثبات حدوث الاجسام بدليل الحركة والسكون ، والكرامية يساعدون على انه كفر

« ولقائل ان يقول ان الحركة والسكون من خواص الاجسام المفتقرة الى لحياز ، فأما النور المجرد فلا يوصف بالحركة والسكون وان كان مع الحيز والمتحيز. سلمنا وجوب اتصافه بأحدهما فلم لا يجوز انه لا يمكنه التحرك الا بكونه زمنا مقعدا ، ولكن لانه نور غير متناه لا يصح وصفه بالتخلخل ونحو ذلك فتستحيل عليه الحركة لأنها موقوفة على شغل حيز وتفريغ حيز آخر ولأن العالم النوراني الذى لانهاية له مملوءة منه فكيف يتصور خلو حيز عنه ؟

« ومنها انه لو كان مختصا بحيز فان كان لطيفا كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق وان كان صلبا كان اله العالم جبلا واقفا في الحيز العالى ، وان كان نورا محضا جاز أن تفرض هذه الانوار التى تشرق على الجدران الهاء وأيضا ان كان له طرف واحد ، فان كان ذا عمق وثخن وكان باطنه غير ظاهره ، وان كان سطحا في غاية الرقة مثل قشرة الثوم بل أرق منه الف الف مرة قلت : ان امثال هذه الكلمات لا تصدر الاعمن لا يفرق بين النور والمعقول والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادى والشيء القائم بذاته والمفتقر الى غيره ، ومن العجب العجاب ان هذا المستدل قد سمع من جمهور العقلاء ان الاجرام الفلكية لا تطاق عليها الصلابة ، واذا جاز أن يكون في أنواع الاجسام أنواع لا يمكن أن يتصف بهذين المتقابلين لان ذلك الموضع اجل واشرف من ان يتصف بأحدهما فلم لا يجوز ان يكون فيما هو أشرف من ذلك النوع شيء لا يتصف بهما

« ومنها لو كان العالم فوق العرش لكان مماسا للعرش او مباينا له ببعد متناه

أو غير متناه ، وعلى الأول فان لم يكن له ثخن فالماس مغاير لغير الماس ويلزم تركيبه وان كان مباينا ببعد متناه فلا يمتنع ان يرتفع العالم من حيزه الى اين ثانية ويعود الالزام المذكور . وان كان مباينا ببعد غير متناه لزم أن يكون غير المتناهى محصورا بين الحاصرين

« ولقائل أن يقول المباينة والمماسة من خواص الاجسام وانه تعالى نور مجرد محض فلا عليه الانصال والانفصال والتماس والتباين والتداخل واشباه ذلك

«ومنها ان الاستقراء قد دل على أن الجرمية كلما كانت أقوى كانت الفاعلية والتأثير اضعف وبالعكس ولهذا كان تأثير الارض اقل من تأثير الماء وتأثير الماء من تأثير الهواء ،وتأثير الهواء من تأثير النار بالاحراق والطبخ وتأثير النار من تأثير الافلاك المؤثرة فى العنصريات . ثم انه لا قوة أشد من قوة الواجب لذاته فيكون بريا من الحجم والجرم والكثافة والرزانة. قلت فى الاستقراء نزاع انه صحيح تام أولا ، ولكن لانزاع فى أن واجب الوجود تعالى شأنه برىء عن الحجمية والكثافة وعن كل شىء يقدح فى قيومته وههنا حجج قد أوردت فى سورة الانعام فى قوله سبحانه: « وهو القاهر فوق عباده » وقد عرفت ماعليها فهذه حجج عقلية سأل بها الامام فخر الدين الرازى رضى الله عنه فى تفسيره الكبير وقد أوردنا عليها ماكانت ترد من النوع والاعتراضات لا اعتقادا للتشبيه والتجسيم أو تقليداً لاولئك الاقوام بل تشحيذاً للذهن وتقريبا الى المعارف والحقائق،وجذبا لضبع المتأمل فى المضايق والمزالق فليختر المنصف ماأراده الله الموفق للرشاد ولعل هذا المقام مما لا يكشف المقال عنها غير الخيال والله أعلم بحقيقة الحال

ثم قال رضى الله عنه : وأما الدلائل السمعية فكثيرة منها قوله تعالى:« قل هو الله أحد » والأحد مبالغة فى كونه واحداً والذى يمتلىء منه العرش وبفضل العرش يكون مركبا من الاجزاء وذلك ينافى كونه احدا وأجيب بأنه ذات واحده حصلت فى كل الاحياز دفعة واحدة وزيف من هذا المعلوم الفساد بالضرورة ولو جاز ذلك فلم لايجوز ان يقال جميع الارض الى ماتحت الثرى جوهر واحدا وموجود واحد الاان ذلك الجزء الذى لايتجزأ حصل فى جملة الاحياز وظن انه اشياء كثيرة. قلت وهذه

مغالطة فان هذا الجزء الذى لا يتجزأ لصغره غير الشيء الذى لا يقبل التجزئة والانقسام لذاته . وأيضا المتحيز الذى له مقدار ذراع لا يشغل بالبديهة حيزين كل منهما ذراع فى ذراع فلزم منه ان لا يشغل ذينك الحيزين متحيز مقدار ضعف ذلك على أن الحق ماعرفت مرارا أن نور الانوار قيوم فى ذاته حاصل فى جميع الاشياء لامنفصل عنها انفصال المحيط عن المحاط ولا متصل بها اتصال العرض السارى فى الاجسام ولهذا لا يلزمه بانقسامها الانقسام

« ومنها قوله: « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ويلزم منه أن يكون حامل العرش حاملا للاله والجواب انك ان سميت المعية حملا فلانزاع

«ومنها قوله:« والله الغنى» فوجب ان يكون غير مفتقر الى المكان والجهة . والجواب ان الاستصحاب غير الافتقار

« ومنها أن فرعون طلب حقيقة الاله فى قوله: «وما رب العالمين » ولم يزد موسى على ذكر الاوصاف . وأما فرعون فقد طلب من فى السماء فى قوله فأطلع الى اله موسى فعلمنا ان التنزيه دين موسى ووصفه المكان والحيز دين فرعون . والجواب لا نزاع فى ان حقيقة ذاته كما هى لا يعلمها الا هو والبسائط المحضة لا تعرف الا بلوازم وطلب فرعون انما كان مذموما لانه تصور ان يكون الاله شخصا مثله على تقدير وجوده لقوله ماعلمت لكم من اله غيرى

« ومنها هذه الآية لأنها تدل على انه استقر على العرش بعد تخليق السموات والارض وكان قبل ذلك مضطربا والجواب المراد بالاستقرار انه كان ولم يكن معه شيء فاذا خلق ماخلق من عالم الاجسام والاختلاط بقى ماوراءه نورا محضا . ومنها قصة ابراهيم وتبرئه من الآفلين ولو كان جسما لكان آفلا فى أفق الامكان والجواب ان نور الانوار أجل من ذلك ولا يلزم من كونه مع جميع الاحياز ومع ماسواها أن يكون فى مرتبة الاجسام بل النفوس والعقول

« ومنها أن أول الآية اعنى قوله: « ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض » يدل على قدرته وحكمته وكذا قوله (يغشى الليل النهار) الى آخر الآية فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار

كان اجنبيا عما قبله وعما بعده لأنه ليس من صفات المدح اذ لو استقر عليه بق وبعوض صدق انه استقر على العرش فأذن المرادبالاستواء كال قدرته بيراءالملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها . والجواب ان الاستقرار بالتفسير الذي ذكرناه أدل شيء على المدح والثناء وحديث البق والبعوض جزاف وهل هو الا كقول القائل لو كان واجب القعود بقا أو بعوضا صدق عليه انه اله فلا يكون الاله دالاعلى المدح

« ومنها انه سبحانه حكم فى آيات كثيرة بأنه سماء لسا كنى العرش لأن السماء عباره عن كل ما علاوسما ومن هذا قد يسمى السحاب سماء فيلزم أن يكون خالقا لنفسه والجواب بعد تسليم ان كل ما سما وارتفع فهو سماء من غير اعتبار انه نور او جسم ان ذاته سبحانه مخصوصة بدليل منفصل كقوله (الله خلق كل شيء) هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة فى الآية قولان الاول القطع بكونه متعاليا عن المكان والجهة ثم الوقوف عن تأويل الآية وتفويض علمها الى الله والثانى الخوض فى التأويل وذلك من وجوه أحدها تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستعلاء اى الاستعلاء على الملك وثانيها ان استوى بمعنى استولى كقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق

« وثالثها ان العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك ؛ يقال استوى سرير ملكه اذ استقام له أمره واطرد وفى ضده خلا عرشه اى انتقض ملكه وفسد ؛ فالله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم بالوجه الذى ألفوه عن ملوكهم ورؤسائهم . استقرت عظمة الله تعالى فى قلوبهم الا ان ذلك مشروط بنفى التشبيه

فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تعالى لا يخفى عليه شيء . ثم علموا بعقولهم انه لم يحصل ذلك العلم بفكرة وروية ولا بأشغال خاصة

« واذا قال قادر علموا انه متمكن من ايجاد الكائنات وتكوين الممكنات. ثم عرفوا انه غنى فى ذلك الايجاد والتكوين عن الآلات والادوات وسبق المادة

والمدة والفكرة والروية وكذا القول كل من صفاته. واذا أخبر ان له بيتا يجب على عباده حجه فهموا منه انهم يقصدونه لمآربهم وحوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه وانه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به لدفع الحر والبرد واذا أمرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه انه أمرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا انه لا يفرح بذلك التحميد والتمجيد ولا يحزن بتركه والاعراض عنه ، واذا أخبر انه خلق السموات والارض ثم استوى على العرش فهموا منه انه بعد أن خلقها استوى على عرش الملك والجلال ومعنى التراخي انه يظهر تصرفه في هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلقها لان تأثير الفاعل لا يظهر الا فى القابل . وقال مسلم العرش لغة هو البناء والعارش الباني قال تعالى : «من الشجر ومما تعرشون» فالمراد انه بعد أن خلقها قصد الى تعريشها وتسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموثقة » انتهى

نقول بعد ايراد هذه الاقوال ان من ضاعة الوقت لدى محاجة الخصوم بأمثال هذه البراهين المنطقية فليس وراءها الا توسيع نطاق الكلام الى غير نهاية وكل مجادل لا يعدم كلاما يدلى به الى خصمه . والذى يثلج عليه الصدر ويرتاح له القلب هو ما قالوه من وجوب تشبيه العرش بالملك ، والاستواء بالاستعلاء اى انه استعلى على الملك ؛ او ان استوى بمعنى استولى ؛ فيكون المعنى انه تعالى استولى على الملك . او يقال كما قيل ان العرش هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك فيكون معنى استوى على العرش انه استقام له أمر الملك على الكون وما فيه وكل ما يقال غير ذلك يفضى الى التشبيه الذى يتنزه عنه البارى سبحانه وتعالى

(حملة العرش) قال تعالى: «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ (يوم القيامة) ثمانية »

قال العلامة نظام الدين الحسن النيسابورى فى تفسيره : عن الحسن لا أدرى ثمانية أشخاص أو ثمانية آلاف أو ثمانية صفوف . وعن الضحاك ثمانية صفوف ولا يعلم عددهم الا الله

«قال المفسرون الحمل على الاشخاص أولى لأن هذا أقل ما يصدق اللفظ عليه

والزائد لادليل عليه وكيف لا والمقام مقام تهويل وتعظيم فلو كان المراد ثمانية آلاف لوجب ذكره ليزداد التعظيم والتهويل ويؤيده ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى

« وروى ثمانية املاك ارجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون يسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر

« وروى ثمانية املاك فى خلق الاوعال ما بين اطراف ركبتها مسيرة سبعين عاما

« وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك . واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك . ولولا هذه الروايات لجاز ان يكون الثمانية من الروح اومن خلق آخر

« قالت المشبهة : لو لم يكن الله على العرش لم يكن لحمله فائدة وأكدوا شبهتهم بقولهم يومئذ تعرضون للمحاسبة والمساءلة فلو لم يكن الاله حاضرا لم يكن للعرض معنى . واجيب بأن الدليل على حمل الاله محال ثابت فلا بد من التأويل وهو انه تعالى خاطبهم بما يتعارفونه فخلق لنفسه بيتا تزورونه وليس ليسكن فيه ، وجعل فى ذلك البيت حجرا هو يمينه فى الارض ، اذا كان من شأنهم ان يعظموا رؤساءهم بتقبيل ايمانهم . وجعل على العباد حفظة لا لأن النسيان يجوز عليه بل لانه المتعارف ، فكذلك لما كان من شأن الملك اذا اراد محاسبة عماله ان يجلس لهم على سرير ويقف الاعوان حواليه صور الله تعالى تلك الصورة المهيبة لا لأنه يقعد على السرير » . انتهى

العريش — مدينة مصرية صغيرة قديمة جدا على بعد كيلو متر من ساحل البحر الابيض المتوسط وهى واقعة بين مصر والشام بها نخيل ورمان وبطيخ

يبلغ عدد سكانها ٢٥٠٠٠ نسمة

العَرْصة — ساحة الدار جمعها عَرَصات واعراص

عَرَض — له كذا يعرض ، وعرض يعرض عرضا كفرح ظهر عليه وبدا

(عرّض الشيء عليه) اراه اياه
(عرّض عليه عارض) اصابه
(عارضه) غالبه فى المعارضة
(عرُض الشيء) يعرُض عَرضا ضد طال
(عرّض الشيء) جعله عريضا
(اعرض عنه) اضرب عنه وصدعنه
(تعرض له) تصدّى له
(اعترض) مطاوع عرض
(العارض) السحاب المعترض فى الافق
(فلان خفيف العارضين) اى شعر العارضين
(العِرْض) النفس وجانب الرجل الذى يلزمه ان يصونه
(العَرَض) المتاع وحطام الدنيا
(أحبه عَرَضا) اى عرض له فأحبه من غير قصد
يقال: (هو عُرْضة للناس) اى مستهدف لهم يشتمونه

﴿علم العروض﴾ هو علم بأصول يعرف به صحيح اوزان الشعر العربى وفاسدها وما يطرأ عليها من الزحاف والعلل وموضوعه الشعر من حيث وزنه بأوزان مخصوصة. وفائدته تمييز الشعر من غيره والأمن من اختلاط بعض البحور ببعض وغير ذلك

وضعه ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد البصرى الفراهيدى استاذ سيبويه المتوفى سنة (١٧٠) او (١٧٥) ه

عمد الخليل لضبط الشعر الى تقطيع الابيات بتفاعيل بوزن بها بعد أن قسمه الى بحر معدودة كما سيجيء، وقسم احرف التقطيع التى تتركب منها الاجزاء الى عشرة احرف يجمعها قولك (لمعت سيوفنا) وتلك الاحرف قسمان بعضها متحرك وبعضها ساكن

فالساكن ماخلا عن الحركة وان كان اصله متحركا والمتحرك مالم يخل منها وان كان اصله ساكنا. ولما كانت الاجزاء لا تتركب من احرف الا بواسطة الاسباب والاوتاد قدمها عليها

فالاسباب هى:

السبب الخفيف وهو كل متحرك بعده ساكن نحو قد

والسبب الثقيل كل متحركين متواليين نحو بك

والاوتاد هى:

الوتد المجموع كل متحركين بعدهما ساكن نحو بكم

والوتد المفروق كل متحركين بينهما ساكن نحو قام

أما الفواصل فهي .

كل ثلاث متحركات بعدها ساكن تسمى فاصلة كبرى نحو فعلتن وهي مركبة من سببين ثقيل وخفيف

وكل أربع متحركات بعدها ساكن تسمى فاصلة كبرى نحو فعلتن وهي مركبة من سبب ثقيل ووتد مجموع ولذا استغنى بعضهم عن ذكرها

يجمع هذه الاسباب والاوتاد والفواصل قولك (لم أر على ظهر جبل سمكة)

من الاسباب والاوتاد والفواصل تتركب التفاعيل وهي ثمانية لفظا عشرة حكما

لان من بينها (مستفعل) له حالتان الجمع والفرق . وفاعلاتن كذلك فاللفظ واحد منها والحكم مختلف

تلك التفاعيل اثنان منها خماسيان وهما فعولن وفاعلن وثمانية سباعية ماعدا هذين اللفظين ما سيجيء منها

وهذه التفاعيل تنقسم الى أصول وفروع فأصولها أربعة وهي ماكان منها مبدوأ بوتد وهي : فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن وفاعلاتن

والفروع منها ماكان مبدوأ بسبب وهي ستة فاعلن ومستفعلن وفاعلاتن ومتفاعلن ومفعولات ومستفعلن

من هذه التفاعيل تتركب البحور

المنظور اليه عند تقطيع الاشعار وهو مقابلة المتحرك بالمتحرك والساكن بالساكن بقطع النظر عن ذات الحركة والحرف كما ان المنظور فيه اللفظ دون الخط فبر مثلا حرفان خطا أربعة لفظا ، ويصور عند التقطيع هكذا برون ، لان المشدد بحرفين ساكن فمتحرك والتنوين حرف ساكن . ونحو قولك : (اكتبوا) هي سبعة خطا خمسة لفظا لسقوط همزة الوصل والالف الفارقة التي بعد واو الجمع

(بيان ألقاب الزحاف والعلل)

الزحاف هو تغيير مختص بثواني الاسباب لكثرة دورانه في الشعر بلا لزوم له أن ورد فقد يكون في بيت ولا يكون في بيت آخر وهو لايدخل الحرف الاول لانه ليس محلا للتغيير ، ولا الحرف الثالث لانه أما

ان يكون أول سبب أو وتد أو ثالث وتد. ولا الحرف السادس لانه أما أن يكون أول سبب أو ثانى وتد

والزحاف نوعان مفرد ومزدوج. فالمفرد هو مايكون لمحل واحد من الجزء وهو ثمانية أنواع وهى:

(١) الخبن — وهو حذف ثانى الجزء ساكنا كحذف السين من مستفعلن والالف من فاعلن وفاعلاتن مجموع الوتد والفاء من مفعولاتن

(٢) والاضمار — وهو اسكان ثانى الجزء حال كونه متحركا ولا يكون الا فى مفاعلن

(٣) والوقص — حذف ثانى الجزء حال كونه متحركا ولا يكون الا فى متفاعلن

(٤) والطى — حذف رابع الجزء ساكنا كحذف فاء مستفعلن مجموع الوتد والف متفاعلن المضمر وواو مفعولات

(٥) والقبض — حذف خامس الجزء ساكنا كحذف نون فعولن وياء مفاعيلن

(٦) والعصب — اسكان خامس الجزء حال كونه متحركا ولا تكون الا فى مفاعلتن

(٧) والعقل — حذف خامس الجزء متحركا ولا يكون الا فى مفاعلن

(٨) والكف حذف سابع الجزء ساكنا كحذف نون مفاعيلن ومستفعلن وفاعلاتن

والزحاف المزدوج هو مايكون فى موضعين من الجزء وهو أربعة أنواع وهى.

(١) الطى مع الخبن، كحذف سين وفاء مستفعلن مجموع الوتد، وكحذف واو مفعولات ويسمى (الخبل) ولا يدخل في غير هذين الجزئين

(٢) والطى مع الاضمار ويسمى (الخزل) وهو ينحصر فى اسكان تاء وحذف الف متفاعلن

(٣) والكف مع الخبن ويسمى (الشكل) وينحصر فى حذف الف ونون فاعلاتن مجموع الوتد، وسين ونون مستفع لن مفروق الوتد

(٤) والكف مع العصب ويسمى (نقص) ويختص بمفاعلتن

أما العلل فهى نوعان نوع بالزيادة على الجزء بسبب احرف وهي:

(أولها) زيادة سبب خفيف على

اى جزء آخره وتد مجموع ويسمى ذلك (تذييلا)

(وثالثها) زيادة حرف ساكن على أى جزء آخره سبب خفيف ويسمى ذلك (التسبيغ)

(رابعها) زيادة مادون خمسة احرف أول الشطر الاول غالبا كاشدد فى قولك

اشدد حيازيمك للموت
فان الموت لاقيـك
ولا تجـزع من الموت
اذا حـل بواديك

والنوع الثانى من العلل بالنقص وهى نقص من الجزء بزيادة سبب اوحرف او وتد وهى :

(اولها) ذهاب سبب خفيف أى سقوطه من آخر الجزء ويسمى ذلك (الحذف)

(ثانيها) الحذف مع العصب وهو خاص بالوافر فيصير مفاعلتن مفاعل (ويسمى القطف)

(ثالثها) حذف ساكن الوتد المجموع واسكان ماقبله ويسمى (القطع) ويختص بالبسيط والكامل والرجز فيصير فاعلن فى الاول ومتفاعلن فى الثانى ، ومتفاعل ومستفعلن فى الثالث ومستفعل فى الجميع

(رابعها) القطع من الحذف ويسمى (البتر) ويدخل المتقارب والمديد فيصير فعولن فى الاول (فع) و(وفاعلاتن) فى الثانى فاعل

(خامسها) حذف ساكن السبب واسكان متحركه الباقى ويسمى (القصر) ويدخل الرمل والمديد والخفيف والمتقارب فيصير فاعلاتن فى الثلاثة فاعلات وفعولن فى الرابع فعول

(سادسها) حذف وتد مجموع يسمى (الحذذ) ويختص بالكامل فيصير متفاعلن متفا

(سابعها) حذف وتد مفروق يسمى (صلم) ويختص بالسريع فيصير مفعولات مفعو

(ثامنها) سكان الحرف السابع المتحرك وهو تاء مفعولات ويسمي (الوقف) ويدخل السريع والمنسرح

(تاسعها) حذف السابع المتحرك ويسمي (الكف) ويدخل السريع والمنسرح فيصير مفعولات مفعولا

(عاشرها) سقوط أول الوتد المجموع فى صدر المصراع الاول فى المتقارب

والوافر والهزج والمضارع والطويل

(حادى عشرها) حذف أول الوتد المجموع فى الخفيف والمجتث والمتدارك لانهما جاريان مجرى الزحاف فى عدم اللزوم

﴿ بحر الشعر ﴾ للشعر اربعة عشر بحرا . وهى الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل والهزج والرجز والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمتقارب

وقد رأينا أن نأتى على البحور منظومة ليسهل على طالب هذا العلم ان يجد لكل بحر أمثلة من أرق الابيات فيسهل عليه حفظها . ننقل ذلك عن العقد الفريد

(شطر الرمل)

هو مجزوء كله له ثلاثة أعاريض وستة ضروب : فالعرض الاول منها مجزوء وله ضرب مثله ؛ والعروض الثانى محذوف لازم الثانى ، له ثلاثة ضروب لازمة الثانى: ضرب مقصور لازم الثانى وضرب محذوف لازم الثانى ، وضرب ابتر لازم الثانى . والعروض الثالث محذوف مخبون له ضربان : ضرب مثله وضرب ابتر لازم الثانى

﴿ العروض المجزوء ، الضرب المجزوء ﴾

يا طويل الهجر لا تنس وصلى
واشتغالى بك عن كل شغل
يا هلالا فوق جيد غزال
وقضيبا تحته دعص رمل
لا سلت عاذلتى عنه نفسى
اكثرى فى حبه أو أقلى
شادن يزدهى بخد وجيد
مائس فاتن حسن ودل
ومتى مابع منك كلاما
فتكلم فيجبك بعقل

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

﴿ الضرب المحذوف اللازم الثانى ﴾

(والضرب المقصور اللازم الثانى)

ياوميض البرق بين الغمام
لا عليها بل عليك السلام
ان فى الاحداج مقصورة
وجهها يهتك ستر الظلام
تحسب الهجر حلالا لها
وترى الوصل عليها حرام
ما تأسيك لدار خلت
ولشعب شت بعد التئام

انما ذكرك ماقد مضى
ضلة مثل حديث المنام
تقطيعه :
فاعلاتن فاعلن فاعلن
فاعلاتن فاعلن فاعلان
(الضرب المحذوف اللازم الثانى)
عاتب ظلت له عاتبا
رب مطلوب غدا طالبا
من ينب عن حب معشوقه
لست عن حبى له تائبا
فالهوى لى قدر غالب
كيف أعصى القدر الغالبا
ساكن القصر ومن حله
أصبح القلب بكم ذاهبا
اعلموا انى لكم حافظ
شاهدا ماعشت او غائبا
تقطيعه :
فاعلاتن فاعلن فاعلن
فاعلاتن فاعلن فاعلن
(الضرب الابتر)
اى تفاح ورمان
يجتنى من خوط ريحان
اى ورد فوق خدبدا
مستنير بين سوسان
وثن يعبد فى روضة
صبغ من درومرجان
انما الذلفاء ياقوته
أخرجت من كيس دهقان
تقطيعه :
فاعلاتن فاعلن فعلن
فاعلاتن فاعلن فعلن
(الضرب الابتر اللازم الثانى)
زادنى لومك اصرارا
ان لى فى الحب انصارا
طار قلبى فى هوى رشأ
لودنا للقلب ماطارا
خذ بكفى لاأمت غرقا
ان بحر الحب قد فارا
أنضجت نار الهوى كبدى
ودموعى تطفىء النارا
رب نار بت أرمقها
تقضم المندى والغارا
تقطيعه :
فاعلاتن فاعلن فعلن
فاعلاتن فاعلن فعلن
يجوز فى حشو المديد الخبن والكف والشكل . فالمخبون ماذهب ثانيه الساكن والمكفوف ماذهب سابعه الساكن ؛

المشكول ماذهب ثانيه وسابعه الساكنان
وهو اجتماع الخبن والكف فى فاعلاتن
ويدخله التعاقب فى السببين المتقاربين بين
النون فى فاعلاتن والالف من فاعلن
لا يسقطان جميعا ويثبتان فما عقبه ماقبله
فهو صدر وماعقبه مابعده فهو عجز وما
عاقبه ماقبله وما بعده فهو طرفان ، ومالم
يعاقبه شيء فهو بريء
والمقصور ماذهب آخر سواكنه وسكن
آخر متحركاته من السبب والابتر ماحذف
ثم قطع

شطر البسيط

البسيط ثلاثة أعاريض وستة أضرب
فالعروض الاول مخبون له ضربان :
ضرب مثله ، وضرب مقطوع لازم الثانى
والعروض الثانى مجزوء له ثلاثة اضرب :
ضرب مذال ، وضرب مجزوء ، وضرب
مقطوع ممنوع من الطي . والعروض الثالث
مقطوع ممنوع من الطى له ضرب مثله

﴿ العروض المخبون الضرب المخبون ﴾

بين الاهلة بدر ماله فلك
قلبي له سلم والوجه مشترك
اذا بدا انتهبت عيني محاسنه
فذل قلبي لعينيه فينهتك
ابتعت بالدين والدنيا مودته
فخانني فعلى من يرجع الدرك
كفوا ابنى حارث ألحاظ ريمكم
فكلها لفؤادى كله شرك
ياحار لا أرمين منكم بداهية
لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

تقطيعه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

﴿ الضرب المقطوع اللازم ﴾

ياليلة ليس فى ظلمائها نور
الا وجوها تضاهيها الدنانير
حور سقتنى كأس الموت أعينها
ماذا سقتنيه تلك الاعين الحور
اذا ابتسمن فدر الثغر مبتسم
وان نطقن فدر اللفظ منثور
خل الصبا عنك واختم بالنهى عملا
فان خاتمة الاعمال تكفير
والخير والشر مقرونان فى قرن
فالخير متبع والشر محذور

تقطيعه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

﴿العرض المجزوء الضرب المذال﴾

يا طالبا فى الهوى مالا ينال
وسائلا لم يعف ذل السؤال
ولت ليالى الصبا محمودة
لو أنها رجعت تلك الليالى
وأعقبتها التى واصلتها
بالهجر لما رأت شيب القذال
لا تلتمس وصلة من مخلف
ولا تكن طالبا مالا ينال
ياصاح قد أخلت أسماء ما
كانت تمنيك من حسن الوصال

تقطيعه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن
مستفعلن فاعلن مستفعلان

﴿ الضرب المجزوء ﴾

ظالمتى فى الهوى لا تظلمى
وتصرمى حبل من لم يصرم
أهكذا باطلا عاقبتنى
لا يرحم الله من لم يرحم
قتلت نفسا بلا نفس وما
ذنب بأعظم من سفك الدم
لمثل هذا بكت عينى ولا
للمنزل القفر لا للارسم
ماذا وقوفى على رسم عفا
مخلولق دارس مستعجم

تقطيعه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن
مستفعلن فعلن مستفعلن

﴿ الضرب المقطوع الممنوع من الطى ﴾

ما أقرب اليأس من رجائى
وأبعد الصبر من بكائى
يا مذكى النار فى جو نحى
أنت دوائى وأنت دائى
من لى بمخلفة فى وعدها
تخلط لى اليأس بالرجاء
سألتها حجة فلم تفه
فيها بنعم ولا بلاء
قلت استجيبى فلما لم تجب
سالت دموعى على ردائى

تقطيعه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن
مستفعلن فاعلن فعولن

﴿ العروض المقطوع الممنوع من ﴾
(الطى ضربه مثله)

كآبة الذل فى كتابى
ونخوة العز فى جوابى

قتلت نفسا بغير نفس
فكيف تنجو من العذاب
خلقت من بهجة وطيب
اذ خلق الناس من تراب
ولت حميا الشباب عنى
فلهف نفسى على الشباب
أصبحت والشيب قدعلانى
يدعو حثيثا الى الخضاب

تقطيعه :

مستفعلن فاعلن فعولن
مستفعلن فاعلن فعولن

يجوز فى حشو البسيط الخبن والطى والخبل . فالخبن ما ذكرناه فى المديد ؛ والطى ماذهب رابعه الساكن ، والمخبون ماذهب ثانيه ورابعه الساكنان ، وهو اجتماع الخبن والطى فى مستفعلن. والخبن فيه حسن ، والطى فيه صالح والخبل فيه قبيح ، والمقطوع ماذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من الوتد. والمزاد مازاد على اعتداله حرف ساكن تمت الدائرة الاولى

﴿شطر الوافر عروضان وثلاثة﴾

(لضرب)

فالعروض الاول مقطوف له ضرب مثله ، والعروض الثانى مجزوء ممنوع من العقل ، ضربان : ضرب سالم وضرب معصوب

﴿العروض المقطوف الضرب المقطوف﴾

تجافى النوم بعدك عن جفونى
ولكن ليس يجفوها الدموع
يذكرنى تبسمك الاقاحى
ويحكم لى توردك الربيع
يطير اليك من شوق فؤادى
ولكن ليس تتركه الضلوع
كأن الشمس لما غبت غابت
فليس لها على الدنيا طلوع
فمالى عن تذكرك امتناع
ودون لقائك الحصن المنيع
اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع

تقطيعه :

مفاعلتن مفاعلتن فعولن
مفاعلتن مفاعلتن فعولن

﴿العروض المجزوء الممنوع من العقل﴾

(الضرب السالم)

غزال زانه الحور
وساعد طرفه القدر

يريك اذا بدا وجها
حكاه الشمس والقمر
براه الله من نور
فلا جن ولا بشر
فذاك الهم لا طلل
وقفت عليه تعتبر
أهاجك منزل أقوى
وغير آيه الغير

تقطيعه :

متفاعلتن متفاعلتن
متفاعلتن متفاعلتن

﴿ الضرب المعصوب ﴾

وبدر غير ممحوق
من العقيان مخلوق
اذا أسقيت فضلته
مزجت بريقه ريقي
فيالك عاشقا يسقى
بقية كأس معشوق
بكيت لنأيه عنى
ولا أبكي بتشهيق
لمنزلة بها الافلا
ك امثال المهاريق

تقطيعه :

مفاعلتن متفاعلتن
مفاعلتن مفاعيلن

يجوز فى حشو الوافر العصب والعقل والنقص . فالعصب فيه حسن والنقص فيه صالح والعقل فيه قبيح ؛ ويدخله الخرم فى الابتداء فيسقط حركة من أول البيت فيسمى أعصب فاذا دخله العصب مع الخرم قيل له أعقم ، فاذا دخله النقص مع الخرم قيل له أعقص . فاذا دخله العقل مع الخرم قيل له أجم. والمعصوب ما سكن خامسه المتحرك ، والمنقوص ما سكن خامسه المتحرك وذهب سابعه الساكن والمقطوف الذى ماذهب من آخره سبب خفيف وسكن آخر مابقى . ولا يدخل القطف الا فى العروض . والضرب من تمام الوافر

شطر الكامل

الكامل له ثلاثة أعاريض وتسعة ضروب : فالعروض الاول تام له ثلاثة ضروب: ضرب تام مثله ، وضرب مقطوع ممنوع الا من سلامة الثانى واضماره ، وضرب أحذ مضمر . ، والعروض الثانى احذ له ضربان : ضرب مثله وضرب مضمر

والعروض الثالث مجزوء له اربعة
ضروب : ضرب مرفل وضرب مذال ،
وضرب مجزوء وضرب مقطوع ممنوع الامن
سلامة الثانى واضماره

(العروض التام والضرب التام)

بوجه معتدل ومقلة ظالم
كم من دم ظلما سفكت بلا دم
أوجدت وصلى فى الكتاب محرما
ووجدت قتلى فيه غير محرم
كم جنة لك قد سكنت ظلالها
متفكها فى لذة وتنعم
وشربت من خمر العيون تسللا
فاذا انتشيت أجود جود المرزم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى
وكما علمت شمائلى وتكرمى

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلن متفاعلن

(الضرب المقطوع والممنوع الا من)
(الاضمار والسلامة)

حال الزمان فبدل الآمالا
وكسى المشيب مفارقا وقذالا
غنيت غوانى الحى عنك وربما
طلعت اليك أهلة وجمالا
أضحى اليك حلالهن محرما
ولقد يكون حرامهن حلالا
ان الكواكب ان رأينك طاويا
وصل الشباب طوين عنك وصالا
واذا دعونك عمهن فانه
نسب يزيدك عندهن خبالا

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلن فعلاتن

(الضرب الأحذ المضمر)

يوم المحب لطوله شهر
والشهر يحسب انه دهر
بأبى وأمى غادة فى خدها
سحر وبين جفونها سحر
الشمس تحسب انها شمس الضحى
والبدر يحسب انها البدر
فسل الهوى عنها يجبك وان نأت
فسل القفار يجبك القفر
لمن الديار برامتين فعاقل
درست وغير آيها القطر

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلن فعلن

﴿ العروض الاحذ الثالث ﴾

(ضربه مثله)

أما الخليط فشد ماذهبوا
بانوا ولم يقضوا الذى يجب
فالدار بعدهم كوشم يد
يادار فيك وفيهم العجب
أين التى صيغت محاسنها
من فضة شيبت بها ذهب
ولى الشباب فقلت أندبه
لامثل ماقالوا ولا ندبوا
دمن عفت ومحا معالمها
هطل اجش وبارح ترب

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن فعلن
متفاعلن متفاعلن فعلن

﴿ الضرب الاحذ المضمر ﴾

عينى كيف غررتما قلبى
وأبحتماه لوعة الحب
يانظرة أذكت على كبدى
ناراً قضيت بحرها نحبى
خلوا جوى قلبى أكابده
حسبى مكابدة الجوى حسبى
عينى جنت من شؤم نظرتها

جانيك من يجنى عليك وقد
تعدى الصحاح مبارك الجرب

تقطيعه :

متفاعلن بتفاعلن فعلن
متفاعلن متفاعلن فعلن

﴿ العروض المجزوء ، الضرب ﴾

(المجزوء المرفل)

هتك الحجاب عن الضمائر
طرف به تبلى السرائر
يرنو فيمتحن القلو
ب كأنه فى القلب ناظر
ياساحرا ماكنت أعر
ف قبله فى الناس ساحر
أقصيتنى من بعد ما
أدنيتنى فالقلب طائر
وغررتنى وزعمت أنـ
ـك لابن بالصيف تامر

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلاتن

(الضرب المذال)

يامقلة الرشأ الغرير

مارنقت عيناك لى
بين الاكلة والستور
لا وضعت يدى على
قلبى مخافة أن يطير
هبنى كبعض حمام مكة
واستمع قول النذير
أبنى لانظام بمكة
لا الصغير ولا الكبير

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلان

﴿ الضرب المجزوء ﴾

قال ما بدالك وافعل
واقطع حبالك أو صل
هذا الربيع فحيه
وانزل بأكرم منزل
وصل الذى هو واصل
فاذا كرهت فبدل
واذا نبا بك منزل
او مسكن فتحول
واذا افتقرت فلا تكن
متجشما وتجمل

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلن

﴿ الضرب المقطوع الممنوع الإامن ﴾
(سلامة الثانى واضماره)

يادهر مالى أطيبا
ك وأنت غير موات
جرعتنى غصصاً بها
كدرت صفو حياتى
أين الذين تسابقوا
فى المجد للغايات
قوم بهم روح الحيا
ة ترد فى الاموات
فاذا هم ذكروا الاسا
ءة اكثروا الحسنات

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن
متفاعلن فاعلاتن

يجوز فى الكامل الزحاف والاضمار والوقص والخزل . فالاضمار فيه حسن . والوقص فيه صالح والخزل فيه قبيح . فالمضمر ماسكن ثانيه المتحرك ، والموقوص ماذهب ثانيه المتحرك ، والمخزول ماسكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن ، ويدخله من العلل القطع والحذف فالمقطوع

ما تقدم ذكره والاحذ ما ذهب من آخر الجزء وتد مجموع

شطر الهزج

الهزج له عروض واحد مجزوء ممنوع من القبض وضربان: ضرب سالم وضرب محذوف

﴿ العروض المجزوء الممنوع ﴾
(القبض، ضربه مثله)

أيا من لام فى الحب
ولم يعلم جوى قلبي
ملام الصب يغويه
ولا اغوى من القلب
فانى لمت فى هند
محبا صادق الحب
وما يلقى لها شبه
بشرق لاولا غرب
الى هند صبا قلبي
وهند مثلها يصبى

تقطيعه:

مفاعيلن مفاعيلن
مفاعيلن مفاعيلن

﴿ الضرب المجزوء المحذوف ﴾

متى أشفى غليلى
بنيل من بخيل
غزال ليس لى منه
سوى الحزن الطويل
جميل الوجه أخلانى
من الصبر الجميل
حملت الضيم فيه من
حسود أو عزول
وماصدرى لباغى الضيـ
ـم بالظهر الذلول

تقطيعه:

مفاعيلن مفاعيلن
مفاعيلن فعولن

يجوز فى الهزج من الزحاف القبض والكف. فالكف فيه حسن والقبض فيه قبيح. وقد فسرنا المقبوض والمقبوض فى الطويل ايضا. ويدخله الخرم فى الابتداء فيكون أخرم. فاذا دخله الكف مع الخرم قيل له أخرب. فاذا دخله القبض مع الخرم قيل له اشتر، والخرم كله قبيح

شطر الرجز

الرجز له أربعة أعاريض وخمسة ضروب: فالعروض الاول تام له ضربان: ضرب تام مثل عروضه، وضرب مقطوع ممنوع من الطى. والعروض الثانى مجزوء

له ضرب مثله مجزوء ، والعروض الثالث
مشطور له ضرب مثله ، والعروض الرابع
منهوك له ضرب مثله

(العروض التام ، الضرب التام)

لم أدرجني سباني ام بشر
ام شمس ظهر اشرقت لي ام قمر
ام ناظري يهدي المنايا طرفه
حتى كأن الموت منه في النظر
يحيي قتيلا ما له من قاتل
الا سهام الطرف ريشت بالحور
ما بال رسم الوصل أضحى دائرا
حتى لقد اذكرني مما دثر
دار لسلمى اذ سليمى جارة
قفر ترى آياتها مثل الزبر

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن
مستفعلن مستفعلن مستفعلن

(الضرب المقطوع الممنوع من الطى)

قلب بلوعات الهوى معمود
حتى سقتنيه الظباء الغيد
من ذا يداوي القلب من داء الهوى
اذ لا دواء للهوى موجود
ام كيف أسلو غادة ما حبها
الا قضاء ماله مردود
القلب منها مستريح سالم
والقلب مني جاهد مجهود

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن
مستفعلن مستفعلن مستفعل

(العروض المجزوء ، والضرب المجزوء)

أعطيه ما سألا * حكمته لو عدلا
وهبته روحي فما * ادرى به ما فعلا
أسلمته في يده * عيشه ام قتلا
قلبي به في شغل * لامل ذاك الشغلا
نيده الحب كما * قيد راع جملا

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن
مستفعلن مستفعلن

(العروض المشطور ، الضرب المشطور)

يا أيها المشغوف بالحب التعب
كم انت في تقريب ما لا يقترب
دع ردمن لا يرعوي اذا غضب
ومن اذا عاتبته يوما عتب
انك لا تجني من الشوك العنب

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

(العروض المنهوك الضرب المنهوك)

بياض شيب قد نصع
رقمه فما ارتقع
اذا رأى البيض اقمع
من بين يأس وطمع
لله ايام النخع
يا ليتني فيها جذع
أخب فيها وأوضع

تقطيعة :

مستفعلن مستفعلن

ويجوز فى حشو الرجز الخبن والطي والخبل ، فالخبن فيه حسن والطي فيه صالح والخبل فيه قبيح . وقد مضى تفسير الطي والخبن والخبل فى البسيط . ويدخله من العلل القطع ، وقد ذكرناه ، ويكون مجزوء ، والمجزوء ماذهب من آخر الصدر جزء ومن آخر العجز جزء . ويأتى مشطورا والمشطور ماذهب شطره ويأتى منهوكا والمنهوك ماذهب من شطره جزآن وبقي على جزء

شطر الرمل

الرمل له عروضان وستة ضروب : الاول محذوف له ثلاثة ضروب : ضرب متمم ، وضرب مقصور جائز فيه الخبن ، وضرب محذوف مثل عروضه . والعروض الثانى مجزوء له ثلاثة ضروب : ضرب مسبغ ، وضرب مجزوء مثل عروضه جائز فيه الخبن

(العروض المحذوف الجائز فيه)
(الخبن ، الضرب المتمم)

أتانى اللذات مخلوع المذار
هائم فى حب ظبي ذى احورار
صفرة فى حمرة فى خده
جمعت روضة ورد وبهار
بأبي طاقة آس اقبلت
تنثني بين حجل وسوار
قادنى قلبي وطرفى فى الهوى
كيف من طرفى ومن قلبي حذار
لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

(الضرب المقصور)

يامدبر الصدغ فى الخد الاسيل
ومحيل السحر بالطرف الكحيل

هــل لمحزون كئيب قبلة
منك يشفي بردها حر الغليل
وقليــل ذاك الا انه
ليس من مثلك عندي بالقليل
بأبي أحــور غني موهنـا
بغنـاء قصر الليل الطويل
يابني الصيداء ردوا فرسي
انما يفعل هـذا بالذليل

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن
فاعلاتن فاعلاتن فاعلان

(الضرب المحذوف)

شادن يسحب أذيال الطرب
يتثنى بيــن لهــو ولعب
بجبين مفرغ من فضـة
فوق خد مشرب لون الذهب
كتب الدمع بخدي عهـده
للهوى والشوق يملي ما كتب
ما لجهلي ما أراه ذاهبا
وسواد الرأس مني قد ذهب
قالت الخنساء لما جئتها
شاب بعدي رأس هذا واشتهب

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن
فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

(العروض المجزوء،الضرب المسبغ)

ياهلالا في تجنيـه
وقضيبـا في تثنيـه
والذي لست أسميـ
ـه ولكني أكنيـه
شادن ما تقدر العيـ
ـن تراه من تلاليه
كلما قابـله شخـ
ـص رأى صورته فيه
لان حتى لومشى الذ
ر عليـه كاد يدميـه

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن # فاعلاتن فاعلاتان

(الضرب المجزوء)

ياهــلالا قـد تجـلى
في ثياب من حرير
وأمــيرا بهــواه
قاهرا كل امـير
مالخـديك استعـارا
حمرة الورد النضيـر
ورسوم الوصــل قد آل
بستها ثوب دثور

مفعولات دارسات
مثل آيات الزبور

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلاتن
(الضرب المجزوء ، المحذوف الجائز)
(فيه الخبن)

ياقتيلا من يده * ميتا من كمده
قدحت للشعر نار * عينه في كبده
هائم يبكى عليه * رحمة ذو حسده
كل يوم هو فيه * مستعيذ من غده
قلبه عند الثريا * بائن عن

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلن

يجوز في الرمل من الزحاف الخبن والكف والشكل . فالخبن فيا حسن ، والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح ، وقد فسرنا المكفوف والمخبون . فأما المشكول فهو ماذهب ثانيه وسابعه الساكنان ويدخله التعاقب في السببين المتقابلين على حسب مايدخل في المديد ويدخله من العلل الحذف والقصر والاسباغ وقد فسرنا المحذوف والمقصور ، واما المسبغ فهو مازاد على اعتدال جزئه حرف ساكن مما يكون في آخره سبب خفيف وذلك فاعلاتن يزاد عليها حرف ساكن فيكون فاعلاتان

شطر السريع

السريع اربعة أعاريض وستة أضرب : فالعروض الاول مكشوف مطوى لازم الثاني له ثلاثة ضروب : ضرب موقوف مطوى لازم الثاني ، وضرب مكشوف مطوى لازم الثاني مثل عروضه وضرب اصلم سالم . والعروض الثاني مخبول مكشوف له ضربان : ضرب مثل عروضه ، وضرب أصلم سالم ، والعروض الثالث مشطور موقوف ممنوع من الطى ، ضربه مثله ، والعروض الرابع مشطور مكشوف ممنوع من الطى ضربه مثله

(العروض المكشوف المطوى اللازم)
(الثاني ، الضرب الموقوف المطوى)
(اللازم الثاني)

بكيت حتى لم أدع
اذ حملوا الهودج فوق القلوص
بكاء يعقوب على يوسف
حتى شفى علته بالقميص
لاتأسف الدهر على مامضى
والق الذى مادونه من محيص

قد يكون المبطىء من حظه اا
خير وقد تسبق جهد الحريص

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن فاعلن
مستفعلن مستفعلن فاعلات

﴿ الضرب المكشوف المطوى ﴾

(اللازم الثانى)

لله در البين مايفعل
يعل من شاء ولا يقتل
بانوا بمن أهواه فى ليلة
رد على آخرها الاول
ياطول ليل المبتلى بالهوى
وصحبه من ليله أطول
فالدار قد ذكرنى رسمها
ما كدت عن تذكاره أذهل
هاج الهوى بذاك المغضى
مخلولق مستعجم محول

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن فاعلن
مستفعلن مستفعلن فاعلن

(الضرب الاصلم السالم)

قلبي رهين بين اضلاعى
من بين ابناس واطاع

من حيث يدعوه داعي الهوى
أجابه لبيك من داعى
من لسقيم ماله عائد
وميت ليس له ناعى
لما رأت عاذلتى ما رأت
وكان لى من سمها واعى
قالت ولم تقصد لقيل الخنى
مهلا لقد أبلغت اسماعى

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن فاعلن
مستفعلن مستفعلن فاعلن

﴿ العروض المخبول المكشوف الضرب ﴾

(المخبول المكشوف)

شمس تجلت تحت ثوب
سقيمة الطرف بغير سقم
ضاقت على الارض مذصرمت
حبلى فما فيها من مكان قدم
النشر مسك والوجوه دنا
نير وأطراف الا كف عنم

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن فعلن
مستفعلن مستفعلن فعلن

﴿ الضرب الأصلم السالم ﴾

أنت بنا فى نفسه أعلم
فاحكم بما أحببت أن تحكم
ألحاظه فى الحب قد هتكت
مكتومه والحب لا يكتم
يا مقلة وحشية قتلت
نفسى بلا نفس ولم تظلم
قالت تسلية فقلت لها
ما بال قلبى هائم مغرم

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن فعلن
مستفعلن مستفعلن فعلن

﴿ العروض المشطور الموقوف الممنوع ﴾
(من الطى ضربه مثله)

خليت قلبى فى يدى ذات الخال
مصفدا مقيدا فى الاغلال
قد قلت للباكى رسوم الاطلال
صاح ما هاجك من ربع خال

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن مفعولان

﴿ العروض المشطور المكشوف ﴾
(الممنوع من الطى ، وضربه مثله)

يحيى قتيلا ماله من عقل
بشادن يهتز مثل النصل
مكحل ملمسه من كحل
لا تعذلانى اننى فى شغل
ياصاحبى رحلى أقلا عذلى

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن مفعولن

يجوز فى السريع من الزحاف الخبن والطى والخبل ، فالخبن فيه حسن والطى صالح والخبل فيه قبيح . ويدخله من العلل الكشف والوقف والصلم فالمكشوف ماذهب سابعه المتحرك ، والموقوف ماسكن سابعه ، والاصلم ماذهب من آخره وتد مفروق ، والمشطور شطره

شطر المنسرح

المنسرح له ثلاثة أعاريض وثلاثة ضروب : فالعروض الاول ممنوع من الخبل له ضرب مطوى ، والعروض الثانى منهوك موقوف ممنوع من الطي له ضرب مثله ، والعروض الثالث منهوك مكشوف ممنوع من الطى له ضرب مثله

﴿ العروض الممنوع من الخبل ﴾
(الضرب المطوى)

بيضاء مضمومة مقرطقة
ينقد عن نهدها قراطقها

دعي أنت من هوى مخدرة
تعلق نفسى بها علائقها
من لم يمت عبطة يمت هرما
الموت كأس والمرء ذائقها

تقطيعه :

مستفعلن مفعولات مستفعلن
مستفعلن مفعولات مفتعلن

﴿العروض المنهوك الموقوف الممنوع﴾
(من الطى ، ضربه مثله)

اقصرت بعض الاقصار
عن شادن نائى الدار
صبرنى لما صار
ولم أكن بالصبار
وقال لى باستعبار
صبرا بنى عبد الدار

تقطيعه :

مستفعلن مفعولات

﴿العروض المنهوك المكشوف الممنوع﴾
(من الطى ، ضربه مثله)

عادت بوصل صدا
تريد قتلى عمدا
لما رأتنى فردا
ابكى والتقى جهدا
قالت وأبدت وردا
ويلم سعد سعدا

تقطيعه :

مستفعلن مفعولن

يجوز فى المنسرح من الزحاف الخبن والطى والخبل ، فالخبل فيحسن والطى فيه صالح والخبن قبيح . ويدخله من العلل الوقف والكشف . وقد فسرناهما فى السريع ، والمنهوك ماذهب شطره ثم ذهب منه شطر بعد الشطر

﴿شطر الخفيف﴾

الخفيف له ثلاثة أعاريض وخمسة ضروب . فالعروض الاول منه تام له ضربان : ضرب يجوز فيه التشعيث وضرب محذوف يجوز فيه الخبن ، والعروض الثانى له ضرب مثله مجزوء يجوز فيه الخبن ، والعروض الثالث مجزوء له ضربان : ضرب مثله مجزوء وضرب مجزوء مقصور مخبون

﴿العروض التام ، الضرب التام﴾
(الجائز فيه التشعيث)

أنت دائى وفى يديك دوائى
ياشفائى من الجوى وبلائى

ان قلبي يحب من لأأسمي
في عناء أعظم به من عناء
كيف لا كيف لاألذ بعيش
مات صبري به ومات عزائى
أيها اللائمون ماذا عليكم
أن تعيشوا وأن أموت بدائى
ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الاحياء

تقطيعه :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
فاعلاتن مستفعل مفعولن

﴿ الضرب المخلوف يجوز فيه الخبن ﴾

ذات دل وشاحها قلق
من ضمور وحجلها شرق
بزت الشمس نورها وضياها
لحظ عينيه شادن خرق
ذهب خدها يذوب حياء
وسوى ذاك كله ورق
ان أمت ميتة المحبين وجداً
وفؤادي من الهوى حرق
فالمنايا من بين غاد وسار
كل حي برهنها غلق

تقطيعه :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

(الضرب مخلوف الجائز فيه الخبن)
(عروضه مثله مخلوف يجوز)
(فيه الخبن)

ياغليلا كالنار في كبدى
وغراب الفؤاد عن جسدى
وجفون تذرى الدموع أسى
وتبيح الرقاد بالسهد
ليس من شفني هواه رأى
زفرات الهوى على كبدى
فادة [illegible] محلته
وكتني بلوعة الكمد
رب خرق من دونها قذف
ما به غير الجن من أحد

تقطيعه :

فاعلاتن مستفعلن فعلن
فاعلاتن مستفعلن فعلن

﴿ العروض المجزوء . الضرب ﴾

ما لليالى تبدلت
بعدنا ود غيرنا
أرهقتنا ملامة
بعد ايضاح عذرنا

فسلونا عن ذكرها
ونسلت عن ذكرنا
لم تقل اذ تحرمت
واستهلت بهجونا
ليت شعرى ماذا ترى
ام عمرو فى أمرنا

تقطيعه :
فاعلاتن مستفعلن
فاعلاتن مستفعلن

﴿ الضرب المجزوء المقصور ﴾

أشرقت لى بدور
فى ظلام تنير
طار قلبى بحبها
من لقب يطير
يابدورا انا بها الد
هر عان اسير
ان رضيتم بأن أمو
ت فمونى حقير
كل خطب ان لم تكو
نوا غضبتم يسير

تقطيعه :
فاعلاتن مستفعلن
فاعلات فعولن

يجوز فى الخفيف من الزحاف الخبن والكف والشكل ، فالخبن فيه حسن والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح . ويدخله التعاقب بين السببين المتقابلين من مستفعلن وفاعلاتن لايسقطان معا وقد يثبتان وذلك أن وتد (مستفع لن) فى الخفيف والمجتث كله مفروق فى وسط الجزء وقد بينا التعاقب فى المديد. ويدخله من العلل التشعيث والحذف والقصر ، وقد بينا المحذوف والمقصور. وأما التشعيث فهو دخول القطع فى الوتد من فاعلاتن التى من الضرب الأول من الخفيف تعود مفعولن

﴿ شطر المضارع ﴾

المضارع عروضه واحد مجزوء ممنوع من القبض ، وضرب مجزوء ممنوع من القبض مثل عروضه وهو :

أرى للصبا وداعا
وما يذكر اجتماعا
كأن لم يكن جديراً
بحفظ الذى أضاعا
لم يصبنا سروراً
ولم يلهنا سماعا
فجدد وصال صب
متى تعصه أطاعا

وان تدن منه شبرا

يقربك منه باعا

تقطيعه :

مفاعيلن فاعلاتن

مفاعيلن فاعلاتن

يجوز فى حشو المضارع من الزحاف القبض والكف فى مفاعيلن ولا يجتمعان فيه لعلة التراقب ولا يخلو من واحد منهما وقد فسرنا التراقب مع التعاقب ويدخله فى فاعلاتن الكف . فأما القبض فهو ممنوع منه وتد (فاع لاتن) فى المضارع لانه مفروق وهو (فاع) والتراقب فى المضارع بين السببين من مفاعيلن فى الياء والنون ولا يثبتان معا ولا يسقطان معا . وهو فى المقتضب بين الفاء والواو من مفعولات

شطر المقتضب

المقتضب له عروض واحد مجزوء مطوى وضرب مثل عروضه وهو :

يامليحة الدعج

هل لديك من فرج

أم تراك قاتلى

بالدلال والغنج

من لحسن وجهك من

سوء فعلك السمج

عاذلى حسبكما

قد غرقت فى لجج

هل على ويحكما

ان لموت من حرج

تقطيعه :

فاعلاتن مفتعلن

فاعلاتن مفتعلن

يدخل الترقيب فى أول البيت فى السببين المتقابلين على حسب ماذكرناه فى المضارع

شطر المجتث له عروض واحد

(مجزوء مضروب مثله)

وشادن ذي دلال

معصب بالجمال

يضن أن يحتويه

معي ظلام الليالى

أو يلتقى فى منامي

خياله مع خيالى

غصن نما فوق دعص

يختال كل اختيال

البطن منها خميص

والوجه مثل الهلال

تقطيعه :

مستفع لن فاعلاتن
مستفع لن فاعلاتن

يجوز في المجتث من الزحاف الخبن والكف فيه والشكل. فالخبن فيه حسن والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح ويدخله التعاقب بين السببين المتقابلين من مستفع لن وفاعلاتن على حسب ما يدخل الخفيف وذلك لان وتد مستفع لن في المجتث مفروق ، كما هو في الخفيف مفروق وذلك (تفع)

شطر المتقارب

المتقارب له عروضان وخمسة أضرب فالعروض الاول منهما تام يجوز فيه الحذف والقصر له أربعة ضروب : ضرب تام مثل عروضه ، وضرب مقصور ، وضرب محذوف معتمد وضرب أبتر ، والعروض الثانى مجزوء محذوف معتمد له ضرب مثله معتمد

(العروض التام ، الجائز فيه الحذف)
(والقصر ، الضرب التام)

... العهد لما أحالا
وزال الاحبة عنه زوالا
محل تحل عراها السحاب
وتحكى الجنوب عليها الشمالا
فيا صاح هذا مقام المحب
وربع الحبيب فحط الرحالا
سل الربع عن سا كنيه فانى
خرست فما أستطيع السؤالا
ولا تعجلن هداك المليك
فان لكل مقام مقالا

تقطيعه :

فعولن فعولن فعولن فعول
فعولن فعولن فعولن فعول

(الضرب المقصور)

فؤادى رميت وعقلى سبيت
ودمعى مريت ونومى نفيت
بصد اصطبارى اذا ما صددت
وبنأى عزائى اذا ما نأيت

تقطيعه :

فعولن فعولن فعولن فعول
فعولن فعولن فعولن فعول

(الضرب المحذوف المعتمد)

أيا ويح نفسى وويل أمها
لما لقيت من جوى همها
فديت التى قتلت مهجتى
ولم تتق الله فى دمها

أغض الجفون اذا مابدت
وأكنى اذا قيل لى سمها
أدارى العيون وأخشى الرقيب
وأرصد فى غفلة قيمها
سبتنى بجيد وخد ونحر
غداة رمتنى بأسهمها

تقطيعه :

فعولن فعولن فعولن فعل
فعولن فعولن فعولن فعل

﴿ الضرب الابتر ﴾

لا تبك ليلى ولا ميه
ولا تندبن راكبا نيه
وابك الصبا اذا طوى ثوبه
فلا أحد ناشر طيه
ولا القلب ناس لما قد مضى
ولا تارك أبدا غيه
ودع عنك يأسا على أرسم
فليس الرسوم بمبكية
خليلى عوجا على رسم دار
خلت من سليمى ومن ميه

تقطيعه :

فعولن فعولن فعولن فعولن
فعولن فعولن فعولن فع

﴿ العروض المجزوء المحذوف المعتمد ﴾

(ضربه مثله)

أألحوم منك الرضا
وتذكر ما قد مضى
ونعرض عن هائم
أبى عنك أن يعرضا
قضى الله بالحب لى
فصبرا على ما قضى
رأيت فؤادى فما
تركت به منهصا
فقوسك شريانه
ونبلك جمر الغضا

تقطيعه :

فعولن فعولن فعل
فعولن فعولن فعل

يجوز فى المتقارب من الزحاف القبض وهو فيه حسن ؛ ويدخله الخرم فى الابتداء على حسب ما يدخله الطويل

﴿عرفه﴾ يعرفه عِرْفة ومعرفة وعرفانا

(تعارفوا) عرف بعضهم بعضا
(اعترف) ذل وانقاد
(العارفة) العطية
(العرافة) عمل العراف

(العرّاف) هو المنجم والكاهن والطبيب

(العُرف) المعروف وضد النكر

(العُرف) هوما اجمعت العقلاء على الرضاء به من الامور

﴿ عَرَفة ﴾ جبال عرفة هي جبال على بعد تسعة اميال من مكة

(عَرَفات) موقف الحجاج على بعد اثنى عشر ميلا من مكة

﴿ الوقوف بعرفة ﴾ هو من مناسك الحج ولا نرى مصدراً ننقل عنه صفة لهذا الوقوف أوثق من كتاب الرحلة الحجازية للفاضل الالمعي محمد لبيب بك البتانونى فانه يرويه عن مشاهدة ويصف جبل عرفة عن علم. قال فى صفحة ١٨٤ من كتابه المذكور:

« فى السابع والثامن من شهر ذى الحجة تبتدىء الناس فى الخروج من مكة الى عرفة على جمالهم أوحميرهم أوأقدامهم ويتجهون الى طريق الشرق مارين بالمعلى ثم يسيرون نحو الشرق بميل خفيف الى الجنوب بين جبلين فى واد عرضه يختلف من مائة متر الى خمسمائة ، وحركة الناس فيه لا تنقطع فى هذين اليومين وفى نهاية مكة من هذه الجهة « البياضية » وفيها قصر الشريف عبد المطلب على يمين السالك الى عرفة ، يحيط به بستان أغلب أشجاره من أشجار الدرو بعد نحو ثلاثة كيلو مترات منه تجد جبل النور على يسارك ، وقمته عالية جداً قد اجتمعت عليها قبة بيضاء ضاربة بنورها الى السماء وكان هذا المكان يتعبد الناس فيه قبل الاسلام ، وتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وابتدأ نزول الوحي عليه فيه ثم ننعطف قليلا نحو الجنوب وبعد نحو خمسة كيلومترات تصل الى منى. نرى فى مبدأ دخولها فى طريقها العمومى على اليسار جمرة العقبة وهى حائط من الحجر ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار فى عرض نحو مترين ، قد أقيم على قطعة من صخرة مرتفعة على الارض بنحو متر ونصف. ومن أسفل هذا الحائط حوض من البناء ويتساقط اليه حجارة الرجم (الجمار) الذى يقوم الحجاج بعمليته عند الافاضة من عرفة . ولقد كانت منى(١) مكانا مقدسا

(١) لا يبعد أن يكون العرب قد أخذوا هذا الاسم من جزيرة منا التى بها هيكل بوذا قرب جزيرة سيلان

عند عرب الجاهلية ، وكان بها لهم بيت لأصنامهم وهى الآن مكان متسع طوله من الغرب الى الشرق وقد أقيمت فيه بيوت أغلبها لاشراف مكة وأغنيائهم ، يسكن فيها الحجاج بالاجرة عند ذهابهم الى عرفة أو عودتهم منها ، وأما غالب الحجيج فانه يكون مخيما بالفضاء الذى يحيط بها وفى غير الموسم لايكون فيها أحد فى الغالب وفى هذه المدينة شارعان متوازيان على طول الوادى وفى شارعها العمومى ترى الجمرتين الاخريين وسط الطريق واحدة بعد الاخرى

«وبعد هذه المساكن الى الشرق ترى الوادى يتسع من الجنوب على مسافة اثنين كيلو متر ، وتشاهد به على يمينك مسجد الخيف ، ثم المصطبة التى تنصب بها خيم الشريف والوالى مدة اقامتهما فى منى زمن الحج . ومن ثم يضيق الوادى ويسمى وادى محسر ، حتى اذا وصل الى المزدلفة وهى على مسافة ساعتين من منى أخذ فى الاتساع مرة أخرى ، وهنالك ترى على يمينك المشعر الحرام الذى يجب الوقوف عنده فى النزول من عرفة ، وفى هذه الجهة (١) مسجد على جبل قزح عمره السلطان قايتباى ، ومن هنا يضيق الوادى ثانيا ويسمى بوادى عرنة (بضم العين وفتح الراء والنون) حتى اذا قرب من مسجد نمرة (ويسمى مسجد عرفة أو مسجد ابراهيم) انفتحت أرجاؤه الى الشمال والجنوب وهذا المسجد كبير قد أحاطت به البوائك فى جهاته الاربع من داخله ، وعمره قيتباى عمارة تذكر . ونصفه الغربى (الذى الى مكة) فى الحرم والنصف الآخر فى الحل . وبوسطه يجرى ماء يسير اليه زمن الحج من مجرى عين زبيدة . وفى شمال هذا المسجد بقليل الى الشرق ترى العلمين ، وهما عمودان من البناء بعيدان عن بعضهما ، بارتفاع نحو خمسة أمتار فى عرض نحو ثلاثة قد أقيما فى فضاء الوادى للدلالة على حدود عرفة من الغرب ، وهنالك تجد الجبل قد حلق على الوادى وقبله أمامك من الشرق بشكل قوس كبير وهو مايسمونه جبل عرفة . وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف على كرا . وفى طرفه من جهة الشمال لسان يبرز الى

(١) الموجود من هذا المسجد الحائط الغربى (الذى هو جهة القبلة فقط)

الغرب يسمونه جبل الرحمة ، وسفحه الجنوبى هو حد عرفة من الشمال وفيه صخرة عالية كان يقف عليها الرسول صلوات الله عليه فى حجه ليخطب فى قومه وهى مكان وقوف الخطيب الى الآن . وفى أعلى جبل الرحمة منارة يعلق فيها ليلة عرفة مصابيح لارشاد السالكين اليه . وفى أسفله مصلى يسمى مسجد الصخرات لان فى أرضيته صخور كبيرة الى جانب بعضها يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيها ، وبجوارها ترى مجرى عين زبيدة الذى سيرته الى مكة

﴿ الوقوف بعرفة ﴾

« عند وصول الحجاج الى هذا الوادى ينزل ركب المحملين بخيامهم قريبا من جبل الرحمة يليهما مضارب الحجاج علي اختلاف أجناسهم وعلى سفح عرفة من عاليه الى جبل الرحمة ترى حجيج الاعراب محتشدين الى جوف الجبل بعضهم فوق بعض كالحجر المرصوص أما باقى الحجيج فانه ينصب الخيام فى بطن الوادى الذى يزدحم اليه الناس حتى لا تكاد ترى فيه مكانا خاليا من واقف أو قاعد ، وجمالهم وحميرهم مربوطة بجوارهم وترى الكل فى صعيد واحد ، حتى يتعذر على الانسان السير الى أى جهة أراد ولو لضرورة فى نفسه . ولو كان مولانا الشريف يأمر بتقسيم وادى عرفه الى أحذية أفقية يقسمها شارع رأسى ويختص كل حذاء لسكنى جماعة الحجيج ، وجمالهم من ورائهم وتوضع لذلك علامات من البناء لا يتجاوزها الحجاج فى وضع مضاربهم ، ولا الجمالة في ربط جمالهم ، ويعين لهذا النظام من يحفظه مع الدقة ، لكان له شكر الله والملائكة والناس أجمعين . وفى سعه الوادى ما يضمن لدولته اقامة الكل على الراحة التامة لان هذا التزاحم انما سببه التقرب من الماء ومن السوق الذى تراه بجوار مسجد الصخرات (ويباع فيه بعض الاغذية الضرورية) وربما كان لتزاحمهم سبب آخر وهو خوفهم من الاعراب الذين يكون لهم من سعة هذه الرحاب عون على النهب والسلب . أو بسبب هذا التزاحم يضل الناس عن أمكنتهم اذا تركوها لأمر ما ، ولذلك تراهم ينادون على بعض اما بأسمائهم أو بألفاظ اصطلح عليها أهل كل جهة ، حتى اذا سمعها واحد منهما أجابه بصوت عال ،

وقصد مصدر الصوت . وهذه الحركة لا تكاد تنقطع مدة الاقامة بعرفة

«ويجدر بدولة مولانا الشريف اصدار امره الكريم بالنيابة التامة بملاحظة فتحات مجرى عين زبيدة ، وتعيين خدمة مخصوصين لها لا يدعون أحداً من الحجاج يعبث بها أو يغتسل فيها، خصوصاً أولئك المجذومين الذين يغتسلون في الحوض الذى يسمونه بحوض المجذومين زاعمين ان فيه شفاءهم ، وهم بعملهم هذا انما يضرون اخوانهم المسلمين بنقل العدوى اليهم ولا يعزب عن فكره السامى ان علماء البكتريولوجيا ذهبوا الى أن الماء هو أكبر موصل للعدوى وخصوصاً في وباء الكوليرا نسأل الله تعالى السلامة لعباده

ويوم الوقوف هو التاسع من ذى الحجة مع قليل من ليلة العاشر باتفاق المسلمين فاذا ثبت هذا اليوم عند القاضى ذو الصفة الشرعية وقف جميع المسلمين على اختلافهم فى الجنسيات والمذاهب من غير ان يكون للشك تأثير عليهم ، الا الشيعة من الاعجام فانهم لو حصل عندهم أدنى شك فى رؤية هلال ذى الحجة بمعنى انه ان لم يشاهده منهم الجم الغفير، وقفوا يوم التاسع والعاشر احتياطاً . وفى عرفة ترى الناس مشتغلين كل بشأنه وهم وان انفصلوا فى هياكلهم ؛ فان قلوبهم مرتبطة ارتباط ذرات الجسم الواحد بعضها ببعض وبعد صلاة العصر يتحرك المحملان بحرسهما الى منحدر جبل الرحمة وينهض خطيب عرفة (وهو فى الغالب قاضى مكة الذى يتعين من قبل السلطان) فيصعد بناقته على طريق حلزونى الى صخرة فى صدر هذا الجبل ويخطب نيابة عن خطيبة رسول الله خطبة يعلم الناس فيها مناسك الحج يكثر فيها من الدعاء والتلبية ومن دونه مبعوث بأيديهم مناديل يشيرون بها فى كل تلبية الى الواقفين دون الصخرة فيقول الكل « لبيك اللهم لبيك» بصوت يكاد يصعد بالاحشاء الى عنان السماء فيالها من ساعة ترى الناس فيها قد تجردوا بالمرة عن أنفسهم . فلا يكادون يشعرون بما يحيط بهم من عوالم الحياة . وقد تغلب وجدانهم على وجودهم وظهرت روحانيتهم على جسمانيتهم حتى كأنهم فى لباسهم الابيض الطاهر النقى ملائكة الله فى هذا الوادى الذى يردد أصواتهم وابتهالاتهم الى واجب الوجود ، الى الملك المعبود ، الى

الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فاذا تراجع اليهم صدى هذا الصوت أحدث فى نفوسهم هزة تدق لها قلوبهم وتضطرب لها أفئدتهم خشية من رب الارباب ومالك الرقاب، هنالك تسوخ النفوس فى ظروفها وتنكمش الجسوم على هياكلها من رهبوت هذا الملكوت وحشاشات القلوب تنصبب من آماق عيونهم أسفا على ما اقترفوه من ذنوب وعيوب تتلاحق الارواح الى التعلق بأستار رحموت رحماتها تائبة مستغفرة ضارعة اليه تعالى بقبولها فى ساحة غفرانه، ومؤملة فى عظم كرمه واحسانه ولا تلبث أن تتراجع وهى على يقين من قبولها فى ساحة الرحمن الرحيم. وقد وقر فى نفوس ذويها حب الفضيلة . وبغض الرذيلة . وحسب انسان من فضيلة الحج هذه الحسنة الجيلة. ويستمر الناس على هذه الحال حتى اذا غابت الشمس فى الافق أطلق صارخ من قبل الخطيب اعلانا بتمام هذا الموقف . عندها تتحرك المحامل بين ضرب المدافع وعزف الموسيقات وأصوات الابتهالات وكرات الدعوات ، وانفعال العبرات ، ويكون كل حاج قبل ذلك قد حمل حموله واستعد للافاضة ، فتنفر الناس مرة واحدة من عرفات مسرورين هاتفين بهتاف الفرح . والحبور حتى اذا وصلوا الى ذينك العلمين خرجوا من بينهما ، وهناك ترى الزحام لا يوصف والناس فى حركة هائلة الى المزدلفة ، فاذا وصلوها نزلوا بها الحنفية الى ما بعد صلاة الصبح والشافعية الى ما بعد نصف الليل، أما المالكية فحسبهم من الاقامة بها قدر ساعة يجمعون فيها جمارهم من الحصى الموجود فى أرضية واديها . وهى تسع واربعون حصاة فى قدر الفولة يتناولها الحجاج من رمال تلك الصحراء الواسعة ليرجموا بها فى منى التى ينزل اليها من لباته . وأغلب الحجاج يقلدون مالكا ويسرعون فى النزول اليها حتى يجدوا لهم فيها مكانا يقيمون به على راحتهم وفى صباح النحر وهو يوم العيد الاكبر يكون عموم الحجاج وصلوا الى منى ويخيم المحمل المصرى فى شمال المصطبة التى فيها يخيم الشريف والمحمل الشامى الى جوار مسجد الخيف وهو مسجد كبير ذو فضاء واسع مربع يحيط به سور متسع ؛ والى حائطه الغربى رواق على

طوله ، قام اسفله على أعمدة من البناء ؛ وباب هذا المسجد الى الشمال ، وفى وسط صحنه نجاه الباب قبة كبيرة أقيمت على مكان يصلى الناس فيه وهو المكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وبجوار هذه القبة مأذنة صغيرة بناها السلطان قايتباى سنة (٨٨٤) هـ وبنى بجانب هذا المسجد داراً كان ينزل اليها أمير الحاج المصرى فاندثرت ، ولكن المسجد باق على حاله الا انه يحتاج من داخل سوره وخارجه الى عناية ذوى الشأن حتى يكون نظيفا بعيداً عن عبث العابثين ، ان لم يكن لموجبات الدين فلموجبات الصحة العمومية ، وخصوصا فى منى التى تكتب انها صحيفة الحجاج وتساق على اجنحة البرق الى جميع أقطار المسكونة

« وبمجرد وصول الحجاج الى منى يقصدون من فورهم جمرة العقبة فيرمونها وينحرون ويحلقون ويقصرون ثم يلبسون ملابسهم ، وعندها يحل لهم كل شىء ما عدا النساء والطيب

« وذبائح العربان تذبح فى شرقى منى وتلقى فى حفر تحفر هنالك لهذا الغرض وكلما امتلأت حفرة بجثث القرابين ردمت وحفرت غيرها وهكذا ؛ ويكون لها بعد الحج رائحة كريهة جداً ولو كانت الحكومة تعتنى بجمع ماينزل فيها من العظام مع ما يتخلف من حول مكة ، وتبيعه لاحدى الشركات بحدة ونصرف ثمنه فى تحسين طرق الحجاز ونظافة شوارع مكة لكان فيه فائدة كبيرة وقد طلبت شركات كثيرة التزام ذلك من الحكومة السابقة فلم يقبل طلبها . أما الحكومة الحالية فأظن انها لاترى مانعا فى ذلك مادام فى مصلحة البلاد

« ويقيم الحجيج بمنى الى عصر اليوم الثالث عشر من ذى الحجة ثم ينزلون الى مكة لأداء الركن الباقى من أركان الحج وهو طواف الافاضة والسعى لمن لم يكونوا سعوا بعد طواف القدوم ، ومن الناس من ينزل الى مكة أول يوم بعد رمى جمرة العقبة لاستكمال جميع مناسك الحج ، ثم يرجعون من يومهم الى منى فيقيمون فيها مع اخوانهم ثانى وثالث أيام التشريق ؛ ويرجمون فى كل يوم منها الجمرات الثلاث ، وفى عصر اليوم الثالث ينزلون الى مكة »

أهل الاعراف – قال الله تعالى :

« ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا ؟ قالوا نعم ، فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين. الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون. وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ، ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون . واذ صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين . ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ماأغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون. أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟ ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون »

ورد فى هذه الآيات ذكر الاعراف وأهل الاعراف فما هى الاعراف ومن هم أهله ؟

الاعراف لغة جمع عُرْف وهو الرمل المرتفع ، وعرف الفرس ، وعرف الديك ، وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير عرفا لما انخفض منه

والاعراف فى الآية يفسر بالمكان تارة وبغيره أخرى . أما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الاعراف أعالى عالى السور المضروب بين الجنة والنار . ويروى عن ابن عباس . وعنه أيضا أن الاعراف الصراط ، وعلى هذا التفسير فالذين هم على الاعراف من هم ؟ فيه قولان : أحدهما انهم أقوام يكونون فى الدرجة العليا من الثواب . وثانيهما انهم فى الدرجة النازلة . وعلى الاول فيه وجوه

وقال أبو مجلزهم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار

فقيل له يقول الله تعالى: وعلى الاعراف رجال ، وأنت تقول انهم ملائكة ؟ فقال ملائكة ذكور لا اناث

ويرد عليه ان الرجل لغة يطلق على ما يصلح أن يكون من نوعه أنثى بل يطلق على الذكور من بنى آدم

وقيل انهم الانبياء عليهم السلام أجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالى اظهاراً لشرفهم ، وليكونوا مشرفين على الفريقين مطلعين على أحوالهم ، ومقادير ثوابهم وعقابهم

وقيل انهم الشهداء وعلى القول

الثانى قيل انهم قوم تساوت حسناتهم وسيآتهم وقفهم الله على هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم يؤول عاقبة أمرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل . قاله حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء

وخصصه بعضهم فقال : هم قوم خرجوا بانفسهم الى الغزو بغير اذن امامهم فاستشهدوا فساوت معصيتهم طاعتهم وفى هذا التخصيص نظر

وقال عبد الله بن الحرث انهم مساكين أهل الجنة

وقال قوم هم الفساق من أهل الصلاة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف

وأما الذين فسروه بغير المكان وهو قول الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى وعلى معرفة أهل الجنة والنار رجال يميزون البعض من البعض اما بالالهام أو بتعريف الملائكة

قال الحسن والله لاأدرى أول بعضهم الامعناه (نقلناه من تفسير العلامة نظام لدين الحسن النيسابورى)

﴿ معروف الكرخى ﴾ هو أبو معروف بن فيروز ، وقيل الفيروزان ، وقيل على الكرخى الصالح المشهور

هو من موالى على بن موسى الرضا من آل البيت. وكان أبواه نصرانيين فأسلم هو على يد ابن على موسى الرضا ورجع الى أبويه فدق الباب . فقيل له من الباب ؟ فقال معروف. فقيل له على أى دين ؟ فقال على الاسلام . فأسلم أبواه

كان معروف مشهوراً باجابة الدعوة وكان أهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون قبر معروف ترياق مجرب

كان سرى السقطى الصوفى المشهور تلميذاً له فقال له يوماً اذا كانت لك حاجة الى الله تعالى فأقسم عليه بى

وقال سرى السقطى رأيت معروف الكرخى فى النوم كأنه تحت العرش والبارى جلت قدرته يقول فى ملائكته من هذا ؟ وهم يقولون أنت أعلم يا ربنا . فقال هذا معروف الكرخى سكر من حبى فلا يفيق الا بلقائى

وقال معروف: قال لى بعض أصحاب داود الطائى اياك أن تترك العمل فان ذلك الذى يقربك الى رضى مولاك . فقلت وما ذاك العمل ؟ قال دوام الطاعة لمولاك وحرمة المسلمين والنصيحة لهم

وقال محمد بن الحسن: سمعت أبى يقول رأيت معروفا الكرخى فى النوم بعد موته فقلت له ماذا فعل الله بك ؟ فقال غفر لى . فقلت بزهدك وورعك ؟ فقال لا بل بقول موعظة ابن السماك ولزومى الفقر ومحبتى للفقراء

وكانت موعظة ابن السماك فيما رواه معروف قال : كنت ماراً بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس. فقال فى خلال كلامه من أعرض عن الله بكليته أعرض عنه الله جملة ، ومن أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله تعالى برحمته عليه ، وأقبل بوجوه الخلق اليه . ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتا ما

فوقع كلامه فى قلبى وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه الا خدمة مولاى على بن موسى الرضى. وذكرت هذا الكلام لمولاى . فقال تكفيك هذه موعظة ان اتعظت

وقيل لمعروف فى مرض موته أوص فقال: اذا مت فتصدقوا بقميصى فانى أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا

ومر معروف بسقا ، وهو يقول: رحم الله من يشرب . فتقدم وشرب وكان صائما . فقيل له ألم تك صائما ؟ فقال : بلى ولكن رجوت دعاءه. وأخبار معروف ومحاسنه أكثر من أن تعد

توفى سنة (٢٠٠) وقيل (٢٠١) وقيل (٢٠٤) ببغداد

﴿ ابن العريف ﴾ هو أبو العباس احمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي الاندلسى المرى المعروف بابن العريف

كان من كبار الصالحين كثير المناقب طيب السيرة له كتاب فى التصوف اسمه المجالس وله كتب أخرى كلها صوفية وله شعر حسن فى طريق القوم منه قوله :

شدوا المطى وقد نالوا المنى بمنى
وكلهم بأليم الشوق قد باحا
سارت ركائبهم تبدى روائحها
طيبا بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسيم قبر النبى المصطفى لهم
روح اذا شربوا من ذكره راحا
يا واصلين الى المختار من مضر
زرتم جسوما وزرنا نحن أرواحا

نا أقمنا على عذر وعن قدر
ومن أقام على عذر كمن رحلا

كان بينه وبين القاضى عياض بن موسى اليحصبى مكاتبات حسنة وكانت عنده مشاركة فى أشياء من العلوم وعناية بالقراءات وجمع الروايات واهتمام بطرقها وحملتها

وكان العباد وأهل الزهد يألفونه ويحمدون صحبته

حكى بعض الفضلاء انه رأى بخطه فصلا فى حق أبى محمد على بن احمد المعروف بابن حزم الظاهرى الاندلسى قال فيه كان لسان ابن حزم المذكور وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين . وانما قال ذلك لان ابن حزم كان كثير الوقوع فى الأئمة المتقدمين والمتأخرين لم يكد يسلم منه أحد ولد سنة (٤٨١) وتوفى سنة (٥٣١) بمراكش

عرق المعظم يعرقه عرقا أكل ما عليه من اللحم

(عرق الرجل) يعرق عرقا ترشح جلده فهو عرقان

(أعرق فلان) أتى العراق

(تعرق العظم) اخذ ما عليه من اللحم

(العرق) الاصل

(العريق) الاصيل

العرق هو فرز جلدى ينتج من زيادة كمية الماء فى الاوعية الدموية وقد يكون سببه تعب الاعصاب بحرارة الهواء والبخار الجوى وسرعة المشى وتعاطى الاشربة الحارة وهو يخرج من مسام الجلد الذى يختلف عددها بحسب الاعضاء المختلفة من الجسد . فالبوصة المربعة فى القفا لا تحتوى الا على نحو ٤٢٠ من تلك المسام وتلك المساحة فى الصدر تحتوى منها على نحو ١٠٢٥ ولكن راحة اليد وقدم الرجل تحتوى البوصة منها نحو ٢٨٤٠ الى ٢٧٨٠ من تلك المسام أما الجسم كله فيحتوى من تلك المسام على نحو ٣٤٠٠٠٠٠

ولا يجوز للانسان أن ينام فى الغرف المقفلة النوافذ التى لا يتجدد بها الهواء فان ذلك يسبب له عرقا كثيرا . ولا يجوز له أيضا أن يضع على جسمه الاغطية الثقيلة تحاشيا من احداث عرق لا موجب له

(عرق الايدى والارجل) من الناس

من يهملون العناية بصحتهم الجلدية فلا يجد العرق منفذاً يخرج منه الا الايدى والارجل وهى الجهات التى تكثر فيها المسام الجلدية فترى ايديهم وارجلهم مبتلة دائما ، الامر الذى يسبب لهم حرجا فى كثير من الاحيان ويكون ذلك دالا على ان افرازهم الجلدى ليس على ما يرام من سيره الطبيعى

(علاجه) لاعلاج لهذه العوارض الا العناية بالجلد فيجب أخذ حمام فاتر كل يوم أو اربع مرات فى الاسبوع او يجب دلك الجسم بالماء الفاتر يوميا . ويحسن أيضا ان يغسل الجسم بالصابون حينا بعد حين لتخليص فوهات المسام مما يكون قد سدها من المواد الدهنية

وينصح الاطباء الطبيعيون للمصابين بهذا العرض بأن يمشوا حفاة فى الصيف فى وقت من أوقات فراغهم . وعليهم ان لا يلبسوا الا الاحذية الواسعة التى تسمح للهواء أن يتخلل ارجلهم ولا يجوز انتظار الشفاء من هذا العرض الا تدريجا

وقد رأى بعض الاطباء ان المصابين بعرق الايدى يحسن بهم أن يدلكوا أيديهم من آن لآخر بمسحوق عجينة اللوز

واما الارجل فتغسل كل يوم بالماء الفاتر مرتين

ولكن اذا كان العرق فى الاطراف دليلا على سوء تصريف المسام الجلدية كما رأيت فيكون حذفه من التصرف من تلك الاطراف ضاراً بالبنية ويكون الاولى الرجوع الى قول الاطباء الطبيعيين والعناية بالجلد عناية خاصة حتى تصبح مسامه أهلا لتصريف السوائل الزائدة فى الجسم

(عرق الابطين) من الناس من ينصرف العرق عندهم من جهة الابطين فيتلفوا ملابسهم من لبسة واحدة وقد نصح بعض الاطباء أن يغسل المصابون بهذا العارض آباطهم يوميا بالماء الفاتر وان يجففوها جيدا

﴿عرق الحلاوة﴾ هو نبات جذره معمر تخرج منه سوق كثيرة قائمة متفرعة اوراقه متقابلة خالية من الزغب وازهاره كبيرة وردية منتفعة على هيئة باقة انتهائية

(صفاته الكيماوية) يحتوى هذا النبات سواء فى ذلك جذوره وأوراقه على الصابونين وعلى مقدار يسير من راتينج رخو ومادة خلاصية ومادة صمغية وزلال

وصبغ وتحتوى الاوراق وحدها خلاف ذلك على كلورفيل . واثبت بعض الكيماويين ان جذره الذى قبل تزهر النبات ينتج بالتبخير مادة مبلورة مرة غير حمضية ولا قلوية اى متكافئة

مطبوخ هذا النبات يحصل منه ماء يرغى كالصابون بواسطة مافيه من المادة الخلاصية المخصوصة ذات الطعم الحريف اللذاع الذى يبقى زمنا طويلا وهو الصابونين ولذلك سمى عرق الحلاوة بالحشيشة الصابونية

ومطبوخ النبات الرطب ينتج مثل ذلك بدرجة اوضح من مطبوخ النبات الجاف فالماء المجتمع من قواعده يستعمل لتنظيف الخرق الوسخة فى ازالة نكت الريت والشحم منها مع انه ليس بينه وبين الصابون مشابهة فى التركيب وليس فيه قلوية تستطيع التقاط المادة الشحمية والوساخة الموجودتين فى الاقمشة باتحاده معها اتحادا كيماويا

(استعماله الدوائى) اعتبر ائمة العلاج هذا النبات محللا منظفا ومنقيا ومدرا للبول ومفتحا ومعرقا ومزيلا للسدد ومقويا

المستحضرات المحضرة منه لها تأثير مقو على الاعضاء الحية فتعطى زيادة فاعلية فى الوظائف الهضمية . ومتى دخل منها شىء فى المجموع الحيوانى او فى الاعضاء الرديئة التغذية او المنسوجات الآلية التى نقص حجمها الاعتيادى او حصل فيها لين مرضى او نحو ذلك كان نفعها اعظم . فلذا يستعمل مغليها وخلاصتها وعصارتها المنقاة فى علاج اليرقان وقد حصل منها نجاح باهر ولكن قد يحدث ان لا ينجح هذا العلاج فى الصفراء بسبب اختلاف سببها المولد لها لان اليرقان فى نفسه عرض لمرض رئيسى لا مرض قائم بنفسه

ومدح الاطباء نفعه فى الزهرى والاوجاع الروماتيزمية واوجاع المفاصل والنقرس

وماخاصة كونه منقيا فمتعلقة بخاصة التغذية فالتنقية ناتجة من حدوث التقوية على الجهاز الهضمى والمجموع الجلدى والبنية كلها اذ لا يخفى ان فاعلية القوة اذا ارجعت سلامة الوظائف التى بها يعوض الدم فى المنسوجات العضوية التى كابدت اعضاؤها فسادا مرضيا . وبعد استعمال هذا الدواء زمنا تعرض للجسم

اندفاعات جلدية ورشح صديدى واستفراغات نافعة وعرق وبول متحمل لرواسب ونحو ذلك مما يدل على حركة باطنة وتجديد حصل الآن فى مجموع البنية الحية

وقد اوصى الاطباء باستعمال هذا العلاج اثناء استعمال العلاجات المضادة للزهرى ليعين على التعريق فقد ثبت من المشاهدات ان تأثيره المقوى يصير واسطة مساعدة للزئبق فى هذه الامراض اذا كان هناك فساد فى وظائف التغذية وامتقاع فى اللون كبير او نقص فى القوى وفساد فى الدم وفى المنسوجات العضوية

أكثر مايستعمل عرق الحلاوة فى تلك الاحوال مشروبا ولكن لايفيد ولا يدفع هذا الدواء سبب الآفات الزهرية وانما يصلح الضرر الذى ينشأ عن طول مكث هذه الامراض فى البنية

وقد عد العلماء عرق الحلاوة دواء جيدا فى علاج الآفات الجلدية كالقوباء النخالية والقشرية واستعمل ايضا فى احتقان الاحشاء البطنية ولاسيما احتقانات المعدة والامعاء والكبد وفى آفات العقد اللينفاوية ، وكان القدماء يستعملونه لتنظيف الاقمشة المعدة للصبغ

(كيفية استعماله) يستعمل هذا الجوهر عادة على شكل شاى تغلى أوراقه وجذوره فتقطع الاوراق وتكسر الجذور وتعالج بالنقع فيؤخذ غرامان من الاوراق او ٢٠ غراما من الجذور الجافة للتر من الماء فيخرج الصابونين فى السائل وربما كان هو مسببا للخواص الدوائية التى فى النبات

مقدار التعاطى من الخلاصة الكحولية للجذور من غرام واحد الى خمسة غرامات

(المادة الطبية)

﴿عرق الذهب المقىء﴾ يسمى هذا النبات بالفرنجية أبيكا كوانا . اول من تكلم عنه مركوغراف وبيزون فى نحو منتصف القرن السابع عشر فى تاريخهما الطبيعى للبريزيل . فذكر ان اهل البريزيل يستعملون جذور هذا النبات ضد كثير من الامراض مع النجاح . ولكن لم يعلم جنس النبات ولانوعه وبقى الناس فى اوربا على هذه الحال مدة بسبب اخفاء اهل البريزيل لسر هذا النبات . ثم جاء النباتى البرتغالى بروزيرو فشرح هذا النبات وصوره فزال عنه اللبس وكان

ذلك فى أوائل القرن التاسع عشر

الموجود منه فى المتجر نوعان الايبكاكوانا المحززة والايبكاكوانا العقدية وهما المستعملان كثيراً ويوجد منها انواع أخرى اقل خاصية

وهى مقيئة ومضادة للدوسنطاريا

(صفاته النباتية) هى شجيرة صغيرة تعلو نحو قدم ولها ساق أفقية ارضية وقائمة فى الهواء فى جزئها العلوى. يتألف جزؤها السفلى من شبه درنات لبفية كثيرة متضامنة باستطالة ومتفرعة وفيها آثار حلقية متقاربة تكاد تكون خشبية. تحمل خمسة أزواج من الاوراق أو ستة متقابلة قصيرة الذنيب بيضية منتهية بطرف دقيق وكاملة فى الجزء العلوى من الساق والاذينات كبيرة متقابلة زغبية مقطعة تقطيعا عميقا الى ٥ أقدام أو ٦ خيطية

أزهارها صغيرة بيضاء تنضام حتى تصير بهيئة رأس انتهائى

(صفاتها الطبيعية) هذه الجذور الحلقية توجد فى المتجر طولها من ٣ قراريط الى أربعة وهى معتمة ملتفة على نفسها بدون انتظام وبسيطة أو متفرعة. وفيها حلقات صغيرة بارزة غير مستوية متقاربة جداً ومنفصلة عن بعضها بانخفاضات قليلة العروض. طعمها حشيشى وفيه مرارة وحرارة وتقشية ... من جزئها الخشبى عادم الطعم ... صمغية ولكنها مغثية وخصوصا مسحوقها. وهى لا تكون صمغية الرائحة الا اذا كانت قديمة ... ويمكن ان تكون رائحتها مؤذية اذا كانت كبيرة الجرم ومجتمعة فى محل ضيق فتحدث ربوا او تقدما نحو ذلك

وهى بحسب تكونها الظاهرى تتنوع الى ثلاثة اصناف ... من السن ومن الارض التى تنبت فيها النبات. الصنف الاول الايبكاكوانا السنجابية المسودة تكون بشرتها سنجابية مسودة وهذه يقوم منها ثلاثة أرباع الايبكاكوانا المتجرية. وبسبب ذلك سماها بعضهم الايبكاكوانا السمراء. مكسر هذا النوع شديد الراتينجية، وجزؤها القشرى سمك من محور ولذا كانت أثقل ومفضلة على غيرها من الانواع

والصنف الثانى الايبكاكوانا السنجابية الحمراء ويقوم منها الثلث الباقى مما يوجد فى المتجر ولا تختلف عن الصنف السابق الا بلونها الاحمر لقشرتها الظاهرة

وهي راتينجية المكسر وهو يكون ابيض ورديا وفى طعمها مرارة أوضح . محورها خشبي يشبه محور الصنف السابق

والصنف الثالث السنجابية البيضاء حلقاتها أقل وضوحا وانتظاما ولونها الظاهرى سنجابي ابيض وهذا الصنف اغلظ واقوى . ويظهر أن ذلك من تقدمه فى السن وهو نادر الوجود بالمتجر

(الابيكاكوانا المحززة) وتسمى بالغير الحلقية والسوداء وغير ذلك وهى تؤخذ من شجيرة صغيرة تشبه فى قوامها النوع السابق وجذرها يقرب للافقية ويرتفع منه ساق طولها قدم أو قدم ونصف اسطوانية ناعمة الزغب والاوراق متقابلة سهمية حادة والازهار صغيرة بيضاء يتكون منها شبه عناقيد صغيرة قصيرة فى ابط كل ورقة ، والثمر بيضى متوج بأسنان الكأس ويحتوى على نواتين

(تحليلها الكيماوى) اشتهرت الابيكاكوانا فى عالم العلاج شهرة كبيرة فاهتم بمعرفة تركيبها الكيماويون فحللها بولدوك وهنرى وغيرهما من كبار الكيماويين ولكن أتم تحليلها ما جندى وبلتيبه فوجدا فى الابيكاكوانا صمغا ونشا وجوهرا خلاصيا غير متقىء يقرب من الخلاصات الاعتيادية ومادة دسمة فيها حرافة رائحتها نفاذة تقرب من رائحة الدهن الطيار للفجل البرى وتصير غير مطاقة اذا تصاعدت بالحرارة وتلك المادة تؤثر بشدة فى الحلق ووجدا فيها جوهرا خاصا جعلاه قاعدة نباتية قريبة جديدة وسمياه ايمتين اى متىء لانه هو الموجد خاصة القىء فى الابيكاكوانا وظن بتلبيه فى أول عمله الذى حلله هو جذور النوعين

(خواص الابيكاكوانا الدوائية)

ذكروا ان خاصة الابيكاكوانا التقيىء والاسهال والقبض وزاد عليها بعضهم انها مقطعة اذا استعملت بمقادير يسيرة وهى اقل تقييئا من الطرطير المقىء ولذا تعطى للاطفال . وزعموا ان لها فعلا مباشرا على الاغشية المخاطية . ولخاصيتها فى التقطيع تستعمل بمقادير يسيرة فى التلبكات الشعبية والفيضانات الكثيرة الرئوية واسترخاء منسوج الرئتين وترشحاتهما المصلحية فتحدث تنحما اكثر واسهل

وهى تستعمل ايضا فى النزلات المخاطية العتيقة التى تصيب الشيوخ ، وفى الربو المصاحب للاحتقان فى طرق التنفس وفى تلبكات المزمار والحنجرة والفم الخلفى

وكثيراً ما تستعمل فى السعال التشنجى
واستعملت فى الالتهاب البريتونى
الولادى ونالوا من ذلك نجاحا
ثم أهمل استعمال الابيكاكوانا الى
نحو منتصف القرن التاسع عشر ثم تجدد
استعمالها لانها بتأثيرها على المعدة والصدر
فى آن واحد تتسلط على الحلس المزدوج
لهذا الداء ولكن نفعها يكون بعد نقص
شدة أعراض الالتهاب بالافصاد ومع هذا
فلا يتحصل منها على النتائج التى بالغوا فى
ذكرها

وكانوا قديما يستعملونها دواء عاما مع
ان التجربة لم تحقق ذلك فكانوا ينسبون
لها خاصة التعريق مع أن المعرقات كلها
تعرق مدة عملها فتكون أهلا لطرد المواد
السمية من البدن وابعاد الطاعون

وكانوا يعالجون بها دودة القرع
والحميات المتقطعة مع ان ذلك قد يشاهد
أيضا فى مقيئات أخر

وقد ذكروا لها منافع فى الامراض
العصبية لمضادتها للتشنج قالوا ولعل ذلك
منسوب للمادة الدسمة الحريفة القوية
الرائحة المحوية فيها وقالوا انها تبرىء
القولنجات أيضا . ولكن هجر الاطباء
استعمالها الآن فى هذه الامراض . وهى
لا تستعمل الآن فى علاجات الاطفال
وأمراض الصدر. أما خاصة التقيىء فيفضل
عليها الطرطير المقىء الا فى لآفات المعدية
المعوية وان خالف بعضهم فى ذلك

المقدار الذى يؤخذ عادة للقىء من
الابيكاكوانا هو ٢٥ سنتى غرام . ولكن
اذا أريد احداث قىء خفيف بغير ازعاج
استعمل مقدار من ٢ سنتى غرام الى ٢٠
سنتى غرام على حسب السن (انظر المادة
الطبية)

﴿عرق السهل﴾ هو نبات له أنواع
عديدة نافعة فى التداوى والتغذية. له ساق
حشيشية ترتفع عن الارض من ٤ الى ٥
اقدام اسطواناته فيها قنوات واضحة جدا
واوراقه السفلى مستطيلة سهمية حادة والعليا
بيضية مستطيلة كبيرة الحجم منتهية بنقط
ومحمولة على ذنيب طويل غشائى قنوى من
قاعدته . وازهاره مخضرة يتكون فيها
شبه عناقيد فى الاجزاء العليا من فروع
الساق والكأس كثرى منقسم الى خمسة
أقسام وثماره مثلثة ملتصقة الغلاف .وهذ
النبات معمر ويظهر فى الصيف ويكثر
وجوده فى البرارى اليابسة والمحال غير

المزروعة لستعمل منه فى الطب جذوره وأحيانا أوراقه

(صفاته النباتية) جذره طويل ليفى متباء مغرلى ضارب للسمرة من الخارج ومصفر من الباطن ويكاد يكون عادم الرائحة طعمه يكون أولا تفها ثم مراً حريفا قليل القبض. واذا مضغ صير اللعاب أصفر. وأوراق هذا النبات حمضية

(صفاته الكماوية) يحتوى هذا الجذر على قواعد خلاصية تذوب فى الماء ولذا لا يستعمل الا مغلى. ووجد فيه أيضا كبريت ويحتوى هذا الجذر أيضا على نشا. والخلاصة التى تؤخذ منه تحتوى على نشا وكبريت وزلال نباتى وأوكسالات الكلس

وقد حلله ريجيل فوجده يحتوى على راتينج وروسين وكبريت ومادة خلاصية شبيهة بالمادة التنينية ونشا وزلال وأملاح

(استعمالاته الدوائية) هو من المغليات الكثيرة الاستعمال فى المستشفيات لون هذا المغلى أحمر ومرارته ليست كريهة ويشاهد عمله المقوى فى الطريق المضمية فيستعمل مع النجاح فى ضعف المعدة والامعاء فيفتح الشهية ويجعل الهضم أسهل وأنظم. وشوهد ان متعاطى هذا المغلى يفرز عرقا غزيراً فهو كغيره من المغايات يعين على التنفيس الجلدى بتقوية الفعل الحيوى فى المجموع الجلدى

ونسبوا لهذا المغلى نتيجة ادرار البول ولكن ذلك ايضا ناشىء من نفوذ السائل الحامل لقواعده الفعالة فى الدم ويمكن أن يحصل الادرار أحيانا من تأثير تلك العناصر فى الاعضاء المفرزة للبول

وكثيراً ما شوهد انطلاق البطن من استعمال مغلى هذا النبات بمقدار كبير فى مرة واحدة وهو كالراوند يبقى فضلات ولكنها منه أكثر ومع ذلك فالراوند أحسن فعلا منه لاجتماع خاصة الاسهال والتقوية فيه

اشتهر هذا الجذر فى علاج أمراض الجلد فيؤمر بمغليه عادة فى الآفات القوبائية والجربية وغيرها . فقواعده الدوائية التى يقبلها الجسم من استعمال هذا الدواء مدة طويلة تكون كثيرة تؤثر بخواصها المقوية على المجموع الجلدى فيحصل النفع من ذلك . فاذا كانت الآفة الجلدية مصحوبة بحرارة واحمرار وتهيج وحمى فان هذا الاستعمال يكون

مضرا

وقد ذكروا أيضا لهذا الجذر نفعا فى تلبكات الاحشاء اى سددها ولكن من المعلوم ان تلك الآفات مختلفة جدا وغير جيدة البيان

وذكروا نفعه أيضا فى بعض اليرقانات ولكن يلزم أن تعين آفات الكبد التى يصح أن تتوجه لها خاصة تقوية هذ الجذر لأن صفرة الجلد قد تحصل من أسباب كثيرة مختلفة . فاذا تيسر مقاومة شيء منها بهذ الداء تعسر مقاومة شيء منها لكونه يستند أو ينقل منه

(المقدار وكيفية الاستعمال) لا يستعمل فى الغالب الا مغلى الجذور فيؤخذ منه أوقية من الجذور الجافة المكسرة او اوقيتين من الجذور الرطبة وتغلى فى نحو رطلين من الماء فمغليه الحار يكون ثخينا لتعلق النشاء به (انظر المادة الطبية)

عرق السوس) هو نبت معمر اذا تشبث بمكان عسرت ازالته منه يمتد فى الارض نحوا من عشرة اذرع ويغلظ حتى يصير كفخذ الرجل ولا يطول أكثر من شبرين ويزهر بين حمرة وزرقة والمنتفع به اصله وأجوده الهش الرزين الصادق الحلاوة

أجوده المجلوب من الوجه القبلى بمصر ثم يليه العراقى فالشامى وأردأه الاسود وتبقى قوته عشر سنين

(خواصه الطبية) يجلو البياض كحلا وينفع سائر مرض الصدر والسعال ويخرج البلغم ولكنه ضعيف التأثير فى الرطوبات الفسخة

وهو يد ... وأوجاع الكبد والطحال والحرقة واللهيب ويدر الطمث ويصح البواسير وينقى الفضلات كلها وهو يجلو البصر ويقطع الشقيقة والصداع المزمن وربه أجود فى ذكر وقيل ان فيه ضررا بالكلى ونصلحه الكثيراء . وبالبطن ويصلحه العناب

عرق النسا هو نوع من وجع المفاصل ويبتدىء من مفصل الورك وينزل الى خلف على الفخذ ويمتد الى الركبة فيحدث فى هذه الجهات ألم شديد يصحبه وجع فى الكليتين وقد يتأثر المصاب بهذا الداء من ملامسة خفيفة للركبة أو ثنيها فيحدث له من جراء ذلك ألم يمكث عدة دقائق أو عدة ساعات أو عدة أيام

بدون انقطاع أو بانقطاع خفيف . وقد يشتد هذا الالم حتى يمنع المصاب من المشى

(أسباب هذا الداء) البرد والجراح والضغط على الاورام والعروق المنتفخة اللاصقة بالاعصاب وامتلاء الامعاء الغليظة بكتل كبيرة من المواد الفضلية الجامدة ووقوف الدم والحمى التيفودية والتدرن الخ

(علاجه من الطب الطبيعى) يؤخذ كل يوم حمام بخارى فى السرير وهو يكون باحاطة الجسم بزجاجات مملوءة ماء غاليا وملفوفة فى خرق مبتلة يظل المريض محاطا بهذه الزجاجات حتى يعرق عرقا خفيفا ثم يدلك جسمه بالماء الفاتر ويجب فى هذه الحالة غسل جهات الكليتين وما دونهما بماء أكثر سخونة . فاذا حدث تحسن وجب تقليل حرارة الماء الذى يغسل به جهات الكليتين تدريجا . ثم يجب تدليك عرق النسا بلطف مع زيادة الشدة تدريجا

ثم يجب على المريض أن يأخذ حماما جلوسيا حارا نحوا من عشرين دقيقة

فاذا كانت آلام شديدة فتوضع رفادات حارة جداً على محلات الالم والافضل أخذ حمام جلوسى حار جداً

الحمام الجلوسى هو أن يجلس المصاب فى الماء فى احواض خاصة بذلك

أما الاغذية فيجب أن تكون غير مهيجة ومتنوعة ويجب استنشاق هواء نقى فاذا حدث امساك وجبت محاربته بالحقن الشرجية

قال الدكتور (ورنر) : « مرض عرق النسا من أكثر الامراض شهرة وقد يتحصل من الدلك على نتائج مدهشة فيه حتى ولو كان المرض يصعد تاريخه الى عدة سنين »

اذا كان سبب مرض عرق النسا البرد كان من طبيعة رومانيزمية فيكفى غالبا دلك قوى على طول هذا العرق باضافته الى تمويج خاص

وقد يكون سبب هذه الآلام الشديدة فساد حصل فى أعصاب تلك الاعضاء أو التهابات فيها يجاورها، فيكفى والحالة هذه أن تدلك تلك الاعضاء فتنصرف منها تلك التحصيلات الالتهابية ويزول الالم

وقد يكون سبب هذه الآلام ترشح حادث من الحوض الى تلك الاعضاء، وفى

هـذه الحالة يحـدث الشـغاء من ذلك الحوض

نقول هنا أن للدالك قواعد وأصول وهو جدير بأن تكون له نتائج مدهشة ان تولاه من يحسنه من مهرة المدلكين

﴿العراق العربي﴾ هو قطر كان من أقطار المملكة العثمانية بآسيا على المجرى السفلى لنهرى الدجلة والفرات وقد كان به دولتا البابليين والكلدانيين القديمتان يبلغ طوله ٧٥٠ كيلو مترا وعرضه ٣٠٠ كيلو متر أشهر محصولاته البلح واكبر مدائنه البصرة وبغداد

يحده شمالا الكردستان والجزيرة وشرقا بلاد العجم وغربا الصحراء وجنوبا الخليج الفارسى والصحراء

وهو سهل متسع خصب التربة جوه شديد الحرارة صيفا وشديد البرد شتاء لانخفاض ارضه وكثرة رطوبتها

معظم سكانه من العرب وكثير منهم رحالة . وكان عبارة عن ولاية واحدة هى ولاية البصرة سكانها نحو ٢٥٠ الفا عاصمتها البصرة على شط العرب وهى كثيرة النخل ومن المراكز التجارية الهامة بين الهند والعراق وفارس والاناضول وبلاد العرب

من مدن هذه المملكة المنتفك

(تاريخ العراق) قد ان العراق كان عبارة عن مملكتى البابليين والكلدانيين فى القدم ثم استولى عليه الاسكندر المقدونى سنة (٣٣١) قبل الميلاد ثم بنو ساسان من ملوك الفرس سنة (٣٠٢) قبل الميلاد أيضا ثم زال حكم الفرس ثم عاد اليهم سنة ١٤٠ قبل الميلاد أيضا

ثم استولى عليه العرب فى صدر الاسلام وعرف عندهم باسم العراق العربى فكان ذا شأن كبير فى تاريخ الدولة الاسلامية . بنى المسلمون فيه البصرة سنة (٦٣٦) للميلاد ثم بغداد سنة (٧٦٢) وقد لبثت الدولتان العثمانية والفارسية تتنازعان السلطة عليه حتى فازت الاولى بمعظمه سنة (١٦٣٨) للميلاد وقد استقل بعد الحرب العامة سنة (١٩١٨)

﴿العراق العجمى﴾ هو ولاية فى وسط بلاد العجم تبلغ مساحتها (٣٥٧٠٠٠) كيلو متر مربع فهو قلب بلاد الفرس وفيه عواصمها الكبيرة همذان وطهران واصبهان

﴿العراقى﴾ هو أبو اسحق ابراهيم ابن منصور بن المسلم الفقيه الشافعى

المصرى المعروف بالعراقى الخطيب بجامع مصر

كان من فضلاء الفقهاء ولم يكن من العراق وانما سار الى بغداد واشتهر بها مدة فنسب اليها

قرأ الفقه ببغداد على أبى بكر محمد ابن الحسين الاموى وكان من أصحاب الشيخ أبى اسحق الشيرازى وعلى ابى الحسن محمد بن المبارك بن الخل البغدادى وتفقه ببلده على القاضى أبى المعالى مجلى ابن جميع

وكان فى بغداد يعرف بالمصرى فلما رجع الى مصر قيل له العراقى

وقد روى عن الخطيب أبى اسحق المذكور أنه كان يقول أنشدنى شيخنا ابن الخل المذكور ببغداد ولم يسمه قائلا :

فى زخرف القول تزيين لباطله
والحق قد يعتريه سوء تدبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه
وان ذممت فقل قىء الزنابير
مدحا وذما وماجاوزت وصفهما
حسن البيان يرى الظلماء كالنور

ولى الخطابة بجامع مصر بعد وفاة والده وكانت له خطب جيدة وشعر رقيق فمن شعره فى العماد بن جبريل المعروف بابن أخى العلم وكان صاحب ديوان بيت المال بمصر وكان قد وقع فانكسرت يده قوله :

ان العماد بن جبريل أخى علم
له يد أصبحت مذمومة الاثر
تأخر القطع عنها وهى سارقة
فجاءها الكسر يستقصى عن الخبر

وقيل أن هذين البيتين منسوبان لجعفر ابن شمس الخلافة

ومن شعر ولده عبد الحكم المذكور فى رجل وجب عليه القتل فرماه مستوفى القصاص سهم فأصاب كبده فقتله فقال :

أخرجت من كبد القوس ابنها فغدت
تئن والام قد تحنو على الولد
وبادرت انه لما رميت به
ماسار من كبد الا الى كبد

ومن شعره قوله :

قامت تطالبنى بلؤلؤ نحرها
لما رأت عينى تجود بدرها
وتبسمت عجبا فقلت لصاحبى
هذا الذى اتهمت به فى ثغرها

وهذا معنى جميل اتفق مثله لابن الزقاق الاندلسي البلنسي فى قوله :

وشادن طاف بالكؤس ضحى
فحثها والصباح قد وضحا
والروض يبدى لنا شقائقه
وآسه العنبرى قد نفحا
قلت وأين الاقاح قال لنا
اودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقى المدام يجحد ما
قال فلما تبسم افتضحا

وكان الوزير صفى الدين أبو محمد عبد الله بن على المعروف بابن شكر وزير الملك العادل بن أيوب بمصر قد عزل عبد الحكم المذكور عن خطابة جامع مصر فكتب اليه :

فلأى باب غير بابك أرجع
وبمن سوى غير جودك اطمع
سدت على مذاهبى ومسالكى
الا اليك فدلنى ماأصنع
فكأنما الابواب بابك وحده
وكأنما انت الخليقة اجمع

ولعبد الحكم المذكور يستجلى زوجته :

سترت وجهها بكف عليه
شبك النقش وهى تجلى عروسا
قلت لم يغن عنك سترك شيئاً
ومتى غطت الشباك الشموسا

وله ايضاً :

ومأدبة تنزهت فى لذة
يجنى لنا ما يهوى الماء نوم
ثمن فوقنا الافلاك والفلك تحتنا
ففى تمك بدر وفى تيك نجم

وله أيضاً :

على مهل هوى الاحوال ريث
تخشى ان تضام وانت ليث
بمصر ان قمت فانت نيل
وان سرت الشام فانت غيث

ولد الشاعر فى سنة (٥٠٣) وتوفى سنة (٦٠٣) بمصر

﴿ العُرقوب ﴾ عصب غليظ موتر فوق عقب الانسان . وعرقوب كان رجلا مشهوراً بالكذب

﴿ عَرقل ﴾ الرجلُ جار عن القصد
(عَرقل عليه كلامه) عوجه
(عَرقل الامرَ) صعبه
(تعرقل) تعوج

﴿ عَرَكَ ﴾ الاديم يعرُكه عركا دلكه
(عرِك يعرَك عرَكا) كان شديد العلاج والبطش
(عاركه) قاتله

(اعترك الرجال) تعاركوا
(العَريكة) النفس
(لين العريكة) سلس الاخلاق
(المعرَكة) موضع القتال
عرَم الرجل يعرِم ويعرُم عُراما اشتد وجاوز الحد
(عرمَ الشيءَ) خلطه
(رجل عارِم) شرس
(العَرِم) المؤذي الشرس
(العُرْمة) الكدس من الطعام يداس ثم يذرى
سيل العَرِم قال تعالى:
« لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما صبروا وهل نجازى الا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالى وأياما آمنين . فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور »

ذكر الله سيل العرم فى هذه الآيات على أسلوبه فى ايراد العبر واختلف العلماء فيمن بنى ذلك السد وفى تاريخه . فقال بعضهم ان بانيه سبأ بن يشجب . وقال غيرهم بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخاً فى فرسخ وجعل له ثلاثين مثقبا ، وجعل بناءه بالصخر والقار يحبس سيول العيون والامطار ثم يصرفونها من خروق فى ذلك السد بمقدار ما يحتاجون لزروعهم وشربهم. قالوا ومكث على هذه الحال أيام دولة حمير فلما اختل امرها واضطرب حبلها أنذرتهم بخرابه كاهنة اسمها طريفة على عهد عمرو ابن مزيقياء ملكهم

واختلف مؤلفو المسلمين فى وقت حدوث ذلك السيل فقال حمزة الاصفهانى انه حدث قبل الاسلام باربعمائة سنة . وقال ياقوت انه وقع فى عهد الملك حسان ملك اليمن فى القرن الخامس للميلاد . وقال ابن خلدون مثل ذلك . وقال غيره أقوالا أخرى والله اعلم

العرم فى اللغة السيل فيكون سيل العرم من اضافة الشيء الى نفسه لاختلاف اللفظين

العرمرم الشديد و جيش الكثيف

العرنين الانف كله أو ماصلب من عظمه جمعه العرانين

(عرنين كل شىء) أوله

(العرين) ماوى الاسد

عراه يعروه عرواً ألم به وأتاه طالبا معروفه

(عراه) اصابه

(اعتراه) اصابه . وجاءه قاصداً معروفه

(العروة) من الدلو والكوز المقبض ومن الثوب اخت زره . وكل مايوثق به ويعول عليه

عروة بن الزبير هو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام الصحابى احد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو ابن صفية عمة النبى صلى الله عليه وسلم . وأم عروة بن الزبير أسماء بنت أبى بكر . وهو شقيق عبد الله بن الزبير الذى تولى الخلافة بمكة فى عهد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان

روبت عن عروة رواية فى حروف القرآن . وسمع الحديث من خالته عائشة أم المؤمنين وروى عنه ابن شهاب الزهرى وغيره ، وكان عالما صالحا دينا يقوم ليله ويقرأ فى يومه ربع القرآن نظراً فى المصحف وماترك قيام الليل الا ليلة قطعت رجله لمرض أصابها

قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ولده محمد بن عروة فدخل ولده الى اصطبل الدواب ليستعرضها فضربته دابة فخر ميتا فكان هذا أول ماأصاب عروة فى رحلته هذه ثم وقعت فى رجله الأكلة فشار عليه الوليد بقطعها والا أفسدت سائر جسده ، فعزم على قطعها فلما أحضروا الجراح ليقطعها قال له نسقيك الخمر حتى لاتجد لها ألما . فقال لاأستعين بحرام الله على ماأرجو من عافية . قال نسقيك المرقد وهو البنج . فقال ما أحب ان أسلب عضواً من أعضائى وأنا لا أجد ألم ذلك فأحتسبه

ثم دخل عليه قوم أنكرهم فقال ما هؤلاء ؟ قالوا يمسكونك فان الألم ربما عزب معه الصبر قال أرجو ان أكفيكم ذلك من نفسى . وكان اذ ذاك شيخا مسنا فتولى الجراح العمل فقطع الكعب حتى اذا بلغ العظمة وضع عليها المنشار

فقطعت وهو يهلل ويكبر . ثم انه اغلى له الزيت فى مغارف الحديد فحسم به فغشى عليه ثم افاق وهو يمسح العرق عن وجهه ولما رآى اقدم بايديهم دعا بها فقلبها فى يده ثم قال : أما والذى حملنى عليك ما مشيت بك الى حرم . او قال معصية

واتفق ان قدم على الوليد قوم من بنى عبس فيهم رجل ضرير فسأله الوليد عن عينيه . فقال يا أمير المؤمنين بت ليلة فى بطن واد ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالى فطرقنا سيل فذهب بما كان لى من أهل وولد ومال غير بعير وصبى مولود . وكان البعير صعبا فوضعت الصبى واتبعت البعير فلم اجاوزالا قليلا حتى سمعت صيحة ابنى ورأسه فى فم الذئب وهو يأكله فلحقت البعير لأحبسه فنفحنى برجله على رأسى فحطمه فذهب بعينى فأصبحت لا مال لى ولا أهل ولا ولد ولا بصر

فقال الوليد انطلقوا به الى عروة ليعلم ان فى الناس من هو أعظم منه بلاء

وكان احسن من عزى عروة ابراهيم ابن محمد بن طلحة فقال له : والله ما بك حاجة الى المشى ، ولا ارب فى السعى ، وقد تقدمك عضو من اعضائك ، وابن من ابنائك الى الجنة ، والكل تبع للبعض ، ان شاء الله تعالى . وقد أبقى الله لنا منك ما كنا اليه فقراء ، وعنه غير اغنياء ، من علمك ورأيك ، نفعك وايانا به ، والله ولى ثوابك ، والضمين بحسابك

ولما رجع عروة الى المدينة قال : اللهم انه كان لى أطراف اربعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ثلاثة فلك الحمد وأيم الله لئن أخذت لقد ابقيت ، ولئن ابتليت لطالما عافيت . وعاش بعد قطع رجله اربع سنين

هذه الروح العالية التى ظهر بها عروة أمام هذه النازلة الفاجعة وذلك الثبات الذى تحلى به حيال الآلام والاوجاع من اخص ما يكسبه الدين الحق لأهله . فان فيه عزاء فى المصيبة وتسلية فى النازلة حتى ان صاحبه ليرى نفسه قد ارتفعت عن عالم الطبيعة واستوت على مستوى سما بها عن الاهتمام بأحوال هذا العالم الفانى وأوما به وسبحت فى سبحات النور الروحانى فى غبطة وسرور معنويين لا يصورهما خيال شاعر مهما سرى فى السرائر وجسد خطرات الخواطر

اين هؤلاء من أولئك الذين ألمت بهم الرعونات البشرية فتراهم ان شاكت

أحدهم شوكة بات من اجلها قلقاً هلعا يحسب لها الف حساب خشية أن تستدعى من الاوصاب الجسدية مايودى بحياته فيرحل من هذا العالم الذى أنس به غاية الانس على مابه من كدر ووصب ولم يهيىء نفسه لادراك ماوراءه مما أعد للانسان وكتب له

الانسان بانصرافه عن الله وعن الانس به يعيش معيشة البهائم ولكنه لم يعط جهالة البهيمية حتى يتسنى له ان يعيش مثلها بين عوارض الطبيعة وجوائحها على اهله وولده فاقد الشعور غليظ الكبد ، بل تراه يحس بالألم المعنوى ويتوجه لما ينوهمه نوهم فضلا عما يشعر به شعوراً ، فيقضى حياته كلها بين الخوف والهلع فى حالة لاتليق بسمو طبيعته منتظراً اليوم الذى ينتهى فيه أجله بحالة من الخوف لاتصور بصورة وكان يكفيه هذا الهلع كله ان لاينسى مصدر حياته فيجعل بينه وبينه اتصالا بالعبادة له والانقياد لحابه حتى يمنحه من روحه بما يطمئن له وتهدأ عنده جيشات صدره فتتزايله رعونات الشرية ويستوى بشراً سويا عالما انه سينتهى الى نهايات طبيعية فلا يجزع لورودها لعرفانه بحدودها

والطمئنان لى عذبة مبدعه منى سعى

قال تعالى : « ومن [illegible]

وقال تعالى : [illegible] خلق هلوعا

مسه الشر جزوعا [illegible]

الا المصلين »

عروة بن أذينة الليثى [illegible]

المشهور [illegible] حديث عن ابن [illegible]

عنه مالك فى الموطأ وكان من فحول [illegible]

من شعره :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى [illegible]

[illegible]

أسعى [illegible]

[illegible]

فان حظ [illegible]

لا [illegible] يجده [illegible]

لاخير فى طمع يدنى لمنقصة

وعفة من كفاف العيش تكفينى

كم من فقير غنى النفس تعرفه

ومن غنى فقير النفس مسكين

ومن عدو رمانى لو قصدت به

لأخذ النصف منه حين يرمينى

ومن اخ لى طوى كشحا فقلت له

ان انطواءك عنى سوف يطوينى

انى لانظر فيما كان من أدبي
واكثر الصمت فيما ليس يعنيني
لا ابتغي وصل من يبغي مقاطعتي
ولا ألين لمن لا يبتغي ليني

فاتفق ان عروة وفد هو وجماعة من الشعراء على هشام بن عبد الملك فنسبهم فما عرفه قال له ألست القائل :

فقد علمت وما الاسراف من خلقي
ان الذي هو رزقي سوف يأتيني

قال عروة : نعم. قال فهلا قعدت في بيتك حتى يأتيك ؟

وغفل هشام . فخرج عروة من وقته وركب راحلته ومضى منصرفا فافتقده هشام فلم يره وسأل عنه فقيل له راح الى الحجاز. فأتبعه بجائزة. وقال للرسول قل له اردت أن تكذبنا وتصدق نفسك . فلحقه وبلغه الرسالة ودفع اليه جائزة

فقال للرسول أبلغ أمير المؤمنين مني السلام وقل له صدقني الله وكذبك

توفي في حدود الثلاثين ومئة

عروة بن حزام العذري هو أحد عشاق العرب المشهورين من الذين قتلهم الغرام

كان يهوى امرأة يقال لها عفراء وكانت تربا له يلعبان معا وهما صغيران فألف كل واحد منهما صاحبه وكان عمه عقال يقول لعروة أبشر فان عفراء امرأتك ان شاء الله تعالى . فلم يزالا الى ان التحق عروة بالرجال وعفراء بالنساء . وكان عروة قد رحل الى عم له باليمن ليطلب منه ما يمهر به عفراء لأن امها استامته كثيرا في مهرها . فنزل بالحي رجل ذو يسار ومال من بني امية فرأى عفراء فأعجبته فبذل كثيراً من المال فلم تزل أمها بأبيها الى ان زوجها منه فلما اهديت اليه قالت :

ياعرو ان الحي قد نقضوا
عهد الاله وحالفوا الغدرا

وارتحل الاموي بعفراء الى الشام وعمد ابو عفراء الى قبر فجدده وسواه وسأل الحي كتمان أمرها . ثم وفد عروة بعد ايام فنعاها ابوها اليه وذهب به الى ذلك القبر وبقي مدة يختلف اليه فأتته جارية من الحي فأخبرته بالقصد فرحل الى الشام وقصد الرجل وانتسب له عدنان فأكرمه وبقي عنده مدة ايام فقال لجارية عفراء هل لك في يد تولينيها . فقالت وما هي ؟ قال هذا الخاتم تدفعينه الى مولاتك. فأبت عليه فعرفها وقال اطرحي هذا الخاتم في صبوحها

فان أنكرته فقولى ان ضيفك اصطبح قبلك ووقع من يده . فلما فعلت الجارية ذلك عرفت عفراء الخبر . فقالت لزوجها ان ضيفك ابن عمى فجمع بينهما وخرج وتركهما وأوقف من يسمع ما يقولانه فتشاكيا وتباكيا طويلا ثم أتته بشراب وسألته شربه . فقال ما دخل جوفى حرام قط ولا ارتكبته . وأنت حظى من الدنيا وقد ذهبت منى وذهبت منك ولا أعيش بعدك . وقد أجمل هذا الرجل الكريم وأنا مستحى منه ولا أقيم بمكانه بعد علمه بى . وانى لأعلم انى أرحل الى منيتى ثم بكى وبكت . وسأل زوجها فأخبره الخادم بما جرى بينهما . فقال ياعفراء امنعى ابن عمك عن الرحيل . فقالت لا يمتنع . فدعاه وقال اتق الله فى نفسك وقد عرفت خبرك وان رحلت تلفت ووالله ما أمنعك من الاجتماع بها أبداً . وان شئت فارقتها . فجزاه خيراً وقال كان الطمع فيها شاقنى والآن قد صبرت نفسى ويئست منها ويئست منى واليأس سبيلى ولى أمور ولا بد من الرجوع اليها ، فان وجدت بى قوة لذلك والا عدت اليكم وزرتكم حتى يقضى الله فى أمرى ما يشاء . فزودوه وأكرموه وأعطته عفراء خماراً لها . فلما سار عنها نكس بعد صلاحه وتمادى به غشى وخفقان . وكان كلما أغمى عليه ألقى عليه غلامه ذلك الخمار فيفيق . فلقى فى الطريق ابن مكحول عراف اليمامة فجلس عنده وسأله عما به وهل هو خبل أم جنون ؟ فقال له عروة ألك علم بالاوجاع ؟ قال نعم فأنشد عروة يقول :

أقول لعراف اليمامة داونى
فانك ان داويتنى لطبيب
فوا كبدى أمست رفاتاً كأنما
يلذعها بالموقدات طبيب
عشية لا عفراء منك قريبة
فتدنو ولا عفراء منك قريب
فوالله ما أنساك ما هبت الصبا
وما عقبتها فى الرياح جنوب
عشية لا خلفى مكر ولا هوى
أمامى ولا يهوى هواى غريب
وانى لتغشانى لذكرك فترة
كأن لها بين الضلوع دبيب

قال الاخباريون انه مات فى سفرته تلك قبل أن يصل الى أهله بثلاث ليال وبلغ عفراء خبره فجزعت جزعاً شديداً وقالت ترثيه :

ألا أيها الركب المجدون ويحكم
أحقا نعيتم عروة بن حزام
فلا يهنأ الفتيان بعدك لذة
ولا رجعوا عن غيبة بسلام

ولم تزل تنشد الاشعار وتندبه وتبكيه الى أن ماتت كما قيل بعده بأيام قلائل

وعن أبي صالح قال كنت مع ابن عباس بعرفة فأتاه فتيان بحملان فتى لم يبق الا خياله فقالوا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أدع الله تعالى له . قال وما به ؟ فقام الفتى ينشد شعراً :

بنا من جوى الاحزان فى الصدر لوعة
تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما ألقى حشاشة معول
على ما به عود هناك صليب

قال ثم خفت فى أيديهم فاذا هو قد مات ، فما رأيت ابن عباس سأل الله تعالى فى عشيته الا العافية مما ابتلى به ذلك الفتى . قال وسألت عنه فقيل له هو عروة بن حزام

ومن شعره قوله :

خليلى من عليا هلال بن عامر
بعلياء عوجا اليوم وانتظرانى
ولا تزهدا فى الاجر عندى واجملا
فانكما بى اليوم مبتليان
ألما على عفراء انكما غداً
بوشك النوى والبين معترفان
فيا واشيي عفراء ويحكما بمن
ومن والى من جئتما تشيان
بمن لو أراه عانيا لفديته
ومن لو رآنى عانيا لفدانى
متى تكشفا عنى القميص تبينا
بى السقم من عفراء يا فتيان
فقد تركتنى لا أعى لمحدث
حديثا وان ناجيته ودعانى
وحملت زفرات الضحي فأطقتها
ومالى بزفرات العشى يدان
جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد إن هما شفيانى
فما تركا من حيلة يعملانها
ولا شربة الا وقد سقيانى
ورشا على وجهى من الماء ساعة
وقاما مع العواد يبتدران
وقالا شفاك الله والله مالنا
بما ضمنت منك الضلوع يدان
فويل على عفراء ويل كأنه
على الصدر والاحشاء حد سنان

احب ابنة العذراء حبا وان نأت
وانبت منها حبتما تريان
اذا رام قلبي هجرها حال دونه
شفيعان من قلبي لها جدلان
اذا قلت لا قالا بلى ثم أصبحا
جميعا على الرأى الذى يريان
تحملت من عفراء ماليس لى به
ولا للجبال الراسيات يدان
فيارب أنت المستعان على الذى
تحملت من عفراء منذ زمان
كأن قطاة علقت بجناحها
على كبدى من شدة الخفقان

﴿ابو العلاء المعرى﴾ هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي من أهل معرة النعمان حكيم الشعراء وشاعر الحكماء لم ينبغ فى الاسلام شاعر أعلى منه همة ولا أكرم منه نفسا ، واجدر بنا أن نحشره في زمرة الحكماء والعلماء من أن نحشره فى طائفة الشعراء لانه ماقال الشعر كاسبا ، ولامدح احداً راغبا ، وهو مع علو كعبه فى الشعر كان ملماً باللغة متبحراً فى فنونها

ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة (٣٦٣) فحدث له جدرى في سنته الثالثة ذهب ببصره فكان يقول لا أعرف من الالوان الا الاحمر لانى ألبست فى الجدرى ثوبا مصبوغا بالعصفر لا أعرف غيره

كان يقول أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيرى على البصر

وهو من بيت علم وفضل ورياسة . تولى قوم من أقاربه القضاء وكان منهم العلماء الاعلام والشعراء المطبوعون

قال الشعر وهو ابن احدى عشرة أو اثنتى عشرة سنة ورحل الى بغداد ثم رحل الى المعرة . أقام ببغداد سنة وسبعة أشهر . فلما كان بها دخل على أمير المؤمنين المرتضى فعثر برجل فقال من هذا الكلب؟ فأجابه أبو العلا على الفور : الكلب من لايعرف للكلب سبعين اسما. فأدناه المرتضى واختبره فوجده عالما مشبعا بالفطنة والذكاء فأقبل عليه وأكرم مثواه

ولما رجع المعرى الى بلده سمى نفسه (رهين الحبسين) يعنى حبس نفسه فى منزله وحبس بصره بالعمى

عن ابن غريب الايادى قال انه دخل مع عمه على أبى العلاء يزوره فوجده قاعداً على سجادة لبد وهو شيخ فان فدعا له ومسح على رأسه قال وكأنى أنظر اليه

الساعة والى عينيه احداهما نادرة والاخرى غائره جدا . وهو مجدور الوجه نحيف الجسم

وعن المصيصى الشاعر قال : لقيت بمعرة النعمان عجبا من العجب ، رأيت أعمى شاعرا ظريفا يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل فى كل فن من الهزل والجد يكنى أبا العلاء وسمعته يقول أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيرى على البصر

كان أبو العلاء عجيبا فى الذكاء المفرط والحافظة ، ذكر تلميذه أبو زكريا التبريزى انه كان قاعدا فى مسجده بمعرة النعمان بين يدى ابى العلاء يقرأ شيئا من تصانيفه قال وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحداً من أهل بلدى فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة فرأيته وتغيرت من الفرح فقال لى أبو العلاء اى شىء أصابك ؟ فحكيت له انى رأيت جارا لى بعد ان لم ألق أحداً من أهل بلدى سنين . فقال لى قم فكلمه . فقلت حتى أتمم النسق . فقال لى قم وانا انتظرك . فقمت وكلمته بلسان الاذربيجانية شيئا كثيرا الى أن سألت عن كل ما أردت فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لى اى لسان هذا ؟ قلت له هذا لسان اذربيجان فقال لى ماعرفت اللسان ولا فهمته غير انى حفظت ماقلتما ثم أعاد على اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه بل جميع ماقلت وما قال جارى فتعجبت غاية العجب من حفظه مالم يفهمه

كان أبو العلاء قد رحل الى طرابلس وكان بها خزائن كتب موقوفة فاخذ منها ما أخذ من العلم واجتاز باللاذقية ونزل ديرا كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة فسمع كلامه وأخذ عنه

الناس فى حيرة من أمر أبى العلاء من جهة اعتقاده فقد أورد له الرازى فى الاربعين قوله :

قلتم لنا صانع قديم
قلنا صدقتم كذا نقول
ثم زعمتم بلا مكان
ولا زمان ألا فقولوا
هذا كلام له خبىء
معناه ليست لنا عقول

ثم قال الرازى كان المعرى متهما فى دينه لايرى كالبراهمة افساد الصورة ولا يأكل لحما ولا يؤمن بالرسل ولا البعث ولا النشور

وروى ابو زكريا الرازى قال قال لى

المعرى يوما ماالذى تعتقد ؟فقلت فى نفسى سيتبين لى اعتقاده ، فقلت ما أنا الاشاك . فقال لى هكذا شيخك

وكان الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد يقول عنه هو فى حيرة

قال صلاح الدين الصفدى وهذا أحسن مايقال فى أمره لانه قال:

خلق الناس للبقاء فضلت
أمة يحسبونها للنفاد
انما ينقلون من دار أعما
ل الي دار شقوة أو رشاد

ثم قال :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا
زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ثم قال صلاح الدين الصفدى أما الموضوع على لسانه فلعله لايخفى على ذى لب . وأما الاشياء التى دونها وقالها فى (لزوم مالا يلزم) وفى (استغفر واستغفرى) فما فيه حيلة وهو كثير من القول بالتعطيل والاستخفاف بالنبوات ويحتمل انه ارعوى وتاب بعد ذلك كله

قال القاضى أبو يوسف عبد السلام القزوينى قال المعرى : لم أهج أحداً قط . قلت صدقت الا الانبياء عليهم السلام فتغير لونه أو قال وجهه

ودخل القاضى المنارى فذكر له مايسمعه عن الناس من الطعن عليه . ثم قال مالى وللناس وقد تركت دنياهم . فقال القاضى وأخراهم ، فقال ياقاضى وأخراهم وجعل يكررها

هذا وقد رويت أشياء تدل على تدينه وصحة عقيدته : من ذلك ماحدث به الحافظ الخطيب حامد بن بختيار النمرى قال سمعت القاضى ابا المهذب عبد المنعم بن احمد السروجى يقول سمعت أخى القاضى أبا الفتح يقول دخلت على أبى العلاء التنوخى بالمعرة ذات يوم فى وقت خلوة بغير علم منه وكنت أتردد عليه وأقرأ عليه فسمعته ينشد من قبله :

كم بودرت غادة كعوب
وعمرت أمها العجوز
أحرزها الوالدان خوفا
والقبر حرز لها حريز
يجوز أن تبطىء المنايا
والخلد فى الدهر لايجوز

ثم تأوه مرات وتلا « ان فى ذلك

... من خاف عذاب الآخرة ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وما نؤخره الا لأجل معدود ، يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد »

ثم صاح وبكى بكاء شديداً وطرح وجهه على الارض زمانا ثم رفع رأسه . ومسح وجهه . وقال سبحان من تكلم بهذا فى القدم ، سبحان من هذا كلامه

فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فرد على . وقال متى أتيت ؟ فقلت الساعة . ثم قلت ياسيدى أرى فى وجهك أثر غيظ فقال لا يا أبا الفتح بل أنشدت شيئا من كلام المخلوق وتلوت شيئا من كلام الخالق فلحقنى ماترى

فتحققت صحة دينه وقوة يقينه

عن أبى اليسر المعرى ان أبا العلاء كان يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الاشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصد اهلاكه، وايثاراً لاتلاف نفسه.وفى ذلك يقول :

حاول اهوانى قوم فما
أجبتهم الا باهوان

يحرشونى بسعاياتهم
فغيروا نية اخوانى

لو استطاعوا الوشوا بى الى الـ
مريخ والشهب وكيوان

الحق ان أبا العلاء كان يتسامح فى شعره كثيراً فيتناول ذكر الشرائع والنبوات والبعث بما لا يحسن من القول ويبعد أن يكون كل ذلك موضوعا عليه ، لان جملة شعره تشير اليه ، ولكننا لاننسب ذلك لفساد عقيدته بل لقلة مبالاته بتبعات القول ، ولو كان ملحداً لجاهر بالحاده لما يعرف عنه من الجرأة على التصريح بما يعتقد ولما قال مايشعر عنه بانه مؤمن صادق الايمان كقوله:

والذى حارت البرية فيه
حيوان مستحدث من جماد

فاللبيب اللبيب من ليس يغتر
بكون مصيره للفساد

وكقوله :

خلق الناس للبقاء فضلت
أمة يحسبونهم للنفاد

انما ينقلون من دار أعما
ل الى دار شقوة أو رشاد

وماروى عنه فى نفى الصانع وأوردناه

هنا ربما كان موضوعا عليه لاننا لم نطلع عليه فى لزومياته

كان أبو العلاء المعرى حكيما قولا وعملا فانه كان من التقشف والزهد بحيث لا يلحقه فيهما الا العباد المتبتلون فلم يتزوج خشية أن يجنى على أولاده ما يسىء اليهم طول حياتهم وقد قال فى ذلك :

هـذا جناه أبى على
وما جنيت على أحـد

وكان أكله العدس وحلاوته التين ولباسه القطن وفراشه اللباد وحصيره برديه وفى هذا دلالة على سمو روحه ، وكبر فؤاده . ولو كان يريد الأثراء لبلغ بشعره أبعد شأو فيه

امتنع ابو العلاء المعرى عن أكل اللحم مدة خمس وأربعين سنة زهادة ورحمة بالارواح الحيوانية والى ذلك أشار على ابن همام حين رثاه فقال من قصيدة طويلة :

ان كنت لم ترق الدماء زهادة
فلقد أرقت اليوم من عينى دما

قيل لقى أبا العلاء رجل فقال له لم لم تأكل اللحم ؟ فقال أرحم الحيوان . قال فما تقول فى السباع التى لا طعام لها الا لحوم الحيوان ؟ فان كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه ؛ وان كانت الطبائع المحدثة لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن .

قيل فسكت أبو العلاء

نقول نرجح أن أبا العلاء لم يسكت عجزا عن الجواب ان صحت هذه الرواية لأنه كان يستطيع أن يقول له ان تشبيه الانسان بالعجماوات المفترسة ليس من الصواب فى شىء . فان تلك لم تعط من الشعور ما يرفعها عن مستوى البهيمية قيد أنملة ، ولكن الانسان قد بُنى أمره على دوام الترقى فى الشعور والتدرج فى مراقى الكمال، فهو ان اضطر الى افتراس الحيوان فى عهد من عهوده لسد حاجته الجسدية حفظا لبقائه ، فليس بعجيب أن يقلع عن ذلك الافتراس وازهاق روح الحيوانات فى عهد آخر حين تكفيه الارض حاجته الغذائية. وقد أباح الخالق للانسان افتراس الحيوانات اباحة ولم يوجب عليه أكل اللحم إيجابا ؛ وفرق كبير بين الاباحة والايجاب . فلكل انسان أن يكف نفسه عن أكل اللحم ولا حرج عليه ويكون له أجر الصالحين ان كان كفه عن ذلك رحمة منه بالحيوان وابقاء عليه

وكل ما ورد فى الدين من الامر بذبح

الحيوانات لم يقصد منه الذبح لذاته قال تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » اى قصد به ما يستتبع ذبحها من التوسعة على الفقراء . وعندى ان الانسان لو وسع على الفقراء من الاغذية النباتية كانت النتيجة واحدة ويفضل الامر الثانى الامر الاول ان قصد فاعله مع ذلك الرحمة بالحيوان فان الله رحيم يحب الرحماء

يثور أكثر الناس على مثل هذا الكلام لانه يرمى الى حرمانهم من لذة يعتبرونها أكبر اللذات، ولو تأملوا قليلا ونظروا الى أنفسهم وهم يلوكون فى أفواههم تلك الاشلاء الحيوانية المقطعة التى كانت قبل أن يموهوها بالنار تقطر دما عبيطا وتنز سوائل منتنة لربأوا بأنفسهم عن هذه الغمة التى لم يجعلها لذة غير العادة والالف

هذا فضلا عما ثبت من ان أكل اللحم يورث الامراض القلبية والروماتيزمية والنقطة وتصلب الشرايين وأمراض الكليتين وغير ذلك مما لا يحصى كثرة وان الاكتفاء بالنباتات والفواكه والالبان فضلا عما فيه من اللذة الحقيقية فهو أليق الاغذية ببدن الانسان لا يورث مرضا ولا يستتبع ألما (انظر كلمتى غذاء ولحم من هذا الكتاب)

للمعرى شعر لا يدرك له غور فى بعد النظر فهو احكم ماوقفنا عليه من الشعر العربى ، وفى كثير منه من الاصول والمذاهب مالم يدر فى خلد البشر الا فى القرن التاسع عشر . ولولا ان المعرى كان من المتعمقين فى اللغة فجاءت اشعاره أعلى من متناول الطبقة الوسطى لكانت قصائده اليوم أغانى أهل هذا العصر وأنشوداتهم فى خلواتهم . وانا لعارضون للقارىء احسن ماقاله فى سقط الزند ثم متبعوه بما قاله فى (لزوم مالا يلزم) فيكون للقارىء منه جملة تقف به على حقيقة مكانته من صناعة الشعر وملكه الحكمة

قال فى الغزل :

ياساهر البرق أيقظ راقد السمُر
لعل بالجزع اعوانا على السهر
وان بخلت عن الاحياء كلهم
فاسق المواطر حيا من بنى مطر
ويا أسيرة حجليها ارى سفها
حمل الحلى لمن اعيا عن النظر

ماسرت الا وطيف منك يصحبنى
سرى أمامى وتأويبا على أثرى
لوحط رحلى فوق النجم رافعه
وجدت ثم خيالا منك منتظرى
يود أن ظلام الليل دام له
وزيد فيه سواد القلب والبصر
لو اختصرتم من الاحسان زرتكم
والعذب يهجر للافراط فى الخصر
أبعد حول تناجى الشوق ناجية
هلا ونحن على عشر من العشر
كم بات حولك من ريم وجازية
يستجديانك حسن الدل والحور
فما وهبت الذى يعرفن من خلق
لكن سمحت بما ينكرن من درر
وما تركت بذات الضال عاطلة
من الظباء ولا عار من البقر
قلدت كل مهاة عقد غانية
وفزت بالشكر فى الارام والعُفر
ورب ساحب وشى من جآزرها
وكان يرفل فى ثوب من الوبر
حسنت نظم كلام توصفين به
ومنزلا بك معمورا من الخفَر
فالحسن يظهر فى شيئين رونقه
بيت من الشعر أو بيت من الشعر

أقول والوحش ترمينى بأعينها
والطير تعجب منى كيف لم أطر
لمشمعلّين كالسيفين تحتهما
مثل القناتين من أين ومن ضُمر
فى بلدة مثل ظهر الظبى بت بها
كأننى فوق روق الظبى من حذر
لاتطويا السر عنى يوم نائبة
فان ذلك ذنب غير مغتفر
والخل كالماء يبدى لى ضمائره
مع الصفاء ويخفيها مع الكدر
ياروع الله سوطى كم أروع به
فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر
ثم تخلص من هذا الغزل الى مدح النصيصى فقال :
باهت بمهرة عدنانا فقلت لها
لولا الفصيصى كان المجد فى مضر
وقد تبين قدرى أن معرفتى
من تعلمين سترضينى عن القدر
القائل المحل اذا تبدو السماء لنا
كأنها من نجيع الجدب فى أزر
وقاسم الجود فى عال ومنخفض
كقسمة الغيث بين النجم والشجر
ولو تقدم فى عصر مضى نزلت
فى وصفه معجزات الآى والسور

يبين بالبشر عن احسان مصطنع
كالسيف دل على التأثير بالأثر
فلا يغرنك بشر من سواه بدا
ولو أنار فكم نور بلا ثمر
يا ابن الاولى غير زجر الخيل ما عرفوا
اذ تعرف العرب زجر الشاء والعكر
والقائديها مع الاضياف تتبعها
الافها والوف اللأم والبدر
جمال ذى الارض كانوا فى الحياة وهم
بعد الممات جمال الكتب والسير
وافقتهم فى اختلاف من زمانكم
والبدر فى الوهن مثل البدر فى السحر
الموقدون بنجد نار بادية
لا يحضرون وفقد العز فى الحضر
ذا همى القطر شبتها عبيدهم
تحت الغمائم للسارين بالقطر
من كل أزهر لم تأشر ضمائره
لثم خد ولا تقبيل ذى اشر
لكن يقبل فوه سامعى فرس
مقابل الخلق بين الشمس والقمر
كأن أذنيه أعطت قلبه خبراً
عن السماء بما يلقى من الغير
يحسن وطء الرزايا وهى نازلة
فينهب الجرى نفس الحادث المكر
من الجياد اللواتى كان عودها
بنو الفصيص لقاء الطعن بالثغر
تغنى عن الوردان سلوا صوارمهم
أمامها لاشتباه البيض بالغدر
أعاذ مجدك عبد الله خالقه
من أعين الشهب لا من أعين البشر
فكم فريسة ضرغام ظفرت بها
فحزتها وهى بين الناب والظفر
ماجت نمير فهاجت منك ذا لبد
والليث أفتك أفعالا من النمر
هموا فأموا فلما شارفوا وقفوا
كوقفة العير بين الورد والصدر
وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم
بالسمهرية دون الوخز بالابر
تلقى الغوانى حفيظ الدر من جزع
عنها وتلقى الرجال السرد من خور
فكم دلاص على البطحاء ساقطة
وكم جمان مع الحصباء منتثر
دع اليراع لقوم يفخرون به
وبالطوال الردينيات فافتخر
فهن أقلامك اللاتى اذا كتبت
مجداً أتت بمداد من دم هدر

وهى طويلة اقتصرنا منها على ما مر
وكان الشريف ابراهيم موسى بن اسحاق

أرسل اليه قصيدة يمدحه بها أولها :

بعادك أسهر الجفن القريحا
ودارك لانى الا نزوحا

فأجابه ابو العلاء بقوله :

ألاح وقد رأى برقا مليحا
سرى فأتى الحمى نضوآ طليحا
كما أغضى الفتى ليذوق غمضا
فصادف جفنه جفنا قريحا
اذا ما اهتاج احمر مستطيراً
حسبت الليل زنجيا جريحا
أقول لصاحبي اذ هام وجداً
ببرق ليس يثبته نزوحا
وهاجته الجنوب لوصل حى
أقام ويمموا داراً طروحا
سفاه لوعة النجدى لما
تنسم من حيال الشام ريحا
وغى لمح عينك شطر نجد
اذا ما آنست برقا لموحا
وأمراض المواعد أعلمتنى
بأن وراءها سقما صحيحا
متى نصبح وقد فتنا الاعادى
نقم حتى تقول الشمس روحا
بأرض للحمامة أن تغنى
بها ولمن تأسف أن ينوحا
رأيتك واحداً أبرحت عزما
ومثلك من رأى الرأى النجيحا
فلم تؤثر على مهر فصيلا
ولم تختر على حجر لقوحا
ركبت الليل فى كيد الاعادى
وأعددت الصباح لهم صبوحا
وأعظم حادث فرس كريم
يكون مليكه رجلا شحيحا
تريك له سماء فوق ارض
فروج قوائم يعددن نوحا
أصيل الجد سابقه تراه
على الأين المكرر مستريحا
كأن غبوقه من فرط رى
أباه جسمه فغدا مسيحا
كأن الركض أبدى المحض منه
فج لبانه لبنا صريحا
وأرباب الجياد بنو على
مزيروها الذوابل والصفيحا
وغير الخيل ما ركبوا فجنب
غرابا والنعامة والجموحا
وأحمي العالمين ذمار مجد
بنو اسحق ان مجد أبيحا

ومعرفة ابن احمد امنني
فما اخشى الحتيب ولا النطيحا
اذا استبقت خيول المجد يوما
جرين بوارحا وجرى سنيحا
ولو كتب اسمه ملك هزيم
على راياته والى الفتوحا
فيا ابن محمد والمجد رزق
بقدرك سدت لاقدر اتيحا
وما قصد الحسين ولا عليا
ولى هدى رآك له نصيحا
اليك ابن الرسول حثثن شوقا
ولم يحذين من عجل سريحا
همن بدلجة وخشين جنحا
فبتنا فوق ارحلها جنوحا
أشحن وقد أقمن على وفاز
ثلاث حنادس يرعين شيحا
دجى تتشابه الاشباح فيه
فيجهل جنسها حتى يصيحا
فمر العام لم تطرق انيسا
بدارهم ولم تسمع نبوحا
ولاعبثت بعشب فى ربيع
ولا وردت على ظمأ نضيحا
فأقسم ماطيور الجو سُحا
كمن ولانعام الدو روحا

ودون لقائك المضبات شما
تفوت الطرف والفلوات فيحا
فجاءك كلها بالروح فرداً
وقد سرنا به جسدا وروحا
تبوح بفضلك الدنيا لتحظى
بذاك وانت تكره ان تبوحا
وما للمسك فى أن فاح حظ
ولكن حظنا فى ان يفوحا
وقد بلغ الضراح وساكنيه
ثناك وزار من سكن الضريحا
يفيض اليك غور الماء شوقا
ويظهر نفسه حتى يسيحا
ولو مرت بخيلك هجن خيل
وهبن لمجمها نسبا فصيحا
ولو رفعت سروجك فى ظلام
على بُهم جملن لها وضوحا
ولو سمعت كلامك بزل شول
لعاد هدير بازلها فحيحا
وقد شرفتني ورفعت اسمي
به وأنلتني الحظ الربيحا
اجل ولو ان علم الغيب عندى
لقلت أفدتني أجلا فسيحا
وكون جوابه فى الوزن ذنب
ولكن لم تزل مولى صفوحا

وذلك ان شعرك طال شعرى
فما نلت النسيب ولا المديحا
ومن لم يستطع اعلام رضوى
لينزل بعضها نزل السفوحا
شققت البحر من ادب وفهم
وغرق فكرك الفكر الطموحا
لعبت بسحرنا والشعر سحر
فتبنا منه توبتنا النصوحا
فلو صح التناسخ كنت موسى
وكان ابوك اسحق الذبيحا
ويوشع رد بوحي بعض يوم
وانت متى سفرت رددت يوحى
فنال محبك الدارين فوزا
وذاق عدوك الموت المريحا
ومن لم يأت دارك مستفيدا
اتاها فى عفاتك مستميحا
فكن فى الملك يا خير البرايا
سليمانا وكن فى العمر نوحا

هاتان القصيدتان تبينان مبلغ قدرة أبى العلاء المعرى فى النسيب والمديح فنجتزى بهما ونعرض على القارىء نموذجا من شعره فى الحماسة والفخر قال :

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل
عفاف واقدام وحزم ونائل
أعندى وقد مارست كل خفية
يصدق واش أو يخيب سائل
اقل صدودى اننى لك مبغض
وايسر هجرى اننى عنك راحل
اذا هبت النكباء بينى وبينكم
فأهون شىء ما تقول العواذل
تعد ذنوبى عند قوم كثيرة
ولا ذنب لى الا العلى والفضائل
كأنى اذا طلت الزمان واهله
رجعت وعندى للانام طوائل
وقد سار ذكرى فى البلاد فمن لهم
باخفاء شمس ضوءها متكامل
يهم الليالى بعض ما أنا مضمر
ويثقل رضوى دون ما أنا حامل
وانى وان كنت الاخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الاوائل
واغدو ولو ان الصباح صوارم
واسرى ولو ان الظلام جحافل
وانى جواد لم يحل لجامه
ونضو يمان أغفلته الصياقل
وان كان فى لبس الفتى شرف له
فما السيف الا غمده والحمائل
ولى منطق لم يرض لى كنه منزل
على اننى بين السماكين نازل

لدى موطن يشتاقه كل سيد
ويقصر عن ادراكه المتناول
ولما رأيت الجهل فى الناس فاشيا
تجاهلت حتى ظن انى جاهل
فواعجبا كم يدعى الفضل ناقص
وواأسفا كم يظهر النقص فاضل
وكيف تنام الطير فى وكناتها
وقد نصبت للفرقدين الحبائل
ينافس يومى فى أمسى تشرفا
وتحسد أسحارى على الاصائل
وطال اعترافى بالزمان وصرفه
فلست أبالى من تغول الغوائل
فلو بان عضدى ما تأسف منكبى
ولو مات زندى ما بكته الانامل
اذا وصف الطائى بالبخل مادر
وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السهى للشمس انت خفية
وقال الدجى يا صبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة
وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فياموت زر ان الحياة ذميمة
ويا نفس جدى ان دهرك هازل
وقد أغتدى والليل يبكى تأسفا
على نفسه والنجم فى الغرب مائل
بريح أعيرت حافرا من زبرجد
لها التبر جسم واللجين خلاخل
كأن الصبا ألقت الىّ عنانها
تخب بسرجى مرة وتناقل
اذا اشتاقت الخيل المناهل اعرضت
عن الماء فاشتاقت اليها المناهل
وليلان حال بالكواكب جوزه
وآخر من حلى الكواكب عاطل
كان دجاه الهجر والصبح موعد
بوصل وضوء الفجر حب مماطل
وقال فى الرثاء يرثى جعفر بن على بن المهذب :
أحسن بالواجد من وجده
صبر يعيد النار فى زنده
ومن أبى فى الرزء غير الاسى
كان بكاه منتهى جهده
فليذرف الجفن على جعفر
اذ كان لم يفتح على ندّه
والشىء لا يكثر مداحه
الا اذا قيس الى ضده
لولا غضا نجد وقلامه
لم يثن بالطيب على نده
ليس الذى يبكى على وصله
مثل الذى يبكى على صده

والطرف يرتاح الى غمضه
وليس يرتاح الى سهده
كان الاسى فرضا لو ان الردى
قال لنا أفدوه فلم نفده
هل هو الا طالع للهدى
سار من الترب الى سعده
فبات أدنى من يد بيننا
كأنه الكوكب فى بعده
يادهر يامنجز ايعاده
ومخلف المأمول من وعده
أى جديد لك لم تبله
وأى اقرانك لم ترده
تستأسر العقبان فى جوها
وتنزل الأعصم من فنده
أرى ذوى الفضل وأضدادهم
يجمعهم سيلك فى مده
ان لم يكن رشد الفتى نافعا
فغيه أنفع من رشده
تجربة الدنيا وأفعالها
حثت اخا الزهد على زهده
والقلب من اهوائه عابد
مايعبد الكافر من بده
ان رمانى برزاياه لى
صيرنى أمرح فى قده
كأننا فى كفه ماله
ينفق مايختار من نقده
لوعرف الانسان مقداره
لم يفخر المولى على عبده
أمس الذى مر على قربه
يعجز أهل الارض عن رده
أضحى الذى أجل فى سنه
مثل الذى عوجل فى مهده
ولا يبالى الميت فى قبره
بذمه شيع أم حمده
والواحد المفرد فى حتفه
كالحاشد المكثر من حشده
وحالة الباكى لآبائه
كحالة الباكى على ولده
مارغبة الحى بأبنائه
عما جنى الموت على جده
ومجده أفعاله لا الذى
من قبله كان ولا بعده
لولا سجاياه وأخلاقه
لكان كالمعدم فى وجده
تشتاق أيار نفوس الورى
وانما الشوق الى ورده
تدعو بطول العمر أفواهنا
لمن تناهى القلب فى وده

يسر ان مد بقاء له
وكل مايكره فى مده
أفضل مافى النفس يغتالها
فنستعيذ الله من جنده
وآفة العاشق من طرفه
وآفة الصارم من حدة
كم صائن عن قبلة خده
سلطت الارض على خده
وحامل ثقل الثرى جيده
وكان يشكو الضعف من عقده
ورب ظمآن الى مورد
والموت لو يعلم فى ورده
ومرسل الغارة مبثوثة
من أدهم الخيل ومن ورده
يخوض بحرا نقعه ماؤه
يحمله السابح فى لبده
أشجع من قلّب خطيّة
علي طويل الباع ممتده
يرى وقوع الزرق فى درعه
مثل وقوع الزرق فى جلده
لا يصل الرمح الى طرفه
ولا الى المحكم من سرده
يلقي عليه الطعن القاء الا
حسب على المسرع فى عقده
بلحظة منه فما دونها
يرد غرب الجيش عن ضده
أمهله الدهر فأودى به
مبيضه يحدى بمسوده

ومن قوله فى الحكمة :

غير مجد فى ملتى واعتقادى
نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعى اذا قيـ
ـس بصوت البشير فى كل ناد
أبكت تلكم الحمامة أم غنـ
ـت على فرع غصنها المياد
خفف الوطء ما أظن أديم الـ
ـارض الا من هذه الاجساد
وقبيح بنا وان قدم العهـ
ـد هوان الآباء والاجداد
سر ان أسطعت فى الهواء رويدا
لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدا مرارا
ضاحكا من تزاحم الاضداد
ودفين على بقايا دفين
فى طويل الازمان والآباد
فاسأل الفرقدين عمن أحسا
من قبيل وآنسا من بلاد

كم أقاما على زوال نهار
وانارا لمدلج فى سواد
تعب كلها الحياة فما أع
جب الا لراغب فى ازدياد
ان حزنا فى ساعة الموت اضعا
ف سرور فى ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت
أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعما
ل الى دار شقوة او رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الجـ
ـسم فيها والعيش مثل السهاد
أبنات الهديل أسعدن اوعد
ن قليل العزاء بالاسعاد
إيه لله دركن فأنتـ
ـن اللواتى تحسن حفظ الوداد
ما نسيتن هالكا فى الاوان الـ
ـخالى اودى من قبل هلك إياد
بيد انى لا ارتضى مافعلتـ
ـن واطواقكن فى الاجياد
فتسلبن واستعرن جميعا
من قميص الدجى ثياب حداد
ثم غردن فى المآتم واندبـ
ـن بشجو مع الغوانى الخراد

هذا ولابى العلاء المعرى ديوان يقع فى مجلدين سماه لزوم ما لا يلزم اى انه لزم فيه ما لا يلزم الشاعر من جعل القوافى فى قصائده متحدة فى حرفين اثنين بدل حرف واحد مثال ذلك انه أفتتح قصيدة بقوله :

تفرد الله بسلطانه
فماله فى كل حال كفاء

فالتزم فى جميع القصيدة ان تكون قوافيها منتهية بفاء ممدودة وهمزة مثل خفاء وعفاء وصفاء . وكان يكفيه ان يضع بدل خفاء خباء وبدل عفاء بلاء وبدل صفاء هناء . فدل ذلك على تبحره فى اللغة وانقياد الفاظها له

هذا الكتاب يحتوى على ابيات بعيدة الغور فى الحكمة ولكن يشوبها أبيات تسامح فيها ابو العلاء تسامحا يغتفر لمثله دلت اما على حيرته فى عقيدته كما يقول بعض الناقدين واما على عدم مبالاته بمواقع القول . فمن شعره فيه :

تقول زاد فاعتقد انه
افضل ما أودعته فى السقاء
آه غدا من عرق نازل
ومهجة مولعة بارتقاء

ثوبى محتاج الى غاسل
وليت قلبى مثله فى النقاء
موت يسير معه رحمة
خير من اليسر وطول البقاء

وقال ايضا :

حياة عناء وموت عنا
فليت بعيد حمام دنا
يد صفرت ولهاة ذوت
ونفس تمنت وطرف رنا
وموقد نيرانه فى الدجى
يروم سناء برفع السنى
يحاول من عاش ستر القميص
وملء الخميص وبرء الضنا
ومن ضمه جدث لم يبل
على ما أفاد ولا ما اقتنى
يصير ترابا سواء عليه
مس الحرير وطعن القنا
وشرب الفناء بخضر الفرند
لد كأن على آسهن المنا
ولا يزدهى غضب حلمه
ألقبه ذا كرم أم كنى
تهنأ بالخير من ناله
وليس الهناء على ماهنا
وأقرب لمن كان فى غبطة
بلقيا المنى من لقاء المنا
أعائبة جسدى روحه
وما زال يخدم حتى ونى
وقد كلفته اعاجيبها
فطوراً فرادى وطوراً ثنا
ينافى ابن آدم حال الغصون
فهاتيك أجنت وهذا جنى
تغير يحناؤه شيبه
فهل غير الظهر لما انحنى
اذا هو لم يخشن دهر عليه
جاء الفرى وقال الخنا
وسيان من أمه حرة
حصان ومن أمه فرتنا
ولى مورد باناء المنون
ولكن ميقاته ما أنى
زمان يخاطب ابناءه
جهاراً وقد جهلوا ما عنى
يبدل باليسر اعدامه
وتهدم احداثه ما بنى
لقد فزت ان كنت تعطى الجنان
بمكة اذ زرتها أو منى

وقال أيضا :

بقيت وما أدرى بما هو غائب
لعل الذى يمضى الى الله أقرب
تود البقاء النفس من خيفة الردى
وطول بقاء النفس سم مجرب
على الموت يجتاز المعاشر كلهم
مقيم بأهليه ومن يتغرب
وما الارض الا مثلنا الرزق تبتغى
فتأكل من هذا الانام وتشرب
وقد كذبوا حتى على الشمس انها
تهان اذا حان الشروق وتضرب
كأن هلالا لاح للطعن فيهم
حناه الردى وهو السنان المجرب
كأن ضياء الفجر سيف يسله
عليهم صباح بالمنايا مذرب

وقال أيضا :

نفوس للقيامة تشرأب
وغى فى البطالة متلئب
تأبى ان تجيء الخير يوما
وأنت ليوم غفران تثب
فلا يغررك بشر من صديق
فان ضميره إحن وخب
وان الناس طفل او كبير
يشيب على الغواية او يشب
تحب حياتك الدنيا سفاها
وما جادت عليك بما تحب
وانك منذ كون النفس عندا
لتوضع فى الضلالة أو تخب
وان طال الرقاد من البرايا
فان الراقدين لهم مهب
غرامك بالفتاة ضنى وغم
وليس يسر من يشتاق غب
لو ان سواد كيوان خضاب
بكفك والسهى فى لاذ حب
لما نجاك من غير الليالى
سناء فارع وغنى مرب
وما يحميك عز أن تسبى
ولو أن الظلام عليك سب
أرى جنح الدجى أوفى جناحا
ومات غرابه الجون المرب
فما للنسر ليس يطير فيه
وعقربه المضبة لاتدب
أيجلو الشمس للرائى نهار
فقد شرقت ومشرقها مضب
ولم يدفع ردى سقراط لفظ
ولا بقراط حامى عنه طب
اذا آسيتنى بشفا صريعا
فدعنى كل ذى أمل يذب

ولا تذبب هناك الطير عنى
ولا تبلل يداك فما تذب

وقال أيضا :

الكون فى جملة العوافى
لا الكون من جملة العفاة
لين الثرى للجسوم خير
من صحبة العالم الجفاة
قد خفت القوم فاستراحوا
آه من الصمت والخفات
لم يبق للظاعنين عين
تبكى على الاعظم الرفات
ارى انكفائى الى المنايا
أغنى عن الاسرة الفناة
أثبت لى خالقا حكيما
ولست من معشر نفاة
خطبت فى حدس مقيم
وأعجزت علتى شفاتى
فمن تراب الى تراب
ومن سفاة الى سفاة
نعوذ بالله من غوان
يكن باللب معصفات
ومن صفات النساء قدما
ان لسن فى الود منصفات

وما يبين الوفاء الا
فى زمن العقد والوفاة
كم ودع الناس من خليل
سار فما هم بالتفات

وقال أيضا :

وجدت الناس فى هرج ومرج
غواة بين معتزل ومرجى
فشأن ملوكهم عزف ونزف
وأصحاب الامور جباة خرج
وهم زعيمهم إنهاب مال
حرام النهب او إحلال فرج
وان شرارة وقعت بواد
لتحرق وحدها سمرا بشرج
ركوب النعش اسرع لابن دهر
يريد الخير من قتب وسرج
غدا العصفور للبازى أميرا
وأصبح ثعلبا ضرغام ترج
أفى الدنيا لحاها الله حق
فيطلب من حنادسها بسرج

وقال يمدح مذهبه :

أنا للضرورة فى الحياة مقارن
مازلت أسبح فى البحار الموَّج
وضرورة فى سيمتين لاننى
مذ كنت لم أحجج ولم أتزوج

من مذهبي ان لا أشد بفضة
قدحي ولا أصغى لشرب معوج
لكن أقضي مدتي بتقنع
يغني وافرح باليسير الأروج
هذا ولست أود اني قائم
بالملك في ثوبي أغر متوج

وقال أيضا :

اصاح هي الدنيا تشابه ميتة
ونحن حواليها الكلاب النوابح
فمن ظل منها آكلا فهو خاسر
ومن عاد منها ساغباً فهو رابح
ومن لم تبيته الخطوب فانه
سيصبحه من حادث الدهر صابح

وقال أيضا :

قد علموا أن سيخطف الشبح
فاغتبقوا بالمدام واصطبحوا
ما حفظوا جارة ولا فعلوا
خيراً ولا في مكارم ربحوا
غالوا بأثوابهم فما حسنوا
في ذهبي اللباس بل قبحوا
دعوا الى الله كي يجيبهم
سيان هم والخواسيء النبح
كم قتلوا عاتقا وكم جرحوا
دنا وكم فأر تاجر ذبحوا

لا تغبط القوم في ضلالتهم
وان رُؤا في النعيم قد سبحوا

وقال أيضا :

عجبا للطبيب يلحد في الخا
لق من بعد درسه التشريحا
وقد علم المنجم مايو
جب الدين ان يكون صريحا
من نجوم نارية ونجوم
ناسبت تربة وماء وريحا
فطن الحاضرين من يفهم التعر
يض حتى يظنه تصريحا
رب روح كطائر القفص المسجو
ن ترجو بموتها التسريحا
فرحوكم بباطل شيمة الخمـ
ـر فهلا لا أوثر التفريحا
كيف لي أن أكون في دارى الاخـ
ـرى معافى من شقوة مستريحا
ذا اقتناع كما أنا اليوم فيه
أو أخلى فما أريم الضريحا
عجباً لي أعصى من الجهل عقلي
ويظل السليم عندي جريحا
مثل قيس غداة فارق لبنى
عاد يشكو فيما جناه ذريحا

يتكنى أبا الوفاء رجال
ما وجدنا الوفاء الاطريحا
وأبو جعدة ذؤالة من جعـ
ـدة لا زال حاملا تبريحا
وابن عرس عرفت وابن بريح
ثم عرساً جهلته وبريحا
ومن اليمن للفتى ان يجيء الـ
ـموت يسعى اليه سعيا سريحا
لم يمارس من السقام طويلا
ومضى لم يكابد التبريحا

هـذا نموذج من شعر ابى العلاء المعرى وهو يدل القارىء على ما كان عليه هذا الحكيم من صدق النظر فى أحوال الحياة وبعد الغور فى تقدير التكاليف الدنيوية ، والمقدرة التامة على المعانى العالية والالفاظ الجزالة

توفى سنة (٤٤٩) بالمعرة

عزَب الرجل يعزُب عُزْبة وعُزوبة لم يكن له زوج

(عزَب الشيء يعزُب) بعد وغاب

(العزَب) من لا زوج له من النساء والرجال . ويقال للمرأة (عزَبة) أيضا

(الأعزب) من لا زوج له

العزوبة يمدح بعض أهل العصر العزوبة مدعين انها أروح لبالهم وأهدأ لنفوسهم وهم مخطئون من وجوه بعضها طبيعية وبعضها اجتماعية وبعضها أدبية وبعضها صحية

فمن الوجوه الطبيعية ان العزوبة عصيان لنواميس الطبيعة ، وخروج على نظامها ، فان الخالق الحكيم خلق الرجل والمرأة محتاج أحدهما للآخر احتياجا يؤثر على كمال كل منهما فكيف تكون العزوبة ممدوحة مع هذه الحال ؟

ومن الوجوه الاجتماعية ان العزوبة محللة لروابط الاسر ، مقللة بل معدمة للنسل فكيف تكون ممدوحة وغايتها ملاشاة النوع البشرى واجلاؤه عن سطح الارض ؟

ومن الوجوه الادبية ان أنصار العزوبة قد لا يعنون بها إلا الامتناع عن اتخاذ زوجة خاصة ، ولكنهم يندفعون وراء شهواتهم البهيمية فيكونون من أكبر العوامل على نشر الفسوق على اختلاف صنوفه ، وكفى بهذا حاطا من آداب الامم عاملا على اهلاكها

ومن الوجوه الصحية ان العزوبة لا تتفق مع الراحة البيتية التى يحتاج اليها كل

عامل في هذه الحياة . فالاعزب لا يجد في بيته من معدات الراحة ما يسمح باستعاضته ما فقده من قواه بمكابدة الاعمال ثم انه ان صدق في عزوبته ولم يكن اباحيا فاسقا عاد عليه امتناعه عن أداء الوظيفة التناسلية بالضرر على قول بعض الاطباء

فالعزوبة من الشرور الشديدة التأثير في حياة الامم وانما يشكوه الناس في بلادنا من شيوع الفحشاء في هذه السنين ليس سببه الا شيوع العزوبة بين الشبان ولكنها عزوبة وقتية . فترى الرجل هنا يمتنع عن الزواج وهو في سن الزواج متربصا اصطياد زوجة ثرية ليبتزها مالها ويحشر نفسه في زمرة المراة على حسابها فيظل أعزب بالاسم حتى يجاوز الاربعين فيضطر الى انفاق عشرين سنة من أحسن عمره في اغواء الغاديات الرائحات ، وافساد آداب المحصنات

﴿عزره﴾ يعزره عزراً . لامه
(عَزَره) أعانه
(عزّره) لامه وأدبه وعظمه وعاقبه

﴿عُزَير﴾ هو نبي من أنبياء بني اسرائيل عليهم السلام . قال الله تعالى : « وقالت اليهود عزير بن الله » ليس معنى هذه الآية ان اليهود قالوا في عزير ماقاله النصارى في عيسى بل الداعي لنزول هذه الآية ان بعض اليهود غلوا في دينهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا له أو قبله فقالوا هذه المقالة

وفي رأينا ان اطلاق الله للكلام واتيانه بما يشعر بالتعميم هو من باب تبكيت اليهود الذين سمعوا من اخوانهم ذلك الافتراء على الله فلم يردعوهم بعقاب زاجر

أما الآن فقد انقرض أولئك الاشخاص المغالون وليس في اليهود اليوم من يقول مثل هذا القول

﴿عزرائيل﴾ هو اسم ملك الموت

﴿التعزير﴾ في الشرع يراد به العقوبة وهو مشروع لكل معصية لاحد فيها ولا كفارة

هل هو حق واجب لله عز وجل أم لا ؟ قال الشافعي لا يجب بل هو مشروع

وقال أبو حنيفة ومالك اذا غلب على ظنه انه لا يصلحه الا الضرب وجب ، وان غلب على ظنه صلاحه بغيره لم يجب

وقال احمد اذا استحق بفعله التعزيز وجب

﴿عزه﴾ يعزه عزاً قواه وغلبه في المعازة أي في الاحتجاج

(عزالرجلُ) يَعِزعِزة وعِزاً صار عزيزاً

(عززيد) ضعف وقوي وهو ضد

(عز عليه ذلك بعَز) صعُب

(عزّزه) جعله عزيزاً

(عازّه) عارضه في العزة

(أعزه) جعله عزيزاً

(تعزّز بفلان) تشرف به

(اعتز بفلان) عد نفسه عزيزا به

(العُزّى) اسم صنم كان لقريش وقيل العزى شجرة كانت لغطفان يعبدونها وبنوا عليها بيتاً

(العِزّة) الغلبة والكبر

(العزيز) الشريف والقوى والنار

﴿ابن المعتز﴾ هو عبدالله بن جعفر ابن محمد بن هرون بن العباس بن المعتز ابن المتوكل بن الرشيد بن المهدى بن المنصور الخليفة الاديب صاحب الشعر البديع والنثر البليغ

أخذ الادب والعربية عن المبرد وثعلب وعن مؤدبه احمد بن سعيد الدمشقي حتى بلغ منها أبعد شأو بلذه أديب في زمنه

ثارت ثورة في زمنه أفضت الى اسناد الخلافة اليه فقال للثائرين على شرط أن لا يقتل بسببي مسلم ولقبوه المرتضى بالله

ولكن لم يتم له الامر فتغلب أنصار المقتدر على أنصاره فخلع وقتل . وقيل مات حتف أنفه وليس هذا بصحيح بل خنقه مؤنس الخادم وسلمه لاهله ملفوفا في كساء ودفن بخرابة بازاء بيته

كان شديد السمرة مسنون الوجه يخضب بالسواد وله تصانيف ممتعة . قال فيه ابن بسام صاحب الذخيرة :

لله درك من ميت بمضيعة
ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لو ولا ليت فتنقصه
وانما أدركته حرفة الادب

وقال فيه بعض الادباء :

لا يبعد الله عبد الله من ملك
سام الى المجد والعلياء مذ خلقا
قد كان زين بني العباس كلهم
بل كان زين بني الدنيا حجى وتقى

أشعاره زيفت بالشعر أجمعه
فكل شعر سواها بهرج ولقا

قال بعض من كان يخدمه انه خرج يوما يتنزه ومعه ندماؤه وقصد باب الحديد وبستان الندي وكان آخر أيامه فأخذ خزنة وكتب بالحمى :

سقيا لظل زمانى * وعيشى المحمود
ولى كليلة وصل * قدام يوم صدودى

قال وضرب الدهر ضرباته ثم عدت فوجدت خطه خفيا وتحته مكتوب :

أف لظل زمانى * وعيشى المنكود
فارقت أهلى وألفى * وصاحبى وودودى
ومن هويت جفانى * مطاوعا لحسودى
يارب موتا والا * فراحة من صدود

وقال يفتخر بأسرته العباسية ويصرح بأن عشيرته أحق بالخلافة من أسرة على ابن أبى طالب :

ألا من لعين وتسكابها
تشكى القذاة وتنكابها
نهيت بنى رحمى لو وعوا
بصحة بر بأنسابها
وراموا قريشا أسود الشرى
وقد نشبت بين أنيابها
قتلنا أمية فى دارها
فكنا أحق بأسلابها
وكم عصبة قد سقت منكم الـ
ـخلافة صابا بأكوابها
اذا مادنوا ثم يلقونكم
زبونا قرت بحلابها
ولما أبى الله أن تملكوا
دعينا اليها فقمنا بها
ومارد حجابها وافدا
لنا اذ وقفنا بأبوابها
كقطب الرحى وافقت أختها
دعونا بها وعملنا بها
ونحن ورثنا ثياب النبى
فلم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يابنى بنته
ولكن أرى العم أولى بها
به نصر الله أهل الحجاز
وأبرأها بعد أوصابها
ويوم حنين فدا اعينكم
وقد أبدت الحرب عن نابها
فمهلا بنى عمنا انها
عطية رب حبانا بها
واقسم انكم تعلمو
ن انا لها خير أربابها

فأجابه صفى الدين الحلى الشاعر المتوفى سنة (٧٥٠) من قصيدة يدافع بها عن آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم :

ألا قل لشر عباد الاله
وطاغى قريش وكذابها
وباغى العباد وباغى العناد
وهاجى الكرام ومغتابها
أأنت تفاخر آل النبي
وتجحدها فضل أحسابها
بكم بأهل المصطفى أم بهم
نرد العداة بأوصابها
أعنكم نفى الرجس أم عنهم
كطهر النفوس وأربابها
أم الرجس والخمر من دأبكم
وفرط العبادة من دأبها
وقلتم ورثنم ثياب النبي
فلم تجذبون بأهدابها
وعندك لاتورث الانبياء
فكيف حظيتم بأثوابها
فكذبت نفسك فى الحالتين
ولم تعلم الشهد من صابها
أجدك يرضى بما قلته
وما كان يوما بمرتابها
وكان بصفين فى حربهم
كحرب الطغاة وأحزابها
وقد شمر الموت عن ساقه
وكشرت الحرب عن نابها
فأقبل يدعو الى حيدر
بارعابها وبإذهابها
أومل أن يرتضيه الانام
من الحكمين لاشهابها
ليعطى الخلافة أهلا لها
فلم يرتضوه لانجابها
وصلى مع الناس طول الحياة
وحيدر فى صدر محرابها
فهلا تقمصها جدكم
اذا كان اذذاك أحرى بها
واذجعل الامر شورى لهم
فهل كان من بعض أربابها
أخامسهم كان أم سادسا
وقد جليت بين خطابها
وقولك أنتم بنو بنته
ولكن بنو العم أولى بها
بنو البنت أيضا بنو عمه
وذلك أدنى لانسابها
فدع فى الخلافة فصل الخلاف
فليست ذلولا لركابها

وما أنت والفحص عن شأنها
وما قمصوك بأثوابها
وما شاورتك سوى ساعة
فما كنت أهلا لاسبابها
وكيف يخصوك يوما بها
ولم تتأدب بآدابها
وقلت بأنكم القاتلون
لأسد أمية فى غابها
عديت وأسرفت فيما أدعيت
ولم تنه نفسك عن عابها
فكم حاولتها سراة لكم
فردت على نكص أعقابها
ولو لا سيوف أبى مسلم
لعزت على جهد طلابها
وذلك عبد لهم لا لكم
رعى فيكم قرب أنسابها
وكنتم أسارى ببطون الحبوس
وقد شفكم لثم أعتابها
فأخرجكم وحباكم بها
وقمصكم فضل جلبابها
فجازيتموه بشر الجزاء
لطغوى النفوس واعجابها
فدع ذكر قوم رضوا بالكفاف
وجاؤا الخلافة من بابها
هم الزاهدون هم العابدون
هم العاملون بآدابها
هم الصائمون هم القائمون
هم الساجدون بمحرابها
هم قطب مكة دين الاله
ودور الرحاء بأقطابها
عليك بلهوك بالغانيات
وخل المعالى لاصحابها
ووصف العذارى وذات الخمار
ونعت العقار بألقابها
وشعرك فى مدح ترك الصلاة
وسعى السقاة بأكوابها
فذلك شأنك لا شأنهم
وجرى الجياد بأحسابها

حدث المعافى بن زكريا الجريرى قال لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز دخلوا على شيخنا محمد بن جرير رحمه الله فقال ما الخبر؟ فقيل له بويع ابن المعتز. قال فمن رشح للوزارة؟ فقيل محمد بن داود. قال فمن ذكر فى القضاء؟ قيل الحسن بن المثنى. فأطرق ثم قال هذا الامر لا يتم. قيل وكيف؟ قال كل واحد ممن سميتم متقدم فى معناه، عليّ الرتبة، والدنيا مولية، والزمان مدبر، وما أرى هذا الا لاضمحلال،

ماأرى لمدته طولا

تقول وهذا يدل على فضل ابن المعتز وعلى كمال صلاحيته للخلافة حتى استبعد الاستاذ ابن جرير أن يتم له الامر والدنيا مولية والزمان مدبر ، ويكذب الشاعر صفى الدين الحلى فى قوله من القصيدة السابقة :

وما شاورتك سوى ساعة
فما كنت أهلا لأسبابها
وكيف يخصوك يوماً بها
ولم تتأدب بآدابها

والحقيقة ان تولية ابن المعتز كانت فى زمن هياج وثورة وتلاعب من الرؤساء الاتراك بالخلافة فلم يستتب له الامر لهذا السبب

يقال انه لما سلم الى مؤنس الخادم ليقتله أنشد :

يانفس صبراً لعل الخير عقباك
خانتك من بعد طول الامن دنياك
مرت بنا سحراً طير فقلت لها
طوباك ياليتنى اياك طوباك
ان كان قصدك شوقا بالسلام على
شاطى الفرات ابلغى ان كان مثواك
من موثق بالمنايا لافكاك لها
بكى الدماء على الف له باكى

الى أن قال :

أظنه آخر الايام من عمرى
وأوشك اليوم أن يبكى له الباكى

ابن المعتز هو واضع علم البديع وله شعر غاية فى الرقة ، وقد اشتهر بالتشبيهات البالغة حد الاتقان . ومن شعره قوله :

وانى لمعذور على طول حبها
لان لها وجهاً يدل على عذرى
اذا مابدت والبدر ليلة تمه
رأيت لها فضلا مبيناً على البدر
وتهتز من تحت الثياب كأنها
قضيب من الريحان فى الورق الخضر
أبى الله الا ان اموت صبابة
بساحرة العينين طيبة النشر

ومنه قوله :

من لى بقلب صيغ من صخرة
فى جسد من لؤلؤ رطب
جرحت خديه بلحظى فما
برحت حتى أقتص من قلبى

ومنه يفتخر بالكرم :

ياطارقى فى الدجى و الليل منبسط
على البلاد بهيم ثابت الدعم
طرقت باب غنى طابت موارده
و نائلا كأنهمال العارض السجم

حكم الضيوف بهذا الربع أنفذ من
حكم الخلائف آبائى على الامم
فكل مافيه مبذول لطارقه
ولا زمام له الا على الحرم
ومن شعره فى الهلال والثريا :
قد انقضت دولة الصيام وقد
بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره
يفتح فاه لأكل عنقود
ومن شعره ايضا :
أهلا بفطر قد أتاك هلاله
الآن فاغد على المدام وبكر
وانظر اليه كزورق من فضة
قد أثقلته حمولة من عنبر
توفى ابن المعتز مقتولا سنة (٢٩٦)
﴿المعز لدين الله﴾ هو أبو تميم معد ابن المنصور بن القائم بن المهدى عبدالله صاحب مصر والمغرب
كان فى مبدأ أمره ملكا على افريقية وهى تونس ورثها عن آبائه ثم أرسل قائده جوهرا ليمهد له البلاد المغربية وافتتح له مصر على الاخشيديين سنة (٣٥٨) ثم اختار بتحريض قائده ان يجعلها مقر ملكه فأسس القاهرة وهو أول خليفة من خلفاء الفاطميين فى مصر توفى سنة (٣٦٥ ﻫ

﴿عزف﴾ صوّت. و (العَزْف) عند العرب صوت الجن و (عزْف الرياح) صوتها . و(العَزيف) صوت الجن أيضا (المعازف) الملاهى

﴿عزق﴾ الارض يعزقها عزقا شقها

﴿عزل﴾ الشىء يعزله عزلا نحاه عنه يقال (عزّله فعزّل) أى نحاه فتنحى
(اعتزل الشىء) تنحى عنه
(العَزَل) عدم السلاح و(الاعزل) من لا سلاح له
(العُزلة) الاعتزال

﴿المعتزلة﴾ هم طائفة من علماء المسلمين رأوا فى الدين آراء غير الآراء المتفق عليها ، وانما سموا المعتزلة لأنهم اعتزلوا أهل السنة

قال الامام ابن حزم الظاهرى فى كتابه (الفِصَل :

«قال المعتزلة بأسرها حاشا ضرار بن عبدالله الغطفانى الكوفى ومن وافقه كحفص الفرد وكلثوم وأصحابه ان جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكونهم فى أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم وعقودهم لم يخلقها الله عز وجل ثم اختلفوا فقالت طائفة خلقها فاعلوها دون

الله تعالى. وقالت طائفة هي أفعال وجودية لا خالق لها أصلا. وقالت طائفة هي أفعال الطبيعة. وهذا قول أهل الدهر بلا تكلف

«وقالت المعتزلة كلها حاشا ضرار بن عمرو المذكور وحاشا أبا سهل بشر بن المعير البغدادي النخاس بالرقيق ان الله عز وجل لا يقدر البتة على لطف يلطف به للكافر حتى يؤمن ايمانا يستحق به الجنة. والله جل وعز ليس في قوته أحسن مما فعل بنا وان هذا الذي فعل هو منتهى طاقته وآخر قدرته التي لا يمكنه ولا يقدر على أكثر

قال ابن حزم: «هذا تعجيز مجرد للبارى تعالى ووصف له بالنقص. وكلهم لا نحاشي أحدا يقول انه لا يقدر على المحال ولا على ان يجعل الجسم ساكنا متحركا معا في حال واحدة. ولا على أن يجعل انسانا واحدا في مكانين معا

قال ابن حزم: «وهذا تعجيز مجرد لله تعالى وايجاب للنهاية ولا انقضاء لقدرته تعالى الله عن ذلك. وقال أبو الهذيل بن مكحول العلاف مولى عبدالقيس البصري احد رؤساء المعتزله ومتقدميهم ان لما يقدر الله تعالى عليه آخرا. ولقدرته نهاية لو خرج الى الفعل لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شيء أصلا، ولا على خلق ذرة فما فوقها ولا على احياء بعوضة ميته، وعلى تحريك ورقة فما فوقها ولا على أن يفعل شيأ أصلا

قال ابن حزم: «وزعم أبو الهذيل أيضا أن أهل الجنة تفنى حركاتهم حتى يصيروا جمادا لا يقدرون على تحريك شيء من اعضائهم ولا على البراح من مواضعهم وهم في تلك الحالة، تلذذون ومتألمون الا انهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يطأون بعد هذه الدار. وكان يزعم أيضا ان لما يعلمه عز وجل آخرا ونهاية وكلا لا يعلم الله شيأ سواه وادعى قوم من المعتزلة انه تاب عن هذه الطوام الثلاث

وذكر عن ابى الهذيل ايضا انه قال: ان الله عز وجل ليس خلافا لخلقه. والعجب انه مع هذا الاقدام العظيم ينكر التشبيه وهذا عين التشبيه لأنه ليس الا خلاف أو مثل أو ضد، فاذا بطل أن يكون خلافا أو ضدا فهو مثل ولا بد، تعالى الله عن هذا علوا كبيرا

وكان أبو الهذيل يقول: ان الله لم يزل عليما. وكان ينكر أن يقال ان الله لم يزل سميعا بصيرا

وكان ابراهيم بن سيار النظام وأبو

اسحق البصرى مولى بنى بحير بن الحارث ابن عباد الضبعى أكبر شيوخ المعتزلة ومقدمى علمائهم يقول ان الله تعالى لا يقدر على ظلم أحد اصلا ولا على شىء من الشر وان الناس يقدرون على كل ذلك . وانه تعالى لو كان قادراً على ذلك لكنا لا نأمن أن يفعله . وانه قد فعله

ومن العجب اتفاق النظام والعلاف شيخى المعتزلة على انه ليس يقدر الله تعالى من الخير على أصلح مما عمل . ثم قال النظام انه تعالى لا يقدر على الشر جملة

وقال العلاف بل هو قادر على الشر جملة

وأبو المعتمر معمر بن عمرو العطار البصرى مولى بنى سليم أحد شيوخهم وأئمتهم فكان يقول بأن فى العالم أشياء موجودة لانهاية لها ولا يحصيها البارى تعالى ولا أحد أيضا غيره ولا لها عنده مقدار ولا عدد . وذلك انه كان يقول ان الاشياء تختلف بمعان أخر فيها وهكذا بلا نهاية أيضا . وتوافقه الدهرية فى قولهم بوجود أشياء لانهاية لها وعلى هذا طلبته المعتزلة بالبصرة عند السلطان حتى فر الى بغداد ومات بها مختفيا عند ابراهيم السيد بن شاهك بو

وكان معمر أيضا يزعم ان الله عز وجل لم يخلق شيئا من الالوان ولا طولا ولا عرضا ولا طعما ولا رائحة ولا خشونة ولا املاساً ولا حسناً ولا قبحاً ولا صوتاً ولا قوة ولا ضعفاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا مرضاً ولا صحة ولا عافية ولا سقم ولا عمى ولا بكما ولا بصراً ولا سمعاً ولا فصاحة ولا فساداً للثمار ولا صلاحا لها ، وان كل ذلك فعل الاجسام متى وجدت فيها هذه الاعراض بطباعها

وذكر عنه انه كان ينكر أن يكون الله عز وجل عالما بنفسه وذلك لأن العالم انما يعلم غيره ولا يعلم نفسه وكان يزعم ان النفس ليست جسما ولا عرضاً ولا هى فى مكان أصلا ولا تماس شيأ ولا تباينه ولا تتحرك ولا تسكن

ومنهم من كان يقول بقدم النفس وانها الخالقة للانسان

وكان معمر يقول ان الله تعالى لا يعلم نفسه ولا يجهلها لان العالم غير المعلوم ومحال أن يقدر على الموجودات أو أن يعملها أو أن يجهلها

وقال أبو العباس عبد الله بن محمد

الانبارى المعروف بالناشىء ولقبه شرسير فى كتابه فى المقالات ان الله تعالى لا يقدر على أن يسوى بنان الانسان بعد أن سبق فى علمه انه لا يسويها

قال ابن حزم ورأيت للجاحظ فى كتابه البرهان ولو أن سائلا سأله وقال أيقدر الله على أن يخلق قبل الدنيا دنيا أخرى ؟ فجوابه نعم . ؟ ومنى أن يخلق تلك الدنيا حين خلق هذه فتكون مثل هذه

وأما ضرار بن عمر فانه كان يقول ان ممكنا أن يكون جميع من فى الارض ممن يظهر الاسلام كفارا كلهم فى باطن أمرهم لان كل ذلك جائز على كل واحد منهم فى ذاته

وكان يقول ان الاجسام انما هى أعراض مجتمعة وان النار ليس فيها حر ولا فى الثلج برد ولا فى العسل حلاوة ولا فى الصبر مرارة ولا فى العنب عصير ولا فى الزيتون زيت ولا فى العروق دم وان كل ذلك انما يخلقه الله عز وجل عند القطع والذوق والعصر واللمس فقط

واما أبو عثمان عمر بن الجاحظ القصرى الكنانى قبيلة وقيل بل مولى وهو تلميذ النظام وأحد شيوخ المعتزلة فانه كان يقول ان الله تعالى لا يقدر على افناء الاجسام البتة الا ان يرتقها ويفرق أجزاءها فقط ، وأما اعدامها فلا يقدر على ذلك اصلا

وأما أبو معمر وثمامة بن أشرس النميرى قبيلة بصرى احد شيوخ المعتزلة وعلمائهم فذكر عنه أنه كان يقول ان العالم فعل الله عز وجل بطباعه . وكان يقول ان المقلدين من اليهود والنصارى والمجوس وعباد الاوثان لا يدخلون النار يوم القيامة لكن يصيرون ترابا وان كل من مات من أهل الاسلام والايمان المحض والاجتهاد فى العبادة مصرا على كبيرة من الكبائر كشرب الخمر ونحوها وان كان لم يواقع ذلك الا مرة فى الدهر فانه مخلد بين أطباق النيران أبداً

وكان ثمامة يقول ان ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع أولاد المسلمين الذين يموتون قبل الحلم وجميع مجانين الاسلام لا يدخلون الجنة أبدا ولكن يصيرون ترابا

وأما هشام بن عمر الفوطى أحد شيوخ المعتزلة فكان يقول اذا خلق الله تعالى شيأ فانه لا يقدر على أن يخلق مثل ذلك الشىء

أبداً لكن يقدر على أن يخلق غيره والغيران عنده لا يكونان مثلين . وكان لا يجوز لاحد أن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا أن يعذب الكفار بالنار ، ولا أن يحيى الارض بالمطر . ويرى هذا القول والقول بأن الله تعالى يضل من يشاء ضلالا والحاداً

وكان لا يجيز القول بأن الله ألف بين قلوب المؤمنين ولا ان القرآن عمى على الكافرين . وكان يقول ان من هو الآن مؤمن عابد الا ان فى علم الله انه يموت كافراً فانه الآن عند الله كافر . وان كان الآن كافراً مجوسياً أونصرانياً أو دهريا أو زنديقا الا ان فى علم الله عز وجل أنه يموت مؤمنا فانه الآن عند الله مؤمن

واما عباد بن سليمان تلميذ هشام الفوطى المذكور فكان يزعم ان الله تعالى لا يقدر على غير ما فعل من الصلاح ولا يجوز أن يقال ان الله خلق المؤمنين؛ ولا انه خلق الكافرين ، ولكن يقال خلق الناس وذلك لأن المؤمنين عنده انسان وايمان والكافر انسان وكفر ، وان الله تعالى انما خلق عنده الانسان فقط ولم يخلق الايمان ولا الكفر

وكان يقول ان الله تعالى لا يقدر على أن يخلق غير ما خلق ، وانه تعالى لم يخلق المجاعة ولا القحط

كلهم يزعمون ان الله تعالى لم يأمر الكفار قط بأن يؤمنوا فى حال كفرهم ولا نهى المؤمنين قط عن الكفر فى حال ايمانهم لانه لا يقدر أحد على الجمع بين الفعلين المتضادين

وكان بشر بن المعتمر أيضا يقول ان الله تعالى لم يخلق قط لوناً ولا طعماً ولا رائحة ولا مجسة ولا شدة ولا ضعفا ولا عمى ولا بصراً ولا سمعا ولا صمما ولا جبناً ولا شجاعة ولا كشفا ولا عجزاً ولا صحة ولا مرضا وان الناس يفعلون كل ذلك فقط

وأما جعفر القصبى بائع القصب والأشج وهما من رؤسائهم فكانا يقولان ان القرآن ليس هو فى المصاحف انما فى المصاحف شىء آخر وهو حكاية القرآن

وكان على الأسوارى البصرى أحد شيوخ المعتزلة يقول ان الله عز وجل لا يقدر على غير ما فعل ، وان من علم الله تعالى انه يموت ابن ثمانين سنة فان الله لا يقدر على أن يميته قبل ذلك ولا أن يبقيه طرفة عين بعد ذلك وان من علم الله تعالى من

مرضه يوم الخميس مع الزوال مثلا فان الله تعالى لايقدر على أن يبريه قبل ذلك لا بما قرب ولا بما بعد ولا علي أن يزيد فى مرضه طرفة عين فما فوقها ، وان الناس يقدرون كل حين على اماتة من علم الله انه لا يموت الا وقت كذا . وان الله لا يقدر على ذلك

واما ابو غفار احد شيوخ المعتزلة فكان يزعم ان شحم الخنزير ودماغه حلال

واما احمد بن خابط والفضل الحربى البصريان وكانا تلميذين لابراهيم النظام فكانا يزعمان ان للعالم خالقين أحدهما قديم وهو الله تعالى والآخر حادث وهو كلمة الله عز وجل المسيح عيسى ابن مريم التى بها خلق العالم . وكانا يطعنان على النبى صلى الله عليه وسلم بالتزويج وان ابا ذر كان أزهد منه

وكان احمد بن خابط يزعم ان الذى يجيء به يوم القيامة مع الملائكة صفاً صفاً فى ظلل من الغمام انما هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وان المسيح هو الذى يحاسب الناس يوم القيامة . وكان يقول ان فى كل نوع من أنواع الطير والسمك وسائر حيوان البر حتى البق والبراغيث والقمل والقرود والكلاب والفيران والتيوس والحمير والدود والوزغ والجعلان أنبياء أرسلهم الله اليهم

وكان يقول بالتناسخ والكرور. وان الله ابتدأ جميع الخلق فخلقهم كلهم جملة واحدة بصفة واحدة ثم أمرهم ونهاهم فمن عصى منهم نسخ روحه فى جسد بهيمة فالعتال يبتلى بالريح كالغنم والابل والبقر والدجاج وغير ذلك من البراغيث وكل ما يقتل فى الأغلب ، وان من كان منهم فى فسقه وقتله للناس عنيفا كوفىء بالقوة على السفاد كالتيس والعصفور والكبش وغير ذلك . ومن كان زانيا أو زانية كوفئا بالمنع من الجماع كالبغال والبغلات . ومن كان جباراً كوفىء بالمهانة كالدود والقمل ولا يزال كذلك حتى يقتص منهم ثم يردون فمن عصى منهم كرر أيضا كذلك هكذا أبداً حتى يطيع طاعة لامعصية معها فينتقل الى الجنة من وقته اويعصى معصية لاطاعة معها فينتقل الى جهنم من وقته وانما حمله على القول بكل هذا لزومه أصل المعتزلة فى العدل وطرده اياه ومشيه معه

وكذلك يقول ان للثواب دارين

احداها لا أكل فيها ولاشرب وهى أرفع قدراً من الثانية. والثانية فيها أكل وشرب

وكان لأحمد بن خابط المذكور تلميذ اسمه احمد بن سابوس كان يقول بقول معلمه فى التناسخ ثم أدعى النبوة وقال انه المراد بقول الله عز وجل ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه احمد

نقول ان صح عن احمد بن خابط ما عزى اليه فلا يصح حشره مع المسلمين بل مع الكفرة ولا ندرى كيف غفل ابن حزم عن هذا الامر

ثم قال ابن حزم: وكان محمد بن عبدالله بن مرة بن نجيح الاندلسى يوافق المعتزلة فى القدر وكان يقول ان علم الله وقدرته صفتان محدثتان مخلوقتان وان لله تعالى علمين احدهما أحدثه جملة وهو علم الكتاب وهو علم الغيب كعلمه أنه سيكون كفار ومؤمنون والقيامة والجزاء ونحو ذلك والثانى علم الجزئيات وهو علم الشهادة وهو كفر زيد وإيمان عمرو ونحو ذلك فانه لا يعلم الله من ذلك شيأ حتى يكون

كان من أصحابه جماعة يكفرون من قال انه عز وجل لم يعلم كل ما يكون قبل أن يكون. وكان من أصحاب مذهبه رجل يقال له اسماعيل بن عبدالله الرعينى متأخر الوقت وكان من المجتهدين فى العبادة المنقطعين فى الزهد وأدركته الا انى لم ألقه ثم أحدث أقوالا سبعة فبرىء منه سائر المرية وكفروه الا من اتبعه منهم

فما أحدث قوله ان الاجساد لاتبعث أبداً وانما تبعث الارواح. وذكر عنه انه كان يقول انه حين موت الانسان وفراق روحه لجسده تلقى روحه الحساب ويصير اما الى الجنة أو الى النار. وانه كان لا يقر بالبعث الا على هذا الوجه. وانه كان يقول ان العالم لايفنى أبداً بل هكذا يكون الامر بلا نهايه

وحدثنى الفقيه أبو أحمد المعارفى الطايطلى صاحبنا احسن الله ذكره قال أخبرنى يحيى ابن احمد الطيب وهو ابن ابنه اسماعيل الرعينى المذكور قال ان جدى كان يقول ان العرش هو المدبر للعالم وان الله تعالى أجل من أن يوصف بفعل شىء أصلا. وكان ينسب هذا القول الى محمد ابن عبد الله بن مسرة ويحتج بألفاظ فى كتبه ليس فيها لعمرى دليلا على هذا القول. وكان يقول لسائر المرية انكم لن تفهموا عن الشيخ فبرئت منه المرية أيضا

على هذا القول

وكان احمد الطبيب صهره ممن برىء منه وتثبتت ابنته على هذه الأقوال متبعة لأبيها مخالفة لزوجها وابنها وكانت متكلمة ناسكة مجتهدة . ووافقت أبا هرون بن اسماعيل الرعينى على هذا القول فأنكره وبرىء من قائله وكذب ابن اخيه فيما ذكر عن أبيه . وكان مخالفوه من المرية وكثير من موافقيه ينسبون اليه القول باكتساب النبوة وان من بلغ الغاية من الصلاح وطهارة النفس أدرك النبوة وانها ليست اختصاصا أصلا . وقد رأينا منهم من ينسب هذا القول الى ابن مسرة ويستدل على ذلك بألفاظ كثيرة فى كتبه هى لعمرى لتشير الى ذلك . ورأينا سائرهم ينكر هذا والله أعلم

ورأيت أنا من أصحاب اسماعيل الرعينى المذكور من يصفه بفهم منطق الطير وبأنه كان ينذر بأشياء قبل ان تكون

وأما الذى لاشك فيه فانه كان عند فرقته اماما واجبة طاعته يؤدون اليه زكاة أموالهم وكان يذهب الى ان الحرام قد عم الارض وانه لافرق بين ما يكتسبه المرء من صناعة أو تجارة او ميراث وبين ما يكتسبه من الرفاق. وان الذى يحل للمسلم من كل ذلك قوته كيف ما أخذه هذا أمر صحيح عندنا عنه يقينا

وأخبرنا عنه بعض من عرف باطن أمورهم أنه كان يرى الدار دار كفر مباحة دماؤهم وأموالهم الا أصحابه فقط

وصح عنه انه كان يقول بنكاح المتعة. وهذا لايقدح فى ايمانه ولا فى عدالته لو قاله مجتهدا ولم تقم عليه الحجة بنسخه لو سلم من الكفرات الصلع التى ذكرنا وانما ذكرنا عنه ماجرى لنا من ذكره ولغرابة هذا القول اليوم ولقلة القائلين به من الناس

ورأيت لأبى هاشم عبد السلام بن عبد الوهاب الجبائى كبير المعتزلة وابن كبيرهم القطع بأن لله تعالى أحوالا مختصة به وهذه عظيمة جداً اذ جعله حاملا للاعراض تعالى الله عن هذا الافك. ورأيت له القطع فى كتبه كثيراً يردد القول بأنه يجب على الله ان يزيح علي العباد فى كل ما أمرهم به ولا يزال يقول فى كتبه فى أمر كذا لم يزل واجبا على الله

قال ابن حزم وهذا كلام تقشعر منه ذوائب المؤمن

ثم قال : ورأيت لبعض المعتزله سؤالا ساءل عنه أبا هاشم المذكور يقال فيه ما بال كل من بعثه النبي صلى الله عليه وسلم داعياً الى الاسلام الى اليمن والبحرين وعمان والملوك وسائر البلاد وكل من يدعو الى مثل ذلك الى يوم البعث لا يسمى رسول الله كما سمى محمد عليه السلام اذ امره الملك عن الله عز وجل بالدعاء الى الاسلام والامر واحد والعمل سواء ؟

قال ابن حزم ورأيت لابى هاشم كلاماً رد فيه بزعمه على من يقول انه ليس لأحد ان يسمى الله عز وجل الا بما سمى به نفسه فقال لو صح هذا لكان غير جائز لله ان يسمى نفسه باسم حتى يسميه به غيره

وكان أبو هاشم أيضاً يقول : لو طال عمر المسلم لجاز أن يعمل من الحسنات والخيرات أكثر مما عمل النبي عليه السلام

وكان يقول ان الله لا يقبل توبة أحد من ذنب عمله اى ذنب كان حتى يتوب من جميع الذنوب

وجميع المعتزلة الا هشام بن عمرو الفوطى يزعمون ان المعدومات اشياء على الحقيقة وانها لم تزل وانها لا نهاية لها

وكان عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط من اكابر المعتزلة ببغداد كان يقول ان الاجسام المعدومة لم تزل اجساماً بلا نهاية لها لا فى عدد ولا فى زمان غير مخلوقة

وقال أبو محمد الاسكافى احد رؤساء المعتزلة ان الله تعالى لم يخلق الطنابير ولا المزامير ولا المعازف

وقال المعتزلة كلهم حاشا ضراراً وبشراً ان الله لم يمت رسولا ولا نبياً ولا صاحب نبى ولا امهات المؤمنين وهو يدرى انهم ان عاشوا فعلوا خيراً ولكن أمات كل من أمات منهم اذ علم انه لو ابقاه طرفة عين لكفر او فسق

وكان الجعد وهو من شيوخهم يقول. اذا كان الجماع يتولد منه الولد فأنا صانع ولدى ومدبره وفاعله لا فاعل له غيرى وانما يقال ان الله خلقه مجازاً لا حقيقة فأخذ أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى الطرف الثانى من الكفر فقال ان الله تعالى خلق الحبل والموت وكل من فعل شيئا فهو منسوب اليه فان الله تعالى هو محبل النساء. وهو أحبل مريم بنت عمران

وقال أبو عمرو وأحمد بن موسى بن احدير صاحب السكة وهو من شيوخ المعتزلة فى بعض رسائله التى جرت بينه

وبين القاضى منذر بن سعيد رحمه الله ان الله عاقل وأطلق عليه هذا الاسم

وقال بعض شيوخ المعتزلة ان العبد اذا عصى الله عز وجل طبع على قلبه فيصير غير مأمور ولا منهى

وقال أبو الهذيل العلاف من سرق خمسة دراهم أو قيمتها فهو فاسق منسلخ من الاسلام مخلد أبداً فى النيران الى ان يتوب

وقال بشر بن المعتمر من سرق عشرة دراهم غير حبة فلا اثم عليه ولا وعيد فان سرق عشرة دراهم خرج عن الاسلام وواجب عليه الخلود الا أن يتوب

وقال النظام من سرق مائتى درهم غير حبة فلا اثم عليه ولا وعيد وان سرق مائتى درهم خرج عن الاسلام ولزمه الخلود الا ان يتوب

وقال أبو بكر أحمد بن على بن احور ابن الاخشيد وهو أحد رؤسائهم الثلاثة الذين انتهت رياستهم اليهم وافترقت المعتزلة على مذاهبهم والثانى منهم أبو هاشم الجبائى والثالث عبد الله بن محمد ابن محمود البلخى المعروف بالكعبى . وكان والد أحمد بن على المذكور أحد قواد الفراعنة وولى الثغور للمعتضد وللمكتفى فكان من قول احمد المذكور أن من ارتكب كل ذنب فى الدنيا وهكذا أبداً متى عاد لذلك الذنب أو لغيره من القتل فادونه الا انه ندم أثر فعله فقد صحت توبته وسقط عنه ذلك الذنب أبدا . وهكذا أبدا متى عاد لذلك الذنب أو لغيره

وقال عبد الرحمن تلميذ ابى الهذيل ان الحجة لاتقوم فى الاخبار الا بقتل خمسة يكون فيهم ولى لله لا أعرفه بعينه . وعن كل واحد من اولئك الخمسة خمسة مثلهم وهكذا أبدا

وقال صالح تلميذ النظام ان من رأى رؤيا انه بالهند أو انه قتل او انه اى شىء رأى فانه حق يقين كما لو كان رأى ذلك فى اليقظة

وقال عباد بن سليمان الحواس سبع

وقال النظام الالوان جسم وقد يكون جسمان فى مكان واحد

وكان النظام يقول لانعرف الاجسام بالاخبار أصلا لكن كل من رأى جسما سواء أكان المرئى انسانا أم غير انسان فان الناظر اليه اقتطع منه قطعة اختلطت بجسم الرائى . ثم كل من اخبره ذلك

الرائى عن ذلك الجسم فان المخبر أيضاً أخذ من تلك القطعة قطعة وهكذا أبدا

وكان يزعم انه لاسكون فى شىء من العالم أصلا وان كل سكون يعلم بتوسط البصر فهو حركة بلا شك

وكان معمر يزعم انه لاحركة فى شىء من العالم وان كل مايسميه الناس حركة فهو سكون

وكان عباد بن سليمان يقول : ان الامة اذا اجتمعت وصلحت ولم تتظالم احتاجت حينئذ الى امام يسوسها ويدبرها وان عصت وفجرت وظلمت استغنت عن الامام

وكان أبو الهذيل يقول : ان الانسان لايفعل شيئا فى حال استطاعته وانما يفعل بالاستطاعة بعد ذهابها . فألزمه خصومه ان الانسان انما يفعل اذا لم يكن مستطيعاً وأما اذا كان مستطيعاً فلا . وان الميت يفعل كل فعل فى العالم

* * *

هذا ماجمعه العلامة ابن حزم الظاهرى فى كتابه (الفصل) من مزاعم المعتزلة ونحن مع اجلالنا لمقام هذا الاستاذ لا نستطيع أن نجمل هذه الاقوال المقتضبة دليلا على ان المعتزلة قوم مجردون من الفهم والعقل ، لانستطيع ذلك وفيهم أمثال الجبائى والجاحظ وأبو الهذيل العلاف والزمخشرى وغيرهم من كبار حكماء الاسلام ولو أراد خصوم اهل السنة ان يجمعوا من كتب بعض المؤلفين منهم مثل هذا لأمكن . وانا لانقول ذلك لاننا نرى رأى المعتزلة ولكن لان الحق يقضى علينا أن لا نبخس الناس أشياءهم وأن لانجعل مخالفتنا لهم فى بعض المسائل مبررة لان نجردهم من كل الصفات الطيبة

﴿عزَم﴾ الامرَ وعزَم عليه يعزِم عزماً نوى فعله

(عزَم الرجل) جد فى أمره

(عزَّم عليه) أقسم عليه

(عزَّم الراق) بمعنى عزم

(اعتزم الامر) عزمه

(العَزيمة) الارادة

(عزائم الله) فرائضه التى أوجبها على عباده

﴿عزَا﴾ الرجلُ يعزو عَزْوا صبر

(عزَاه الى أبيه) نسبه اليه

(تعزّى اليه) انتسب اليه

(العِزوة) النسبة

﴿عزّاه﴾ سلاه . و (تعزّى عنه) تسلى عنه . و (تعازَى القوم) عزى بعضهم بعضاً و (العَزاء) الصبر

﴿التعزية﴾ اتفق الأئمة على استحباب التعزية واختلفوا فى وقتها . فقال ابو حنيفة هى سنة قبل الدفن لا بعده وقال الشافعى واحمد تسن قبله وبعده ثلاثة أيام

أما الجلوس للتعزية فهو مكروه عند مالك والشافعى واحمد

﴿العسيب﴾ عظم الذنب وجريدة طويلة تحت خوصها جمعه عُسُب

(اليَعْسُوب) أمير النحل والرئيس الكبير

﴿العَسْجَد﴾ الذهب وقيل الجوهر كله

﴿عسَر﴾ عليه يعسُر عُسراً اشتد . (عَسِر الرجلُ يعْسَر) كان أعسر . والأعسَر الذى يعمله بشماله (عُسُر يعْسُر عُسراً) ضد يسُر فهو (عسِر وعسير)

(عسَّره) جعله عسيراً . و (عاسره) عامله بالعسرة و (أعسر الرجل) افتقر ، و (العُسْر) الفقر (ويوم عَسير) صعب . و (العُسْرَى) مؤنث الاعسر نقيض اليسرَى

﴿عَسّ﴾ الرجل يَعُس عساً طاف بالليل يحرس الناس

﴿عَسْعَس﴾ الليلُ أظلم

﴿عسَف﴾ عن الطريق يعسِف عسفاً مال عنه

(عَسَف الحاكم) ظلم. و (تعسَّف عن الطريق) مال عنه . ومثله (اعتسف عن الطريق)

﴿عسقلان﴾ هى مدينة بالشام . قال ياقوت الحموى هى من فلسطين على ساحل البحر بين غزوة وبيت حبرين يقال لها عروس الشام وكان يرابطها المسلمون لحراسة الثغر منها

نقول وهى واقعة فى الجنوب الغربى من مدينة يافا على مسافة خمسين كيلو متراً منها

﴿العسقلانى﴾ هو شافع بن على بن عباس بن اسماعيل بن عساكر البنانى العسقلانى المصرى سبط القاضى محيي الدين ابن عبد الظاهر الامام الاديب ناصر الدين

كان أديباً باشر الانشاء بمصر زماناً الى ان كف بصره بسهم أصابه فى حمص

الكبرى سنة (٦٨٠) فى صدغه وبقى ملازما بيته الى أن توفى

روى عن الشيخ جمال الدين بن مالك وغيره وروى عنه الشيخ أثير الدين أبو حيان والشيخ علم الدين البرالى وغيرهما. وله نثر كثير ونظم جم وكان جماعا للكتب خلف ثمانى عشرة خزانة مملوءة كتبا نفيسة أدبية وكانت زوجته تعرف ثمن كل كتاب. وكان هو لما كف بصره اذا لمس الكتاب وجسه قال هذا الكتاب الفلانى ملكته فى الوقت الفلانى. وكان اذا أراد أى مجلد قام الى خزانته وتناوله كأنه وضعه بيده فى وقته

من غرر شعره:

قال لى من رأى صباح مشيبى
عن شمالى من لمتى ويمينى
أى شىء هذا فقلت مجيبا
ليل شك محاه صبح يقينى

وقال أيضا:

عجبت من أمر القرافة اذ غدت
على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو
فألفيتها مأوى الاحبة كلهم
ومستوطن الاحباب يصبو له القلب

وقال أيضاً:

شكالى صديق حب سوداء أغريت
بمص لسان لا تمل له ورد
فقلت لها دعها تلازم مصه
فماء لسان الثور يصلح للسودا

لسان الثور نبات معروف له منافع جمة ومما يصلح له داء السوداء وهو داء معروف

وقال أيضا:

لقد فاز بالاموال قوم تحكموا
وكان لهم مأمورها وأميرها
تقاسمهم أكياسها شر قسمة
ففينا غواشيها وفيهم صدورها

وقال فى سجادة خضراء:

عجبوا اذ رأوا بديع اخضرار
ضمن سجادة بظل مديد
ثم قالوا من أى ماء تروى
قلت ماء الوجوه عند السجود

وقال فى ممسحة قلم:

وممسحة تناهى الحسن فيها
فأضحت فى الملاحة لا تبارى
ولا نكر على القلم الموافى
اذا فى ضمها خلع العذارا

وكتب اليه السراج الوراق يستشفع به عند فتح الدين بن عبد الظاهر:

أيا ناصر الدين انتصر لي وظالما
ظفرت بنصر منك في الجاه والمال
وكن شافعي فالله سماك شافعا
وطابقت أسماء بأحسن أفعال
وقدرك لم نجهله عند محمد
لأن ابن عباس من الصحب والآل

وقال أيضاً في المعنى :

سيدي اليوم أنت ضيف كريم
فاق معنى في وجوده بمغان
لو رأى الفتح سؤدد الفتح هذا
ماانتمى بعده الى خاقان
أو رأى الفتح المغارب حلى
بحلاه قلائد العقيان
وكأني أراكما في بحار
للمعاني بحرين يلتقيان
وتطارحتما مذاكرة بفـ
ـتن منها أزاهر الافنان
فاذا مر للصنائع ذكر
فاجعلاني من بعض من تذكران

ولد سنة (٦٤٩) وتوفي سنة (٧٣٢) ه

﴿عسكر﴾ القوم تجمعوا و(العسكر) الجمع والجيش (والمُعَسكر) موضع الجمع

﴿العسكري﴾ هو ابو احمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد العسكري كان أحد الأئمة في الادب والحفظ وكان راوية للاخبار والنوادر متوسعا في ذلك . وله تصانيف مفيدة منها كتاب التصحيف الذي جمع فأوعى

وكان الصاحب بن عباد الوزير الاديب المشهور يود الاجتماع به ولا يجد اليه سبيلا . فقال لأميره مؤيد الدولة بن بويه ان معسكر مَكرم قد اختلت أحوالها وأحتاج الى كشفها بنفسي فأذن له في ذلك فلما أتاها توقع أن يزوره ابو احمد المذكور فلم يزره فكتب الصاحب اليه :

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم
ضعفنا فلم نقدر على الوخدان
أتيناكم من بعد ارض نزوركم
وكم منزل بكر لنا وعوان
نسائلكم هل من قرى لنزيلكم
بملء جفون لا بملء جفان

وكتب مع هذه الابيات شيئا من النثر فجاوبه ابو احمد عن النثر بنثر مثله وعن هذه الابيات بالبيت المشهور :

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان

فلما وقف الصاحب على الجواب عجب من اتفاق هذا البيت له وقال والله لو علمت

انه يقع له هذا البيت لما كتبت اليه على هذا الروى

هذا البيت لصخر بن عمرو بن الشريد أخي الخنساء وهو من جملة أبيات . فقد كان صخر هذا حضر محاربة بني أسد فطعنه ربيعة بن ثور الاسدى فأدخل بعض الدرع فى جنبه وبقى مدة حول فى أشد مايكون من المرض وأمه وزوجته سليمى تمرضانه فضجرت زوجته منه فمرت بها امة فسألتها عن حاله فقالت ماهو حي فيرجى ، ولا ميت فينسى ، فسمعها صخر فأنشد :

أرى أم صخر لاتمل عيادتى
وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة
عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما
وأسمعت من كانت له أذنان
وأى امرىء ساوى بأم حليلة
فلا عاش الا فى شقى وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان
فللموت خير من حياة كأنها
معرس يعسوب برأس سنان

أخذ العسكرى عن أبى بكر بن دريد ومن تصانيفه كتاب المختلف والمؤتلف وكتاب علم المنطق وكتاب الحكم والامثال وكتاب الزواجر

ولد سنة (٢٩٣) وتوفى سنة (٣٨٢) هـ

والعسكرى منسوب الى مدينة عسكر مكرم وهى مدينة من كور الاهواز ومكرم الذى تنسب اليه هو مكرم الباهلى أول من اختطها

﴿العسكرى﴾ هو أبو الحسن على بن محمد الجواد بن على الرضا بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

هو أحد الأئمة الاثنى عشر فى اعتقاد الامامية سعى به الى المتوكل وادعى عليه بأن فى بيته سلاحا وكتبا من شيعته وأوهموه بأنه يطلب الخلافة لنفسه فوجه اليه المتوكل بعدة من الجنود الاتراك فكبسوا بيته ليلا على حين غرة منه فوجدوه وحده فى غرفة مغلقة وعليه مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن فى الوعد والوعيد ليس بينه وبين الارض من بساط الا الرمل

والحصا فأخذ على الصورة التى هو عليها وحمل الى المتوكل فى جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل يتعاطى الشراب وفى يده كأس فلما رآه أعظمه وأجلسه الى جانبه ولم يكن فى داره شىء مما قيل عنه ولا حجة يتعلل عليه بها فناوله المتوكل الكاس التى بيده فقال ياامير المؤمنين ماخامر لحمى ودمى قط فأعفنى منه فأعفاه . وقال له أنشدنى شعراً أستحسنه . فقال انى لقليل الرواية للشعر، قال المتوكل لابد أن تنشدنى فأنشده :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم
غُلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزعن معاقلهم
فأودعوا حفراً يابئس مانزلوا
ناداهم صارخ من بعد ماقبروا
أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت منعمة
من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قدطالماأكلوادهراوما شربوا
فأصبحوا بعدطول الاكل قدأكلوا

قال فأشفق من حضر على علىّ وظن ان بادرة تبدر اليه .فبكى المتوكل بكاء كثيرا حتى بلت دموعه لحيته وبكى من حضره . ثم أمر برفع الشراب .ثم قال ياأبا الحسن أعليك دين ؟ قال نعم أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها اليه ورده الى داره مكرما

ولد سنة (٢١٤) أو (٢١٣) ولما كثرت السعاية فى حقه عند المتوكل أحضره من المدينة وكان مولده بها وأقره بسر من رأى وهى تدعى بالعسكر فنسب اليها وأقام بها عشرين سنة . وتوفى بها سنة (٢٥٤)

العسكرى والد المنتظر هو أبو محمد الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى الرضا بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين ابن على بن ابى طالب رضى الله عنهم

هو احد الأئمة الاثنى عشر فى اعتقاد الامامية وهو والد المنتظر صاحب السرداب (انظر امامية) ويعرف بالعسكرى وأبوه على يعرف أيضا بهذه النسبة

ولد سنة (٢٢١) وتوفى سنة (٢٦٦) بَسُر من رأى ودفن بجنب قبر أبيه

والعسكرى نسبة الى سر من رأى فانها سميت بالعسكر حين انتقل اليها

المعتصم بعسكره وانما نسب الحسن المذكور اليها لأن المتوكل أشخص اباه عليا اليها وأقام بها عشرين سنة وتسعة اشهر فنسب هو ووالده اليها

العسكرى هو ابو القاسم محمد ابن الحسن العسكرى بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم

هو ثانى عشر الائمة الاثنى عشر فى اعتقاد الامامية المعروف بالحجة وهو الذى تزعم الشيعة انه المنتظر والقائم والمهدى وهو صاحب السرداب عندهم . أقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرن ظهوره فى آخر الزمان من السرداب بسر من رأى. فهم يدعون انه دخل السرداب فى دار أبيه وأمه تنظر اليه فلم يخرج بعد اليها وذلك فى سنة (٢٦٥) وعمره أذ ذاك تسع سنين . وقيل بل كان عمره حين دخل السرداب اربع سنين وقيل خمس سنين وقيل سبع عشرة سنة اى سنة (٢٧٥)

ابن عساكر هو عبد الصمد الشهير بابن عساكر (انظر ترجمته فى عبد الصمد) حرف العين

عسل الشىء صار كالعسل و (عسّل الطعام) خلطه بالعسل. و(الرمح العسّال) الذى يهتز لينا

العسل العسل من الاغذية المعروفة أصله مادة سكرية تنفرز فى باطن الازهار من الغدد العسلية فيها فتأتى النحل عند انفرازها فتمتصها وتتنوع فى معدتها تنوعا كبيراً لأنها تفقد جزءاً من عطريتها ومن مادتها اللزجة القابلة للتخمر ثم ترسبها فى اثناء خلاياها التى بنتها من الشمع لتغذى به أولادها ونفسها فى الفصول غير الصحية

ويوجد فى تويجات بعض النباتات سوائل سكرية تشبه العسل كثيراً وتكثر بحيث تجنى منها كما فى الازهار المسماة ربوياسلونس فى بلاد شيلى من امريكا الجنوبية فيجتنيه الناس منها

ويوجد عندنا فى أزهار البرسيم مواد عسلية تمتصها الاطفال

يجنى العسل فى الربيع وما يبقى منه مدة الصيف فى الخلاء يكتسب حموضة ولونا احمر . ولاجل اجتنائه تفصل أشعة الخلية وتفتح الاسناخ وتعرض للشمس أو

لحرارة لطيفة على مشنات من أغصان الصفصاف أو الحناء فيسيل العسل بذاته نقيا ، هذا هو العسل البكر أو الابيض المستعمل طباً يدخر فى اوروبا ببراميل من الخشب الجديد تملأ منه باحكام وتسد جيداً فيبقى زمنا بعيداً عن التغير . واذا كسرت فطائر الخلية وعرضت لحرارة قوية سال منها العسل الاصفر . واذا عصرت الفضلة بقوة ثم أذيبت وصفيت بعد ان تترك ساكنة خرج منها العسل العام الذى هو احمر مسمر غير نقى

تختلف صفات العسل باختلاف البلاد الآتى هو منها والفصول ونوع النحل الذى تجنى منه والنباتات التى يؤخذ منها فالنقى منه سائل صاف ومنه ما يكون اصفر أو احمر ضارب لاسمرة ويختلف ثخنه أيضا

النقى طعمه حلو مقبول ورائحته عطرية واما الاسمر فيكون فى طعمه حرافة ورائحته غير مقبولة. واجوده للاكل الابيض الصافى او الازرق الصافى الخالى من الحدة والحرافة وكراهة الرائحة . واما المر الاحمر الثخين المتقطع والاسود واليابس فردىء كالعتيق الذى مضى عليه عدة سنين وأجوده الربيعى ثم الصيفى وأرداه الشتوى

(تحليل العسل) حلل العالم (بوست) العسل المجنى فى مدريد فوجده مكونا من سكر قابل للتبلور لا يذوب فى الكحول المطلق ويشبه سكر العنب ويكثر كلما كان العسل احمد ومن سكر غير قابل للتبلور يذوب فى الكحول المطلق ويشبه الدبس ووجد أيضا أجزاء يسيرة من شمع وجوهرا خلاصيا وحوامض نباتية ومانيت ونحوه مما يجعله قابلا للتخمر العفن ولذا كانت رائحته قوية وغالبا كريهة وطعمه حريفاً قليلا أو كثيرا

ووجد الكيماوى جلبير فى العسل الملون الشديد الصلابة جزءاً من خمسة عشر جزءاً من مادة بيضاء دقيقية قليلة السكرية لا تذوب فى الكحول وتذوب فى الماء وتسهل بمقدار درهمين وهذا هو المانيت الآتى من ابتداء التخمر

العسل القديم المتخمر المتغير من الهواء يكون أسمر حمضياً شديد الحموضة مبذوراً فيه أحيانا بلورات صغيرة متجمعة الى كتل مستديرة مغموسة فيه ويحتوى على مقدار يسير من السكر غير القابل للتبلور وكثير من حمض الكربون ، وكلما كان العسل أكثر سائلية بالطبيعة كان

أكثر تعرضاً لتلك التغيرات فى الهواء واذا غلى العسل العام او المتغير بالفحم الحيوانى او النباتى المخلوط بالطباشير او مسحوق قشور القوقع اوالجبس مضافا اليه يسير من حمض الترتريك ثم كرر ببياض البيض انفصلت منه المواد الغريبة وزالت حمضيته وذهب تلونه ولكنه مع ذلك يخلو من رائحته وطعمه الخاصين به فيتحول الى سائل شرابى شبيه بشراب السكر . واذا عرض هذا الشراب للبرودة سبب فيه كما قال (برمنتيير) مادة مخاطية واكتسب زيادة صفاء

وقد يغشون العسل بأوربا وخصوصاً الذى فى الرتبة الثانية أو الثالثة اما بالدقيق المحمص الذى يجنه الكحول الضعيف حيث لا يرسب فيه ، واما بلب القسطل او النشا او الدقيق غير المحمص فيزيل منه خاصة سيولته بالحرارة وعدم ذوبانه فى الماء البارد ويكتسب اللون الازرق بمماسة اليود وبذلك يعرف هذا الغش

وأحيانا يقتصر على تقطير العسل بأن يصب على اكايل الجبل فتبقى فيه بقايا من تلك النباتات بها ينكشف غشه

ثم ان العسل ماعدا اختلاف أنواعه على حسب درجة نقائها تتنوع أصنافه بتنوع المحال والفصول ونوع النحل الذى يجنى منه وخصوصاً النباتات المجهزة له فيتنوع بذلك قوامها ولونها ورائحتها وطعمها وتغيراتها ونحو ذلك

ومدح القدماء ماء عسل جملة اماكن من بلاد الروم والى الآن لم يزل الحال كذلك كعسل كندية من جزيرة كريد وسيسليا وغير ذلك مما هو زائد العطرية ونسب ذلك لعطرية النبات الذى أغلبه من الفصيلة الشفوية ويرعاه النحل حتى ذكر بعض من ساح فى تلك الاقاليم ان عسل جزيرة كريد يكون شفافا كالبلور لذيذ المأكل فيه عطرية الازهار بحيث يلذ الذوق والشم . ومن المشاهد ان العسل يكون أعظم كلما كان اقليمه اكثر حرارة والفصل اعظم تساويا وأعدل النباتات العطرية اكثر وجودا وانتشارا . ولذا كان عسل بلاد الروم اعظم من عسل مصر لكثرة النباتات العطرية هنالك والاماكن التى تكثر فيها الازهار المرة يكون عسلها كذلك كعسل سردينيا فان نحله يجنى الافسنتين كما قال ديسقوريدس

ويستنبت فى بريطانيا بكثرة نباتات الحنطة السوداء المسماة سرازين فيرعاه النحل فيخرج عسله اسود فى الغالب وكريه الطعم . وعسل جزيرة مدغشقر يكون مخضراً شرابى القوام أحلى من العسل الاوروبى

ويوجد فى سورنام نوعان من العسل أحدهما مرمرى اللون سائل كالزيت حلو قابل للتخمر جداً ويحصل من نحل اسود وثانيهما محمر شديد السيولة مقبول جداً وقابل للتغير بحيث يضطر لطبخه لاجل حفظه

ويوجد فى جزيرة جوادلوب نحل صغير يعطى عسلا سائلا وشمعاً اسود وبالجملة لانهاية لذلك التنوع كما قلنا

والتنويع العظيم الاعتبار القابل له العسل هو اكتسابه صفة سامة من رعى النحل نباتات سامة خطرة الاستعمال كالتى من نحو الفصيلة الدفلية وذلك أمر عارض دائما وقد ذكره ارسطو وديسقوريدس ويعرض ذلك غالباً فى الازمنة الرطبة وقالوا ان العسل فيما حول هرقلية يجنيه النحل من ابقولطون وهو نبات لم يزل غير معين وضعه فى فصيلة الى الآن فيحصل من استعمال هذا العسل جنون ويسبب عرقا غزيرا . وقالوا ان هذا العسل حريف معطس مزيل للنكت النمشية . واذا سحق مع القشطة فانه يسبب برازاً من طبيعة سامة وغير ذلك . وذكروا ان جيشاً من الجنود وصلوا فى سيرهم الى قولشيد فأكلوا من العسل الموجود فى القرى التى هناك فحصل لهم هذيان مهول مصحوب بنوع هيضة ولكنهم برئوا فى عدة أيام

وأكد ترنفور وغيره ان ازهار اطاليا بنطيكا وأزهار رودود ندرون بنطكيوم هى التى تعطى لعسل منفريلى خواصه المهلكة

وقد سم أشخاص بعسل اجتنى من نحل يرعى أنواعا من اقونيطون . والعسل الذى يجنيه نحل بنسلوانى وقرولين الجنوبية والجرج من قوليا انجستفوليا ولاطيفوليا وهرسوتا ومن اندروميدا مريانا كثيرا ما يسبب وجعاً فى المعدة ودواراً وهذياناً

وذكر فى رحلة لامريكا الجنوبية أن عسل نوعى الزنابير الموجودة فى براغيه يسبب سكراً وتشنجات وأوجاعا شديدة وبالجملة هناك مشاهدات كثيرة تدل على

تسمم أشخاص بأنواع من العسل بحيث سبب لهم هذيانا مع تعاقب ضعفه وتنبه وضحك تشنجي وتلك الاعراض تذهب سريعا بالقيء المحرض بجملة أكواب من الماء الحار

ويقرب للعقل ان العسل المذكور لايكون مهلكاً الا اذ كان مجنيا من بعض نباتات الفصيلة الدفلية وقد ذكر ذلك أطباؤنا قديما

قال صاحب كتاب مالا يسع : والعسل منه ردىء يورث أكله ذهاب عقل او حياة بسبب الازهار الرديئة التي يراها النحل ويجنى عسلها . ومثل هؤلاء ينفعهم السمك المالح او الشراب المسمى او ناملى وهو شراب وعسل فيواتر شراب ذلك حتى تنظف المعدة منه ثم يأخذ بعده عصارات الفواكه الحامضة والمطيبة والمقوية كالسفرجل والرمان والتفاح والكمثرى وعلامة مثل هذا العسل ان يكون حاد الرائحة حريفا يحرك العطاس عند شمه

(خواص العسل الدوائية) من المعلوم استعمال العسل غذاء ويدخل فى مركبات غذائية كثيره كالمربيات والشرابات وغير ذلك فهو غذاء سليم العاقبة مقبول وكان عند القدماء بمنزلة السكر فكان قاعدة لشرابهم ويذكر انه الغذاء الرئيسى لبعض بلاد الحبشة ويصنع منه شراب يسمى شراب العسل يقوم مقام السكر فى اكثر الاستعمالات . والهنود يحضرون منه بعد التخمير سائلا روحيا

واذا حل عسل بلادنا أو غيره فى مقدار وزنه خمس مرات من ماء وترك للتخمير حصل منه مايسمى بالعسل المائى النبيذى وهو مشروب منبه يقوم فى بعض البلاد مقام النبيذ والفقاع

وأما تأثيره الصحى فانه اذا استعمل أوقيتان من جوهره أو من محلوله فى يسير من الماء فانه فى الغالب يكدر الحركات الطبيعية للقناة الغذائية وينتج استفراغات ثفلية تكون أكثر اذا استعمل عسل حريف . ولكن يحصل فى السطح المعوى حينئذ تأثير غريب عن فعل الملينات ، ومن اللازم لاحداث ذلك الاستفراغ من الاسفل ان تقبل الاعضاء الهضمية منه مقدارا مناسبا فى مرة واحدة فلا تظهر نتيجة التليين اذا كان العسل ممدوداً بمقدار كبير من الماء أو كان استعماله لايصال طعمه المقبول لجواهر غذائية لان مقداره

حينئذ قليل وقد مزج بالحامل وسيما المائى ويستعمل فى بيوت الادوية أيضا لتحلية المغليات بحيث يجعل لكل لترمنها ستون غراما منه ولكن يغلى وتقشط رغوته اذا لم يكن فى الدرجة الاولى من النقاء أو يقتصر على حل المقدار المذكور فى الماء ليتكون من ذلك ماء العسل البسيط ويكون قاعدة لمركبات عسلية من أعظمها شراب العسل الذى ذكرناه ومعاجين ومربيات حيث يكون فيها أحسن من السكر فيمنعها عن أن تتخمر وتتسكر ويستعمل العسل مسوغا لعمل الحبوب والبلوع المعسلة وليحيط بمساحيق كالكالوميلاس والشيح الخرسانى ونحو ذلك وليستر الطعم والرائحة الكريهين لبعض الادوية ككبريتور البوتاسا وخصوصا فى مسهلات الاطفال ويضم أحيانا بمثل وزنه من الزبد الطرى ليتكون من ذلك نوع لعوق يستعمل لتسهيل النفث . ويضم مع ربع وزنه أو سدس وزنه شمعا ليحصل من ذلك العسل الشمعى المعدود منبها خفيفا للقروح الضعيفة ومع ربع وزنه أو ثمن وزنه من ملح الطعام لتعمل من ذلك فتيلة تستعمل فى الامساك وتلك حالة كثيرا مايستعمل فيها الحقن التى يدخل فيها بعض أواق من العسل العام أو العسل الزئبقى

وكانوا اساباقا يقطرون العسل مع الرمل فماء العسل المتحصل من ذلك يستعمل بمقدار ٢٤ الى ٢٦ غراما كمدر للبول ومعرق ومفتح

وبالجملة يستعمل العسل فى الطب كملين خفيف بمقدار بعض أواق وخصوصا للاطفال

فأما استعماله كرهل أومذبل أومرطب أو مرخ أو ملطف فيكون بمقدار يسير محلولا فى الماء حيث يسمى بالماء المعسل البسيط أو فى مغليات مناسبة ويستعمل ذلك فى الامراض الحادة عموما ولاسيما فى الامراض الالتهابية والصفراوية وآفات الصدر بصفة كونه مسهلا للنفث وفى الخناقات ونحو ذلك

من المرضى من يشمئز من استعماله. ويستعمل أيضا من الظاهر نقيا أو ممدودا بالماء كملطف على الجروح ولاسيما الملتحمة الملتهبة ونحو ذلك . وكثيرا ما يدخل فى الغراغر والمضامض الملطفة مجتمعا فى العادة مع ماء الشعير ولكن تلك المحلولات يسهل تخمرها فتكتسب حينئذ خواص

أخر وسيما فى الفصول الحارة

وقد اطنب أطباؤنا فى ذكر خواصه تبعاً لديسقوريدس وجالينوس وغيرهما فذكروا ان أجوده للتداوى احمر اللون الناصع الطيب الرائحة الصافى الشفاف الذى فى مذاقته حرافة مع لذاذة ظاهرة واذا رفع منه بالاصبع سال الى الارض ولم ينقطع

واما أجوده للأكل فالابيض الصافى أو الازرق الصافى الى آخر ماذكرناه سابقاً

واما المر الاحمر الثخين المتقطع أو الاسود اليابس فردىء كالعتيق أيضا لذى مضى عليه جملة سنين

وقالوا هو منضج جلاء مفتح لافواه العروق، واذا طبخ صار قليل الحدة والجلاء فقبل الطبخ نافع فى الانضاج والجلاء، وبعد الطبخ صالح لالصاق اللحم المتشقق. واذا طبخ مع الشبث ولطخت به القوابى أبرأها . ومع الملح العادى المعدنى اذا قطر فى الاذن فاتراً أبرأ آلامها وكذا يبرىء آثار الضرب الباذنجانية . واذا تلطخ به قتل القمل والصئبان واذا تحنك به وتغرغر أبرأ ورم اللسان والحنك واللوزتين والخناق ونقى جروحها المتفجرة

وقالوا انه ينفع السعال اذا شرب مسخنه بدهن الورد والعسل غير المطبوخ يحدث نفخا ويحرك السعال ويسهل البطن ولذلك لا يستعمل الا بعد نزع رغوته وهو سريع الاستحالة والنفوذ مذهب للبلغم يستأصله خصوصا من المعدة ويكون صالحا للمشايخ المبرودين والملغمين والمرطوبين رديئا لذوى الامزجة الحارة كالصفراويين وفى الصيف الحار

والعسل الذى فيه بعض مرارة يدل على ان نحله رعى الافسنتين وما أشبهه فيكون صالحا للكبد والمعدة وفتح السدد. فان رعي نحله الصعتر كان رديئاً للمحرورين فان رعى الحاشا كان قابضا مرا نافعا للسدود والتفتيح

والعسل غير المطبوخ صالح للمعدة الباردة وللاماء الورمة ووجع المعدة الباغمى ويغذى غذاء جيدا

وأما العسل المطبوخ فصالح للقىء ملين للطبيعة يقىء به من شرب أدوية قتالة مع دهن السمسم

وقال فى الحاوى هو أحد ما تعالج به اللثة والاسنان. وذلك انه قد جمع مع التنقية والجلاء لها وصقلها ان ينبت لحمها وظن قوم انه يرخيها لحلاوته وما علموا ان الحلو لا

يرخي الا اذا كان في طبعه رطوبة

والعسل عندهم يابس وانما ترخي الحلاوة اذا كانت منفردة لا حرافة معها كما في العسل وحيث لم يكن معه حرافة ولا قبض كان مرخيا . ويدل على يبس العسل بعده عن العفونة وحفظ أجسام الموتى به . انتهى مع تصرف

وقال في محل آخر العسل يحفظ على الاسنان صحتها اذا خلط بالخل وتمضمض به في الشهر أياما . واذا استن به على الاصبع صقل اللثة والاسنان وبيضها وأمسك عليها صحتها

قال الشريف اذا خلط العسل بدهن ورد ولطخ به على القروح الشهدية والابرية وسائر القروح البلغمية المالحة أبرأها مجربا

واذا حقنت القروح والجراحات الغائرة به مع لسان الحمل وفعل ذلك ٣ أيام نقاها وغسلها ولحمها

واذا جعل من الادوية الجلاءة أحد البصر وقواه . واذا عجن بدقيق الحوارى فتح الاورام النضيجة وامتص ما فيها من المدة ، وان كانت غير نضيجة نضجها ولينها واذا عجن به الراوند الطويل أنبت اللحم في الجراحات العتيقة . ومع الانزروت يكون دواء جاليا للقروح ملحما لحمها الزائد واذا أضيف اليه اللوز المر ولب حب المحلب ودقيق الشعير وما أشبهها وطلي به البدن در العرق واذا شرب بالماء نقى الصدر المحتاج الى فضل تنقية واذا شرب بالماء عند العطش كان أنفع ما يشرب به المفلوجون والمحدرون ونقي قروح الرئة وهيأها للادوية واذا خالط الحقن قوى أساسها

(مقدار استعماله) استعماله كملين يكون من أوقية الى أوقيتين في ماء أو لبن . مقدار شرابه كذلك لأجل تحلية المشروبات . والعسل المائي يصنع بجزء من العسل الابيض و١٦ جزءاً من الماء الفاتر ويستعمل بالطاسات (انظر المادة الطبية)

﴿عشب﴾ المكان يعشب عشباً نبت عشبه

(عشُبت الارض) تعشُب نبت عشبها

(اعشوشبت الارض) كثر عشبها

﴿العشبة﴾ هي شجرة متسلقة تعلق بما حواليها جذرها مركب من الياف كثيرة . ساقها مفصلية وفيها شوك منحن أوراقها متعاقبة ذنيبية جلدية قلبية الشكل

حادة كاملة عادمة الزغب وأزهارها ضامية صغيرة بسيطة محمولة على حامل ام اطول من ذنيبات الاوراق وهى مخضرة ثنائية المسكن. وثمارها عنبات صغيرة كرية محمرة تحتوى على بزرة او اكثر الى ٣ بزرات

جذورها طويلة تنبت على سطح الارض بحيث يمكن قلعها بدون تكسر وترتبط بخوارة خشبية لينة تختلف عظمية تلك الجذور ليفية طولها بعض أقدام وغلظها كغلظ ريش الاوراق وأدق وأغلظ ومكونة من جزء قشرى هو الذى فيه القواعد الفعالة وجزء نخاعى خشبى لونها سنجابى أحمر قليلا او كثيرا او اشقر من الخارج او ابيض او وردى قليلا من الباطن وفيها قنوات دقيقة طويلة عميقة آتية من جفاف القشر طعم الجزء القشرى لعابى واضح المرارة وطعم الجزء الخشبى تفه دقيقى. ويوجد فى العشبة الشقراء ما عدا المرارة اليسيرة طعم عذب كأنه سكرى قليلا. والجذر كله لا رائحة له أو له رائحة ترابية مخصوصة تظهر بالغلى فى الماء وفى بعض الانواع النادرة الوجود. وقد تكون رائحة القشرة حمضية

(انواع العشبة الموجودة بالمتجر)

أنواعها كثيرة يمكن أن تنسب لنباتات مختلفة من هذا النوع ويصح أن تميز على حسب لونها من الظاهر الى سنجابية ومحمرة الانواع الاول وهى أولا عشبة هندرس ويقال لها عشبة المكسيك وثانيا عشبة كراك وتسمى عندنا عشبة خيزران

وأما الانواع الحمر فأولا العشبة الحمراء الجمائيكية وتسمى عندنا بمصر بالعشبة المغربية لانها ينقل منها كل سنة مقدار كبير الى قرطاجنة من بلاد المغرب

وثانيا عشبة البرتغال التى تأتى أوربا من البريزيل ولا يرغب فى هذا النوع

وقد عد العالم (بوشارداه) العشبة ستة أنواع أولها عشبة المكسيك وتسمى عشبة هندراس وتأتى فى طرود من قماش وطول تلك الجذور الى متر ونصف وتكاد تكون خالية من الشروش الدقيقة التى فى خواراتها والخوارات سنجابية من الخارج ومبيضة من الباطن وبين عقدها تراب اسود يابس . والسوق مصفرة عقدية منثنية على نفسها وتقرب للاسطوانية . وفيها ميل للتثليث ويوجد فى محال منها شوك خشبى . ولون الجذور من الخارج

مسود بسبب التراب المغطى لها وفيها قنوات دقيقة بالطول عميقة غير منتظمة ناشئة من جفاف الجزء القشرى الذى يكون من الباطن ابيض ورديا والقلب الخشبي تفه دقيقى ، وطعم الجزء القشرى لعابى واضح المرارة ورائحة الجذر كله أرضية أى ترابية مخصوصة تظهر بالغلى فى الماء

وثانيها العشبة الحمراء اى عشبة جمايك وتنبت فى المكسيك كالسابقة وخواراتها أقل تراكما وأميل للاستطالة وفى سوقها شوك متفرق كثير وطول الجذور من مترين الى مترين ونصف ولون البشرة من السنجابى المحمر او المبيض الى الاحمر البرتقالى

وثالثها عشبة كراك ولها صنفان انزل من النوعين السابقين لانهما أقل طعما . فالصنف لاول حزم جميلة خالية من الخوارات والصنف الثانى حزم طولها نصف متر جذورها قصيرة متعرجة

ورابعها العشبة الخشبية وهذا النوع نادر الوجود

وخامسها عشبة البريزيل وتسمى عشبة البرتغال وهى حزم إسطوانية خالية من الخوارات ولا تزيد فى الغلظ عن ريش الاوز الدقيق . لونها أحمر معتم من الظاهر وأبيض من الباطن

وسادسها العشبة الشقراء لونها أشقر زاد وجذورها مضلعة طويلة أكبر فى الحجم يسيراً من الانواع الأخر

يختار من هذه الانواع ما كان منها أرطب ثقيلا جيد التغذية غير منشق بل غير مقطع لانه اذا لم يكن كذلك كان جافا فاقداً لخواصه فلا تقطع العشبة عند الحاجة وتطرح الجذور العتيقة واذا كسرت انتشر منها غبار

(تحليلها) حلل العشبة كثيرون فوجدت محتوية على دهن طيار وسلسبرين أى عشبين ورانينج حريف ومن مادة خلاصية ونشا وزلال ومقدار النشا كبير والدهن الطيار يسير جداً ، يظهر ان العشبين هو القاعدة المهمة وهو جسم صلب عادم اللون والرائحة قابل للتبلور تنقسم بلوراته الى صرر متشععة وهو متعادل ولا ينظم بالحوامض ولا بالقلويات

(الخواص الدوائية للعشبة) اذا استعملت العشبة بالمقدار المناسب قوت المعدة وساعدت على الهضم وحسنت لون

الوجه وصيرت التغذية أقوى فاعلية فى الدم والمنسوجات الآلية ، وأجمع الاطباء أن مطبوخها فيه خاصة التعريق ولاسيما اذا استعمل بدرجة حرارة مرتفعة حال كون المستعمل لها فى سريره متدثرا

فالعشبة تستعمل فى الامراض التى تستدعى التعريق كالآفات الزهرية والاوجاع الروماتيزمية والنقرسية والاجزيمات الجلدية وآفات المجموع العقدى والسدد ونحو ذلك . فتستعمل كمحلل وملطف بسبب عظم المقدار الذى فيها من الدقيق ولكن تلطيفها أقل من تلطيف الجواهر المرخية. وكذلك تستعمل لاعادة القوى وذلك كلمؤسس على كثرة الدقيق فيها

وبالجملة خواصها الدوائية معروفة الآن جيداً وهى تعد فى المعرقات القوية بل هى أكثر المعرقات استعمالا واشتهر صيتها فى ذلك ولاسيما فى الامراض الزهرية العتيقة التى استعصت على العلاج الزئبقى الذى يجمع فى الغالب استعماله مع استعمالها وماطت منفعتها الا من مدة قرنين وحصل منها نجاح جليل اذا استعملت بمقدار مناسب وفى أحوال ملائمة

وقد ذكر ان منافعها ، ذكلة فى الامراض الزهرية فان لم تفد فذلك يكون دليلا على سوء نوعها أو سوء استعمالها . وكثيراً مايحصل الشفاء بدون تعريق واذ ذاك يكون فعلها الباطن كفعل الادوية المغيرة فتأثيرها فى الغالب يحصل فى الجسم بفائدتين أولا ليخرج بتعريقها من الجسم المادة المعدية الزهرية وثانيا ليخرج بها أجزاء المستحضرات الزئبقية التى أدخلها الامتصاص فى البنية

الاجسام التى لاتتفق معها منقوع العفص وماء الكلس ونترات الزئبق وخلات الرصاص

(تحضير علاج العشبة) قال بوشرداه لاجل تهيئة العشبة لفعل المذيبات يلزم تكسيرها فى طاحونة كان المتقدمون يشقونها وقبل شقها كانت توضع فى مطمور لتنتفخ قليلا وبتيسر شقها بالطول بواسطة سكين ثم تقطع قطعا صغيرة وتجفف اذا أريد حفظها على تلك الحالة ولا بأس عند استعمال هذه ان ترض بدستج من خشب ليسهل نفوذ الماء للجسم الخشبى المحتوى على العشبين. وأدويتها الموثوق بها هى نفس

جوهرها أو مغليها وخلاصتها الكحولية وشرابها المصنوع من تلك الخلاصة

فمن مستحضرات جوهرها لا يعرف غير مسحوقها ويحضر بالتقسيم بأى كيفية كانت اى تكسر ثم تجفف فى محل دفىء ثم تدق فى هاون من حديد بدون ابقاء فضلة ولكن استعمالها كذلك قليل وانما جروشتها أو دقها يسهل بتسليط الحوامل على قواعدها. وعوام بلادنا يستعملون ذلك المسحوق ويجدون منه نفعا والمقدار منه من نصف درهم الى درهم

وقد اختلف العلماء فى أمر مستحضراتها بواسطة الماء هل الافضل نقعها أو طبخها أو هضمها أو تعطينها ولا يزال الخلاف فى ذلك باقيا . والذى تأكده المجربون هو أن منقوعها أكثر طعما ورائحة من مطبوخها ولكن بالطبخ يذوب كثير من النشا فيخفى الطعم . ويعلم ايضاً ان العشبين يكون أكثر اذابة فى الماء الحار من البارد وكذا القاعدة الراتينجية التى لا تخلو عن فاعلية ويوجد أيضاً فى الطبخ منفعة جلية وهو امكان تركز السوائل ولكن المظنون ان الهضم فى ٦٠ درجة منفصل على الكيفيات الأخر وانه هو الأحسن بقهر كمية العشبة على تخليص ما فيها من تركيزها بالتبجير الذى لا يخلو عن تغيير مستنتجاتها

وقال سوبيران اذا عولجت العشبة بالماء لزم مراعاة تقسيم الجذور ودرجة حرارة الحامل فاذا كسرت فى طاحون أو دقت ثم عولجت بماء درجة حرارته فى المقياس المئينى ٤٠ فانه ينزح منها جميع قواعدها القابلة للذوبان ولأجل تحصيل ذلك يلزم أن يستعمل مقدار كبير من الماء . فاذا لم تكن الجذور مكسرة عسر نفوذ الماء فيها وبعد معالجات بهذا الماء الذى فى ٤٠ درجة يبقى فى العشبة مواد قابلة للذوبان فى الماء ولا ينبغى نقع مسحوقها فى ماء درجته ١٠٠ لأنه يذيب مقداراً كبيرا من النشا . ومن ذلك تعلم أن العشبة اذا لم تقسم جيدا يعطى منقوعها مستنتجاً أكثر مما يعطيه التعطين لأن الماء الحار ينفذ بسهولة فى الجذور ويوجد دائما فى هذه الحالة جزء من النشا يذوب فيه . وان طبخ العشبة فى الماء اذا كانت مقسمة جيدا ليس فيه نفع . فان النشا يذوب كله بذلك ولا يكون الناتج الا سائلا لزجا غير مقبول الاستعمال

ثم ان من الاطباء من فضل مطبوخ

الجذر المشقوق المرضوض على غيره لأنه مستحضر متقارب الاجزاء فهو الاقوى فاعلية ولو استعمل غير المطبوخ للزم أن تستعمل المرضى مقداراً كبيراً جداً متعبا لمعدهم حتى تحصل منه النتيجة

وكان القدماء يصنعون من العشبة نقوعات أى تعطينات طويلة المدة ثم يركزونها ويستعملونها كمنقوع حار. وشوهد أن هذه الكيفية أقوى فاعلية فى الزهرى القديم ونحوه وعلى ذلك أسس تركيب شرابات العشبة

وظن بتكيبر ان ٢٤ ساعة للمنقوع مساوية لربع ساعة للمطبوخ وهما أحسن من الغلى الطويل المدة . بل ذكروا ان الغلى الطويل للعشبة يعطل النتائج الجيدة المرادة منها . والذى جزم به سوبيران ان المنقوع الذى هو مزيج ذو طعم يفقد رائحته وطعمه اذا غلى بعض لحظات وذلك قد يقدح فى نفع الطبخ . بل من المعلوم أيضا ان الاجزاء الليفية اذا عولجت بالطبخ قل جداً اعطاؤها المواد القابلة للذوبان فى الماء . واذا انضم الى ذلك ان العشبة ينزح كل ما فيها بالماء الحار لم يشاهد زيادة نفع الطبخ على غيره من الكيفيات نعم ان بعض المرضى لايتحمل المنقوع ويستحسن المطبوخ لخفاء المادة الحريفة فيه بالنشا .

ولا عسر فى نزح ما فى العشبة اذا تيسر بدون خطر أن يستعمل مقداراً كبيراً من الماء كما فى تحضير مغليها

فاذا أريد تحصيل محلولات مائية مركزة لم يكن هناك فرق فى استعمال الكيفيات فاذا عولجت بالماء يقرب سريعا من أجزائها الخلاصية فاذا تكونت السوائل حكم بانتزاح ما فى الجذور ولكن تتجهز فى هذا الزمن محلولات شديدة الصابونية لأنها تصير محتوية على العشبين الذى لا يسهل ذوبانه كسهولة ذوبان القواعد الأخر فنشأ من ذلك أن يضطر لأجل انتزاح ما فى العشبة لاستعمال مقادير كبيرة من هذا السائل وبالنظر لذلك تكون طريقة العمل القلوى فى علاج العشبة خالية من المنافع

فاذا أريد تحصيل محلولات مركزة لزم الالتجاء للماء الحار الذى أذابته للعشبين أكثر من اذابة الماء البارد له وفى هذه الحالة اختار سوبيران رأى جيبور وهو علاج الجذر بالهضم فى حمام مارية

وكيفية عمل النقع الحار المسمى بالمغلى

الحار أن يؤخذ من العشبة من ٦٠ غراما الى ٨٠ غراما ومن الماء ١٠٠ غرام فتشق العشبة وتهرس ثم يصب عليها الماء المغلى وينقع ذلك من مدة اربع ساعات الى خمس فاذا ظهر فيها هيئة ترغية لزم أن يصب الماء الفاتر على الجذر ثم يصفى السائل بعد بضع ساعات . ولا ينبغى فى الصيف اطالة مماسة الجذر للماء بسبب وجود النشا فى الجذر ومع ذلك يسهل أن يؤخذ الماء من العشبة المقسمة قواعدها القابلة للذوبان

وقد يستعمل الطبخ ولكن الناتج يكون كما قلنا مخالفا لما ذكر

وذكر برال تركيباً وهو أن يؤخذ من الخلاصة الكحولية للعشبة ٤ غرامات ومن الماء ١٠٠ غرام يذاب ذلك ويرشح واربعة غرامات من الخلاصة تعادل ٣٠ غراما من الجذر. وطعم هذا السائل أكثر حرافة وكراهيه من طعم منقوع العشبة

والمغلى المعرق يصنع بأخذ ١٤ غراما من مبشور خشب الانبياء و٣٢ من جذور العشبة و ٨ من الساسفراس و ١٢ من جذور السوس ومقدار كاف من الماء يغلى خشب الانبياء والعشبة مدة ساعة بحيث لا يبقى الا نحو ثلثا السائل ثم يضاف له الساسفراس وجذور السوس ويترك ذلك منقوعا ثم يصفى ويترك ليرسب منه راسب ويصفى السائل بالاناء واذا اكتفى بنقع العشبة فان المغلى يكون أكثر طعما بل ربما كان شديدا غير محتمل وذلك هو السبب فى اتباع الطريقة المتقدمة لتحضير والمغلى المحرق الملين يصنع بأخذ ٥٠٠ غرام من المغلى المعرق السابق و١٦ غراما من السنا ينقع ذلك ويستعمل هذا المنقوع فى علاج القولنج الرصاصى

والصبغة الكحولية دواء جيد اذا لم يستر الكحول خواص العشبة فتحضر بجزء من العشبة و ٤ او ٥ اجزاء من الكحول المذكور ينقع ذلك مدة ١٥ يوما ثم يصفى مع العصر الشديد ويرشح

واما نبيذ العشبة فنادر الاستعمال

واما الخلاصة الكحولية للعشبة فهى كيفية جليلة مع انها قليلة الاستعمال وتحضر بنزح ما فى العشبة بالكحول الذى فى ٢١ درجة من مقياس كرتيير فيؤخذ غرام من العشبة ومقدار كاف من الكحول فيندى الجذر بنصف وزنه من الكحول ثم يكبس بلطف فى جهاز الغسل القلوى

ويعمل ذلك العمل بثلاث غرامات من الكحول ثم يبدل جزء عظيم منه بالماء وتقطر السوائل الكحولية وتبخر فضلة التقطير حتى تصير فى قوام الخلاصة

وأما شراب العشبة فهو دواء مشهور جداً مع انه فى الحقيقة ليس أهلا لتلك الشهرة كما قال بوشرداه

قال ويدخل فى تركيبه ٤٠٠٠ غرام من السكر و ١٥٠٠ غرام من العشبة التى ينزح مافيها بمقدار ١٨٠٠٠ غرام من الماء الذى يقسم ثلاثة أجزاء ويهضم كل منها مدة ٦ ساعات فى حرارة ٨٠ درجة ثم يصفى ويبخر السائل حتى يصير ٥٠٠٠ غرام ويترك ليبرد ثم يصفى من خرقة صوف ويضاف له السكر ويذاب ثم يصفى ويبخر حتى يكون مناسب القوام

(غش العشبة) قد تغش العشبة بجذور نباتات قريبة لها فى الهيئة بل قد تكون من فصائل غريبة عن فصيلتها فمنها جذور نباتات من جنس أجاف وهو من الفصيلة القشطية أو من الفصيلة الزنبقية وكلها بأمريكا الجنوبية بالاقاليم الحارة . وهى نباتات شحمية أوراقها ثخينة ولها منسوج ليفى وقابلة لان تعطى بالتعطين فى الماء نوعا من التيل يصح أن تعمل منه منسوجات تستعمل فى بعض الاقاليم

وتغش العشبة أيضا بنوع آخر يقال له العشبة النساوية ويسمى بالعشبة الكاذبة وتسهل معرفة هذا الجنس بأزهاره الوحيدة النوع المهيأة بهيئة سنبلية زهرية أى كذنب الهر كثرية بيضية اسطوانية مستطيلة . وتارة تكون وحيدة النوع أى مذكرة أو مؤنثة وتارة تكون مجتمعة معا أى مركبة من أزهار مذكرة نحو القمة وأزهارها مؤنثة فى القاعدة وهى تنبت فى الاماكن الآجامية وشواطىء المستنقعات والغدران والقنوات . ومنها مايوجد فى المحال الجافة الرملية ومنها مايعلو الى ارتفاع عظيم

المستعمل فى الطب سوقه التى فى جوف الارض وقد مدح الطبيب (مرز) خواص هذا النبات فى علاج الامراض الزهرية

وبالجملة فأنواع هذا النبات التى تكون جذورها زائدة الحجم يعلم انها معرقة ومحللة بحيث تشبه العشبة ومنها نوعنا المذكور الذى أوصى باستعماله فى الداء الزهرى وفى الآفات الرومانيزمية فكما يستعمل نوعنا

المذكور فى ذلك يستعمل أيضا كذلك جذور تلك الانواع مثل كركس دستاشيا وغيرها

وذكر لينوس ان اللابونيين يغطون سوقهم وأيديهم بأوراق هذه النباتات فمع البرد الشديد الذى فى تلك البلاد لا يحصل لهم فيها شقوق (انظر المادة الطبية)

عشر القوم يعشُرهم عَشراً وعُشورا اخذ عشر اموالهم ومثله عشّرهم

(عشّرت الناقة) تعشيرا صارت عشراء

(عاشره) خالطه وصاحبه (والمِعشرة) المخالطة

(العاشوراء) عاشر المحرم

(العشّار) آخذ العشر و (العَشير) العُشر والقبيلة والقريب المعاشر

(عَشيرة الرجل) بنوابيه الادنون او قبيلته

(المِعشار) جزء من عشرة

(المَعْشَر) اهل الرجل . والجماعة

أبو معشر هو جعفر بن محمد ابن عم البلخى المنجم المشهور

كان امام زمانه فى علم النجامة وله تصانيف مفيدة فيه منها المدخل والزيج والالوف وغير ذلك. ويروى انه كانت له اصابات عجيبة فى الاخبار بالمستقبل

روى أنه كان متصلا بخدمة بعض الملوك وان ذلك الملك طالب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه فاستخفى . ولكنه علم أن أبا معشر يدل عليه بالطرق التى يستخرج بها الخبايا والاشياء الكامنة فأراد أن يعمل شيئا لا يهتدى اليه ويبعد عنه حسه فأخذ طستا وجعل فيه دما وجعل فى الدم هاون ذهب وقعد على الهاون أياما . وتطلب الملك ذلك الرجل وبالغ فى التطلب . فلما عجز عنه أحضر أبامعشر وقال له تعرفنى موضعه بما جرت عادتك به فعمل المسألة التى تستخرج بها وسكت زمانا حائراً . فقال له الملك ما سبب سكوتك وحيرتك؟ قال أرى شيئا عجيبا . فقال وماهو؟ قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب ؟ والجبل فى بحر من دم . ولا أعلم فى العالم موضعا من البلاد على هذه الصفة

فقال الملك أعد نظرك وغير المسألة وجود أخذ الطالع ، ففعل. ثم قال ماأراه الا كما ذكرت . وهذا شىء ماوقع لى مثله فلما أيس الملك من القدرة عليه بهذا الطريق أيضا نادى فى البلد بالامان للرجل

ولمن أخفاه وأظهر من ذلك ماوثق به . فلما اطمأن الرجل ظهر وحضر بين يدى الملك فسأله عن الموضع الذى كان فيه فأخبره بما اعتمده فأعجبه حسن احتياله فى اخفاء نفسه ولطافة ابى معشر فى استخراجه . ونحن لانظن هذا صحيحا

كانت وفاته سنة (٢٧٢) (انظر وفيات الاعيان)

﴿العُش﴾ موضع الطائر

﴿عشِقه﴾ يعشقه عشقا تعلق به قلبه

(تعشّق) تكلف العشق

﴿العشق﴾ عاطفة مشهورة وقد حار علماء النفس فى تحديدها تحديداً قاطعاً مانعاً فقال (لبنتز) : «العشق هو السرور بسعادة الغير ، اى اعتبار سعادة الغير سعادة ذاتية للنفس »

وهو فى رأى هربرت سبنسر العالم الانجليزى أشد العواطف تركبا لذلك كان أشدها تأثيراً على النفس . وقد حلله فوجد انه يتركب من سبعة او ثمانيـة عناصر بعضها عواطف وشعورات من طبيعة حب الذات لا ينطبق عليها وحدها اسم العشق، وبعضها من طبيعة حب الغير بها استحق العشق ان يسمى عشقا بمعناه الصحيح

قال هذا العالم الكبير يجب ان نضيف على عناصر العشق المادية المندرجة فى شهوة اجتماع الجنسين التأثيرات الشديدة التى ينتجها جمال شخص على شخص آخر ، وهى تأثير ينضم اليها عدد عديد من افكار لذيذة هى وان لم تكن العشق نفسه الا انها ذات علاقة عضوية به . ثم ينضم اليها العاطفة الشديدة التركب التى نسميها الميل وهى يمكن أن توجد أيضا بين أشخاص من جنس واحد ولذلك يجب اعتبارها كعاطفة مستقلة الا انها بين المتحابين تبلغ شدتها ، ثم تأتى بعد ذلك عواطف الاعجاب والاحترام والاجلال القوية جداً بذاتها والتى تكتسب مع العشق قوة فوق قوتها الذاتية ثم ينضاف الى هذه العواطف مايسميه علماء الفراسة عشق المصادقة فان هذه العاطفة ترتاح جداً لما يجد صاحبها نفسه مفضلا على من عداه اذا صدر ذلك التفضيل من شخص معروف بتفوقه على سواه ولاسيا اذا كان تفوقه مشهوداً له من الذين لا يأبهون بأقدار الناس

ويرتبط بهذه العاطفة عاطفة احترام

الذات فان نجاح الشخص فى ايحائه الى الغير التعلق به والهيام فيه يعتبر دليلا لديه على سموه وعلو قدره

ثم تأتى بعد هذا عاطفة لذة الامتلاك التى بها يعتبر كل من المتعاشقين نفسه مالكا لصاحبه ومستوليا عليه دون سواه . أضف الى هذا عاطفة حرية العمل التى تقتضيها عاطفة العشق . فان سيرتنا حيال مخالطينا تكون بالضرورة محتاطا فيها ، لأن كلا منهم محاط بمقتضيات دقيقة لايمكن تعديها بوجه من الوجوه اذ لكل منهم شخصية خاصة به . ولكن فى العشق تزول هذه المقتضيات المحددة ويكون كل من المتعاشقين حراً فى استخدام شخصية الآخر استخداماً لاحد له

ويلحق بهذا كله لذة المجاذبة الشديدة فتتضاعف اللذة الشخصية باشتراكها مع لذة الغير وتنضم لذات ذات الغير الى لذاتنا . فمجموع هذه العواطف التى اثيرت الى آخر ماتصل اليه من القوة تنعكس قواها على سواها فتتكون الحالة النفسية المركبة التى نسميها بالعشق ولما كانت كل عاطفة من التى ذكرناها هى فى ذاتها شديدة التركب فنسطيع ان تقول بأن العشق يتألف من جميع الشعورات الاصلية التى فى طبيعتنا مجموعة واحدة كبيرة جداً ينتج منها قوة العشق التى لاتقاوم

هذا ماقرره العالم الانجليزى فى تحليله للعشق وهو يحتمل النقد فى بعض جهاته وقد عنى علماء النفس باظهار مواطن تلك الجهات الا أن ذلك لايقدح فى انه احسن ماقيل فى هذا الباب

وقال الفيلسوف جول سيمون الفرنسى :

ينقسم الشعور الانسانى الى ثلاثة أقسام : حب الذات وحب الانسانية وحب الخالق . فكل عواطفنا وكل خصائصنا العقلية لاغرض لها الا الذات والمخلوقات والخالق . فانه مغروز فى طبيعة كل انسان باعتباره كائناً ناقصاً :

(ولا) ان يحفظ ذاته

(ثانيا) ان يجعل بينه وبين خالقه وبين الكائنات التي تشاطره الوجود علاقة

فأنا مخلوق لأميل الى الله ، مثلى فى ذلك مثل جميع الكائنات ولأعين الكائنات الى التوجه للاغراض التى خلقت

لها من هنا أرانى طبعت على ثلاث خصائص احداها تتجه بى الى الله، والثانية الى ذاتى، والثالثة الى العالم . وهى العقل والضمير والادراك

* * *

وقد أكثر الفلاسفة من ذكر العشق وتحليله كل على قدر شعوره به ولا نرى فائده من سرد تلك الاقوال ونرى فيما أوردناه كفاية

وقد اتحد الجميع على أن عاطفة العشق أشد العواطف قوة، وأكثرها تسلطا على الذات الانسانية ويؤيد أقوالهم مايشاهد فى العالم الغربى كل يوم حيث يختلط الرجال بالنساء من حوادث الانتحار ما لايكاد يدخل تحت حصر . هذا غير ما ينتجه العشق من الجرائم المختلفة كالاغتيال والمبارزات والخروج على النظامات المقررة

وقد ذهب جمهور فلاسفة الغرب ان العشق لايدوم بعد الزواج فمتى هام شخص فى حب امرأة وذهب العشق به كل مذهب ثم انتهى امره بزواجها انطفأت حرارة عشقه واخذ يبحث عن سواها

قال الفيلسوف (تولستوى) الروسى المشهور(١):

« ان دوام الحب بين الزوجين رابع المستحيلات . انه قد يكون حب ولكن الى وقت قصير جداً ثم لايدوم الا فى الروايات فقط . واما بين الناس فعديم الاستقرار فى قلبين . وكل رجل متزوج كان أو غير متزوج اذا اجتازت به غادة فتانة فأكثر مايكون منه ان يوجه التفاته اليها وقد يبذل بعضهم كل مرتخص وغال بعد ذلك فى سبيل الوصول اليها . والمرأة من هذا القبيل كالرجل فانها تجتهد للاتصال بأكثر من واحد دائما . ومادام يمكنها هذا الاتصال فهى نائلة أربها لامحالة

« اذا قلنا انه يمكن للمرأة أن تحب زوجها طول الحياة فمثلنا فى ذلك الا كمثل من يوقد شمعة وهو يعتقد انها تدوم مضيئة طول الدهر

« ان الزواج أصبح فى عصرنا هذا بيننا محض خداع وغش ولكنه لايزال يوجد عند أولئك الذين يرون فيه سراً من أسرار الدين كالمسلمين والصينيين والهنود أما نحن فلا نرى فيه غير تلك المقارنة الحيوانية

---

(١) هذه ترجمة سليم افندى قبعين عن اللغة الروسية فى كتابه حكم النبى محمد

« الزوجان يخدعان الناس بأنهما يعيشان معا فى ارتباط حقيقى بالزواج فيظهر كذلك أمرهما فى الخارج لكل من رآهما وانهما سيبقيان فى تمام الوفاق مادامت الحياة ، والحقيقة انهما يعيشان على قاعدة تعدد الزوجات ولكن من الجانبين وبهذا التكافؤ قد يتفقان زمناً . وعلى الا كثر ان كليهما فى الشهر الثانى يهدد صاحبه بالطلاق وقبلما يتمكنان من وسائله . وعن ذلك تصدر الافكار الخبيثة الجهنمية التى ينجم عنها اطلاق الرصاص انتحاراً أو قتلا أو دس سم وماأشبه

ثم قال فى وسائل الاستغواء التى يستعملها نساء الغرب يسفورهن للرجال:

« اننا لو أمعنا النظر فى معيشة نساء الطبقات العليا كما هى من قلة الحياء والخلاعة لانجد ثم فرقا بين البيت الذى يضمهن ونادى مومسات مختلط

« ولكن الناس لايوافقوننى على كلامى هذا فأنا اذن أقيم لهم برهانا حسيا

« هم يقولون ان نساء هيئتنا الاجتماعية يعشن بحالة تخالف معيشة المومسات. وانا اخالفهم فى ذلك واقول اذا كانت النساء تختلف فى حالة المعيشة الداخلية فمن الحقائق المقررة انمايكون خارجا منهن أثر المعيشة فى الداخل وهذا يلزم أن تخالف معيشة المومسات من كل وجه ولكن أنا لاأرى فرقا بين معيشة الفريقين فى الخارج قابلوا أيها الناس بين المومسات وبين نساء الطبقة العليا تجدوهن متفقات فى الهيئات والازياء والروائح العطرية واعراء السواعد والمناكب والصدور ووضع للوسادة خلف الظهر أينما جلسن وأينما كن وفى اقتناء أنفس الجواهر والحجارة اللامعة وفى المراقص والغناء

« وكما ان المومسات يستعملن كل الوسائط الفعالة لغواية الشبان وجذبهم واستمالة النفوس حتى يصبو لهن كل راء كذلك نساء الطبقات العالية يفعلن فى وسطهن »

وقال فى المراقص المعروفة بالبالو وهى من الوسائل التى تسهل الغواية على الجنسين قال :

« يجرى بيننا وتحت نظرنا من الامور السافلة مالا طاقة لذى ناموس وشرف على احتماله. يزورنا رجل لانجهل من سيرته شيأ فنستقبله أحسن استقبال وعندمايدخل قاعة الضيوف يجالس اختى او ابنتى أو قريبتى حيث يتركنى وشأنى. او اتركه

وشأنه وربما أعرف من سلوكه وتصرفاته ما أعرف فكان يلزم والحالة هذه أن أتقدم اليه عند قدومه وانتحى به جانبا واقول له همسا . انى ياصاح أعرف أحوالك وأين تصرف لياليك ومع هذا فليس عندنا مكان فان فتياتنا طاهرات

« هذا كان ينبغي أن يفعل كل واحد منا ولكننا نجرى على العكس مما تقدم فاذا اجتمعنا مع هـذا الرجل فى ليلة راقصة كان له أن يرقص مع أختى أو بنتى ويعانقها ويخاصرها . نراه بأعيننا ونشهد حركاتها معا غدواً ورواحاً ميلاً واهتزازاً ولا تشمئز منه نفوسنا بل نتساءل اذا كان خلو النسعى فى تزويجه باحدى بناتنا ولو كان أثر المرض باديا عليه »

هذا بعض ماقاله الفيلسوف الروسى الكبير ومنه يعلم ان العشق فى أوروبا لا يبقى بعد الزواج ، بل انه يزول ويأخذ كل من المتعاشقين السابقين فى البحث عن معشوق جديد وهلم جرا

وأنا أقول بأن السبب فى تلاشى العشق بعد الزواج عنـد الاوروبين هو اختلاط الرجال بالنساء على الاسلوب الذى بينه الفيلسوف تولستوى فلو كان الجنسان ممنوعين من الاختلاط على النحو الحاصل عندنا فى الشرق لبقى العشق بين الزوجين ما بقيا حيين لانحصار ميول كل منهما فى صاحبه وعدم توزعها بالمسولات المتكررة من الخارج . فياليت الذين يشيرون على المسلمات بخلع الحجاب يدركن ذلك فلا يعملون على ملاشاة كرامة الزوجية ولذاتها مع العاملين . ولكن هيهات أن يرعووا وما فى أولئك الدعاة الا العزاب الذين لا يبالون فى سبيل اشباع شهواتهم بما هتكوا من أعراض وهدموا من أصول، والذين يستثقلون زوجاتهم فـلا يرون بأساً من عرضهن على أنظار الرجال اذا كان لهم من وراء ذلك حظ المتاع بالنظر الى زوجات الغير

هذا هو الميل الحيوانى القح الذى يحدو ببعض الناس عندنا الى العمل على اخراج النسـاء المسلمات من خدورهن

الا ان هؤلاء الدعاة الهواثيـين يسلكون لنيل أغراضهم مسالك تخفى على غير الالباء ، ذلك أنهم يصبغون دعوتهم بصبغة حب المصلحة العامة فينصحون برفع الحجاب ليرى كل من طالبىَ الزواج صاحبه قبـل الاقتران ولتبلغ المرأة بمعاشرة الرجال والاختلاط بهم

غاية ما قدر لها من الكمال . . ، فينخدع به بنو الناس بهذا الهذيان ويوافقهم على بعض ما يقولون والحقيقة انهم يخدعون مجتمعهم بهذه الطامات الشنعاء ولاسائق لهم اليها الاقوارص الشهوات ، ولواذع الغوايات

لو كان رفع الحجاب وتعارف الطالبين للزواج يغني شيئا في سعادة الزوجين لأنتج هذه النتيجة في اوروبا نفسها ولما جأر فلاسفتها وحكماؤها الى الله من سوء مغبة الحال هناك . فقد انتشر البغاء وشاعت العزوبة ، وذاع الطلاق بين جميع الطبقات حتى أخذ بعض مفكريهم يقترح ابطال سنة الزواج وترك الناس كالسوائم من أمر ذلك الارتباط

قال الفيلسوف تولستوي في هذا الصدد (١) :

« ان السبب في مسألة الطلاق التي تشغل الآن الرأي العام في اوروبا هو التمدن الذي لم يقتبس الانسان منه سوى الحمق والخلاعة . هذا هو السبب الحقيقي في ازدياد الطلاق نموا كل يوم . فلا يمضي على زواج امرأة برجل ردح من الزمن حتى تقول له حاذر أن أتركك وأمضي الى حال سبيلي . سرى ذلك من الربوع العالية في المدن الى أكواخ الفلاحين فالفلاحة لأقل شيء تقول لزوجها خذ قمصانك وسراويلك لاني تاركتك وذاهبة مع حبيبي يوسف الذي يفوقك حسنا وبهاء

« هذا لأن المرأة خلعت ثياب الحشمة واحترام الزوج وخرجت من دائرة الخضوع له تلك الواجبات التي ينبغي أن تبقى عليها حتى انقضاء الاجل

« على الرجل أن يكد ويشتغل وما على المرأة الا أن تقيم في البيت لأنها زوجة او بعبارة أخرى لأنها اناء لطيف سريع الانثلام والانكسار

« على الرجل أن يراقب سلوك امرأته ولا يطلق لها العنان بل يحجبها في البيت والبيت دائرة واسعة للمرأة »

ثم ختم الفيلسوف هذه السطور بمثل روسي وهو : « لاتركن الى الفرس في الغيط وأركن الى المرأة في البيت »

هذا رأي فيلسوف من كبار الفلاسفة الاوروبيين المعاصرين لنا . ولكن الدعاة

(١) من كتاب حكم النبي محمد ترجمة سليم افندي قبعين

منا الى السفور يجهلون مايجرى فى العالم المتمدن وجلهم من النشء غير المتعلم أو الذى تعلم تعلماً مدرسيا ناقصا ولم يأخذ من العلم الاجتماعى بأقل حظ ، فتراها يكتبون ولا يدركون مبلغ كتاباتهم من الصواب ، والقراء هنا يقرأون فمن كان منهم غير متزوج راقت له هذه الكتابات لانه لايهمه شيء الا أن يتزوج على أحسن مايريد ، وربما خيل لبعض القراء من الكهول ان مايقوله أولئك السطحيين من الكاتبين صحيح من جهة كثرة الطلاق وشيوع العزوبة ويبعد عليهم جدا أن يطلعوا على مثل ماكتبه تولستوى وامثاله مما عنينا بجمعه فى كتابنا المرأة المسلمة التى رددنا فيه على المرحوم قاسم بك أمين حين دعا لخلع الحجاب

يقول فلاسفة أوروبا أن سبب شيوع العزوبة والطلاق عندهم اختلاط الرجال بالنساء وخروج هؤلاء عن دائرة الصون والآداب .ولكن كتابنا الناشئين يقولون ان سبب العزوبة وكثرة الطلاق احتجاب النساء . فأى الفريقين أولى بالصواب ؟ الذين خبروا الامور قبلنا وعجموها بأنياب التجارب ، ام الذين تسوقهم الاهواء لاحداث حدث جديد ليبوءوا به أوامهم الشهوانى البحت ؟

يقول فلاسفة أوروبا أو منتهو دينوها يجب على المرأة أن تبقى امرأة وأن تلازم بيتها وأن لاتشتغل بأعمال الرجال لانها ذات لطيف سريع الانثلام والانكسار .ويقول كتابنا لالا ، يجب على المرأة أن تشارك الرجال فى الاعمال وأن تزاحمه بالمناكب فى الاسواق والمصانع..

بخ بخ . اذا كانت هذه الامة تربى نشئها فى البلاد الغربية ليؤوبوا اليها بمثل هذه الخبرة الواسعة . . . والاطلاع البعيد المدى . . . فلاجدر بها أن تربأ بنفسها عن ايرادا فلاذ اكبادها هذه الموارد المادية على وجودها ، المضيعة لكرامتها وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿عشا﴾ الرجل يعشو عشواً ساء بصره بالليل والنهار أو بالليل فقط

(عشا الى النار) رآها ليلا فقصدها

(عشّا فلانا) عشّاه

(عشِىَ الرجل) يَعشَى عَشا ساء بصره ليلا ونهارا وقيل للاول فقط فهو (عَشيان)

(تَعشّى الرجل) أكل العشاء

و(العِشاء) طعام العشي

(العِشاء) أول الظلام وقيل من المغرب الى العتمة وقيل من زوال الشمس الى طلوع الفجر

(العَشاوة) سوء البصر ليلا ونهاراً وقيل ليلا فقط ومثله (العَشا)

تقول :(فلان يخبط خبط العَشْواء) أى يخطيء ويصيب كالناقة التى بعينها سوء اذا خبطت بيدها

(العَشِى) آخر النهار ، وقيل من صلاة المغرب الى العتمة

(الأعشى) ذو العَشاوة

الأعشى الاكبر هو ميمون ابن قيس بن جندل بن شراحيل ينتهى نسبه لنزار . وكان يقال لابيه قتيل الجوع سمى بذلك لانه دخل غاراً ليستظل فيه من الحر فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا وفيه يقول جهنام واسمه عمرو وكان يتهاجى هو والاعشى .

ابوك قتيل الجوع قيس بن جندل
وخالك عبد من جماعة راضع

كان الاعشى يكنى ابابصير وهو أحد لاعلام من شعراء الجاهلية وفحولها

سئل يونس النحوى يوما من أشعر الناس ؟ فقال لاأومى الى رجل بعينه ولكنى أقول : امرؤ القيس اذا ركب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب، والاعشى اذا طرب

وقال أبو عبيدة : من قدم الاعشى احتج بكثرة طواله الجياد ، وتصرفه فى المدح والهجاء وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره

وقال :هو أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصى البلاد وكان يغنى بشعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب

حدث يحيى بن سليم الكاتب قال: بعثنى أبو جعفر المنصور بالكوفة الى حماد الراوية أسأل عن أشعر الناس. قال فأتيت حماداً فاستأذنت وقلت ياغلام فأجابنى انسان من اقصى بيت فى الدار فقال من أنت ؟ فقلت يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين. فقال ادخل رحمك الله. فدخلت أتسمت الصوت حتى وقفت على باب البيت فاذا حماد عريان وعلى سوأتيه شاهشفرم وهو الريحان ، فقلت له أن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس . قال نعم ذلك الأعشى صناجتها

وحدث رجل من اهل البصرة انه
حج فقال انى لأسير فى ليلة اضحيانة اذ
نظرت الى رجل شاب راكب على جمل عظيم
قد زمه وخطمه وهو يذهب عليه ويجيء
وهو مع ذلك يرتجز ويقول :

هل يبلغنيهم الى الصباح
هقل كأن رأسه جماح

فعلمت انه ليس بانسى فاستوحشت
منه. فتردد علىّ ذاهبا وراجعا حتى انست به
فقلت من اشعر الناس ؟ قال الذى يقول

ومازرفت عيناك الا لتضربى
بسهميك فى اعشار قلب مُقتّل

فقلت ومن هو ؟ قال امرؤ القيس .
قلت ومن الثانى ؟ قال الذى يقول:

نطر القر بحر ساخن
وعقيق القيظ ان جاء بقر

قلت ومن هو ؟ قال الاعشى ثم ذهب
قال الشعبى : الاعشى اغزل الناس
فى بيت واحد ، وأخنث الناس فى بيت
واحد ، واشجع الناس فى بيت واحد ،
فأما أغزل بيت فقوله :

غراء فرعاء مصقول عوارضها
تمشي الهوينا كما تمشي الوجي الوجل

واما اخنث بيت فقوله :

قالت هريرة لما جئت زائرها
ويلى عليك وويلى منك يارجل

وأما أشجع بيت فقوله :

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا
او تنزلون فانا معشر نُزُل

وهذه الابيات من قصيدة للاعشى
طنانة مطلعها :

ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا ايها الرجل

قيل قدم الاخطل الكوفة فأتاه الشعبى
يسمع من شعره قال فوجدته يتغدى
فدعانى الى الغداء ، فأبيت . فقال
ماحاجتك ؟ قلت احب ان اسمع من
شعرك فأنشدنى :

صرمت امامة حبلها ورعوم

فلما انتهى الى قوله :

واذا تعاورت الاكف ختامها
نفحت فنال رياحها المزكوم

قال لى ياشعبى لقد بززت الشعراء
بهذا البيت . فقلت الاعشى فى هذا
أشعر منك . قال وكيف؟ قلت لانه قال:

من خمر عانة قد أتى لختامه
حول تسل غمامة المزكوم

فقال الاعشى ، وضرب بالكأس

الارض ، والمسيح هو اشعر الشعراء الا انا
(يقسم بالمسيح لانه كان نصرانيا)

وحدث هشام بن القسم الغرى و كان علامة بأمر الاعشى انه وفد الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد مدحه بقصيدته التى أولها :

ألم تكتحل عيناك ليلة ارمدا
وعادك ماعاد السليم المسهدا
وماذاك من عشق النساء وانما
تناسيت قبل اليوم خلة مهددا

وفيها ايضا يقول لناقته :

فآليت لا أرثى لها من كلالة
ولا من حفى حتى تزور محمدا
نبى يرى مالا ترون وذكره
اغار لعمرى فى البلاد وانجدا
متى ماتناخى عند باب ابن هاشم
تراحى وتلقى من فواضله يدا

فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه وقالوا هذا صنّاجة العرب ما يمدح أحداً قط الا رفع من قدره . فلما ورد عليهم قالوا اين اردت يا ابا نصير ؟ قال اردت صاحبكم هذا لأسلم على يديه . قالوا انه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رافق ، ولك موافق . قال وما هن ؟ قال ابو سفيان ابن حرب : الزنا . قال الاعشى لقد تركنى الزنا وما تركته . قال ثم ماذ ؟ قال القمار . قال لعلى ان لقيته اصبت منه عوضاً عن القمار . قال ثم ماذا ؟ قال الربا . قال الاعشى ما دِنت وما ادّنت قط . قال ثم ماذا؟ قال الخمر . قال أوّه أرجع الى صبابة بقيت لى فى المهراس فأشربها . فقال له ابو سفيان فهل لك فى شيء خير لك مما هممت به ؟ قال وما هو ؟ قال ابو سفيان نحن وهو الآن فى هدنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه حتى ننظر ما يصير اليه أمرنا . فان ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفا ، وان ظهر علينا أتيته . قال الاعشى ما اكره ذاك

فقال ابو سفيان يامعشر قريش هذا الاعشى فوالله لئن أتى محمدا وتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الابل ففعلوا فأخذها وانطلق الى بلده فلما كان بقاع منفوحة رماه بعيره فقتله

كان الاعشى يفد على ملوك فارس ولذلك كثرت الفارسية فى شعره قال .

ولقد شربت ثمانيا وثمانيا
وثمان عشرة واثنتين واربعا
من قهوة باتت بفارس صفوة
تدع الفتى ملكا يميل مصرعا

بالجلسان وطيب أردانه
بالون يضرب لى يكر الاصبعا
الناى نوم ويربط ذوبحه
والصنج يبكى شجوه ان يوضعا
وسمعه كسرى يوماً يتغنى بقوله :
ارقت وما هذا السهاد المؤرق
وما بى من سقم وما بى معشق
فقال ما يقول هذا العربى قالوا يتغنى بالعربية. قال فسروا قوله. قالوا زعم انه سهر من غير مرض ولا عشق . قال هذا اذن لص
وكان الأعشى يفد على ملوك الحيرة ويمدح الاسود بن المنذر أخا النعمان وفيه يقول :
أنت خير من الف الف من النا
س اذا ما كبت وجوه الرجال
وقال له النعمان لعلك تستعين على شعرك . فقال له احبسنى فى بيت حتى أقول . فحبسه فى بيت فقال القصيدة التى أولها :
أأزمعت من آل ليلى ابتكارا
وشطت على ذى هوى أن تزارا
وفيها يقول :
وقيدنى الشعر فى بيته
كما قيد الآسرات الحمارا
قال حماد الرواية حدثنى سماك عن عبيد راوية عن الاعشى انه قال أتيت النعمان فأنشدته :
اليك أبيت اللعن كان كلالها
تروح مع الليل التمام وتغتدى
حتى أتيت الى آخرها فخرج الى ظهر النجف فرآه قد اعتم بنباته من بين احمر واصفر واخضر واذا فيه من هذه الشقائق ما لم ير أحسن منه . فقال ما أحسن هذا احمره . فسمى شقائق النعمان
ولما قال الاعشى فى علقمة بن علاثة :
علقم ما أنت الا عامر النا
قض للأوتار والواتر
نذر دمه فخرج الاعشى يريد وجها فأخطأ به الدليل فألقاه فى ديار عامر فأخذه رهط بنى علقمة فأتوا به فقال :
علقمة قد صيرتنى الامو
ر اليك وما أنت لى منقص
فهب لى ذنبى فدتك النفو
س ولا زلت تنمو ولا تنقص
فعفا عنه فقال الاعشى :

تلقم ياخير بنى عامر
للضيف والصاحب والزائر
والضاحك السن على همه
والغافر العثرة للعاثر
قال ابو عبيدة اسر رجل من كلب
الاعشى فتكتمه نفسه وحضر عند الكلبى
شرب فيهم شريح بن عمرو فعرف الاعشى
فقال للكلبى ماترجو بهذا الشيخ ولا فداء
له ، فهبه لى . فوهبه له فأخذه شريح
فأطعمه وسقاه فلما أخذ منه الشراب سمعه
يترنم بهجاء الكلبى فأراد استرجاعه فقال
الاعشى :
شريح لاتتركنى بعد ماعلقت
كفى حبالك بعد القد اظفارى
كن كالسموأل اذ طاف الهام به
فى جحفل كسواد الليل جرار
بالابلق الفرد من تيماء منزله
حصن حصين وجار غير غدار
خيّره خطتى خسف فقال له
اعرضهما هكذا اسمعكما حار
فقال غدر وثكل انت بينهما
فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له
اقتل اسيرك انى مانع جارى
وسوف يعقبنيه ان ظفرت به
رب كريم وبيض ذات اطهار
فاختار ادراعه ان لا يسب بها
ولم يكن عهده فيها بختار
يذكره وفاء السموأل بن عاديا حين
أودعه امرؤ القيس ادراعه وكراعه
قال ابو عبيدة : الاعشى هو رابع
الشعراء المعدودين وهو يقدم على طرفة
وكان أكثر عدد طوال جياد ، وأوصف
للخمر والحمر ، وامدح واهجى. واما طرفة
فانه يوضع مع الحرث بن حلزة وعمرو بن
كلثوم وسويد بن أبى كاهل فى الاسلام
ومما سبق اليه فأخذ منه قوله :
كأن نعام الدوّباض عليهم
اذا ريع يوما للصريخ المنذر
قال سلامة بن جندل :
كأن نعام الدوباض عليهم
بنهى القذاف أو بنهى مخفق
نهى قذاف ونهى مخفق موضعان
وقال زيد الخيل :
كأن نعام الدوباض عليهم
وأعينهم تحت الحديد خوازر
خوازر من الخزر وهو اقبال العينين
على الانف

ويعاب الاعشى بقوله :

ويأمر لليحموم كل عشية
بقيت وتعليق فقد كان يسنق

القت الفصفصة وهى الرطبة من علف الدواب . ويسنق أى يتخم والسنق التخمة. قالوا هذا مالا يمدح به رجل من خساس الجند لانه ليس من أحد له دابة الا وهو يعلفها قتا ويقضمها شعيرا وهذا مدح كالهجاء

ويستحسن له فى الخمر قوله :

تريك القذى من دونها وهى دونه
اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

اراد انها من صفائها تريك القذاة عالية عليها فى أسفلها . فأخذه الاخطل فقال :

ولقد تباركنى على لذاتها
صهباء عالية القذى خرطوم

ولم تختلف الرواة فى الفاظ بيت كاختلافهم فى بيت له وهو :

انى لعمر الذى خطت مناسمها
تهدى وسيق اليها الباقر العتل

الباقر جماعة البقر مع رعاتها والعتل الكثير من كل شىء. رواه بعضهم خطت اى اعتمدت فى السير ، وبعضهم العتل اى الكبيرة ، وبعضهم الغيل اى السمان وبعضهم الباقر العجل

الاعشى كان ممن آمن بالملكين الكاتبين . قال يمدح النعمن :

فلا تحسبنى كافرا لك نعمة
على شاهدىّ ياشاهد الله فشهد

وكان هذا من ايمان العرب بالملكين بقية من دين اسماعيل

ويستحسن قوله فى سكران :

فراح مكيثا كأن الدبى
يدب على كل عضو دبيب

المكيث الرزين والمقيم الثابت. والدبى اصغر مايكون من الجراد والنمل

وفى الاعشى يقول ابن كلبة وفى الاصم ابن معبد من ولد الحارث بن عبادة :

قبحتما ماعيرى حى ذوى نسب
وحز أنفا كما حزا بمنشار
أعنى الاصم وأعشانا اذا ابتدرا
الا استعانا على سمع وابصار

قال وأحسن ماقيل فى الرياض قوله :

ماروضة من رياض الحزن معشبة
خضراء جادعليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق
مؤزر بعميم النبت مكتهل

وما بأطيب منها نشر رائحة
ولا بأحسن منها اذ دنى الاصل

للاعشى معلقة أولها :

ما بكاء الكبير في الاطلال
وسؤالي وما ترد سؤالي

ديوان الاعشى موجود في المكتبة الملكية بخط اليد

توفي الاعشى سنة (٦٢٩) ميلادية وكان على دين النصرانية

﴿ أعشى بني تغلب ﴾ هو النعمان ابن يحيي ابن معاوية احد بني معاوية بن جشم بن بكر بن حبيب عمرو بن تغلب ابن وائل

كان من شعراء الدولة الاموية وساكني الشام اذا حضر . واذا بدا نزل في ديار قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة وكان نصرانيا

قال ابو عمرو الشيباني كان اعشى بني تغلب منادم الحر بن الحكم فشربا يوماً في بستان له بالموصل فسكر الاعشى فنام في البستان ودعا الحر بجواريه فدخلن عليه قبة واستيقظ الاعشى فأقبل ليدخل القبة فمانعه الخدم ودافعهم حتى كاد أن يهجم على الحر مع جواريه فلطمه خصي منهم فخرج الى قومه فقال لهم لطمني الحر فوثب معه رجل من بني تغلب يقال له أدعج وهو شهاب بن همام فاقتحما الحائط وهجما على الحر حتى لطمه الاعشى ثم رجعا فقال الاعشى :

كأني وابن دعج اذ دخلنا
على قرشيك الورع الجبان

هزبرا غابة وقصا حمارا
فظلا حوله يتباهشان

أنا الجشمي من جشم بن بكر
عشية رعت طرفك بالبنان

فما يستطيع ذو ملك عقابي
اذا اجترمت يدي وجنى لساني

عشية غاب عنك بنو هشام
وعثمان استها وبنو أبان

تروح الى منازلنا قريش
وانت مخيم بالزرقان

الزرقان قرية بسنجار كانت للحر

قال ابن حبيب مدح الاعشى مدرك ابن عبد الله الكناني فأساء ثوابه فقال الاعشى :

لعمرك اني يوم امدح مدركا
لكالمبتني حوضاً على غير منهل

أمر الهوى دوني وفيل مدحتي
ولو لكريم قلتها لم تفيل

قال أبو عمرو كان الوليد بن عبد الملك محسنا الى أعشى بنى تغلب . فلما ولى عمر ابن عبد العزيز الخلافة وفد اليه ومدحه فلم يعطه شيئا . وقال ماأرى للشعراء فى بيت المال حقا . ولو كان لهم فيه حق لما كان لك لانك امرؤ نصرانى . فانصرف الاعشى وهو يقول :

لعمرى لقد عاش الوليد حياته
امام هدى لا مستزاد ولا نزر
كأن بنى مروان بعد وفاته
جلاميد لا تندى وان بلها القطر

قال ابو عمرو كانت بين بنى شيبان وبين تغلب حروب فعاون مالك بن مسمع بنى شيبان في بعضها ثم قعد عنهم فقال أعشى بنى تغلب فى ذلك :

بنى امنا مهلا فان نفوسنا
تميت عليكم عتبها ومصالها
وترعى بلا جهل قرابة بيننا
وبينكم لما قطعتم وصالها
جزى الله شيبانا وتيما ملامة
جزاء المسيء سعيها وفعالها
أبا مسمع من تنكر الحق نفسه
وتعجز عن المعروف يعرف ضلالها
أوقدت نار الحرب حتى اذا بدى
لنفسك ما تجنى الحروب فهالها
نزعت وقد جردتها ذات منظر
قبيح مهين حيث القت حلالها
ألسنا اذا ما الحرب شب سعيرها
وكان صفيح المشرفى صلالها
اجارتنا حل لكم ان تنازلوا
محارمها وان تميزوا حلالها
كذبتم يمين الله حتى تعاوروا
صدور العوالى بيننا ونصالها
وحتى ترى العين الذى كان شامة
مزاحف عقرى بيننا ومجالها

﴿أعشى همدان﴾ هو عبد الرحمن ابن عبد الله بن الحرث يكنى أبا المصبح كان من فصحاء الشعراء فى الدولة الاموية وكان زوجا لاخت الشعبى الفقيه والشعبى زوجا لاخته

كان فى مبدأ أمره من الفقهاء والقراء ثم ترك ذلك وقال الشعر . ثم خرج على عبد الملك بن مروان مع عبد الرحمن بن الاشعث فقبض عليه وقتله صبرا

كان قد بعثه الحجاج بن يوسف مرة لحرب الديلم فوقع أسيراً فهويته بنت الديلمى الذى أسره فخلصته من الاسر

وهربت معه . فقال الاعشى فى أسره ذلك :

لمن الظعائن سيرهن ترجّف
عوم السفين اذا تقاعس مجدف
موت بذى خشب كأن حمولها
نخل بيثرب طلعه متعصف
عونين ديباجا وفاخر سندس
وبخزأ كسية العراق تحفف
وغدت بهم يوم الفراق عرامس
فتق المرافق بالهوادج دلف
بان الخليط وفاتنى برحيله
خود اذا ذكرت لقلبك يشغف
تجلو بمسواك الاراك منظما
عذبا اذا ضحكت تهلل ينطف
وكأن ريقتها على علل الكرى
عسل مصفى فى القلال وقرقف
وكأنما نظرت بعينى ظبية
تحنو على خشف لها وتعطف
واذا تنوء على القيام تدافعت
مثل النزيف بنوء ثمت يضعف
ثقلت روادفها ومال بخصرها
كفل كما مال القنا المتقصف
ولها ذراعا بكرة رحبية
ولها بنان بالخضاب مطرف
وعوارض مصقولة وترائب
بيض وبطن كالسبيكة مخطف
ولها بهاء فى النساء وبهجة
وبها تحل الشمس حين تشرف
تلك التى كانت هواى وحاجتى
لو ان دارا بالاحبة تسعف
واذا تصبك من الحوادث نكبة
فاصبر فكل مصيبة ستكشف
ولئن بكيت من الفراق صبابة
ان الكبير اذا بكى سيعنف
عجبا من الايام كيف تصرفت
والدار تدنو مرة . وتقذف
أصبحت رهنا للعداة مكبلا
امسى واصبح فى الاداهم ارسف
بين القليسم فالقبول فحامن
فاللهزمين ومضجعى متكلف
هذه اسماء مواضع من بلاد الديلم
تكتنفه الهموم بها
فجبال ويمة ما تزال منيفة
ياليت ان جبال ويمة تنسف
ولقد رآنى قبل ذلك ناعما
جذلان آبى ان اضام وآنف
واستنكرت ساقى الوثاق وساعدى
وانا امرؤ بادى الاشاجع اعجف

ولقد تضرسني الحروب وانني
ألفى بكل مخافة أتعسف
أتسربل الليل البهيم واشتدى
في الحب اذلا يشتدون وأوجف
ما ان ازال مقنعا او حاسراً
سلف الكتيبة والكتيبة وقف
فأصابني قوم فكيف أصيبهم
فالآن اصبر للزمان واعرف
اني لطلاب التراب مطاب
وبكل أسباب المنية أشرف
باق على الحدثان غير مكذب
لا كاسف بالى ولا متأسف
ان نلت لم أفرح بشيء نلته
واذا سبقت به فلا أتلهف
اني لاحمي في المضيق فوارسي
واكر خلف المستضاف وأعطف
وأشد اذ يكبو الجواد وأصطلى
حر الاسنة والاسنة ترعف

قال الاصمعي لما ولى خالد بن عتاب ابن ورقاء اصبهان خرج اليه أعشى همدان وكان صديقه وجاره بالكوفة فلم يجد عنده ما يحب وأعطى خالد الناس عطايا فجعله في أقلها وفضل عليه آل عطارد فبلغه انه ذمه فحبسه مدة ثم أطلقه فقال يهجوه :

وما كنت ممن ألجأته خصاصة
اليك ولا ممن تغر المواعد
ولكنها الاطماع وهي مذلة
دنت بي وأنت النازح المتباعد
أتحسبني في غير شيء وتارة
تلاحظني شزرا وأنفك عاقد
فانك لا كابني فزارة فاعلمن
خلقت ولم يشبههما لك والد
ولا مدرك ما قد خلا من نداهما
ابوك ولا حوضيهما أنت وارد
وانك لو ساميت آل عطارد
لبذتك أعناق لهم وسواعد
ومأثرة عادية لن تنالها
وبيت رفيع لم تخنه القواعد
وهل انت الا ثعلب في ديارهم
نشل فتعساً أو يقودك قائد
أرى خالداً يختال مشيا كأنه
من الكبرياء نهشل او عطارد
وما كان يربوعا شبيها لدارم
وما عدلت شمس النهار الفراقد

ولما خرج ابن الاشعث على الحجاج ابن يوسف حشد معه اهل الكوفة فلم يبق من وجوههم وقرائهم أحد له نباهة الاخرج معه لثقل وطأة الحجاج عليهم فكان

عامر الشعبي والاعشى ممن خرج معه وخرج احمد النصيبي ابو اسامة الهمداني المغنى مع الاعشى لالفته اياه وجعل الاعشى يقول الشعر فى ابن الاشعث يمدحه ولا يحرض أهل الكوفة بأشعاره على القتال وكان مما قاله فى ابن الاشعث يمدحه :

يأبى الاله وعزة ابن محمد
وجنود ملك قبل آل ثمود
ان تأنسوا بمذممين عروقهم
فى الناس اذنسبوا عروق عبيد
كم من اب لك كان يعقد تاجه
بجبين ابلج مقول صنديد
واذا سألت المجد أين محله
فالمجد بين محمد وسعيد
بين الاشج وبين قيس باذخ
بخ بخ لوالده وللمولود
ما قصرت بك ان تنال مدى العلى
اخلاق مكرمة وارث جدود
قوم اذا سامى القروح ترى له
اعراق مجد طارف وتليد
واذا دعا لعظيمة حشدت له
همدان تحت لوائه المعقود
يمشون فى حلق الحديد كأنهم
اسد الاباء سمعن زأر اسود
واذا دعوت بآل كندة اجفلوا
بكهول صدق سيد ومسود
وشباب مأسدة فان سيوفهم
فى كل ملحمة بروق رعود
ما ان ترى قيسا يقارب قيسكم
فى المكرمات ولا ترى كسعيد

قال حماد الراوية كانت لاعشى همدان مع الاشعث مواقف محمودة وبلاء حسن وآثار مشهورة ، وكان الاعشى من اخواله لان أم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث أم عمر وبنت سعيد بن قيس الهمداني قال فلما صار ابن الاشعث الى سجستان جمع مالا كثيراً فسأله أعشى همدان ان يعطيه منه زيادة على عطائه فمنعه ، فقال الاعشى فى ذلك :

هل تعرف الدار عفا رسمها
بالحضر فالروضة من آمد
دار لخود طفلة رودة
بانت فأمسى حبلها عامدى
بيضاء مثل الشمس رقراقة
تبسم عن ذى أشر بارد
لم يخط قلبي سهمها اذرمت
ياعجباً من سهمها القاصد

يا أيها القرم الهجان الذى
يبطش بطش الاسد اللابد
والفاعل الفعل الشريف الذى
ينمى الى الغائب والشاهد
كم قد أسدى لك من مدحة
تروى مع الصادر والوارد
وكم أجبنا لك من دعوة
فاعرف مع العارف كالجاحد
نحن حميناك وما تحتمى
فى الروع من مثنى ولا واحد
يوم انتصرنا لك من عابد
ويوم أجبناك من خالد
ووقعة الرى التى نلتها
بجحفل من جمعنا عاقد
وكم لقينا لك من واتر
بصرف نابى حنق حارد
ثم وطئناه بأقدامنا
وكان مثل الحية الراصد
الى بلاء حسن قد مضى
وأنت فى ذلك كالزاهد
فاذكر أيادينا وآلاءنا
بعودة من حلمك الراشد
ويوم الاهواز فلا تنسه
ليس الينا والقول بالبائد
انا لنرجوك كما نرتجى
صوب الغمام المبرق الراعد
فالفتح يكفيك ومضمنا
وافعل فعال السيد الماجد
مالك لا تعطى وانت امرؤ
مثر من الطارف والتالد
تجبى سجستان وما حولها
منكشا فى عيشك الراغد
لا ترهب الدهر وأيامه
وتجرد الارض مع الجارد
ان يك مكروه تهجنا له
وأنت فى المعروف كالراقد
ثم ترى انا سنرضى بذا
كلا ورب الراكع الساجد
وحرمة البيت وأستاره
ومن به من ناسك عابد
تلك لكم أمنية باطل
وغفوة من حلم الراقد
ما أنا من هاجيك من بعدها
هيج بآتيك ولا كايد
ولا اذا ناطوك فى حلقة
بحامل عنك ولا ناقد

قيل خرج أعشى همدان الى الشام فى ولاية مروان بن الحكم فلم ينل فيها

حظا فجاء الى النعمان بن بشير وهو عامل على حمص فشكا اليه حاله فكلم عنه النعمان بن بشير اليمانية وقال لهم هذا شاعر اليمن ولسانها، واستماحهم له. فقالوا نعم يعطيه كل رجل منا دينارين من عطائه فقال لا بل اعطوه دينارا دينارا واجعلوا ذلك معجلا فقالوا أعطها اياه من بيت المال واحتسبها على كل رجل من عطائه . ففعل النعمان وكانوا عشرين الفا فأعطاه عشرين الف دينار وارتجعها منهم فقال الاعشى يمدح النعمان :

ولم أر للحاجات عند التماسها
كنعمان نعمان الندى بن بشير
اذا قال أو فى مايقول ولم يكن
كمدل الى الاقوام حبل غرور
متى أكفر النعمان لم الف شاكرا
وماخير من لايقتدى بشكور
فلو اخر الانصار كنت كنازل
ثوى ماثوى لم ينقلب بنقير

روى انه لما أتى الحجاج بن يوسف بأعشى همدان أسيرا قال له الحمد لله الذى أمكن منك، ألست القائل :

لما سمونا للكفور الفتان
بالسيد الغطريف عبد الرحمن
صار يجمع كالقطا من قحطان
ومن معه قد أتى ابن عدنان
أمكن ربى من ثقيف همدان
يوما الى الليل يسلى ما كان
ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضى وكذاب ثان

اولست القائل .

يابن الاشج قريع كـ
ـدة لا أبالى فيك عتبا
أنت الرئيس بن الرئيـ
ـس وأنت أعلى الناس كعبا
نبئت حجاج بن يو سـ
ـف خر من زلق فتبا
فانهض فديت لعله
يجلو بك الرحمن كربا
وابعث عطية فى الخيو
ل يكبهن عليه كبا

كلا ياعدو الله بل عبد الرحمن بن الاشعث هو الذى خر من زلق فتب، وحار وانكب. وما لقى ما أحب. ورفع الحجاج بها صوته وأربد وجهه ، واهتز منكباه فلم يبق أحد فى المجلس الا أهمته نفسه، وارتعدت فرائصه

فقال له الاعشى بل أنا القائل أيها الامير

أبى الله الا ان يتمم نوره
ويطفىء نار الفاسقين فتخمدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله
كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما لبث الحجاج ان سل سيفه
علينا فولى جمعنا وتبددا
وما زاحف الحجاج الا رأيته
حساما ملقى للحروب معردا
فكيف رأيت الله فرق جمعهم
ومزقهم عرض البلاد وشردا
بما نكثوا من بيعة بعد بيعة
اذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة
من القول لم تصعد الى الله مصعدا
ولما دلفنا لابن يوسف ضلة
وابرق منا العارضان وارعدا
قطعنا اليه الخندقين وانما
قطعنا وأفضينا الى الموت مرصدا
فصادمنا الحجاج دون صفوفنا
كفاحا ولم يضرب لذلك موعدا
بجند امير المؤمنين وخيله
وسلطانه امسى معانا مؤيدا
ليهنىء امير المؤمنين ظهوره
على امة كانوا بغاة وحسدا
وجدنا بنى مروان خير أئمة
واعظم هذا الخلق حلما وسؤددا
وخير قريش فى قريش أرومة
واكرمهم الا النبى محمدا
اذا ما تدبرنا عواقب امرنا
وجدنا امير المؤمنين المسددا
سيغلب قوم غالبوا الله جهلة
وان كايدوه كان اقوى واكيدا
كذاك يضل الله من كان قلبه
ضعيفا ومن والى النفاق وألحدا
فقد تركوا الاموال والاهل خلفهم
وبيضا عليهن الجلابيب خردا
يناديتهم مستعبرات اليهم
ويذرين دمعا فى الخدود واثمدا
والا تناولهن منك برحمة
يكن سبايا والبعولة اعبدا
تعطف امير المؤمنين عليهم
فقد تركوا أمر السفاهة والردى
لعلهم أن يحدثوا العام توبة
وتعرف نصحا منهم وتوددا
لقد شعب ابن الاشعث العام مصرنا
فظلوا وما لاقوا من الطير اسعدا
كما شاءم الله النجير واهله
بجدك من قد كان اشقي وانكدا

فقال الحجاج أتظنون أنه أراد المدح ؟ لا والله ولكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم اياه واراد به ان يحرض أصحابه . ثم اقبل عليه فقال له : أظننت ياعدو الله انك تخدعني بهذا الشعر وتنفلت من يدى حتى تنجو ؟ ألست القائل ويحك :

واذا سألت المجد أين محله
فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأغر وبين قيس باذخ
بخ بخ لوالده وللمولود

والله لاتبخبخ بعدها أبدا . أولست القائل :

وأصابني قوم وكنت أصيبهم
فاليوم اصبر للزمان واعرف

كذبت والله ما كنت صبوراً ولا عروفا ثم قلت بعده :

واذا تصبك من الحوادث نكبة
فاصبر فكل غيابة ستكشف

اما والله لنكونن نكبة لاتنكشف غيابتها عنك ابدا ، ياحرسى اضرب عنقه

ذكر مؤرج السدوسى ان الاعشى كان شديد التحريض على الحجاج فى تلك الحروب فجال أهل العراق جولة ثم عادوا فنزل عن سرجه ونزعه عن فرسه ونزع درعه فوضعها فوق السرج ثم جلس عليها فأحدث والناس يرونه . ثم أقبل عليهم فقال لهم : لعلكم أنكرتم ماصنعت؟ قالوا وليس هذا موضع نكير ؟ قال لا كلكم قد سلح فى سرجه ودرعه خوفا وفرقا ولكنكم سترتموه واظهرته ، فحمى القوم وقاتلوا اشد قتال يومهم الى الليل وشاعت فيهم الجرحى والقتلى وانهزم أهل الشام يومئذ ثم عاودوهم من غد وجاء مدد لاهل الشام فباكروهم القتال فكانت الهزيمة وقتل ابن الاشعث

وقد حكيت هذه الحكاية عن ابن حلزة اليشكرى

﴿عَصَبَ﴾ الشيء يعصِبه عَصبا طواه ولواه وشده

(عصّبه) شده بالعصابة و(تعصّب) شد العصابة

(تعصّب فلان) أتى بالعصبية .

و (تعصّب لفلان) مال اليه

(اعتصب القوم) صاروا عصبة

(العِصابة) ماعصب به من منديل ونحوه والجماعة

(العَصَبية) التعصب

(يوم عَصِيب) أى شديد

عصب الجهاز العصبي في الانسان ينقسم الى قسمين : الاول يسمى جهاز المخالطة وهو الذي ينتقل به الانسان من محل الى آخر ويدرك به الاشياء المحيطة ويحس بها . القسم الثاني الذي بعمله يتنفس الانسان وتنهضم أغذيته ويخفق قلبه وتحصل افرازاته وتتم تغذية جميع خلايا جسمه وجميع اعمال هذا القسم غير ارادية؛ والجهاز العصبي المتسلط عليها يسمى جهاز الحياة العضوية والجهاز السمباتوى ولكنه ليس مستقلا بل متعلقا بجهاز المخالطة

(جهاز المخالطة) يتألف هذا الجهاز من جزء منتفخ هو المخ المحفوظ في الجمجمة يتلوه حبل عصبي مار في قناة السلسلة الظهرية وهذا الحبل العصبي يسمى بالنخاع الفقري أو النخاع الشوكي

فالمخ ذو شكل بيضي وزنه عند الرجل ١٢٥٠ غراما وعند المرأة ١٢٣٠ في الحالة الوسطى وهو يتألف من نصفي كرة منفصل أحدهما عن الآخر في جزئهما العلوي بالشق المظلم بين النصفين الكريين ومتضامان من الامام والوسط

ويتركب كل نصف من هذين النصفين من نسيج سنجابي دائري يسمى بالقشرة المخية السنجابية ومن كتلة من نسيج ابيض مركزي الياف... ية من القشرة المخية وهو موجود بين الطبقة السنجابية القشرية والنويات السنجابية المركزية وتوجد أسفل منه المخنفة الانسية ثم يليها الافخاذ المخية فالحدبة المخية فالبصلة الشوكية فالنخاع . ويوجد في باطن كل نصف كرة من هذين النصفين تجاويف تسمى بطينات

فالقشرة السنجابية تكوّن لكل نصف من هذين النصفين الكريين المكونين للمخ ثنيات بارزة معرجة تسمى التلافيف لكل منها تركيب خاص ووظيفة خاصة . وتجتمع جملة من هذه الثنيات فتؤلف فصوصا . وبذلك ينقسم النصف الكروي المخي الى ستة فصوص

أما باطن المخ فهو مؤلف من نسيج أبيض شامل في وسطه الغدد السنجابية أو الباطنية للمخ

اما النسيج الابيض للمخ فيتكون من ألياف مختلفة الاتجاه

اما النسيج الشوكي فهو الجزء المحصور في السلسلة الظهرية وهو يمتد من عنق البصيلة الشوكية الكائنة في الميزاب القاعدي

الموجودة فى العظم المؤخرى من الرأس فى محاذاة الفقرة المحورية المنقية الى نقطة اجتماع الفقرة الثانية ويكون ممتداً عند الطفل الى العجز وعند الجنين الى العصعص

(الاعصاب الدائرية الدماغية) عدد الاعصاب الدماغية اثنى عشر زوجا لكل من نصفى المخ اثنى عشر فرداً منها . وهى تنقسم باعتبار وظائفها الى ثلاثة أقسام حساسة ومحركة ومشتركة وهى تعد من الامام الى الخلف كما يأتى :

(الزوج الاول) العصب الشمى (عصب حساس)

(الزوج الثانى) العصب البصرى وهو حساس أيضا

(الزوج الثالث) العصب العام العينى (عصب محرك)

(الزوج الرابع) العصب الاشتياقى (عصب محرك)

(الزوج الخامس) العصب التوأمى الثلاثى (عصب محرك) أى حساس ومحرك وفروعه الثلاثة هى العصب العينى والعصب الفكى العلوى والعصب الفكى السفلى

(الزوج السادس) العصب المحرك الوحشى للعين (محرك للعضلة المستقيمة الوحشية للمقلة)

(الزوج السابع) العصب الوجهى (محرك لعضل الوجه)

(الزوج الثامن) العصب السمعى (حساس خاص بالسمع)

(الزوج التاسع) العصب اللسانى البلعومى وهو عصب مشترك اى حساس ومحرك

(الزوج العاشر) العصب الرئوى المعدى وهو عصب مشترك اى حساس ومحرك غير ارادى

(الزوج الحادى عشر) العصب الشوكى والعصب الراجع وهو مشترك أى محرك وحساس

(الزوج الثانى عشر) العصب العظيم تحت اللسان وهو محرك

فالعصب الشمى يتوزع فى الغشاء النخامى للحفر الانفية

والعصب البصرى خاص بالبصر

والعصب العام العينى يوصل الحركة الى عدة عضلات مرتبطة بالعين وهو يخدم فى رفع الجفنين وتحريك المقلة وقبض وبسط الحدقة

والعصب الاشتياقى يتوزع فى العضلة

الكبيرة المنحرفة للمقلة وينتج من شلله اتجاه المقلة الى الاعلى

والعصب التوأمى الثلاثى يتوزع فى الفكين والجبهة وجلد الجفن والغشاء المخاطى الملتحمى والقرنية والقزحية والشبكية والعظم الوجنى وسمحاقه والغدة الدمعية ويعطى للحدقة خيوطها الباسطة لها

وأما الفرع الفكى العلوى فهو حساس يعطى الاحساس الى جلد الخد وجلد جناح الانف والجفن السفلى والغشاء المخاطى لشفة العليا ولقبة الفم وللحفر الانفية وللحلق ولاسنان الفك العلوى ويحفظ استمرار الافراز الطبيعى لهذه الاجزاء

وأما الفرع الفكى السفلى فهو حساس ومحرك ويعطى الخيوط الحساسة المتوزعة فى جلد قسم الاذن والصدغ والشفة السفلى والذقن وأسفل الفم والشدق واللثة واللسان والاسنان السفلى ويؤثر على افراز اللعاب بواسطة حبل الطبلة ويعطى خاصة الاحساس بالذوق لطرف اللسان وحوافيه والخيوط المحركة للفرع الفكى السفلى تتوزع فى عضلات المضغ

والعصب المحرك الوحشى العينى يتوزع فى العضلة المستقيمة الوحشية للمقلة

والعصب الوجهى يتوزع بعض فروعه فى العضلة المحيطة الجفنية وبعضها فى عضل الخد والشفتين والذقن والمنخر.

والعصب السمعى يتوزع فى اعضاء السمع

والعصب اللسانى البلعومى يعطى الاحساس للسان والذوق والاحساس العام للغشاء المخاطى البلعومى ولقوئم اللهاة ولصندوق الطبلة ولقناة استاش. وتتوزع خيوطه المحركة فى العضلة العاصرة العليا للبلعوم وفى عضل اللهاة. وقد يسمى هذا العصب بعصب التهوع

والعصب الرئوى المعدى ينقسم الى ثلاثة فروع فرع يتوزع فى القسم العنقى وفرع فى القسم الصدرى وفرع فى القسم البطنى

فأما فرع القسم العنقى فتتفرع منه فروع ثانوية تذهب الى البلعوم والاوداج والعضلة العاصرة العليا والوسطى البلعوميتين والغشاء المخاطى لقاعدة اللسان والغشاء المخاطى الحنجرى والعصب الحنجرى الوحشى وخيوط للحنجرة وللعاصرة السفلى للبلعوم وللعضلة الحلقية الدرقية ؛ ومنها خيوط تتوزع فى الضفيرة القلبية (الفرع

القلبي العلوى) وأما خيوطه المحركة فهى آتية اليه من العصب الشوكى اى النخاعى

وأما فرع القسم الصدرى فانه يعطى فروعا تتوزع كذلك فى الضفيرة القلبيــة ويعطى خيوطا للعصب الحنجرى السفلى أو الراجع الذى هو من فرع العصب الشوكى وتتوزع خيوطه فى العضلة العاصرة السفلى للبلعوم وفى جميع عضلات الحنجرة ماعدا الحلقية الدرقية

ويعطى أيضا خيوطا للقصبة الهوائية والمرىء والرئة وللضفيرة الخلفية والمقدمة للرئتين . وهاتان الضفيرتان يعطيان خيوطا للمرىء وللقلب وللقصبة وللشعب ويعطى ايضا خيوطا للضفيرة المريئيةوهى تعطى خيوطا للغشاء المخاطىء للمرىء ولعضلته

وأما القسم البطنى فانه يعطى خيوطا محركة وخيوطا حساسة للمعدة والامعاء وخيوطا تعين على تكوين الضفيرة الكبدية والضفيرة الشمسية والكلوية

وبالجملة فان العصب الرئوى المعدى يعطى أعصاب الجهــاز التنفسى والقلبى والجهاز الهضمى وتوابعه كالكبد وغيره والجهاز البولى ويتميز العصب الرئوى المعدى بتمتعه بخاصة الاحساس الكامل (اى احساس دائرى ومركزى) وبذلك يفسر استمرار الحركة الانعكاسية (كفعل التنفس والدورة والهضم وافراز البول) واذا نبه العصب الرئوى المعدى تناقص عدد ضربات القلب . واذا قطع ازدادت ضربات القلب سرعة فيزداد عدد النبض بفعل العظيم السمباتوى وحده

والعصب الشوكى هو عصب حساس ومحرك وهو يتفرع الى فرعين أحدهما أنسى يختلط بالعصب الرئوى المعدى ويكون العصب الراجع ويعطى أغلب الخيوط المولدة للحركة الارادية لعضلات الحنجرة والثانى وحشى يتوزع فى العضل القصى اللامى والوتدى والعضلة المثينية

وأما العصب العظيم تحت اللسان فهو العصب المحرك للسان ينشأ من الجزء السفلى الأرضية البطين الرابع من النخاع الشوكى ويعطى خيوطا جانبية للعضل الموجود تحت العظم اللامى وخيوطا نهائية لعضلات اللسان ولذا كان هذا العصب هو المحرك للسان . فمتى حصل شلل فيه فى جهة مال اللسان للجهة السليمة

الاعصاب النخاعية الفقرية

الدائرية)

عـدد الاعصاب النخاعية الفقرية واحد وثلاثون زوجا منها ثمانية أزواج عنقه واثنى عشر زوجا ظهرية وخمسة أزواج قطنية وستة عجزية . ولكل عصب نخاعى جذران : مقدم محرك ينشأ من القرن الخلفى ن الحبل المقدم للنخاع ثم يتقارب الجذران أحدهما من الآخر حتى يصلا الى ثقب التصريف وهناك يتلاصقان ويتكون عنهما العصب النخاعى الحقيقى المركب من عصب محرك وعصب حساس

ويوجد فى الجذر الخلفى قبل التصاقه بالجذر المقدم انتفاخ عصبى يسمى بالغدة الشوكية أو الغدة بين الفقرات وهى مركز تغذية الجذر الخلفى المذكور ويوجد فى الغدة الشوكيـة المذكورة خلايا عصبية تخدم كمركز معد لقبول الاحساسات الدائرية الشوكية المذكورة وخلايا عصبية تخدم لعكسها عن هيئة حركة بدون ارادة

ثم ان كل عصب مختلط ينقسم بعد خروجه من ثقب من ثقوب التصاريف الفقرية الى فرعين مقدم وخلفى . فالمقدم محرك وا كثر غلظا من الخلفى ولكن طول النخاع أقصر من طول العمود الفقرى تكون جذور الاعصاب النخاعية أكثر طولا وانحرافا كلما كانت ناشئة من قرب الطرف السفلى للنخاع وبذلك تكون الاعصاب السفلى ذيل الفرس من ابتداء الفقرة الثانية القطنية وبذلك لا تكون نقطة خروج العصب من النخاع مقابلة لنقطة خروج من ثقب التصريف

القسم الثانى من الجهاز العصبى جهاز الحياة العضوية المسمى بالعصب العظيم السمبتاوى وهو يمتد من الرأس الى العصعص وموضوع بطول العمود الفقرى ويتركب من جذوع وجذور وفروع

فيكون فى الجـذع جذع العصب العظيم السمباتوى فى كل جهة من الجهتين الجانبيتين للعمود الفقرى حبلا مرصعا بانتفاخات او غدد متباعـدة بعضها من بعض مسافات قصيرة . وعدد هذه الغدد فى القسم العنقى من اثنين الى ثلاثة . وعددها فى القسم الظهرى نحو خمسة عشر وفى القسم القطنى خمسة وفى القسم العجزى نحو ستة

جذور العظيم السمباتوى خيوط عصبية آتية من جميع الاعصاب النخاعية تنشأ منها فى محاذاة ثقوب التصاريف فانه ينشأ من كل عصب نخاعى جذران دقيقان

أحدهما يصعد الى فوق ويتصل بالغدة السمباتوية، الموجودة فوق العصب الناشيء هو منه ، والثانى ينزل الى تحت ويتصل بالغدة السمباتوية الموجودة تحت العصب الناشيء هو منه

(ثالثا) فروع العظيم السمباتوى وهى خيوط تنشأ من الغدد الموجودة على طول جذعه فتتجه اتجاهات مخالفة فبعضها يدخل الى الجمجمة وبعضها يدخل الى الاحشاء الصدرية والبطنية والحوضية وجميع هذه الفروع تتبع سير الاوعية الدموية وتكون فى محازاة الاعضاء التى تتوزع فيها ضفائر عديدة تسمى بأسماء الاعضاء المذكورة أو بأسماء الشرايين التابعة لسيرها كالضفائر الكبدية والقلبية والمعدية وغيرها

(وظائف الجهاز العصبى) علمنا مما تقدم ان المجموع العصبى مكون من عنصرين هما الخلايا العصبية منضم أحدهما للآخر بنسيج خلوى . وعلمنا أيضا أن النسيج الابيض للمراكز العصبية لايحتوى على ألياف. وأما النسيج السنجابى للمراكز المذكورة فانه يحتوى على خلايا عصبية وعلى ألياف أيضا. ولأجل حدوث ظاهرة عصبية فيزيولوجية يجب أن يكون العنصران العصبيان والجهاز الدموى واليمفاوى سليمة فتتولد أولا القوة العصبية فى الخلية ثم تنتقل منها بواسطة الالياف المتصلة بها الى الاعضاء المختلفة

فالمجموع العصبى والحالة هذه مؤلف من خلية عصبية متصلة بخطين من الألياف العصبية . أحدهما يولد للخلية المركزية التنبيه المولد لفعلها . والثانى يوصل القوة للعصبية المتولدة فى الخلية الى الدائر

شكل كل خلية عصبية يشبه نجمة أى ان لها جسما مركزيا وزوائد فتتصل هذه الزوائد اما بألياف عصبية طولية واما بزوائد خلية مجاورة والبعض بألياف عصبية طولية

الخلايا العصبية للقشرة الدماغية مجتمعة ومكوّنة لتلافيف وهذه التلافيف تشتمل على المراكز المخية وهذه المراكز محدودة ومنقسمة الى قسمين : قسم محرك ووظيفته وظيفة مخية محركة ، وهى وظيفة ارادية . وقسم حساس يكون خاصا بادراك الاحساسات الدائرية لمسية كانت أو سمعية أو بصرية

فالمراكز القشرية المخية المحركة ستة وهى:

(١) المركز المحرك للرأس والعنق (٢) والمركز المحرك للوجه (٣) والمركز المحرك للحنجرة ولتكوين مخارج الحروف (٤) والمركز المحرك للاطراف العليا (٥) والمركز المحرك للاطراف السفلى (٦) والمركز المحرك للمقلة

واما المراكز المحية للاحساسات فهى ثلاثة معدة لقبول الاحساسات الدائرية فى المخ وهى :

(١) مركز سمع الاصوات أو مركز ادراك التأثيرات السمعية فاذا تغير هذا المحرك أو تلف نجم عنه صمم الكلام اى ان المريض لا يفهم الكلام الملقى على سمعه تماما

(٢) مركز الاحساس البصرى

(٣) مركز قبول الاحساس العام

اما وظائف الالياف العصبية الناقلة فبعضها خاص بايصال المراكز المحركة بعضها ببعض، والبعض خاص بنقل ارادتها الى الدائر والبعض بنقل التنبيهات الدائرية الى المراكز المعدة للادراك والبعض خاص بايصال خلايا ادراك الاحساس بالخلايا المولدة للحركة

هذه الخيوط على اختلاف وظائفها يستطيع كل منها أن يكون ناقلا للحركة وناقلا للاحساس

(أمراض المجموع العصبى) يوجد فى المجموع العصبى استعداد خاص لنقل الامراض بالوراثة فينتقل المرض من أحد الآباء الى الابناء أو الاحفاد وقد يتنوع فى المنتقل اليه

وهناك أسباب مولدة للامراض العصبية كالمشروبات الكحوليةوالمخدرات والافراط فى التدخين وتعاطى القهوة والشاى والغلو فى اشباع الشهوة والاستمناء والامراض العفنة الحادة والامراض المزمنة كالزهرى والتسمم الرصاصى

وقد يكون المرض العصبى خلقيا وناجما من وقوف نمو أحد أجزاء الجهاز العصبى المركزى بسبب ما أثناء التكون الجنينى أو مكتسبا بعد التكون أثناء الولادة: من الدماغ بجفت التوليد

تنحصر الظواهر المرضية لتغيرات المجموع العصبى فى ستة وهى: (١) اضطراب العقل (٢) واضطراب الحركة الارادية (٣) واضطراب الحركة المنعكسة (٤) واضطراب الاحساس العام (٥) واضطراب التغذية (٦) واضطراب الافرازات

(فى اضطراب العقل) قد يكون العقل سليما ولكن هذه السلامة لا تمنع من وجود تغير مرضي في اجزاء المخ وقد ثبت ذلك تشريحيا اذ وجدت فى مخ بعض الناس نقط نزفية وأخرى لينة ولكن لم يكن لها تأثير على العقل فى أثناء الحياة

تنحصر اضطرابات العقل فى تناقص قوته او تنبه قوته فوق الحالة العادية أو ضياعه

فيعرف نقص قوته بخمود حواسه وعدم فهمه للشيء وببطء أجوبته اذا سئل وبعدم اتساق أفكاره وبضعف او فقد حافظته

قد يكون هذا الاضطراب خلقيا وقد يكون عارضا من نزيف أو لين مخيين او من التهاب مخي حاد او اضطراب فى دورة المخ أو فى تغذيته

وقد يفقد المصاب معرفة صور الكلام المسموع فيقال لهذا الداء صمم الكلام . وقد يفقد تمييز صور الكلام المكتوب

ثم ان الاضطراب المخي قد يكون قاصرا على مراكز الادراك المخي التعقلي اى يحصل اضطراب القوى المدركة للاحساس والافعال التى بها يزن الانسان أفكاره وأعماله أثناء التيقظ فتنجم عن ذلك الامراض العقلية الجزئية التى هى الهذيان والتخيلات والغشى . واما فى الجنون فيكون الادراك مفقودا فقدا كليا

من الاضطرابات المخية الهذيان وهو ظاهرة تنتج عن اضطراب العقل اضطرابا مرضيا وله أنواع عديدة . أولها الهذيان الحاد . ثانيها الهذيان الهوسى . ثالثها الماليخوليا . ورابعها الهذيان الذى يسميه الاطباء الفرنج سيستمار . خامسها الهذيان الذى يسميه ميستيك . سادسها هذيان الاضطهاد

فى الدور الاول من هذا النوع الاخير يصير الشخص المصاب مضطربا مشغول الفكر قلقا ويصير عقله فى تعب مرضى لا يعجبه شيء ويسيء الظن بكل شخص ولو كان من أقاربه وكل ما يفعله أحدهم يظنه موجها ضده . وفى الدور الثانى يتوهم انه يسمع الناس يتذاكرون لما كسته والايقاع به واتهامه بأعمال جنائية . وفى الدور الثالث يهرب المريض ويتجنب العالم لانه يتوهم ان شخصا يتبعه

ليقتله ويمتنع عن الاكل لانه يتوهم أن بعضهم سيضع له السم فيه . و مد هـذا الدور يأخذ فى تدبير طريقـة يهلك بهـا نفسه لانه يرى ان ذلك أخف عليه من أن يهلكه غيره

كل هذه الاعراض تدل على تغـير القشرة السنجابية للمخ وأعظمه الالتهاب المنتشر للنسيج الخلوى للقشرة المذكورة

(أسباب الهذيان) ينجم أولا من الامراض العفنة كما فى الحمى التيفويدية أو التيفوسية . ثانيا . يحدث من الدرن الدخنى ذى الشكل التيفويدى . ثالثا . ينتج عن الالتهاب الرئوى الحاد . رابعا . يحصل من الالتهاب الرئوى الذى يصيب المدمنين على تعاطي الشروبات الكحولية خامسا . يحـدث من التهاب سحـائى مصاحب للالتهاب الرئوى ويكون من طبيعة واحدة . سادسا . يطرأ الهذيان عن التسممات كالتسمم البولى عنـد المصابين بمرض البول الزلالى . سابعا . قد يكون الهذيان من اليرقان الخطير بسبب تأثير عناصر الصفراء على الجهاز العصبى. ثامنا. قد يجيء الهذيان من تعاطى جزء كبير من بعض الادوية كالدجيتالا والبلادونا. تاسعا قد يأتى الهذيان من التسمم الرصاصى المزمن عند المشتغلين بالمركبات الرصاصية . عاشرا قد يصيب الهذيان أصحاب التسمم الكحولى حادى عشر. قد يستتبع الهذيان الاحتقان المخى . ثانى عشر. والانيميا المخيه . ثالث عشر . والامراض الحمية العادية الحادة عند ارتفاع درجة الحرارة. رابع عشر والالتهاب السحائى الدرنى. سادس عشر. والالتهاب المخى الحاد . سابع عشر. والالتهاب المخى المزمن الاولى أو التبعى. ثامن عشر. والدور الاول للشلل الضمورى

النوع الثانى من التغيرات العقليـة التخيلات وهى اضطراب يحدث فى وظائف المخ الخـاصة مع اضطراب قوة الادراك وبذلك يتكون عند المريض أفكار كاذبة او يرى خيالات وهمية أو يشعر باحساسات باطلة ويعتقدها حقيقية

النوع الثالث من التغيرات العقلية عدم التمييز وهو اضطرات القوى العقلية الخاصة بالتمييز العقلى فالمصاب به يدرك الاشياء ولكن بدون تمييز فيخيل اليه أن ابنه أبوه، وان بنته زوجته . وان الاحلام حقائق

(فى اضطراب الحركة الارادية أي الشلل) قد يحـدث أن تكون قوة

الانقباض الارادى للعضلات ضعيفة أو مفقودة فيحدث للمصاب شلل عام . وقد علمنا ان ارادة الحركة تصدر من بعض المراكز المخية وان الارادة الصادرة من أحد هذه المراكز أو جميعها تصل الى العضل للالياف الناشئة من المراكز المذكورة فتى حصل تغير أو تلف فى بعض هذه المراكز اوحصل تغير للالياف الموصلة المذكورة فى نقطةما منها أوحصل تغير فى نفس العضل نتج عن ذلك شلل العضل المذكور

فاذا كان قاصرا على مركزمخى واحد سمى الشلل المنفرد وحينئذ يكون شاملا للطرف بتمامه

وأما اذا كان التغير قاصراً على جزء قشر: الجزء السفلى للفيف الصاعد ولاسيما الجبهى كان الشلل على الطرف العلوى للجهة المضادة لجهة التغير المخى وهو نادر

وقد يكون التغير قاصرا على جزء القشرة السنجابيـة للجزء السفلى المقدم للفيف الصاعد الجبهى فيكون الشلل حينئذ على عضلات الوجه

وأما اذا كان التغير القشرى عاما للمراكز المحركة المخية لاحد النصفين الكريين للمخ فينجم عنه شلل عام للجهة الجانبية للجسم المضادة لجهة التغير القشرى ويسمى هذا الشلل بالفالج

(الشلل الجزئى) قد يكون تغير القشرة السنجابية المخية قاصراً على عصب واحد أو على بعض خيوطه فينتج من ذلك شلل جزئى وهو أنواع منها مثل الشلل المقلى الذى يقتصر على العضلة المستقيمة الوحشية للمقلة . وقد يكون التغير قاصرا على العصب المحرك العام للمقلة فيحصل حول مقلى وحشى

وقد يكون التغير قاصراً على الفرع العلوى للعصب المحرك العام للمقلة المتوزع فى العضلة الرافعة للجفن العلوى فيصير الجفن مرتخيا لا يمكن رفعه بالارادة

وقد يكون التغير قاصراً على خيوط الفرع العلوى المتوزعة فى الحدقة فتصير الحدقة مشلولة ولا تنقبض بالضوء ولا بتغير المسافة بين العين والجسم المرئى

أسباب التغيرات التى تحدث فى العصب العينى أولا الزهرى الثلاثى بانضغاطه بورم سمحاقى أو عظمى أو صدفى محله الحجاج ، ثانيا الروماتيزم . ثالثا البرد . رابعا تغير فى بعض المراكز

المخية وحينئذ فيكون مصحوبا بشلل نصفى جانبى للجسم

(أسباب الشلل الوجهى الدائرى)

أولا ضغط العصب الوجهى بورم . ثانيا البرد . ثالثا المرض المعروف بالتابس

(الشلل الكحولى) يشاهد عند النساء المدمنات على تعاطى الخلاصات مثل الابسنت وغيره. يسبقه دور يحس المريض فيه بتنمل وتقلص فى أطرافه السفلى يتزايد بحرارة الفراش ويحصل فى هذا الدور للمريض أحلام مزعجة . ويحصل له اضطرابات معدية كالقىء المخاطى عند القيام من النوم وغير ذلك

(التوتر العضلى) هو حالة بها يصير معها العضل غير المشلول منقبضا صلبا مرنا متوترا توترا غير ارادى ومستمرا ثم يزول هذا التوتر بالتنويم الكلوروفورمى . أما سببه فقد يكون وجود تغير مجاور كتغير مفصل مجاور ولاسيما التغير الدرنى للمفصل الحرقفى الفخذى

ويشاهد تصلب العنق فى الالتهاب السحائى المخى النخاعى ويصحب ذلك انثناء الركبتين أثناء جلوس المريض وتعسر بسط أطرافه السفلى

وقد يشاهد التوتر العضلى الجزئى عند النساء المصابات بالهستريا

والتخشب المسمى كتالبسى هو توتر عضلى يزول معه الانقباض الارادى للعضل ويكتسب خاصة حفظ الأوضاع التي يوضع فيها، أى أن الطبيب يمكنه أن يفعل فى الأطراف ما يفعله فى قطعة من الشمع

ومن الادواء العصبية اضطراب الحركة والارتعاش وقد يكون عاما أو جزئيا وخفيفا حتى أن المريض يعسر عليه فعل جميع الحركات ويكون عدد الاهتزازات فى الثانية من ٤ الى ٥ أو من ٦ الى ٧ أو من ٨ الى ١٢ يكون ذلك تارة مستمرا وتارة لا يحصل الا عند الحركة الارادية. وأنواع الارتعاش هى الآتية :

أولا : الأرتعاش الشيخوخى وهو يشاهد فى الشيخوخة ويظهر أولا فى عضلات العنق فتهتز الرأس على الدوام ثم يمتد الارتعاش الى الشفتين ثم الى جميع عضلات الجسم

ثانيا : الارتعاش الاهتزازى المسمى بمرض باركينسون ويكون فيه الاهتزاز منتظما ومستمرا. يبتدئ من اليد اليمنى

ثم يمتد الى الساعدين فالساقين فالجذع ولا يحصل هذا الاهتزاز فى ابتداء المرض الا أثناء الراحة ويقل أن يقف أثناء الحركة الارادية ولكنه يزداد فى أثنائها اذا لاحظ المريض ان أحداً يبصره

ثالثا : الارتعاش الجحوظي ويكون عاما فى الجسم ولكن لا يبتدىء واضحا الا فى الاصابع متى كانت متباعدة ومع ذلك اذا وقف المريض ووضع الطبيب يديه على كتفيه ادرك اهتزاز جسمه

رابعا : الارتعاش البصلى أى الشلل الشفوى اللسانى الحنجرى البلعومى فيحصل للمصاب ارتعاش فى الشفتين وفى اللسان اثناء النطق وبذلك يعسر عليه الكلام وقد يمتد الى عضلات الوجه ويكون واضحا فى الايدى عند امتداد الذراعين امتدادا أفقيا وتباعد أصابع اليدين مدة ما . ويكون ظاهراً اذا أخرج المريض لسانه من فمه

خامساً : الارتعاش الشللى يعقب الشلل النصفى الجانبى ارتعاش يسبق بالتوتر العضلى

سادسا : الارتعاش الانتباهي وهو يحصل للمريض عند فعل حركة فقط فيصير الرأس والعنق والجذع فى حركة الى الامام ثم الى الخلف بمجرد ما يريد المريض المشى . وترتعش الاطراف العليا عند ما يريد المريض توجيه الماء أو الغذاء الى فمه . ويوجد فى هذا المرض دائما صعوبة فى التكلم بسبب ارتعاش اللسان والشفتين

سابعا : الارتعاش الكحولى ويشاهد فى الاطراف العليا وفي اللسان والشفتين ولأجل رؤيته يأمر الطبيب المريض بمد ذراعيه أفقيا مع جعل أصابع يديه متباعدة وممدودة مدة دقائق فيحصل عقبها ارتعاش فى اليدين

ثامنا : الارتعاش الهستيرى ويكون مثل الارتعاش الكحولى

تاسعا : الارتعاش الحزنى والغضبى ويشاهد عند حدوث غضب أو انفعال نفسانى

عاشرا : ارتعاش التسمم ويشاهد فى الاطراف من جراء التسمم الزئبقى ويكون مصحوبا بانتفاخ اللثة وتزايد سيلان اللعاب

ومن اضطرابات الحركة التشنج وهو انقباض عضلى يحصل فجأة بدون ارادة وعلى هيئة نوب

والفواق المسمى عندنا بالزغطة هى تشنج يحدث فى الحجاب الحاجز وهى قد تكون عصبية ولكن متى ظهرت فى نهاية الامراض العفنة الحمية دلت على قرب الموت

وللتشنج أنواع وهى :

تشنج الاطفال ذوى الاستعداد العصبى الوراثى الذين عمرهم أقل من سنتين فيحدث لهم بأقل سبب ويحدث فى ابتداء الحميات الطفحية وفى الالتهاب الشعبى الرئوى وفى التسنين وفى عسر الهضم المعدى والمعوى وفى الاسهال أو الامساك عند ضغط الملابس عليهم

وقد يشاهد عند هؤلاء الاطفال أيضا تشنج المزمار المسمى عند العوام بالقرينة وهو مميت متى تكررت نوبته

ثانيا التشنج النفاسى وهو يكون أولا ظواهر تنبيه يعقبها زلال فى البول فيجب أمر الوالدة بالحمية فاذا لم يزل الزلال بها حصلت ظواهر اخرى تسبق حصول النوبة التشنجية مثل ألم فجائى فى القسم الكبدى يشع نحو القسم المعدى أو ألم دماغى جبهى وقىء صفراوى أو عسر فى التنفس أو اضطرابات عقلية أو بصرية ثم تحصل النوبة التشنجية وهى كنوبة الصرع لكنها لاتستمر أكثر من دقيقتين ثم يحدث غشيان يزول بعد بضع ساعات ولكن لاتعود الحافظة أبدا قبل مضى ٢٤ أو ٣٦ ساعة

وقد يمكن أن يحدث عن التشنج الاجهاض فيعقب ذلك وقوف النوبة ولذا يجب على الطبيب اخراج الجنين ان لم تقف النوبة خشية موت المرأة

ثالثا التشنج فى الصرع فيسبقها بثوان قليلة ظاهرة احساس أو حركة . فظاهرة الاحساس تكون أكثر حصولا وتبتدىء من طرف الاصابع وهى عبارة عن احساس بتيار يصعد نحو الجذع . وبعض المرضى يمكنهم تجنب حصول النوبة بربط رسغ اليد المصابة ربطا قويا بمجرد ابتداء الاحساس فى طرف اصابعها .واما ظاهرة الحركة فهى انقباض جزئى فى احد الاصابع وعلى كل حال فالمريض عند ابتداء النوبة الصرعية يبهت وجهه ويصيح صيحة واحدة ثم يسقط فاقد الادراك والاحساس فيحصل له أولا تشنج توترى لجسمه يستمر عدة ثوان ثم يصير التشنج توترا واثناء متواليين يستمر مدة دقيقة أو دقيقتين يحصل أثناءه

عض اللسان وخروج رغاو مدممة من الفم واحيانا يحصل تبرز وتبول غير اراديين. ثم يحصل دور وقوف يستمر من دقيقتين الى ثلاث دقائق . ثم تحصل الافاقة . ولكن من تعب المريض من التشنج يحدث له نوم لاتعلق له بالمرض . فى اثناء النوبة الصرعية ترتفع درجة الحرارة وقد تصل الى ٤٠

وقد تكون النوبة الصرعية غير تامة فمنها نوب لايحصل فيها صياح ولا عض اللسان أو يكون التشنج فيها قاصرا على طرف واحد لاعاما .ولكن فقد الاحساس يحصل دائما على أى حال

وقد يحصل غيبوبة صرعية فيفقد المريض الادراك برهة صغيرة مع تغير فى لونه ثم يعود الشخص للكلام ان كانت تلك الغيبوبة حصلت اثناء التكلم

رابعا توجد نوب تشبه النوبة الصرعية يقال لها النوب ذات الشكل الصرعى وهى غير الصرع المعروف.فلا يصحب التشنج فيها فقد الادراك . واذا حصل فيكون عند انتهاء النوبة

وقد يكون التشنج قاصرا على طرف علوى أو سفلى ويسمي المرض المذكور حينئذ بمرض برافيزين . وعلى أى حال فان النوبة التشنجيه عرض لمرض كحصول التهاب محدود فى جزء من السحايا أو وجود ورم مخى محدود

خامسا تشاهد النوبة التشنجية العامة فى الهستريا وتسبق غالبا بظواهر أولية يقال لها (اورا) تعرفها المصابة وهى ألم فى المبيض يتزايد وينتشر صاعدا الى فوق ككرة على استقامة القصبة الهوائية ويحدث احساس باختناق ثم يتبع بحدوث ضربات شريانية صدغية وطنين فى الاذن . ثم يحصل فقد للادراك

سادسا تحدث النوبة التشنجية من تسمم الدم بأملاح البول أو البلادونا أو الرصاص أو الجويدار أو الاستركنين أو حمض الكربونيك أو خلاصه الابسنت

سابعا الكوريا وهى حركات غير ارادية ولكنها تشبه الحركات الارادية وأكثر ماتشاهد عند الاطفال من السنة السادسة الى الحادية عشرة وتبتدىء فى أكثر الاحوال بعضلات الوجه ثم بعضلات الذراع ثم تنتشر فيشاهد ان الجبهة تتغضن وتنفرد على التوالى والاجفان ترتفع وتنخفض والشفاه تمتد وتنكمش وترتفع وتنخفض

والمقلة تدور الى جميع الجهات واللسان يفرع فى الفم ويخرج ويدخل فيجعل النطق صعبا وقد يعضه المريض . والصوت يكون اصم او صياحيا تبعاً لدرجة تمدد الحبال الصوتية والساعد ينثنى وينفرد ويفعل جميع الحركات التى يمكن فعلها

وبما ان بعض الامراض ينجم عنها اضطراب فى نوع المشية فلنتكلم عنها فنقول :

يشاهد أضطراب المشى فى المرض المسمى (اتاكسى لوكوموتربس) امام التقدمى . فيكون هذا الاضطراب عبارة عن عدم اتحاد الانقباض العضلى المحرك بدون فقد القوة العضلية للعضل المذكور . فالمشى يبتدىء بانقباض فجائى فى العضل المحرك للاطراف السفلى فيرتفع القدم فجأة من الارض أكثر مما يجب ويندفع الطرف المذكور الى فوق وامام متباعدا عن الطرف الساكن متواترا مهتزا ثم يسقط القدم على الارض فجأة وبقوة قارعا الارض بالعقب ويزداد هذا الاضطراب على توالى الايام حتى لا يستطيع المريض المشى الا متوكئا على غيره

ويساعد اضطراب المشى فى التسمم الكحولى وفيه ترتفع الاقدام كثيراً أثناء المشى ويسقط القدم على الارض اولا باصابعه ثم بالعقب

ويشاهد أيضا اضطراب المشى فى مرض الهستريا وقد لا يشاهد هذا الاضطراب الا اذا مشى المريض مغمضا عينيه

ويرى هذا الاضطراب عند المصابين بالنوراستانيا اى ضعف الاعصاب ويكون اضطرابا كاذبا اى لاسبب له ويصحبه دوار اما المصاب بتغير فى المخيخ فيتطوح أثناء المشى

(فى اضطراب الاحساس) يوجد احساس عام واحساس خاص . فالاول محله الجلد ويدركه المخ ويشمل الاحساس بالألم والاحساس بالحرارة والضغط . واما الاحساس الخاص فيشمل حاسة البصر والسمع والشم

اما اسباب هذا الاضطراب الاحساسى فهى اولا تغير فى الجلد ثانيا تغير مرضى فى الخيوط العصبية الناشئة من الجلد ثالثا تغير ذات ادراك الاحساس الدائرى

فاذا كان فقد الاحساس فى جزء من الجلد سبق اصابته بمرض جلدى كالحرة

أوغيرها . واذا كان فقد احساس الملامسة عاما لقسم الجلد المتوزع فيه جميع فروع عصب من الاعصاب الحساسة كان محل التغير هو نفس جذع العصب المتوزعة فروعه فى القسم المذكور

واذا كان فقد الاحساس عاما ومصحوبا بشلل عام للجسم دل على ضغط واقع على المخ سواء أكان ورماً أم ناتجا من التهاب سحائى

وقد يشاهد الفقد العام للاحساس عند المصابات بالهستريا وذلك نادر

واما اذا كان فقده قاصراً على الجزء الجانبي للجسم بدون شلل فيكون محل التغير اما فى مركز ادراك الاحساس الدائرى او فى القسم الخلفى للتاج المشع او فى الجزء الخلفى للقسم الخلفى من المحفظة الانسانية

ويحصل فقط الاحساس عقب التسمم بغاز حمض الكربونيك وبغاز اوكسيد الكربون وبأبخرة الايتير والكلوفورم والاميلين وبتعاطى الكحول والفوسفور والبلادونا والافيون وجميع المخدرات وبالتسمم الرصاصى

ويحصل اضطراب الاحساس فى الهستريا بدون تغير مادي لافى المخ ولا فى النخاع ولافى نفس الاعصاب بل يكون فقط اضطرابا عصبياً وظيفياً أى اضطراب حاصل فى تأدية الاعصاب الحساسة وظيفة نقل الاحساس

هذا الاضطراب الهستيرى قد يكون عاماً لجميع أنواع الاحساسات اى اللمس والضغط والحرارة والالم وقد يكون حاصلا فى احدها فقط . كفقد حساسية الالم مثلا بحيث يمكن ادخال دبوس فى جلد المريض بدون ان يدرك اقل الم . ويندران يكون فقد الاحساس المؤلم عاما لجميع سطح الجسم بل الغالب ان يكون قاصراً على النصف الجانبى لسطح الجسم اى لجلد هذه الجهة وحواسها . أى فقد احساس جلد جهة وفقد رؤية المرئيات بعين هذه الجهة وفقد الشم من منخر تلك الجهة وفقد الذوق فى نصف اللسان لتلك الجهة الى غير ذلك

وقد يوجد تزايد فى الاحساس الطبيعى عند الهستريات ويكون شاغلا لمناطق محدودة مقابلة للمنطقة المسماة انيروجين فمثلا فى النفرالجيا المفصلية اى الالم العصبى المفصلى يكون محل تزايد الاحساس فى الجلد المغطى للمفصل المتألم . والمحال التى اذا ضغط عليها ضغطا خفيفا ولدت نوبة

هستيرية يصحبها عدم راحة وخفقان وضربات شريانية صدغية متزايدة العدد والقوة تبعا لضربات القلب . واذا كانت النوبة الهستيرية موجودة وضغط على هذه النقطة وقفت النوبة فى الحال

وقد تشاهد اضطرابات كثيرة عند الهستيريات (الاول) اضطرابات بصرية كتناقص ميدان النظر ويكون قاصرا على يمين الجهة الفاقدة للاحساس النصفى الجانبي للجسم أو عاما فى العينين معا . وقد يكون تناقصه عاما لجميع أنواع الالوان فتفقد المصابة أولا رؤية اللون البنفسجى ثم الأزرق ثم الاصفر ثم الاخضر ثم الأحمر

وقد يكون اضطراب البصر الهستيرى ازدواج المرئيات أو مضاعفتها بعين واحدة متى كان المرئى بعيدا عن النظر بمسافة تختلف بين ١٥ و ٢٠ سنتى مترا

وقد يكون اضطراب البصر عند الهستيريات عبارة عن رؤية المرئيات أصغر حجما مما هي فى الحقيقة

ومن الاضطرابات الهستيرية حاسة تأثر الشم فقد يكون الشم عندهن مفقودا فى الجهة الفاقدة الاحساس الجلدى النصفى الجانبي للجسم فقط احيانا يكون الشم فى الحفرتين الانفيتين معا . وأحيانا يصاحب فقد الاحساس العكس فلا يحصل للمرأة عطاس مهما تنبه الغشاء المخاطي الانفى لكون الغشاء المخاطي الانفى فقد الاحساس فى الجهة الجانبية للجسم مفقودة الاحساس

ومن الاضطرابات الهستيرية تأثر حاسة الذوق وفيه يفقد احساس الحس فى نصف اللسان فقط فى جهة فقد الاحساس الجلدى الجانبي وقد يفقد الذوق فى جزء اللسان كلها وقد يفقد البلعوم احساسه فلا يحصل تهوع

من الاضطرابات الهستيرية تأثر حاسة السمع وفيه قد يوجد فقد الاحساس الحسى للقناة السمعية الظاهرة وقد يوجد نصف صمم أو صمم لبعض الاصوات مع سلامة مركز السمع وسلامة العصب نفسه

وقد تضطرب تغذية الخلايا عند الهستيريات ويعرف ذلك ببحث البول عقب نوبة الهستيريات فيوجد فى البول كثير من الفوسفات الارضية زيادة عن العادة وقليل من البولين عنها

وتضطرب عند الهستيريات الوظائف

المخية وتتغير منها حالة أخلاقهن فتكون كأخلاق الطفل ويحدث لهن تغير فجائى لافكارهن وعدم تناسب ما يقلنه وتأثرهن بأقل سبب حتى ان أقل عارض قد يسبب لهن تشنجات واحساسا بصعود كرة من المعدة نحو الحلق تحدث مضايقة فى العنق

وبالاجمال فالظواهر المميزة لوجود الهستيريا هى :

(أولا) فقد الاحساس الجلدى الجزئى الذى يشغل أجزاء مختلفة على هيئة لطخ غير متناسبة ويكون شاغلا النصف الجانبى للجسم ويندر أن يكون عاما

(ثانيا) تناقص مجال البصر كما مر تفصيلا

(ثالثا) فقد الشم

(رابعا) فقد الذوق وفقد الانعكاس للتهوع وفقد انعكاس العطاس

(خامسا) اضطراب الافكار والتكلم بدون مناسبة

(سادسا) الاضطرابات المخية والاحساس بكرة تصعد من المعدة نحو الحلق

(تزايد الاحساس الجلدى والمخاطى)

قد يكون تزايد الاحساس الجلدى ناجما عن تنبه فى الجوهر السنجابى المخى وهذا مايشاهد فى ابتداء بعض الامراض كالالتهاب السحائى المخى والالتهاب النخاعى والالتهاب السحائى المخى والنخاعى معاً . وفى هذه الامراض كثيراً ما يصحب التزايد تشنجات او انقباضات عضلية توترية ثم ينتهى تزايد الاحساس الجلدى بفقده كما ان التوتر العضلى ينتهى بالشلل العضلى

وقد ينجم عن تزايد الاحساس ألم شديد واكثر ما يكون فى الدماغ ويكون الالم شديداً فى ابتداء الالتهاب السحائى الحاد البسيط والدرنى ويكون أقل شدة فى الين المخى وفى الانيميا المخية والاحتقان المخى والاورام المخية ويتزايد ليلا متى كان من طبيعة زهرية

وقد يكون الالم عصبيا فيتزايد بالضغط على العصب المريض فى اليقظة ويكون سطحيا

وهو يأتى على نوب ويشغل محل سير العصب المصاب فيكون محدوداً وتارة يكون منتشراً فى جهات مختلفة وفى فترات النوب يكون من خدر أو ألم خفيف قد يتزايد ويصير شديدا

تصطحب آلام الدماغ ببعض

اضطرابات فى الاحساس وفى الاوعية وفى الافرازات وفى الحركة

(أسباب الآلام العصبية الدماغية)

اولا تغير مرضى فى جزء من جذع العصب أو فى منشأه أو انتهائه لأن اصابة أدق خيط عصبى نهائى لفرع ما بالوخز أو عند الفصد قد يكون كافيا لحصول آلام شديدة مستعصية . ثانيا انضغاط جذع العصب أثناء سيره بورم أو بانضغاطه بالاوردة الدوالية . وقد يؤدى ذلك الضغط الى التهاب العصب فيتكون الالتهاب العصبى . ثالثا قد تحدث الآلام العصبية من تأثير الهواء البارد أو الرطوبة على العصب . رابعا قد يكون سببها داخليا وحينئذ تحصل فجأة وتسير بسرعة حتى يظنها المريض آلاما روماتيزمية . خامسا قد تحصل من أسباب عامة كالانيميا والامراض التعفنية وغيرها

أنواع الآلام الدماغية كثيرة منها الآلام الوجهية وهذا النوع عند الكهول والنساء قد تكون شديدة جداً حتى انه ينجم عنها انقباض عضلى ارتجاجى جزئى فى بعض عضل الوجه . وتأتى على نوب فالنوبة تستمر عدة دقائق الى ساعة . وعلى وجه عام يكون الوجه أثناء النوبة محمراً والدماغ متألما ويكون الوجه شاحبا

وقد تحدث عن الآلام الدماغية اضطرابات غذائية فى المحل المصاب

لأجل معرفة أسباب الآلام الوجهية يجب البحث عن سابقتها وعن الاسباب الموضعية كوجود سوس فى الاسنان أو تغيرات فى الانف وتجاويفه أو فى الاذن ، وعن تعرض الشخص لبرد أو رطوبة لانهما يحدثان الورم العصبى وبذلك يصير مضغوطا فى قناته العظمية فيحصل منه الالم

من أنواع الآلام العصبية آلام الاضلاع وهى عبارة عن ألم مستمر محله بين الاضلاع فتحصل منها مضايقات فى النفس . تشاهد هذه الآلام عند الشابات المصابات بالخلوروز (فساد تركيب الدم) وعند المصابين بتغيرات معدية

وقد يكون آلام بين الاضلاع علامة للتدرن الرئوى

من الآلام العصبية الألم العصبى الوركى المسمى بعرق النسا والنقط الاكثر تألما فى هذا النوع عديدة أولها النقط العجزية الحرقفية الكائنة فى المفصل الحرقفى العجزى . ثانيا النقط الاليية أو

الوركية الكائنة فى قمة الشرم الوركى . ثالثا النقطة الخلفية المدورية الكائنة بين المدور الكبير الوركى والحدبة الوركية ويكون العصب هنا مختفيا أسفل كتلة العضل الالبى.

العلامة الهامة لمعرفة وجود هذا المرض هى ان يبسط الطبيب ساق المريض وفخذه ثم يثنى الفخذ وحده على الحوض فاذا كان هذا المرض موجوداً فلا يمكن فعل ذلك بدون حدوث ألم شديد . وأما اذا ثنى الساق على الفخذ ثم ثنى الفخذ على الحوض فلا يحصل الالم لأن العصب فى هذه الحالة لا يكون متوتراً كما فى الحالة الاولى

ومن علاماته ان الوضع الجلوسى يكون مؤلما للمريض ويكون نومه فى فراشه على الجهة السليمة ثانيا فخذ الطرف المريض نصف انثناء ومشيه يكون صعبا بسبب الالم فيثني جذعه وركبته نصف انثناء فى كل تقدم لهذه الجهة

والمصاب بهذا المرض يحنى جذعه الى الامام وهو يتقدم ماشيا كأنه يسلم باحناء رأسه على أحد

تنحصر أسباب مرض عرق النسا العضوى أولا فى تغير نخاعى او سحائى نخاعى

ثانيا فى ضغط نخاعى بورم أو تغير فى الفقرات كما فى مرض بوت وفى جميع هذه الانواع يكون الالم فى الجهتين ويمتد الى اخمص القدمين ويكون أقل شدة

وأما مرض عرق النسا الناجم عن أمراض عامة للبنية فيحدث :

أولا عن البول السكرى

ثانيا عن النقرس

ثالثا عن الزهرى

رابعا عن الروماتيزم البسيط أو الروماتيزم البلونوراجى

خامسا عن التسمات

ويكون له أسباب أخرى وفى جميعها يكون فى الجهتين مستعصيا

وقد ينجم مرض عرق النسا من انضغاط العصب بورم فى الحوض الصغير. وقد يكون حادثا عن كسر رأس عظم الشظية . وقد يكون من بعض ظواهر مرض الهستيريا.

وقد يحدث من البرد

أما الالم الدماغى فينتج عن جملة أمراض منها :

اولا الامراض الحمية العفنة وخصوصا الحمى التيفودية والتيفوسية المصرية ويكون اول عرض لها ولا يزول الاقرب الشفاء

بزمن قليل

ثانياً يسبق النزيف المخى بأيام ثقل في الرأس ويكون خفيفا

ثالثا ينتج عن الالتهاب السحائي الدماغي فيكون أعراضه الثلاثة المميزة له التي هي ألم وامساك وقيء

رابعاً يحصل عن الزهرى في دوره الثاني والثالث ألم دماغي غائر مستمر يحصل فيه تزايد ليلا

خامسا يحدث من التسممات الحادة والمزمنة في أغلب الأحيان ويشاهد في التسمم البولي «اوريميا» وفي التسمم المعوى عند المصابين بفساد الهضم والامساك

سادساً يكون الالم الدماغي عصبياً في المرض المسمي بالنوراستانيا ويكون محله الجبهة أو القفا وتكون أحيانا عبارة عن ثقل كرصاص موضوع على المخ وأكثر حصوله صباحا . ويكون عند المستيريات شديداً كاحساس بدخول مسامير في قمة الرأس

« في الاحساس بالحرارة » وهو احساس ذاتي لا حقيقة له يدركه المريض فيحس ببرد أو حر أو ان جزءاً من جسمه بارد أو حار . ويشاهد ذلك في مرض النوراستانيا أي الضعف العصبي وفي الهستيريا

« في ضعف البصر » هو نقص حدة البصر التي تعرف بقراءة الحروف المختلفة الحجم . وقد تضعف قوة البصر بتغير العصب البصري أو بتغير الحلقة الـ . ية . وقد يحصل الضعف البصري أو . . ون . ن يرى بالمنظار تغير ما في باطن

و . . . . العمى الليلي هو ضعف بصر . . . . بزوال الضوء وينتج تغير . . ري محله باطن العين

وقد يجود النظر في الغروب دون النهار وهو يحدث عن تغير في وسط الشبكية أو عن كثر كتام مركزية

« في تغير السمع » مركز حاسة السمع في المخ وقد يقل السمع لأمراض عصبيه بل يفقد تماما . وقد يؤلم المصاب السماع

« في تغير حاسة الشم » وقد تضعف حاسة الشم بل تفقد ويكون سببه الامراض العصبية أيضاً

« في تغير حاسة الذوق » قد تضعف هذه الحاسة أو تفقد تبعاً للاحوال. وقد يكون فقدها قاصراً على بعض جهات من

اللسان كما يشاهد ذلك عند المصابات بالهستيريا

وقد يفقد الذوق عند المدمنين على الاشربة الكحولية

« فى اضطراب التغذية » متى حصل تغير فى أحد المراكز العصبية المنظمة لتغذية الانسجة المختلفة للجسم حدث عنه اضطراب تغذية النسيج المتغذى منه ومحل الاضطراب الغذائى المذكور قد يكون فى الجلد ومتعلقاته أو فى النسيج الخلوى تحته أو فى العظام أو المفاصل أوفى العضل أو فى جميع أنسجة الجسم معا تبعا لمراكز التغذية المتغيرة

« اضطراب تغذية الجلد ومتعلقاته »

بما ان محل تغذية الجلد ومتعلقاته والنسيج الخلوى تحته هو فى العقد العصبية الشوكية وفى خلايا القرون الخلفية للنخاع الشوكى فمتى تلفت هذه الاعضاء أو تلفت الخيوط العصبية الموصلة لها بالجلد ومتعلقاته اضطربت تغذية الجلد ومتعلقاته في المنطقة التى تغيرت خلاياها العقدية أو خلايا القرون الخلفية المغذية لهذه المنطقة من الجلد ومتعلقاته أو الاعصاب الموصلة لها بالجلد

فمن الاضطرابات الجلدية الناتجة عن تغير الاعصاب السطحية الزونا الهربسية وهى اجتماع طفح حويصلى هربسى جلدى يمتد على طول الفرع العصبى المريض

ومنها الزونا الطفحية الهربسية للالتهاب العصبى وهى تشاهد فى الالتهاب العصبى المركزى وتشاهد أيضاً في الالتهاب العصبى الدائرى

وقد يفقد لون الجلد وهو ناشىء من اضطراب غذائى ويشاهد في الامراض العصبية كالهستيريا وقد يصحب فقدان لون الجلد فقدان لون الشعر عند مريض واحد

ومن اضطرابات التغذية العصبية القرحة الثاقبة ووجودها يدل على تغير فى القرون الخلفية للنخاع فى الجزء الجلدى المصاب بها فيثخن الجلد وييبس بحيث يعسر انزلاقه على النسيج الخلوى تحته ويشاهد هذا الاضطراب فى الوجه والعنق والاطراف العليا ثم يزول هذا اليبس ويبقى الجلد رقيقاً ملتصقاً بالنسيج الخلوى الذى تحته وهو يشاهد فى أطراف الاصابع المصابة بهذا المرض

والغنغرينا تحصل من اضطراب

تغذية بعض أجزاء الجسم وهى تحصل عقب التهاب فى القناة الشوكية

والغنغرينا السيمترية للاطراف وهى تحدث من اضطراب دورة الاوعية الدموية للاطراف المذكورة عقب اضطراب يحصل فى أعصابها لاعن اضطراب تغذية الجلد ومحلها أصابع اليدين أو الرجلين وذلك من عدم وصول الدم اليها

وقد يصير لون المادة الملونة الموجودة فى الادمة الجلدية فيتكون عن ذلك بقع فاقدة للونها الاصلى فتتكون مبيضة شاحبة

وقد يتغير الظفر فتظهر فيه ميازيب أو يصير جافا أو محززا أوضامرا أو ضخما أو يسقط سقوطا ذاتيا

وقد يتغير الشعر فيصير غليظا أو يسقط وتزول بصيلاته ولاينبت بدله أو يفقد الشعر لونه فيصير أبيض

وقد تضطرب تغذية العظام فينجم منه هشاشة فيها فتتكسر لاقل سبب

ويحدث الكسر غالبا فى عظم الفخذ أو الساق بدون ألم .وقد يحصل قصر فى الطرف المصاب ويستمر لعدم تحركه

وقد تضطرب التغذية فى العضل فيضمر ويشوه

هذه زبدة مباحث علمية فى الامراض العصبية عامة اعتمدنا فى ايرادها على كتاب المعاينة والعلامات التشخيصية للعلامة الدكتور عيسى باشا حمدى

(النوراستانيا أو ضعف الاعصاب)

ينشأ هذا المرض عادة من جراء فقر الدم المسبب عن سوء التغذية أو نقصها ، أو كثرتها وتعاطى الاشربة الحارة والاغذية الساخنة وحسو الراح وشرب القهوة الشديدة والشاى واعتياد التوابل وأكل اللحم والمرق الخ والمداولة بين الحار والبارد من الاطعمة واضطراب التغذية ، والوقوع فى أمراض خطيرة ويكون نتيجة للاصابة بالروماتيزم المفصلى المزمن والافراط فى الاعمال العقلية والجسدية والاغراق فى اشباع الشهوات والاستمناء ،ولبس الملابس الدفئة وادمان المطالعة وأمراض المعدة والامعاء الى غير ذلك وقد يكون سببه وراثيا

(أعراضها) سهولة التأثر لاقل سبب وحساسية مفرطة وشعور بضعف شديد واستعداد المصاب للشكوى من أقل شىء حتى انه ليظهر من الامور التافهة من الشكوى مالا يناسبها . ويحس بخوف

ووسوسة وقلق واضطراب . ويحدث له خفقان وأرق ودوار وعرق وسوء خلق وسرعة فى الاقوال والاعمال وآلام مختلفة وتشنجات فى مواضع متعددة وألم فى الدماغ وانطرابات هضمية وأعراض أخرى لا تحصى تتنوع تنوعا غريبا حتى يظن المصاب بأنه قد صار لا يرجى شفاؤه فيداخله ياس مستحكم ويفقد ثقته بنفسه وبمن حوله ويحول فكره كله على ذلك فلا يعود يفكر فى سواها فيظل ليله ونهاره مشغولا بنفسه متأملا فى أقل العوارض التى تصيبه حاسبا لاصغرها حسابا كبيراً ويصبح كريشة تهب الريح طائرة من القلق والانزعاج والهلع

اعتاد الاطباء أن يصفوا للمصاب بالنوراستانيا المذكورة أنواع البرومورات والفاليريانات والفوسفات وغير ذلك من العقاقير كالاستركنين والزرنيخ واليودوما لا يحصى من جواهر أخرى وكلها لا تنتج عنده أقل نتيجة بل تزيده ضعفا وحساسية حتى أن الذين يستشفون فى أوروبا من هذا الداء يجدون أكبر علماء الطب العصبى مصابين بها يشكون من الارق وشدة الحساسية وضعف الذاكرة والانحطاط الجسمانى مثل ما يشكو منه مرض

الا أن الاطباء الطبيعيين يؤكدون بأن هذا المرض يزول ولا يبقى له أثر لو سار المريض على حسب ارشادهم واتبع طريقتهم بكل أمانة واخلاص. يقولون انهم شفوا منه الوفا من المصابين به فى مستشفياتهم التى اقاموها فى المانيا وفرنسا وسويسرة وغيرها من الممالك الاوربية

من ارشاداتهم فى ذلك ان يلتفت المريض لغذائه فيمتنع عن اكل اللحوم بأنواعها ويصبح نباتيا فلا يقرب من المواد الحيوانية لغير اللبن وما يعمل منه كالجبن الغض ويمتنع عن اكل البقول ايضا ويعتمد فى أمر غذائه على النباتات الخضراء والفاكهة

ثم يعمد الى الرياضة فيسكن الجهات الخلوية او يوجد فيها وقتا طويلا من اليوم ممضيا ساعاته فى الاعمال الرياضية المعتدلة

نشق اكثر ما يستطيع من الهواء الطلق المفيد للصحة . ثم لا ينام فى حجرة مقفلة النوافذ قط يكون احد نوافذها مفتوحا حتى يتجدد هواؤها فى كل لحظة لان مدار اعادة القوى العصبية المنحطة على تقوية الدم وهى لا تكون الا بواسطة الهواء النقى

ويجب ان يعني المريض بأن يكون

فكره خالياً من الشواغل وان يكون نومه هادئاً عميقاً . وأن يعتني بصحة جلده بدلكه يومياً بالماء الفاتر بواسطة خرقة خشنة وان ينغمس فى حمام فاتر من ٢٠ الى ٣٠ دقيقة يومياً قبل الاكل بساعة أو بعده بأربع ساعات وان يمشي حافى الاقدام على الاعشاب المبتلة . وان لابدع للامساك عليه سبيلا فلا بد ان يخرج الفضلات يومياً بالدؤوب على دلك بطنه دلكا خفيفاً فان لم يفد فباستعمال الحقنة الشرجية بالماء الفاتر

ولايجوز للمريض بالنور استانيا ان يعود الى عمله الا بعد ان ينال شفاءه تماماً

يقول الاطباء الطبيعيون ان المصابين بالنوراستانيا لو اعتنوا بهذه الارشادات وقاموا بها باخلاص نجوا لامحالة من شر هذه الآفات التي استعصت على كل علاج من العلاجات المعروفة

ليس هذا المرض بالامر الخطير ولكنه مقلق مزعج لابدع للمصاب به راحة فليدأب المصاب به على اتباع اشارة الاطباء الطبيعيين ليخلص من شره ويحيا حياة طبيعية غير منغصة والا بقى طول حياته عرضة للهلع والانزعاج

من الناس من يستصعب السير على هذا النظام الطبيعى فيزعم انه ان لم يأكل لحما يضعف ولا يستطيع العمل ويدعى ان غيره من الناس قضى زماناً طويلا فى الرياضات البدنية ولم يستفد شيأ فى غير ذلك من التعللات . والحقيقة ان أكل اللحم ليس بضرورى للحياة كما ثبت ذلك علمياً بل الذى ثبت ان أكله يسبب هياجا للاعصاب وتسمما للاعضاء الرئيسية . وقد دلت المشاهدات ان أكالى اللحم أقل قوة ونشاطا واقصر حياة من المتنعين عن أكله وقد عمل المجربون تجارب أثبتوا بها هذه الحقائق بالحس انظرها فى كلمة «غذاء ولحم» من هذا الكتاب

اما زعمهم عدم فائدة الرياضات فمنقوض ايضاً واستدلالهم بعدم استفادة الذين قضوا زماناً فيه تحكم لامبرر له. فان فائدة الهواء النقى لاتنكر ولايصح ان يتردد فيها عاقل ، ومايعود على الدورة الدموية من الرياضات المعتدلة أمر قد ثبت ثبوتاً حسياً فلاسبيل للتشكك فيه . فهل يريد المصاب بالنوراستانيا ان ينزل عليه الشفاء من السماء وهو محبوس بين جدران غرفته ويخلي بينه وبين هواجسه، وهو محروم

من الهواء الطلق، والضوء المنعش والتلهي المتنقل ؟

او هل يرجى ان يخلص من دائه وهو دائب على اعماله يكد ويكدح فيها فان وجد فراغا من عمله شغله بأعمال اخرى ؟ ان رجا ذلك كان كمن يطلب المحال فالاولى بمن هو مصاب بهذا الضعف العصبي أن يخضع لاشارة العلماء ويثق بالله في ايتائه الشفاء مع المثوب على ما ثبت نفعه ثبوتاً لا يصح التردد فيه

ومن الامور الواجب التوصية بها في هذا المرض مكافحة المصاب لافكاره السوداء مكافحة الابسال فان تلك الافكار تلازم النوراستاني ملازمة الظل للشبح فتفقده الثقة بذاته وبكل وسيلة علاجية وتصور له انه صار حرضاً لا شفاء له. وقد ثبت ان هذا وهم في وهم وان الارادة القوية كافية وحدها لشفاء هذا المرض وبالاقل لتوجيهه نحو الشفاء فعلى المصاب ان يقوى ارادته، وان يزيد ثقته بنفسه مهما كلفه هذا المجهود من الصبر والثبات وقوة العزيمة

(أطباء مدرسة نانسي والنوراستانيا)

نانسي مدينة مشهورة في فرنسا بها جامعة طبية جليلة يتخرج منها جلة العلماء، وكبار اصحاب الآراء الطبية . وقد عني بعض كبار أساتذتها أمثال ربو وليوبلت وديلاغراف وليبجو وليفي وبرنهيم وغيرهم بدراسة النوراستانيا وغيرها من مظاهر الاضطرابات العصبية فوافقوا بعض العلماء العصريين في قولهم بأن النورستانيا مرض وهمي لاعصبي . فقالوا كما ان ضلال الفكر وسقم الارادة يؤثران على الانسان تأثيرا مرضياً ظاهراً حتى يوقعانه في تلك الحالة المزعجة المسماة بالنورستانيا ففي آستطاعة صحة الفكر وقوة الارادة أن تعيد الى الانسان صحته فيصبح خالصاً من تلك الشرور العصبية التي استعصت على كل علاج . فقرروا بعد البحث ان تنويم المصاب «على شرط صحة قلبه وخلوه من الامراض» واقناعه بأن ليس لديه مرض أحسن وسيلة لشفائه من النوراستانيا

ثم رأى الدكتور ليفي وغيره ان الأفضل من تنويم المصاب ان يقنع هو نفسه بأنه غير مصاب، بعمل ارادي مستمر، فلا يحتاج بهذه الوسيلة للنوم الصناعي

وقد قرر الدكتور ليفي ان السير على طريقته يؤثر تأثيرا صادقا سواء اعتقد المريض في تأثيرها أم لم يعقد

وتعليل حدوث الشفاء بطريقته أن المخ أصل جميع الاعصاب المنبثة فى الاعضاء وان تلك الاعصاب هى العوامل التى تدفع تلك الاعضاء لاداء وظيفتها فاذا تكدر المخ واصابه ما يزعجه تكدرت تلك الاعضاء وانزعجت واذا اطمأن واعتدل تبعته في ذلك . ولما كانت اضطرابات الاعضاء فى الامراض العصبية التابعة لاضطرابات المخ كان كل هدوء يحدث له ويتنزل منه يؤثر على مجموع الاعصاب تأثيراً يكون له أعظم النتائج المحسوسة

قال الدكتور ليفى نفسه :

« كل فكرة يقبلها المخ تميل لأن تنقلب الى عمل محسوس . وكل خلية مخية تتأثر بفكرة تؤثر على الالياف العصبية التى يجب أن تحققها » بهذا أيد الدكتور ليفى ما قاله قبله الدكتور بيرنهيم وهو « ان الفكرة تنقلب فى الجسم احساسا وحركة »

فاذا كان أحدنا يشكو من ألم فى رأسه ونوم نوما مغناطيسيا ولقن بأنه لا يشعر بألم فيه ثم ايقظ شفى من ذلك الألم. هذا أمر مثبت بألوف من التجارب . وعند الدكتور ليفى ان النوم ليس بضروري فاذا لقن الانسان نفسه بنفسه انه لايشكو من ألم فى رأسه شفى منه كما لو نومه منوم ولقنه ذلك

وبما ان الامراض العصبية أكبر أسبابها تركيز الانتباه على الافكار المهيجة المؤثرة او المخيفة المزعجة ودوام القلق والخوف والاهتمام بأمر الحياة الخ كان لتهديء المخ وتلقينه هذا الهدوء والسكون للاعصاب أثر أكبر فى ازالة هذه الامراض العصبية المؤلمة

« كيف نحصل على تهديء المخ وكيف نجعله يلقن ذلك للاعصاب »

رأى الدكتوران ليبولت وليفى ان احسن وسيلة لذلك تضمن حصول الهدوء المطلوب الذى له أكبر النتائج على صحة الاعصاب هى أن يجلس الانسان أو يستلق على سريره فى غرفة بعيدة عن اللغط فيقفل عينيه ويخلى فكره من جميع الشواغل ويرخى جميع عضلاته ويستمر على هذه الحالة زمنا حتى يصير كمن هو على وشك النوم فاذا شعر جسمه براحة تامة وعقله بهدوء عظيم كان ذلك وقت العمل . فاذا كان يريد ان يستشفى من ألم فى الدماغ أو من خوف

يعتريه احيانا اومن وسوسه تقلقه كثيراً فليقل فى نفسه مثلا « أنا لاأشعر بألم فى الرأس مطلقا » او «أناثابت الجأش رابط الجنان لااشعر بخوف وهمى » او « انا صحيح العقل لا أتوسوس ولا أتردد فى الامور » الخ

فاذا قالها فى نفسه مرتين بينهما هدوء مدة ثلاث ثوان فليسكن ثلاث ثوان أخرى ثم ليقلها بصوت خافت بحيث تسمعة أذناه اربع مرات، بين كل مرة وأخرى ثلاث ثوان . فاذا تم ذلك فليقلها ثلاث مرات اخرى بصوت أعلى بين كل مرة ومرة ثلاث ثوان . ثم ليقلها مرتين اخريين بصوت جهورى صريح ثم ليقم بدون أن يفكر فيما قال

قال الدكتور ليفى فيكون نتيجة ذلك كأن أحداً أنامه نوما مغناطيسيا ولقنه هذه الاوامر فيزول عنه الصداع أويقوى جأشه ولا يعود يخاف على جارى عادته او تزايله الوسوسة التى كانت تقلقه

ولا بد من تكرار هذا العمل حتى ينتج نتيجة ثابتة مستمرة

يقول أصحاب هذه المعالجة النفسية فى تعليها ان هذه الاوامر التى تصدر من المخ وهو المتسلط على جميع الاعضاء تسرى منه الى الاعصاب فتنطبع فيها انطباعا غريبا وتحدث النتائج التى تحدث فيها لو نوم الشخص تنويما مغناطيسا ولقنها تلقينا استهوائيا . وقد ذكروا لها حوادث شفاء كثيرة وان فى سعة علم الدكتورين ليبولت وليفى وبعدهما عن السفاسف ما يضمن صدق ماذهبا اليه وقد شاعت طريقتهما فى اوربا وظهرت فيها مؤلفات عديدة

عصَر الشىء يعصِره عصرا استخرج ماءه . و (عصّره) عصره . و (عاصره) كان فى عصره . و (أعصر الرجلُ) دخل فى العصر . و (انعصر) خرج ما فيه من الماء . و (اعتصر الثوب) عصره . و (العُصار والعُصارة) ما تحلب من الشىء المعصور . و (العَصْر) الدهر واليوم . والليلة . والعشى الى احمرار الشمس واسم الصلاة . و (المِعصار والمِعْصَر والمِعْصَرة) آلة العصر

وقت صلاة (العصر) تبتدىء آخر وقت الظهر (انظر ظهر)

العُصْعُص والعَصْعَص عَجْب الذنب

عصَفت الريح تعصِف عَصْفا

وعُصوفا اشتدت فهى (عاصف وعاصفة) و(العَصْف) ورق الزرع. وبقل الزرع قال تعالى (جعلهم كعصف مأكول) اى كورق أكلته البهائم أو ورق أخذ ما فيه من الحب

(العَصوف) الريح الشديدة

العصفر هو زهر القرطم ويسمى البهرمان والزرد. تسقط قوته بعد ثلاث سنين. من خواصه الطبية انه يجلو سائر الآثار كالبهق والكلف والحكة والقوباء خصوصا ويحل المدة ويذيب كل جامد من الدم مطلقاً ويقوى الكبد ويطيب الرائحة والاطعمة ويسرع باستوائها. وهو يضر الطحال ويصلحه العسل. ويشرب الى مثقال

العصفور طائر يطاق على ما دون الحمام من الطير قاطبة جمعه عصافير

ابن عصفور هو على بن موسى ابن محمد بن على العلامة بن عصفور الحضرمى الاشبيلى حامل لواء العربية بالاندلس أخذ عن أبى الحسن الرباح ثم عن أبى على الشلوبين. وتصدى للاشتغال مدة ولازم الشلوبين عشر سنين الى أن ختم عليه كتاب سيبويه. وكان أصبر الناس على المطالعة. درس للناس باشبيلية وشريش ومالقة ولورقة ومرسية

قال ابن الاثير لم يكن عند ابن عصفور ما يؤخذ عنه سوى العربية ولا تأهل لغير ذلك. قال وكان يخدم الامير عبد الله محمد ابن أبى بكر الهنتاتى

ولد سنة (٥٩٧) وتوفى سنة (٦٦٩) بتونس

من مؤلفاته: كتاب الممتع وكتاب المفتاح وكتاب الهلال وكتاب الازهار وكتاب انارة الدياجى ومختصرة الغرة ومختصر المحتسب والسالف والعذر وشرح الجمل والمقرب فى النحو ويقال ان حدوده كلها مأخوذة من الجزولية. والبديع شرح الجزولية وشرح المتنبى وسرقات الشعراء وشرح الاشعار الستة وشرح المقرب وشرح الحماسة. وهذه الشروح لم يكملها

كان له شعر حسن منه قوله:

لما تدنست بالتخبيط فى كبرى
وصرت مغرى بشرب الراح واللعس
رأيت ان خضاب الشيب أستر لى
ان البياض قليل الحمل للدنس

عصَمَ الشىء يَعصِمه حفظه و(اعتصم بالله) امتنع برحمته عن المعصية.

و(اعتصم به فلان) التجأ اليه و(استعصم) تحرى ما يعصمه. و(العاصمة) لقب المدينة وقد أطلقت اليوم على قاعدة الملك جمعها عواصم

يقال . (كن عِصاميا) أي معتمداً على نفسك لا غير . وعِصام رجل من العرب قال مرة

نفس عِصام سودت عِصاما
وعلمته الكر والاقداما

فضرب به وبيبته هذا المثل

(العِصْمة) القلادة جمعها عِصَم . و (العِصْمة) ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها . و (المِعصَم) موضع السوار من الساعد

﴿ عاصم ﴾ القارىء هو ابو بكر عاصم بن أبي الجود بهدلة مولى بني خذيمة بن مالك ين نصر بن قعين بن اسد

كان أحد القراء السبعة والمشار اليه في القراءات أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمي وزير بن حبيس . واخذ عنه ابو بكر عياش و ابو عمر البزاز واختلفوا اختلافا كثيراً في حروف كثيرة

توفي عاصم سنة (١٢٧) بالكوفة

﴿ المستعصم ﴾ هو آخر الخلفاء العباسيين (انظر تاريخه في كلمة عباسيون)

﴿ المعتصم بن صمادح ﴾ هو أبو يحيى محمد بن معن بن محمد بن احمد صمادح المنعوت بالمعتصم النجيبي صاحب المرية وبجاية والصمادحية من بلاد الاندلس

كان جده محمد بن احمد بن صمادح صاحب مدينة (وشقة) وأعمالها في عهد المؤيد هاشم بن الحكم الاموي فحاربه ابن عمه منذر بن يحيي فعجز محمد عن دفعه فترك له مدينة وشقة وفر وكان صاحب رأي ودهاء ولسان وعارضة ولم يكن في رجال الحرب من يعد له في هذه المزايا وكان ولده معن والد المعتصم مصاهراً لعبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية فلما قتل زهير مولى أبيه وكان صاحب المرية وثبت عبد العزيز على المرية فملكها فحسده على ذلك مجاهد بن عبد الله العامري المكنى أبا الجيش صاحب دانية فخرج قاصداً بلاد عبد العزيز وهو بالمرية مشتغل بتركة زهير . فلما سمع بخروج مجاهد خرج من المرية واستخلف بها صهره ووزيره معن ابن صمادح والد المعتصم فخانه في الامانة وغدر به وطرده عن الامارة فلم يبق في ملوك الطوائف بالاندلس أحد الا ذمه

على هذه الفعلة . ولما مات انتقل الملك الى المعتصم ابنه وتسمى بأسماء الخلفاء

كان المعتصم رحب الفناء جزيل العطاء حليما طافت به الآمال وأحدقت به الشعراء ولزمه جماعة من فحولهم كأبى عبد الله بن الحداد وغيره وله هو نفسه أشعار حسنة . فمن ذلك ما كتبه الى أبى بكر بن عمار يعاتبه :

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم
وطول اختبارى صاحباً بعد صاحب
فلم ترنى الايام خلا تسرنى
مباديه الا ساءنى فى العواقب
ولا صرت أرجوه لدفع ملمة
من الدهر الا كان احدى النوائب

فكتب اليه ابن عمار جوابها وهى أبيات كثيرة . ومن شعر المعتصم :

يامن بجسمى لبعده سقم
مامنه غير الدنو يبرينى
بين جفونى والنوم معترك
تصغر منه حروب صفين
ان كان صرف الزمان أبعدنى
عنك فطيف الخيال يدنينى

ولأبى عبدالله محمد بن احمد بن عثمان ابن ابراهيم الحداد الشاعر فى مدحه قصائد بديعة منها قصيدته التى أولها :

لعلك بالوادى المقدس شاطىء
فكالعنبر الهندى ما أنا واطىء
وانى من رياك واجد ريحهم
فروع الهوى بين الجوانح ناشىء
ولى فى السرى من نارهم ومنارهم
حداة هداة والنجوم طوافىء
لذلك ما حنت ركابى وحمحمت
عرابى وأوحى سيرها المتباطىء
فهل هاجنى ماهاجنى ولعلها
الى الوجد من نيران قلبى لواجىء
رويداً فذا واد للبنى وانه
لورد لباناتى وانى لظامىء
ويا حبذا من آل لبنى مواطن
ويا حبذا من أرض لبنى مواطىء
ميادين تهيامى ومسرح خاطرى
فللشوق غايات بها ومبادىء
فلا تحسبوا غيداً حوتها مقاصر
فتلك قلوب ضمنتها جآجىء
وفى الكلة الزرقاء مكلوء عزة
تحف به زرق العوالى الكوالىء
محامله السلوان مبعث حسنه
فكل الى دين الصبابة صابىء

ومنها :

تمنى مدى قرطيه عفر توالع
ونهوى ضياعينيه عين جوازىء
وفى ملعب الصدغين أبيض ناصع
تخلله للحسن احمر قانىء
أفاتكة الالحاظ ناسكة الهوى
ورعت ولكن لحظ عينك خاطىء
وآل الهوى جرحى ولكن دماؤهم
دموع هوام والجروح مآقىء
وكيف أعانى كلم طرفك فى الحشا
ولكن لتمزيق المهند راقىء
ومن أين أرجو برء نفسى من الجوى
وماكل ذى سقم من السقم بارىء
ثم خرج من هذا الى المدح وهى
قصيدة عصماء طويلة
وقصده أيضا من شعراء الاندلس
أبو القاسم الاسعد بن بليطة وهو من فحول
شعرائهم ومدحه بقصيدته الطائية التى
أولها :
برامة ريم زارنى بعد ماشطّا
فقنصته بالحلم فى الشط فاشتطا
رعى من اناس فى الحشا ثمر الهوى
ولم يدع النوار فيها ولا الخطا
ومنها :
وقد ذاب كحل العين فى دمع نحره
الى أن تبدى الصبح كاللمة الشمطا
كأن الدجى جيش من الزنج نافر
وقد أرسل الاصباح فى إثره القبطا
ومنها فى صفة الديك :
كأن أنوشروان أعلاه تاجه
وناطت عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاوس حسن لباسه
ولم يكفه حتى سبى المشية البطا
ومنها :
توهم عطف الصدغ نوناً بخدها
فباتت بمسك الخال تنقطه نقطا
غلامية جادت وقد جعل الدجى
لخاتم فيها فص غالية خطا
غدت تنقع المسواك فى برد ثغرها
وقد ضمخت مسكا غدائره المشطا
فقلت أحاجيها بماء جفونها
ومافى الشفاه اللعس من حسنها المعطا
مفترة الالحاظ من غير سكرة
متى شربت ألحاظ عينيك اسفنطا
أرى صفرة المسواك فى حمرة اللحى
وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى قرح قبلته فأخاله
على الشفة اللمياء قد جاء مختطا
ومنها فى المديح قوله :

كأن أبا يحيى بن معن أجادها
فعلمها من كفه الوكف والبسطا
فألف من در وشذر بحاره
فجاءت به العليا على جيدها سمطا
اذا سار سار المجد تحت لوائه
فليس يحط المجد الا اذا حطا
رفيع عماد النار فى الليل للسرى
فما يخبط العشواء طارقه خبطا
أقول لركب يمموا مسقط الندى
وقد جاوز الركبان من دونك السقط
أفى المجد تبغى لابن مجد مناقضا
ومن يوقد المصباح فى الشمس قد أخطا

وهى طويلة جدا

وكان المعتصم قد اختص بمؤانسة الامير يوسف بن تاشفين عند عبوره الى الاندلس لاعانة أهلها على الفرنج كما بسطناه فى ترجمة المعتمد بن عباد (حرف العين) فلما تغيرت نية الامير يوسف المذكور على المعتمد وجاهره الاخير بالعداء شاركه فى ذلك المعتصم فلما قصد يوسف بن تاشفين الاندلس لفتحها عزم على خلعهما

قال ابن بسام فى كتابة الذخيرة وكان بينه وبين المعتصم وبين الله سريرة أسلفت له عند الامام يد مشكورة فمات وليس بينه وبين حلول المدفوقة به الا مدة يسيرة، فى سلطانه وبلده، وبين أهله وولده، حدثنى من لا أرد خبره عن اروى بعض حظاياه قالت: انى لعنده وهو يوصى بشأنه، وقد غلب على أكثر يده وسلطانه ومعسكر أمير المسلمين يومئذ تعنى يوسف ابن تاشفين، بحيث نعد خيامهم ونسمع اختلاط اصواتهم، اذ سمع وجبة من وجبانهم: فقال لا اله الا الله نغص علينا كل شيء حتى الموت. فقالت أروى فدمعت عينى، فلا أنسى طرفه الىّ يرفعه، وانشاده لى بصوت لا أكاد اسمعه:

ترفق بدمعك لا تفنه
فبين يديك بكاء طويل

انتهى كلام ابن بسام ومات المعتصم فى اثر ذلك عند طلوع الهجر سنة (٤٨٤) بالمرية

﴿العواصم﴾ قال ياقوت الحموى هى حصون موانع وولايات تحيط بها بين حلب وانطاكية اكبرها فى الجبال وربما دخل فى هذه الثغور مصيصة وطرسوس وليست حلب منها وجعل ابو زيد مدينتها منبج

﴿عصاه﴾ يعصوه عصوا ضربه

بالعصا . و(العصا والعصاة) بمعنى واحد و(عصاه) يعصبه عصبا خرج عن طاعته و(تعصّى عليه) عصاه ومثله استعصى عليه

﴿عضبه﴾ يعضبه عضبا قطعه. و(عضب الكبش) يعضب عضبا صار أعضب أى مشقوق الاذن . و (الأعضب) ايضا من ليس له اخ

﴿عضده﴾ يعضده عضدا اعانه ونصره . و (عاضده) ساعده و (اعتضد) الشيء جعله فى عضده واحتضنه و(العضد) الساعد وهو من المرفق الى الكتف

﴿عضه﴾ يعضه عضا معروف . و (أعضه الشيء) جعله يعضه . و (العضوض) الكثير العض . (الملك العضوض) الجائر

﴿عضل﴾ عليه يعضل عضلا ضيق عليه وحبسه . و (عضل) الرجل يعضل عضلا صار كثير العضل و(عضل المرأة) عن الزواج يعضلها ويعضلها عضلا منعها عنه . و (عضّل المرأة) عضلها . و (اعضل الامر) اشكل اشتد . و (تعضّل الداء) غلب . و (العضلة) الداهية جمعها عضل .و(العضلة) كل عصبة معها لحم عظيم مكتنز و(العضّال) الشديد و (المعضلات) المشكلات جمعه معضلة

﴿المزاج العضلى﴾ صاحبه يكون قوى البنية عظيم العضل بحيث تكون عضلاته ظاهرة مرتفعة تحت الجلد ويكون قصيرا متوسط السمن متوسط حجم الرأس له ميل للاعمال الجسدية ولا ميل له للاشغال العقلية ويكون ضعيف الاحساس قوى الهضم وتكون أمراضه منتظمة السير قصيرة المدة سليمة العاقبة غالبا

﴿العضاه﴾ كل شجر يعظم وله شوك الواحدة عضاهة وعضة و (العضيهة) الافك والبهتان

﴿العضو﴾ كل عظم وافر من الجسد بلحمه . و(العضة) الفرقة والقطعة من الشيء جمعها عضون

﴿المادة العضوية﴾ هى المادة التى يدخل فى تركيبها الكربون وسميت عضوية لانها آتيه من اعضاء حيوانية أو من نباتات

﴿عطب﴾ الرجل يعطب عطبا هلك . و (أعطبه) أهلكه و(العطب) الهلاك

﴿ عطِر ﴾ الرجل يعطـر عَطـرا تطيب فهو (عطِـر) .و(تعطّـر)تطيب و (العِـطارة) حرفةالعطار.و(العِطْـر)اسم جامع للطيب.و (العطّـار) بائع العطر.و (المِعطار) الذى عادته التعطر

﴿ العطار ﴾ هو عبد الله بن محمد الازدى المغربى المعروف بالعطار

قال ابن رشيق فى الانموذج هو شاعر حاذق نقى اللفظ جيد لطيف الاشارات مليح العبارات ، صحيح الاستعارات ، على شعره ديباجة ورونق يمازج النفس ، ويملك الحس ، وفيه مع ذلك قوة ظاهرة ولم أر عطاردياً مثله لا ترى عنه شيئاً الا صنعته يده . وكان الامير حسين بن ثقة الدولة قد اراده للكتابة فأبى . وكانت له عند عبد الله بن حسين بمدينة طرابلس الغرب حال شريفةوجراية ووظيفة الى أن نازعته نفسه الى الوطن وكانت وفاته بعد السمائة

ومن شعره قوله :

شـكوت اليـه جفونه
ومن خاف الصدود شكا
فأجرى فى العقيق الدر
واستبقاه فأمسكا
فقلت مخاطبا نفسي
ارق للوعتي فبكا
فقالت ما بكت عينا
ه لكن خده ضحكا

ومن شعره ايضا .

مهفهف القامة ممشوقها
مستملح الخطرة معشوقها
فى طرفه من سحر اجفانه
دعوى وفى جسمى تحقيقها

وقال أيضا :

أودعت صبرى عين الشوق مختبرا
ما تحتها وخبأت النوم فى الارق
لله وجنته ياما أميلحها
كم بت مشتملا منها على حرق
حتى اذا زال صبح الخد عنه بدا
ليل تزين فى أعلاه بالشفق
كدوحة الورد رواها الحيا فبدا
نوارها وتوارى الشوك بالورق

﴿ عطارد ﴾ كوكب من المجموعة الشمسية (انظر فلك وكوكب)

﴿ عطَس ﴾ الرجلُ يعطِس ويعطُس عَطْسا وعُطاساً معروف و (العاطوس) مايعطس منه . (المَعْطِس) الانف جمعه مَعاطِس

﴿ عطِش ﴾ الرجل يعطَش عطشا معروف . و (تعطّش) تكلف العطش و (العَطَش) الظمأ . و (العطشان) ذو العطش

﴿ عطَف ﴾ اليه يعطِف عطفا وعُطوفا مال . و (تعطّف عليه) أشفق عليه ورق . (وتعاطفوا) عطف بعضهم على بعض . و (انعطف الشيء) انثنى . و (استعطفه) سأله أن يعطف عليه . و (العِطف) الأبط . و (عِطف كل شيء) جانبه

﴿ العَطف ﴾ فى علم النحو هو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد هذه الاحرف وهى : الواو والفاء وثم وأم وبل ولكن ولا وحتى . نحو : جاء محمد وعمر الخ . الواو لمطلق الجمع والفاء للترتيب مع التعقيب وثم للترتيب مع التراخى وأو لأحد الشيئين وام للمعادلة ولكن للاستدراك ولا للنفى وبل للاضراب وحتى للغاية

لا يحسن العطف على الضمير المستتر او ضمير الرفع المتصل الا بعد الفصل نحو قوله تعالى : «اسكن أنت وزوجك الجنة » ويعطف الفعل على الفعل نحو قوله تعالى : «وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسألكم أموالكم »

(عطف البيان) زاد أكثر النحاة تابعا خامسا سموه عطف البيان وعرفوه بأنه تابع يشبه الصفة فى توضيح متبوعه كاللقب بعد الاسم فى نحو قولك على زين العابدين ، والاسم بعد الكنية نحو ابو حفص عمر ، والظاهر بعد الاشارة فى نحو هذا الكتاب ، والموصوف بعد الصفة فى نحو الكليم موسى أو التفسير بعد المفسر فى نحو العسجد اى الذهب ، ومن لم يثبت عطف البيان من النحاة جعله من البدل المطابق

﴿ العطف ﴾ قرية مصرية تابعة لمركز رشيد من مديرية البحيرة يسكنها نحو ٨٠٠ نسمة وبينها وبين مركزها نحو ست ساعات ونصف

﴿ عطَل ﴾ الامر يعطُل عطالة بطَل يبطل بطالة . و (عطِل من المال) يعطَل عطَلا خلافهو (عُطْل وعُطُل) و (عَطُلَت المرأة تعطُل وعطِلت تعطَل خلت من الحلى فهى عاطل و (عطّل فلانا) اخلاه وفرغه . و (العُطلة) البقاء بلا عمل . و (التعطيل) فى الاصلاح

الدينى هو انكار صفات الخالق سبحانه وتعالى . و (المعطلة) اصحاب مذهب التعطيل

﴿ العطن ﴾ مناخ الابل حول موردها . ومربضها حول الماء لتشرب يقال (فلان واسع العطن) اى كثير المال و (عطِن الجلد) يعطَن عطنا وضع فى الدباغ وترك مافسد وأنتن

﴿عطا﴾ الشيء يعطوه عطوا تناوله و (عاطاه) ناوله و (تعاطاه) تناوله و (استعطى) سأله العطاء . و (العطا والعطاء) النوال جمعه (أعطية) وجمع الجمع عطيات . و (العطية) مايعطى جمعه عطايا . و (المِعطاء) الكثير العطاء جمعه معاط ومعاطى

﴿ عطاء بن أبى رباح ﴾ هو أبو محمد عطاء بن أبى رباح اسلم وقيل سالم ابن صفوان مولى بنى فهر أو جمح المكى . وقيل انه مولى أبى ميسرة الفهرى من مولدى الجند

كان من أعيان الفقهاء وتابعى مكة وزهادها . سمع جابر بن عبد الله الانصارى وعبدالله بن عباس وعبد الله ابن الزبير وخلقا كثيرا من الصحابة وروى عنه عمرو بن دينار والزهرى وقتادة ومالك بن دينار و لاعمش والاوزاعى وخلق كثير . واليه والى مجاهد نتهت فتوى مكة فى زمانهما

قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء

وقال ابراهيم عمرو بن كيسان : أذكرهم فى زمان بنى أمية يأمرون فى الحج . بحـ يصيح لايفتى الناس الاعطاء بن ابى رباح وايده على الشاعر بقوله :

سل المفتى المكى هل فى تزاور
وضمة مشتاق الفؤاد جناح

فقال معاذ الله ان يُذهب التقى
تلاصق اكباد بهن جراح

فلما بلغه البيتان قال والله ماقلت شيئا من هذا

كان عطاء اسود اللون فاقدآ احدى عينيه افطس اشل اعرج ثم عمى مفلفل الشعر

قال سليمان بن وكيع دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فاذا عطاء بن ابى رباح جالس كأنه غراب اسود

وحكى وكيع قال قال لى أبو حنيفة النعمان بن ثابت أخطأت فى خمسة أبواب

من المناسك بمكة فعلمنيها حجام . وذلك انى أردت أن أحلق رأسى فقال لى اعرابى أنت ؟ قلت نعم . وكنت قد قلت له بكم تحلق رأسى؟ فقال النسك لايشارط فيه ، اجلس ، فجلست منحرفا عن القبلة . فأومأ الى باستقبال القبلة . وأردت أن أحلق رأسى من الجانب الايسر . فقال أدر شقك الايمن من رأسك فأدرته . وظل يحلق رأسى وأنا ساكت فقال لى كبر . فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب . فقال أين تريد ؟ قلت رحلى . فقال صلى ركعتين ثم امض . فقلت ماينبغى أن يكون هذا من مثل هذا الحجام الا ومعه علم . فقلت من أين لك ماأريتك أمرتنى به ؟ فقال رأيت عطاء بن أبى رباح يفعل هذا

وحكى عن خليفة بن سلام عن يونس قال سمعت الحسن البصرى ذات يوم فى مجلسه يقول اعتبروا من المنافق بثلاث ان حدث كذب وان ائتمن خان وان وعد أخلف . فبلغ ذلك عطاء . فقال قد كانت هذه الخلال الثلاث فى ولد يعقوب حدثوه فكذبوه وائتمنهم فخانوه ووعدوه فأخلفوه فأعقبهم الله النبوة . فبلغ الحسن فقال وفوق كل ذى علم عليم

توفى سنة خمس عشرة ومائة وقيل اربع عشرة ومائة وعمره ثمان وثمانون سنة وقال ابن أبى ليلى حج عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة

﴿عظُم﴾ الشىء يعظُم عِظَما كبر فهو عظيم . و (أعظم الشىء) عظمه . و(تعظّم وتعاظم) تكبر ، (وتعاظمه الامر) عظم عليه . و (العَظم) قصب الحيوان الذى عليه اللحم . ومجموع عظام الانسان تسمى الهيكل العظمى . وقد تكلمنا عليه فى كلمة تشريح مادة شرح . و (العَظَمة) الكبر و (مُعْظَم الشىء) أكثره

﴿عفَره﴾ فى التراب يعفِره عفراً مرغه ودلكه أو دسه فيه و(عفِر الظبى) يعفَر عفَراً كان أعفر أى أشبه لونه لون العَفْر . و (عفَّره) بمعنى عفَره . و(انعفر فى التراب) تمرغ فيه . و (انعفر الشىء) تترب . و (العَفْر) ظاهر التراب . و (الأعفر) من الظباء مايعلو بياضه حمرة و (العِفريت) النافذ فى الامر المبالغ فيه مع دهاء

يقال (هو عِفريت نِفريت) اى شديد الخبث ونفريت اتباع لعفريت . و (عفريت من الجن) اى شديد خبيث

منهم (انظر جن وابليس) . و (تعفرت الرجل) صار عفريتا

﴿المعافرى﴾ هو أبو طالب عبد الجبار محمد بن على بن محمد بن المعافرى المغربى

كان اماما فى اللغة وفنون الادب جاب البلاد وانتهى الى بغداد وقرأ بها واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ودخل مصر سنة (٥٥١) وقرأ عليه ابو محمد عبد الله برى وكتب بخطه كثيرا وأكثر ما كتب فى الادب وقد أتقن ضبطه غاية الاتقان . وقد كتب بخطه على بعض ما نقله:

اقسم بالله على كل من

أبصر خطى حيثما أبصره

ان يدعو الرحمن لى مخلصا

بالعفو والتوبة والمغفرة

توفى سنة (٤٦٦) وهو عائد الى المغرب من الديار المصرية

﴿عفَش﴾ الشيء يعفِشه عفشا جمعه . والعُفاشة من لا خير فيه من الناس

﴿عفّص﴾ الثوب صبغه بالعفص و (العَفص) حمل شجرة البلوط واحدته عَفصة . و (العُفوصة) المرارة والقبض اللذان يعسر معهما الابتلاع

﴿العفص﴾ شجر جبلى يقارب البلوط له ثمر أجوده الصغير البالغ الاخضر الرزين المتكرج وأردؤه الاملس الخفيف وتبقى قوته ثلاث سنين

من خواصه الطبية انه يحلل الاورام ويحبس الدم والاسهال ويصلح المقعدة والرحم من مآثر أمراضها ويجفف القروح ويمنع سعى النملة والاكلة شربا وطلاء خصوصا ان طبخ بالخل أو الشراب ويشد اللثة والاسنان ويمنع تآكلها ويقع فى أكحال الدمعة كالسلاق والجرب ويحبس العرق ويقطع الرائحة الكريهة وهو أعظم عناصر صبغ الشعر والحبر . ويزيل القلاع والقوابى واللحم الزائد . وهو يضر الصدر وتصلحه الكثيراء وشربته الى مثقال وبدله قشر الرمان فى غير المبق

﴿عفّ﴾ الرجل يعِف عَفا وعَفافا وعِفة كف عما يحرم ويقبح فهو عَف وعفيف . و (تعفَّف) عنه . و (العِفة) الاعتدال فى أداء مطلوب الشهوة

﴿عفَن﴾ اللحم يعفِنه عفنا غير ريحه و (عفِن الشيء) يعفَن عفونة فسد ومثله تعفَّن

﴿ التعفن ﴾ كما برهن عليه الدكتور العلامة باستور الفرنسى نتيجة تأثير حيوانات ميكروسكوبية ينقل الهواء أصولها للمواد القابلة للتعفن. ومن ذلك اذا وضعت قطعة من الخبز فى قليل من الماء أو عطنت نباتات فى الماء أياما فانه يرى بالميكروسكوب فى السائل المتعفن عدد لا يحصى من كائنات صغيرة حية سماها الميكروبات (انظر هذه الكلمة)

﴿ عفا ﴾ عنه يعفو عفوا صفح عنه و (عفت الريح المكان) درسته ومحته. و (عفا الاثر) انمحى . و (عفا الشعر) كثر وطال . و (عافاه الله معافاة وعافية) أعطاه العافية . و (أعفاه الله من المكاره) بمعنى عافاه . و (تعفّى الشيء تعفّيا) درس واضمحل . (تعافى الرجل) نال العافية . (واعتفى فلانا) جاءه لطلب معروفه . و (العافى) القاصد لطلب المعروف . و (العفاء) التراب والدروس والهلاك . (والعفو) أحل المال وأطيبه وخيار الشيء . (والعفو) من المال ما يفضل عن النفقة . و (عفوة الشيء) صفوته . (العفوّ) الكثير العفو

﴿ عفا ﴾ الشعر يعفيه عفيا تركه حتى يكثر ويطول

﴿ عقب ﴾ فلان فلانا فى أهله يعقبه عقبا خلفه فيهم . و (عقبه) جاء بعقبه وأتى بشيء بعده . و (عاقبه) جاء بعقبه . (عاقبه) فى الراحلة ركب هو مرة وركب الآخر مرة . و (عاقبه بذنبه) أخذه به . (أعقبه فى وظيفته) خلفه فيها و (تعاقبوا) عقب بعضهم بعضا . و (العاقبة آخر كل شيء

﴿ العُقاب ﴾ طائر من الجوارح يجمع على أعقب والكثير عقبان وعقابات وقد عرف العرب هذا الطائر واشتهر لديهم فى الشعر فضربوا به المثل فى العز والمنعة فقالوا أمنع من عقاب الجو . وقد كنوه أبى الاثيم وأبى الحجاج وأبى حسان وأبى الدهر وأبى الهيثم . وكنوا الانثى بام الحوار وام الشعر وام طلبة وام لوح وام الهيثم . والعرب تسمى العقاب الكاسر ويقال لها الخدارية للونها وهى مؤنثة اللفظ وقيل العقاب على الذكر والانثى والتمييز باسم الاشارة

قال فى الكامل: العقاب من الطيور والنسر عريقها

وهى نوعان عقاب وزمج فأما العقاب

فمنها السود والحوخية والسفع والابيض والاشقر. ومنها مايأوى الجبال وما يأوى حول المدن . ويقال ان ذكورها من طير لطيف الجرم لا يساوى شيئا (عن الدميرى)

يقال ان العقاب جميعه أنثى وان الذى يسافده طير آخر من غير جنسه .قال ابن عنين الشاعر فى ذلك يهجو رجلا :

ما أنت الا كالعقاب وأمه
معروفة وله أب مجهول

العقاب تبيض ثلاث بيضات غالبا تحضنها عشرين يوما .فاذا خرجت فراخ العقاب ألقت واحدا منها لأنه يثقل عليها طعم الثلاث وذلك لقلة صبرها . والفرخ الذى تلقيه يعطف عليه طائر آخر يقال له كاسر العظام ويسمى الكاسرة فيربيه.ومن عادة هذا الطائر ان يرزق كل فرخ ضائع. والعقاب اذا صادت شيئا لاتحمله على الفور الى مكانها بل تنقله من موضع الى موضع وهى لاتقعد الا على الاماكن المرتفعة . واذا صادت الارانب تبدأ بصيد الصغار ثم الكبار

وهى أشد الجوارح حرارة وأقواها حركة وأيبسها مزاجا وهى خفيفة الجناح سريعة الطيران تتغدى بالعراق وتتعشى باليمن وريشها الذى عليها فروتها فى الشتاء وحليتها فى الصيف ومتى ثقلت عن النهوض وعميت حملتها الفراخ على ظهرها ونقلتها من مكان الى مكان فعند ذلك تلتمس لها عينا صافية بأرض الهند على رأس فتغمسها فيها ثم تضعها فى شعاع الشمس فيسقط ريشها وينبت لها ريش جديد وتذهب ظلمة بصرها ثم تغوص فى تلك العين فاذا هى عادت شابة كما كانت

هذا ماقاله مؤلفو العرب وهو مما لا يحتمل النقد بل هو من الاوهام التى لا تستند الى علم

قالوا وهى تأكل الحيات الا رؤسها والطيور الا قلوبها كما قال امرؤ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

ومنه قول طرفة بن العبد :

كأن قلوب الطير فى قعر عشها
نوى القسب ملقى عند بعض المآدب

قيل لبشار بن برد الشاعر لو خيرك الله ان تكون حيوانا ماذا كنت تختار؟ قال العقاب لانها تلبث حيث لا يلفها سبع ولا ذو أربع وتحيد عنها سباع الطير ولا تعانى الصيد الا قليلا بل تسلب كل ذى

صيد صيده

ومن شأنها ان جناحها لايزال يخفق

قال عروة ابن حزام :

لقد تركت عفراء قلبي كأنه

جناحُ عقاب دائم الخفقان

ضرب العرب المثل بالعقاب فقالوا: أمنع من عقاب الجو قاله عمرو بن عدى لقصير ابن أسعد فى قصة الزباء المشهورة وفى ذلك يقول ابن دريد فى مقصورته :

واحترم الوضاح من دون التى

أملها سيف الحمام المنتضى

وقد سما عمرو الى أوتاره

فاختط منها كل عالى المنتهى

فاستنزل الزباء قسرا وهى من

عُقاب لوح الجو أعلى منتمى

جعلها بامتناعها بمنزلة لوح الجو . واللُوح الهواء بين السماء والارض،والجو أيضا وما بينهما

﴿العَقْب﴾ كالعَقِب هو مؤخر القدم والولد وولد الولد جمعه أعقاب . و (العُقب والعُقُب) العاقبة . (وجاء فى عَقِبه) اى أبعده تاليا له.(والعَقَبَة) مرقى صعب من الجبال جمعها عِقاب وعَقَبات و (العُقْبة) النوبة والبدل

﴿العَقْبة﴾ ثغر على خليج العقبة من البحر الاحمر فى شبه جزيرة الطور

﴿العقابيل﴾ الشدائد

﴿عَقد﴾ الحبل والبيع يعقِده عقدا أحكمه وشده . و (عقِد الرجل) يعقَد كان فى لسانه عقدة . و (عقَد العسل) أغلاه حتى غلظ . و (عقّد الكلام) عماه . و (عاقده) عاهده . و (تعقّد العسل) غلظ و (تعقّد الامر) أشكل. و (اعتقد كذا) صدقه وعقد عليه ضميره و(اعتقد مالا) جمعه . و (العُقود) من الاعداد أولها العشرة وآخرها التسعون و (العِقْد) القلادة . و (رجل عَقِد) فى لسانه عقدة . و (العَقَد) ماتعقد من الرمل . و (العُقدة) موضع العقد وما عقد عليه . و (العَقيدة) ماعقد عليه القلب . و(المُعاقد) المعاهد و(المُعتقَد) مصدر ميمى بمعنى الاعتقاد وما يعتقده الانسان من امور الدين

﴿عقَره﴾ يعقِره عقراً جرحه . و(عقَرت الناقة) تعقِر عقرا . وعُقِرت صارت عاقراً . و (عَقُرت المرأة تعقُر عُقْرا) صارت عاقرا . و (عاقره) هاجاه وسابّه . و (عاقر الشيء) لازمه . و

(العَقَار) المنزل والضيعة والارض . و (العُقَار) الخمر . و (العُقْر) عدم الحمل . و (عُقْر الدار) وسطها وأصلها . و (العَقَّار) الدواء او اصول الادوية جمعه عَقاقير . و (العَقور) الذى يعقر من الحيوان . و (العَقيرة) صوت المغنى او الباكى والقارىء

﴿العَقرب﴾ دويبة مفصلية تكثر فى البلاد الحارة وجملة أنواع منها تسكن بلاد الجزائروجنوب فرنساومصروبخاصة صعيدها والسودان وغيره . وهى تمكث عادةتحت الاحجارو لاخشاب والخزانات الرطبة وتخرج لتبحث عن غذائها من الحشرات والعناكب . وهى تبيض من خمسين الى ٦٠ بيضةداخل جسمها ثم تخرج صغارها منها أحياء . ذنب العقرب طويل . معقد محلى فى آخره بجهاز سمى وسمها مؤثر على المجموع العصبى . وقد وصفنا الجهاز السمى للعقرت فى كلمة ابرة العقرب فانظره هناك

وجاء فى كتب العرب ان العقرب دويبة من الهوام تكون للذكر والانثى بلفظ واحد . واحدة العقارب . وقد يقال للانثى عَقربة وعقرباء . ويصغر على عُقَيْرِب كما تصغر زينب على زيينب والذكر عُقْرُبان وهو دابةله ارجل طوال وليس ذنبه كذنب العقارب

كنيتها ام عِرّيط وام ساهرة . منها السود والخضر والصفروهى قواتل واشدها بلاء الخضر . وهى مائية الطباع كثيرة الولد تشبه السمك والضب . وعامة هذا النوع اذا حملت الانثى منه يكون حتفها فى ولادتها لان اولادها اذا استوى خلقها تأكل بطنها وتخرج فتموت الام وانشد قول الشاعر :

وحاملة لايحصل الدهر حملها
تموت وينمى حملها حين تعطب

والجاحظ لم يعجبه هذا القول فقال قد أخبرنى من أثق به انه رأى العقرب تلد من فيها وتحمل اولادها على ظهرها وهى على قدر القمل كثيرة العدد

العقرب أشدما يكون اذا كانت حاملا ولها ثمانية ارجل وعيناها فى ظهرها . من عجيب أمرها انها لاتضرب الميت ولا النائم حتى يتحرك بشىء من بدنه فانها عند ذلك تضربه وهى تأوى الى الخنافس وتسالمها وربما لسعت الافعى فتموت وهى تاسع بعضها بعضاً فتموت

قال القزوينى ان العقرب اذا لسعت الحية فان أدركتها وأكلتها برئت والا ماتت . وقد أشار الى ذلك الفقيه عمارة اليمنى فى أبياته بقوله :

اذا لم يسالمك الزمان فحارب
وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما
تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد
وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز
عليه من الانفاق فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك
يكر علينا جيشه بالعجائب

من طبائع العقرب أنها اذا لسعت انسانا فرت فرار مسىء يخشى العقاب

قال الجاحظ ومن عجيب أمرها انها لاتسبح ولا تتحرك اذا ألقيت فى الماء سواء كان الماء ساكنا او جاريا

قال والعقارب تخرج من بيوتها للجراد لانها حريصة على أكله . وطريق صيدها أن تشبك الجرادة فى عود ثم تدخل فى جحرها فاذا عاينتها العقرب تعلقت فيها . ومتى ادخل الكراث فى جحرها وأخرج فانها تتبعه أيضا . وربما ضربت الحجر والمدر ومن أحسن ماقيل فى ذلك :

رأيت على صخرة عقربا
وقد جعلت ضربها ديدنا
فقلت لها انها صخرة
وطبعك من طبعها ألينا
فقالت صدقت ولكننى
أريد أعرفها من أنا

والعقارب القاتلة تكون فى موضعين بشهرزور وبعسكر مكرم وهى جرارات تلسع فتقتل وربما تناثر لحم من لسعته أو عفن لحمه واسترخى حتى لا يدنو منه أحد الا وهو يمسك أنفه مخافة إعدائه

ومن لطيف أمرها انها مع صغرها تقتل الفيل والبعير بلسعها

ومن نوع العقارب الطيارة . قال القزوينى والجاحظ وهذا النوع يقتل غالبا

روى الجاحظ ابو نعيم فى تاريخ اصفهان والمستغفرى فى الدعوات والبيهقى فى الشعب عن على رضى الله عنه قال : لدغت النبى صلى الله عليه وسلم عقرب وهو فى الصلاة . فلما فرغ من صلاته قال لعن الله العقرب ماتدع مصليا ولا غيره

ولا نبيا ولا غيره الا لدغته وتناول نعله فقتلها به . ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين (انتهى ماقلناه عن الدميرى)

﴿عقص﴾ شعره يعقِصه عقصا ضفره . و (العِقاص) خيط يشد به أطراف الضفائر . (والعَقيصة) الضفيرة جمعها عَقائص

﴿عقف﴾ الشيء يعقِفه عقفا عطفه وعوجه و (انعقف) تعوج . و (الأعقف) الاعوج

﴿عق﴾ الولد والده يعُقه عصاه فهو (عاق) و (العُقوق) عدم البر بالوالدين

العقيق ﴿ حجر أحمر يوجد باليمن وسواحل بحر رومية تعمل منه الفصوص للخواتم

قال داود الانطاكى فى تذكرته هو حجر معروف يتكون بين اليمن والشحر ليكون مرجانا فيمنعه اليبس والبرد وهو أنواع أجوده الاحمر فالاصفر فالابيض وغيرها ردى، وهى أصلية لامنتقلة بالطبخ كما ظن

ثم ذكر له خواص فقال : ان التختم به يدفع الهم والخفقان واما شربه فيذهب الطحال ويفتح السدد ويفتت الحصى ورماده يشد الاسنان واللثة وقيل لمشطب منه أجود وهو يضر الكلى ويصلحه الصمغ وشربته الى نصف درهم . انتهى

نقول اننا ننقل هذا الكلام على علاته ولا يسعنا الاظهار ارتيابنا منه فاننا لانعلم أية علاقة بين الهم والخفقان وبين العقيق حتى يكون التختم به مذهبا لها . ولا نعلم ان شربه يفيد فى الامراض ومع هذا فلا نستطيع أن نحكم ببطلان هذا الكلام فان أسرار الكائنات لا تحصى

﴿عَقَل﴾ الشيء يعقِله عقلا فهمه و (عقَل الدواء بطنه) امسكه و (عقَل البعير) قيده بالعقال . و (تعقَّل) تكلف العقل . و (تعاقل الرجل) أرى من نفسه العقل . و (واعتقل البعير) قيده و (العاقول) نبت ترعاه الابل . و (العِقال) حبل يشد به البعير جمعه عُقُل و (العِقال) أيضا ما يشد به العرب رؤسهم

(العَقيلة) الكريمة المخدرة و (عَقيلة كل شيء) أكرمه و (المَعقِل) الملجأ

﴾ هو شوك الجمال وهو نبت كثير الشوك حديده له زهر أبيض وأصفر فى وسطه كالشعر وحبه كأنه القرطم

لانه مستدير

قال داود الانطاكي في تذكرته انه يخلص من السموم ويفتح السدد وسائر اجزاء نباته تبرىء البواسير شربا وبخورا وطلاء ولو برمادها . وعصارته تمنع الساعية قيئ وتضرب به الحمرة فلا تعظم . وهو يضر الكلى وتصلحه الكثيراء

﴿ العقل ﴾ هو القوة المدركة في الانسان وهو مظهر من مظاهر الروح محله المخ كما ان الابصار خاصة من خصائص الروح آلته البصر

الماديون ينكرون ذلك ويعلمون العقل نتيجة الشعور الموجود في الانسان وعندهم ان الروح نتيجة التركيب الانساني على مثال روح الحيوان . ولكنها ارقى من روح الحيوان لقبول الانسان للرقي دون الحيوان . ولكن جاء علم التنويم المغناطيسي وفن استحضار الارواح فأثبتا ان للانسان روحا متمتعة بخصائص عالية يحجبها هذا الجسد عن الظهور (اقرأ ما كتبناه في كلمة روح)

قال فلاسفة العرب :

بالعقل تعرف حقائق الامور ويفصل بين الحسن والقبيح وهو قسمان : غريزي ومكتسب . قال العقبي : العقل عقلان عقل تفرد الله بصنعه وهو الاصل ، وعقل يستفيده المرء به وهو الفرع . فاذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار في الظلمة ولذلك قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب :

رأيت العقل عقلين
فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس
وضوء العين ممنوع

قال الماوردي : العقل الغريزي هو العقل الحقيقي وله حد يتعلق به التكليف لا يجاوزه الى زيادة ولا يقصر الى نقصان وبه يمتاز الانسان عن سائر الحيوان فاذا تم في الانسان سمي عاقلا وخرج به الى حد الكمال

واختلف الناس في حد العقل وفي صفته على مذاهب شتى فقال قوم هو جوهر لطيف يفصل به بين الحقائق والمعلومات وهذا القول في العقل بأنه جوهر لطيف فاسد من وجهتين (احداهما) ان الجواهر متماثلة فلا يصح ان يوجب بعضها . الا

يوجب سائرها ولو أوجب سائرها مايوجب بعضها لاستغنى العاقل بوجود نفسه عن وجود عقله

و (الثانى) ان الجوهر يصح قيامه بذاته فلو كان العقل جوهراً لجاز أن يكون عقل بغير عاقل كما جاز أن يكون العقل جوهراً

وقال آخرون العقل هو المدرك للاشياء على ماهى عليه من حقائق المعنى . وهذا القول وان كان أقرب مما قبله لبعيد من وجه واحد، وهو ان الادراك من صفات الحى والعقل عرض يستحيل ذلك منه كما يستحيل أن يكون متلذذا أو آلما أو مشتهيا

وقال آخرون من المتكلمين العقل هو جملة علوم ضرورية . وهذا الحد غير محصور لما تضمنه من الاجمال ، ويتناوله من الاحتمال . والحد انما هو بيان المحدود بما ينفي عنه الاجمال والاحتمال

ثم قال الماوردى :

وقال آخرون وهو القول الصحيح ان العقل هو العلم بالمدركات الضرورية . وذلك نوعان : احدهما ما وقع عن درك الحواس والثانى ما كان مبتدئا فى النوع

فاما ما كان واقعا عن درك الحواس فمثل المرئيات المدركة بالنظر والاصوات المدركة بالسمع والطعوم المدركة بالذوق والروائح المدركة بالشم والاجسام المدركة باللمس . فاذا كان الانسان ممن لو ادرك بحواسه هذه الاشياء ثبت له هذا النوع من العلم لان خروجه فى حال تغميض عينيه من ان يدرك بهما ويعلم لايخرجه من ان يكون كامل العقل من حيث علم من حاله انه لو أدرك لعلم

واما ما كان مبتدئا من النفوس فكالعلم بأن الشيء لايخلو من وجود او عدم ، وان الموجود لا يخلو من حدوث او قدم . وان من المحال جمع الضدين وان الواحد اقل من الاثنين . وهذا النوع من العلم لايجوز ان ينتفي عن عاقل مع سلامة حاله وكمال عقله . فاذا صار عالما للمدركات الضرورية من هذين النوعين، فهو كامل العقل

ثم قال الماوردى بعد هذا : ان العقل المكتسب هو نتيجة العقل الغريزى وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة واصابة الفكر وليس لهذا حد لانه ينمو ان استعمل وينقص ان اهمل. ونموه يكون باحد وجهين

الوجه الاول بكثرة الاستعمال اذا لم يعارضه مانع من هوى ولاصاد من شهوة كالذى يحصل لذوى الاسنان من الحنكة وصحة الروية لكثرة التجارب، وممارسة الامور ولذلك حمدت العرب آراء الشيوخ حتى قال بعضهم: المشايخ أشجار الوقار، ومناجع الاخبار، لايطيش لهم سهم، ولا يسقط لهم وهم، إن رأوك فى قبيح صدوك، وان أبصروك على جميل أمدوك

وقيل عليكم بآراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر، وتصدت لاسماعهم آثار الغير

وأما الوجه الثانى فقد يكون بفرط الذكاء وحسن الفطنة وذلك جودة الحدس فى زمان غير مهمل لحدث. فاذا امتزج بالعقل الغريزى صارت نتيجتهما ذو العقل المكتسب. كالذى يكون فى الاحداث من وفور العقل وجودة الرأى حتى قال هرم بن قطبة حين تنافر اليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة: عليكم بالحديث السن الحديد الذهن. ولعل هرما أراد أن يدفعهما عن نفسه فاعتذر بما قاله. لكن لم ينكرا قوله اذعانا للحق فصارا الى أبى جهل لحداثة سنه وحدة ذهنه فأبى أن يحكم بينهما فرجعا الى هرم فحكم بينهما وفيه قال لبيد:

ياهرم بن الاكرمين منصبا
انك قد أوتيت حكما معجبا

انتهى ما أخذناه عن الماوردى

وقد قسم العلامة القزوينى القوى العقلية الى أربعة أقسام مرجعها الى هذين القسمين وهما العقل الغريزى والعقل المكتسب فقال:

القوى العقلية اربعة اقسام (الاول) القوة التى يفارق الانسان بها البهائم وهى التى بها أستعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الفكرية فيقال انها القوة الغريزية التى بها يستعد الانسان لادراك العلوم النظرية، فكما ان الحياة هي الاصل للحركات الاختيارية والادراكات الحسية، فكذلك هذه القوة الغريزية تهيىء الانسان للعلوم النظرية والصناعات الفكرية والحكماء يقولون لها العقل الهيولانى وهى مجرد الاستعداد الذى هو موجود فى الطفل وغير موجود فى ولد البهيمة

(الثانى) القوة التى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل المميز جواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن لاثنين

أكثر من الواحد والشخص الواحد لا يكون فى مكانين فيقال له التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة . والحكماء يسمونه العقل بالملكة

و (الثالث) قوة يعقل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجارى الاحوال فمن اتصف بها يقال انه عاقل فى العادة ومن لم يتصف بها يقال انه غبي غمر فيقال لها معان مجتمعة فى الذهن من مقدمات تستنبط بها المصالح فى الاغراض

و (الرابع) قوة بها نعرف حقائق الامور وعواقبها فتنقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة وتحتمل المكروه العاجل لسلامة الآجل . فاذا حصلت هذه القوة يسمى صاحبها عاقلا حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة . والاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب انتهى كلام القزوينى

قلنا ان عضو التعقل هو المخ وقد عنى الباحثون فى وظائفه بتحديد خواص كل جهة فيه ولا يعنينا هنا البحث فى هذا الامر لانه لا يزال ظنياً وانما الذى يعنينا أن نبين أدوار ترقي العقل فى الحياة فنقول:

للعقل ثلاثة أطوار لكل طور منها أحوال خاصة

الطور الاول يبتدئ من السنة الاولى الى السنة السابعة من سن الطفل فيكون عرضة لتأثير المؤثرات عليه فتنطبع فيه الصور كما تنطبع فى المرآة الصقيلة فيحتفظ بها فيه

والطور الثانى من السنة السابعة الى الرابعة عشرة . فى هذا الطور يرتقي العقل من حالة القبول والانفعال الى دور الفكر والنظر في العلل والمعلولات. وتحيا فى هذا الطور القوة الحافظة. أما قوة التخيل المحض فتأخذ فى الضعف لان القوة المفكرة تدفع العقل فى هذا الدور الى النظر فى الاشياء فلذلك يضعف تأثير تلك الاشياء فى النفس فلا تنهيج لها بسرعة .

الطور الثالث من الرابعة عشرة الى الحادية والعشرين وفى هذ الطور يستكمل العقل سلطانه فيصير آمراً بعد أن كان مأموراً وتضعف الحافظة

الحافظة والذاكرة قوتان فى النفس مثل سائر القوى العقلية وظيفة الاولى كالخزانة لما تدركه النفس وجميع مايرد على العقل سواء كان من الجزئيات أو من

الكيت فيحفظ فى النفس بتلك القوة

أما الذاكرة فهى القوة التى يمكن بها استحضار ما كان كامنا فى الحافظة

أما التخيل فهى قوة فى النفس نستطيع بها أن تستورد من الشيء الواحد جميع ما يلابسه من المضار والمنافع والمحاب وانكاره فمتى أريد تقوية هذه القوة [illegible] الحافظة قد احتوت على [illegible] من الصور الجزئية وأن تكون الذاكرة مستعدة للقيام بوظيفتها فعند ذلك يكون عمل الخيال سريع التلبية لنداء ارادة التخيل

فعلى صحة الذكر والفكر والخيال تقوم صحة العقل فمن صحت ذاكرته فخزنت أنواع العلوم ، وصح فكره وأحسن الجولان فى مناحى المعارف المكتسبة . وصح خياله فقوى على استنباط كل ما يمكن استنباطه واكتشافه من وجوه المنافع ، كمل عقله وأوصله الى غايات الرقى التى يتوق اليها الانسان

(الامراض العقلية) اقرأها فى كلمة عصب وكلمة جنون ومالبخوليا ووسوسة

﴿ عَقُمت ﴾ الرحم تعقُم عَقْما [illegible] كانت عقيما و (عَقَمها) يعقِمها عَقْما جعلها عقيما . و (عقِمت الرحم) تعقَم . و (عقُمت) تعقُم عُقما كانت عقيما . و (الداء العقَام والعَقَام) الذى لا يرجى برؤه

﴿ العقم ﴾ فى الرجال سببه عدم وجود الاحياء المنوية فى السائل الملقح لسبب من الاسباب المرضية ، وأما سببه فى النساء فانسداد الرحم واعوجاجه أو علل أخرى لا تحصى . وقد قدر الاحصائيون ان العقم فى الرجال يكون بنسبة ٢٠ فى المائة وفى النساء بنسبه ٨٠ فى المائة

هذا وقد اطلعنا على مبحث طبى جليل فى أسباب عقم النساء كتبه الجراح المشهور الدكتور فورونوف ننشره هنا وهو بتعريب مجلة (طبيب العائلة) قال حضرته:

« شغلت مسألة عقم المرأة العلماء وخصوصا الاطباء فى كل زمان ومكان لأهميتها فى بقاء النوع البشرى ولرغبة النساء فى حبل . وقد يصادف هؤلاء العلماء أحيانا بعضا من النساء لا يكترثن بالحبل الا انهم من جهة أخرى يشاهدون عددا كبيراً من المتزوجات لاهم لهن الا الوصول اليه فلا تستطعن الى ذلك سبيلا وقد

تشتد هذه الرغبة أحياناً حتى تصير همهن الوحيد فتشغل أفكار المرأة عن كل شيء غيرها فتصبح فيها نوعا من الخبل أو اذا شئت فقل مساً من الجنون. على ان عقم المرأة قلما يبقى مستعصياً ولا بد أن يزول اذا اتبعت المصابة به علاجا قانونياً دقيقاً .

ونجاح العلاج يتوقف على معرفة الاسباب الحقيقية للعقم فى كل حال من الاحوال وهى متعددة ومتنوعة لكل سبب منها علاج خاص به وقبل النظر فى هذا نذكر كيفية حدوث الحبل بالاختصار

« الاصل فى حدوث الحبل مادتان هما الحيوانات المنوية فى الرجل والبويضات فى المرأة . فالحبل يتم بتقابل هاتين المادتين فى الرحم وبملامستهما يحدث العلوق فتتكون بيضة الجنين . ويشترط لحصول الحبل ان تكون المادتان المذكورتان حيتين فى الرجل والمرأة وان تتقابلا فى الرحم ولا يتم ذلك الا متى كان الطريق الذى تسيران فيه خالياً من العوائق التى تقف فى سبيله . فالقناة التى تنزل منها بويضات المرأة الى الرحم يجب ان تكون مفتوحة وكذلك فتحة الرحم التى توصل الحيوانات الى البويضات وأن تبقى تلك الحيوانات حية لى وصولها الى الرحم لان الافرازات التى يفرزها الجهاز التناسلى تكون أحياناً كثيرة الحموضة فعند وصول الحيوانات اليها تموت ولا تبقى صالحة لتلقيح البويضة فاذا اجتمعت كل هذه الشروط لا بد للجنين من التكون والالتصاق بغشاء الرحم . ومن الضرورى بقاء البيضة ملتصقة لانها ان انفصلت عن غشاء الرحم سقطت منه وخرجت مع افرازات الجهاز. ولالتصاق الجنين يلزم أن يكون غشا الرحم سليماً غير مقرح كما يحدث عند اصابة الرحم ببعض الامراض. هذه هى الشروط التى لا بد من تمكنها لحصول الحبل . فلننظر الآن فى الاسباب التى تمنعه وتجعل المرأة عقيما

« قلنا انه من الضرورى ان تكون المادتان المحدثتان للحبل حيتين فاذا عترى الرجل مرض من الامراض التناسلية كالزهرى او الزنقة مع التهاب الخصيتين ماتت الحيوانات المنوية وأصبح الرجل عقيما مع مقدرته على الجماع ولكن السائل المنوى ينزل حينئذ شفافا خالياً من الحيوانات فلا يصلح للحبل وأحسن علاج لاحياء الحيوانات واعادة القوة

الحيوية اليها يودور البوتاسيوم والزئبق وذلك فى حالة الاصابة بالزهرى . أما فى أحوال الزنقة مع التهاب الخصيتين فالعلاج يكون بالفرك باليود واستعمال الحمامات وتعليق الدود فتحيا الحيوينات من جديد

«هذا فيما يختص بالرجل اما فيما يتعلق بالمرأة فبعض الاصابات تميت البويضات كالعدوى من الرجل اذا كان مصابا بالزنقة على ان أكثر الرجال الذين يصابون بهذا المرض فى شبوبيتهم يتوهمون انهم نالوا الشفاء اذا زالت الالآم عند التبول وبقى نزول السائل خصوصاً النقطه البيضاء التى تظهر فى الصباح عند القيام من النوم فان هذه النقطة التى تميت البويضات فى المرأة وتسبب لها الالتهابات والتقرحات الصغيرة وكم رأينا فى باريس وفى مصر نساء أصبحن عقيمات بسبب هذه النقطة من غير أن يعلم الرجل انه كان السبب فيها فعسى ان تنبه هذه السطور الازواج المصابين بها وتقنعهم باتباع علاج مناسب يخلصهم منها الا ان أكثرهم يظن ان لا أهمية لها مع انها سببت أمراضاً كثيرة لنسائهم. ومتى أصاب المرأة شىء بسبب هذه النقطة يلزم معالجتها فى الحال حتى لا تصل الاصابة الى الرحم ثم الى البويضات

«ومن الضرورى الالتفات الى عدم اجراء عملية للمرأة وهى فى هذه الحالة خصوصاً ما يسمى بعملية التقحيط لانها تفتح الاوعية وتخرج الاغشية فتمتص جزءاً كبيراً من الجراثيم العفنة الناشئة عن الاصابة بالزنقة والسيلان وتصبح مريضة أشد مما كانت والعلاج فى هذه الحالة يكون طبياً غير جراحى أى باستعمال حقن برمانجانات البوتاسا السخنة والتحاميل بالجليسرين والا يكتيول او مسحوق اليودوفورم والتنين الخ واذا وصل الالتهاب الى البويضات يلزم المرأة الراحة التامة ووضع الدود والحراقات على جهات البطن السفلى والفرك بالمراهم الزئبقية الى غير ذلك

« ومما يجب معرفته ان كل التهاب او اصابة فى المبيض تضعف قوة توليد البويضات وهذه الاصابات تكون مسببة اما عن قرحة أو تقلص فى المبيض أو عن اصابات تنتج عن سقط لم تعالج بعده المرأة جيداً ويضطر الامر فى مثل هذه الاحوال الى اجراء العملياب واستئصال القرحة واستئصال الجهة المصابة لشفاء

المريض وايقاف سيره وهذه العملية تعيد غالبا للمبيض قوة توليده للبويضات

« ولما كنا فى باريس عالجنا فى شهر فبراير سنة ٩٤ سيدة بقيت عقيمة الى ان بلغت الثانية والثلاثين من عمرها لوجود تقلص فى المبيض فأجرينا لها عملية فنجحت ورزقت ولدين بعدها . هذا وتقدم الجراحة فى مدة الخمس والعشرين سنة الاخيرة تسمح لنا باستئصال الجزء المصاب فقط من المبيض مع بقاء الجزء السليم الذى يسترجع قوة التوليد اذا عولج علاجا مناسبا »

ثم كتب الدكتور فورونوف فى مقالته الثانية واليكها كما ترجمتها مجلة طبيب العائلة :

« بحثنا فى المقالة السابقة عن الاحوال التى تتلاشى فيها المادة الاولية للحمل وينشأ عنها العقم الا أن تلك الاسباب لا يكثر وقوعها ولا هى أصل العقم عادة فى الرجل و المرأة وقل ما تشاهد نساء فقدت بويضاتهن قوة التوليد تماما اورجالا اصيبوا فى الخصيتين بأمراض أبطلت قوة توليد السائل المنوى فيهما وقد قلنا فى الجزء الماضى ان ضمن أسباب العقم عدم تقابل السائل المنوى مع البويضات فى الرحم

ويكفى لذلك أن تكون فتحة الرحم مسدودة أو ضيقة لسبب ما حتى تمنع وصول السائل الى داخل الرحم وتحول دون تقابله مع البويضات

« وقد يتفق أن كثيراً من النساء اللواتى يتمتعن بصحة جيدة عمومية ويأملن وضع أولاد كثيرين يبقين عقيمات بدون اولاد أما لكون فتحة الرحم مقفولة تماما أو لانها ضيقة لا تجعل سبيلا الى السائل المنوى للدخول الى الرحم . وقد يعترض على هذا القول بأنه اذا كان سد أو ضيق فتحة الرحم يمنع السائل المنوى من الدخول اليه فلماذا يخرج الحيض من الرحم مادامت فتحته مسدودة أو ضيقة مع أن السائل المنوى صغير جداً لا يصعب عليه الدخول مهما ضاقت فتحة الرحم والجواب على ذلك ان الحيض يأتى الى الرحم مدفوعا بقوة ضاغطة شديدة فيترشح من خلال الفتحة ويخرج من الرحم كما اذا وضعت قليلا من الماء فوق قطعة سميكة من القماش وضغطت عليه فيترشح من خلاله وينقط من الجهة المقابلة . أما السائل المنوى فيسير نحو الرحم بدون ضغط ولا يستطيع الدخول اليه مالم يكن مفتوحا

فتحة مناسبة.وفى مثل هذه الاحوال تشعر المرأة بآلام قبل مجى الحيض بيوم أو يومين.وقد يكون ضيق فتحة الرحم طبيعيا منذ لولادة وينشأ أحيانا عن التهاب فى الرحم عند بلوغ الفتاة سن الادراك أو بعد أول وضع أثر سقط لم يؤبه بمعالجته كما يجب ولذلك رأينا نساء اصبحت عقيمات بعد أول ولادة او بعد سقط

« وهناك سبب آخر للعقم كثير الحدوث وهو كى الرحم وملامسته بأقلام كاوية يركبها القابلات او اطباء غير ماهرين وكم رأينا من نساء أصبن بالتهاب خفيف فى الرحم لم يحسن الطبيب معالجته فانسدت فتحة الرحم سداً تاماً . وعلى أى حال يحسن بكل امرأة لا تحبل ان يفحصها طبيب ماهر مدرب على أمراض النساء ليرى اذا كان عقمها مسببا عن سد فتحة الرحم أو عن ضيقه . فاذا كان ذلك هو السبب وجب معالجتها فى الحال لتوسيع الفتحة او ايجادها اذا كان الرحم مسدوداً بواسطة أقلام خصوصية لذلك يوضع فيه فتتمدد وتضخم بتأثير الحرارة والرطوبة او باجراء عملية صغيرة تقوم بقطع النسيج المتصلب الذى يسد فتحة الرحم . وقد يتوصل الطبيب بواسطة هذا العلاج الذى يستلزم كل دقة الى ازالة العقم وتسهيل الحبل واحياء آمال الزوجات بوضع البنين

« ومن أسباب العقم الكثيرة الوقوع أيضا انحناء الرحم فلا يخفى انه لدخول السائل المنوى للرحم يلزم ان يكون وضع الرحم فى محله اى لا يكون منحنيا الى الامام ولا الى الوراء فاذا كان شديد الانحناء الى الامام لامس المثانة واذا كان منحنيا الى الوراء لامس المستقيم وفى كلتا الحالتين يتغير وضعه الطبيعى ويتعذر على السائل المنوى الدخول اليه وقد ينشأ تغيير وضع الرحم عن التهابات فى أسفل البطن أو التهاب فى الرحم أو عن اجهاد المرأه وتعبها أو عن اهمال معالجتها بعد اول وضع ويكون العلاج فى مثل هذه الظروف بحسب الحالة وأهمية تغيير الوضع وجهة انحناء الفتحة فقد تكفى نصيحة من الطبيب بشأن كيفية سلوك المرأة مع زوجها ليزول العقم ويمكن وضع حلقة من الكاوتشوك على عنق الرحم لتقويمه أو يستعمل الدلك بصفة خصوصية وقد يضطر الحال أحيانا الى اجراء عملية لوضع الرحم فى محله

« وفضلا عن الاسباب التى ذكرناها هناك سبب مهم جداً وهو التهاب الرحم فانه عضو سريع الالتهاب يلتهب عادة وهو فى حالته الطبيعية عند مجىء الحيض او فى الجماع فاذا أجهدت المرأة نفسها أو أفرطت فى الجماع حدث لها التهاب شديد فى الرحم ينشأ عنه آلام ونزول سائل ابيض حمضى فى الحوامض مطلقا

لا يميش فى الحوامض مطلقا

« هذه هى احدى نتائج الالتهاب الرحمى وهى ليست بالواحدة لانه اذا طال أمرها ارتخى غشاء الرحم من تأثير الالتهاب ولم يعد الجنين يلتصق به فيمنع الحبل . وعلاج الالتها الرحمى يختلف باختلاف السبب ودرجة الالتهاب وقدمه وأهمية الاصابات التى نتجت عنه وبحسب الحالة يستعمل له حقن سخنة مطهرة أو تحاميل الجايسرين والتنين او تعمل عملية صغيرة ينزع فيها الغشاء المرتخى ليتجدد غشاء آخر مكانه ، ويندر أن امرأة عقيم لا تشفى من عقمها اذا تولى معالجتها طبيب ماهر عارف بمعالجة أمراض النساء والضرر كل الضرر ناشىء عن حياء السيدات من اخبار الطبيب المشتغل بهذه الامراض عن مرضهن فيستسلمن الى الدايات فيزدن الطين بلة لجهلهن العلاج . وقد يتوهم الجمهور ان القابلات عالمات بأمراض النساء مع ان الامر بخلاف مايتوهمون فهن لا يتعلمن فى المدارس الا طريقة توليد المرأة الاعتيادية ولا يعتد بكلمة (حكيمة) التى يضعنها تحت أسمائهن على باب المنزل لانهن لا يتعلمن شيئا من أمراض النساء المختلفة ولا طرق العلاج اللازمة لها لان كل هذا يتعلق بالطبيب دون غيره . ولا يمكن كل طبيب معالجة الامراض النسائية بل يلزم لمن يتفرغ لذلك ان يدرس هذه الامراض درسا جيدا ويعرف طرق العلاج التى يعلمنا اياها علم الطب اليوم . واذا لم تنجح كافة الوسائل الدوائية لاعادة الحبل فهناك طريقة اخرى مثل الحبل الاصطناعى والذى سنتكلم عنه فى الجزء التالى ان شاء الله »

ثم نشر الدكتور فورونوف تتمة مقالته فى الجزء التالى من مجلة (طبيب العائلة) ونحن ننشرها كما ترجمناها هى قال :

« انتهينا فى المقالتين السابقتين من الكلام عن أسباب عقم المرأة والطرق

المؤدية لازالته ويبقى علينا ان نبحث فيما يمكن عمله لو بقيت الطرق العلاجية والدوائية عقيمة بغير نتيجة فهل نقطع الامل من شفاء العقم وهل يستسلم العلم للطبيعة ويتركها تتغلب عليه ؟ كلا . ان لم تنجح الادوية والعمليات فهناك واسطة اخرى كثيرة النجاح وهى التلقيح الصناعى وهو عبارة عن استعمال حقنة صغيرة لنقابل المادتين المكونتين للجنين واتحادهما معا

« وهذه الطريقة تستعمل خصوصاً لفريق من النساء امتاز جهازهن التناسلى بانقباضات تشنجية فى اوقات غير الاوقات التى تحدث فيها الانقباضات عادة . وقد جربت اولا على السمك فى سنة ١٧٦٤ فأعطت نتائج ثابتة حقيقية ثم جربها الاب سبالانزونى من مدينة جنيفا سنة ١٧٧٠ على حيوانات الطبقة العليا فحبس كلبة فى غرفة وابقاها ٢٢ يوما ثم استعمل لها الطريقة التى ذكرناها آنفا فبعد مدة كبر بطنها ولم تتم الشهر بن حتى وضعت ثلاثة اجراء ذكران وأنثى عليها ملامح ابيها وامها . وقد جرب بعد ذلك الاطباء هذه الطريقة على النساء فنجحت نجاحا عظيما

ولا حاجة بنا الى ذكر كيفية استعمال التلقيح الصناعى فى مثل هذه الحالة لان ذلك مما يتعلق بالطبيب الذى يجرى العملية فهو يعرف الاحتياطات التى يجب عليه اتخاذها فى مثل هذه الاحوال

« اما الزمن الذى يعمل فيه التلقيح الصناعى بنجاح فلا يمكن تحديده لكن بما ان اثناء الحيض تنزل عادة بويضة من المبيض الى الرحم فالافضل اجراء العملية فى آخر الحيض

« ويجب على الزوجة أن لا تيأس ان لم تنجح العملية لاول مرة بل عليها ان تعيدها اولا وثانياً وثالثاً وأكثر من ذلك مع تغيير وقت اجرائها فتعملها تارة قبل الحيض ببضعة أيام وتارة اثناء الحيض او فى آخره

« وقد شاهدوا نساء حملن بهذه الطريقة بعد انقطاع الحيض عنهم بمدة فينتج اذاً مما تقدم ان العائلات التى ترغب فى البنين يمكنها التمتع بهم اذا استعملت كافة الطرق المزيلة للعقم ومن ضمنها الحبل الصناعى لان المولى سبحانه وتعالى خلق المرأة وجعل الزواج للتناسل وبقاء الهيئة الاجتماعية فيندر ان يأتى عارض اصلى يقاومها مقاومة كلية ويمنعها

من تأديه وظيفتها الطبيعية

« فعلى الطبيب اذاً أن يكشف حقيقة السبب الذى يمنع الحبل ولابد أن يزيله وتتكلل أعماله بالنجاح اذا اعتصمت المرأة بالصبر ولم تمل من المعالجة

وقد عرفنا نساء بقين عقيمات مدة ١٠ أو ١٤ سنة ثم حبلن بمعونة الله واستعمال العلاج المناسب لهن »

﴿ العَقَنقَل ﴾ الوادى العظيم المتسع

﴿ العِقْيان ﴾ الذهب الخالص

﴿ عُكْبَرَى ﴾ بالمد والقصر قرية على نهر دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ

﴿ العُكْبرى ﴾ الضرير هو أبو البقاء عبد الله بن ابى عبد الله الحسين بن أبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى الاصل البغدادى المولد والدار الحاسب الفرضى النحوى الملقب محب الدين

اخذ النحو عن ابى محمد بن الخشاب وعن غيره وسمع الحديث من ابى الفتح محمد بن عبد الباقى بن احمد المعروف بابن البطى ومن ابى زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسى وغيرهما ولم يكن فى آخر عمره فى عصره مثله فى فنونه . كان الغالب عليه علم النحو وصنف فيه مصنفات مفيدة وشرح كتاب الايضاح لأبى على الفارسى وديوان المتنبى وله كتاب اعراب القرآن الكريم فى مجلدين . وكتاب اعراب الحديث لطيف . وكتاب شرح اللمع لابن جنى . وكتاب اللباب فى علل النحو . وكتاب اعراب شعر الحماسة . وشرح المفصل للزمخشرى شرحا مستوفى وشرح الخطب النباتية والمقامات الحريرية وصنف فى النحو والحساب واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به واشتهر اسمه وهو حى وذاع فى البلاد

ولد سنة (٥٣٨) وتوفى (٦١٦) ببغداد

﴿ عكِر ﴾ الماء يعكَر عكَرا كدر فهو (عكِر) و (عكّره) جعله عكِراً . و(اعتكر الظلام) اختلط و (العَكَر) ما فوق الخمسمائة من الابل

﴿ عِكْرِمَة ﴾ هو ابو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

اصله من البربر من أهل المغرب كان لحصين بن الحر العنبرى فوهبه لابن عباس حين ولى البصرة لعلى بن ابى طالب امير المؤمنين واجتهد ابن عباس فى

تعليمه القرآن والسنن وسماه بأسماء العرب

حدث عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وابى هريرة وأبى سعيد الخدرى والحسن ابن على وعائشة وهو أحد فقهاء مكة وتابعيها وكان ينتقل من بلد الى بلد

وروى ان ابن عباس قال له انطلق فأفت الناس

وقيل لسعيد بن جبير هل تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال عكرمة

وقد تكلم الناس فيه لأنه كان يرى رأى الخوارج

وممن روى عنه الحديث الزهرى وعمرو ابن دينار والشعبي وابو اسحق السبيعى وغيرهم

ومات مولاه ابن عباس وعكرمة على الرق لم يعتقه فباعه ولده على بن عبد الله ابن عباس من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار . فأتى عكرمة مولاه عليا فقال ما خير لك ، بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار فاستقاله فأقاله فأعتقه

وقال عبد الله بن الحرث دخلت على على بن عبد الله بن عباس وعكرمة موثق على باب كنيف ، فقلت أتفعلون هذا بمولاكم ؟ فقال ان هذا يكذب على أبى

توفى عكرمة سنة (١٠٨) وقيل سنة (١٠٦) وقيل (١١٥) وعمره ثمانون وقيل اربع وثمانون سنة

روى محمد بن سعد عن الواقدى عن خالد بن القاسم البياضى قال مات عكرمة وكثير عزة الشاعر فى يوم واحد سنة (١٠٥) فرأيتهما جميعا صلى عليهما فى موضع الجنائز بعد الظهر فقال الناس مات افقه الناس واشعر الناس وكان موتهما بالمدينة . وقيل ان عكرمة مات بالقيروان والاول أصح

كان عكرمة كثير الطواف والجولان فى البلاد دخل خراسان وأصبهان ومصر وغيرها

معنى كلمة (عِكرمة) الحمامة الانثى فسمى به الانسان

﴿ عكَز ﴾ على عكازته يعكز . و تعكّز عليها اتكأ و(العُكّاز والعُكّازة) بمعنى واحد

﴿ عكَس ﴾ الشيء يعكِسه عكسا قلبه . و (عاكسه) اخذ كل منهم بناصية صاحبه . و(تعكّس الشيء وانعكس) انقلب

عكاشة بن عبد الصمد القمى
كان من فحول الشعراء وكان يهوى جارية لبعض الهاشميين بأرض نعمان وكان لا يراها الا فى الاحيان وربما اجتمع بها مع صديقه حميد بن سعيد الى أن قدم قادم من بغداد فاشتراها من مولاها ورحل بها من البصرة الى بغداد فعظم أسف عكاشة وجزعه عليها واستهام بها طول عمره واستحالت صورته وطبعه وكان ينوح عليها شعراً ويبكى . من شعره قوله :

ايا ليت شعرى هل يعودن ما مضى
وهل راجع ما فات من صلة الحبل
وهل اجلسن فى مثل مجلسنا الذى
نعمنا به يوم السعادة بالوصل
عشية صمت لدى الوصل طيبها
علينا وأجى فى الحياة حتى النحل
وقد زار ساقينا بكأس روية
ترحل احزان الكئيب مع العقل
وشجت شمول بالمزاج فطيرت
كألسنة الحيات خافت من القتل
فبتنا وعين الكأس سطح دموعها
بكل فتا يهتز للجد كالنصل
وقينتنا كالظبى تجنح للهوى
وبنت تباريح الغرام على رسل
اذا ماحكت بالعود درجع لسانها
رأيت لسان العود من كفها يملى
فلم أر يوما كالذى أمطر الهوى
ولا مثل يومى ذاك صادفه مثلى

ومن شعره :

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى
وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة
ولو صدقوا قالوا به أعين الانس

لم نقف لهذا الشاعر على تاريخ وفاة

عُكاظ اشهر اسواق العرب فى الجاهلية واعظمها تخذت سوق بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة اى سنة (٥٤٠) للميلاد ثم بقيت فى الاسلام الى ان نهبها الخوارج الحرورية حين خرجوا بمكة مع المختار بن عوف سنة ١٢٩) للهجرة

عكاظ نخل بقرب الطائف فكانت قبائل العرب تقصدها لانها فى طريقها الى الحج فيجتمعون منه فى مكان يقال له الابتداء فتعمر أسواقهم بالناس فينتهز الشعراء هذه الفرصة فيعرضون ماقالوه من نخب قصائدهم على نقدة القريض هناك ويكون لذلك احتفال حافل يشهده

الجماهير نتشبع قصائدهم شيوعا تاما ويترنم بها الركبان فى كل صقع وفى ذلك غاية مايتمناه شاعر لشعره . ولقد كان لهذه السوق العظيمة وغيرها من أسواق العرب تأثير كبير فى تهذيب اللغة العربية فان كل شاعر وخطيب كان يفضي بأحسن ما فتح به الله عليه من المعانى العالية فى العبارات الجزلة المنتخلة فيتلقفها السامعون ويدخلونها الى كلامهم ويلفظون ماسواها من وحشى الكلمات ومتنافر التراكيب وفى ذلك من أثر التهذيب اللغوى مالا يستهان به . وكانت قريش لقربها من تلك السوق اسبق القبائل لالتقاط كل معنى حسن ولفظ جزل وعبارة شاردة فنسب اليها التهذيب الاخير للغة واستأهلت الشرف العظيم بنزول القرآن الكريم بلغتها واعتبرت لهجتها اخلص لهجات العرب من التعقيد والتنافر

﴿عكفه﴾ على الشيء يعكُفه ويعكِفه عكفا حبسه عليه . و (عكف عليه) لزمه وواظب عليه . و (اعتكف بالمسجد) لبث فيه للعبادة

﴿العَوْكل﴾ الرجل القصير

﴿عكَمَ﴾ المتاع يعكِمه عكما شده بثوب . و (العِكام) ماعُكِم به اى ماشد به من ثوب او حبل جمعه (عُكُم)

﴿ابن عَكيم﴾ هو عبد الله بن عكيم من علماء الحديث توفى فى عصر الحجاج اى فى الربع الاخير من القرن الاول

﴿العكَوَّك﴾ هو ابو الحسن بن عبد الرحمن المعروف بالعكوك الشاعر المشهور كان احد فحول الشعراء المبرزين .

قال فى حقه الجاحظ :

كان أحسن خلق الله انشادا مارأيت مثله بدويا ولاحضريا وكان من الموالى ولد اعمى وكان اسود ابرص . من مشهور شعره قوله :

بأبى من زارنى مكتتما
خائفا من كل شىء جزعا
زائراً نم عليه حسنه
كيف يخفى الليل بدرا طلعا
رصد الغفلة حتى امكنت
ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاهوال فى زورته
ثم ماسلم حتى ودعا

ومن قوله فى الحسن بن سهل :

أعطيتنى ياولى الحق مبتدئا
عطية كافأت شعرى ولم ترنى

ماشمت برقك الا نلت ريقه
كأنما كنت بالجدوى تبادرني

وله في أبي دلف العجلي وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي غرر المدائح فمن قصائده الجليلة في أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي القصيدة التي اولها :

زاد ورد الغي عن صدره
فارعوى واللهو من وطره

وقال المديح منها :

انما الدنيا ابو دلف
بين مغداه ومحتضره
فاذا ولى ابو دلف
ولت الدنيا على أثره
كل من في الارض من عرب
بين باديه الى حضره
مستعير منك مكرمة
يكتسيها يوم مفتخره

وقد سئل شرف الدين بن عنين الشاعر وكان من اخبر الناس بنقد الشعر عن هذه القصيدة وقصيدة أبي نواس الموازية لها التي اولها :

أيها المنتاب من عفره
لست من ليل ولاسمره

وهي من نوادر الشعر ايهما افضل فلم يفضل احداهما على الاخرى وقال ما يصلح ان يفاضل بين هاتين القصيدتين الا شخص يكون في درجة هذين الشاعرين

وقد ذكر المبرد قصيدة ابي نواس المذكورة فقال ماأظن شاعراً جاهلياً ولا اسلاميا يبلغ هذا المبلغ فضلا أن يزيد عليه جزالة وفخامة

ويحكى أن العكوك مدح حميد بن عبد الحميد الطوسي بعد مدحه لابي دلف بهذه القصيدة فقال له حميد ما عسى أن تقول فينا وما أبقيت لنا بعد قولك في أبي دلف (انما الدنيا أبو دلف) وأنشد البيتين . فقال أصلح الله الامير قد قلت فيك ما هو أحسن من هذا . قال وما هو ؟ فأنشد :

انما الدنيا حميد * وأياديه الجسام
فاذا ولى حميد * فعلى الدنيا السلام

قال فتبسم ولم يحر جوابا . فاجمع من حضر المجلس من أهل المعرفة والعلم بالشعر ان هذا أحسن مما قاله في أبي دلف فأعطاه وأحسن جائزته

وحكى انه مدح المأمون بقصيدة أجاد فيها وتوسل بحميد الطوسي في ايصالها اليه . فقال له المأمون خيره بين أن نجمع بين قوله هذا وقوله فيك وفي أبي دلف فان

وجدنا قوله فينا خيراً منه أجزناه عشرة آلاف والاضربناه مائة سوط فخيره حميد فاختار الاعفاء

وقال ابن المعتز فى طبقات الشعراء ولما بلغ المأمون خبر هذه القصيدة غضب غضباً شديداً وقال اطلبوه حيثما كان وائتونى به . فطلبوه فلم يقدروا عليه لانه كان مقيما بالجبل ؛ فلما اتصل به الخبر هرب الى الجزيرة الفراتية . وقد كانوا كتبوا الى الآفاق بان يؤخذ حيث كان ؛ فهرب من الجزيرة حتى توسط الشامات فظفروا به فحملوه مقيداً الى المأمون فلما صار بين يديه قال له يا ابن اللخناء أنت القائل فى قصيدتك للقاسم بن عيسى (كل من فى الارض من عرب) وأنشد البيتين ؛ جعلتنا ممن يستعير المكارم منه والافتخار به ؟ قال يا أمير المؤمنين أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لان الله اختصكم لنفسه عن عباده وآتاكم الكتاب والحكم وآتاكم ملكا عظيما وانما ذهبت فى قولى الى أقران واشكال القاسم بن عيسى من هذا الناس فقال المأمون والله ماأبقيت أحداً حيث تقول فى الكل وما أستحل دمك بذلك ولكنى أستحله بكفرك فى شعرك حيث قلت فى عبد ذليل مهين فأشركت بالله العظيم وجعلت معه ملكا قادراً وهو قولك :

أنت الذى تنزل الايام منزلها
وتنقل الدهر من حال الى حال
وما مددت مدى طرف الى أحد
الا قضيت بأرزاق وآجال

ذاك الله عزوجل يفعله أخرجوا لسانه من قفاه فأخرجوا لسانه من قفاه فمات وكان ذلك فى سنة ٢١٣ ببغداد ومولده سنة ١٦٠

ومن مدائحه لحميد الطوسى قوله :

تكفل ساكنى الدنيا حميد
فقد أضحوا له فيها عيالا
كأن أباه آدم كان أوصى
اليه أن يعولهم فعالا

وقوله فيه ايضا :

دجلة تسقى وأبو غانم
يطعم من تسقى من الناس
فالناس جسم وامام الهدى
رأس وأنت العين فى الراس

ولما مات حميد سنة (١٢٠) رثاه العكوك بقصيدة من جملتها :

فأدبنا ماأدب الناس قبلنا
ولكنه لم يبق للصبر موضع

ورثاه أبو العتاهية بقوله:

أبا غانم اما ذراك فواسع
وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره
اذ كان فيه جسمه يتهدم

﴿العِلباء﴾ عصبة صفراء فى صفحة العنق

﴿عَلِج﴾ الرجل يعلَج عَلَجا اشتد . و (عالجه) معالجة وعلاجا زاوله وداواه . (تعالج) تعاطى العلاج . و(اعتلج) القومُ تصارعوا . و (العِلج) العير والحمار والرجل القوى الضخم جمعه علوج

﴿العلاج﴾ اقرأ فيه كلاما فى كلتى دواء وطب

﴿العَلَندَى﴾ الغليظ من كل شىء

﴿علَف﴾ الرجل يعلِف علفا شرب كثيرا . و (علَف الدابة) اطعمها و (اعتلفت الدابة) أكلت. و(العَلاَّف) بائع العلف . و(العلاَّفة) ما تأكله الدابة و (المَعلَف) موضع العلف

﴿العلاف﴾ هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل قابل بن عبدالله بن مكحول العبدى المعروف بالعلاف المتكلم المشهور كان شيخ البصريين فى الاعتزال ومن اجلاء علمائهم وهو صاحب المباحث العالية فى مذهبهم ولهمع خصومهم مجالس ومناظرات وكان حسن الجدال قوى الحجة كثير الاستعمال للادلة والالزامات

حكى انه لقى صالح بن عبد القدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجزعك عليه وجها اذ كان الانسان عندك كالزرع . قال صالح يا أبا الهذيل انما جزع عليه لانه لم يقرأ كتاب الشكوك. فقال له كتاب الشكوك ما هو يا صالح ؟ قال هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ، ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان . فقال له أبو الهذيل فشك أنت فى موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات . وشك أيضا فى قراءته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه

لابى الهذيل كتاب يعرف بميلاس وكان ميلاس رجلا مجوسيا فأسلم وكان سبب اسلامه انه جمع بين ابى الهذيل المذكور وجماعة من الثنوية فقطعهم ابو الهذيل أى افحمهم فأسلم ميلاس عند ذلك

وكان قد اجتمع عند يحيى بن خالد البرمكي جماعة من ارباب الكلام فسألهم عن حقيقة العشق فتكلم كل واحد بشيء وكان أبو الهذيل المذكور فى جملتهم فقال : ايها الوزير العشق يختم على النواظر ويطبع على الافئدة ؛ مرتعه فى الاجسام ومشرعه فى الاكباد ؛ وصاحبه منصرف الظنون ، متفنن الاوهام ، لا يصفو له مرجو ، ولا يسلم له مدعو ، تسرع اليه النوائب ، وهو جرعة من نقيع الموت ، ونقعة من حياض الثكل . غير أنه من اريحية تكون فى الطبع ، وطلاوة توجد فى الشمائل ، وصاحبه جواد لا يصغى الى داعية المنع ، ولا يصيخ لنازع العذل

وكان المتكلمون فى ذلك المجلس ثلاثة عشر شخصا وأبو الهذيل ثالث من تكلم منهم

وبهذه المناسبة نذكر ان اعرابية وصفت العشق فقالت :

خفى عن أن يرى ، وجل عن ان يخفى ، فهو كامن ككمون النار فى الحجر ان قدحته اورى ، وان تركته توارى ؛ وان لم يكن شعبة من الجنون فهو عصارة من السحر

ولد أبو الهذيل سنة (١٣١) أو (١٣٤) أو (١٣٥) وتوفى سنة (٢٣٥) بسر من رأى . وقيل توفى سنة (٢٢٦) أو (٢٢٧) وكان قد كف بصره وخرف فى آخر عمره الا انه كان لا يذهب عليه شيء من الاصول لكنه ضعف عن مناهضة المناظرين ومحاجة المخالفين

﴿ ابن العلاف ﴾ هو أبو بكر الحسن بن جابر أحمد بن بشار بن زياد المعروف بابن العلاف الضرير النهرواني الشاعر المشهور

كان من الشعراء المجيدين وحدث عن ابى عمر الدورى المقرى وحميد بن مسعدة البصرى وغيرهما وكان ينادم الامام المعتضد بالله

حكى قال : نمت ليلة فى دار المعتضد مع جماعة من ندمائه فأتانا خادم ليلا فقال أمير المؤمنين يقول أرقت الليلة بعد انصرافكم فقلت :

ولما انتهينا للخيال الذى سرى
اذا الدار قفر والمزار بعيد

وقد ارتج على تمامه فمن اجازه بما يوافق غرضى امرت له بجائزة. قال فأرتج على الجماعة وكلهم شاعر فاضل فابتدرت وقلت :

فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي
لعل خيالا طارقا سيعود
فرجع الخادم ثم عاد فقال أمير المؤمنين يقول قد أحسنت وقد أمر لك بجائزة
وكان لابى بكر المذكور هر يأنس به وكان يدخل ابراج الحمام التى لجيرانه ويأكل فراخها وكثر ذلك منه فأمسكه أربابها فذبحوه فرثاه بهذه القصيدة الآتية وقيل انه رثى بها عبد الله بن المعتز وخشى من الامام المقتدر ان يتظاهر بها لانه هو الذى قتله فنسبها الى الهر وعرض به فى أبيات منها . وكانت بينهما صحبة أكيدة
ذكر محمد بن عبد الملك الهمذانى فى تاريخه الصغير الذى سماه المعارف المتأخرة فى ترجمة الوزير ابى الحسن على بن الفرات مامثاله : قال الصاحب أبو القاسم بن عباد أنشدنى ابن ابى بكر العلاف وهو الاكول المقدم فى الاكل فى مجالس الرؤساء والملوك قصائد أبية فى الهر . وقال انما كنى بالهر عن الحسن بن الفرات أيام محنته لانه لم يجسر ان يذكره ويرثيه . وهى من أبدع الشعر وأحسنه عدد أبياتها خمسة وستون ثبت منها محاسنها قال فى مطلعها :

ياهر فارقتنا ولم تعد
وكنت عندى بمنزل الولد
فكيف ننفك عن هواك وقد
كنت لنا عدة من العدد
تطرد عنا الاذى وتحرسنا
بالغيب من حية ومن جرد
وتخرج الفار من مكامنها
مابين مفتوحها الى السدد
يلقاك فى البيت منهم مدد
وأنت تلقاهم بلا مدد
لاعدد كان منك منفلتا
منهم ولا واحد من العدد
لاترهب الصيف عند هاجرة
ولاتهاب الشتاء فى جمد
وكان يجرى ولا سداد لهم
امرك فى بيتنا على سدد
حتى اعتقدت الاذى لجيرتنا
ولم تكن للاذى بمعتقد
وحمت حول الردى بظلمهم
ومن يحم حول حوضه يرد
وكان قلبى عليك مرتعدا
وانت تنساب غير مرتعد
تدخل برج الحمام متئدا
وتبلع الفرخ غير متئد

ونطرح الريش فى الطريق لهم
ونبلع اللحم بلع مزدرد
أطمعك الغى لحمها فرأى
قتلك أربابها من الرشد
حتى اذا داوموك واجتهدوا
وساعد النصر كيد مجتهد
كادوك دهراً فما وقعت وكم
أفلت من كيدهم ولم تكد
فحين اخفرت وانهمكت وكا
شفت واسرفت غير مقتصد
صادرك غيظا عليك وانتقموا
منك وزادوا ومن يَصِد يُصَد
ثم شفوا بالحديد انفسهم
منك ولم يرعوا على احد

ومنها :

فلم تزل للحمام مرتصدا
حتى سقيت الحمام بالرصد
لم يرحموا صوتك الضعيف كما
لم ترث منها [illegible]
اذاقك الموت ربهن كما
اذقت افراخه يدا بيد
كأن حبلا حوى بجودته
جيدك للخنق كان من مسد

كأن عينى تراك مضطربا
فيه وفى فيك رغوة الزبد
وقد طلبت الخلاص منه فلم
تقدر على حيلة ولم تجد
فجدت بالنفس والبخيل بها
انت ومن لم يجد بها يجد
فما سمعنا بمثل موتك إذ
مت ولا مثل عيشك النكد
عشت حريصا يقوده طمع
ومت ذا قاتل بلا قوَد
يامن لذيذ الفراخ اوقعه
ويحك هلا قنعت بالغدد
ألم تخف وثبة الزمان كما
وثبت فى البرج وثبة الاسد
عاقبة الظلم لا تنام وان
تأخرت مدة من المدد
اردت ان تأكل الفراخ ولا
يأكلك الدهر أكل مضطهد
هذا بعيد عن القياس وما
أعزه فى الدنو والبعد
لا بارك الله فى الطعام اذا
كان هلاك النفوس فى المعد
كم دخلت لقمة حشا شره
فأخرجت روحه من الجسد

ماكان اغناك عن تصعدك الا

برج ولو كان جنة الخلد

ومنها :

وقد كنت فى نعمة وفى دعة

من العزيز المهيمن الصمد

تأكل من فأر بيتنا رغدا

وأين بالشاكرين للرغد

وكنت بددت شملهم زمنا

فاجتمعوا بعد ذلك البدد

فلم يبقوا لنا على سبد

فى جوف ابياتنا ولا لبد

وفتتوا الخبز فى السلال فكم

تفتتت للعيال من كبد

وفرغوا قعرها وما تركوا

ما علقته يد على وتد

ومزقوا من ثيابنا جددا

فكلنا فى المصائب الجدد

توفى سنة (٣١٨) أو(٣١٩) وعمره ماثة سنة

﴿ علقه ﴾ وعلق به علوقا وعلقا وعلاقة هويه وأحبه و (علق الشيء بالشيء) ناطه به وجعله معلقا و (تعلق الشيء) علقه . و (العلاقة) ما تعلق به الرجل من صناعة وغيرها . والصداقة .

و (العلاقة) للقدر والسوط مايعلق منه. و(العلق والعلق) النفيس من كل شىء. و(العلق) الدم وقيل الدم جامد. ودويبة تشبه الدود واحدتها علقة. و(العليق) ما تعلفه الدابة من شعير ونحوه

﴿ المعلقات ﴾ هى القصائد السبع الطوال التى سمتها العرب السموط لانها مخترن حكمتهم ، ومستقر بلاغتهم ، وغاية ما وصل اليه الخيال من شاعريتهم . وقد قال بعض الرواة انهم من فرط شغفهم بهذه القصائد وشدة اكبارهم لها كتبوها بماء الذهب على القباطى وعلقوها على الكعبة

قال ابن عبد ربه الاديب الاندلسى المشهور المتوفى سنة (٣٢٨) فى كتاب العقد الفريد عن المعلقات

« وقد بلغ من كلف العرب به (أى بالشعر) وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة وعلقتها على أستار الكعبة فمنه يقال مذهبة امرىء القيس ومذهبة زهير والمذهبات سبع وقد يقال لها المعلقات »

هذا ما قاله بن عبدربه وقال به جماعة من علماء الادب ، ولكن ذهب جماعة

آخرون وفي مقدمتهم ابن خلدون على ان قصائد هؤلاء الشعراء لم تعلق بالكعبة فقال :

« واختلفوا في جميع هذه القصائد السبع وقيل ان العرب كان أكثرهم يجتمع بعكاظ ويتناشدون الاشعار فاذا استحسن الملك قصيدة قال علقوها واثبتوها في خزانتي فأما قول من قال انها علقت في الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة »

وعندنا ان رأى ابن خلدون اوجه فما دام لا يعرف أحد من رواة الشعر ان هذه القصائد علقت بالكعبة ولم يذكروها فيما نقلوه من أخبار العرب ومفاخرها، فلاوجه لان ندعي علما لم يعلموا وهم كانوا أحرص الناس على كل غريب من أحوال العرب

ونحن هنا سنجمل كلاما علي كل من تلك القصائد فنقول :

(معلقة أمريء القيس) هي أشهر المعلقات السبع عدد أبياتها تسعة وثمانون على رواية الجهرة واثنان وثمانون على رواية التبريزي وسبعة وسبعون على أشهر الروايات وقد شرحها كثيرون من الادباء كأبي بكر البطليوسي المتوفى سنة (١٩٤) هـ وابي جعفر بن النحاس المتوفى سنة (٣٣٨) وابي علي القالي المتوفى سنة (٣٥٦) هـ وابي زكريا بن الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ وابن الانباري والدميري والزوزوني وابي العلاء المعري وغيرهم

نظم امرؤ القيس قصيدته أيام شبيبته وقبل مقتل ابيه ولذلك جاءت خلوا من ذكر تلك الايام السود التى دفعته لطلب الثأر والتنقل لانتجاع المعونة من قادة العرب ففيها من الغزل وذكر اللهو ما لا يصدر الا من قلب فارغ من المنغصات . وهي تدل في جملتها على ان امرأ القيس كان لاهيا مستهترا لا تقف نزواته الشهوية عند حد وهذا بغضه ابوه الى حد ان أمر بقتله ثم ندم فاسترد امره واقصاه عنه فأقام بالبادية ماضياً في لهوه ومرحه يتغزل ويتبذل ويلعب مع شبان من بني طيء وكلب وبكر بن وائل فاذا صادفوا ماء وروضة اقام وأقام معه اخوانه فأكلوا وشربوا وطربوا ولم يزل كذلك حتى نعي اليه ابوه فقام لأخذ الثأر وشمر لذلك عن ساعد الجد حتى مات

وانا لم نثبت معلقته عند ذكرنا ترجمته ولذلك نثبتها هنا الان أبياتا منها صرح فيها بكلمات لا يصح ان تثبت في كتاب مثل هذا قال :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل (١)
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل (٢)
ترى بعر الآرام فى عرصاتها
وقيعانها كأنه حب فلفل (٣)
كأن غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرات الحى ناقف حنظل (٤)
وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل (٥)

(١) السقط منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه . واللوى رمل يعوج ويلتوى . والدخول وحومل موضعان (٢) توضح والمقراة موضعان أيضا وسقط اللوى بين هذه المواضع الاربعة . وجنوب وشمأل من أسماء الرياح

(٣) الآرام الظباء البيض الخالصة البياض واحد ها رئم . والعرصات ساحات الديار . والقيعان جمع قاع وهو المستوى من الارض . وبعضهم يقول انها جمع قاعة (٤) الغداة الضحوة . وتحملوا ارتحلوا وسمرات جمع سمرة من شجر الطلح . والحى القبيلة . ونقف الحنظل شقه عن الهبيد وهو الحب (٥) صحبى جمع صاحب

وان شفائى عبرة مهراقة
فهل عند رسم دارس من معول (٦)
كدأبك من أم الحويرث قبلها
وجارتها أم الرباب بمأسل (٧)
اذا قامتا تضوع المسك منهما
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل (٨)
ألا رب يوم لك منهن صالح
ولا سيما يوم بدارة جلجل (٩)
ويوم عقرت للعذارى مطيتى
فيا عجبا من كورها المتحمل (١٠)
فظل العذارى يرتمين بلحمها
وشحم كهداب الدمقس المفتل (١١)
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة
فقالت لك الويلات انك مرجلى (١٢)

(٦) المهراق المصبوب . والمعول المبكى من أعول اذا بكى رافعا صوته وهو بمعنى المتكل عليه ايضا (٧) الدأب العادة ومأسل اسم جبل (٨) تضوع فاح . بريا بريح . (٩) دارة جلجل اسم موضع (١٠) الكور رحل الناقة (١١) الهداب ما تدلى من الشىء . والدمقس الابريسم الابيض

(١٢) الخدر الهودج ويستعار للستر والحجلة ومرجلى اى جاعلى راجلة لعقرك بعيرى

تقول وقد مال الغبيط بنا معا
عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل (١٣)
فقت لها سيرى وارخى زمامه
ولا تبعديني عن جناك المعلل (١٤)
هنا ربنا ان نحذف بيتين قد أفحش
فيهما امرؤ القيس وصرح بما لا يجوز ان
يصرح به ثم قال :
ويوما على ظهر الكثيب تعذرت
على وآلت حلفة لم تحلل (١٥)
أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
وان كنت قد أزمعت صرمى فأجملى (١٦)
أغرك منى أن حبك قاتلى
وانك مهما تأمرى القلب يفعل
وان تك قد ساءتك منى خليقة
فسلى ثيابى عن ثيابك تنسل (١٧)
(١٣) الغبيط نوع من الرحال
(١٤) جناك أى ثمرك جعل محبوبته
بمنزلة الثمر والمعلل اى الملهى من قولك
عللت الغلام بفاكهة الى ألهيته بها (١٥)
الكثيب رمل كثير . تعذرت اى تشددت
والتوت . وآلت اى حلفت . لم تحلل اى
ليس فيها تحليل . (١٦) ازمعت اى
عزمت . وصرمى هجرى . فأجملى أى
فاحسنى . (١٧) من الناس من جعل
الثياب فى هذا البيت بمعنى القلب ويكون
المعنى ان ساءتك منى أخلاق فردى على
قلبى افارقك اى استخرجى قلبى من
قلبك (١٨) ذرفت عيناك اى دمعت .
اعشار قلب من قولهم برمة اعشار اذا كانت
قطعا والمقتل المذلل (١٩) وبيضة خدر
اى ورب بيضة خدر والنساء عندهم يشبهن
بالبيض لسلامتهن من العبث بعفافهن .
والخباء البيت اذا كان من قطن او وبر او
صوف أو شعر (٢٠) لحراص جمع حريص
ويسرون ينوون . (٢١) الاثناء النواحى
والاوساط واحدها ثنى . الوشاح ماتضعه
المرأة على عاتقها مارا بخصرها كالطوق
(٢٢) نضت اى خلعت . المتفضل اللابس

وماذرفت عيناك الا لتضربى
بسهميك فى اعشار قلب مقتل (١٨)
وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتعت من لهو بها غير معجل (١٩)
تجاوزت احراسا اليها ومعشرا
على حراصا لو يسرون مقتلى (٢٠)
اذا ما الثريا فى السماء تعرضت
تعرض اثناء الوشاح المفصل (٢١)
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
لدى الستر الا لبسة المتفضل (٢٢)

فقالت يمين الله مالك حيلة
وما ان أرى عنك الغواية تنجلى (٢٣)
خرجت بها أمشى تجر وراءنا
على أثرينا ذيل مرط مُرَحَّل (٢٤)
فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى
بنا بطن خَبْتٍ ذى حِقاف عَقَنْقَل (٢٥)
هصرت بِفَوْدَىْ رأسها فتمايلت
علىّ هضيمَ الكشح ريا المُخلخل (٢٦)
مهفهفة بيضاء غير مفاضة
ترائبها مصقولة كالسجنجل (٢٧)
كبكر المُقَاناةِ البياضَ بصفرة
غذاها نمير الماء غير المُحَلَّل (٢٨)
تصد وتبدى عن اسيل وتتقى
بناظرة من وحش وجرة مُطفِل (٢٩)
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش
اذا هى نصَّته ولا بِمعطل (٣٠)
وفرع يزين المتن أسود فاحم
اثيث كقِنو النخلة المتعثكل (٣١)
غدائره مستشزرات الى العلى
يضل العقاص فى مثنى ومرسل (٣١)

ثوبا واحدا للنوم (٢٣) الغواية الضلالة (٢٤) المرط عند العرب كساء من خز او صوف . وتسمى الملاءة مرطا أيضا . والمرحل المنقش بنقوش تشبه رحال الابل (٢٥) اجزنا قطعنا وانتحى الانتحاء الاعتماد على شيء . والبطن مكان مطمئن حوله أماكن مرتفعة . والخبت أرض مطمئنة . والحقاف جمع حقف وهو رمل مشرف معوج . والعقنقل الرمل المتلبد . (٢٦) هصرت جذبت . والفودان جانبا الرأس هضيم الكشح ضامرة الكشح . والكشح منقطع الاضلاع . وريا المخلخل أى سمينة موضع الخلاخيل . (٢٧) المهفهفة لطيفة الخصر . والمفاضة العظيمة البطن . والترائب عظام أعلى الصدر . السجنجل المرآة (٢٨) البكر من كل صنف ما لم يسبقه مثله . والمقاناة الخلط والمراد كبكر البيض التى خولط بياضها بصفرة . والنمير العذب . غير المحلل أى بكثر حلول الناس عليه (٢٩) الاسيل الخد الممتد فى طول . بناظرة اى بعين ناظرة . ووجرة مكان فيه وحوش . والمطفل التى لها طفل (٣٠) الرئم الظبى الابيض والنص الدفع ومنه النص فى السير وهو حمل البعير على سير شديد (٣١) الفرع الشعر التام . والفاحم الشديد السواد والاثيث الكثيف والقنو عنقود البلح . والمتعثكل الذى أخرج عثاكله اى قنوانه (٣٢) غدائر ضفائر ومستشزرات مرتفعات والعقاص الضفائر

وكشح لطيف كالجديل مخصر
وساق كأنبوب السقي المذلل (٣٣)
وتضحى فتيت المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل (٣٤)
وتعطو برخص غير شثن كأنه
أساريع ظبي اومساويك إسحل (٣٥)
تضيء الظلام بالعشاء كأنها
منارة ممسى راهب متبتل (٣٦)

مثني ومرسل أي بعض صفائرها مثني وبعضها مرسل (٣٣) الكشح ما بين الضلع الى الخاصرة . والجديل خطام يتخذ من الجلد. والمخصر دقيق الوسط . والانبوب ما بين العقدتين من القصب والسقي بمعنى المسقي (٣٤) لم تنتطق أي لم تشد وسطها بنطاق عن تفضل اي بعد تفضل . والتفضل لبس الفضلة قال وهي كثيرة النوم في وقت الضحى لا تشد وسطها بنطاق بعد لبسها ثوب الخدمة (٣٥) تعطو اي تتناول . والرخص الناعم. غير شثن اى غير غليظ . اساريع ظبي ، الاساريع دود تشبه به أصابع النساء عند العرب . ظبي اسم لمكان. والمساويك جمع مسواك . والاسحل شجر تشبه بأغصانها الاصابع . (٣٦) الممسى بمعنى الامساء والمساء . والمتبتل المنقطع للعبادة

الى مثلها يرنو الحليم صبابة
اذا ما اسبكرت بين درع ومجول (٣٧)
الا رب خصم فيك ألوى رددته
نصيح على تعذاله غير مؤتل (٣٨)
وليل كموج البحر ارخى سدوله
علي بأنواع الهموم ليبتلي (٣٩)
فقلت له لما تمطى بصلبه
وأردف اعجازا وناء بكلكل (٤٠)
ألا أيها الليل الطويل الا انجل
بصبح وما الاصباح فيك بأمثل (٤١)
فيالك من ليل كأن نجومه
بأمراس كتان الى صم جندل (٤٢)

(٣٧) يرنو ينظر . اسبكرت اى امتدت. والدرع قميص المرأة . والمجول ثوب تلبسه الجارية الصغيرة . (٣٨ خصم ألوى شديد الخصومة . والتعذال اللوم . غير مؤتل أي غير مقصر (٣٩) السدول الستور. ليبتلي ليختبر (٤٠) تمطى اى تمدد . والصلب الظهر . والاعجاز المآخير . وناء بعد. بكلكل الكلكل الصدر (٤١) الانجلاء الانكشاف . والامثل والافضل (٤٢) الامراس جمع مرس وهي الحبال مفردها مرس وهو الحبل. الصم الصلاب. والجندل الصخرة

وقربة أقوام جعلت عصامها
على كاهل منى ذلول مرحّل(٤٣)
وواد كجفر العير قفر قطعته
به الذئب يعوى كالخليع المعيّل(٤٤)
فقلت له لما عوى ان شأننا
قليل الغنى ان كنت لما تمول(٤٥)
كلانا اذا ما نال شيئا أفاته
ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل(٤٦)
وقد اغتدى والطير فى وُكناتها
بمنجرد قيد الاوابد هيكل(٤٧)

(٤٣) العصام وكاء القربة . والكاهل أعلى الظهر . والترحيل مبالغة الرحل يقال: رحلته اذا كورت رحله. نسب جمهور الأئمة هذا البيت والثلاثة التى بعده الى الشاعر تأبط شرآ واذا [illegible] بعين النقد رأيت ان مثل امرىء القيس وهو ابن ملك لا يحمل القربة على عاتقه .(٤٤) العير الحمار وجمعه أعيار .والخليع الذى قد خلعه أهله لخبثه. وقيل معناه هنا المقامر . والمعيل الكثير العيال . والعواء صوت الذئب(٤٥) تمول الرجل صار ذا مال . (٤٦) أفاته بمعنى فوته .ويحترث من الاحتراث وهو الحرث وأصل معناه اصلاح الارض والقاء البذر فيها ثم استعير للسعي والكسب (٤٧)

مِكَر مِفَر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل(٤٨)
كُميت تزول اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواءُ بالمتنزل(٤٩)
على الذبل جياش كأن اهتزامه
اذا جاش فيه حميه غلى مرجل(٥٠)
مسح اذا ما السابحات على الونى

اغتدى بمعنى اغدو اى ذهب وقت الغداة . وكناتها جمع وكنة اى اوكارها . والمنجرد الفرس الماضى فى السير . قيد الاوابد اى انه يقيد الوحوش عن الهرب . وهيكل اى عظيم الجرم (٤٨) مكر من الكر يقال كر فرسه على عدوه اى عطفه عليه . ومكر معناه مبالغ فى الكر .ومفر مثله من فر يفر. الجلمود الحجر الجامد .ومن عل اى من فوق (٤٩) الكميت صفة لفرسه اى هو كميت اللون . يزل أى يسقط . ولبد الفرس ما يوضع على ظهره . والصفواء الحجر الصلب الأملس . والمتنزل المقصود به المطر . (٥٠) الذبل بمعنى الذبول . وجياش اى مضطرب. والاهتزام التكسر. والحمى حرارة الغيظ وغيره . والمرجل القدر. اى ان هذا الفرس تغلى فيه حرارة النشاط على ذبوله وضمور بطنه وكأن تكسر صهيله فى

اثرن الغبار بالكديد المركل (٥١)
يزل الغلام الخف عن صهواته
ويلوي بأثواب العنيف المثقل (٥٢)
دَرير كخذوف الوليد أمره
تتابع كفيه بخيط موصل (٥٣)
له ايطلا ظبي وساقا نعامة
وارخاء سرحان وتقريب تتفل (٥٤)
ضليع اذا استدبرته سد فرجه
بضاف فويق الارض ليس بأعزل (٥٥)
كأن على المتنين منه اذا انتحى
مداك عروس أو صلاية حنظل (٥٦)
كأن دماء الهاديات بنحره
عصارة حناء بشيب مرجل (٥٧)
فعن لنا سرب كأن نعاجه
عذارى دوار في ملاء مذيل (٥٨)

صدره غليان قدر (٥١) مسح من السح اى الصب . والسابحات الخيول التى كأنها تسبح فى مشيتها . والونى . الفتور . الكديد الارض الصلبة المطمئنة . والمركل من الركل وهو الدفع بالرجل (٥٢) يزل أى يسقط . والخف الخفيف . والصهوة مقعد الفارس من الفرس . ويلوى يرمى ، والعنيف ضد الرفيق . يريد ان هذا الفرس ينزلق من على ظهره الغلام الخفيف ويرمى بثياب الرجل العنيف الثقيل (٥٣) الدرير من درت الناقة اللبن ويجوز ان يكون بمعنى الدار ويجوز ان يكون بمعنى المدر من الادرار وهو جعل الشيء دارا او الخذروف حصاة مثقوبة يجعل الصبيان فيها خيطا فيديرها الصبى على رأسه مشبه سرعة هذا الفرس بسرعة دوران الحصاة على رأس الوليد وهو الصبى (٥٤) الايطل والاطل الخاصرة . والارخاء ضرب من عدو الذئب والتقريب وضع الرجلين موضع اليدين فى العدو ، والتتفل ولد الثعلب (٥٥) الضليع العظيم الاضلاع . والفرج الفضاء بين اليدين والرجلين و بضاف اى بذنب ضاف اى سابغ . الاعزل الذى يميل عظم ذنبه الى أحد الشقين (٥٦) المتنان هما ما عن يمين العقار وشماله . والانتحاء الاعتماد . والمداك الحجر الذى يسحق عليه شيء كالهبيد وهو حب الحنظل (٥٧) الهاديات المتقدمات والاوائل . المرجل الشعر المسرح . يقول كأن دماء أوائل الصيد على نحر هذا الفرس عصارة حناء خضب بها الشيب المسرح (٥٨) عن أى عرض . والسرب القطيع من الظباء او النساء والدوار حجر كان اهل الجاهلية ينصبونه ويطوفون حوله بدل

فأدبرن كالجزع المفصل بينه
بجيد معم فى العشيرة مخول (٥٩)
فألحقنا بالهاديات ودونه
جواحرها فى صرة لم تزيل (٦٠)
فعادى عداء بين ثور ونعجة
دراكا ولم ينضح بماء فيغسل (٦١)
فظل طهاة اللحم من بين منضج
صفيف شواء أو قدير معجل (٦٢)

الكعبة اذا بعدوا عنها . والملاء جمع ملاءة . والمذيل الذى اطال ذيله وارخاه (٥٩) الجزع الخرز اليمانى والجيد العنق والمعم المخول الكريم الاعمام والاخوال. يقول فأدبرت النعاج كالخرز اليمانى الذى فصل بينه بغيره من الجواهر فى عنق صبى كرم اعمامه واخواله (٦٠) الهاديات الأوائل المتقدمات والجواحر المتخلفات. والصرة الجماعة أو الصيحة . والتزيل التفرق . يقول فألحقنا هذا الفرس بأوائل الوحش وجاوز بنا متخلفاته فهى دونه فى جماعة لم تتفرق (٦١) فعادى اى فوالى. ودراكا اى متتابعا يقول فوالى بين ثور ونعجة من بقر الوحش فى طلق واحد ولم يعرق عرقا مفرطا (٦٢) الصفيف المصفوف على الحجارة لينضج . والقدير اللحم المطبوخ فى القدر . يقول

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه
متى ماترق العين فيه تسفل (٦٣)
فبات عليه سرجه ولجامه
وبات بعينى قائما غير مرسل (٦٤)
أصاح ترى برقا أريك وميضه
كلمع اليدين فى حبى مكلل (٦٥)
يضئ سناه أو مصابيح راهب
أمال السليط بالذبال المفتل (٦٦)

فظل المنضجون اللحم وهم صنفان صنف يعملون منه شواء مصفوفا على الحجارة فى النار وصنف يطبخون اللحم فى القدر (٦٣) متى ماترق اى متى ماتنزفى . اى امسينا وتكاد عيوننا تعجز عن ضبط حسنه واستقصاء محاسن خلقه ومتى ترقت العين فى اعالى خلقه نظرت الى قوائمه رغبة منها فى المتاع بنظر مجموعه (٦٤) اى بات مسرجا قائما بين يدى غير مرسل الى المرعى (٦٥) الوميض اللمعان. ولمع اليدين تحريكهما والحبى السحاب المتراكم . يقول ياصاحبى هل ترى برقا أريك لمعانه فى سحاب متراكم صار أعلاه كالأكاليل لأسفله أو فى سحاب منبسم بالبرق يشبه برقه تحريك اليدين (٦٦) السناء الضوء . السليط الزيت . والذبال جمع ذبالة وهى

قعدت له وصحبتى بين ضارج
وبين العذيب بعدما متأملى (٦٧)
على قطن بالشيم أيمن صوبه
وأيسره على الستار فيذبل (٦٨)
فأضحى يسح الما حول كتيفة
يكب على الاذقان دوح الكنهبل (٦٩)
ومر على القنان من نفيانه

الفتيلة (٦٧) ضارج والعذيب موضعان وبعدما أصله بعدما فخففه . وما زائدة يقول قعدت وأصحابى للنظر الى السحاب بين هذين الموضعين فبعد متأملى المنظور اليه وهو السحاب اى انه نظره من مكان بعيد فتعجب من بعد نظره من مكان بعيد وهو تعجب من بعد نظره (٦٨) قطن اسم جبل . وكذلك الستار ويذبل . والصوب المطر . والشيم النظر الى البرق مع ترقب المطر . يقول أيمن هذا السحاب على قطن وأيسره على الستار ويذبل يصف عظمه وغزارته . وقوله بالشيم اراد انه انما حكم به حدسا وتقديراً لانه لا يرى ستارا ولا يذبلا ولا قطنا معا (٦٩) الكب القاء الشئ على وجهه . والدوح الاشجار العظيمة . والكنهبل ضرب من شجر البادية . يقول فأضحى هذا الغيث أو السحاب يصب

فأنزل منه العصم من كل منزل (٧٠)
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة
ولا اطما إلا مشيدا بجندل (٧١)
كأن ثبيرا فى عرانين وبله
كبير اناس بجاد مزمل (٧٢)

الماء فوق هذا الموضع المسمى بكتيفة ويلقى الاشجار العظام من هذا الضرب الذى يسمى كنهبلا على رؤسها (٧٠) القنان اسم جبل . والنفيان ما يتطاير من قطر المطر وقطر الدلو ومن الرمل عند الوطء . والعصم جمع أعصم وهو الذى فى احدى يديه بياض من الاوعال وغيرها يقول ومر على هذا الجبل مما تطاير وانتشر وتناثر من رشاش هذا الغيث فانزل الاوعال العصم من كل موضع فى هذا الجبل (٧١) تيماء قرية فى بلاد العرب . والاطم القصر . والجندل الصخر . يقول ان هذا الغيث لم يترك شيئا من جذوع النخل بتيماء ولا شيئا من القصور الا ما كان منها مشيداً بالصخور أو مجصصا (٧٢) ثبيرا اسم جبل . والعرنين الانف وقد استعارها لاوائل المطر لان الانوف تتقدم الوجوه . والبجاد كساء مخطط . ومزمل اى ملفف بالثياب . يقول كأن ثبيراً فى أوائل مطر هذا السحاب كبير قوم قد

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة
من السيل والغثاء فلكة مغزل (٧٣)
وألقى بصحراء الغبيط بعاعه
نزول اليماني ذي العياب المحمل (٧٤)
كأن مكاكي الجواء غدية
صبحن سلافا من رحيق مفلفل (٧٥)

لمف بكساء مخطط . شبه تغطيه بالغثاء تغطى هذا الرجل بالكساء (٧٣) الذرى الاعالي والمجيمر اسم أكمة . والغثاء ما يجيء له السيل من الحشيش والاقذار والمغزل آلة الغزل . وفلكة المغزل قطعة مستديرة في اعلاه . يقول كأن هذه الاكمة مما أحاطبها من الغثاء فلكة المغزل (٧٤) الغبيط هنا أكمة قد انخفض وسطها وارتفع طرفاها وسميت غبيطا تشبيها بغبيط البعير . والبعاع الثقل . والعياب جمع عيبة وهي الاوعية التي توضع فيها الثياب والمعنى: ألقى هذا الحيا ثقله بصحراء الغبيط فأنبت الكلأ وضروب الازهار فصار نزول المطر به كنزول التاجر اليماني صاحب العياب المحمل من الثياب حين نشر ثيابه يعرضها على الناس (٧٥) المكاء ضرب من الطير والجمع المكاكي والجواء الوادي والجمع الجوء وغدية تصغير غدوة او غداة . والصبح سقي

كأن السباع فيه غرقى عشية
بأرجائه القصوى أنابيش عنصل (٧٦)

الصبوح الاصطباح . والسلاف أجود الخمر والمفلفل الذي ألقي فيه الفلفل (٧٦) بأرجائه بأنحائه واحده رجا . والقصوى تأنيث الأقصى أي الأبعد والانابيش أصول النبت ينبش عنها واحدتها أنبوشة والعنصل البصل البري . يقول كأن السباع حين غرقت في سيول هذا المطر عشيا أصل البصل البري . شبه تلطخها بالطين والماء الكدر بأصول البصل البري لانه متلطخة بالطين والتراب

(معلقة الحارث بن حلزة) هي اربعة وثمانون بيتا ذكر فيها محبوبته واستطرد الى ذكر الناقة التي يستعين بها على كده وكدحه فأجاد في وصفها . ثم ألم بذكر الاراقم وهم احياء من بني تغلب وبكر بن وائل وقال انهم اخوة ونصحهم بعد التخاذل وأطال في عتابهم ونهى الوشاة الذين أوقعوا بينهم العداوة وبين عمرو وساق الكلام الى أيام بكر ثم مدح المنذر بن ماء السماء وذكر تغلب وبكر بن وائل بحلف ذي المجاز وبأنه لا يجوز نقضه وبين انه من الظلم ان يتحملوا ديات الذين قتلوا .

لانهم براء من دمائهم . ثم عرج من ذلك على مدح عمرو بن هند، فوصفه بالعدل فى الحكم ومازال يعدد مفاخر قومه ويذكر رجالاتهم الذين ابلوا احسن البلاء فى الامور الجسام ويستلين تارة بنى تغلب وتارة قومه ويشيد بذكر عمرو بن هند ومجده ويشير الى ربطهم بأواخى القرابة حتى حكم له وفاز على عمرو بن كلثوم وكان ذلك سببا لعداوة عمرو لعمرو بن هند وانتهى امرهما ان قتل الاول الثانى

اما القصيدة فهى بدوية مرتجلة يبدو عليها روح الحلم والاناة وهى :

آذنتنا ببينها اسماء
رب ثاو يمل منه الثواء (١)
بعد عهد لنا ببرقة شماء
فأدنى ديارها الخلصاء (٢)
فالمحياة فالصفاح فأعنا
ق فتاق فعاذب فالوفاء (٣)
فرياض القطا فأودية الشر
بب فالشعبتان فالابلاء (٤)
لا ارى من عهدت فابكى اليوم دلها وما يحير البكاء (٥)
وبعينيك اوقدت هند النا
ر اخيراً تلوى بها العلياء (٦)
فتنورت نارها من بعيد
بخزازى هيهات منك الصلاء (٧)

(١) الايذان الاعلام والثواء الاقامة. يقول اعلمتنا اسماء بمفارقتها ايانا ثم قال رب مقيم تمل اقامته وليست اسماء منهم (٢) العهد اللقاء يقول عزمت على فراقنا بعد ان لقيتها ببرقة شماء وخلصاء التى هى اقرب ديارها الينا . (٣) و (٤) هذه كلها مواضع عهدها بها يقول قد عزمت على مفارقتنا بعد طول العهد (٥) يحير اى يرد. يقول لا ارى فى هذه المواضع من عهدت فيها ، يريد أسماء ، فأنا أبكى اليوم دلها اى ذاهب العقل واى شىء رده البكاء على صاحبه اى لا يرد البكاء على صاحبه فائتا ولا يجدى عليه شيئا (٦) لوى بالشىء اشار به والعلياء البقعة العالية يخاطب نفسه ويقول انما اوقدت هذه النار بمرآك كانت تشير اليه من النقطة العالية التى اوقدتها بها يريد انها ظهرت له اتم ظهور (٧) التنور النظر الى النار . وخزازى اسم بقعة . وصلاء مصدر صلى النار اذا احترق بها يقول ولقد نظرت الى نار هند بهذه البقعة على بعد لاصلاها ثم قال ما أبعد الاصطلاء بها اى عاقته العوائق عنها

اوقدتها بين العقيق فشخصيـ
ـن بعود كما يلوح الضياء (٨)
غير انى قد أستعين على الهم
اذا خف بالثوىّ النجاء (٩)
بزفوف كأنها هقلة أُمْ
مُ رِئال دَوِّيَّة سقفاء (١٠)
انست نبأة وافزعها القنّا
ص عصرا وقددنا الامساء (١١)
فترى خلفها من الرجع والوقـ
ـع منينا كأنه أهباء (١٢)

(٨) اوقدت هند هذه النار بين هذين الموضعين بعود فلاحت كما يلوح الضياء (٩) غير انى يريد ولكنى . انتقل من النسيب الى ذكر حاله فى طلب المجد . والثوى والثاوى المقيم فى السير لعظم الخطب وفظاعة الخوف (١٠) بزفوف اى بسرعة والهقلة النعامة والظليم هقل. والرئال اولاد النعامة والدوية منسوبة الى الدو وهى المفازة وسقفاء اى طويلة مع انحناء (١١) النبأة الصوت الخفى . والقناص جمع قانص وهو الصائد يقول احست هذه النعامة بصوت الصيادين فأخافها ذلك عشيا (١٢) المنين الغبار الرقيق والاهباء جمع هباء. يقول فترى انت خاف هذه الناقة غبارا كأنه هباء منبث

وطراقا من خلفهن طراق
ساقطات ألوت بها الصحراء (١٣)
أتلهى بها الهواجر اذ
كل ابن هم بلية عمياء (١٤)
واتانا من الحوادث والانـ
ـباء خطب نعنى به ونساء (١٥)
ان اخواننا الاراقم يغلو
ن علينا فى قيلهم احفاء (١٦)
يخلطون البرىء منا بذى الذنـ
ـب ولا ينفع الخلى الخلاء (١٧)

(١٣) الطراق يريد بها أطباق نعلها. وألوى بالشىء افناه وابطله . يقول وترى خلفها اطباق نعلها فى اماكن مختلفة وقد قطعها قطع الصحراء (١٤) يقول أتلهى بها فى اشد مايكون من الحر اذ تحير كل صاحب هم كحيرة الناقة البلية العمياء اى انه لا يعوقه الحر عن مرامه (١٥) يقول ولقد اتانا من الحوادث والاخبار امر عظيم نحن معنيون اى محزونون لاجله (١٦) الاراقم بطون من تغلب . والغلو مجاوزة الحد . والاحفاء الالحاح ثم فسر ذلك الخطب فقال هو تعدى اخواننا من الاراقم علينا وغلوهم فى عداوتهم فى مقالتهم (١٧) يريد بالخلى البرىء من الذنب يقول انهم يخلطون

زعموا ان كل من ضرب العير
رَّ مَوال لنا وانا الوَّلاء (١٨)
اجمعوا امرهم عشاء فلما
اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء (١٩)
من منادو من مجيب ومن تص
هال خيل خلال ذاك رغاء (٢٠)
ايها الناطق المرقش عنا
عند عمرو وهل لذاك بقاء (٢١)
لاتخلنا على عزانك انا
قبل ماقدوشي بنا الاعداء (٢٢)

براءنا بمذنبينا فلاتنفع البرىء براءة ساحته من الذنب (١٨) العير هنا السيد قوله وانا الولاء اى اصحاب ولائهم . والمعنى زعم الارانم ان كل من رضى بقتل كليب وائل بنو اعمامنا وانا اصحاب ولائهم تلحقنا جرائرهم (١٩) يقول اجمعوا امرهم على قتالنا عشاء فلما اصبحوا اجلبوا وصاحوا (٢٠) يقول اختلطت اصوات الداعين والمجيبين والخيل والابل . يريد بذلك انهم تجمعوا وتأهبوا (٢١) يقول ايها الناطق عند الملك عمرو بما يريبه عنا ويشككه فينا هل لذلك التبليغ بقاء وهو كذب وافتراء ؟ (٢٢) يقول لا تظننا متذللين متخاشعين لاغرائك الملك بنا وقد وشى بنا الى الملوك اعداؤنا

فبقينا على الشناءة تنمي
نا حصون وعزة قعساء (٢٣)
قبل ماالبوم بيضت بعيون الن
اس فيها تغيظ واباء (٢٤)
وكأن المنون تردى بنا أر
عن جونا ينجاب عنه العماء (٢٥)
مكفهر على الحوادث لاترْ
توه للدهر مؤيد صماء (٢٦)

قبلك . اى ان وشايتك بنا لاتقدح فينا (٢٣) الشناءة البغض . تنمينا ترفعنا . يقول فبقينا على بغض الناس ايانا و غرائهم الملوك بنا ترفع شأننا حصون منيعة وعزة ثابتة (٢٤) الباء فى بعيون زائدة اى بيضت عيون الناس . وتبييض العين كناية عن الاعماء . يقول قد اعمت عزتنا قبل يومنا الذى نحن فيه عيون لعدائنا من الناس (٢٥) الردى الرمى . الأرعن الجبل . والجون الاسود والابيض جميعا والجمع جون والانجياب الانكشاف والانشقاق والعماء السحاب يقول . كأن الدهر برميه ايانا بمصائبه يرمى جبلا ارعن اسود ينشق عنه السحاب اى يحيط به ولا يبلغ اعلاه (٢٦) الاكفهرار شدة العبوس . والرتو الشدو الارخاء جميعا وهو هنا بمعنى الارخاء

أرمى بمثله جالت الخي
ل فآبت لخصمها الاجلاء (٢٧)
ملك مقسط وافضل من يمـ
شي ومن دون ما لديه الثناء (٢٨)
أيما خطة أردتم فأدو
ها الينا تشفى بها الاملاء (٢٩)

والمؤيد الداهية العظيمة مشتقة من الأيد وهو القوة الصماء الشديدة من الصمم الذي هو الشدة والصلابة . يقول يشتد ثباته على انتياب الحوادث فلا ترخيه ولا تضعفه داهية قوية (٢٧) ارم جد عاد يقول هو رمى من الحسب قديم الشرف بمثله ينبغى ان تجول الخيل وأن تأبى لخصمها ان يجلى صاحبها عن أوطانه (٢٨) يقول هو ملك عادل وهو أفضل ماش على الارض (٢٩) الخطة الامر العظيم الذي يحتاج الى الخلاص منه ادوها اى فوضوها والاملاء الجماعات من الاشراف . يقول فوضوا الى آرائنا كل خصومة اردتم تشفى بها جماعات الاشراف والرؤساء بالتخلص منها . يريد أنهم اولو حزم يسهل عليهم ما يتعذر على غيرهم من فصل الخصومات والقضاء فى المشكلات

ان نبشتم ما بين ملحة فالصا
قب فيه الاموات والاحياء (٣٠)
أو نقشتم فالنقش تجشمه النا
س وفيه الاسقام والابراء (٣١)
أو سكتم عنا فكنا كمن أغـ
مض عينا فى جفنها الاقذاء (٣٢)
او منعتم ما تسألون فمن حد
ثتموه له علينا العلاء (٣٣)

(٣٠) يقول ان بحثتم عن الحروب التى كانت بيننا وبين هذين الموضعين وجدتم قتلى قد ثئر بها وقتلى لم يثأر بها فمن الذين لم يثأر بهم اموات والذين ثئر بهم احياء (٣١) النقش الاستقصاء ومنه قيل لاستخراج الشوك من البدن نقش يقول ان استقصيتم في ذكر ما جرى بيننا من جدال وقتال فهو شيء قد يتكلفه الناس ويتبين فيه المذنب من البرئ . كنى بالسقم عن الذنب وبالبرء عن براءة الساحة (٣٢) يقول ان اعرضتم عن ذلك اعرضنا عنكم مع اضمارنا الحقد عليكم كمن اغضى الجفون على القذى (٣٣) يقول وان منعتم ما سألناكم من المهادنة فمن الذى حدثتم عنه انه عزنا وعلانا ؟ أى فأى قوم اخبرتم عنهم انهم فضلونا ؟ يريد لا قوم أشرف منا فلا نعجز

هل علمتم ايام ينتهب النا

س غِوارا لكل حي عواء (٣٤)

اذ رفعنا الجمال من سعف البحر

رين سيرا حتى نهاها الحساء (٣٥)

ثم ملنا على تميم فأحرم

نا وفينا بنات قوم اماء (٣٦)

لا يقيم العزيز بالبلد السه

ل ولا ينفع الذليل النجاء (٣٧)

ليس ينجو موائلا من حذار

رأس طود وحرة رجلاء (٣٨)

ملك اضرع البرية لا يو

جد فيها لما لديه كفاء (٣٩)

كتكاليف قومنا اذا غزا المنـ

ـذر هل نحن لابن هند رعاء (٤٠)

عن متابعتكم بمثل صنيعكم (٣٤) الغوار الغارة . يقول قد علمتم عناءنا في الحروب وحمايتنا ايام غارة الناس بعضهم على بعض وضجيجهم وصياحهم مما لحقهم من الغارات وهل في هذا البيت بمعنى قد (٣٥) السعف اغصان النخلة الواحدة سعفة . قوله سيرا اى فسارت سيرا فحذف الفعل لدلالة المصدر عليه والحسى رملة تحتها ماء . والحسى أيضا البئر القريبة الماء والجمع الاحساء . والحساء اسم موضع . يقول حين رفعنا جمالنا على أشد السير حتى سارت من البحرين سيرا شديدا الى أن بلغت هذا الموضع الذى يعرف بالحساء . اى طوينا ما بين هذين الموضعين سيرا و غارة على القبائل فلم يمكننا شيء عن أمرنا حتى انتهينا الى الحساء (٣٦) احرمنا اى دخلنا في الشهر الحرام يقول ثم ملنا فأغرنا على بني تميم دخل الشهر الحرام وعندنا سبايا القبائل فبنات الذين أغرنا عليهم كن اماء لنا (٣٧) النجاء الاسراع في السير يقول وحين كان الاحياء الاعزة يتحصنون بالجبال ولا يقيمون بالبلاد السهلة و الاذلاء لا ينفعهم اسراعهم في الفرار . يريد ان الشر كان شاملا لم يسلم منه عزيز ولا ذليل (٣٨) موائل اى هارب وفازع والرجلاء الغبيظة الشديدة يقول لم ينج الهارب منه تحصنه بالجبل ولا بالحرة الغليظة الشديدة (٣٩) أضرع ذلل وقهر . والكفاء المكافىء يقول هو ملك ذلل الخلق فما يوجد فيهم من يساويه

(٤٠) التكاليف المشاق والشدائد يقول هل قاسيتم من الشدائد ما قاسى قومنا حين غزا المنذر اعداءه وهل كنا رعاء لعمرو بن هند كما كنتم رعاء له ؟

اصابوا من تغلبي فمطلو
ل عليه اذا أصيب العفاء (٤١)
اذا أحل العلياء قبه ميه
ن فأدنى ديارها العوصاء (٤٢)
فتأوت له قراضبة من
كل حي كأنهم ألقاء (٤٣)
فهداهم بالاسودين وأمر الله
بلغ تشقى به الاشقياء (٤٤)

(٤١) طل دمه وأطله أهدر والعفاء الدروس او التراب الذى يغطي الاثر . يقول ماقتلوا من بنى تغلب اهدرت دماؤهم حتى كأنها غطيت بالتراب . يريدان دماء بنى تغلب تهدر ودماؤهم هم لاتهدر (٤٢) ميسون اسم امرأة . يقول : وانما كان هذا حين انزل الملك قبة هذه المرأة علياء وعوصاء التى هى اقرب ديارها الى الملك (٤٣) القراضبة اللصوص واحدها قرضاب والتأوى التجمع والألقاء جمع لقوة وهى العقاب . يقول تجمعت له لصوص خبثاء كأنهم عقبان لقوتهم وشجاعتهم (٤٤) الاسودان الماء والتمر . هداهم اى تقدمهم . يقول وكان يتقدمهم ومعه زادهم من الماء والتمر . وقد يكون هدى بمعنى قاد . والمعنى فقاد هذا العسكر وزادهم التمر والماء ثم قال وامر الله

اذ تمنونهم غرورا فساقتهم اليكم امنية اشراء (٤٥)
لم يغروكم غرورا ولكن
رفع الآل شخصهم والضحاء (٤٦)
ايها الناطق المبلغ عنا
عند عمرو وهل لذاك انتهاء (٤٧)
من لنا عنده من الآيا
ت ثلاث فى كلهن القضاء (٤٨)
آية شارق الشقيقة اذ جا
ءت معد لكل حى لواء (٤٩)

بالغ مبلغه يشقى به الاشقياء فى حكمه وقضائه . (٤٥) الاشراء البطرة . يقول حين تمنيتم قتالهم اياكم ومصيرهم اليكم اغترارا بشوكتكم وعددكم فساقتهم اليكم منيتكم التى كانت مع البطر (٤٦) الآل ما يرى كالسراب فى طرفى النهار . والضحاء بعد الضحى يقول ولم يفجئوكم مفاجأة ولكن اتوكم وانتم ترونهم خلال السراب حتى كأن السراب يرفع اشخاصهم لكم (٤٧) يقول ايها الواشى بنا عند عمرو بن هند الا تنتهى عن تبليغ الاخبار الكاذبة (٤٨) يقول هو الذى لنا عنده ثلاث دلائل من دلائل غنائنا وحسن بلائنا فى الحروب تقضى لنا على خصومنا (٤٩) الشقيقة

حول قيس مستلئمين بكبش
قرظى كأنه عبلاء (٥٠)
وصتيت من العواتك لاتنـ
ـهاه الا مبيضة رعلاء (٥١)

ارض صلبة بين رملتين. والشروق الطلوع والاضاءة يقول احداها شارق الشقيقة حين جاءت معد بألويتها وراياتها . واراد بشارق الشقيقة الحرب التى قامت بها (٥٠) اراد قيس بن معدى كرب من ملوك حمير والاستلئام لبس اللأمة وهى الدرع والقرظ شجر يدبغ به لاديم . والكبش السيد مستعار له بمنزلة القرم . والقبلاء هضبة بيضاء . يقول جاءت مع راياتها حول قيس متحصنين بسيد من بلاد القرظ وهى اليمن كأنه فى منعته وشوكته هضبة من الهضاب . يريد انهم كفوا عادية قيس وجيشه عن عمرو بن هند (٥٢) الصتيت الجماعة . والعواتك الشواب الحرائر من النساء . والرعلاء الطويلة الممتدة . يقول والثانية جماعة من اولاد الحرائر الكرائم الشواب لا يمنعها عن مرامها الا كتيبة مبيضة بياض دروعها عظيمة ممتدة. وقيل بل معنا الا سيوف بيضاء طوال . وقوله من العواتك اى من اولاد العواتك

فرددناهم بطعن كما يخـ
ـرج من خربة المزاد الماء (٥٢)
وحملناهم على حزم ثهلا
ن شلالا ودمى الانساء (٥٣)
وجبهناهم بطعن كما تنـ
ـهز فى جمة الطوى الدلاء (٥٤)
وفعلنا بهم كما علم الله
وما ان للحائنين دماء (٥٥)

(٥٢) خربة المزاد ثقبها والمزاد جمع مزاده وهى زق الماء يقول رددنا هؤلاء القوم بطعن خرج الدم من جراحه خروج الماء من افواه القرب وثقوبها (٥٣) الحزم اغلظ من الحزن . وثهلان اسم جبل والشلال الطراد والأنساء جمع النسا وهو عرق معروف فى الفخذ والتدمية والادماء اللطخ بالدم . يقول ألجأناهم الى التحصن بغلظ هذا الجبل والالتجاء اليه فى مطاردتنا اياهم وأدمينا افخاذهم بالطعن والضرب (٥٤) الجبه اعنف الردع . والجمة الماء الكثير المجتمع . والطوى البئر التى طويت بالحجارة. يقول منعناهم اشد منع فتحركت رماحنا فى اجسادهم كما تحركت الدلاء فى ماء البئر المطوية بالحجارة (٥٥) للحائنين للهالكين . يقول وفعلنا بهم فعلا بليغا

ثم حجر اعنى ابن ام قطام
وله فارسية خضراء (٥٦)
اسد فى اللقاء ورد هموس
وربيع ان شمرت غبراء (٥٧)
وفككنا غل امرئ القيس عنه
بعدما طال حبسه والعناء (٥٨)

لا يحيط به علما الا الله ولا دماء للمتعرضين للهلاك او الهالكين لم يطلب بثأرهم ودمائهم (٥٦) يقول ثم قاتلنا بعد ذلك حجر بن ام قطام وكانت له كتيبة فارسية خضراء لما ركب دروعها وبيضها من الصدأ . وقيل بل اراد وله دروع فارسية خضراء لصداها (٥٧) الورد الذى يضرب لونه الى الحمرة والهمس صوت القدم وجعل الاسد هموساً لانه يسمع من رجليه فى مشيه صوت . وشمرت استعدت والغبراء السنة الشديدة لاغبرار الهواء فيها . يقول كان حجرا اسدا فى الحرب بهذه الصفة وكان للناس بمنزلة الربيع اذا تهيأت واستعدت السنة الشديدة للشر . يريد انه كان ليث الحرب غيث الجدب (٥٨) يقول وخلصنا امرأ القيس من حبسه وعنائه بعد ما طال عليه

ومع الجون جون آل بنى الاو
س عنود كأنها دفواء (٥٩)
ماجزعنا تحت العجاجة اذ ولّ
وا شلالا واذ تلظى الصلاء (٦٠)
وأقدناه رب غسان بالمنـ
ـذر كرها اذ لا تكال الدماء (٦١)
واتيناهم بتسعة املا
ك كرام اسلابهم اغلاء (٦٢)

(٥٩) يقول وكانت من الجون كتيبة عنيدة كأنها هضبة دفئة (٦٠) العجاجة الغبار . وتلظى تلهب . والصلاء والصلى مصدر صليت بالنار اذا نالك حرها . يقول ماجزعنا تحت غبار الحرب حين تولوا فى حال الطراد ولا حين اشتعال نار الحرب (٦١) أقدته أعطيته القود . يقول وأعطيناه ملك غسان قودا بالمنذر حين عجز الناس عن الاقتصاص والثأر وجعل كيل الدماء مستعاراً للقصاص وهذه هى الآية الثالثة (٦٢) يقول واتيناهم بتسعة من الملوك وقد اسرناهم وكانت اسلابهم غالية الثمن الى عظم اخطارهم وجلالة اقدارهم . والاسلاب جمع سلب وهو السلاح والثياب والفرس

وولدنا عمـــرو بن ام اياس
من قريب لما اتانا الحباء (٦٣)
مثلها يخرج النصيحة للقـو
م فلاة من دونها أفلاء (٦٤)
فاتركوا الطيخ والتعاشى واما
تتعاشوا ففى التعاشى الداء (٦٥)
فاذكروا حلف ذى المجاز وماقد
م فيه العهود والكفلاء (٦٦)

(٦٣) يقول وولدنا هذا الملك بعد زمان قريب لما اتانا الحباء اى زوجنا امه من ابيه لما اتانا مهرها . يريد انا اخوال هذا الملك (٦٤) يقول مثل هذه القرابة تستخرج النصيحة للقوم الاقارب قرب ارحام يتصل بعضها ببعض . والفلاة تجمع على الفلاء ثم تجمع الفلاء على الافلاء وتحرير المعنى ان مثل هذه القرابة التى بيننا وبين الملك توجب النصيحـة له اذهى ارحام مشتبكة (٦٥) الطيخ التكبر . والتعاشى التعامى وهما تكلف العشى والعمى ممن ليس به عشى وعمى . وكذلك التفاعل اذا كان بمعنى التكلف يقول : فاتركوا التكبر واظهار التجبر والجها وان لزمتم ذلك ففيه الداء يعنى افضى بكم الى شر عظيم (٦٦) ذو المجاز موضع جمع فيه عمرو بن هند بكرا

حذر الجور والتعدى وهل ينـ
قض ما فى المهارق الاهواء (٦٧)
واعلموا اننا واياكم فيـ
ما اشترطنا يوم اختلفنا سواء (٦٨)
عَنَتاً باطلا وظلما كما تعـ
تر عن حجرة الربيض الظباء (٦٩)
أعلينا جناح كندة ان يغـ
نم غازيهم ومنا الجزاء (٧٠)

وتغلب واصلح بينهما واخذ منهما الوثائق والرهون . يقول واذكروا العهد الذى كان منا بهذا الموضع وتقديم الكفلاء فيه (٦٧) المهارق الصحائف يقول انما عاقدنا لك حذر الجور والتعدى من احدى القبيلتين فلا تنقض ما كتب فى المهارق الاهواء الباطلة (٦٨) يقول واعلموا اننا واياكم فى تلك الشرائط التى اوثقناها يوم تعاقدنا مستوون (٦٩) العنن الاعتراض يمن عن اى ظهر . والعتر ذبح العتيرة وهى ذبيحة كانت تضحى للاصنام فى رجب والحجرة الناحية وقد كان الرجل ينذر ان بلغ غنمه مائة ذبح منها واحدة للاصنام ثم ربما ضن فأخذ ظبيا وذبحه مكان الشاة . يقول الزمتمونا ذنب غيرنا عننا باطلا كما يذبح الظبى لحق وجب فى الغنم . الجناح الاثم . يقول أعلينا ذنب كندة ان يغنم

أم علينا جَـرىّ أياد كانـ
ـط بجوز المحمل الاعباء (٧١)
ليس منا المضـرّبون ولا قيـ
ـس ولا جندل ولا الحداء (٧٢)
ام جنايا بني عتيق فمن يغـ
ـدر فانا من حربهم برآء (٧٣)
وثمانون من تميم بأيديـ
ـهم رماح صدورهن القضاء (٧٤)
تركوهم ملحّبين وآبوا
بنهاب يصم منها الحُداء (٧٥)
ام علينا جرّى حنيفة ام ما
جمّعت من محارب غبراء (٧٦)
ام علينا جرّى قضاعة ام ليـ
ـس علينا فيما جنوا ابداء (٧٧)
ثم جاؤا يسترجعون فلم تر
جع لهم شامة ولا زهراء (٧٨)
لم يحلوا بني رزاح ببرقا
ء نطاع لهم عليهم دعاء (٧٩)
ثم فاؤا منهم بقاصمة الظهـ
ـر ولا يبرد الغليل الماء (٨٠)

غازيهم منكم ، ومنا يكون جزاء ذلك (٧١) الجراء والجرّى الجناية . والنوط التعليق ؛ والجوز الوسط والجمع الاجواز . والعبء الثقيل . يقول ام علينا جناية اياد ، ثم قال ألزمتمونا ذلك كما تعلق الاثقال على وسط البعير المحمل (٧٢) يقول هؤلاء المضربون ليسوا منا ، ءبرهم بأنهم منهم (٧٣) يقول ام علينا جنايا بني عتيق ثم قال ان تقضتم فانا برآء منكم (٧٤) القضاء . القتل . يقول وغزاكم ثمانون من تميم بأيديهم رماح أسنتها القتل (٧٥) التحليب التقطيع يقول تركت بنو تميم هؤلاء القوم منطعين بالسيوف وقد رجعوا الى بلادهم بغنائم صم حداء حدائها آذان السامعين (٧١) يقول أم علينا جناية بني حنيفة ، أوجناية ماجمعت الارض اوالسنة الغبراء من محارب (٧٧) يقول ام علينا جناية قضاعة بل ليس علينا في جنايتهم جناح أي لا تلحقنا تلك الجناية (٧٨) يقول ثم جاؤا يسترجعون الغنائم فلم ترد عليهم شاة زهراء اى بيضاء ولا ذات شامة (٧٩) احللته جعلته حلالا . يقول ما أحل قومنا محارم هؤلاء القوم منهم وما كان منهم دعاء على قومنا يعيرهم بأنهم احلو محارم هؤلاء القوم بهذا الموضع فدعوا عليهم (٨٠) الفئ الرجوع . يقول انصرفوا منهم بداهية قصمت ظهورهم وغليل أجواف لا يسكنه شرب الماء لانه حرارة حقد لا عطش .

ثم خيل من بعد ذلك مع الـ
ـفلاق رأفة ولا ابقاء (٨١)
وهو الرب والشهيد على يو
م الحياريْن والبلاء بلاء (٨٢)
يريد انهم قتلوا وقتلوا ولم يثأروا بقتلاهم
(٨١) يقول ثم جاءتكم خيل مع الفلاق فأغارت عليكم ولم ترحمكم ولم تبق عليكم
(٨٢) يقول وهو الملك والشاهد على حسن بلائنا يوم قتالنا بهذا الموضع والعناء عناء اى قد بلغ عناؤهم الغاية ويريد بالشاهد عمرو بن هند فانه شهد عناءهم

* * *

(معلقة زهير بن أبى سلمى) عددها أربعة وستون بيتاً وهى على صغرها تزيد على امثالها فى فن المديح فقد ورد فيها ذكر هرم بن سنان والحارث بن عوف لاصلاحهما بين عبس وذبيان وتحملهما ديات القتلى وفيها حكم بالغة وامثال بارعة وروحها الحث على حقن الدماء وترك الشرور والدعوة الى المعروف

وفيها غزل ولكنه دون غزل سابقيه وعبارة زهير ظاهر فيها أثر الصنعة وهى محلاة بمعان دقيقة وكنايات وتمثيلات ليست لغيرها . وقد فاتنا ان نذكرها فى ترجمته فنأتى عليها هنا وهى :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم (١)
ودار لها بالرقمتين كأنها
مراجع وشم فى نواشر معصم (٢)
بها العين والآرام يمشين خلفة
واطلاؤها ينهضن من كل مجثم (٣)

(١) الدمنة ما اسود من آثار الدار وحومانة الدراج والمتثلم موضعان . يقول أمن منازل الحبيبة المكنية بأم أوفى دمنة لا تجيب سؤالها بهذين الموضعين ؟ (٢) الرقمتان حرتان احداهما قريبة من البصرة والاخرى قريبة من المدينة . والحرة هى أرض بها حجارة سوداء . والمراجع جمع مرجوع من قولهم رجعه رجعا اراد الوشم المجدد . ونواشر المعصم عروقه الواحد ناشر . والمعصم هو موضع السوار يقول أمن منازلها بالرقمتين يريد انها تحل الموضعين عند طلب الكلأ فقط لبعد أحدهما عن الآخر . ثم شبه رسوم دارها بها بوشم فى المعصم قد ورد وجدد بعد امحائه شبه رسوم الدار عند تجديد السيول اياها بكشف التراب عنها تجديد الوشم (٣) العين اى البقر العين والعين الواسعات

وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلأياعرفت الداربعد توهم (٤)
أثافيّ سفعافى مُعَرَّس مرجل
ونُؤيا كجذم الحوض لم يتثلم (٥)

العيون . والآرام جمع رئم وهو الظبى الخالص البياض . وقوله خلفة اى يخلف بعضها بعضا اذا مضى قطيع منها جاء قطيع آخر . والاطلاء جمع الطلا وهو ولد الظبية والبقرة الوحشية ويستعار لولد الانسان ويكون هذا الاسم للولد من حين ولد الى شهر أو اكثر منه. والجثوم للناس والطير والوحوش بمنزلة البروك للبعير . يقول بهذه الدار بقر وحش واسعات العيون وظباء بيض يمشين بها خالفات بعضها بعضا واولادها ينهضن من مرابضها لترضعها أمهاتها (٤) الحجة السنة . واللأى الجهد والمشقة . يقول وقفت بدار ام اوفى بعد مضى عشرين سنة من بينها وعرفت دارها بعد التوهم بمقاساة جهد ومعاناة مشقة ، يريد انه لم يثبتها الا بعد جهد ومشقة لبعد العهد بها ودروس أعلامها (٥) الاثافى جمع أثفية وهى حجارة توضع القدر عليها ثم ان كان من الحديد سمى منصبا والسفع جمع أسفع وهو الاسود والمعرس

فلما عرفت الدار قلت لربعها
الا أنعم صباحا ايها الربع واسلم (٦)
تبصر خليلى هل ترى من ظعائن
تحملن بالعلياء من فوق جرثم (٧)

المنزل من التعريس وهو النزول فى وقت السحر ثم استعير للمكان الذى تنصب فيه القدر . والمرجل القدر . والنؤى نهير يحفر حول البيت ينزل فيه الماء الذى ينصب من البيت عند المطر ولا يدخل اليه . والجذم الاصل . يقول عرفت حجارة سوداء تنصب عليها القدر وعرفت نهيرا كان حول بيت أم اوفى بقى غير متثلم كأنه أصل حوض . نصب الاثافى على البدل من الدار من قوله عرفت الدار . يريد ان هذه الاشياء دلته على انها دار أم أوفى (٦) انعم صباحا اى نعمت صباحا يقول وقفت بدار ام أوفى فقلت لدارها محييا اياها وداعيا لها طاب عيشك فى صباحك وسلمت (٧) الظعائن جمع ظعينة مشتقة من الظعن وهو الارتحال . بالعلياء اى بالارض العلياء وجرثم اسم ماء . يقول فقلت لخليلى انظر هل ترى بالارض العالية من فوق هذا الماء نساء فى هوادج على الابل . يريد ان الوجد برح به حتى ظن المحال لفرط

جعلن القنان عن يمين وحزنه
وكم بالقنان من محل ومحرم (٨)
علون بانماط عتاق وكلة
ورادحواشيها مشاكهة الدم (٩)
ووركن فى السوبان يعلون متنه
عليهن دل الناعم المتنعم (١٠)

وله لان كونهن بحيث براهن خليله بعد مضى عشرين سنة محال (٨) القنان جبل لبنى أسد عن يمين يريد الظعائن والحزن ماغلظ من الارض وكان مرتفعا • ومن محل ومحرم يقال حل الرجل من احرامه واحل وقيل يريد دخل فى أشهر الحل ودخل فى أشهر الحرم (٩) انماط جمع نمط وهو مايبسط من صنوف الثياب. والعتاق الكرام. والكلة الستر الرقيق • والوراد جمع ورد وهو الاحمر والمشاكهة المشابهة • يقول وأعلين انماطا كراما اى القينها على الهوادج وغشينها بها ثم وصف تلك الثياب انها حمر الحواشي يشبه الوانها الدم فى شدة الحمرة (١٠) السوبان الارض المرتفعة اسم علم والتوريك ركوب وراك الدواب • يقول وركبت هذه النسوة اوراك ركابهم فى حال علوهن من السوبان وعليهن دلال الانسان الطيب العيش المتنعم

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة
فهن ووادى الرس كاليد للفم (١١)
وفيهن ملهى للطيف ومنظر
انيق لعين الناظر المتوسم (١٢)
كأن فتات العهن فى كل منزل
نزلن به حب الفنا لم يحطم (١٣)

(١١) بكرن اى سرن بكرة واستحرن اى سرن سحرا • ووادى الرس واد معروف • يقول ابتدأن السير وسرن سحرا • وهن قاصدات لوادى الرس لايخطئنه كاليد القاصدة للفم لايخطئنه (١٢) الملهى اللهو وموضعه • واللطيف المتأنق الحسن المنظر • والانيق المعجب والمتوسم المتفرس يقول فى هؤلاء النسوة لهو وموضع لهو للمتأنق الحسن المنظر ومناظر معجبة لعين الناظر المتتبع محاسنهن وسمات جمالهن (١٣) الفتات اسم لما انفت من الشىء اى تقطع وتفرق واصله من الفت وهو التقطيع • والفنا عنب الثعلب • والتحطم التكسر والحطم الكسر • والعهن الصوف المصبوغ الذى زينت به الهوادج فى كل منزل نزله هؤلاء النسوة حب عنب الثعلب فى حال كونه غير محطم لانه اذا حطم زايله لونه وشبه الصوف الاحمر بحب عنب

فلما وردن الماء زرقا جمامه
وضعن عصى الحاضر المتخيم (١٤)
وظهرن فى السوبان ثم جزعنه
على كل قينى قشيب ومفأم (١٥)
فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله
رجال بنوه من قريش وجرهم (١٦)

الثعلب قبل حطمه (١٤) الزرق شدة الصفاء . يقال نصل ازرق اذا اشتد صفاؤه وجمعه زرق . والجمام جم الماء وجمته وهو ما اجتمع منه فى البئر والحوض ووضع العصى كناية عن الاقامة . والتخيم بناء الخيمة . يقول فلما وردن هؤلاء الظعائن الماء وقد اشتد صفاء ما جمع منه فى الآبار والحياض عزمن لاقامة كالحاضر المبنى الخيمة (١٥) الجزع قطع الوادى والقين كل صانع عند العرب . والقشيب الجديد والمفأم الموسع يقول علون وادى السوبان ثم قطعنه مرة اخرى لانه اعترض لهن فى طريقهن مرتين وهن على كل رحل قينى جديد موسع (١٦) يقول حلفت بالكعبة التى طاف حولها من بناها من القبيلتين . جرهم قبيلة قديمة تزوج منهم اسماعيل عليه السلام فغلبوا على الكعبة والحرم بعد وفاته وضعف اولاده . ثم استولى عليه خزاعة

يمينا لنعم السيدان وجدتما
على كل حال من سحيل ومبرم (١٧)
تداركتما عبسا وذبيان بعد ما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم (١٨)

ثم قريش (١٧) السحيل المفتول على قوة واحدة . والمبرم المفتول على قوتين أو اكثر ثم يستعار السحيل للضعيف والمبرم للقوى . يقول حلفت يمينا اى حلفت حلفا نعم السيدان وجدتما على كل حال من حال ضعف وحال قوة لقد وجدتماهما كاملين مستوفيين لخلال الشرف فى حال يحتاج فيها الى ممارسة الشدائد وحال يفتقر فيها الى معاناة النوائب . واراد بالسيدين هرم ابن سنان والحارث بن عوف مدحهما لاتمامهما الصلح بين عبس وذبيان وتحملهما أعباء ديات القتلى (١٨) التدارك التلافى اى تداركتما امرهما والتفانى التشارك فى الفناء ومنشم قيل انه اسم امرأة عطارة اشترى قوم منهم عطرا منها وتحالفوا وجعلوا آية الحلف غمسهم الايدى فى ذلك العطر فقاتلوا عدوهم فقتلوا عن آخرهم فضرب به مثل . وقيل منشم كان عطاراً يشترى منه ما يحنط به الموتى فسار المثل بعطره يقول انهما تلافيا أمرهاتين القبيلتين بعد ما أفنى

وقد قلتما أن ندرك السلم واسعا
بمال ومعروف من القوم نسلم (١٩)
فأصبحتما منها على خير موطن
بعيدين فيها من عقوق ومأثم (٢٠)
عظيمين في عليا معد هديتما
ومن يستبح كنزا من المجد يعظم (٢١)
تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت
ينجمها من ليس فيها بمجرم (٣٢)

رجالها وبعد دقهم عطر هذه المرأة اى بعد اتيان القتال على آخرهم (١٩) يقول وقد قلتم ان ادركنا الصلح واسعاً اى ان اتفق لنا اتمام الصلح بين القبيلتين سلمنا من تفانى العشائر (٢٠) يقول فأصبحتما على خير موطن من الصلح بعيدين فى اتمامه من عقوق الاقارب والاثم بقطيعة الرحم (٢١) الاستباحة وجود الشيء مباحا او جعله مباحا .وهى ايضاً الاستئصال . يقول ظفرتما بالصلح فى حال عظمتكما فى الرتبة العليا من شرف معد وحسبها . ثم دعا لهما فقال هديتما الى طريق الصلاح . ثم قال ومن وجد كنزا من المجد مباحا واستأصله عظم امره بين الكرام (٢٢) الكلوم جمع كلم وهو الجرح . والتعفية التمحية . يقول تمحى ونزال الجراح بالمئين من الابل

ينجمها قوم لقوم غرامة
ولم يهريقوا بينهم ملء محجم (٢٣)
فأصبح يجرى فيهم من تلادكم
مغانم شتى من افال مزنم (٢٤)
الا أبلغ الاحلاف عنى رسالة
وذبيان هل أقسمتم كل مقسم (٢٥)

فأصبحت الابل يعطيها نجوما اى قطعاً من هو برىء الساحة فى هذه الحرب (٢٣) يقول ينجم الابل قوم غرامة لقوم وهؤلاء الذين ينجمون الديات لم يريقوا مقدارما يملأ محجما من دم (٢٤) التلاد والتليد المال القديم الموروث . والافيال جمع افيل وهو الصغير السن من الابل والمزنم المعلم بزنمة. يقول فأصبح يجرى فى اولياء المقتولين من نفائس اموالكم الموروثة غنائم متفرقة من ابل صغار معلمة وخص الصغار لأن الديات كانت تعطى منها (٢٥) الاحلاف والحلفاء الجيران جمع حليف . اقسم اى حلف . وتقاسم القوم اى تحالفوا والمقسم الحلف . يقول ابلغ ذبيان وحلفاءها وقل لهم قد حلفتم على ابرام حبل الصلح كل حلف فتحرجوا من الحنث وتجنبوه

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم
ليخفى ومهما يُكتم الله يعلم (٢٦)
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر
ليوم الحساب أو يعجل فينقم (٢٧)
وما الحرب الا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم (٢٨)
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر اذا ضريتموها فتضرم (٢٩)

(٢٦) يقول لا تخفوا من الله ما لا تضمرون من الغدر ونقض العهد فمهما يكتم من الله شيء يعلمه (٢٧) اى يؤخر عقابه ويرقم فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل العقاب فى الدنيا قبل المصير الى الآخرة فينتقم من صاحبه . يريد أن لا مخلص من عقاب الذنب آجلا او عاجلا (٢٨) الحديث المرجم الذى يرجم فيه بالظنون يقول ليست الحرب الا ما عهدتموها وجربتموها ومارستم كراهتها وما هذا القول بحديث مرجم عن الحرب اى هذا ماشهدت به الشواهد الصادقة وليس من احكام الظنون (٢٩) الضرى شدة الحرص وكذلك الضراوة والفعل ضرى يضرى . وضريتموها اى حملتموها على الضراوة . يقول متى تبعثوا الحرب تبعثوها

فتعرككم عرك الرحى بثفالها
وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم (٣٠)
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم
كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم (٣١)

مذمومة اى انكم اذا أوقدتم نار الحرب ذممتم ومتى أثرتموها ثارت . ثم حثهم على التمسك بالصلح وعلمهم سوء ايقاد نار الحرب (٣٠) ثفال الرحى خرقة أو جلدة تبسط تحتها ليسقط عليها الطحين . والقمح حمل الولد وإلقاح الناقة جعلها كذلك . والكشاف أن تلقح النعجة فى السنة مرتين وأنتجت الناقة اذا ولدت . والاتئام ان تلد الانثى توأمين . يقول وتعرككم الحرب عرك الرحى الحب مع ثفالها . ثم قال وتلقح الحرب فى السنة مرتين وتلد توأمين : وبالغ فى وصفها باستتباع الشر شيئين أحدهما جعله اياها لاقحة كشافا والآخر توأمين (٣١) الشؤم ضد اليمن والأشأم أفعل من الشؤم . وأراد بأحمر عاد أحمر ثمود وهو عاقر الناقة يقول فتولد لكم أبناء فى أثناء تلك الحروب كل واحد منهم يضاهى فى الشؤم عاقر الناقة ثم ترضعهم الحروب وتفطمهم فيصبحون مشائيم على آبائهم

فتُغلِل لكم ما لا تغل لاهلها
قرى بالعراق من قفيز ودرهم (٣٢)
لعمري لنعم الحى جر عليهم
بما لا يؤاتيهم حصين بن ضمضم (٣٣)
وكان طوى كشحا على مستكنة
فلا هو أبداها ولم يتقدم (٣٤)

(٣٢) أغلت الارض تغل اذا كانت لها غلة . فيقول فتغل لكم الحروب حينئذ ضروب من الغائلات لا تكون تلك الغلات لقرى من التى تغل الدراهم بالقفيزات والمعنى ان المضار المتولدة من هذه الحروب تربى على المنافع المتولدة من هذه القرى كل هذا حث منه اياهم على الاعتصام بحبل الصلح وزجر عن الغدر بايقاد نار الحروب (٣٣) جر عليهم جنى عليهم . يؤاتيهم يوافقهم. قتل ورد بن حابس العبسى هرم بن ضمضم قبل هذا الصلح فلما اصطلحت القبيلتان عبس وذبيان استتر حصين بن ضمضم لئلا يطالب بالدخول فى الصلح وكان ينتهز الفرصة حتى ظفر برجل من عبس فقتله بأخيه فاستقر الأمر بين القبيلتين على دفع دية القتيل ، يقول الحصين بن ضمضم وان لم يوافقوه عليه أقسم بحياتى لنعمت القبيلة جنى عليهم

وقال سأقضى حاجتى ثم أتقى
عدوى بالف من ورائى مُلجَم (٣٥)
فشد ولم يفزع بيوتا كثيرة
لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم (٣٦)
لدى أسد شاكى السلاح مقذّف
له لبد أظفاره لم تقلَّم (٣٧)

اضمار الغدر (٣٤) الكشح منقطع الاضلاع والاستكنان طلب الكن والاستتار. يقول وكان حصين أضمر فى صدره حقدا وطوى كشحه على نية مستترة فيه ولم يظهرها لاحد ولم يقدم عليها. قبل امكان الفرصة (٣٥) يقول وقال حصين فى نفسه سأقضى حاجتى من قاتل أخى أو اقتل كفؤا له أجعل بينى وبين عدوى الف فارس ملجم فرسه أو الفا من الخيل ملجمة (٣٦) الشدة الحملة وقد شد عليه يشد شدا . والافزاع الاخافة وام قشعم كنية الموت . يقول فحمل حصين على الرجل الذى رام ان يقتله بأخيه ولم يفزع بيوتا كثيرة أى لم يتعرض لغيره عند ملقى رحل المنية. ورمانى ارحل المنزل لان المسافر يلقى به رحله. أراد عند منزل المنية وجعله منزل المنية لحلولها قتل حصين (٣٧) شاكى السلاح، شائك السلاح كله من الشوكة وهى العدة والقوة

جرىء متى يُظلم يعاقب بظلمه
سريعاً والا يُبد بالظلم يظلم(٣٨)
رعوا ظأهم حتى اذا تم أوردوا
غماراً تفرّى بالسلاح وبالدم(٣٩)

مقذف اى مقذف به كثيراً الى الوقائع . واللبد جمع لبدة الاسد وهى ما تلبد من شعره على منكبيه . يقول عند اسد تام السلاح يصلح لان يرمى به الى الحروب والوقائع يشبه أسداً له لبدتان لم تقلم براثنه . والبيت كله من صفة حصين (٣٨) يقول هو شجاع متى ظُلم عاقب الظالم بظلمه سريعاً وان لم يظلم احد ظلم الناس اظهاراً لغنائه وحسن بلائه وجرىء صفة لأسد فى الذى قبله وعنى به حصينا . ثم أضرب عن قصته ورجع الى تقبيح صورة الحرب والحث على الاعتصام بالصلح (٣٩) الظمأ ما بين الوردين والغمار جمع غمر وهو الماء الكثير والتفرى التشقق . يقول ارعوا ابلهم الكلأ حتى اذا اتم الظماء أوردوها مياه كثيرة والمعنى انهم كفوا عن القتال مدة معلومة كما رعى الابل مدة معلومة ثم غادروا الوقائع كما يعود الابل بعد الرعى فالحروب بمنزلة الغمار ولكنها تنشق عنهم باستعمال السلاح وسفك الدماء

فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا
الى كلأ مستوبل متوخّم(٤٠)
لعمرك ما جرت عليهم رماحهم
دم ابن نهيك او قتيل المثلّم(٤١)
ولا شاركت فى الموت فى دم نوفل
ولا وهب منهم ولا ابن المخزم(٤٢)
فكلا أراهم أصبحوا يعقلونه
صحيحات مال طالعات بمخرم(٤٣)

(٤٠) قضيت الشىء أحكمته وأتممته اصدر ضد اورد . واستوبل الشىء وجده وبيلا . واستوخمه وجده وخيما . يقول فأحكموا وتمموا منايا بينهم اى قتل كل واحد من الحيين صنفاً من الآخر فكأنهم تمموا منايا قتلاهم ثم أصدروا ابلهم الى كلأ وبيل وخيم . اى اقلعوا عن القتال واشتغلوا بالاستعداد له ثانياً كما تصدر الابل فترعى الى ان تورد ثانياً . ثم أضرب عن هذا الكلام ودعا الى مدح الذين يعقلون القتلى ويدونها (٤١) يقول لعمرك ان رماحهم لم تجن عليهم دماء هؤلاء المسمين (٤٢) اى ولا شاركت رماحهم فى قتل نوفل ولا وهب ولا ابن المخزم (٤٣) عقل القتيل ادى ديته . وطلع الثنية واطّلعها علاها . والمخرم منقطع انف الجبل والطريق فيه .

لحي حِلال يعصم الناس امرهم
اذا طرقت احدى الليالي بمعظم (٤٤)
كرام فلاذو الضغن يدرك تبله
ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم (٤٥)
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبالك يسأم (٤٦)
واعلم ما في اليوم والامس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عَم (٤٧)

يقول وكل واحد من القتلى أرى العاقلين يعقلونه بصحيحات ابل تعلو في طرق الجبال عند سوقها الى أولياء المقتولين (٤٤) حِلال جمع -ال • يعصم يمنع المجيء • والطروق ليلا واعظم الامر اى صار الى حال العظم اى هم يعقلون القتلى لاجل حي نازلين يعصم امرهم جيرانهم وحلفاءهم اذا اتت احدى الليالي بأمر فظيع • اى اذا نابتهم نائبة عصموهم ومنعوهم (٤٥) الضغن الضغينة • والتبل الحقد والجارم الجاني يقول لحي كرام لايدرك ذو الوتر وتره عندهم ولا يقدر على الانتقام منهم من ظلموه بل يخذلونه بنصره (٤٦) يقول انه مل مشاق الحياة وشدائدها ومن عاش ثمانين سنة ملها لامحالة (٤٧) يقول قد يحيط علمي بما مضى وما حضر ولكني عَمِيّ القلب عن الاحاطة بما هو

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطئ يعمَّر فيهرم (٤٨)
ومن لم يصانع في امور كثيرة
يضرَّس بأنياب ويوطأ بمنسم (٤٩)
ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يَفِره ومن لم يتق الشتم يشتم (٥٠)

منتظر ومتوقع (٤٨) الخبط الضرب باليد والعشواء تأنيث الاعشى اى التي لا تبصر ليلا ويقال في المثل خابط عشواء اى راكب رأسه في الضلالة كالناقة التي لا تبصر ليلا فتخبط بيديها على عمى. يقول رأيت المنايا تصيب الناس على غير نسق وترتيب كما ان هذه الناقة تطأ على غير بصيرة. وقد أخطأ زهير في هذا فان لكل أجل كتابا ثم قال من اصابته المنايا اهلكته ومن أخطأته أبقته فعمر (٤٩) يقول من لم يدار الناس في كثير من الامور قهروه وأذلوه وربما قتلوه كالذي يضرَّس بالناب ويوطأ بالمنسم والتضريس العض على الشيء بالضرس والمنسم للبعير بمنزلة السنبك للفرس (٥٠) يقول ومن يجعل معروفه ما نعاذم الرجال لعرضه وجعل احسانه واقياً له وفر مكارمه ومن لا يتقي شتم الناس اياه شتموه

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه ويذمم (٥١)
ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه
الى مطمئن البر لا يتجمجم (٥٢)
ومن هاب اسباب المنايا ينلنه
وان يرق أسباب السماء بسلم (٥٣)
ومن يجعل المعروف فى غير أهله
يكن حمده ذما عليه ويندم (٥٤)
ومن يعص اطراف الزجاج فانه
يطيع العوالى ركبت كل لهذم (٥٥)

يريد أن من بذل معروفه صان عرضه ومن يبخل بمعروفه عرض عرضه للذم والشتم . يقال وفرت الشىء اوفره وفرا اكثرته ووفرته فوفر وفورا (٥١) يقول ومن يك ذا مال فيبخل على قومه به استغنوا عنه وذموه (٥٢) يقول ومن أوفى بعهده لم يلحقه ذم ومن يهد قلبه الى بر لا يتردد فى ايتائه (٥٣) يقول من خاف أسباب المنايا نالته ولو رام الصعود الى السماء فرارا (٥٤) يقول ومن وضع نعمة فى غير أهلها ذم ولم يحمد فندم (٥٥) الزجاج جمع زج وهو حديدة الرمح المركبة فى اسفله واللهذم السنان الطويل . يقول ومن عصى اطراف الزجاج اطاع عوالى الرماح وهى ضد سافلاتها التى

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم (٥٦)
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم (٥٧)
ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم (٥٨)
وكائن ترى من صامت لك معجب
زيادته او نقصه فى التكلم (٥٩)
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم (٦٠)

ركبت كل سنان طويل (٥٦) يذد اى يردع يقول ومن لم يردع أعداءه عن حوضه بسلاحه هدم حوضه ومن كف عن ظلم الناس ظلموه (٥٧) يقول ومن اغترب حسب أعداءه أصدقاءه لانه يجربهم فتنفعه التجارب على ضمائر صدورهم وما لا يكرم نفسه لا يكرمه الناس (٥٨) يقول ومهما كان للانسان من خلق فأخفاه اطلع عليه الناس (٥٩) وكائن اى وكم يقول وكم صامت يعجبك صمته فتستحسنه وانما تظهر زيادته أو نقصانه عند تكلمه (٦٠) هذا كقول العرب المرء بأصغريه قلبه ولسانه

وان سفاه الشيخ لاحلم بعده
وان الفتى بعد السفاهة يحلم (٦١)
سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم
ومن اكثر التسآل يوما سيحرم (٦٢)

(٦١) يقول اذا كان الشيخ سفيها لم يرج حلمه لانه لاحال بعد الشيب الا الموت والفتى وان كان نزقا سفيها أكسبه شيبه حلما ووقارا (٦٢) تقول سألناكم رفدكم ومعروفكم فجدتم بهما فعدنا الى السؤال وعدتم الى النوال ومن أكثر السؤال حرم يوما لامحالة

* * *

(معلقة اعشى بكر) المعلقات المشهورة سبع هي لامرىء القيس وزهير ابن ابى سلمى والحرث بن حلزة وطرفة ابن العبد ولبيد وعمرو بن كلثوم وعنترة ولكن بعض الرواة نسب للنابغة الذبيانى والاعشى معلقتين فنرى اتماما للفائدة أن نأتى على معلقة الاعشى هنا لاننا لم نثبتها فى ترجمته فى مادة (عشو) . أما معلقات النابغة وعنترة ولبيد وعمرو بن كلثوم فنأتى عليها عند ترجمتهم

قال الاعشى :

مابكاء الكبير بالاطلال
وسؤالى وما ترد سؤالى
دمنة قفرة تعاورها الصيـ
ـف بريحين من صبا وشمال (١)
لاتأنى ذكرى جبيرة أم من
جاء منها بطائف الاهوال (٢)
حل أهلى وسط الغميس فبادو
لى وحلت علوية بالسخال (٣)
ترتعى السفح فالكثيب فذى قا
ر فروض القطى فذات الرئال (٤)
رب خرق من دونها يخرس السفـ
ـر وميل يفضى الى اميال (٥)
وسقاء يوكى على تأق الملـ
ـء وسير ومستقى اوشال (٦)
وأدلاج بعد الهدو وتهجيـ
ـر وقف وسبسب ورمال (٧)

(١) الدمنة آثار الدار . تعاورها الصيف تداولها (٢) تأنى تحين . جبيرة اسم امرأة . ويروى قبيلة (٣) الغميس فبادولى والسخال أسماء مواضع منسوبة الى العالية بأعلى نجد (٤) كل هذه أسماء مواضع (٥) الخرق الفلاة الواسعه تخرق فيها الريح . يخرس يعجم . الميل الطريق يفضى يخرج (٦) يوكى يربط . التأق الامتلاء والاوشال الماء القليل (٧) الادلاج سير آخر الليل بعد الهدو وهو النوم والادلاج

وقليب آجن كأن من الري
ش بأرجائه سقوط النصال (٨)
فلئن شط فى المزار فقد أضـ
ـحى قليل الهموم ناعم بال (٩)
اذهى الهم والحديث واذ تـ
ـعى الىّ الامير ذو الاقوال
ظبية من ظباء وجرة ادما
ء تسفّ الكباث تحت الهدال (١٠)
حرة طفلة الانامل ترتـ
ـبّ سخاما تكتفه بخلال (١١)
وكأن السموط عاكفة السلـ
ـك بمطفى وشاح أم غزال (١٢)
وكأن الخمر العتيق من الاسفنـ
ـط ممزوجة بماء زلال (١٣)
باكرتها الأغراب فى سنة النو
م فتجرى خلال شوك السيال (١٤)
اذهبى ما اليك أدركنى الحلـ
ـم عدانى من هيجكم اشغالى (١٥)
وعسير أدماء حادرة العيـ
ـن خنوف عيرانة شملال (١٦)
من سراة الهجان صلبها العـ
ـض ورعى الحمى وطول الحيال (١٧)
لم تعطف على حوار ولم يقـ
ـطع عبيد عروقها من خمال (١٨)

سير أوله . والتهجير السير فى نصف النهار . وقف الارض الغليظ منها فى ارتفاع . والسبسب الواسع منها (٨) القليب البئر الآجن المتغير ، يقول كأن الريش الصغار على جوانب الماء نصال سقطن من السهام (٩) شط بعد (١٠) الظبية الادماء اى البيضاء الخالصة البياض . تسف الكباث تأكله وهو النضيج من ثمر الأراك . الهدال ما انعطف من الشجر . (١١) حرة كريمة . طفلة الانامل لينتها . والسخام الاسود يعنى شعر قصتها . تكفه يعنى تفتله وتمسكه بخلال (١٢) السموط القلائد (١٣) الاسفنط من الخمر ما لم يعصر وترك يسيل سيلا (١٤) الاغراب هنا اقداح الخمر والسيال شجر له شوك (١٥) هيجكم أى إهاجتكم . وعدانى أى صرفنى (١٦) العير التى لم ترض . ادماء بيضاء . حادرة غليظة . خنوف تضرب برأسها من النشاط . عيرانة مشبهة بحمار الوحش . شملال خفيفة (١٧) سراة خيار . الهجان الابل البيض . والحيال الاقامة خيالية من اللقاح . والعض نوى التمر (١٨) الحوار ولد الناقة . وعبيد رجل عارف بدواء الابل . والخمال داء يصيب الابل فى

قد تعللتها على نكظ المي
طوقدخب لامعات الآل (١٩)
فوق ديمومة تخيل للسف
رفنارا الامن الآجال (٢٠)
واذاما الظلال خيفت وكان الشر
ب خمسا يرجونه عن ليال (٢١)
واستحث المغيرون من الرك
ب وكان النطاف مافى العزالى (٢٢)
مرحت حرة كقنطرة الرو
مى تفرى الهجير بالارقال (٢٣)

اكتافها فتطلع منه (١٩) تعللتها أخذت علالتها وهى النشاط . النكظ الشدة . الميط البعد . خب بمعنى ارتفع . الآل هو فى أول النهار بمنزلة السراب فى آخره (٢٠) الديمومة المفازة تخيل للسفر من وحشتها اى نكثر الخيالات . والسفر جمع مسافر (٢١) يقول من شدة الخوف اذا رأى الانسان ظل شخصه خاف منه يظنه انسانا . والشرب خمسا الذى يوردابله بعد خمس ليال (٢٢) استحث اسرع . والمغير الذى اذا ضعف بعيره ركب آخر النطاف الماء . والعزالى جمع عزلاء ، وهى مصب الماء من المزادة . (٢٣) مرحت أى نشطت حرة كريمة . القنطرة الجسر . الرومى اى

تقطع الامعز المكوكب وخدا
بنواج سريعة الايغال (٢٤)
عنتريس تعدو اذا حرك السو
ط كعدو المصاصيل الجوال (٢٥)
لاحه الصيف والطراد واشفا
ق على صعدة كقوس الضال (٢٦)
ملمع واله الفؤاد الى جح
ش فلاه عنها فبئس الفالى (٢٧)
ذو أذاة على الخليط خبيث النف
س يرمى عدوه بالنسال (٢٨)
غادر الوحش فى القفار وعادا
ها حثيثا لصوة الاوحال (٢٩)

كبناء الرومي لقوة بنائهم . الارقال نوع من السير (٢٤) الأمعز الارض التى فيها حصى وحجارة . المكوكب الذى تلمع حجارته . النواجي قوائمها (٢٥) العنتريس كثيرة اللحم شديدته . المصلصل الحمار رفيع الصوت . الجوال الكثير الجولان (٢٦) لاحه الصيف اى اضمره والطراد المطاردة صعدة أى قناة . الضال السدر البرى (٢٧) الملمع بذنبها اذا رفعته للفحل لتريه انها لاقح . والهحزينة . فلاه فطمه والفالى الفاطم (٢٨) أذاة أذى . الخليط المخالط . يقول من شدة جريه يجافى حوافره وينسل (٢٩)

ذاك شبهت ناقتي عن يمين الر
عن بعد الكلال والاعمال (٣٠)
وتراها تشكو الىّ وقد صار
رت طليحاً تحذى صدور النعال (٣١)
نقِب اُلخف للسُّرى فترى الا
ساع من حل ساعة وارتحال (٣٢)
أثرت في جآجيء كإران ال
بيت عولين فوق عوج رسال (٣٣)
لا تشكّى الىّ من ألم النـ
م ولا من حفىً ولا من كلال (٣٤)
لاتشكى الىّ وانتجعي الاسـ
ود أهل الندى وأهل الفعال (٣٥)

عاداها عدا عليها . حثيثا سريعا . الصوة العلم الادحال جمع دحل وهو خرق بكون فيه الماء يضيق أعلاه ويتسع أسفله (٣٠) الرعن أنف الجبل . والكلال الاعياء . والاعمال شدة السير (٣١) الطليح المضنى تحذى صدور النعال اى تنبهها من هزالها (٣٢) نقب الخف تنفط للسرى اى من أجل السرى (٣٣) الجآجيء جمع جؤجؤ وهو عظام الصدر . والاران النعش عولين أى جعل بعضها فوق بعض . رسال اى مترسلة (٣٤) لاتشكى أي لا تشتكى (٣٥) انتجعي اى اقتصدى

غزير الندى شديد المحال (٣٦)
عنده البر والتقي وأسى الشـ
ق وحمل للمضلعات الثقال (٣٧)
وصلات الارحام قد علم النا
س وفك الاسرى من الاغلال (٣٨)
وهوانُ النفس الكريمة للذكـ
ر اذا ما التقت صدور العوالى (٣٩)
أنت خير من ألف ألف من القو
م اذا ما كبت وجوه الرجال (٤٠)
جرب تمـ
ت حبل وصلها بحبال (٤١)
وعطاء اذا سئلت اذ العيذ
رة كانت عطية البُخال (٤٢)

(٣٦) الفرع أعلى الشيء . النبع نوع من الشجر (٣٧) أسى الشق التئامه ومنه أطلق الآسى على الطبيب (٣٨) صلات الارحام اتصالها . الاغلال جمع غُل وهو قيد العنق (٣٩) الهوان الاهانة . العوالى المراد بها الرماح (٤٠) كبت سقطت وتغيرت أى انت خير الناس اذا ما تغيرت وجوه الرجال من المخازى . اى انك سليم من مخازى الناس (٤١) غرت اى خدعت . والحبال العهود (٤٢) العيذرة الاسم من الاعتذار . البخال

أريحى صلت تظل له القو
م ركودا قيامهم للهلال (٤٣)
ان يعاقب يكن غراما وان يعـ
ـط جزيلا فانه لا يبالى (٤٤)
يهب الجلة الجراجر كالبسـ
ـتان تحنو لدردق اطفال (٤٥)
والبغايا يركضن اكسية الاضـ
ـريح والشرعبى ذى الاذيال (٤٦)
والمكاكيك والصحاف من الفضـ
ـة والضامرات تحت الرحال (٤٧)
ودروعا من نسج داود فى الحر
ب وسوقا يحملن فوق الجمال (٤٨)

مبالغة فى البخيل (٤٣) الاريحى الذى يرتاح للندى صلت اى قاطع (٤٤) الغرام الموجع الاليم (٤٥) الجلة جمع جليل . والجراجر جمع جرجور وهى مائة من الابل تحنو تعطف . دردق اطفال أولاد الابل (٤٦) البغايا الجوارى جمع بغى . الاضريح اكسية تتخذ من المرعزى وهو صوف ابيض والشرعبى نوع من البرود منسوب لشرعب بلد باليمن (٤٧) المكاكيك آنية الخمر . والضامر الساكت لا يرغو وذلك يحمد فى الابل (٤٨) الوسوق الاحمال

مشعرات مع الرماد من الكر
ة دون الندى ودون الطلال (٤٩)
لم ينشزن للصديق ولكن
لقتال العدو يوم القتال (٥٠)
كل يوم يسوق خيلا الى خيـ
ـل دراكا غداة غب الصيال (٥١)
لا مرئ يجمع الاديب لريب الد
هر لا مسنداً ولا زمّال (٥٢)
هو دان الربابَ اذ كرهوا الد
ين دراكا بغزوة واحتيال (٥٣)
فخمة يرجع المضاف اليها
ورعال موصولة برعال (٥٤)
تخرج الشيخ عن بنيه وتُلوى
بسوام المعزابة المحلال (٥٥)

(٤٩) مشعرات اى ملبسات الكرة البعر الطلال جمع طل (٥٠) لم ينشز للصديق أى لم يستوفز له (٥١) دراكا متتابعة . والصيال الاسم من صال . غب الصيال اى يوما يصول ويوما لا (٥٢) المسند الذى يسند الامر الى غيره . والزمال الضعيف (٥٣) دان اخضع . الرباب خمس قبائل معروفة (٥٤) رعال قطعة من الخيل (٥٥) تلوى تذهب . يقال ألوت به عنقاء مغرب أى اهلكته . والسوام المال والمعزابة الذى

ثم دانت بعدُ الركابُ وكانت
كعذاب عقوبة الاقوال (٥٦)
عن يمين وطول حبس وتجميـ
ع شتات ورحلة واحتمال (٥٧)
من نواصى دودانَ اذ حضر البأ
س وذبيان والهجان العوالى (٥٨)
ثم واصلت غزوة بربيع
حين صرفت حاله من حالى
رب رفد هرقته ذلك اليو
مَ واسرَى من معشر ضلال (٥٩)
وشبوخ حربى بشطى أريك
ونساء كأنهن السعالى (٦٠)

يعزب بابله فى المرعى (٥٦) دانت ذلت. الاقوال جمع قَيل وهم الملوك (٥٧) قوله عن يمين وطول حبس وتجميع شتات الخ يعنى ان فعله هذا عن قدرة وطول حبس يريد ان ذلك كان مرابطة للقتال (٥٨) نواصى خيار. دودان وذبيان قبيلتان من غطفان وهما من قيس عيلان (٥٩) الرفد القدح الذى يحلب فيه. ضلال جمع ضال ويروى من معشر اقتال والاقتال الاعداء (٦٠) حربى جمع حريب وهو المأخوذ ماله والشط الجانب. واريك اسم واد

وشريكين فى كثير من الما
ل وكانا محالفى اقلال (٦١)
قسما التالد الطريف من الغنـ
م فآبا كلاهما ذو مال
رب حى سقيتهم جرع المو
ت وحى سقيتهم بسجال
ولقد شنت الحروب فما غُمَّـ
ـرت فيها اذ قلصت عن حيال (٦٢)
هؤلاء ثم هؤلائك أعطيـ
ـت نعالا محذوة بمثال
وأرى من عصاك أصبح محرو
با وكعب الذى يطيعك عال
ويمثل الذى جمعت من العُد
ة تبغى حكومة الجهال
جندك التالد الطريف من الغا
رات اهل الهبات والآكال (٦٣)
غير ميل ولا عواوير فى الهيـ
ـجا ولا عزل ولا اكفال (٦٤)
للعدى عندك البراز ومن وا
ليت لم يُعثر عقده باغتيال

(٦١) محالفى اى ملازمى (٦٢) غمرت نسبت الى الغمارة وهى ضعف الرأى (٦٣) الآكال جمع أكل وهو الحظ. والطارف ما كسبته من مال. والتالد ماورثته (٦٤) ميل جمع

لن يزالوا كذلكم ثم لازا
ت لهم خالدا خلود الجبال
فلئن لاح فى المفارق شيب
يال بكر وانكرتنى الفوالى(٦٥)
فلقد كنت فى الشباب أبارى
حين اعدومع الطماح ظلالى(٦٦)
أبغض الخائن الكذوب وأدنى
وصل حبل العميثل الوصال(٦٧)
ولقد استبى الفتاة فتعصى
كل واش يريد صرم حبالى
لم تكن قبل ذاك تلهو بغيرى
لاولا لهوها حديث الرجال
ثم اذهلت عقلها ربما يذ
هل عقل الفتاة شبه الهلال
ولقد اغتدى اذا صقع الدي
ك بمهر مشذب جوّال (٦٨)

أميل وهو الذى لاسلاح معه . والا كفال الذين لايثبتون على الخيل (٦٥) الفوالى جمع فالية وهى التى تفلى الرأس . (٦٦) ابارى اعارض والطماح النشاط (٦٧) العميثل الذى يطيل ثيابه فى مشيته والوصال كثير المواصلة . ويقال العميثل الفرس الجوادوالاسد (٦٨) صقع صاح . مشذب ضامر

اعوجى تنميه عوذ صفايا
ومع العوذ قلة الاغفال (٦٩)
مدمج سابغ الضلوع طويل الشخ
ص عبل الشوى ممر الاعالى(٧٠)
وقيامى عليه غير مضيع
قائما بالغدو والآصال
فجلا الصونَ والمضاميرعن سِيـ
ـد مجرى بين صفصف ورمال(٧١)
يملأ العين هاديا ومَقودا
ومعرى وصافنا فى الجلال
فعدونا بمهرنا اذ غدونا
قارنيه ببازل ذيال (٧٢)
مستخفا على القياد دفيفا
ثم حسنا فصار كالتمثال
فاذا نحن بالوحوش تراعى
صوت غيث مجلجل هطال
فحملنا غلامنا ثم قلنا
هاجر الصوت غير أمر احتيال

(٦٩) العوذ حديثات النتاج (٧٠) مدمج محكم . سابغ طويل . عبل غليظ . ممر محكم . (٧١) الصون الصيانة. والمضامير الضمر بكثرة الجرى . والسيد الذئب . والصفصف الارض المستوية الصلبة . (٧٢) البازل البعير المسن . ذيال طويل

فجرى بالفلام شبه حريق
فى يبيس تذروه ريح الشمال
بين عير وملمح ونحوض
ونعام يردن حول الرئال
لم يكن غير لمحة الطرف حتى
كب نسعا يعتامها كالمغالى
وظليمين ثم ابهت بالمهـ
ـر أنادى فداك عمى وخالى (٧٣)
وظللنا مابين شأو وذى قد
ر وساق ومسمع محفال
فى شباب يسقون من ماء كرم
عاقدين البرود فوق العوالى
ذاك عيش شهدته ثم ولى
كل عيش مصيره للزوال

الذيل (٧٣) الظليم ذكر النعام . ابهت صحت

﴿ عاقم ﴾ الشيء صار مرا . و (العلقم) الحنظل وكل شيء مر

﴿ العلقمى ﴾ هو محمد بن محمد بن على ابو طالب الوزير مؤيد الدين بن العلقمى البغدادى وزير المستعصم آخر خلفاء العباسيين

ولى الوزارة اربع عشرة مرة وكان وزيرا كافيا خبيرا بتدبير الملك ولم يزل ناصحاً لاصحابه ومولاه حتى وقع بينه وبين الدوادار عداء لانه كان متغاليا فى نصرة السنة وكان ابن العلقمى يميل لمذهب الرافضة . وعضد ابن الخليفة الدوادار تعضيدا احقد الوزير فأصر على الانتقام لبنى ملته من الخلافة العباسية وكان الدوادار قد أوغل فى تقصده حتى سلبه حقوق وظيفته فأصبح لاعمل له . فأنشأ ابن العلقمى فى ذلك شعراً :

وزير له من بأسه وانتقامه
بطى رقاع حشوها النظم والنثر
كما تسجع الورقاء وهى حمامة
وليس لها نهى يطاع ولا امر

ثم اخذ بكاتب التتار فى الاغارة على الخلافة العباسية حتى جرأ هولاكو ملكهم على ذلك فأغار عليها وملكها وفرد امورا ماكان يتوقعها ابن العلقمى فندم على مافعل وأنشأ فى ذلك شعراً لانه عومل بأنواع الاهانة

حكى انه كان جالسا بالديوان فدخل عليه بعض التتار ممن ليس له وجاهة راكبا فرسه فسار الى ان وقف بفرسه على بساط الوزير وخاطبه بما أراد وبال الفرس على البساط وأصاب الرشاش ثياب الوزير وهو

صابر لهذا الهوان يظهر قوة النفس وانه بلغ مراده

وقال له بعض أهل بغداد يامولانا أنت فعلت هذا جميعه حمية وحميت الشيعة. وقد قتل من الاشراف الفاطميين خلقا لا تحصى وارتكبت الفواحش مع نسائهم. فقال بعد أن قتل الدوادار ومن كان على رأيه لا مبالاة بذلك

ولم تطل مدته حتى مات غما وغيظا فى أوائل سنة (٦٥٧) ه

كان ابن العلقمى من بلغاء الكتاب بعث اليه الخليفة المستعصم يوما بأقلام فكتب اليه :

« قبل المملوك الارض شكراً للانعام عليه بأقلام قلمت أظفار الحدثان، وقامت له فى حرب الزمان مقام عوالى المران ، وأجنته ثمار الاوطار من أغصانها، وحازت له قصبات المفاخر بيوم رهانها ، فيالله كم عقد زمام فى عقدها ، وكم بحر سعادة اصبح جاريا من مدادها ومددها، وكم سنان خط استقام بمثقفاتها ، وصوارم فل مضاربها مطرر مرهفاتها

لم يبق لى امل الا وقد بلغت
نفسى اقاصيه برأبى وانعاما

لأفحمن بها والله يغدر لى
مصاعباً أعجزت من قبل بهراما

تعطى الاقاليم من لم يبد مسألة
له فلا عجب ان تعط اقلاما

وكان قد طالع المستعصم فى شخص من أمراء الجبل يعرف بابن شرف شاه وقال فى آخر كلامه . وهو مدبر . فوقع المستعصم له :

ولا تساعد ابدا مدبرا
وكن مع الله على المدبر

فكتب ابن العلقمى أبياتا فى الجواب منها :

يامالكا ارجو بجبى له
نيل المنى والفوز فى المحشر

أرشدتنى لازلت لى مرشدا
وهاديا من رأيك الانور

انبت لى بيت منى قلته
عن شرف من بيتك الاطهر

فضلك فضل ماله منكر
ليس لضوء الشمس من منكر

ان يجمع العالم فى واحد
ليس على الله بمستنكر

كان ابن العلقمى قد سمع الحديث واشتغل على أبى البقاء العكبرى

﴿عَلّ﴾ الرجل يعُل ويعِل علا وعللا وتعلّة شرب شربة ثانية أو شرب بعد الشرب تباعا

(عَلّ فلاناً) سقاه ثانية أو تباعا

و (عُل فلان) مرض

(علّل الشيء) بين علته وأثبته بالدليل. و(أعلّه) سقاه ثانية و (أعله الله) أصابه بعلة

(تعلّل الرجل) ابدى الحاجة وتمسك بها . و (اعتلّ الرجل) مرض. و(اعتلت الكلمة) كان بها حرف علة و (العُلالة) ما يتعلل به . و (العَلَل) الشرب الثانى و (العِلة) المرض أو الحادث الذى يشغل صاحبه عن أمره الاول

(حروف العلة) الالف والواو والياء

و (العلّية) الغرفة جمعها العَلاليّ

يقال: (هو من عِلّية قومه وعِلِّيتهم) أى من اشرافهم

(التعِلة) مايتعلل به من طعام وغيره

و (التعليل) تبيين علة الشيء

﴿الاعلال﴾ فى النحو هو تغيير حرف العلة بالقلب والتسكين أو الحذف بالاول كقلب حرف العلة فى نحو عجوز وقلادة وصحيفة همزة فى الجمع

والثانى كتسكين العين فى نحو يقوم ويبيع واللام فى نحو يدعى ويرمى لاستثقال الضمة والكسرة على الواو والياء والاصل كينصر ويضرب

والثالث كحذف فاء المثال فى نحو يعد ويزن ، وعِدْ وزِنْ

﴿عَلَمه﴾ يعلُمه ويعلِمه عَلْماً وسمه . وعَلَم شفته يعلِمها شقها . و عَلِمه يعلَمه عِلما تيقنه وعرف . وعَلِم يعلَم عَلَما انشقت شفته العليا فهو أعلم . وعلّمه العلم جعله يتعلمه وأعلمه الخبر اخبره به

(تعلّم الامرَ) اتقنه. و(تعلّمْ) اى اعْلَمْ. والعالَم الخلق كله. وكل صنف من صنوف الخلق جمعه عالَمون وعوالم . وعَلامَ اى على ما ؛ اى على أى شيء . والعَلاَمة السمة . والعلاّم والعلاّمة الكثير العلم . والعليم المتصف بالعلم . والعَيلَم البحر والبئر . والمَعْلَم ما يستدل به على الطريق من أثر جمعه معالم

﴿العلم﴾ كلمة العلم من أشيع الكلمات المستعملة قديما وحديثا وهى فى كل دور من أدوارها تطلق على ما يضاد

الجهل على الاطلاق وكثيراً ما لحق بها التخصيص فى أحوال معينة فصارت تعنى مايضاد الجهل بنوع محدود من المعارف فلنعتبر حال هذه الكلمة عند العرب مثلا فى حال جاهليتهم فقد كانت تطلق على ماينافى الجهل بمعارف الجاهليين المحدودة وكانت لا تتعدى الشعر والكهانة والقيافة والخطابة والانساب فلما ظهر الاسلام دن يراد من العلم ما ينافى الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة وهى الكتاب والسنة وأحبار الملاحم. ولما ازدادت معارف العرب صارت تطلق على ما ينافى الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة كالفقه والتفسير وشرح السنة والتاريخ وطبقات رواة الحديث والنحو ثم انتشرت العلوم الكونية فيهم وتشعبت المعلومات لديهم فصار يستعملها كل فريق فيما هو بسبيله فاتسع مدلولها اتساعا يناسب اتساع مجالات المعارف الجديدة

ولكنها اليوم تعنى فى اوروبا مجموع المعارف الانسانية المؤيدة بالدلائل الحسية وجملة النواميس التى اكتشفت لتعلل حوادث الطبيعة تعليلا مؤسسا على تلك النواميس الثابتة ولا تستعمل الا مفردة ومع هذا فقد تطلق علي مجموع معارف فى فرع خاص من المعارف الانسانية وفى هذه الحالة يلحقها التخصيص فيقال علم الكيمياء وعلم الفلك مثلا. وقد يعتريها الجمع فيقال العلوم الكونية والعلوم الرياضية

وقد كابد العلم تخصيصا معنويا فى هذه القرون المتأخرة فصار لا يطلق الا على المعارف التى تقع تحت أحكام المشاعر وتخضع لامتحانها فاذا قال قائل : العلم قرر ذلك ، خرج منه علم الدين، لأن مدار الدين على المسائل الاعتقادية ومعتمده التسليم بمقررات لا تخضع للامتحان والتجربة. ومن هذا نشأت مسألة المناقضة بين العلم والدين . فالعلم لا يعترف بمسألة الا اذا قبلها العقل وأيدها الحس وقبلت الخضوع لاسلوبه من الاختبار والتمحيص. ولكن الدين يفرض التسليم بأمور غيبية يسندها الى الوحى، ويعزوها الى الله تعالى أو يعلن سموها عن كل جدال

وقد اتخذ الماديون فى اوروبا هذا الامر سلاحا لمقاتلة الدينيين والنعى عليهم، فلم يجىء القرن التاسع عشر حتى كان أنصار الدين فى ضعف مطلق أمام خصومهم ، وظهرت المبادىء المادية ظهوراً لا مزيد عليه وتذرعوا بهذا السلاح لنكران الخالق

والروح والخلود لخروج هذه العقائد عن دائرة اختصاص العلم . ومازال الماديون ظاهرين على خصومهم حتى ظهرت المباحث الروحانية في سنة (١٨٤٦) بأمريكا اولا ثم انتقلت منها الى أوروبا وتناولها فيهما رجال العلم من كل المذاهب فثبت منها (بالاختبار والتجربة) وهما من مميزات العلم الطبيعي ان الحياة تقوم بغير المادة وان ما وراء هذه الطبيعة المحسوسة طبيعة روحانية أرقى منها سماها بعضهم عالم الارواح وتوقف بعضهم عن تسميتها فأصبح علم الدين في اوروبا الآن مؤسسا على نفس الاسس التي تأسس عليها العلم الطبيعي . ومرادنا بالدين الدين المطلق لا دينا خاصا فصارت العقائد الاولية العامة لجميع الاديان مثل الروح والخلود وعلم الملأ الأعلى مما يدخل في دائرة اختصاص العلم

نعم يوجد من رجال العلم في هذا العصر من ينكر على المئات بل الالوف من العلماء الذين قاموا بهذه المباحث ما وصلوا اليه من المعارف الروحانية الجديدة ولكن عدد هؤلاء المنكرين يقل يوما بعد يوم بما يقوم بين ايديهم من الادلة على صحة ما يذهب اليه خصومهم المثبتين

وقد تغيرت لهجة العلماء فبعد أن كان عليتهم في مقدمة القرن التاسع عشر يفخرون بأنهم ماديون لا يصدقون بشيء وما كان يجسر أحد بأن يلفظ أمامهم كلمة عن الروح والخلود والملأ الاعلى حتى يقابلوه بالازدراء والسخرية ، أصبح أفطاحلهم اليوم يخطبون في دور العلم الطبيعي لافتين نظر اخوانهم إلى الحقائق الجديدة . من ذلك خطبة بديعة خطبها العلامة الطبيعي الاشهر السير اوليفر لودج في مجمع من العلماء الانجليز وقد نقلتها مجلة المجلات الانجليزية في سنة (١٩١٥) وعربتها مجلة المقتطف في جزئها الصادر في فبراير من تلك السنة (١٩١٥) نقتطف منها ما يأتي ادلالا على تغير لهجة رجال العلم الطبيعي في اوروبا ودخول المباحث الروحية في دور علمي جديد وقبوله للامتحان والتمحيص على طريقة الفلسفة الحسية قال الاستاذ أوليفر لودج :

«وكان الناس اذا اطلع أحدهم على الحقائق الدينية اعتزل العالم وانزوى في صومعة يفكر فيما اطلع عليه لتزيد معرفته بالامور الروحية . الا ان القدماء أهملوا أمور الدنيا لان المدنية لم تكن قد تمكنت

أسبابها بعد ، وكانت الحروب كثيرة بين الناس وحبذا لو أمكنني أن أقول اننا فتنا طور الحروب . ومن الطبيعي لمن يريد التفكر في أمور الله أن يطلب السلام بابتعاده عن الناس ولكن ليس علينا اذا أردنا ذلك أن نعتزل الناس كما كان النساك يفعلون بل كل ما يطلب منا هو أن نفكر في الامور العظيمة مرة في الاسبوع أو مرة في اليوم وهذه الامور اما أن تكون موجودة على الدوام واما أن تكون غير موجودة على الاطلاق فان كانت غير موجودة على الاطلاق فنحن أتعس مما تظن

«ان ماهو صحيح في هذا العالم صحيح في غيره . ولا يبطله جهلنا له ولا يوجده قولنا به . أهل العلم يبحثون عن الحقائق ولا يحاولون خدع الآخرين . يظن البعض ان من العلماء من يقول بصحة ما يرغب فيه ولو كان غير صحيح . وهذا أمر يتنزه عنه العلماء فانهم لا يوجدون الحقائق بل يبحثون عنها حتى اذا وقفوا على شيء منها أطلعوا غيرهم عليه

« وقد يكون في الحضور من يعتقد ان الانسان أرفع الكائنات وليس في الكون أعلى منه وانه نشأ على هذا السيار أي الارض واذا مات اضمحل وان ليس في الوجود من يعنيه ولا من يفهم أسرار الكون أكثر منه وانه أرفع الكائنات طراً لانه أرقى ماوصل اليه النشوء على هذه البسيطة في هذا العصر

« مثل هذا الاعتقاد لا يليق بأهل هذا العصر بل يليق بأهل العصور الغابرة الذين كانوا يعدون الارض مركز الكون ويحسبون ان أرفع شيء فيها يجب أن يكون أرفع شيء في الكون كله وان الشمس والنجوم وكل ما في الكون انما هي من ملحقات الارض ولا أهمية لها فقد أبطل العلم هذه الاعتقادات وبين فساد القول بأن الانسان هو أرفع ما على هذه الارض فضلا عن القول بأنه أرفع ما في الكون . وقد عرف الآن ان في الكون أرض غير أرضنا هذه وقد يكون فيها ما يقابل الانسان من الكائنات ولكن أليس في الكون كائنات تختلف عنا ؟ وهل يجوز أن نعتقد ان كل كائن مدرك يجب أن يكون له جسم مادي مثل أجسامنا ؟ ان اعتقاداً مثل ذلك لا مسوغ له ولا قام دليل عليه

« قد أظهر العلم ما في الكون من الانتظام وان فيه عوالم كثيرة لا عالما واحداً . ولنا في الاجرام الفلكية مثال

على انه قد يكون فى الكون كائنات كثيرة عظيمة لاندرى بها اذ لو كان الهواء الجوي غير شفاف لما رأينا من الاجرام السماوية شيأ ولا علمنا بوجودها وليس احتجاب الاجرام الفلكية عن بصرنا أمراً يعز حدوثه فان الضباب والغيم يحجبانها عنه أوقاتا كثيرة ولكن اتفق لنا أن يكون فى امكاننا رؤية ماوراء الهواء فرأينا شيأ عن عظمة الكائنات وانها غير متناهية ولست سارداً عليكم ماعرف من الحقائق الفلكية ولكنكم تعرفونها وهى كثيرة غير محدودة. وان عتم لكم أن تقصر دون تصور حقيقة هذا الكون المؤلف من عالم وراء عالم وراء عالم الى مالا نهاية له وجميع هذه العوالم خاضعة لنواميس واحدة لان عناصر النجوم مثل عناصر الارض وخصائصها فى النجوم مثل خصائصها هنا . فهل الانسان هو سيد هذا الكون العظيم كله؟ ان الانسان حديث العهد بالوجود على الارض فما كان حال الكون قبل وجوده ؟ ليس الانسان سيد الكائنات بل هو درجة من الدرجات فى النشوء

« وما هو النشوء ؟ هو ارتقاء أو ظهور كظهور الزهرة من البرعم وظهور الشجرة من البلوطة . وكل شيء خاضع لنوع من النشوء و لارتقاء فترقى القوى الكامنة فيه وتظهر .وذلك يصح فى السيار الذى نحن عليه أى الارض فانها قد نشأت طبقا لنواميس النشوء العمومية التي يبحث فيها العلماء . وكل ما يثبتونه للارض صحيح. نبحث فى الاشياء المادية ونكتشف الا كتشافات فيها ولا نلبث أن نألف الاشياء المادية فيتصور بعضنا أن ليس فى الكون سواها وسبب ذلك هو اننا لا نبحث عن شيء آخر ولا اهتممنا به على أن عدم اهتمامنا لامر من الامور وعدم بحثنا عنه لا يترتب عليه انه معدوم

« ان الانسان لا يسود الكون ولا يفهم أسراره ولكنه يتمس فيه حقائق لمسا . وقد اكتشف حديثا الراديوم والارغون وأشعة رونتجن و بعض ضروب الكهربائية وقد بدأ اليوم يعرف شيئا عن بناء الجواهر الفردة وتظهر هذه الامور كأنها وجدت جديدا وهى غير جديدة بل كانت موجودة قبل أن نكتشفها ولو لم نكتشفها لكانت موجودة ايضا ونحن لا نعرفها وفى الطبيعة أيضا أمور كثيرة لم نكتشفها حتى الآن

« ولكن كم عمر العلم ؟ ليس عمره الا قرونا قليلة بل قرنا واحدا لأنه لم يتقدم تقدما يذكر الا فى القرن التاسع عشر . وقد عرفنا شيئا من حقائق الكون الا ان ماعرفنا ، جزء من كل فلا يجوز لنا أن ننفى وجود الكل. لنا أن نبحث عن الحقائق والموجود موجود سواء عرفنا وجوده أو لم نعرف واعتقادنا بوجود شى أو عدم وجوده لا يؤثر فى الكون ولكنه يؤثر فينا . نحن لا نعرف تركيب الجواهر الفردة ولكننا قد بدأنا نعرف شيئا عنه فكل جوهر يشبه النظام الشمسى فى تركيبه وله نواة تقابل الشمس والكترونات تدور حولها مثل السيارات حول الشمس وهذه الالكترونات خاضعة فى دورانها لنواميس مثل النواميس التى تخضع لها السيارات . وكل كواكب السماء تألف منها فى دوراتها منها الارض ولا نعلم كل النواميس الجارية عليها حتى الآن ولكننا سائرون فى السبيل الموصل الى ذلك

« ليس منكم الا من رأى النمل يخرج من قريته ويعود اليها ولا نعرف كثيراً عن أمور النمل فى ذهابه وايابه وأنا أظنه يدرك ما يعمله بعض الادراك وهو يدب بين أقدم الناس الذين مداركهم فوق مداركه بكثير . وماذا يعرف النمل عن اعتقادات الناس وآرائهم وأعمالهم ومداركهم ! ان لنا عبرة فى الحياة الدنيا مثل النمل تعيش بيننا ولا تعرف شيئا عنا ان حواسنا تعيننا على التوصل الى ادراك بعض الامور ولكنها قاصرة جداً ولذلك تقويها بذرائع عديدة كالتلسكوب والميكرسكوب . ورغما عن ذلك لا نعرف عن الكون الا القليل ولم يزل حولنا أمور كثيرة لا ندركها ولكننا ندرك بعضها عن غير طريق الحواس . ولنذكر فى هذا المقام اننا لسنا أجساما فقط بل كل منا مركب من عقل ووجدان وروح فضلا عن الجسم. يتصل الانسان بهذه الكائنات العليا المدركة ويناجيها بغير حواسه البدنية ويرتاح الى الاتصال بها أكثر مما يرتاح الى اتصاله بهذا العالم المادى الذى قضى عليه أن يعيش فيه الى حين

« كل العظام الذين قاموا كانوا يرتاحون الى مناجاة المدركات العليا أكثر مما يرتاحون الى الامور الدنيوية ولم يزل كثيرون منا يطلعون على شىء من أمور هذه المدركات العليا من وقت الى آخر

واذا عملنا على تقوية مداركنا وقوانا اطلعنا على أكثر من ذلك ومكننا الوحي من معرفة أمور لا ندركها بغيره. ان طرق البحث المادية ليست كل طرق البحث . ولم يزل الرجال العظام منذ قديم الزمان الى الآن يرون رؤى ويطلعون على حقائق وتظهر منهم بدائه يحاولون تدوينها لينتفع بها غيرهم . وبمثل ذلك يكون البحث عن بعض الحقائق وهو طريقة رجال الدين . ولا أقول اني سرت عليه أنا في بحثي اذ يظهر اني محروم من ذلك ولكني قد وصلت الى نتائج لا تختلف عن النتائج التي وصلوا اليها ببحثي على طرق علمية مألوفة

الى أن قال :

« من اعتقد اعتقاداً حقاً كان أقوى ممن اعتقد اعتقاداً باطلا بكثير لأن الحق يشتد ويقوى . ولذلك كان قوى الخير أقوى من قوى الشر ولسنا نحن الوسيلة الوحيدة التي يستعملها الله في هذا الكون بل له وسائل من مخلوقات غيرنا كما أشرت وعلينا أن نعمل في جانب قوى الخير ضد قوى الشر التي هي موجودة فعلا لأن المخلوقات أعطيت حرية الارادة فاستطاعت أن تختار الخير أو الشر . ويجب أن نشعر بمسؤليتنا في هذا الامر ونعلم ان لنا مزية هي ان مساعدتنا لا تنحصر لاجل ترويض نفوسنا فقط بل لأنه اذا ضعفنا فيها قد تسوء أمور العالم . فقد عرض الينا كثير من أمور هذه الارض فاذا لم نقم بها [illegible] . مثل ذلك الاعتناء بالجرحى فجريح الحرب الملقى في الطريق لا يشفى الا اذا أخذناه الى مستشفى وضمدت جراحه . ان هذا الامر وكل ما يشبهه وعلينا أن نقوم به . وليس الدماغ كل عدة رجال العلم كما يظن الذين يقولون ان العقل هو الدماغ لأنه اذا تلف دماغ الانسان ذهب عقله حسب الظاهر ولكن العقل لا يضمحل بل يظل موجوداً ولكن تتعطل آلته فلا يقدر أن يظهر

« وليس من العقل أن يقال ان النفس تضمحل اذا تلف الجسد بل سنظل موجودين بعد موتنا وان أعمارنا قصيرة على هذه الارض . أقول ذلك مستنداً الى أدلة علمية . أقوله لاني تحققت ان بعض أصدقائي الذين ماتوا لا يزالون موجودين اذ اني قد اجتمعت بهم ومناجاة الموتى ممكنة ولكن يجب أن يسار على نواميسها وأن نعرف شروطها وهي ليست من الامور الهينة . ولقد حدثت أصدقائي الموتى كما

احادث واحداً من الحضور وقد كانوا فى حياتهم من أهل العلم الذين برهنوا لى ببراهين قاطعة نشر بعضها وسينشر البعض الآخر فى حينه انهم هم أنفسهم كانوا يحادثوننى وانى لست واهما . ان ذلك حقيقة وانى مقتنع بصحته بكل ما فىّ من قوة الاقتناع . انى مقتنع بأننا لا نضمحل عند الموت وأن الموتى يهتمون بأمور هذا العالم ويساعدوننا ويعرفون أكثر مما نعرف بكثير ويقدرون على مناجاتنا أحيانا

«ان هذه النتيجة التى وصلت اليها عظيمة لا تعرفون أنتم ولا أعرف أنا مقدار عظمتها وتعلمون أن بين رجال العلم غيرى من يعتقد بذلك مثلى وان منهم كثيرون أيضا لا يعتقدون به . ومن رجال العلم كثيرون لم يبحثوا فى هذا الموضوع . وليس لكل أحد أن يبحث فى كل شيء ولكن من يقضى ثلاثين سنة او اربعين يبحث فى أمر من الأمور يحق له أن يبدى رأيه فى النتيجة التى وصل اليها . ولا بد لكم من أمثلة تختص بهذا الامر لكى تبحثوا فيها . ومثل هذه الامثلة كثير فى مجلدات الجمعية العلمية وسيزداد كثيرا . على أن هذه الامثلة يجب أن يهتم بالنظر فيها لأجل بناء الاحكام عليها وقد لا تتفق أحكامكم فى أول الامر مع آرائى التى أبديتها ولكنها ستتفق معها أخيراً بعد سنوات ولا بأس فى التمهل

« غير أن الباحثين الذين اهتموا بهذا الامر مدة سنين قد اتفقوا الآن على أن الأدلة عليه تكاد تكون قاطعة وأنا لا أشك فى أن الموتى يناجوننا مع انى قضيت سنين كثيرة أحاول تعليل ما ينسب الى مناجاة الأرواح بعلل أخرى . ولكنى رأيت فساد تعاليلى الواحد بعد الآخر وليس لى طريقة الآن أعلل بها ما ينسب الى مناجاة الارواح غير القول بأن الارواح موجودة فعلا وتناجينا غير انى لا أقول أن الميت يكون موجوداً كل مرة يقال انه ناجى فيها وعلى الباحث أن يكون يقظا يستعمل كل ما لديه من طرق التمحيص ولا يترك فرصة للبحث تسنح له لأن هذه الفرص نادرة جداً . وحقيقة البقاء بعد الموت قد ثبتت بالطرق العلمية وهى مساعد يساعدنا على ادراك الاتصال بين جميع حالات الوجود وذلك ما يبعثنى على القول ان الانسان ليس منفرداً بل تحيط به مدركات أخرى

واذا عرفتم ان فوق الانسان مدركا يفوقه هان عليكم أن تتصوروا درجات اخرى من المدركات أرق فأرق الى أن تصلوا الى المدرك الاعلى نفسه أى الى الله

«وعالم هذه المدركات ليس عالما غريبا عن عالمنا فان الكون واحد. ان مداركنا ونحن هنا على الارض محدودة فلا نرى كثيراً من الامور التي تجرى ولكن تحيط بنا كائنات تعمل معا وتساعدنا وقد عرفها قليل من الناس بعض المعرفة من الرؤى التي رأوها. وعندى ان كل ماتقول به الاديان من ان الملائكة والقديسين معنا وان الله نفسه يساعدنا صحيح على وجهه من غير تأويل» انتهى

نقول اننا لم ننشر هذه الخطبة برمتها الا لنبين للقراء مقدار التعديل الذى دخل على مذهب الفلسفة العصرية والفرق الكبير بين لهجة علماء الطبيعة فى مقدمة القرن التاسع عشر وبين لهجتهم اليوم على النحو الذى أوردناه ولا نظن انه يمضى نصف قرن آخر حتى يعتدل مزاج العلم الطبيعى ويكون علماً آخذاً من كل من العالمين بحظ وافر كما هى حقيقة وظيفته

(تاريخ العلم) يختلط تاريخ العلم بتاريخ العقل الانسانى وتدرجه نحو الكمال ويبتدىء مع ظهور الانسان نفسه على سطح الارض. قال العلامة الفرنسى (كوندرسيه): «يولد الانسان متمتعاً بخاصة قبول الشعورات وملاحظة وتمييز البسائط المؤلفة منها؛ وحفظها ومعرفتها ومزج بعضها ببعض والمقارنة بين هذه الممتزجات؛ وأخذ ماهو مشترك بينها. والحاق علامات بكل منها ليتعرفها على أحسن وجه وليسهل تمييزه لممتزجات أخرى جديدة

«ولقد نمت فيه هذه الخاصة بنفس المؤثرات الخارجية عليه أى بوجود شعورات مركبة ثباتها فى تشابهها وفى نواميس تغيرها مستقل عنه كل الاستقلال. ثم ان هذه الخاصية فيه تزداد نمواً بالوسائط الصناعية التى يصل اليها الانسان بتلك الوسائل الاولية

شعورات الانسان يصحبها لذة وألم وللانسان فى مقابل ذلك خاصة تحويل هذه التأثيرات المؤقتة الى شعورات عند مواجهته أو تذكره لذات وآلام كائنات أخرى شاعرة. وبامتداد هذه الخاصة بخاصة تكوينه وتأليفه أفكاراً جديدة تتولد بينه

وبين أمثاله علاقات تؤدى الى حقوق وواجبات ناطت الطبيعة بها الشق الأيمن من سعادتنا، والجانب الأوجع من آلامنا »
انتهى

هذا غاية مايقال عن قبول الانسان للاجتماع وهو الدافع الاول لاكتناه العلوم والجرى وراء المعارف . فالعلوم نشأت عن الصنائع المفيدة . وهذه الصنائع ما كانت لتوجد لولا تضامن الاقوام الاولين فى حياتهم واستعانة بعضهم ببعض . وان العلاقات الاجتماعية ضرورية حتى لتكوين أبسط نظرية علمية

أول ماعرف من آثار العلم نشأ فى آسيا الغربية وهى آثار ضئيلة فى حقيقتها ولكنها كانت جرثومة العلم العظيم الشأن الذى بلغ نموه الآن فى اوربا . فنشأت أول نظريات علم الفلك فى بلاد الكلدانيين فقد كانوا يدرسونها هناك للعمل بها . فقد كان كهنة ذلك الشعب يعتقدون ان لسير الكواكب تأثيراً على الحياة الانسانية الارضية ولذلك كان اهتمامهم بدرس حركاتها وانقلاباتها عظيما جداً ليدركوا حوادث المستقبل من وراء ذلك

وقد نشأت صناعة البناء والملاحة عند الاقوام المحصورين فى الاراضى الجافة المحرقة المعرضين لجميع أنواع التقلبات الجوية والمجاورين للبحر مع جواذبه غير المتناهية فظهرت النظريات الاولية فى علم الهندسة والميكانيكا

وقد دفعت الحاجة الى الادوات والاسلحة للدفاع عن الذات لصناعة استخراج المعادن من باطن الارض

ولما ساح المؤرخ اليونانى هيرودوت فى مصر وجد أن المصريين يعرفون ان السنة الشمسية عدد أيامها ثلاثمائة وخمسة وستون

أما فى بلاد الآشوريين فكانوا يعرضون المرضى للمارة فى الطرقات ليدلهم من يكون قد أصيب بمثل دائهم على العلاج الذى شفى هو به . وكان المريض الذى يشفى من دائه يذهب الى هيكل اله الطب فيكتب داءه والعلاج الذى نال به الشفاء وقد رووا ان أبقراط استفاد علما جما من هذه الكتابات فى هيكل (كوس)

وقد روى المؤرخ (ديودردوسيسيل) ان المصريين القدماء كانوا يعرفون المقيئات والمسهلات وفوائد الحمية فى ازالة الامراض وكانوا يعرفون من تصبير الموتى مالا يعرفه

أحد الآن

وقد نقل المؤرخ القديم (هيرودوت) انه كان لدى المصريين طبيب خاص لكل نوع من أنواع الامراض

ليس لنا أن نكثر من امثال هذه الاقوال عن بدايات العلوم ويكفينا ان نقول ان العلم لم ينشأ إلا من الصنائع النافعة وان الحاجة كانت السائق الاكبر للانسان الى الجرى وراء المعلومات المختلفة

ثم ان الصنائع ذاتها لم تنشأ الا رويدا رويداً ولم تتكمل الا فى أدوار متعاقبة أدرك الانسان فى خلالها نقصها وحملته الحاجة الى تكميلها. وفى أثناء تطوراته هذه نشأت النظريات الاولية على موادوأدوات تلك الصنائع ومن هنا نشأت الجرثومة الاولية للعلم

ولا شبهة فى أن الحاجة للحساب وللملاحة وللسكنى نشأت منها العلوم الحسابية والميكانيكية والمندسية والحاجة لشفاء الامراض نتجت عنها النظريات الاولى لعلم الطب والمباحث السطحية لعلم التشريح . ثم أن البحث عن المعادن لاستخدامها لعمل الادوات والاسلحة أدى بلا مشاحة الى مبادىء علم الكيمياء

ولكن كانت فى بلاد الشرق عقبة من أكبر العقبات منعت العلم عن بلوغ غاية كماله فيه ؛ وهى أن العلم كان محتكراً لطبقة ممتازة من الامة لايحوم حول حياضه سواها فكانت هى المستأثرة بكل نور عرفانى والقائمة على كل نظرية فنية وكانت هذه الطائفة تكره أن ينتشر العلم بين الطبقات فكانت تحفظه كسر من الاسرار حتى لا يجوز الاطلاع عليها

ولقد كان الدين مستأثراً بالعلم فى الازمنة القديمة فكانت كل نظريات العلم وأصول الحكمة تنسب اليه . فحنكرها القائمون عليه وكسوها من مصطلحاتهم بحلة رمزية لاينفذ اليها فهم العامة. فكان ذلك من أكبر الحواجز أمام تقدم العلم لانه فى حاجة الى تضافر الفنون لاكتناه أسراره وتضامن المفكرين لدعم أصوله فنى حصر على هذه الصورة بين عدد محدود من الناس ذوى صبغة خاصة حرم من أخص عوامل ارتقائه فابث حيث هو لايتقدم الا على نسب محدودة وبمقتضيات قد لا تلائم المصلحة العامة

فلما نقل اليونان العلم عن المصريين كسروا عنه أصفاده الدينية وأشاعوه بين

الناس فدخل فى طور جديد وثنا ولته العقول بالبحث والتمحيص ولكنه ظل ملحقا بالدين الى أمد مديد

فى هذا العهد كانت المعارف الانسانية كلها مندمجا بعضها ببعض يطلق عليها اسم الفلسفة. فكان على العالم فى هذا الدور أن يحيط بكل المعارف الانسانية جملة لاعتقاد العلماء وهم الفلاسفة اذ ذاك ان الكل شيء واحد، وهذا من المدركات العالية الا ان قصور عقل الفرد عن ادراك الكل على درجة مرضية أصاب العقل بالقصور المطلق وأسر العقل الانسانى مدة طويلة

هذه الحال أوجبت على كبار الفلاسفة ان يقسموا العلم تقسيما يناسب المباحث المختلفة فكان هذا دور جديد للعلم خرج منه من أسر الحدود الاولى وارتقى على يد الاختصاصيين الى منصات عالية وحصل كل فرع منه على استقلال ذاتى كان له اكبر الآثار فى جملة المعارف الانسانية

فكابدت الفلسفة فى هذا الدور تجزأ فى دائرتها المعروفة فانقسمت الى علم النفس وعلم ماوراء الطبيعة وهذا العلم الاخير قد حاولت الفلسفة الحسية ان تحذفه من دائرة المباحث العلمية

ثم حدث حادث لم يسمع بمثله فى تاريخ المعارف الانسانية وهو التنازع بين العلم والفلسفة على نحو التنازع الذى كان بين الفلسفة والدين فاقتصر العلم على المباحث التجريبية المؤيدة بالمشاهدات والملاحظات الدقيقة وأخذ ينازع الفلسفة حقها فى السيطرة على العقول مبينا لها اخطاءها المعيبة وأساليبها الناقصة

العصر الذى كانت فيه الفلسفة هى مجموع المعارف البشرية كان على عهد الفيلسوفين (طاليس) *Talès* وفيثاغورس *Pythagore* وكانا قد نقلاها عن مصر وبابل

كان فيثاغورس هذا تلميذاً لطاليس وأنا كزيمانذر فترك بلاد اليونان ورحل الى بلاد آشورية ثم رحل منها الى مصر ولازم كهنتها سنين طويلة وأخذ عنهم أسرار الفلسفة وأصول العلم ثم عاد الى بلاد اليونان فرفع عن وجه الحقائق العرفانية كثيراً من الحجب التى أسدلتها عليها الوساوس الكهنوتية ودعم العلم على دعائم وان كانت قليلة المتانة الا انها أخرجته من حالته الطلسمية الى الباحات الجلية فعد فيثاغورس وطاليس مؤسسى العلم الذى

اثمر ونفع الانسانية ولا يزال ينفعها الى اليوم

فاتبع العلم خطة الترقى من ذلك العهد ولما حدث تقسيمه الى فروع كما قدمنا أخذ حظه من الرقى فكان هذا العهد الاخير عهد ظهور العلم الصحيح المجرد عن الاوهام والاهواء وهو الدور الذى ليس وراءه مرمى

وقد لاحظ العلامة جورج كافييه ان العلم دخل فى ثلاثة أدوار (اولها) كان العلم فيه دينياً محضاً فكان فيه سريا رمزيا محاطا بالرموز والمعميات وكان محتكرا فى يد عدد قليل من الناس يتوارثونه فى بيوتات معدودة. وقد بدأ هذا الدور وانتهى فى بلاد الشرق. و (الدور الثانى) كان فلسفيا ونشأ فى بلاد الغرب وكان العلم فيه منفصلا عن الدين ولكن كانت العلاقة بينهما أكيدة فلم يكن الا علم واحد وهو الفلسفة التى تحاول درس وحدة الاشياء. وكان الفلاسفة فى هذا الدور لا يحيطون المعلومات بالرموز الدينية بل كانوا يسمحون بها لكل من طلبها منهم. (الدور الثالث) كان دور انفصال الفلسفة عن العلم واستقلال كل منها بنفسه وترقيه فى دائرته الخاصة ترقياً سريعا مطرداً. فما علينا الآن الا أن نأتى على تاريخ ترقى العلوم المختلفة منفردة ليستطيع القارىء أن يتبع ادوار كل منها على حدة

يرجح أن العلوم الرياضية لم تترق على يد طاليس وفيثاغورس عما كانت عليه فى دور الكهنة الشرقيين. ولم يبدأ ارتقاؤها الا على عهد افلاطون حيث أخذت حظها من التقدم

وجاء انكزغورس فابدى رأيه فى الجواهر الفردة وهو الرأى الذى عاش الى القرن التاسع عشر

ونبغ دمقريت فأخذ يقرر بعض الاصول التشريحية أخذها من تركيب بعض الحيوانات التى كان يشرحها

ثم ظهر أبقراط أشهر طبيب فى الاقدمين فأخذ يتوسع فى درس تأثير الاحوال الخارجية على الانسان فبدأ به عهد علم قانون الصحة وارتأى وجوب درس احوال المرض درساً علمياً ولفظ تعليل الامراض بتأثير القوى الروحانية. وقد ترك لنا هذا الطبيب جملة صالحة من المعلومات على سير الامراض وعلى الاوعية والشرايين والعظام

فلما أتى ارسطو وهو الملقب بأمير

الفلسفة طبع استقلال العلوم المختلفة بطابع نهائي وبين ان لكل علم دائرة ذاتية ووسائل خاصة به ، يترقى بها ترقيا مطردا وقد وضع على كل منها تأليفا خاصاوقرر لكل منها قواعدلم يستطع الاخلاف ان ينقضوا منها شيئا . وقد أتى في كتاب تاريخ الحيوانات على ترتيب لها كان له شهرة قائمة في عصره . اما كتاباه في الطبيعة والحوادث الجوية فقد بقيامهلين عذبين لهذين العلمين لجميع علماء الارض . مدة الف سنه . وقدجرى على قاعدة التجارب العلمية بدون أن يعلم مبلغ قيمة التجربة في نظر العلم

وقدمضى زمن ارسطو وارخميدس الذي كان غاية عمل العلماء فيه ترقيتهاوقرراه والاستفادة من قواعدها وتعميق آرائهما ومع هذا فيجب اعتبار اقليدس مؤسسا لعلم الهندسة العصرية

اما العلوم الرياضية فقد حصلت على الحرية المطلقة من الاغلال الدينية منذ عهد بعيد ثم ارتقت رقيا جديدابخلاصها من اسر علم ما وراء الطبيعة الذي أوجبه عليها الفيلسوف فيثاغورس

فلما جاء ارخميدس كمل علم الهندسة والحساب وزاد عليهما علم الميكانيكا الذي صار مبدأ لعلم الطبيعة . اكتشف هذا العالم مساحة الكرةوالعلاقة الموجودة بين الكره والاسطوانة ، ونظرية مركز الثقل وثقل الاجسام المغمورةفي الماءوغير ذلك من الاصول الرياضية الهامة ويعزى اليه اختراع كثير من الآلات فاعتبر ارخميدس من العقول العالية التي تستحق الاجلال والاعظام

اما علم الفلك الصحيح فنشأ مع هيبارك الذي اكتشف حساب المثلثات وحدد عدم تساوى حركات الشمس والقمر وحسب المسافة التي تصل بينهما وبين الارض. وعمل جدولا بحركات السيارات الى سمائة سنة ورسم خريطة للنجوم وظهرجالينوس فرتب الاعمال التشريحية التي تمت على يدهيروفيل وايرازيسترات فحصل منها مجموعة علمية تعتبرغاية ما بلغه الاقدمون من علم البيولوجيا أى علم الحياة

ويعتبر كتاب الطبيب الاشهر دوبيرغام المدعو (دواوخوبارتيوم) أول كتاب في علم الفزيولوجيا أى علم وظائف الاعضاء على الاسلوب العلمي. وقد وضع هذا الطبيب أيضا مؤلفات جمة عظيمة القدر

في علم الطب

وقد وضع بلين تاريخا طبيعيا على مثال جالينوس وهو دائرة معارف حيوانية نباتية معدنية. وبلين هذا لم يكن عالما بالمعنى الرسمي لهذه الكلمة ولكنه كان عالما باللغة ومحبا للعلم وجامعا لشوارده

وقد قرر بطليموس نظرية ثبوت الارض ودوران الشمس والكواكب حولها واكتشف نظرية الحركات الظاهرية وفي هذا الوقت نفسه اكتشف ديوفانت علم الجبر وهو علم كان له أكبر النتائج على علم الفلك وسواه

(العلم في القرون الوسطى) هذه القرون هي فترة تبلغ الف سنة من القرن الرابع الى الخامس عشر هبط فيها العالم الاوربي في ظلام حالك من الجهل ونضوب المعارف والعناية درست عندهم معالم العلم ، وطمست منائره وأصبح الناس كما كانوا في عهد الجاهلية الاولى وذلك بالتأثير المزدوج لغلبة فلسفة أرسطو وسلطة العقائد الدينية فتنازل العلم عن وظيفته للتعصب الذي قام له رجال الدين هناك ، وكان من يتجرأ على التلفظ بكلمة علم أو نظرية جديدة يجازى بالقتل حرقا باسم مبتدع وقد عد من أحرق من العلماء العاملين والمؤلفين المفكرين في اوروبا لذلك العهد فبلغ نحو ثلاثمائة الف وخمسين الفا

فلما جاء القرن الخامس عشر كانت النفوس قد حققت أشد الحقد على رجال الكنيسة الذين اسرفوا في الانتصار لأصولهم فظهرت الحرونة الثابتة في جميع الممالك وشجع امراؤها على المجاهرة بعلومهم ونظرياتهم وسمي هذا الدور بدور نهضة الفكرية لأوروبا

وهذا الدور ضم (ليونارد دوفانسي) وكان فيلسوفا وعالما واستاذا في الفنون فاكتشف نظرية السطح المائل وتصادم الاجسام والاحتكاك. واخترع عددا لا يحصى من الآلات ورقى الآلات المائية الابصارية. وهو الذي اكتشف الخاصة الشعرية

ونبغ في هذا العصر العلماء فراكستور ومورولیکو وانتونيو ودومينيس وبورتا وغيرهم فكملوا الآلات الابصارية في ذلك العهد وقد انتهى دور هذه النهضة بالاعمال العظيمة التي قام بها فيزال وهارفي على البيولوجيا أي علم الحياة. فاما الدربة فيزال هذه فانه لم يأت بملاحظة جديدة ولكن له الفضل العظيم

فى ايجاز وترتيب المعارف السابقة فى علم التشريح الوصفى. والذى عزى اليه بالذات مكتشفات غاية فى القيمة فى الفزيولوجيا الميكانيكية . وأما غليوم هارفى فانه فضلا عن ايضاحيه كيفية الدورة الدموية سنة (١٦٢٨) بين ظواهر التولد الحيوانى

بعد عدة سنين من هذا العهد جاء (بيكيت) فاكتشف الاوعية الكيلوسية و (لوينهوك) الاوعية الشعرية ، و (ما لبيغى) الكريات الدموية ، و (استينون) المسالك البارو تيدية

وفى هذا العهد أكمل (غايسون) دراسة الكبد، و(وليس) المخ والاعصاب، و(وارتون) الغدد

وارتقى علم التشريح الوصفى ارتقاء عظيما فى مدى القرنين السادس عشر والسابع عشر وقد جاءت الاكتشافات الخالدة فى علم الفلك للعلماء (نيكوبراهيه) و (كورنيك) و (كبلر) فكانت أكبر ماعرف منها فى تاريخ العلم

وفى مقدمة القرن السابع عشر ظهرت حركة علمية كان لها تأثير كبير على ترقية العلوم الرياضية التجريبية تمت على أيدى غاليليه وديكارت ونيوتن . وقد أفاض المؤرخون فى ذلك العصر في أنواع التقدم الذى نالته العلوم بينما لم يترق فى الحقيقة الا علم الطبيعة. أما البيولوجيا (علم الحياة) والكيمياء فكانتا متأخرتين ومختلطتين فى كثير من مباحثهما بعلم الطبيعة. وقد أخطأوا فى قولهم إن ذلك الرقى الكبير والتقدم العظيم تم على يد (باكون) . نعم ان أسلوبه العملى يعتبر من الاعمال الجليلة ولكن كان قد سبقه اليه جم غفير من رجال العلم وان كان هو قد شهر هذا الاسلوب بفصاحته وبأعماله المتواصلة

فغاليليه يعتبر الموجد لعلم الطبيعة باكتشافه النظريات الاساسية للحركة والثقل باختراعه للترمومتر والميكروسكوب والمنظار الفلكى وباصلاحه لعلم الميكانيكا واليه ينسب اكتشافه الكلف الشمسى واثبات حركة دوران الارض ووجوه الزهرة واكتشافه توابع جوبتير . ولننبه هنا انه جميع هذه المباحث كانت متأثرة بروح علمية صادقة واخلاص حق للمذهب التجريبى ، وبدقة عظيمة فى الاستنتاجات

أما ديكارت فلم يجرب الا قليلا ولكنه يعتبر من مكونى علم الطبيعة

باكتشافه نواميس الانعكاس وبتعليله الظواهر الجوية وعلى الاخص بايجاده الهندسة التحليلية وهى الاداة الثمينة التى استخدمها العلم فى ترقيه نحو الحقائق الوجودية . وديكارت هذا رغما عن الاغلاط التفصيلية فى كتبه ولاوجه لمؤاخذته عليها يعتبر من الرجال الذين أحاطوا علما بكنه العقل والطبيعة معا . وهو رغما عما كان يحيط به من تعصب رجال الدين وعما كان يبديه من الاحتياط حتى لا يقع تحت غائلتهم استطاع ان يضع أقوى الاساس التى يقوم عليها بناء العلم الحاضر فانه القائل : (أعطنى مادة وحركة وانا ابنى لك الكون) فان من يقل مثل هذه الكلمة يكن بلاشك قد أدرك بعض سر الوجود

أما نيوتن فان أعماله جسيمة جداً فمنها اكتشافه لناموس الجاذبية العامة وكيفية تحليل الضوء واختراعه التلسكوب . فضلا عن أن علم الفلك مدين له بمعظم النظريات على القمر . أما فى علم الرياضة فقد أوجد التحليل الذى يشاركه فى الفخر به العلامة (لبنز) ويمتاز نيوتن بدقته فى الملاحظات واخلاصه للاسلوب التجريبى الصارم

هؤلاء الرجال الثلاثة غاليليه وديكارت ونيوتن قد يعتبرون أكبر رجال العلم أوجدهم الخالق ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور . ومن حسن الاتفاق انهم وجدوا فى عصر واحد فكانت مجهوداتهم المتكافلة من اكبر العوامل لتقرير الحقائق العلمية وطبع العلم بطابع التمحيص الذى لا يزال عليه الى اليوم . ولقد كان تأثيرهم من العظم بحيث تأثرت منه سائر العلوم فكان القرن السابع عشر بهم اكثر القرون بركة على جميع الفروع العلمية . يشهد بذلك من نبغ فى عصرهم من الرجال مثل باسكال وملريوت وروبيرفال وكمبى فى فرنسا ؛ وهويجانس وارنود وجيريك وغريغورى وهاليه فى هولاندة والمانيا وانجلترة ؛ وتورسيلى واقوديميا فلورنسا فى يطاليا ثم ان أصول انتقال الضغط على السوائل وثقل الهواء وناموس ضغط الغازات والتلسكوب والآلة الكهربائية والآلة المفرغة للهواء الى غير ذلك كلها من مكتشفات هذا العصر اى القرن السابع عشر

وقد امتاز القرن الثامن عشر بالرقى العظيم الذى نالته العلوم الرياضية بأعمال

(أولر)و(كلبرو)و(دالامبير)و(لاجرانج) و(لابلاس) فقد جاؤا بنتائج ابحاث عالية القدر وزادوا بها مذخور العلوم الفلكية والرياضية والميكانيكية

وفى هذا الوقت نفسه كان (فيك دزير) و(بوفون)و(كامبر) و (دونبتون) و (بالاّس) يدرسون تشريح المقارنة وعلم الحيوانات . وكان (هالر) يضع آساس البيولوجيا (علم الحياة) بأعماله العظيمة فى علم وظائف الاعضاء

هؤلاء الرجال العظماء كانوا بأعمالهم الجليلة طليعة لاقطاب العلم العصرى الذين ملأوا العالم بمباحثهم فى جميع المناحى العقلية وهم (كوفيه) و(جوفرواسانتيلير). فالاول أوجد الباليونتولوجيا اى علم الحفريات وترتيب الحيوانات والثانى اكتشف الفلسفة التشريحية

فلما جاء (درو) أحدث رقيا كبيرا فى المباحث النباتية فزاد فى المباحث التى بدأها (مانيول) و (ترنفور) واشتهر فيها ايضا (لينيه)و(جوسيو) الاول بأسلوبه الصناعى والثانى بأسلوبه الطبيعى

وقد جاءت أعمال (دينجنهوز) و (دروسيبيه) و (دوسوسور) على تنفس الحيوانات وارتباطه بالهواء والضوء من الاعمال التى أدخلت المعارف النباتية فى دور جديد

وقد كان القرن الثامن عشر قرن يمن وبركة لا على علم البيولوجيا فقط بل وعلى علم الكيمياء أيضا . فقد ولد كلاهما بعد أن بقيا قرونا طويلة فى حالة جنينية محضة ولم يرتق فيه علم الطبيعة الا فيما يختص بالكهرباء الاستاتيكية والكهرباء الجوية ونظريات الصوت بواسطة (دوفيه) و (دوفرانكلان) و (دوبيرنولى)

أما ترقيات الكيمياء فكانت على العكس عظيمة جدا فان الاخوين (روبل) و (مكير) و (ليميرى) و (شيل) و (بيرجمان) و (بريستليه) و (كافنديش) و(جيتون) و (فوركرو) يعتبرون كلهم طليعة لمقدم (لافوازيه) الكبير الذى يعتبر المؤسس الحقيقى لعلم الكيمياء . فان هذا العلامة حلل الهواء والماء الى عناصرهما البسيطة وحلل حدوث الاحتراق وعرف المواد التى تتكون منها أجساد الحيوانات والنباتات وكفى بهذه الاعمال فخامة وجلالة وآثارا عظيمة على العلم والصناعة . وقد ختم هذا القرن العظيم

يتجدد البيولوجيا على يد العلامة الكبير (اكسافييه بيشا) فانه بعد أن حلل الاعضاء والانسجة قرر أسلوبه الخطير الذي بين حدوده بقوله : « يجب تحليل خواص الاجسام الحية بدقة وبيان . ان كل ظاهرة فيزيولوجية تتعلق بآخر تحليل لهذه الخصائص فى حالتها الطبيعية . وان كل ظاهرة مرضية تأتى من زيادتها أو من نقصها اوفسادها ، وان كل ظاهرة علاجية ترتبط بعودتها الى الصورة الطبيعية التى شذت هى عنها وتعيين الاحوال التى تؤدى فيها كل منها وظيفتها وتمييزما يكون سببه احدهما أو الآخر تمييزا فزيولوجيا وطبيا »

اما القرن التاسع عشر فانه بمجرد سرد ما بلغه العلم فيه من الترقى يوجب الدهش نعم انه لم يولد فيه من العلوم الجديدة غير علم الاجتماع البشرى ولكن العلوم جميعها قد خطت فيه خطوات واسعة فى سبيل التقدم الباهر . وان ما اكتشف فيه من المساتير الطبيعية والكيماوية كان لها أكبر تأثير فى الصناعة فتقدمت تقدما لا يمكن تحديده بحد . وقد استفاد فيه الطب من المكتشفات التى تمت فى علم التشريح والفزيولوجيا فوائد لاتحصى .

وجاء (فولتا) و(جالفانى) فأخضعا للانسان من القوى الوجودية مالا نستطيع ادراك نتائجه الباهرة حالا واستقبالا باكتشافهما الكهرباء المولدة للحركة وباختراعهما العمود الكهربائى . وحدث ان تجارب (أورستيد) المختصة بالمغناطيس الكهربائى التى كملتها وأخصبتها تجارب (امبير) و(اراغو) كانت قاعدة لاختراع التلغراف الكهربائى و عتبر فيه (ستفنسون) موجداً للآلة البخارية بتحسينه للمركبة البخارية التى كان اخترعها (كونيو) قبله

وبعد سنين معدودة جاء (جاكوبى) و (الكنجتون) و . (رزيولز) فستخدموا ما أوجده (بيكريل) وتوصلوا الى الوسائل التى تمكنهم من وضع طبقات رقيقة جداً من المعادن الخاصة لصد ليح على الاجسام الاخرى بواسطة العمود الكهربائى

ولا يجوز ان ننسى علم التصوير الشمسى المؤسس على تغير لون بعض المواد الكيماوية بتأثير الضوء وهو العلم الذى لابد كر الابذكر مؤسسيه والعاملين لترقيه (نيسفورنيس) و (دوداجير) و (دوتالبوت)

هذا ما يختص بالمباحث المادية التى

تمت فى القرن التاسع عشر . أما ما نشأ فيه من المباحث النظرية فحدث عنه ولا حرج فان العلماء (مالوس) و (فرسنل) و (بيو) أوجدا جزءاً عظيما من نظريات الابصار ودرسوا أحوال الانعكاسات الضوئيـة ونظرية الايتـير . ودرس (اورستيد) و (امبير) و (اراغو) و (فاراديه) جهة من جهات القوى الكهربائية فاتحين لباحات جديدة للمغناطيس الكهربائى والكهرباء من وجهة الحركة

وأسس (مايبه) و (كلرذيوس) و (جول) و (هيرن) فرعا جـديداً من العلم باكتشافهم علم اسـتحالة الحركة الى حرارة . ولنضف الى هذه الاسماء (جى لوساك) و (دوربنيولت) اللذين أوجدا فى الطبيعة مباحث هامة جداً . وعلم الكيمياء مدين بمباحث عالية القدر للعلماء (برتلو) و (برزليوس) و (شفرول) و (دوماس) و (لوران) و (جيرهاردت) و (كيكولية) و (ورتز) فان هؤلاء أوجدوا بمباحثهم العالية فلسفة علم الكيمياء التى لم تكن منتظرة قبلهم وكانت سببا لاكتشافات جليلة فيها . نذكر منها الالوان الجميلة الكثيرة التى أمكن استخراجها من الفحم الحجرى والمواد العلية القـدر التى تستعمل فى الطب منها الكلوروفورم والكينين الخ ووسائل الصباغة

وقد جاء اكتشاف التحليل الطيفى فأبان لنا شيئا كثيرا من طبيعة الكواكب الموضوعة على بعد منا بملايين الفراسخ

وقد تقدمت المباحث البيولوجية يدى (بروسيه) و (بلينفيل) و (ماجندى) و (كلود برنار) و (روبان) بفرنسا و (موللر) و (لهمان) و (فيركو) و (هلمولتز) فى المانيا تقدما عظيما مهدت به السبيل لاحداث انقلاب عظيم فى علم الطب

ثم ان علم الطب الذى يعتبر فى حقيقته تطبيقا للمعارف البيولوجية على صناعة العلاج قد حدث فيه تقدم عظيم بتقـدم العلوم الاخرى التى تعتـبر كالاصول له . وقد عرف ان اختلال توازن الاعضاء اوحدوث عرض لأحـدها يوجب الحال المسمى بالمرض فصارت غاية الطب اليوم البحث عن الاسباب التى توجد ذلك الاختلال الجسدى . فاذا عرف ذلك على أكمل وجه جاء العلاج مؤثراً لامحالة وزال الشك من علم التشخيص

قلنا لم يولد فى القرن التاسع عشر من

العلوم الجديدة غير علم الاجتماع البشرى وناهيك به من علم عالى القدر عظيم الفائدة كبير العائدة على المجتمعات البشرية . ولد هذا العلم على أيدى (فوربيه) و (أجوست كونت) و (برودون) وعدد عديد من الاقتصاديين ولكنه لم يبلغ غاية نموه للآن فلا يزال يحتاج لخطوات واسعة فى سبيل الحقائق المخبوءة فى أطوار الحياة الاجتماعية لا يبرزها الا الزمن والحوادث الجسام

هذا ولا يجوز لنا أن نهمل تلك الحركة الكبرى التى ظهرت من لدن سنة ١٨٤٦ وراء استكناه أسرار العالم الروحانى التى ظهرت أولا فى أمريكا ثم سرت منها الى انجلترة وسائر الممالك الاوربية . قد نقلنا فى مقدمة هذا الفصل ما كتبه الاستاذ الكبير (او ليفرلودج) الانجليزى فى هذا الصدد ولكن لا يغنى هذا الكلام عن ايراد تاريخ موجز لهذه الحركة التى تعتبر أعظم حادث فى تاريخ العلوم التجريبية

نشأ العلم الاوروبى معاديا للدين بطبيعته فبذل جهده فى مكافحة أصوله وتوهينها وتم له ذلك حتى خيل للعالم أن دولة المدركات الدينية انقرضت وخلا الجو لدعاة المادة فأصبحت العقائد بالروح والخلود والملأ الاعلى فى عداد المدركات الأثرية التى روجها الكهنة فى عقول البسطاء لسلب أموالهم وتسخير قواهم . فلما نشأت حركة المباحث النفسية فى القرن التاسع عشر تناولت البحث بنفس الاسلوب العلمى التجريبى فأدت منه الى نتائج غريبة فى الخطورة يرى الفلاسفة انها لمكملة لبناء صرح العلم العظيم والحافظة للفطر الانسانية من أن تفسدها التعاليم المادية المجتاحة

(كيف كان بدء الاهتمام بهذه المباحث ؟)

كان جو العالم المتمدن الى سنة (١٨٤٦) خاليا لفلسفته الحسية وكان صوت الروحيين قد خفت حتى لم يعد أحد يسمع لهم ركزاً

ولكن حدث أن رجلا اسمه (جون فوكس) كان يقيم فى قرية (هيد سفيل) من مقاطعة نيويورك بأمريكا فسمعت زوجته ذات ليلة أصواتا فى الدار وضوضاء لم تدع للنوم مساغا الى الجفون . فكانت مدام فوكس تنادى جيرانها وتستعين بهم فى البحث عن الفاعل المستتر فلم تهتد اليه فتجاسرت هذه المرأة ذات ليلة وقالت

لذلك الصائت المجلب اطرق عشر طرقات ففعل . فقالت له كم عمر ابنتى؟ فطرق طرقات بقدر سنى عمرها فقالت له ان كنت أوذيت من شيء فأحدث طرقتين أيضا . فأحدثهما ولم تزل به هذه المرأة الجريئة حتى علمت بواسطة الطرق انه روح رجل كان ساكنا فى ذلك البيت فقتله جاره ليسرق ماله ودفنه فيه

فلم يسع مدام فوكس الا استحضار الجيران واستجواب الروح أمامهم، ثم أن المرأة رفعت الامر للحكومة فاعتنت بالبلاغ وأجرت المباحث الواجبة فوجدت الامر حقيقيا

من هذا اليوم شاع أمر هذه الحادثة فى اصقاع امريكا وكثر حدوث امثالها فى كل بلد فاهتم بها رجال العلم ودرسوها درسا مدققا فكان السابق الى دراستها الأصولى الكبير (إدموند) رئيس مجلس اعيان الولايات المتحدة فاعتقد صحتها ونشر فى ذلك كتابا سنة ١٨٦٥

وتبعه العلامة (مابس) أستاذ الكيمياء فى المجمع الامريكى فقرر صحتها ونسب حدوثها لارواح الموتى ولكن الحدث الذى أوجب الدوي الكبير هو شهادة العالم الخطير روبرت هير الامريكى لهذه الحادثة وتأليفه فيها كتابا سماه (الابحاث التجريبية على الظواهر الروحية)

فانتشب القتال من ذلك اليوم بين المصدقين والمكذبين ولم يبق عالم ولا كاتب الا القى بنفسه فى تلك المعمعة فانتقل ذلك المذهب من امريكا الى انجلترة وصادف فيها نصراء من الطبقة العليا من امثال الاستاذ (وليم كروكس) أشهر علماء الكيمياء والعلامة الكبير الفزيولوجى رُوسل ولاس مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعى ، والطبيعى الخطير (أوليفرلودج) وغيرهم ممن سيرد ذكرهم عند ذكر مباحثهم فى هذا الكتاب

أما وليم كروكس الكيماوى فبعد أن بحث هذه الظواهر الروحية كتب عنها كتابا أسماه (المباحث النفسية) جاء فيه هذه العبارة :

« وبما انى متحقق من صحة هذه »
« الحوادث فمن الجبن الادبى ان ارفض »
« شهادتى لها بحجة ان كتاباتى قد استهزأ »
« بها المنتقدون وغيرهم ممن لا يعلمون شيأ »
« فى هذا الشأن ولا يستطيعون تماعلقوه »
« من الاوهام ان يحكموا عليها بأنفسهم . اما »

«أنا فسأسرد بغاية الصراحة ما رأيته بعيني»
«وحققته بالتجارب المتكررة»

فجاء هذا القول مشابها لقول الاستاذ (اليوت) رئيس جمعية العلماء الامريكية فى مجلة (أنال بسيشيك) وهو :

«منذ مدة وجيزة كان يشق على»
«الامر كلما فكرت فى انى سأكون كاتباً»
«لتاريخ اعتقادى الروحى بدون أن أهبط»
«من كمالى العلمى. ولكنى الآن لا يمكننى»
«السكوت أمام هذه المشاهدات الحقة لئلا»
«أنسب للجبن الادبى»

وقال العلامة (روسل ولاس) المتقدم ذكره فى كتابه المعجزات فى العصر الحاضر

« لقد كنت ماديا صرفا مقتنعاً »
«بمذهبى كل الاقتناع ولم يكن فى ذهنى»
«أدنى محل للتصديق بحياة روحية ولا »
«بوجود عامل فى هذا الكون كله غير»
« المادة وقوتها . ولكنى رأيت أن »
« المشاهدات الحسية لاتغالب فانها »
«قهرتنى وأجبرتنى على اعتبارها حقائق»
«مثبتة قبل ان اعتقد نسبتها الى الارواح»
«بمدة طويلة . ثم أخذت هذه المشاهدات»
«مكانا من عقلى شيأ فشيأ ولم يكن ذلك»
«بطريقة تصورية ولكن بتأثير المشاهدات»
«التى كان يتلو بعضها بعضا بصورة لا »
«يمكن تعليلها بوسيلة أخرى»

لما انتشرت هذه المباحث بين العلماء رأت الجمعية العلمية الانجليزية أن تؤلف لجنة منها لبحثها بحثاً علمياً دقيقاً حتى يقف الناس منها على ما يجب نوقوفه عنده فتألفت هذه اللجنة و جتمعت اربعين مرة ثم رفعت تقريرا عن أعمالها طبع بالانجليزية وترجم الى الفرنسية فى كتاب ضخم جاء فيه ما يأتى من صفحة ٩ :

« قد عقدت هذه اللجنة من يوم تألفها فى ٢١ فبراير سنة ١٩٦٩ اربعين اجتماعا بقصد عمل التجارب والامتحانات المدققة

« كل هذه الاجتماعات عقدت فى الدور الخاصة للاعضاء لاجل نفى كل احتمال فى اعداد آلات لاحداث هذه الظواهر او اى وسيلة من اى نوع كان

« ولقد كانت أثاثات الغرف التى عقدت فيها الاجتماعات فى كل حال هى أثاثاتها العادية

« وقد كانت الترابيزات التى استخدمت دائما للتجارب هى ترابيزات الغذاء ثقيلة تحتاج لقوة عظيمة اذا أريد

تحريكها . وقد كان طول أصغرها خمسة أقدام ونسع عقد وعرضها أربعة أقدام . وكان طول أكبرها تسعة أقدام ونصف وكان ثقلها مناسباً لحجمها

«وقد كنا نعمد الى تفتيش الترابيزات وجميع الاثاثات تفتيشاً مكرراً قبل عمل التجارب لنحصل على الثقة التامة بعدم وجود أي آلة أوجهاز يمكن بواسطته ان تحدث الاصوات والحركات التي ستذكر بعد

« وقد عملنا تجارب في ضوء الغاز ماعدا عدداً قليلا منها اقتضى فيها شأنه الخاص أن نعمله في الظلام في دقائق محدودة

«وقد تحاشت لجنتكم ان تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه الوظيفة في الخارج او الذين يأخذون أجراً على عملهم هذا . لان واسطتنا الوحيد كان أحد أعضاء اللجنة وهو شخص جليل الاعتبار في الهيئة الاجتماعية وحاصل على صفة النزاهة المطلقة وليس له من غرض مالي يرمي اليه ولا اي مصلحة في غش اللجنة

«وقد عقدت لجنتكم عدة اجتماعات بدون أية واسطة لاجل محاولة الحصول على نتائج مشابهة للتي تحصلت عليها بحضور الواسطة فلم نحصل بعد كل جهد على نتائج مشابهة تماما للتي نحصل مع وجود الواسطة

« كل تجربة من التجارب التي عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا أن تتخيله من التحوطات عملت بصبر وثبات. وقد دُبرت هذه التجارب في أحوال كثيرة الاختلاف واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لاجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وبابعاد كل احتمال لغش او توهم

« وقد اقتصرت اللجنة في تقريرها على ذكر المشاهدات التي كانت مدركة بالحواس وحقيتها مستندة الى الدليل القاطع

« وقد كان نحو أربعة اخماس أعضاء اللجنة بدأوا في التجارب وهم في أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر ومقتنعون أشد اقتناع بأنها كانت اما نتيجة التدليس أو التوهم أو انها حادثة بحركة غير ارادية للعضلات . ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المنكرون جداعن فروضهم السابقة الابعد ظهورها بوضوح لاتمكن

مقاومتـه فى شروط تنفى كل فرض من الفروض السابقةوبعد تجارب و امتحانات مدققة ومكررة ، فاقتنعوا رغما منهم بأن هذه المشاهدات التى حدثت فى خـلال البحث الطويل هى مشاهدات حقه لاغبار عليها

وقد كانت نتيجة تجاربهم التى تتبعوها مدةطويلةوقادوها بعناية واهتمام وجشموها جميع أشكال الامتحانات والاختبارات تقرير الاحوال الآتيه :

(اولا) انه بوجود شخص او اشخاص ذوى استعداد جسمانى او عقلى خاص تتولد قوة كافية لتحريـك اشيـاء ثقيلة بدون استخدام اى مجهود عضلى وبدون مس ولا اتصال مادى من اى نوع كان بين الاشيـاء وبين جسـد اى شخص مـن الحاضرين

(ثانيا) هذه القوة تستطيع أن تحدث أصواتا فى بعض الاشياء الجامدة بحيث يسمعهـا جميع الحاضرين بوضوح تام ولا يكون بين تلك الاشياء وبين أحـد الحاضرين اى اتصال وقد ثبت ان هذه الاصوات صادرة فى هـذه الاشياء عن ذبذبة تتضح عند اللمس تمام الاتضـاح

(ثالثا) كثيرا ما تكون تلك القوة مقودة بعقل

* * *

بعد صدور هذا التقرير الرسمى من جمعية تعتبر مثابة العلم الطبيعى فى العالم التفت لهذه المباحث علماء الارض فجالوا فيها كل مجال وصدرت فيها مئات من المجلات وعشرات الالوف من الكتب ولاتزال هذه الحركة آخذه فى التقدم وقد وقفنا لمباحثها صحفا كثيرة من مجلة (الحياة) التى كنا نصدرها شهريا لدحض الفلسفة المادية وتقرير الحقائق الاسلامية

(العلم بين يدى العرب) قلنا ان أوربا فى القرون الوسطى وقعت فى ظلام حالك من الجهل نوقف بها تيار العلم، ونضبت موارد الحكمة وبقى الناس فى غيهبة مطلخمة نحوا من الفى سنة، ونقول الآن ان بلاد المسلمين كانت فى تلك الفترة ملجأ العلم والحكمة، وموطن المدنية والحضارة، فبلغت فيها المعارف والفنون ارفع مقدر لها فى تلك القرون البعيدة، ولسنا نسمح لانفسنا بأن نصف ما كانت عليه بلاد المسلمين فى ذلك العهد من النور والحياة الراقية بقلمنا حتى لا ننسب لتحيز فندع القول

لكبار علماء الغرب ومؤرخيه وهم ابعد الناس عن محاباتنا فى هذه الوجهة ليكون القول اوقع فى النفوس :

قال العلامة درابر الاستاذ بجامعة نيويورك الامريكية فى كتابه (المنازعة بين العلم والدين) فى النسخة الفرنسوية فى طبعتها العاشرة التى ظهرت سنة ١٩٠٠ ماترجمته :

وبعد وفاة محمد ترجمت الى اللغة العربية أهم المؤلفات اليونانية . وترجمت القصائد اليونانية الشهيرة (كالالياذة) و (الاودبسيه) الى اللغة السريانية ليطلع عليها العلماء دون العامة لما رأوه فيها من الاقاصيص الخرافية عن آلهة اليونانيين مما يخشى منه على عقائدهم . ولما ولى الخلافة ابو جعفر المنصور (من سنة ٧٥٣ الى ٧٧٥) نقل عاصمة الملك الى بغداد وجعلها عاصمة فخمة . فلم يأل جهداً فى بذل الوسع فى درس العلوم الفلكية وتأسيس مدارس الطب والشريعة . ولما جلس حفيده هرون الرشيد على عرش الملك سنة (٨٧٦) اتبع أثر جده فى هذه الفتوحات العلمية وأمر باضافة مدرسة لكل مسجد فى جميع أرجاء ملكه . ولكن عصر العلم الزاهر في القارة الاسيوية لم يشرق الا فى خلافة المأمون الذى تولى الخلافة من سنة (٨١٣ الى ٨٣٢) فانه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمى وجمع اليها كتباً لاتحصى ، وقرب اليه العلماء ، وبالغ فى الحفاوة بهم

هذا المركز الذى اكتسبه العرب وهذا الذوق السليم فى العلم استمر لديهم حتى بعد ان انقسمت المملكة الى ثلاثة أقسام حتى ان العباسيين فى آسيا والفاطميين فى مصر والامويين في اسبانيا لم يكونوا متناظرين متغايرين على الحكومة فقط بل كانوا كذلك على الآداب والعلوم ايضا

ذاق العرب فى الفنون الادبية كل مامن شأنه أن يحد القريحة ويصقل الذهن وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الامم كلها مجتمعة أما العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئاً من الاسلوب الذى توخوه فى المباحث وهو اسلوب اخذوه عن فلاسفة اليونان الاوروبيين فانهم قد تحققوا ان الاسلوب العقلى النظرى لايؤدى الى التقدم ، وان الامل فى وجدان الحقيقة يجب ان يكون

معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها ومن هنا كان شعارهم فى ابحاثهم الاسلوب التجريبي والدستور العملى الحسى. وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية أدوات ومعدات لعلم المنطق. وقد يلاحظ المطالع لكتبهم المديدة على الميكانيكا والايدروستاتيك (علم موازنة السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) ونظريات الضوء والابصار بأنهم قد اهتدوا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات. وهذا هو الذى قاد العرب لأن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء والمكتشفين لبضع آلات للتقطير والتصعيد والاسالة (اسالة الجوامد) والتصفية الخ وهذا بعينه أيضاً هو الذى جعلهم يستعملون فى ابحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة والاسطرلابات (هى آلات لقياس أبعاد الكواكب)، وهو أيضاً الذى بعثهم لاستخدام الميزان فى العلوم الكيماوية وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته، وهو أيضاً الذى أرشدهم لعمل الجداول عن الاوزان النوعية للاجسام، والازياج الفلكية (وهى جداول نعرف منها حركات الكواكب) مثل التى كانت فى بغداد وقرطبة وسمرقند

وهو أيضا الذى أوجب لهم هذا [illegible] فى الهندسة وحساب المثلثات. وهو [illegible] الذى هم بهم لاكتشاف علم الجبر [illegible] لاستعمال الارقام الهندية. هذا هو [illegible] تفضيلهم لأسلوب أرسطو الاستدلالى [illegible] مقالات افلاطون الاستنتاجية

« ولقد دأبوا على جمع الكتب بصفة منتظمة لأجل أن يتوصلوا [illegible] تكوين [illegible] المكتبات التى تكمت [illegible] المأمون نقل [illegible] مائة حمل بعير من الكتب وقد [illegible] شروط [illegible] الصلح بينه وبين الامبر طور ميخائيل [illegible] أن يعطيه احدى مكتبات القسطنطينية التى كان فيها من الذخائر الثمينة الاخرى كتاب بطليموس على الرياضيات السماوية فأمر المأمون بترجمته للعربية وسماه المجسطى وقد حصلت عناية بأمر هذه المكتبات حتى أن مكتبة القاهرة كان بها نحو من مائة الف كتاب اعتنى بكتابتها وتجليدها غاية الاعتناء. وكان يوجد من بين هذه الكتب ستة آلاف وخمسمائة مجلد فى الطب والعلوم الفلكية فقط. وكان من نظام هذه المكتبة انها تعير كتبها للطلبة الساكنين فى القاهرة. وكان بتلك المكتبة كرتان

أرضيتان احداهما من الفضة والاخرى من البرونز قيل أن الاولى صنعها بطليموس الفلكى نفسه وانها استدعت ثلاثة آلاف كورون (نقود يونانية) من الذهب وقد اشتملت مكتبة خلفاء الاندلس فيما بعد على ستمائة الف مجلد وكان جدول أسمائها وحده محويا فى اربعة واربعين جزءاً . وغير هذا فقد كان بالاندلس سبعون مكتبة عامة وكثير من المكتبات الخاصة ومما يحكى أن أحد الدكاترة العرب رفض دعوة سلطان بخارى له محتجا بأن كتبه لا يمكن نقلها الا على اربعة بعير

« لقد كان يوجد فى كل مكتبة محل خاص للنسخ والترجمة ، ولقد كان لبعض الخاصة مثل ذلك ، فان هونيان الطبيب النسطورى كان له محل من هذا القبيل ببغداد سنة (٨٠٥) ترجم فيه كتبا لارسطو وافلاطون وهيبوكرات وجالينوس الخ أما المؤلفات الحديثه فقد كان من عادة أساتذة هذه الجامعة أن يؤلفوا كتبا فى الفروع العلمية التى تطلب منهم وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه ، ومن نظر الى تلك الاقاصيص والحكايات التى هى الف ليلة وليلة يعرف مقدار التصور الشعرى الذى كان لدى العرب . ولم يقف بحث العرب عند حد فقد كتبوا فى كل فن وفى كل علم كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والابل وكل هذه المؤلفات كانت تنشر بدون رقابة ولا حجر ، وما يعلم من المراقبة على المكتب اللاهوتية فقد حدث فيما بعد هذا التاريخ ، وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لأن تتخذ مادة فى العلوم كثيرة جدا فى الجغرافية والاحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد ابو عبد الله وكان للعرب ذوق دقيق فى صنع الورق النظيف الناصع البياض ، وفى اعطاء الحبر الالوان المختلفة وفى زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الالوان المختلفة من الحبر والابداع فى تنسيقها وتذهيبها على صفات شتى

« كان الملك الاسلامى العربى مملوءا بالمدارس والكليات ، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والاندلس حاصلة على عدد عديد منها . وكان فى طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة التى فاقت المملكة الرومانية كثيرا مرصد فى سمرقند

لرصد الكواكب وكان يقابله فى الطرف الآخر مرصد جبرالك فى الاندلس وقال جيبون (عند ذكر الحماية والرعاية التى بذلها المسلمون للعلوم مايأتى) :

« كان أمراء المسلمين فى الاقاليم يناظرون الملوك فى حماية العلم والعلماء وكان من نتيجة تنشيطهم هذا للعلماء ان انتشر الذوق العلمى فى المسافة الشاسعة التى بين سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة . ويروى عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتى الف دينار لتأسيس كلية علمية فى بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد الطلبة فيها ستة آلاف لافرق بين الغنى والفقير فكان ابن السيد العظيم وابن الصانع الفقير على السواء وكانوا يكفون التلاميذ الفقراء مؤونة دفع أجر التعليم ويعطون الاساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة وكانت المؤلفات الجديدة الادبية تنسخ وتجمع سداً لحاجة أهل العلم وشهوة الاغنياء فى جمع الكتب ؟ انتهى كلام العلامة جيبون . ثم قال درابر :

« وكانت قيادة المدارس مودعة لذوى المدارك الواسعة فكانت بيد النسطوريين أو اليهود لان المسلمين لم يكونوا يتحرون عن جنسية العالم وديانته وما كانوا يزنون قدره الا من أعماله . ولقد قام الخليفة الكبير المأمون بفكره عن حقيقة العلماء فقال : ان صفوة خليقة الله وأفضل عباده وأنفعهم هم الذين يفنون حياتهم على تربية مواهبهم الطبيعية . وان الذين يعلمون العلم والحكمة للناس هم مصابيح العالم ، ولولاهم لارتكس الخلق فى عماية الجهالة وغياهب البربرية

ثم قال درابر .

«وقد اتبعت المدارس الطبية عامة مثال مدرسة الطب فى القاهرة فى اختبار الطلبة قبل اخراجهم نهائيا بحيث لا يستطيع أحدهم أن يشتغل بمهنة التطبيب الا بهذا الشرط

« أول مدرسة أنشئت من هذا الطراز فى أوروبا هى المدرسة التى أسسها العرب فى (سالرن) من ايطاليا ، وأول مرصد أقيم فيه هو الذى أقامه المسلمون فى أشبيلية باسبانيا

« ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً ، وأوجدوا علوما

أخرى لم تكن معروفة من قبلهم »

ثم تكلم المؤلف على براعتهم فى العلوم الرياضية وعلى التسهيلات التى أدخلوها عليها على تفوقهم فى حساب المثلثات والعلوم الفلكية وما الفوه فيها من الكتب وما سطروه من الجداول والتقاويم

ثم قال :

« العلماء الفلكيون من العرب اهتموا أيضا بتحسين آلات الارصاد وتهذيبها ، وبحساب الازمنة بالساعات المختلفة الاشكال ، والساعات المائية والسطوح المدرجة الشمسية ، وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض

أما فى عالم العلوم التجريبية فقد اكتشفوا الكيمياء وبعضا من محللاتها الشهيرة مثل حمض الكبريتيك وحمض النتريك والكحول (الاسبرتو) واستخدم العرب علم الكيمياء فى الطب لانهم أول من نشر علم تحضير العلاجات والاقرباذينات واستخراج الجواهر المعدنية . أما فى علم الميكانيكا فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الاجسام وكانوا عارفين تمام المعرفة بعلم الحركة . أما فى الايدرستاتيك وهو علم موازنة السوائل وتقديرا الضغط الواقع منها على أوانيها فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لانواع الاوزان النوعية وكتبوا ابحاثا على الاجسام السابحة والغائصة تحت الماء . أما فى نظريات الضوء والابصار فقد غيروا الفرض اليونانى الذى مقتضاه ان الابصار يحصل بوصول شعاع من البصر الى الجسم المرئى وقالوا بعكس ذلك اى ان الابصار يحصل بوصول الشعاع من المرئى الى العين وكانوا يعرفون نظرية انعكاسات الاشعة وانكساراتها وقد اكتشف الحسن الشكل المنحنى الذى يأخذه الشعاع فى سيره فى الجو وأثبت بذلك اننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهرا حقيقة فى الافق وكذلك فى الغروب نراهما قليلا بعد أن يغيبا

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذى نالته الصنائع فى عصرهم . فقد استفادت منها فنون الزراعة فى أساليب الرى والتسميد وتربية الحيوانات وسن النظامات الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الارز والسكر والبن ، وقد انتشرت المعامل والمصانع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن ، وكانوا يذيبون المعادن وكانوا يجرون فى

عمالها على ماحسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها

« وكان العرب من عشاق الموسيقى والشعر وقد وهبوهما وقتاً كبيراً وحبوهما مكانة من أنفسهم وهم الذين علموا الاوروبيين لعب الشطرنج وبثوا فيهم ذوق مطالعة الاقاصيص . وكان للعرب لذات روحية حتى فى المجالات الزاهرة للادبيات الفلسفية ، فكان لديهم مؤلفات عالية جداً فى تقلب الاحوال الانسانية وعلى نتائج عدم التدين ، وعلى زوال النعم ، وعلى أصل العالم وبقائه وآخرته ، وانا ندهش أحياناً حينما نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر . من ذلك ان مذهب النشوء والتحول للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهباً حديثاً كان يدرس فى مذاهبهم وقد كانوا وصلوا به الى ابعد مما وصلنا اليه وذلك بتطبيقه على المواد الجامدة والمعدنية أيضاً فان النظرية التى ابتنى عليها علم الكيمياء (كيمياء استخراج الذهب) هى زعمهم ان المعادن تكونت تكوناً تدريجيا . قال الخازنى (اذا سمع الجهال قول العلماء بأن الذهب تكون بالتدريج على طريق الترقى يفهمون من هذا بأنه استحال أولا الى معادن أخرى يعنى انه كان فى مبدئه رصاصاً ثم صار خارصينا ثم برنزاً ثم صار فضة ثم استحال الى ذهب . ولم يفهموا ان الفلاسفة يقولون ما يقولونه عن الذهب كما يقولون عن الانسان أى انه ماصار انساناً الامن طريق الترقى التدريجى وهذا لايستلزم أن يكون قد استحال الى استحالات نهائية كأن كان أولا ثورا ثم صار حمارا ثم صار قردا ثم انتهى اخيرا بأن صار انساناً) انتهى ما نقلناه عن دراير

وجاء فى « كتاب تمدن العرب » للدكتور الشهير (جوستاف لوبون) قال الدكتور المومأ اليه مانصه :

« العرب مع ولوعهم بالابحاث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع ، فقد اكسبت علومهم لصنائعهم جودة عالية جداً ، واننا وان كنا لم نزل نجهل اكثر الطرائق التى سلكوها فى ذلك الا اننا نعرف نتائجها وآثارها . فنعرف مثلا انهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب ، وانهم قد برعوا جداً فى صناعة

الصباغة ، وانهم مهروا فى سقى الفولاذ مهارة بعيدة المدى حتى ان صفائح طليطلة أصدق البراهين على ذلك ، ونعرف أيضاً انه كان لمنسوجاتهم وأسلحتهم ومدبوغاتهم من الجلود ولورقهم شهرة عامة ، وانهم فى كثير من فنون الصنائع برعوا براعة لم يلحق لهم شأو فيها للآن (تأمل)

«ومن بين المكتشفات المعزوة للعرب أشياء ذات شأن كبير كالبارود مثلا وهذه المكتشفات لا يجمل بنا أن نسردها سرداً بل علينا أن نهبها شيئاً من التفصيل ... الى ان قال : مما مر ينجلى للقارىء ان ديوان المكتشفات العربية فى العلوم الطبيعية لا يقل فى الخطورة والقدر عما كان لهم منها فى العلوم الرياضية والفلكية . وما نسرده عليك هنا يبرهن لك عن تلك الخطورة وذلك انه كانت لهم معلومات عالية فى الطبيعة النظرية خصوصاً فى نظريات الضوء والابصار وقد حفظ عنهم اختراعهم لاجهزة ميكانيكية من أدق ما يعرف من نوعها ، واكتشافهم للجواهر التى تعد من أعظم أركان علم الكيمياء مثل الكحول وحمض النيتريك وحمض الكبريتيك وقد سجلت لهم اكبر الاعمال الاساسية مثل التقطير مثلا وأثر عنهم استخدام الكيمياء لفن الصيدلة »

هذا بعض ما كتبه علماء اوروبا عن اشتغال آبائنا بالعلوم الكونية والفلسفة التى لها الفضل الاول على مدنية اوروبا

(أنواع العلوم عند العرب) المطلع على مادونه العرب من العلوم يدهش من توسعهم فى أسمائها وموضوعاتها فقد عد لهم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى فى رسالته (ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد) ستين علما . هذا ولم تكن العلوم الحديثة النشأة كالبكتريولوجيا والبيولوجيا والباليونتولوجيا وغيرها قد ظهرت ، وهو مما يدل القارىء على ان العرب كانوا من أميل الامم الى العلوم والتوسع فيها والجرى وراء غاياتها . ونحن لا يسعنا فى هذا الفصل اغفال ذكر أنواع العلوم التى كان يدرسها المسلمون أيام عظمتهم المدنية فلنأت على ذكرها مستفادة من رسالة العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى المذكور. قال رحمه الله :

(القول فى حصر العلم) كل علم فاما ان يكون مقصودا لذاته أو لا

والاول العلوم الحكمية والمراد بالحكمة هنا استكمال النفس الناطقة قوتيها النظرية والعملية بحسب الطاقة الانسانية. والاول يكون بحصول الاعتقادات اليقينية في معرفة الموجودات وأحوالها. والثاني يكون بتزكية النفس باقتنائها الفضائل، واجتنابها الرذائل

وأما الثاني وهو مالايكون مقصوداً لذاته بل آلة لغيره، فاما للمعاني وهو علم المنطق واما لما يتوصل به الى المعاني من اللفظ والخط وهو علم الادب

(العلوم الحكمية النظرية)

والعلوم الحكمية النظرية تنقسم الى أعلى وهو العلم الالهي وأدنى وهو العلم الطبيعي وأوسط وهو العلم الرياضي، وذلك لان نظره وان كان في أمور مجردة، من المادة الجسمية وعلائقها في العقل والحس فهو العلم الالهي

وان كان في أمور مادية في الذهن وفي الخارج فهو العلم الطبيعي

وان كان في أمور يصح تجردها عن الماديات في الذهن فهو العلم الرياضي وعكس هذا القسم ممتنع لاستحالة تجرد شيء في الخارج دون الذهن

وتنحصر العلوم الرياضية في أربعة علوم الهندسة والهيئة والعدد والموسيقى، لان نظره اما أن يكون فيما يمكن ان يفرض فيه أجزاء تتلاقى على حد مشترك بينها أولا وكل واحد منها قار الذات أولا، والاول الهندسة والثاني الهيئة والثالث العدد والرابع الموسيقى

(العلوم الحكمية العملية)

والعلوم الحكمية تنقسم الى السياسة والاخلاق وتدبير المنزل وذلك لأن اعتباره اما للامور العامة فعلم السياسة، أو لامور الخاصة، فاما بالشخص وحده فعلم الاخلاق او مع خاصته فعلم تدبير المنزل . فهذه العلوم الاصلية وماعداها فهي فرعية فلنذكر هذه العلوم مرتبة فنقول:

(علم الادب) هو علم يتعرف منه التفاهم عما في الضمائر بأدلة الالفاظ والكتابة . وموضوعه اللفظ والخط . ومنفعته اظهار ما في نفس الانسان من المعاني وايصاله الى شخص آخر من النوع الانساني حاضراً كان او غائبا وهو حلية اللسان والبيان وبه يتميز ظاهر الانسان على سائر الحيوان. وانما ابتدأت به لانه أول أدوات الكمال ولذلك من عرى عنه

لم يهتم بغيره من الكمالات وتنحصر مقاصده فى عشرة علوم وهى علم اللغة وعلم التصريف وعلم المعانى وعلم البيان وعلم البديع وعلم العروض وعلم القوافى وعلم النحو وعلم قوانين الكتابة والقراءة وذلك لان نظره اما فى اللفظ والخط والاول فاما فى اللفظ المفرد او المركب او مايعمهما

واما نظره فى المفرد فاعتماده اما على السماع وهو اللغة او على الحجة وهو التصريف

واما نظره فى المركب فاما مطلقا او مختصاً بوزنه ، والاول ان تعلق بخواص تركيب الكلام واحكامه الاسنادية فعلم المعانى والا فعلم البيان

والمختص بالوزن فنظره اما فى الصورة او المادة والثانى علم البديع والاول ان كان بمجرد الوزن فهو علم العروض والا فعلم القوافى

وما يعم المفرد والمركب علم النحو

والمتعلق بالخط اما بوضعه فعلم قوانين الكتابة او بالاستدلال به فعلم قوانين القراءة

وهذه العلوم لاتختص بالعربية بل توجد فى سائر لغات الامم

(علم اللغة) هو علم نقل الالفاظ الدالة على المعانى المفردة وضبطها وتمييز الخاص بذلك اللسان من الدخيل ، وتفصيل مايدل فيه على الذوات مما يدل على الاحداث وما يدل على الاشخاص وبيان الالفاظ المتباينة والمترادفة والمشتركة والمتشابهة

ومنفعته الاحاطة بهذه المعلومات خبراً وطلاقة العبارة والتمكن من التفنن فى الكلام وايضاح المعانى بالالفاظ الفصيحة والاقوال البليغة ويحتاج الى علمى النحو والتصريف

(علم التصريف) هو علم بأصول ابنية الكلم واحوالها فيبحث فيه من الحروف البسيطة كم هى واين مخارجها واحوال تركيبها وما هو مضاعف وتقديره وما هو ثلاثى او رباعى ونهاية ذلك ، وما الاصلية منها التى لا تبدل وما المزيدة ، ومعرفة الصحيح منها والمعتل وأنواع الابنية وتغيرها عند اللواحق ، وأمثلة الالفاظ المفردة فى الزنة والهيئة وما يختص منها بالافعال وما يختص بالاسماء وتمييز الجامد منها والمشتق واصناف الاشتقاق وكيف

هو . وكيف يبدل بصيغة الفعل حتى يصير أمراً ونهياً وتعرف التثنية والجمع والفصل والوصل والوقف والابتداء وما يدغم به الحروف وما يقلب وما يخفى وما يجب اظهاره

وهو متقدم على المعانى والبيان تقدما ضروريا ويحتاج اليه فى اللغة والقوافى . ولم يزل هذا العلم مندرجا فى علم النحو حتى ميزه وافرده ابو عثمان المازنى

(علم المعانى) هو علم يعرف منه أحوال الالفاظ المركبة من خواص تركيبها وقيود دلالتها ونسبها الاسنادية وأحوال المسند والمسند اليه فى الجمل وأحوال الفصل والوصل بينهما وصيغ الاجوبة بمقتضى الحال

ومنفعته فهم الخطاب وانشاء الجواب بحسب المقاصد والاغراض جريا على قوانين اللغة فى التركيب ويعين فى البلاغة معونة بليغة

(علم البيان) هو علم يعرف منه أحوال الاقاويل المركبة المأخوذة عن الفصحاء والبلغاء من الخطب والرسائل والاشعار من جهة بلاغتها وخلوها من اللكن وتأدية المطلوب بها تأدية وافية

منفعته حصول الملكة على انشاء الاقاويل المذكورة بحسب المقاصد [illegible] كافية فى التأليف والتبيين اذا اضيف ذلك الى طبع منقاد وذهن وقاد

(علم البديع) هو علم يبحث فيه عن مواد الاقاويل الشعرية وكيف تستعمل للتزيين والتحسين فى سائر احوالها

منفعته تكميل الاقاويل الشعرية نظما كانت ونثراً فى بلوغها غايتها وتأدية المطلوب بها ونهيها كيف تفتن بحسب الاغراض لتفيد ما يقصد بها من التحريك الموجب لانفعال النفس من بسط وقبض والشىء بذكر بضده فتذكر محاسنها [illegible] والعيوب

يحتاج الى اللغة والنحو والتصريف والمعانى والبيان والاستكثار من محفوظ الشعر

هذه العلوم هى وسائل فهم كتاب الله المنزل وكلام نبيه المرسل اذ كانا من الفصاحة والبلاغة فى حد الاعجاز

(علم العروض) هو علم يتعرف منه صحيح أوزان الشعر وفاسدها وأنواع الاوزان المستعملة المسماة بالبحور وكيفية تحليلها الى أجزائها المسماة بالتفاعيل ومقادير

الابيات و المصاريع وأصناف التغايير المسماة بالعلل و الزحافات

منفعته معرفة ما هو من الكلام شعر من حيث الصورة وأى نوع هو وما يجوز ان يستعمل فيه من الاختلافات وربما احتيج اليه فى دفع المعاند فى شعر ما . وقيل انه يستغنى عنه السليم الطبع المتكثر لانواع الشعر ولا ينتفع به البليد ويحتاج اليه من عداهما وهم الاكثر

(علم القوافى) هو علم يتعرف منه أحوال نهايات الشعر على أى وجه تكون وكم هى وأى النهايات بحرف وليها بأكثر من حرف وكم أكثرها وما يجوز أن يبدل منها بما يساويه فى الزنة

منفعته نحو منفعة العروض واشد لكثرة الاشتباه فى القوافى وأحكامها

(علم النحو) هو علم يتعرف منه احوال اللفظ المركب من جهة ما يلحقه من التغايير المسماة بالاعراب والبناء وأنواعهما من الحركات والحروف ومواضعها ولوازمها وكيفية دخولها فى الجمل لتبين دلالتها على المقصود ودفع اللبس عن سامعها . فان القائل (ما أحسن زيد) بسكون الدال يحتمل أحد أمور ثلاثة التعجب من حسنه والاستفهام عن أى شىء منه احسن وسلب الاحسان عنه حتى يعرف فيتميز

(علم قوانين الكتابة) هو علم يتعرف منه صور الحروف المفردة وأوضاعها وكيفية تركيبها خطا وما يكتب منها فى السطور وكيف سبيله أن يكتب وما لا يكتب وابدال ما يبدل منها وبماذا يبدل ومواضعه

(علم قوانين القراءة) هو علم يعرف منه العلامات الدالة على ما يكتب فى السطور من الحروف المميزة بين المشتركة منها فى الصور المتشابهة فى النقط والاشكال والعلامات الدالة على الادغام والمد والقصر والوصل والفصل والمقاطع وأحوال هذه العلامات وأحكامها

(علم المنطق) هو علم يتعلم فيه ضروب الانتقالات من أمور حاصلة فى ذهن الانسان الى أمور مستحصلة فيه وأحوال تلك الامور وأصناف ما ترتب الانتقال فيه وهيئته جارية على الاستقامة واصناف ما ليس كذلك

موضوعه المعلومات التصورية والتصديقية من حيث توصل الى مطلوب تصورى أو مطلوب تصديقى تاديا صوابا

واشتقاقه النطق الداخلي اى القوة العاقلة وقد رتبه ارسطوطاليس على تسعة اجزاء

الاول يسمى ايساغوجي ومعناه المدخل ويتبين فيه الالفاظ والمعاني المفردة من حيث هي عامة كلية وهي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام

الجزء الثاني يسمى قاطيغورياس اى المقولات ويتبين فيه المعاني المفردة الشاملة بالعموم لجميع الموجودات وهي الجواهر والاعراض التسعة التي هي الكم والكيف والاين والوضع ومتى والملك والاضافة والفعل والانفعال

الجزء الثالث باري‌منياس ومعناه العبارة ويتبين فيه كيفية تركيب المعاني المفردة بالنسبة الايجابية والسلبية حتى تصير قضية وخبراً يلزمه ان يكون صادقاً او كاذبا

الجزء الرابع يسمى انولوطيقي ومعناه التحليل بالعكس ويتبين فيه كيفية تركيب القضايا حتى يصير منها دليلا يفيد علما بمجهول وهو القياس

الجزء الخامس يسمى باريبطيقي ومعناه البرهان ويتبين فيه شرائط القياس اليقيني ومقدماته

الجزء السادس طوبيقي ومعناه المواضع ويراد بها الجدلية . ويتبين عنه القياس الجدلي النافع في مخاطبة من يقصر عله عن البرهان والمواضع التي يستخرج منها المقدمات الجدلية ووصايا المجيب والسائل

الجزء السابع ريطوريقي ومعناه الخطابي ويتبين منه القياسات الخطابية والبلاغية المقنعة النافعة في مخاطبات الجمهور على سبيل المشاورات والمخاصمات والمشاجرات والحيل النافعة في الاستعطاف والاستمالة

الجزء الثامن يسمى طوريقى ومعناه الشعرى ويتبين فيه حال القياسات الشعرية ومقدماتها وكيف يستعمل التشبيه المفيد للتخييل الموجب للانفعالات النفسانية وقبول الترغيب والترهيب والمدح والذم والاغراء والتحذير والتحقير وما أشبهها

الجزء التاسع يسمى سوفسطيقي ومعناه نقض شبه المموهين . ويتبين فيه القياسات المغالطية وأصناف الغلط الواقعة في الحدود والاقيسة من جهة اللفظ والمعنى من مادة اوصورة ووجه التحرز منها وربما جعل هذا الجزء تالياً للبرهان فيكون سابقاً

(العلم الالهى) هو علم يبحث فيه عن الموجودات كلها من حيث تعينها وثبوتها

وتحقق حقائقها ومايعرض لها ونسب ما بينها وما يعمها ومايخصها من حيث هي موجودات مجردة عن المادة وعلائقها . وموضوعه الموجودات وأحوالها من هذه الحيثية . ويعبر عنه بالعلم الالهى لاشتماله على علم الربوبية وبالعلم الكلى لعمومه وشموله بالنظر لكليات الموجودات ويعلم مابعد الطبيعة لتجرد موضوعه عن المواد ولواحقها

أجزاؤه الاصلية خمسة : الاول النظر فى الامور العامة مثل الوجود والماهية والوحدة والكثرة والوجوب والامكان والقدم والحدوث والاسباب والمسببات ومايجرى هذا المجرى

الثانى النظر فى مبادىء العلوم كلها وتبيين مقدماتها ومراتبها

الثالث النظر فى اثبات وجودا لاله الحق والدلالة على وحدته وتفرده بالربوبية واثبات صفاته وبيان انها لاتوجب كثرة فى ذاته

الرابع النظر فى اثبات الجواهر المجردة من العقول والنفوس الانسانية والملائكة والجن والشياطين وحقائقها وأحوالها

الخامس أحوال النفوس البشرية بعد مفارقتها الهياكل وحال المعاد وكيفية ارتباط الخلق بالامر

(علم النواميس) هو علم يعرف به احوال النبوة وحقيقتها ووجه الحاجة اليها. ويطلق الناموس على الوحى وعلى الملك النازل به وعلى السنة

منفعته بيان وجوب النبوة وحاجة الانسان اليها فى بقائه ومنقلبه الى الشرع والفرق بين النبوة الحقة والدواعى الباطلة ومعرفة المعجزات المختصة بالرسل والكرامات المختصة بالصديقين والاولياء

وفيه كتاب لارسطو وآخر لافلاطون وأكثر مسائله فى خلال مسائل آراء المدنية الفاضلة لابى نصر الفارابى الفيلسوف الأسلامى المشهور

وينتظم فى سلك هذا العلم ثمانية علوم شرعية وهى علوم القراءة ورواية الحديث والاصول وأصول الفقه والجدل والفقه

(علم القراءة) هو علم بنقل لغة القرآن واعرابه الثابت بالسماع المتصل

(علم الحديث).هو علم بنقل أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وافعاله بالسماع المتصل وضبطها وتحريرها

(علم التفسير) هو علم يشتمل على معرفة فهم كتاب الله واستخراج أحكامه وحكمه والعلوم الموصلة اليه هى اللغة والنحو والتصريف والمعانى والبيان. والبديع والقراءات . ويحتاج الى معرفة أسباب النزول وأحكام الناسخ والمنسوخ والى معرفة اخبار أهل الكتاب. ويستعان فيه بعلم أصول الفقه وعلم الجدل

(علم رواية الحديث) هو علم يتعرف منه أنواع الرواية وأحكامها وشروط الرواة واصناف المرويات واستخراج معانيها ؛ ويحتاج الى مايحتاج اليه علم التفسير من اللغة والنحو والتصريف والمعانى والبديع والاصول . ويحتاج الى تاريخ النقلة

(علم أصول الدين) هو علم يشتمل على بيان الآراء والمعتقدات التى صرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واثباتها بالادلة العقلية ونصرتها وتزييف كل ما خالفها

أول من تكلم فى هذا العلم عمرو ابن عبيد وواصل بن عطاء وغيرهما من رجل المعتزلة لما وقعت لهم الشبهة في كتاب الله تعالى كيف يكون محدثا وهو صفة من صفات القديم ، وكيف يكون قديما وهو أمر ونهى وخبر . والشبهة فى مسألة القدر اذا كانت الاشياء الكائنة كلها بقدر الله ولا قدرة للعبد في الخروج عنها فكيف العقاب . وان كان للعبد قدرة على مخالفة المقدور فيلزم تغير علم الاول بالكائنات الى غير ذلك من المسائل وأخذ عنهم أبو الحسن الاشعرى وخالفهم فى كثير من المسائل

(علم أصول الفقه) هو علم يتعرف منه تقرير مطالب الاحكام الشرعية العملية وطريق استنباطها ومواد حججها واستخراجها بالنظر

(علم الجدل) هو علم يتعرف منه تقرير الحجج الشرعية ودفع الشبه وقوادح الادلة وترتيب النكت الخلافية وهذا متولد من الجدل وهو احد اجزاء المنطق لكنه خصص بالمباحث الدينية

(علم الفقه) هو علم بأحكام التكاليف الشرعية العملية كالعبادات والمعاملات والعادات ونحوها والمشهور ان أول من دون كتبه عبد الملك بن جريج وانما يتبع فيه الآن مذاهب الأئمة الاربعة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل

(العلم الطبيعى) هو علم يبحث

فيه عن احوال الجسم المحسوس من حيث هو متعرض للتغير فى الاحوال والثبات فيها فالجسم من هذه الحيثية موضوعه . وقد جرى العرب فيه على ترتيب أرسطو على ثمانية أجزاء وهى :

الجزء الاول ويسمى السماع الطبيعى وسمع الكيان يتبين فيه الامور العامة لجميع الطبيعيات مثل المادة والصورة والحركة والطبيعة واللانهاية وأشباهها

الجزء الثانى ويسمى السماء والعالم يتبين فيه أحوال الاثيريات والعناصر وطبائعها ومواضعها والحكمة فى تنضيدها

الجزء الثالث ويسمى الكون والفساد يتبين فيه أحوال ما يتكون وما يفسد من المركبات والتولد والتوالد والنشوء والبلى والاستحالات

الجزء الرابع ويسمى الآثار العلوية يتبين فيه احوال العناصر قبل الامتزاج وما يعرض لها من التخلخل والتكاثف واصناف الجزئيات بتأثير السماويات فيها وأحوال الكائنات فى الجو مثل الغيوم والامطار والرعد والبرق والهالة وقوس قزح والصواعق والشهب والعلامات وأحوال الكائنات عنها فوق الارض كالثلج والبرد والطل والصقيع والرياح والبخار والمد والجزر وأحوال الكائنات عنها تحت الارض كالزلزلة والرجفة والخسف

الجزء الخامس المعادن يتبين فيه أحوال الكائنات الجمادية من الفلزات والجواهر النفيسة وغيرها من الزاجات والشبوب والاملاح والكباريت والزئبق وكيفية تولدها

الجزء السادس النبات يعرف فيه أحوال الكائنات غير الحساسة من النجم والشجر وكيفية اغتدائها ونشوئها وتوليدها المثل

الجزء السابع الحيوان يعرف فيه أحوال الكائنات النامية الحساسة المتحركة بالارادة من البحرية والهوائية والبرية والاهلية وما يتولد منها وما يتوالد

الجزء الثامن يسمى الحس والمحسوس ويعرف فيه القوى المحركة المدركة خصوصا للانسان وأحوال النوم والرؤيا واليقظة

منفعته أن يعرف منه أحوال الاجسام البسيطة والمركبة من الافلاك والعناصر والمولدات الثلاث موادها وصورها مباديها الفاعلة لها والغايات التى لاجلها وجدت وأعراضها اللازمة لها أو المفارقة والاطلاع

على أسرارها كالخواص الفلكية وغرائب الممتزجات العنصرية كجذب حجر المغناطيس للحديد ونحوه وحال الشجرة المعروفة بالعاشقة والمعروفة بالغيرانة ونحوهما وغرائب المزاجات الثانية كلبن العذراء ونحوه

وبالنسبة الى علم الهندسة لان به مظهر معلوماته الحسية ويتسلم منه بعض مباديه وبالنسبة الى علم الهيئة أيضا بهذا الاعتبار ، وبالنسبة الى العلم الالهى فانه يمهد الذهن لمباحثه ولذلك قدم عليه فى التعلم ، وبالنسبة الى العلوم الفرعية التى تتفرع عليه مما يأتى ذكره

وأما العلوم التى تتفرع عليه وتنشأ منه فهى عشرة : علوم الطب والبيطرة والبيزرة والفراسة وتفسير الرؤيا وأحكام النجوم والسحر والطلسمات والسيمياء والكيمياء والفلاحة . وذلك لأن نظره اما أن يكون فيما يتفرع على الجسم البسيط أو الجسم المركب او ما يعمهما

والاجسام البسيطة اما الفلكية فأحكام النجوم وإما العنصرية فالطلسمات

والاجسام المركبة اما ما يلزمه مزاج فهو علم السيمياء أولا يلزمه مزاج فاما بغير ذى حس فالكيمياء ، أو بذى نفس فاما غير مدركة فالفلاحة واما مدركة فاما لجامع ذلك أن تعقل أولا

الثانى البيطرة والبيزرة وما يجرى مجراهما . والذى بذى النفس العاقلة هو الانسان وذلك اما فى حفظ صحته واسترجاعها فهو الطب أوأحواله الظاهرة الدالة على أحواله الباطنة فالفراسة وأحوال نفسه حال غيبته عن حسه وهو تعبير الرؤيا . والعام البسيط المركب السحر فلنذكر هذه العلوم على النهج المتقدم

(علم الطب) هو علم يبحث فيه عن بدن الانسان من جهة ما يصح وما يمرض لالتماس حفظ الصحة وازالة المرض

موضوعه بدن الانسان وما يشتمل عليه من الاركان والاخلاط والاعضاء والارواح والقوى والافعال . وأحواله من الصحة والمرض وأسبابهما من المآكل والمشارب والاهوية المحيطة بالابدان والحركات والسكونات والاستفراغات والاحتقانات والصناعات والعادات والاجناس والاسنان والواردات الغريبة والعلامات الدالة على أحواله من ضرر أفعاله وحالات بدنه وما يبرز منه والتدبير

بالمطاعم والمشارب واختيار الهواء وتقدير الحركة والسكون والادوية البسيطة والمركبة وأعمال اليد لغرض علم الصحة وعلاج الامراض بحسب الامكان

ينقسم الى جزأين نظرى وعملى وقد كان قبل أن يتهذب تقتصر فرقة من أمره على التجارب وفرقة على القياس والمحققون جمعوا بين التجربة والقياس

ومباديه بعضها اتفاقية تجريبية وبعضها الهامات إلهية

(علم البيطرة والبيزرة) الحال فيه بالنسبة الى هذه الحيوانات كالحال فى الطب بالنسبة للانسان

وقد عنى بالخيل دون غيرها من الانعام لمنفعتها للانسان فى الطلب والهرب ومحاربة الاعداء وجمال صورها وحسن أدواتها

وعنى علم البيزرة بالجوارح لمنفعتها وأدبها فى الصيد وامساكه

(علم الفراسة) هو علم يتعرف منه الاخلاق الانسانية من هيئة الانسان ومزاجه وتوابعه . وحاصله انه الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن منفعته جليلة فى تقدمة المعرفة بأخلاق من يضطر الانسان الى مخالطته من صديق وزوج ومملوك ليصير على بصيرة من أمره فان الانسان ممنو بذلك لأنه مدنى بالطبع

ويقرب من هذا العلم قيافة الاثر وقيافة البشر وليست علوماً اكتسابية وانما هى تخمينات حدسية وكذلك النظر فى غضون الاكف وأسارير الجبهة ونحوها

(علم التعبير) هو علم يتعرف منه الاستدلالات من التخيلات الحلمية على ماشاهدته النفس حال النوم من عالم الغيب فخيلته القوة المخيلة بمثال يدل عليه فى عالم الشهادة

(علم أحكام النجوم) هو علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية

(علم السحر) هو علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقدر بها على أفعال غريبة بأسباب خفية

فطريق الهند فيه تصفية النفس وتجريدها عن الشواغل البدنية بحسب الطاقة الانسانية لأنهم يرون ان تلك الآثار انما تصدر عن النفس البشرية

وطريق النبط عمل أشياء مناسبة

للغرض المطلوب مضافة الى رقية ودخنة بعزيمة نافذة فى وقت مختار له . وتلك الاشياء تارة تكون تماثيل كالطلسمات وتارة تكون تصاوير ونقوشا كالشعابيذ وتارة عقداً تعقد وينفث عليها وتارة كتبا تكتب ونحو ذلك وتدفن فى الارض او تطرح فى الماء أو تعلق فى الهواء أو تحرق بالنار وتلك الرقية يكون فيها تضرع الى الكوكب الفاعل للغرض المطلوب.وتلك الدخنة عقاقير منسوبة الى ذلك الكوكب لاعتقادهم ان هذه الآثار انما تصدر عن الكواكب

وقد نقل كتاب سحر النبط ابن وحشية وهو يشتمل على تفصيل هذا الاجمال

وطريق اليونان تسخير روحانية الافلاك والكواكب واستنزال قواها بالوقوف والتضرع اليها لاعتقادهم ان هذه الآثار انما تصدر عن روحانية الافلاك والكواكب لاعن اجرامها . وهذا هو الفرق بينهم وبين الصابئة . والوقوف لكل واحد من الكواكب بوقت خاص وترتيب وشرائط مخصوصة . ولها أيضا مطالب تختص بكل واحد منها تشتمل على معرفتها كتب الوقوف للكواكب

وفى كتاب طيماوس لارسطو وغيره من كتبه ورسائله الى الاسكندر ذكر فصول من هذا الباب هى قواعده

وفى كتاب غاية الحكيم لمسلمة المجريطى منها أيضا جمل كافية . وقدماء الفلاسفة يميلون الى هذا الرأى

وطريق العبرانيين والقبط والعرب الاعتماد على ذكر أسماء مجهولة المعانى كأنها أقسام وعزائم بترتيب خاص كأنهم يخاطبون بها حاضراً لاعتقادهم ان هذه الآثار انما تصدر عن الجن ويدعون فى تلك الاقسام انها تسخر ملائكة قاهرة الجن ويحصرون الطرق الموصلة الى تسخير الروحانية فى ثلاث :الاستخدام وهو اعلاها واعمقها نفعا وانما تقع الاجابة فيه بعد مدة وتختلف المدد باختلاف جهات الاستخدام . ويليه الاستنزال والاجابة فيه على الفور الا أن الانتفاع به انما هو فى كشف امور غائبة وفى علاج المصاب ونحوه وأدناها الاستحضار ولا يتعدى كشف الامور . واذا كان يقظة بتوسط تلبس الروح ببدن منفعل كالصبى والمرأة والنطق بلسانه حال غيبته عن الحس أطلقوا عليه اسم الاستحضار واذا كان متاما فأحضره فأطلقوا عليه اسم

الجليان

ويقرب من السحر اظهار غرائب خواص الامتزاجات ونحوها فكأنه من جملة مقدماته عند النبط واليونانيون يجعلونه علما برأسه ويعبرون عنه بالنيرنجات

وألحق بعضهم بالسحر ماهو من الافعال العجيبة مرتب على سرعة الحركة وخفة اليد وهذا ليس بعلم انما هذا هو الشعبذه كما ألحق بعضهم بالسحر غرائب الآلات الموضوعة على ضرورة عدم الخلاء الذى هو من فروع الهندسة

(علم الطلسمات) هو علم يتعرف منه كيفية تمزيج القوى العالية الفعالة بالقوى السافلة المنفعلة ليحدث عنها فعل غريب فى عالم الكون والفساد

وقد نقل ابن وحشيه كتابا طيقانا عن النبط وهو انموذج عمل الطلسمات ومدخل الى عملها

وكتاب غاية الحكيم للمجريطى أودعه قواعد هذا العلم لكنه ضن بالتعليم فيه كل الضن

(علم السيمياء) قد يطلق على غير الحقيقى من السحر وهو الاشهر وحاصله احداث مثالات خيالية لا وجود لها فى الحس ويطلق على ايجاد تلك المثالات بصورها فى الحس وتكون صوراً فى جوهر الهواء

وسبب سرعة زوالها سرعة تغير جوهر الهواء وكونه لا يحفظ مايقبله زمانا طويلا لكنه سريع القبول لرطوبته وأما كيفية احداث هذه الصورة وعللها فليس هذا موضعه

لفظ سيمياء عبرانى معرب أصله شيم يه معناه اسم الله

(علم الكيمياء) علم يراد به سلب الجواهر المعدنية خواصها وافادتها خواص لم تكن لها . والاعتماد فيه على أن الفلزات كلها مشتركة فى النوعية والاختلاف الظاهر بينها انما هو أمور عرضية يجوز انتقالها لان الاستحالة فى الطبيعة غير منكرة . والجمهور من الحكماء يدبرون دواء يعبرون عنه بالأكسير وعن مادته بالحجر المكرم يلقون الاكسير على الحجر حال انفعاله بالذوبان فيحيله كاحالة اسم الجسد الوارد عليه لكن الى الاصلاح ولهم بدل عن الحجر يقوم منه اكسير دون اكسير الحجر ولهم شبيه بالحجر وشبيه بالبدل

(علم الفلاحة) يتعرف منه كيفية تدبير النبات من بدء كونه الى تمام نشوءه

وهذا التدبير انما هو اصلاح الارض بالماء وبما يخلخلها ويحميها من المعفنات كالسماد ونحوه مع مراعاة الاهوية

(علم الهندسة) يتعرف منه أحوال المقادير ولو احقها واوضاع بعضها عند بعض ونسبها وخواص أشكالها والطرق الى عمل ماسبيله ان يعمل بها واستخراج ما يحتاج الى استخراجه بالبراهين اليقينية وموضوعه المقادير المطلقة أعنى الجسم التعليمى اوالسطح والخط ولواحقها من الزاوية والنقطة والشكل

واجزاؤه الاصلية عشرة :

الاول يتبين فيه أحوال الخطوط المستقيمة من كيفية اتصالها وانفصالها وأوضاعها

الثانى يتبين فيه أحوال الدوائر والقسى الواقعة فى أسطحة مستوية وأوتارها والخطوط المماسة لها

الثالث يتبين فيه حال الخطوط المنحنية التى تسمى الزائد والناقص والمكافى وخواصها واضافتها الى الخط المستقيم والمستدير والاشكال الحادثة عنها

الرابع يتبين فيه حال الاشكال المستقيمة الخطوط واحاطتها بالدوائر واحاطة الدوائر بها

الخامس يتبين فيه النسب الكلية الاجمالية والتفصيلية

السادس يبرهن فيه على الخواص العددية

السابع يتبين فيه حال الاشكال الحادثة عن الدوائر الواقعة على الكرة

والثامن يتبين فيه احوال الجسمات المستوية السطوح

التاسع يتبين فيه احوال الجسمات الكرية والاسطوانية والمخروطية

العاشر يتبين فيه حال الكرة المتحركة وخواصها

وأما العلوم المتفرعة عليه فهى عشرة علوم عقود الابنية والمناظر والمرايا المحرقة ومراكز الاثقال والمساحة وانباط المياه وجر الاثقال والبنكامات والآلات الحربية والآلات الروحانية

(علم عقود الابنية) يتعرف منه احوال اوضاع الابنية وكيفية شق الانهار وتقنية القنى وسد البثوق وتنضيد المساكن ومنفعته عظيمة فى عمارة المدن والقلاع والمنازل وفى الفلاحة

(علم المناظر) يعرف منه أحوال

...صرات فى كميتها وكيفيتها باعتبار قربها وبعدها عن المناظر واختلاف أشكالها وأوضاعها وما يتوسط بين الناظر والمبصرات وعلل ذلك

ومنفعته معرفة ما يغلط فيه البصر من أحوال المبصرات ويستعان به على مساحة الاجرام البعيدة والمرايا المحرقة ايضا

(علم المرايا المحرقة) يتعرف منه أحوال الخطوط الشعاعية المنعطفة والمنعكسة والمنكسرة ومواقعها وزواياها ومراجعها وكيفية عمل المرايا المحرقة بانعكاس اشعة الشمس عنها ونصبها ومحاذاتها ومنفعته بليغة فى محاصرات المدن والقلاع

(علم مركز الاثقال) يتعرف منه كيفية استخراج مركز ثقل الجسم المحمول والمراد بمركز الثقل حد فى الجسم عنده يتعادل بالنسبة الى الحامل

ومنفعته كيفية معرفة معادلة الاجسام العظيمة بما هو دونها بتوسط المسافة كما فى القرسطون

(علم المساحة) يتعرف منه مقادير الخطوط والسطوح والاجسام بما يقدرها من الخط والمربع والمكعب

ومنفعته جليلة فى أمر الخراج وقسمة الارضين وتقدير المساكن وغيرها

(علم إنباط المياه) يتعرف منه كيفية استخراج المياه الكامنة فى الارض واظهارها

(علم البنكامات) يتبين منه كيفية ايجاد الآلات المقدرة للزمان . ومنفعته معرفة أوقات العبادات واستخراج الطوالع من الكواكب وأجزاء فلك البروج

(علم الآلات الحربية) يتبين فيه كيفية ايجاد الآلات الحربية كالمجانيق وغيرها

(علم الآلات الروحانية) يتبين فيه كيفية ايجاد الآلات المرتبة على ضرورة عدم الخلاء ونحوها من آلات الشراب وغيرها

ومنفعته ارتياض النفس بغرائب هذه الآلات كقدحى العدل والجور والسرج والقطارة وامثال ذلك

(علم الهيئة) يعرف منه احوال الاجرام البسيطة العلوية والسفلية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعاد ما بينها وحركات الافلاك والكواكب ومقاديرها

وموضوعه الاجسام المذكورة من حيث كمياتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها

أجزاؤه الاصلية أربعة: الاول يبحث فيه عن جملة الافلاك ووضع بعضها عند بعض ونسبها وبيان انها متحركة وان الارض ساكنة

الثانى يتبين فيه حركات الاجرام السماوية وانها كلها كرية وكم هي وكيف هى ومامنها بالارادة ومامنها بالقسر وجهاتها والسبيل الى معرفة مكان كل واحد من الكواكب من أجزاء البروج فى كل وقت ولواحق الحركات السماوية مثل الخسوف والكسوف

الثالث يبحث فيه عن الارض المغمور منها والمعمور والخراب وقسمة المعمور بالأقاليم وأحوال المساكن وما يلزمها من الحركة اليومية وما يتعلق بها من المطالع والمغارب ومقادير الليالى والايام

الرابع يتبين فيه مقادير أجرام الكواكب وأبعادها ومساحة الأفلاك

أما العلوم المتفرعة عليه فهى خمسة. علوم الزيجات والتقاويم والمواقيت وكيفية الارصاد وتسطيح الكرة والآلات الحادثة عنه والآلات الظلية. وذلك لأنه اما ان يبحث عن ايجاد ما يبرهن بالنعل اولا الثانى كيفية الارصاد. والاولى إما لحساب الاعمال أو التوصل الى معرفتها بالآلات والاول منها أن اختص بالكواكب المتحيزة فهو علم الزيجات والتقاويم والا فهو علم المواقيت والآلات اما شعاعية أو ظلية

(علم الزيجات) يتعلم منه مقادير حركات الكواكب السيارة منتزعا من الاصول الكلية

منفعته معرفة وضع كل واحد من الكواكب بالنسبة الى فلكه والى فلك البروج وانتقالاتها ورجوعها واستقامتها وتشريقها وتغريبها وظهورها واختفائها فى كل مكان وزمان وما يلزم ذلك من اتصال بعضها ببعض وكسوف وخسوف القمر وما يجرى هذا المجرى

(علم المواقيت) يتعرف منه أزمنة الايام والليالى وأحوالها وكيفية التوصل اليها

منفعته معرفة أوقات العبادات وتوخى جهتها والطوالع والمطالع من أجزاء البروج ومن الكواكب الثابتة التى منها منازل القمر ومقادير الظلال والارتفاعات وانحراف البلدان بعضها عن بعض وسموتها

(علم الارصاد) يتعرف منه كيفية تحصيل مقادير الحركات الفلكية والتوصل

بها بالآلات الرصدية

منفعته كمال علم الهيئة وحصول عمله بالفعل

(علم تسطيح الكرة) يتعرف منه كيفية ايجاد الآلات الشعاعية . منفعته الارتياض بعلم هذه الآلات وعملها وكيفية انتزاعها من أمور ذهنية مطابقة للاوضاع الخارجية والتوصل الى استخراج المطالب الفلكية

(علم الآلات الظلية) يتعرف منه مقادير ظلال المقاييس وأحوالها والخطوط التى ترسمها بأطرافها . منفعته معرفة ساعات النهار بهذه الآلات كالبسائط والقائمات والمائلات من الرخامات ونحوها

(علم العدد) ويسمى الأرتماطيقى يتعرف منه أنواع العدد وأحوالها وكيفية تولد بعضها من بعض موضوعه الاعداد من جهة لوازمها وخواصها

ينقسم الى جزئين الاول منهما يبحث فيه عن لواحق الاعداد فى ذاتها كالزوجية والفردية ونحوها . وثانيهما يبحث فيه عن لواحق الاعداد عند اضافة بعضها الى بعض كالتساوى والتفاضل والتناسب والتباين ونحوها واستخراج ما سبيله أن يستخرج منها . وهذا العلم كالعلم الالهى فى استغنائه عن غيره

وتتفرع عليه ستة علوم وهى: الحساب المفتوح وحساب التخت والميل وحساب الجبر والمقابلة وحساب الخطأين وحساب الدور والوصايا وحساب الدرهم والدينار

(علم الحساب المفتوح) يتعرف منه كيفية مزاولة الاعداد لاستخراج المعلومات الحسابية من الجمع والتفريق والتناسب

منفعته ضبط المعاملات وحفظ الاموال وقضاء الديون وقسمة التركات وغيرها

يحتاج اليه فى العلوم الفلكية وفى المساحة والطب وقيل يحتاج اليه فى سائر العلوم

(علم حساب التخت والميل) يتبين منه كيفية مزاولة الاعمال الحسابية برقوم تدل على الآحاد وتغنى عما بعدها من المراتب وهذه الرقوم التسعة منسوبة الى الهند

منفعته تسهيل الاعمال الحسابية وسرعتها خصوصاً الفلكية

(علم الجبر والمقابلة) يتبين منه كيفية

استخراج المجهولات العددية بمعادلتها لمعلومات تخصها

ومعنى الجبر انه اذا كانت مقادير يراد معادلتها لمقادير أخر وفيها استثناء رفع ذلك الاستثناء بزيادة الناقص ويزاد فى الجهة الاخرى نظيره ليعتدلا فى المعادلة ومعنى المقابلة اسقاط الزائد من احد الجملتين بعد الجبر ليعتدلا فى المعادلة وسير المقدرات الموزونة بالوزن يقع فية جبر ومقابلة

منفعته استعلام المجهولات العددية اذا كانت معلومة العوارض ورياضة الذهن

(علم حساب الخطأين) يتبين منه استخراج المجهولات العددية اذا امكن صيرورتها فى اربعة اعداد متناسبة

منفعته نحو منفعة علم الجبر والمقابلة الا انه أقل عموماً منه وأسهل عملا

وانما سمى حساب الخطأين لانه يفرض فيه المطلوب شيأ ويختبر فان وافق فذاك والا حفظ الخطأ الثانى واستخرج المطلوب منهما ومن المقدارين المفروضين وعلى هذا اذا اتفق وقوع المسألة أولا فى اربعة اعداد متناسبة امكن استخراجها بخطأ واحد

(علم الدور والوصايا) يتبين منه مقدار مايوصى به اذا تعلق بدور فى بادىء النظر. ولا بد من ايضاح هذا المعنى بصورة من صور مثالها: رجل وهب لمعتقه فى مرض موته مائة درهم لامال له غيرها فقبضها ومات قبل سيده وخلف بنتاً والسيد المذكور ثم مات السيد. فظاهر المسألة ان الهبة تمضى من المائة فى ثلثها فاذا مات المعتق رجع الى السيد نصف الجائز بالهبة

(علم حساب الدرهم والدينار) يتبين منه استخراج المجهولات العددية التى تزيد عدتها على المعادلات الجبرية ولهذه الزيادة لقبوا تلك المجهولات بالدرهم والدينار والفلس ونحوها

منفعته نظير منفعة الجبر والمقابلة فيما تكثر فيه اجناس المعادلة

(علم الموسيقى) يتبين به النغم والايقاع وأحوالها وكيفية تأليف اللحون وايجاد الآلات الموسيقية

موضوعه الصوت من جهة تأثيره فى النفس باعتبار نظامه فى طبقته وزمانه

أجزاؤه خمسة: الاول فى المبادىء وكيفية استنباطها

الثانى فى النغمات وأحوالها. والنغم

صوت لابث زمانا مايجرى من الالحان مجرى الحروف من الالفاظ وبسائطها سبع عشرة نغمة وأدوارها أربعة وثمانين دورا اختار الفرس منها اثنى عشر دور القبوها البردوات وأسماؤها : عشاق ، نوى ، بوسليك ، راست عراق ، اصفهان ، كجك بزرك زنكوله ، رهاوى ، حسينى ، حجازى وأتبعوها بستة أدوار لقبوها الاوازات وهى : شهناز ، ماثة ، سلك ، نوروز ، كردانية ، كوشت . والعرب كانت تنسب النغمات الى شدود العود لشهرته

الجزء الثالث فى الايقاع ، هو اعتبار زمان الصوت ، وأدوار الايقاعات عند العرب ستة : الثقيل الاول ، والثانى ، والماحوزى ، والرمل ، وخفيفه ، والهزج والفرس تقتصر على أربعة أضرب ، ضرب يعلم بضرب الاصل وهو قريب من الثقيل الاول وضرب يعلم بالمخمس وهو قريب من الماحوزى ، وضرب يعلم بالتركى وضرب يعلم بالفاختى وهو من الفروع

الجزء الرابع فى كيفية تأليف الالحان وبيان الملائم منها

الجزء الخامس فى ايجاد الآلات الموسيقية وتقديرها ، وانما وضعوا هذه الآلات لضرورة ومنفعة . أما الضرورة فاشتغال الاصوات الانسانية بالتنفس ونحوه فيتخللها فترات تخل باللذة . وأما المنفعة فما وجد فى بعض الآلات مما ليس فى الطبيعة فلم يحسن الاخلال به

(علم السياسة) يتعرف به أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات المدنية وأحوالها

موضوعه المراتب المدنية وأحكامها

منفعته معرفة الاجتماعات المدنية الفاضلة والمردية ووجه استبقاء كل واحد منها وعلة زواله ووجهة انتقاله وماينبغى أن يكون عليه الملك فى نفسه وحال أعوانه وأمر الرعية وعمارة المدن

(علم الاخلاق) يعلم منه أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها

موضوعه الملكات النفسية من الامور العادية

منفعته ان يكون الانسان كاملا فى أفعاله بحسب امكانه لتكون أولاده سعيدة وأخراه حميدة

(علم تدبير المنزل) يعلم منه الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجه وولده وخدمه

وجه الصواب فيها . موضوعه أحوال الاهل والخدم . منفعته انتظام أحوال الانسان فى منزله ليتمكن من كسب السعادة العاجلة والآجلة

***

هذه جملة أسماء العلوم التى كان يعرفها العرب وألفوا فيها المؤلفات الكثيرة فى ابان حضارتهم وقد حرصنا أن نأتى عليها بأسمائها عندهم وحددوها لديهم مع استخدام عباراتهم التى كانت خاصة بهم ليدرك القارىء مبلغ ما كان عليه العرب من البسطة العلمية فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تخبط فى دياجير جهالة القرون الوسطى . ولولا أن أصاب المسلمين جمود يشبه الموت البحت لترقت هذه العلوم مع الزمن وبلغت أعظم شأوها اليوم وهى عربية خالصة من العجمة ولم تكن فى حاجة لنقل العلم الاوروبى الى لغتنا ، وكانت آتتنا من ثمراتها فى الصنائع والفنون بما يبارى ما لدى اوروبا منهم أو يزيد عليها ولكن الله قضى غير هذا ولاراد لقضائه ولاشك ان فى ذلك حكمة لاندركها

﴿ العَلَم ﴾ لغة شىء منصوب فى الطريق ليهتدى به . والجبل ورسم الثوب ورقمه

والعَلَمَ فى الاصطلاح النحوى هو ماوضع لمسمى معين بدون احتياج الى قرينة كأحمد والهند . وهو مفرد كمحمد أو مركب اضافى كعبد الله ، أو مركب مزجى كسيبويه، أو مركب اسنادى كجاد الرب

حكم الاضافى ان يعرب صدره على حسب العوامل وعجزه بالاضافة

وحكم المزجى أن يمنع من الصرف الا اذا ختم بويه فيبنى على الكسر

وحكم الاسنادى أن يبقى على حاله

ينقسم العلم الى اسم وكنية ولقب . فالكنية كل مركب اضافى صدره اب أو أم كأبى بكر واللقب كل ما أشعر برفعة أو ضعة كرشيد وجاهل. والاسم ما عداهما كمحمد وأحمد

العادة أن يؤخر اللقب عن الاسم ولا ترتيب بين الكنية وغيرها

﴿ علَن ﴾ الامر يعلُن ويعلِن وعلِن يعلَن علنا وعَلانية ظهر . و (عالنه بالعداء) جاهره به

﴿ علا ﴾ الشىء يعلو علوّاً ارتفع و (عَلِيَ الشىء) يَعْلَى عَلاء ارتفع ،

و(عَلَّى الشيء) أعلاه. و(تعالى الشيء) ارتفع و(تعالَ) اى ائت . و (اعتلى واستعلى) ارتفع

(العالية) أعلى الرمح أو النصف الذى يلي السنان الى ثلثه .و (العالية) أيضا قرى بظاهر المدينة جمعها العوالى

(العُلاوة) من كل شيء مازاد عليه جمعه عَلاوى و (العِلِّيُّون) اسم لأعلى الجنة

(عُلْوِ الشيء) نقيض سُفله . و (العَلِيّ) المرتفع و(المُعَلَّى) هو سابع سهام الميسر عندالعرب وله أوفر حظ

﴿أبو العلاء﴾ انظر المعرى مادة عرى

﴿أبو العالية﴾ هو الحسين بن مالك أبو العالية الشامى مولى العميين

بنو العم قوم من فارس نزلوا البصرة فى بنى تميم أيام عمر بن الخطاب . وأبو العالية المذكور من ذريتهم. كان اديبا شاعراً راوية صحب الاصمعى وأخذ عنه وكان اذا جالس الاصمعى أو غيره وتكلم معه انتصف منه وزاد عليه . ومن شعره قوله :

ولو اننى أعطيت من دهرى المنى
وما كل من يعطى المنى بمسدد
لقلت لأيام مضين ألا ارجعى
وقلت لايام أتين ألا ابعدى

حدث المبرد قال قال الجماز لابى العالية كيف أصبحت ؟ قال أصبحت على غير مايحب الله ، وغير ماأحب أنا ، وغير مايحب ابليس . لان الله عز وجل يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك . وأنا أحب أن أكون على غاية الجد والثروة ولست كذلك ، وابليس يحب أن أكون منهمكا فى المعاصى واللذات ولست كذلك

ومن شعره ايضا .

اذم بغداد والمقام بها
من غير ماخبرة وتجريب
ماعند سكانها لمختبط
وفر ولا فرجة لمكروب
قوم مواعيدهم مطرزة
بزخرف القول والاكاذيب
خلوا سبيل العلى لغيرهم
ونازعوا فى الفسوق والحوب
يحتاج راجى النوال عندهم
الى ثلاث من غير تكذيب
كنوز قارون ان تكون له
وعمر نوح وصبر أيوب

كانت وفاته يوم تمام سنة (٢٤٠)ه

علوان الاسدى بن على بن مطارد الضرير كان من الادباء المطبوعين على الشعر . من شعره قوله :

أوجهك أم شمس النهار أم البدر
وثغرك أم در وريقك أم خمر
وقدك أم غصن ترنحه الصبا
وغنج اراه حشو جفنيك ام سحر
تبدى لنا والليل ملق جرانه
فعاد نهاراً قبل ان يطلع الفجر
أعاذلتى ما أقتل الحب للفتى
اذا كان من يهواه شيمته الغدر
ويامعشر العشاق ما أعجب الهوى
يُرى مره عذبا وأعذبه مر
ولم أنس حالى يوم زمت ركابهم
اقام بجسمى الضر وارتحل الصبر
فما للنوى لا ألف الله شمله
وما لغراب البين لاضمه وكر
وليل كيوم الحشر معتكر الدجى
طويل المدى لا يستبين له فجر
اراعى نجوماً ليس يانى زوالها
ولا مؤنس الا التسهد والفكر
ارى اسهم الايام تقصد مهجتى
كأن صروف الدهر عندى لها وتر
الا ايها الدهر المكدر عيشتى
رويدك منلى لا يروعه ذعر
أتحسب أن الى لمذنك ضارعا
فانى وفخر الدين لى فى الورى ذخر

علاء الدين الجوينى هو عطاء الملك بن محمد بن محمد الاجل علاء الدين الجوينى صاحب الديوان الخراسانى اخو الصاحب الكبير شمس الدين كان لهما الحل والعقد فى دولة ابغا ونالا من الجاه ما يجاوز الوصف

فى سنة (٦٨٠) قدم بغداد مجد الملك العجمى فأخذه صاحب الديوان وغله وعاقبه وصادر أمواله وأملاكه وعاقب سائر خواصه ولما عاد منكوتمر من الشام الى همذان مهزوما حمل علاء الدين المذكور معه الى عمران وهناك ابغا ومنكوتمر

فلما ملك ارغون بن ابغا طلب الاخوين فاختفيا وتوفى علاء الدين بعد الاختفاء بشهر سنة (٦٨١) ثم أخذ ملك اللور أماناً لشمس الدين من ارغون واحضره اليه فغدر به وقتله

ثم فوض أمر العراق الى سعد الملك العجمى ومجد الدين بن الاثير والامير على

ابن حكيان . ثم قتل آق زير ارغون الثلاثة بعد عام

كان علاء الدين واخوه فيها كرم وسؤدد وخبرة بالامور وعدل ورفق بالرعية وعمارة للبلاد . وبالغ بعضهم فقال كانت بغداد ايام الصاحب علاء الدين اجود مما كانت ايام الخليفة . وكان المؤلف اذا الف كتابا ونسبه اليهما كانت جائزته الف دينار وكان لهما نظر فى العلوم . ومن شعر علاء الدين قوله :

ابادية الاعراب عنى فاننى
بحاضرة الأتراك نيطت علائقى
واهلك بأنجل العيون فاننى
بليت بهذا الناظر المتضايق

على حرف جر تأتى للاستعلاء نحو (جاء على فرس) وتأتى للمصاحبة نحو (جاء على مرضه) وتأتى بمعنى اللام نحو (علام توبخه) وتأتى للاستدراك نحو (جاء على ان حضوره خير من غيبته)

وتاتى اسم فعل امر بمعنى الزم نحو (عليك الصلاة) اى الزمها

على بن أبى طالب هو امير المؤمنين ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء ورابع الخلفاء تولى الخلافة بعد عثمان بن عفان بطريق الانتخاب

تبين للقارىء من مطالعة سيرة عثمان ابن عفان فى هذا الكتاب ان هذا الخليفة مات مقتولا فى ثورة اهلية قام بها جمهور من الناقمين على حكومته فكانت لهم الكلمة العليا بعد مقتله فى نصب خليفته ولم يكن فى المدينة ولا فى العالم الاسلامى اذذاك أجدر من على بن أبى طالب بهذا الامر الخطير فقصده وفد من كبار الصحابة وكلموه فى أمر البيعة له فامتنع اولا ثم اجاب الى ذلك فكان اول من بايعه الاشتر النخعى . ولكن علياً عليه السلام كان حريصاً على ان يبايعه طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فانهما كانا من اجدر الناس بعده للخلافة وكان هوى بعض الناس معهما . فلما بويع لعلى بالخلافة أرسل اليهما ليبايعاه فتلكأ طلحة فمد يده الاشتر النخعى المتقدم ذكره وسل سيفه وقال والله لتبايعن او لأضربن به ما بين عينيك فبايعه مكرها وبايعه الزبير

وروى ان علياً قال لهما ان احببتما ان تبايعانى وان احببتما بايعتكما . فقالا بل نبايعك . ثم قال بعد ان نقضا بيعته انما

فعلنا ذلك خشية على انفسنا وقد عرفنا انه لم يكن ليبايعنا

وجيء بسعد بن أبي وقاص ليبايع فقال له لا أبايع حتى يبايع الناس والله ما عليك مني بأس . فقال علي خلوا سبيله

وجيء بعبد الله بن عمر ليبايع . فقال لا أبايع حتى يبايع الناس . قال ائتني بحميل قال لا أرى حميلا . فقال الاشتر خل عني اضرب عنقه . قال دعوه انا حميله . انك ما علمت لسيء الخلق صغيراً وكبيرا

وتخلف عن البيعة من الانصار جمع منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وابو سعيد الخدري ومحمد ابن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب ابن عجرة وكان هؤلاء يميلون الى عثمان ابن عفان

وهرب قوم من اهل المدينة الى الشام ولم يبايعوا عليا ولم يبايعه قدامة بن مظعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة وبايعه ما عدا هؤلاء من الصحابة

فلما تمت له البيعة صعد المنبر فحمد الله ثم قال :

« ان الله عز وجل انزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض أدوها الى الله سبحانه يؤدكم الى الجنة . ان الله حرم حُرَماً غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد المسلمين . والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده الا بالحق ولا يحل اذى المسلم الا بما يوجب . بادروا أمر العامة وخاصة احدكم الموت . فان الناس أمامكم وان من خلفكم الساعة تحدوكم . تخففوا تلحقوا فانما ينتظر الناس اخراهم . اتقوا الله عباده في عباده وبلاده انكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم . اطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه اذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه . واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض »

وروى بعضهم ان السبئية قالوا له وهو راجع الى بيته بعد الخطبة :

خذها اليك واحذرن أبا حسن
انا نمر الامر امرار الرسن
صولة اقوام كأسداد السفن
بمشرفيات كغدران اللبن
ونطعن الملك بلين كالشطن
حتى يمرن على غير عنن

فأجابهم امير المؤمنين بقوله :

انى عجزت عجزة لا اعتذر
سوف اكيس بعدها واستمر
ارفع من ذيلي ما كنت اجر
واجمع الامر الشتيت المنتشر
ان لم يشاغبني العجول المنتظر
أو يتركوني والسلاح يبتدر

وجاءه وفد من الصحابة وقالوا له انا قد اشترطنا اقامة الحدود. وان هؤلاء القوم (أى قتلة عثمان) قد اشتركوا فى دم هذا الرجل وأحلوا نأنفسهم

فأجابهم علي عليه السلام: انى لست اجهل ما تعلمون ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم. هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟

قالوا لا. قال فلا والله لا أرى الا رأيا ترونه ان شاء الله، ان هذا الامر أمر جاهلية، وان لهؤلاء القوم مادة، وذلك ان الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الارض من أخذ بها أبدا. ان الناس من هذا الامر ان حرك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة مالا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا. حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق فاهدأوا مني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا

ثم ان عليا شدد على قريش وحال بينهم وبين الهجرة وانما هيجه على ذلك هرب بني أمية الى الشام

وتفرقت الكلمة فكان بعضهم يقول والله لئن زاد الامر لأقدمنا على الانتصار من هؤلاء الاشرار. ولترك هذا الى ماقال علىّ أمثل. وكان البعض الآخر يقول نقضى الذى علينا ولا نؤخره. والله ان عليا لمستغن برأيه، وأمره عناد لانراه الا سيكون علي قريش أشد من غيره

(ما رآه على لاصلاح الاحوال)

أول ما رآه على عليه السلام لاصلاح حال المسلمين ورد الامور الى نصابها الاول عزل جميع ولاة عثمان قبل أن تصل اليه بيعة أهل الامصار اذ كان يرى فى ابقاء هؤلاء فى مناصبهم يوماً واحداً يقدح فى دينه. فحذره المغيرة بن شعبة وابن عباس من عاقبة هذا الامر فأبى وأصر على ما اراد

ثم فرق الولاة على الامصار فأرسل عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الكوفة وعبيد الله بن عباس على اليمن وقيس بن سهل بن عبادة على

مصر وسهل بن حنيف على الشام

فأما سهل بن حنيف فانه حين آتى تبوك لقيته خيل فسألوه عن شأنه . فقال أنا أمير الشام . فقالوا ان كان عثمان قد بعثك فحيهلا بك . وان كان غيره قد بعثك فارجع . قال اما سمعتم بالذى كان ؟ قالوا بلى .فرجع الى على

وأما قيس بن سعد فانه لما وصل الى مصر افترق اهلها فرقا ، ففرقة انضمت اليه وأخرى لزمت الحياد وأقامت فى خربتى وقالوا ان قتل قتله عثمان فنحن معكم والا فنحن على جديلتنا حتى نحرك او نصيب حاجتنا . وثالثة قالوا نحن مع علىّ مالم يقد اخواننا وهم فى ذلك مع الجماعة

وأما عثمان بن حنيف فانه لما وصل الى ولايته بالبصرة وجد أهلها شيعا كأهل مصر

وأما عمارة فلقيه طلحة بن خويلد بالطريق فأخبره بأن أهل الكوفة لا يريدون بأميرهم بدلا فرجع الى علىّ

وانطلق عبيدالله بن عباس الى اليمن فجمع الوالى الذى كان بها كل ما يستطيع جمعه من مال الجباية وخرج به ولحق بمكة

وكان على الشام معاوية بن أبى سفيان فلما بلغه خبر مقتل عثمان واسناد الخلافة الى علىّ خشى ان تدول دولته فاتهم عليا بالاغواء على قتل عثمان . وقوى شبهته فى ذلك بايوائه لقتلته فى جيشه

وأرسل على الى معاوية سبرة الجهنى يطلب اليه ان يبايع ، فلما قدم عليه لم يجبه معاوية بشىء حتى اذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان اراد معاوية أن يعلن خلافه فدعا الرجل فدفع اليه طومارا مختوما عنوانه (من معاوية الى علىّ) وقال اذا دخلت المدينة فارفع الطومار حتى يراه الناس فلما وصل الى المدينة عمل بما أمره به معاوية فعلم الناس انه مخالف لعلى . ودخل الرسول على علىّ فلم يجد معه غير ذلك الطومار

ثم ان الناس ارادوا ان يعرفوا نية على فى معاوية فأرسلوا اليه زياد بن حنظلة ليستطلع رأيه . فقال له على يازياد تيسر فقال لأى شىء ؟ قال نغزو الشام فقال الاناة والرفق أمثل

فتمثل على بقول الشاعر:

ومن لا يصانع فى أمور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

متى تجمع القلب الذكى وصارما
وانفا حميا تجتنبك المظالم

فخرج زياد على الناس فسألوه عما وراءه فقال السيف

ثم دعا علىّ ابنه محمداً فأعطاه لواءه وعبأ جنده واستخلف على المدينة قثم ابن عباس واقبل على التهيؤ والتجهز . وبينما هو يتخذ أهبته اذ فاجأه خبر خروج طلحة والزبير وعائشة عليه

وذلك ان عائشة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم كانت خرجت من المدينة وعثمان محصور قاصدة الحج فبلغها وهى بمكة ان عثمان قد قتل وان الخلافة أسندت الى على ابن ابى طالب فقامت بالمسجد الحرام فخطبت الناس وقالت :

« ان الغوغاء من أهل الامصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن غاب الغوغاء على هذا المقتول بالامس الاقرب واستعمال من حدثت سنه . وقد استعمل اسنانهم قبله ، ومواضع من مواضع الحمى حماها لهم، وهى أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها ، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحا لهم ، فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا خجلوا وبـادوا بالعدوان، ونبا قولهم عن فعلهم فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام وأخذوا المال الحرام واستحلوا الشهر الحرام والله لأصبع عثمان خير من طباق الارض أمثالهم . فنجاه من اجتماعكم عليهم حتى ينكل بهم غيرهم، ويشرد من بعدهم. والله لو أن الذين اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه والثوب من درنه، اذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء »

وكان بمكة فى تلك الآونة عبد الله ابن الحضرمى عاملها من قبل عثمان وعبد الله بن عامر والى البصرة ويعلى بن أمية قدمها من اليمن ثم قدم عليهم من المدينة طلحة والزبير فاجتمعت كلمتهم على أن ياتوا البصرة ويعلنوا المطالبة بدم عثمان والقصاص ممن اشترك فى دمه

فساروا جميعا فلما قاربوا البصرة وعلم بقدومهم عثمان بن حنيف واليها من قبل على بن ابى طالب ارسل اليهم عمران بن حصين وابا الاسود الدؤلى ليعلما ماذا يريد القوم فلما وصلا استأذنا على عائشة ، فأذنت لهما فاستخبراها عن قدومها فقالت لهم ، ان الغوغاء من أهل الامصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله واحدثوا فيه الاحداث ، آووا فيه المحدثين واستوجبوا

فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قبل امام المسلمين بلا ترة ولا عذرة فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ومزقوا الاعراض والجلود وأقاموا فى دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين ، لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون ، فخرجت فى المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا وما ينبغى لهم أن يأتوا فى اصلاح هذا . ثم قرأ (لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) فنهض فى الاصلاح من أمر الله عز وجل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصغير والكبير والذكر والانثى . فهذا شأننا الى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره

ثم سأل الرسولان طلحة ما أقدمك؟ فقال المطالبة بدم عثمان . فقالا ألم تبايع علياً ، قال بلى واللج على عنقى وما أستقيل علياً ان هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان

ثم سألا الزبير . فقال لهما مثل ما قال طلحة . فعاد الرجلان الى عثمان بن حنيف فأخبراه . فدعا الناس لينصروه من البصرة ولم يكن أهلها على رأى واحد

فلما قدم جيش عائشة الى البصرة خرج اليهم من أهلها من هو على رأيهم وخرج عثمان بن حنيف فكان هو ومن معه فى ميسرة المربد ووقف الآخرون فى ميمنته . فتكلم طلحة والزبير محرضين على المطالبة بدم عثمان الخليفة المظلوم فكاد يكون بين الفريقين قتال

فتكلمت عائشة وكانت ذات صوت جهورى فى معنى ما جاءت له فافترق أصحاب ابن حنيف فرقتين ، فرقة قالت صدقت والله وبرت وجاءت بالمعروف ، وفرقة لم ترفع بما قالت رأساً ولم ترضه واعتبرته من الفتنة.

ثم خرج بعد ذلك حكيم بن جبلة فى جماعة فقاتل جيش عائشة حتى حجزهما الليل . فلما أصبح الصباح خرج حكيم وعثمان بن حنيف على جماعة فقاتلوا جيش عائشة حتى زال النهار ومنادى عائشة يناشدهم ويدعوهم الى الكف فيأبون حتى اذا مسهم الضر نادوا بالصلح ، فاصطلحوا على أن يبعثوا رسولا الى المدينة ويسألوا عن بيعة طلحة والزبير فان كانا قد بايعا كرها فالامر أمرهما والا فالأمر أمر عثمان

ابن حنيف . وكان الرسول الذى أرسلوه كعب بن سور قاضى البصرة . فلما وصل المدينة قصد المدينة ونادى يا أهل المدينة انى رسول أهل البصرة اليكم ، أأكره هؤلاء القوم هذين الرجلين طلحة والزبير على بيعة على ، أم أتياها طائعين ؟ فلم يجبه أحد من القوم الا أسامة بن زيد فانه قام وقال : اللهم انهما لم يبايعا الا وهما كارهان. فوثب عليه سهل بن حنيف والناس وكادوا يأتون عليه لولا أن قام فخلصه من أيديهم صهيب بن سنان وأبو أيوب الانصارى فى عدة من الصحابة وأخذ بيده صهيب الى داره وقالوا أما وسعك ما وسعنا من السكوت ورجع كعب بن سوار الى البصرة

وكان على لما سمع بخبر كعب بن سوار كتب الى عثمان بن حنيف يعجزه ويقول والله ما أكرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل ان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما ، وان كانا يريدان غير ذلك نظرنا نظرا

فلما عاد كعب الى البصرة وورد الكتاب طلب طلحة والزبير من عثمان ابن حنيف أن يخلى لهم الامر فلم يفعل فهاجوه وأخذوه وقد أمرت عائشة بأن يترك ليسير حيث شاء ، فعاد الى على

وكان الحكيم بن جبلة معهم مناوشات قتل فى نهايتها وقتل معه عدد عظيم ممن كانت له شركة فى دم عثمان

ثم نادى منادى الزبير وطلحة بالبصرة ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم فجيء بهم أذلاء فقتلوا

ثم قام ذلك الجيش بالبصرة وكتبوا بأخبارهم الى أهل الشام والى أهل الكوفة يطلبون اليهم أن يقوموا بمثل ماقاموا به

فأسرع على عليه السلام الى هؤلاء ليقمع ثائرتهم وأرجأ سفره الى الشام لمقاتلة معاوية وكان يحاول أن يدركهم قبل أن يصلوا الى البصرة. فلما بلغ الربذة بلغه أنهم وصلوا الى البصرة فبعث الى أهل الكوفة يطلب اليهم أن يخفوا لنجدته ليتغلب على من خالفه . فاستشار أهل الكوفة أميرهم أبا موسى الاشعرى فقام فيهم خطيبا وجاء فى آخر خطبته :

اما اذ كان ما كان فانها فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، فأغمدوا السيوف

وانصلوا الاسنة ، واقطعوا الاوتار وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الامر ونتجلى هذه الفتنة

فردت رسل علىّ عليه السلام على أبى موسى وأغلظوا له القول وكان فيهم الحسن بن على فخطب أهل الكوفة فقال :

« يا ايها الناس أجيبوا دعوة أميركم وسيروا الى اخوانكم فانه سيوجد لهذا الامر من ينفر اليه ، والله لئن يليه أولو النُهَى أمثل فى العاجلة، وخير فى العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ماابتلينا وابتليتم به »

فأجاب الناس . فقال لهم الحسن انى غاد فمن شاء منكم أن يخرج على الظهر ومن شاء فليخرج فى الماء . فنفر معه من أهل الكوفة تسعة آلاف ، ركب بعضهم المطى وبعضهم السفن . ولحقت جنود البر بعلىّ بذى قار . فقال لهم :

«قد دعوتكم لتشهدوا معنا اخواننا من أهل البصرة فان يرجعوا فذلك ما نريد وان يلجوا داويناهم بالرفق وباينّاهم حتى يبدأوا بظلم ولن ندع امراً فيه صلاح الا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله

ثم ان عليا أرسل القعقاع بن عمرو سفيرا الى أهل البصرة فسار حتى جاء الى عائشة

فقال لها : اى امه ماأشخصك ؟

قالت : اى بنى اصلاح بين الناس

فقال القعقاع لطلحة والزبير ما أقدمكما ؟

فأجابه بما أجابت به عائشة

فقال لهما القعقاع ماهذا الاصلاح ؟

قالا قتلة عثمان فان هذا ان ترك كان تركا للقرآن ، وان عمل كان احياء للقرآن

فقال قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب للاستقامة منكم اليوم . قتلتم ستمائة رجل الا رجلا فغضب ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم ذلك الذى أفلت (يريد حرقوص بن زهير) فمنعه ستة آلاف وهم على رجل . فان تركتموه كنتم تاركين لما تقولون . فان قتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم . فالذى حذرتم وقربتم به هذا الامر أعظم مما أراكم تكرهون وأنتم أحميتم مضر وربيعة من هذا البلاء فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لاهل هذا الحدث العظيم، والذنب الكبير. ولا أرى دواء لهذا الامر الا التسكين ،

واذا سكن اختلجوا ، فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير ، وتباشير رحمة ،ودرك بثأر هذا الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الامة ، وان انتم ابيتم الا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شر ، وذهاب هذا الثأر ، وبعثة الله فى هذه الامة هزاهز ، فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون ، ولاتعرضونا للبلاء ولاتتعرضوا له فيصرعنا وایاکم وايم الله . انى لأقول هذا وأدعوكم اليه وانى خائف ان لايتم هذا حتى يأخذ الله من هذه الامة التى قل متاعها ونزل بها مانزل ، فان هذا الأمر الذى حدث أمر ليس يقدر وليس كالامور، ولاكقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل ، ولا القبيلة الرجل

فقال له القوم أحسنت وأصبت فان جاء علىّ بمثل ماقلت صلح الامر

فرجع القعقاع الى علىّ فأخبره فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح

ثم أمر علىّ بالرحيل وقال ضمن كلامه : « ولا يرتحل غداً أحد أعان على عثمان بشىء فى شىء من أمور الناس وليغن السفهاء عنى انفسهم »

فاجتمع نفر من زعماء المهيجين على عثمان فقالوا ان عزكم فى خطة الناس فصانعوهم فاذا التقى الناس غدا فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر . فلا يجد بداً من انتم معه من ان يمتنع . ويشغل الله علياً وطلحة والزبير عما تكرهون

فلما وصل علىّ الى البصرة بعث الى القوم يقول : « ان كنتم على مافارقتم القعقاع نكفوا وأقرونا ننزل وننظر فى هذا الامر »فنزلوا والقوم لايشكون فى الصلح

فقام السبئيون فى الغلس وأعملوا السيف فى جيش أهل البصرة . فقال طلحة والزبير قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة وانه لن يطاوعنا

وسأل علىّ عن الخبر، وكان السبئيون قد وضعوا قريبا منه رجلا ليخبره فأجابه بقوله قد فاجأنا القوم بالقتال . فقال علىّ قد علمت ان طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء ، ويستحلا الحرمة وانهما لن يطاوعانا

فلم يجد الفريقان بداً من القتال وكانت عائشة فى هودجها بين أهل البصرة فكان ذلك اليوم من أهول مارآه المسلمون وكان اهل الشجاعة يلوذون بجمل عائشة حتى

لاتصاب بسوء فهلك حوله خلق لايحصى لهم عدد

فلما رأى علىّ كثرة القتلى حول الجمل نادى (اعقروا الجمل) ، فعقروه فسقط وسقط الهودج وكان كأنه قنفذ من كثرة ما رمى من النبال ، وجاء محمد بن ابى بكر اخو عائشة وكان من حزب علىّ وعمار بن ياسر فقطعا غرضة الرحل واحتملا الهودج فنحياه عن القتلى . وخرج بها محمد بن ابى بكر المذكور حتى ادخلها البصرة

وقد قتل فى هذه الواقعة نحو عشرة آلاف من شجعان العرب منهم طلحة وابنه محمد وعبد الرحمن بن عتاب وغيرهم من مشهورى الرجال

اما الزبير فقد كان ترك الناس هربا بدينه فقتله بالطريق رجل يقال له عمرو ابن جرموز

ثم زار علىّ عائشة وقعد عندها ثم أمر بأن تجهز الى المدينة وودعها بنفسه أميالا

ثم أخذ بيعة أهل البصرة وأمر عليها عبد الله بن عباس وجعل على الخراج وبيت المال زياد بن أبى سفيان

(وقعة صفين)

لما انتهى على من امر اهل البصرة وجه نظره الى الشام وفيها معاوية بن أبى سفيان فأرسل اليه علىّ جرير بن عبد الله البجلى يطلب منه البيعة فماطله معاوية وكان بالشام نخبة الجنود الاسلامية فتحالفوا على أن لا يماسوا نساءهم ولا يناموا على فرشهم حتى يقتلوا قتلة عثمان ، وكان معاوية قد امتلك أفئدتهم بالمال والاخلاق الكريمة والسياسة الدقيقة فكانوا أطوع اليه من بنانه

فرفض معاوية بيعة علىّ واتهمه بالاشتراك فى قتل عثمان . فلم يرعلىّ بدا من مقابلته فعبر نهر الفرات من الرقة وقدم طلائعه فالتقت بطلائع معاوية فكانت بينهما مناوشات ثم تلاحقت بهما الجنود من كل طرف فى سهل صفين

فاختار علىّ ثلاثة من رجاله ليذهبوا الى معاوية طالبين منه الطاعة وهم بشير ابن عمرو الانصارى وسعيد بن قيس الهمذانى وشبث بن ربعى التميمى . فلما دخلوا على معاوية تكلم بشير بن عمرو فقال :

« يامعاوية ان الدنيا عنك زائلة ، وانك راجع الى الآخرة وان الله محاسبك بعملك ، وجازيك بما قدمت يداك ، انى أنشدك الله ان لاتفرق جماعة هذه الامة

وان لا تسفك دماءها »

فقال له معاوية :

« هلا اوصيت صاحبك بذلك ؟ »

فقال له بشر بن عمرو :

« ان صاحبي ليس مثلك ، ان صاحبي احق البرية كلها بهذا الامر فى الفضل والدين والسابقة فى الاسلام والقرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم »

فقال معاوية :

وماذا يريد منى علىّ ؟

فقال بشير بن عمرو :

يأمرك بطاعة الله ، واجابة ابن عمك الى مايدعوك اليه من الحق ، فأنه اسلم لك فى دنياك وخير لك فى عاقبة أمرك

قال معاوية :

ونطل دم عثمان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً

فقام إذ ذاك شبث بن ربعى احد السفراء الثلاثة فقال :

يا معاوية انى قد فهمت ما رددت . وانه والله لايخفى علينا ماتغزو وماتطلب انك لم تجد شيأ تستغوى به الناس وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم ، الا قولك قتل امامكم مظلوما فنحن نطالب بدمه ، فاستجاب لك سفهاء طغام ، وقد علمنا أن قد ابطأت عنه بالنصر واحببت له القتل لهذه المنزلة التى اصبحت تطلب ورب متمنى امر وطالبه يحول الله عزوجل دونه بقدرته . وربما أوتى المتمنى امنيته وفوق أمنيته . والله مالك فى واحدة منهما خير . لئن أخطأت ماترجو انك لشر العرب حالا فى ذلك ، ولئن أصبت ما تتمنى لا تصيبه حتى تستحق من ربك تصلى النار ، فاتق الله يامعاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الامر اهله »

فرد معاوية عليه رداً شديداً وأمرهم بالانصراف

فكان ذلك فاتحة باب القتال من الجانبين فبدأ القتال بشراذم كانت تتلاقى ثم تعود وانقضى شهر ذى الحجة على ذلك فلما هل المحرم توادع الفريقان الى انقضائه طمعا فى الصلح تفاديا من المجازر النظيمة التى تكون اذا تلاقى الجيشان وجها لوجه وترددت بين على ومعاوية الرسل . فبعث علىّ عدى بن حاتم الطائى . ويزيد بن قيس الارحبى وزياد بن خصفة وشبث بن ربعى . فلما دخلوا على معاوية تكلم عدى

فقال :

« انا أتيناك ندعوك الى أمر يجمع الله عز وجل به كلمتنا وأمتنا ويحقن به الدماء ويؤمن به السبل ، ويصلح ذات البين . ان ابن عم سيد المرسلين افضلها سابقة ، وأحسنها فى الاسلام أثراً ، وقد استجمع له الناس ، وقد أرشدهم الله بالذى رأوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك . فانك يا معاوية لا يصيبك الله وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل »

فقال معاوية :

« كأنك قد جئت مهدداً ولم تأت مصلحا وهيهات يا عدى ، كلا والله انى لابن حرب ، ما يقعقع لى بالشنان ، وانك لمن المجلبين على ابن عفان ، وانك لمن قتلته ، وانى لارجو أن تكون ممن يقتل الله عز وجل ، هيهات ياعدى قد حلبت بالساعد الاشد »

فقال شبث وزياد :

« انا أتيناك فيما يصلحنا واياك فأقبلت تضرب لنا الامثال . دع ما لا ينتفع به من القول والفعل واجبنا فيما يعمنا واياك نفعه »

« قال يزيد بن قيس :

« انا لم نأت الا لنبلغك ما بعثنا به اليك ولنؤدى عنك ما سمعنا منك ، ونحن على ذلك أن ننصح لك وأن نذكر لك ما ظننا ان لنا به عليك حجة ، وانك راجع به الى الالفة والجماعة . ان صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمون فضله ولا أظنه يخفى عليك ان اهل الدين والفضل لن يعدلوا بعلى ولن يميلوا بينك وبينه . فاتق الله يامعاوية ولا تخالف علينا فانا والله ما رأينا رجلا قط اعمل بالتقوى ولا ازهد فى الدنيا ولا أجمع لخصال الخير كلها منه »

فقال معاوية . « اما بعد فانكم قد دعوتم الى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التى دعوتم اليها فمعنا هى ، واما الطاعة لصاحبكم فانا لا نراها . ان صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرق جماعتنا ، وآوى ثارنا وقتلتنا وصاحبكم يزعم انه لم يقتله فنحن لا نرد ذلك عليه . أرأيتم قتلة صاحبنا ألستم تعلمون أنهم اصحاب صاحبكم ، فليدفعهم الينا فلنقتلهم به ثم نحن نجيبكم الى الطاعة والجماعة »

فقال له شبث بن ربعى : أيسرك يامعاوية انك ان امكنت من عمار تقتله ؟

فقال معاوية : وما يمنعني من ذلك، والله لو أمكنت من ابن سمية ما قتلته بعثمان ولكن كنت قاتله بنائل مولى عثمان

فقال شبث : لا تصل الى عمار حتى تندر الهام عن كواهل الاقوام وتضيق الارض الفضاء عليك برحبها

فقال معاوية : انه لو قد كان ذلك كانت الارض عليك اضيق

فرجع هذا الوفد على غير طائل . ثم ان معاوية أرسل الى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد والاخنس بن شريق فدخلوا عليه فتكلم حبيب فقال :

«اما بعد فان عثمان بن عفان كان خليفة مهديا يعمل بكتاب الله عز وجل وينيب الى أمر الله . فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع الينا قتلة عثمان ان زعمت انك لم تقتله نقتلهم به ثم اعتزل امر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم »

فقال له علي عليه السلام: ما انت لا ام لك والعزل وهذا الامر . اسكت فانك لست هناك ولا بأهل له

فقام حبيب بن مسلمة وقال : والله لتريني بحيث تكره

فقال عليّ : وما انت ولو اجلبت بخيلك ورجلك ، لا ابقى الله عليك ان ابقيت علي . أحقرة وسوءا ؟ اذهب فصوب وصعّد ما بدلك

فقال شرحبيل بن السمط ان كلمتك فلعمري ما كلامي الا مثل كلام صاحبي قبلُ . فهل عندك جواب غير الذي اجبت به قبل ؟ فقال عليّ : نعم فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وهدايته للخلق ثم ذكر وفاته واستخلاف الناس ابا بكر ثم عمر . ثم قال علي فأحسنا السيرة وعدلا في الامة وقد وجدنا عليهما أن توليا علينا ونحن آل رسول الله فعفونا ذلك لهما . وولي عثمان فعمل أشياء عابها الناس عليه فساروا اليه فقتلوه . ثم أتاني الناس وانا معتزل امورهم فقالوا لي بايع فأبيت عليهم ، فقالوا لي بايع ، الامة لا ترضى الا بك وانا نخاف ان لم تفعل يفترق الناس. فبايعتهم فلم يرعني الا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الاسلام، طليق بن طليق، حزب من هذه الاحزاب

لم يزل لله ولرسوله وللمسلمين عدوا هو ووراء حتى دخلا فى الاسلام كارهين فلا غرو الا خفوفكم معه وانقيادكم له ، وتدعون آل نبيكم الذى لا ينبغى لكم شقاقهم ولا خلافهم ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً الا انى أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه وإماتة الباطل وإحياء معالم الدين

فقال له شرحبيل : فاشهد ان عثمان قتل مظلوما

فقال لها : لا أقول انه قتل مظلوما ولا انه قتل ظالما

قال شرحبيل : فمن لم يزعم ان عثمان قتل مظلوما فنحن منه براء ثم انصرفوا

لما انسلخ المحرم أمر على أن ينادى أمام جيش معاوية . ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم انى استقدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا اليه ، واحتججت عليكم بكتاب الله فدعوتكم اليه فلم تناهوا عن طغيان ، ولم تجيبوا الى حق ، وانى قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين

وفى غد ذلك اليوم وكان الاربعاء أول صفر سنة ٣٧ ابتدأت الحرب بالمبارزة على عادة العرب حتى مضت سبعة أيام ثم أمر على جنوده بالهجوم العام فتناحروا طول النهار الى المساء ثم أعادوا الكرة فى اليوم التالى بأشد حمية فظهر الضعف فى ميمنة جيش على وانتهبت هزيمتهم اليه فمشى على نحو الميسرة فانكشفت عنه ولم يثبت معه فيها الا القليل . فأمر على الاشتر النخعى أن يتدارك القوم فذهب اليهم وهيجهم على القتال فكروا معه فأخذ يهزم الكتائب ويكسر الكراديس حتى كشف هذه الجموع المتدفقة عليه وألحقهم بصفوف معاوية بين العصر والمغرب ولم يزل الاشتر فى هجمته حتى وصل الى حرس معاوية الذى كاد يهرب ولم يمنعه الا مجىء المساء وكف الاشتر عنه . فلما أصبح الصباح أخذ الاشتر النخعى يتابع هجومه فى الميمنة فتحقق معاوية أن الدائرة قد دارت عليه وان الامر خرج من يديه ، فعمد هو وابن العاص ومستشاروه الآخرون الى الحيلة . فبينما الاشتر النخعى وجيشه يخترق الصفوف اذا بالمصاحف قد رفعت على أطراف الرماح من قبل جيش معاوية وقائل يقول هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام؟ ومن لثغور العراق بعد أهل العراق

فلما رأى أهل العراق (أى جيش على)

المصاحف مرفوعة قالوا نجيب الى كتاب الله

فقال لهم عليّ عليه السلام ياعباد الله امضوا على حقكم وصدقكم فان معاوية وعمرو بن العاص وابن ابى معيط وحبيب ابن مسلمة وابن أبى سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم ، قد صحبتهم اطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال . ويحكم انهم مارفعوها ثم لا يرفعونها ولا يعملون بما فيها، ومارفعوها لكم الاخديعة ودهاء ومكيدة

فقالوا مايسعنا ان ندعى الى كتاب الله عز وجل فنأبى ان نقبله

وقال مسعر بن فدكى التميمى وأشباه له من القراء أجب الى كتاب الله اذا دُعيت اليه والا ندفعك برمتك الى القوم أو نفعل بك كما فعلنا بابن عفان انه علينا أن نعمل بما فى كتاب الله عز وجل والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك. ثم طلبوا منه ان يبعث الى الاشتر ليترك القتال . فأرسل اليه رسولا . فقال الاشتر للرسول ليس هذه الساعة التى ينبغى لك ان تزيلنى فيها عن موقفى ، انى قد رجوت أن يفتح لى فلا تعجلنى. فرجع الرسول بالخبر فما انتهى اليه حتى ارتفع الرهج وعلت الاصوات من قبل الاشتر. فقال له القوم والله مانراك الا أمرته أن يقاتل . ثم قالوا ابعث اليه فليأتك والا والله اعتزلناك فقال للرسول ويحك قل للأشتر أقبل فان الفتنة قد وقعت . فأقبل الاشتر اليه

ثم أرسل علي عليه السلام الاشعث ابن قيس ليسائل معاوية عما يريده . فلما ذهب اليه قال له معاوية : نرجع نحن وأنتم الى أمر الله فى كتابه ، تبعثون منكم رجلا ترضونه ، ونبعث منا رجلا ، ثم نأخذ عليهما ان يعملا بما فى كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقنا عليه

فرجع الاشعث الى على فأخبره . فقال الناس رضينا وقبلنا

فاختار أهل الشام عمرو بن العاص واختار أهل العراق أبا موسى الاشعرى فبيّن لهم على تخوفه من أبى موسى لأنه كان يخذل الناس عنه فأبوا الا اياه فاضطر لمشايعتهم

ثم كتب الفريقان بينهما عقد التحكيم وهذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماتقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى

سفيان: قاضى علىٌّ على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين انا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ولا يجمع بيننا غيره، وان كتاب الله عزوجل بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات . فما وجد الحكمان فى كتاب الله عز وجل وهما ابوموسى الاشعرى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشى عملا به وما لم يجدا فى كتاب الله عزوجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة. وأخذ الحكمان من على ومعاوية ومن الجند بن العهود والمواثيق والثقة من الناس انهما آمنان على أنفسهما وأهلهما والامة لهما أنصار على الذى يتقاضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهد الله وميثاقه انا على ما فى هذه الصحيفة وان قد وجبت قضيتهما على المؤمنين، فان الامن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم وشاهدهم وغائبهم وعلى عبد الله بن قيس (هو ابو موسى الاشعرى) وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ان يحكما بين هذه الامة ولا يرداها فى حرب ولا فرقة حتى يعصيا ، وأجلا القضاء الى رمضان وان أحبا أن يؤخرا ذلك اخراه على تراض منهما . وان توفى أحدهما فان امير الشيعة يختار مكانه ولا يألو من اهل المعدلة والقسط ، وان مكان قضيتهما الذى يقضيان فيه مكان عدل بين اهل الكوفة واهل الشام ، وان رضيا وأحبا فلا يحضرهما فيه الا من اراد ويأخذ الحكمان من أراد من الشهود ثم يكتبان شهادتهما على ما فى هذه الصحيفة وهم أنصار على من ترك هذه الصحيفة وأراد فيه الحاداً وظلما فاللهم انا نستنصرك على من ترك ما فى هذه الصحيفة »

ثم يلى هذه أسماء الشهود من الطرفين وكان تحريرها فى ١٥ صفر من سنة ٣٧

انتهت وقعة صفين التى قتل فيها من الطرفين تسعون الفا . وهو قدر عظيم لم يحدث مثله فى تاريخ الاسلام بل قيل ان قتلى جميع الوقائع الاسلامية من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عهدها لم يبلغ هذا العدد

بعد كتابة هذا العقد رجع معاوية الى دمشق مع جنوده . اما أصحاب على فقد حدث بينهم شقاق عظيم فرجعوا وهم يتسابون ويتضاربون بالسياط طول الطريق بعضهم يقول بعدم جواز التحكيم

لصحة بيعة على بعضهم بقول بصحته ويرون نسخط معارضيهم خروجا على علىّ

فلما دخل علىّ الكوفة لم يدخل معه اثنى عشر الفا تحت قيادة شبث بن ربعى التميمى . فبعث اليهم علىّ عبد الله بن عباس وأمره أن لا يكلمهم حتى يحضرهم نفسه . فأقبل القوم عليه يكلمونه . فقال لهم ابن عباس ما نقمتم من الحكمين ؛ وقد قال الله عز وجل ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

فقالوا ان ما جعل حكمه على الناس وأمره بالنظر فيه والاصلاح له فهو اليهم كما أمره به وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه . حكم فى الزانى مئة جلدة وفى السارق قطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا فى هذا

فقال ابن عباس فان الله عز وجل يقول : يحكم به ذوا عدل منكم

فقالوا له أو نجعل الحكم فى الصيد ، والحدث يكون بين المرأة وزوجها ، كالحكم فى دماء المسلمين ؟

ثم قالوا ان هذه الآية بيننا : أعدل عندك ابن العاص وهو بالامس يقاتلنا ويسفك دماءنا ؟ فان كان عدلا فلسنا بعدول ونحن أهل حربه . وقد حكمتم فى أمر الله الرجال وقد أمضى الله حكمه وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا . وقبل ذلك دعوناهم الى كتاب الله فأبوه ، ثم كتبتم بينكم وبينهم كتابا وجعلتم بينكم وبينه الموادعة والاستفاضة . وقد قطع عز وجل الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ براءة الا من أقر بالجزية

ثم جاء على فوجد ابن عباس يخاصمهم فقال له انته عن كلامهم ألم أنههم ؟ ثم سألهم ما أخرجكم علينا ؟

قالوا حكومتكم يوم صفين

فقال أنشدكم الله ألست قد نهيتكم عن قبول التحكيم فرددتم على رأيى. ولما أبيتم الا ذلك اشترطتم على الحكمين ان يحييا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما أمات القرآن . فان حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكما يحكم بما فى القرآن . وان أبيا فنحن من حكمهما براء

قالوا له فخبرنا أتراه عدلا تحكيم الرجال فى الدماء ؟

فقال على : انا لسنا حكمنا الرجال وانما حكمنا القرآن . وهذا القرآن انما هو

خط مسطور بين دفتين لا ينطق، وانما يتكلم به الرجال

قالوا فخبرنا عن الاجل لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟

قال ليعلم الجاهل ويثبت العالم، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه المدنة هذه الامة . ادخلوا مصركم رحمكم الله

فقالوا ان التحكيم كان منا كفرا وقد تبنا الى الله فتب نبايعك

فقال علي ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى يجيء المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدونا فدخلوا على ذلك

اجتماع الحكمين

لما آن وقت اجتماع الحكمين أرسل عليّ أربعمائة مقاتل تحت قيادة شريح بن هانئ، ومعهم ابو موسى الاشعري وبعث معاوية اربعمائة رجل ومعهم عمرو بن العاص وكانوا اتفقوا على ان يجتمعوا بدومة الجندل باذرح. وقد شهد هذا المشهد جم غفير من الصحابة منهم عبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث والمغيرة ابن شعبة

تكلم الحكمان فقال عمرو بن العاص لابي موسى الاشعري ألست تعلم ان معاوية وآل معاوية أولياء عثمان ؟

قال أبو موسى : بلى

قال عمرو : فان الله يقول فمن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصورا . فما يمنعك من معاوية ولي عثمان يا أبا موسى وبيته في قريش كما قد علمت ؟ فان تخوفت أن يقول الناس ولي معاوية وليست له سابقة ، فان لك بذلك حجة ، تقول اني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم. والطالب بدمه، الحسن السياسة، الحسن التدبير، وهو اخو ام حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صحبه فهو أحد الصحابة

ثم قال له ان ولبي (أي موكلي) قد أكرمك كرامة لم يكرمها خليفة

فقال أبو موسى يا عمرو اتق الله . فأما ما ذكرت من شرف معاوية فان هذا ليس على الشرف يولاه أهله ، ولو كان الشرف لكان هذا الامر لآل أبرهة بن الصباح . انما هو لاهل الدين والفضل . مع اني لو كنت معطيه أفضل قريش أعطيته علي بن أبي طالب. وأما قولك ان معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الامر فاني لم أكن لأوليه معاوية وأدع المهاجرين

الاولين . واما تعريضك لى بالسلطان فوالله لو خرج لى من سلطانه كله ماوليته وما كنت لأرتشى فى حكم الله عز وجل . ولكنك ان شئت احيينا اسم عمر بن الخطاب

فقال عمرو ان كنت تحب بيعة ابن عمر فما يمنعك من ابنى وانت تعرف فضله وصلاحه

فقال ان ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته فى هذه الفتنة

فاتفق الحكمان على ان يخلع كل منهما صاحبه ويدع الأمر للمسلمين يولون عليهم من شاؤا . فتقدم أبوموسى للناس وقال :

« أيها الناس انا قد نظرنا فى أمر هذه الامة فلم نر أصلح لامرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع عليه رأيى ورأى عمرو وهو أن نخلع عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الامر أهلا

وروى المسعودى المؤرخ ان الحكمين لم يخطبا الناس وانما كتبا صحيفة فيها خلع على ومعاوية وان المسلمين يولون عليهم من أحبوا

ولكن لهج كثير من المؤرخين بأن عمرو بن العاص خطب بعد أبى موسى فقال : أن هذا (اى ابا موسى) قال ماقد سمعتم وخلع صاحبه وانا اخلع صاحبه ما خلعه وأثبت صاحبى معاوية فانه ولى عثمان والطالب بدمه واحق الناس بمقامه فحدث بين ابى موسى وبينه نزاع . وهو قول غير معقول والصواب ماذكره المسعودى فان الحكم يجب ان يكتب كما كتب عقد التحكيم لا ان يعلن على شكل خطبة

فلم يرض علىّ عليه السلام بهذ الحكم ورأى أن لا بد له من معاودة الكرة على معاوية

(الخوارج على علىّ بن ابى طالب)

لما اراد على عليه السلام ان يولى ابا موسى امر التحكيم كره بعض الناس ذلك لانهم كانوا يرون ان علياً امامته صحيحة وان جنوحه للتحكيم شك بعد يقين لا يجوز لخليفة ان يتصف به حتى عدوه كفرا . فلما ارسل ابا موسى جاءه رجل من هؤلاء الكارهين للتحكيم فقال له ان الناس قد تحدثوا عنك انك رجعت لهم عن كفرك

فصعد على المنبر وذكر أمر هؤلاء الخوارج ونعي عليهم مذهبهم . فوثبوا من نواحى المسجد يقولون (لاحكم الا الله)

وعلى يقول (كلمة حق اريد بها باطل)

ثم اجتمع أولئك الكارهون فى دار عبد الله بن وهب الراسبى فخطبهم خطبة حثهم فيها على الخروج على على. وقال فى آخر خطابه. فأخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها الى بعض كور هذه الجبال أو الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة

ثم انهم عرضوا الرئاسة على جمهور منهم فأبوها زهداً فى الدنيا فلما عرضوها على عبد الله بن وهب قال : هاتوها اما والله لا آخذها رغبة فى الدنيا، ولا أدعها فرقا من الموت . فبايعوه ثم اتفقوا على أن يخرجوا وحدانا مستخفين حتى يجتمعوا فى جسر النهروان

فلما خرجت الخوارج جاءت شيعة على فبايعوه وقالوا نحن أولياء من واليت واعداء من عاديت

فخطب أمير المؤمنين الناس فقال:

« الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدثان الجليل ، وأشهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله . (اما بعد) فان المعصية تورث الحسرة ، وتعقب الندم. وقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة أمرى ونخلتكم رأيى لو كان لقصير أمر ، ولكن أبيتم الا ما أردتم فكنت أنا وانتم كما قال أخو هوزان :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد الاضحى غد
فلما عصونى كنت منهم وقد أرى
مكان الهدى وانى غير مهتدى
وهل أنا الا من غزية ان غوت
غويت وان ترشد غزية ارشد

« الا أن هذين الرجلين اللذين اخذتموها حكمين قد نبذا القرآن ، واتبع كل منهما هواه بغير هدى من الله، فحكما بغير حجة بينه ولا سنة ماضية ، واختلفا فى حكمهما ، وكلاهما لم يرشد ، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين

« استعدوا وتأهبوا للمسير الى الشام وأصبحوا فى معسكركم ان شاء الله يوم الاثنين»

ثم كتب الى الخوارج يدعوهم للمجىء معه لمحاربة اهل الشام فكتبوا اليه :

(اما بعد) فانك لم تغضب لربك وانما غضبت لنفسك ، فان شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك . والا فقد نابذناك على

سواء ان الله لايحب الخائنين »

فأراد على ان يدعهم ويسير الى الشام فخرج حتى عسكر بالنخيلة ومن هناك كتب الى ابن عباس ان يرسل اليه جيش البصرة ، والى امير المدائن ليرسل اليه جندها فاجتمع عنده نحو سبعين الفا

فبلغ عليا وهو بالنخيلة ان الخوارج اعترضوا الناس وقتلوا منهم فأرسل اليهم رسولا فقتلوه فقصدهم بجيشه فنصح لهم وانذرهم فأصروا على معاندته . فرفع على راية مع ابى ايوب الانصارى ونادى من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ومن انصرف الى الكوفة او الى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ، انه لاحاجة لنا بعد ان نصيب قتلة اخواننا منكم فى سفك دمائكم فانصرف منهم جمع وخرج الى على جمع وبقى مع عبد الله بن وهب قائدهم ٢٨٠٠ رجل من اربعة آلاف فأصر هؤلاء الرهط القابلون على الموت دون مبدأهم فزحف اليهم على فسحقهم ولم يبق منهم الا نفر قليل وكانت هذه الوقعة على جسر النهروان . وهذه من اكبر ما عرف من صدق العزيمة فى المحافظة على المبادىء فان قوماً يبذلون ارواحهم لمجردانهم لم يرضوا عما جرى من التحكيم ظنا منهم ان ذلك يقدح فى ايمانهم نعتبرها من اكرم اعمال الحرية وان كنا لانرى رأيهم فى الخروج على علىّ عليه السلام وعذره واضح فى الانقياد الى التحكيم

ثم أراد أمير المؤمنين ان يسير الى معاوية فأظهر جيشه التثاقل بحجة ان نبالهم نفدت وسيوفهم كلت فرجع بهم الى الكوفة ليأخذوا أهبتهم فازدادوا تثاقلا عن القتال رغماً عن الخطب المؤثرة التى كان يلقيها عليهم

(تطلع معاوية لامتلاك مصر)

لما نجح معاوية فى حيلته من التحكيم وأدرك ماألم بجيش على من الوهن امتدت مطامعه لامتلاك مصر وغيرها ونشطه على ذلك مبايعة أشياعه له بالخلافة ولكن كان على مصر من قبل علىّ قيس بن سعد ابن عبادة وهو من اولى البصر والسياسة فاستقامت له امورها رغما عن وجود شيعة استفظعوا مقتل عثمان فاعتزلوا فى قرية خربتى وكانوا تحت قيادة مسلمة بن مخلد الانصارى فكان قيس بن سعد يداريهم ولا يتعرض لهم بسوء خوفا من الفتنة

واضطراب الامور . فظن معاوية انه غير مخلص لعليّ فكاتبه ليغويه للانضمام اليه فكتب اليه قيس ماأيأسه منه

فعمد معاوية الى الحيلة ليحمل علياً على عزله فتظاهر بالشام انهوى قيس معه وأمر أصحابه بأنلا يسبوه .تظاهرمعاوية بهذا ليكتب جواسيس علىاليه بذلك.وقد نجحت هذه الحيلة فان أولئك الجواسيس كتبوا لعلى بما يتظاهر به معاوية . فساء ظنه بعامله قيس بن سعد بن عبادة فأمره بأن يقاتل المعتزلين بخربتى وعددهم عشرة آلاف . فكتب اليه قيس بربه ان ذلك يعود بالشر علي البلاد وانه مكتف شرهم بالمياسرةواللين فازداد عليّ شكافىصدقه فكتب اليه يشدد فى وجوب محاربتهم فرد عليه قيس بالمعنى الاول فأبى عليه الا مقاتلهم.فأرسل اليه قيس يقول انمقاتلتهم تعود بالوبال على مصير مصر ثم ختم خطابه بقوله «انتهمنى فاعزلنى عن عملك وابعث اليه غيرى »

فعزله على وولى عليها محمد بن أبى بكر فأخذه فى مشادة أولئك المعتزلين الذين لما بلغهم خبر وقعة صفين اجترأوا على محمد ابن أبى بكر فأرسل اليهم سريتين كان نصيبهما الفشل.فلما بلغ عليا ماحصل قال مالمصر الاأحدرجلين صاحبنا الذى عزلناه عنها (يعنى قيس بن سعد) أو مالك بن الحارث الاشتر النخعى وكان والياً على الجزيرة فولاه مصر فمات وهو سائر اليها . ويقال ان معاوية دس اليه السم بواسطة بعض أشياعه

فانتهز معاوية فرصة هذا الاضطراب وكتب الى مسلمة بن مخلد رئيس المعتزلين بخربتى يمنيه ويأمره بالثبات ثم جهزجيشا الى مصر تحت قيادة عمرو بن العاص فسار اليها حتى نزل أدانيها واجتمعت عليه شيعة عثمان فكتب عمرو الى محمد بن أبى بكر

« أما بعد فتنح عنى بدمك يا ابن أبى بكر فانى لاأحب أن يصيبك منى ظفر. ان الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على اتباعك فهم مسلموك لو قدالتقتا حلقتا البطان فاخرج منها انى لك من الناصحين»

فكتب محمد بن أبى بكر الى على يطلب اليه المدد وخرج لعمرو بن العاص فى الفى مقاتل فانهزم واختفى محمد بن أبى بكر فقتله معاوية بن خديج ثم أحرقه بالنار

ثم أخذ معاوية ينتقص أطراف البلاد فأرسل النعمان بن بشير الى عين التمر فأخذها . ووجه سفيان بن عوف للاغارة على هيت والانبار والمدائن فأتى الانبار واحتمل مابها من الاموال وتعقبه على فلم يلحقه

ووجه معاوية عبدالله بن مسعدة الى تيماء فقاتله وهزمه ثم سهل له طريق الفرار فاتهم بالغش

ووجه معاوية الضحاك بن قيس للاغارة على بوادي البصرة

ووجه بسر بن ارطاة الى الحجاز واليمن فامتلك المدينة وبايع أهلها لمعاوية ثم أتى مكة فبايعه أهلها أيضا ثم ذهب الى اليمن وكان عليها عبيد الله بن عباس ففر منها الى على بالكوفة فاستولى بسر على اليمن وقتل ابنين صغيرين لعبيد الله بن عباس

ومن أدل دلائل الاضطراب فى حكومة على ان عبيد الله بن عباس وهو من أخص شيعته فارقه وترك البصرة التى كان قد ولاه عليها وجاء مكة لان عليا اتهمه بمال أخذه من مال المسلمين

(مقتل على عليه السلام)

اجتمع ثلاثة رجال من الخوارج على على عليه السلام وهم عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبدالله وعمرو بن بكر التميمى فتذاكروا فيما آل اليه أمر المسلمين من الفرقة والشتات وذهاب كل فريق لتأليد زعيم وانتهوا من مذاكرتهم الى عدم احتمال صلاح هذا الامر الا بقتل أولئك الزعماء الذين اعتبروهم ثلاثة وهم على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وعمرو ابن العاص . فانتدب عبد الرحمن بن ملجم لقتل علي عليه السلام، وتعهد البرك ابن عبد الله بقتل معاوية ، وأخذ عمرو بن ابى بكر على نفسه قتل عمرو بن العاص . ثم تعاهدوا على ذلك وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذى توجه لقتله حتى يقتله أو يموت دونه . ثم أخذوا أسيافهم فسقوها سما وتواعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان سنة (٤٠) أن يثب كل على صاحبه الذى توجه اليه

فأما ابن ملجم فذهب الى الكوفة فلما كانت ليلة ١٥ من رمضان سنة (٤٠) ترصد لعلى بالمسجد فلما خرج أمير المؤمنين لصلاة الصبح ضربه فى قرنه بالسيف

وهو ينادي الحكم لله ياعلى لا لك ولا لأصحابك

فنادى على لا يفوتنكم الرجل فشد عليه الناس فقبضوا عليه

أما البرك بن عبد الله فانه ترصد فى ذلك اليوم نفسه لمعاوية فلما خرج لصلاة الصبح شد عليه بالسيف فلم يصبه الا فى أليته ولم تكن ضربة قاتلة

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص فى تلك الليلة فاتفق انه أصبح متوعكا فأناب عنه خارجة بن حذافة ليصلى بالناس فشد عليه عمرو بن بكر فقتله

لما ضرب على عليه السلام فزع الناس اليه من كل حدب واجين آسفين مما أصابه ثم قالوا له ان فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن؟ فقال ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر؛ ثم أوصى أولاده بطاعة الله وتقواه وعولج من جرحه فلم يبرأ وتوفى عليه السلام فى ١٧ من رمضان سنة (٤٠) بعد أن مضى على خلافته أربع سنين وتسعة أشهر الا أياما ودفن بالكوفة التى كان اتخذها داراً للخلافة

﴿ صفات على عليه السلام ﴾

اجتمعت فى على عليه السلام خصال لم تجتمع لغيره من الخلفاء وهى العلم الغزير والشجاعة العالية والفصاحة الباهرة وكان مع هذا حاصلا من محامد الاخلاق ومكارم الطباع على ما لا يتفق لغير الكاملين من الافراد

فكان عليه السلام من الشجاعة بالمكان الارفع حتى ان الابطال كانت تتجنب موافقته . شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها فكان فيها خائض غمرات ، وكاشف كربات، ومبدد كتائب وكان من أعلم أهل وقته بأساليب الحرب وفنونها لم تحفظ عليه فرة ، ولم تلاحظ عليه نبوة

فكان هو وأبو بكر وعمر أجدر الناس بخلافة النبى صلى الله عليه وسلم لما جمع الله فيهم من صفات الخير وخلال الكمال الا أن خلافة على جاءت والناس فى دور فتنة عمياء وفى وقت كان فيه على جند المسلمين بالشام رجل شديد الدهاء بعيد المطامع وهو معاوية بن أبى سفيان انتهز فرصة تقلب الاحوال فى عاصمة الخلافة الاسلامية فدعا الناس لنفسه وكان بما فيه من صفات القادة وخلال رجال السياسة كفؤا لما ندب نفسه اليه فالتفت

عليه قلوب من كان قبله من جنود المسلمين وفؤادهم واستطاع بهذه القوة من منازعة علي عليه السلام على الخلافة طول مدة خلافته وكان من أكبر اسباب قوته عدم تحرجه مما كان يتحرج منه الخليفة الرابع من استمالة الاحزاب اليه بالاموال واجتذاب أهوائهم بالمصانعات. فبينما كان علي يحاسب عماله ورجاله على الفتيل والقطمير ولا يضع درهما في غير موضعه على مانص عليه كتاب الله وسنة رسوله ، كان معاوية يهب مئات الالوف لاشياعه بلا حساب. فاجتمعت عليه أهواء من معه ورأوا في بقائه بقاء لتمتعهم واستدامة لعزتهم فلم يقصروا في الدفاع عنه طرفة عين ، ولولا هذه الاسباب لما استطاع معاوية أن يطمح ببصره الى خلافة النبي صلى الله عليه وسلم في حياة علي بن ابي طالب بل ولا في حياة مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وغيرهما من أركان الدين واعلام الهدى ، ولكن للمال في كل زمان ومكان. سلطانا على النفوس يفوق كل سلطان

وكان من عوامل نجاح معاوية بن أبي سفيان حلمه البالغ الحد ، وسياسته البعيدة الغور ، ولين عريكته مع ذويه والمحيطين به ، وكان علي على النقيض من ذلك ، لا بمعنى انه كان مجرداً عن الحلم والسياسة ولين العريكة ؛ ولكنه كان لا يجاوز بهذه الخلال حدودها المشروعة فكان لا يحلم الا حيث ينبغي الحلم ولا يلين الا حيث يجب اللين ، وكان فيما عدا ذلك لا يخاف في الله لومة لائم. فاعتبرت هذه الخلال فيه مع وجود نقيضها في معاوية من الشدة التي لا تطاق ، والصرامة التي لا تحتمل . وما أقل من يقدر هذه الخصال الحميدة في الناس في زمن كان فيه مناظر من أدهى الناس جمع حوله من أمثال عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي سرح والضحاك بن قيس من أقطاب الدهاء والمكر من لا يشق لهم غبار في التوسل لاغراضهم بكل الوسائل غير متحرجين من اثم ولا متأثمين من باطل

ومما زاد في عوامل نجاح معاوية ان عليا كان لسعة علمه واحاطته بالاحكام يرى نفسه جديراً بأن يستبد برأيه في الامور العظام فلا يستشير فيها أحدا فأغضب بذلك من حوله من كبار الصحابة ورأوا انهم سيكونون معه على حال لم يكونوها على عهد أسلافه فكانوا ينظرون لخلافته نظر المستثقل لنيرها ، المحب

لانتهاء مدتها

ومن العوامـل التى أسقطت هيبة خلافة على عليه السلام مع ما كان عليـه من الكفاية العالية انها أنيطت بيد رجال من أهل الثورة كانوا يرون لهم فضلا عليه، وكانت نفوسهم مشبعة بأصول انقلابيـة لا تصلح معها لحفظ حالة معينة . ألم تر انه لما كاد أن يصل الاشتر النخعي بكتيبته الى فسطاط معاوية واحتـال معاوية ومن معه برفع المصاحف وطلب التحكيم لوقف الحرب ، ورفض على عليه السلام هذا الطلب قام فى وجهه اولئك الثوريون معارضين بل مهددين وأرغموه على قبول التحكيم فقبله مضطراً ثم بدا لجماعة ان هذا التحكيم كفر فتفرقوا عنه وقاتلوه . ثم لما دعاهم لقتال معاوية اثاقلوا وأظهروا الجمود فـكان هذا كله من اسباب نجاح معاوية ابن ابى سفيان

اما معاوية فانه فى هذه الاثناء اظهر كل ما يستطيع اظهـاره من الدهـاء والسياسة فاستمال الاحزاب بالمـال وقطع ألسنة اهل المطامع بالولايات والاعطيات ولم يدع وسيلة من الوسائل الا استخدمها لانتثال أمر على وافساد قلوب أصحابه عليه.

فماذا يفعل علىّ وهو من الدين بحيث لا يستطيع دس الدسائس ولا بذل الاموال فى غـير وجوهها ، ولا المحاباة بالولايات والاقاليم بل كان من الورع وشدة الحرص على أمانة الله بحيث انه شـدد الحسـاب على عبيد الله بن عباس اخص اعوانه حتى اضطره لمفارقته والشخوص الى المدينة

هاتان الحالتـان المتناقضتان حالة خلافته وحالة اغتصاب معاوية ما اجتمعا فى عصر واحد الا غلبت الثانية الاولى لا محالة لأن النفوس اميل الى الشر، وأنزع الى الاباحة

نعم ان الحالة الاولى لم تعدم انصارا ولـكنهم كانوا من القلة بحيث لا يغنون شيئا وقد كان لعلى أنصار تجردوا عن حب الدنيا وعلائقها لا يقلون عن أنصار الانبياء وكان على عليه الـسلام احب اليهم من أنفسهم التى بين جنوبهم . قيل لاحدهم وهو ضرار ابن الازور بعد مقتل على ، ماذا بلغ من غمك عليه ؟ قال كغم امرأة ذبح ولدها فى حجرها وهى تنظر اليه

ناهيك ان من الناس من غلا فى حب على حتى زعموا ان الله قد حل فيه . وهذه العقيدة وان كانت من الضلالات البعيدة

الا انها تدل ضمنيا على ما كان لهذا الرجل من سمو المنزلة فى قلوب المحيطين به

ثم ان أردت أن تعرف الفرق بين معاوية وعلى فاعتبر هذا الامر : وهو ان عليا حين حضرته الوفاة التفت حوله أنصاره وسألوه أنسند الخلافة الى الحسن ابنك ؟ فقال لهم ما آمركم ولا أنهاكم انتم أبصر . فأبى أن يشير عليهم باسناد الخلافة لابنه هربا من حساب الله وهو يعلم أن ابنه سيد قريش وزهرة شجرة النبوة وكان من العلم والفقه والاستقامة بحيث لا يطمح الى مثله طامح . وأما معاوية فانه بذل طائل الاموال لأخذ البيعة لابنه يزيد ثم عاد الى التهديد والوعيد والاكراه وهو يعلم ان يزيدا هذا لا يصلح لخلافته على بيته فضلا عن خلافة النبى صلى الله عليه وسلم على امته ، مع انهماكه فى ملاذه وحرصه على شهواته وادمانه الخمر

فلا جرم قد اجمع المسلمون على عد على عليه السلام من الخلفاء الراشدين ولم يعدوا معاوية منهم ولولا ان المؤرخين المسلمين وخصوصا المتأخرين منهم كانوا يتأثمون من تناول الصحابة بنقد لكانوا عدوا معاوية من المغتصبين للخلافة

أما رأينا الخاص فى التحكيم الذى حدث فهو :

ان ذلك التحكيم وان كان احبولة من احابيل معاوية الا ان قبول على وحزبه له كان يقضى عليهم أن يحترموا حكمه . ولقد أنصف عمرو بن العاص وابو موسى الاشعرى فى حكمهما بعزل الزعيمين وترك المسلمين أحرارا ليختاروا من شاؤا . لاننا مهما قلبنا هذه المسألة على وجوهها فلم نر حلا أعدل لها من هذا الحل

والا فلو كان أصر ابو موسى على اثبات خلافة على كان اضطر عمرو بن العاص الى رفضها وكان ينبنى على ذلك رجوع القتال الى ما كان عليه وهو ما كان قد كرهه المسلمون وقبلوا أمر التحكيم هربا منه . فجاء حكمهما بخلع كلا الزعيمين من أعدل الاحكام وأقربها الى الحق . فان كان أجمع المسلمون بعدها على انتخاب على أو مال اليه السواد الاعظم منهم كان ذلك مما يوهن أمر معاوية لو أراد المعارضة

فرفض على عليه السلام وشيعته لحكم الحكمين بعد قبولهم التحكيم هو الذى أضعف أمر على وقضى على أصحابه بالتخاذل والتثاقل عن القتال معه وهو

الذى قوى أمر معاوية وزاد فى التفاف شيعته حوله وأعطاه أكبر حجة امام المسلمين فى الاستمرار على منازعة على

﴿ على بن الحسن المروزى ﴾ كان من علماء القرن الثالث توفى سنة (٢١٥) هـ

﴿ على بن خشرم المروزى ﴾ كان من أجلاء العلماء توفى سنة (٢٥٧) وقيل بعدها

﴿ على بن محمد ﴾ كان من كبار شيوخ الصوفية من كلامه :

« الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة »

توفى سنة (٣٢٨) هـ بمكة

﴿ أبو على الكاتب ﴾ كان من كبار الصوفية . من كلامه :

« المعتزلة نزهوا لله تعالى من حيث العقل فأخطأوا والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا »

توفى سنة نيف واربعين وثلاثمائة

﴿ ابو على الفارسى ﴾ هو أبو الحسن ابن احمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن ابان الفارسى النحوى

ولد بمدينة فسا وطلب العلم ببغداد سنة (٣٠٧) فبلغ فى النحو رتبة الامامة . ثم أقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان وكان قدومه عليها سنة (٣٤١) وجرت بينه وبين ابى الطيب المتنبى مناظرات

ثم انتقل الى بلاد فارس وصحب عضد الدولة بن بويه وتقدم عنده وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة انا غلام ابى على الفسوى فى النحو . وصنف له كتاب الايضاح والتكملة فى النحو

يحكى انه كان يوماً فى ميدان شيراز يساير عضد الدولة فقال لم نصب المستثنى فى قولنا (قام القوم الا زيدا) ؟

فقال الشيخ بفعل مقدر

فقال له عضد الدولة : كيف تقديره ؟

فقال الشيخ تقديره : استثنى زيداً

فقال له عضد الدولة : هلا رفعته وقدرت الفعل (امتنع زيد) ؟

فانقطع الشيخ وقال له هذا الجواب ميدانى . ثم انه لما رجع الى منزله وضع فى ذلك كلاماً حسناً وحمله اليه فاستحسنه وذكر فى كتاب الايضاح انه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية الا

وحكى ابو القاسم احمد الاندلسى قال جرى ذكر الشعر بحضرة أبى على وانا حاضر فقال انى لاغبطكم على قول الشعر فان خاطرى لا يوافقنى على قوله مع

تحقيق العلوم التي هي مواده. فقال له رجل فما قلت قط شيئا منه؟ قال ابو علي ما اعلم ان لي شعرا الا ثلاثة ابيات في الشيب وهي قولي :

خضبت الشيب لما كان عيبا
وخضب الشيب اولى ان يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خل
ولا عيبا خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميا
فصيرت الخضاب له عقابا

وقيل ان السبب في استشهاده في باب كان من كتاب الايضاح ببيت أبي تمام الطائي وهو قوله .

من كان مرعى عزمه وهمومه
روض الاماني لم يزل مهزولا

ولم يكن ذلك من عادته لان ابا تمام لم يكن ممن يستشهد بشعره لكن عضد الدولة كان يحب هذا البيت وينشده كثيرا فلهذا استشهد به في كتابه

ومن تصانيف أبي علي الفارسي كتاب التذكرة وهو كبير والمقصور والممدود وكتاب الحجة في القراآت وكتاب الاغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني ، وكتاب العوامل المائة ، وكتاب المسائل الحلبيات وكتاب المسائل البغداديات ، وكتاب المسائل الشيرازيات ، وكتاب المسائل القصريات ، وكتاب المسائل البصرية وكتاب المسائل المجلسيات

قال القاضي ابن خلكان الذي ننقل عنه هذه الترجمة : وكنت مرة رأيت في المنام سنة (٦٤٨) وانا يومئذ بمدينة القاهرة كأنني قد خرجت الى قليوب ودخلت الى مشهد بها فوجدته شعثاً وهو عمارة قديمة ورأيت به ثلاثة أشخاص مقيمين مجاورين فسالتهم عن المشهد وانا معجب لحسن بنائه . واتقان تشييده . ترى هذا عمارة من ؟ فقالوا لانعلم . ثم قال احدهم ان الشيخ اباعلي الفارسي جاور في هذا المشهد سنين عديدة وتفاوضنا في حديثه . فقال وله مع فضائله شعر حسن . فقلت ماوقفت له على شعر. فقال أنا أنشدك من شعره . ثم أنشد بصوت رقيق الى غاية ثلاث ابيات . واستيقظت في أثر الانشاد ولذة صوته في سمعي وعلق خاطري منها البيت الاخير وهو :

الناس في الخير لا يرضون عن احد
فكيف ظنك سيموا الشر او ساموا

وكان الشيخ ابو علي الفارسي منهما

بالاعتزال وكان مولده سنة (٢٨٨) وتوفى سنة (٣٧٧) ببغداد

﴿علي الرضا﴾ هو ابو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين

هو أحد الأئمة الاثنى عشر في اعتقاد الامامية (انظر هذه الكلمة) وكان المأمون قد زوجه ابنته أم حبيب في سنة (٢٠٢) وجعله ولي عهده وضرب اسمه على الدينار والدرهم

وكان السبب في ذلك انه استحضر أولاد العباس الرجال منهم والنساء وهو بمدينة مرو وكان عددهم ثلاثة وثلاثين الفا واستدعى عليا المذكور فأنزله أحسن منزلة وجمع خواص الاولياء وأخبرهم انه نظر في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب فلم يجد في وقته احدا افضل ولا احق بالامر من علي الرضا فبايعه وأمر بازالة السواد من اللباس والاعلام ونمى الخبر الى من بالعراق من أولاد العباس فعلموا أن في ذلك خروج الامر عنهم فخلعوا المأمون وبايعوا ابراهيم بن المهدي عم المأمون فقاتله المأمون فانهزم ابراهيم واختفى ثم ظهر وعفا عنه المأمون وتوفى علي الرضا قبل وفاة المأمون فلم يل الخلافة

ولد علي الرضا سنة (١٥٣) بالمدينة وقيل بل سنة (١٥١) وتوفى سنة (٢٠٢) وقيل بل سنة (٢٠٣) بمدينة طوس وصلى عليه المأمون ودفنه ملاحق قبر أبيه الرشيد

قال فيه أبو نواس:

قيل لي أنت أحسن الناس طرا
في فنون من الكلام النبيه

لك من جيد القريض مديح
يثمر الدر في يدى مجتنيه

فعلام تركت مدح ابن موسى
والخصال التي تجمعن فيه

قلت لا أستطيع مدح امام
كان جبريل خادما لأبيه

وكان سبب قوله هذه الابيات ان بعض أصحابه قال له ما رأيت أوقح منك ما تركت خمرا ولا طردا ولا معنى الا قلت فيه شيئا وهذا علي بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئا. فقال والله ما تركت ذلك الا اعظاما له وليس قدر مثلي أن يقول في مثله . ثم أنشد بعد هذه الابيات:

وفيه يقول أبو نواس ايضا :

مطهرون نقيات جيوبهم
تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويا حين تنسبه
فماله في قديم الدهر مفتخر
الله لما برا خلقا فأتقنه
صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ الاعلى وعندكم
علم الكتاب وما جاءت به السور

قال المأمون يوماً لعلى بن موسى الرضا المذكور مايقول بنو أبيك في جدنا العباس ابن عبد المطلب ، فقال مايقولون في رجل فرض الله طاعة بنيه على خلقه ، وفرض طاعته على بنيه ؟ فأمر له بألف ألف درهم

وكان قد خرج أخوه زيد بن موسى بالبصرة على المأمون وفتك بأهلها فأرسل اليه المأمون أخاه علياً المذكور برده عن ذلك . فجاءه وقال له ويلك يازيد فعلت بالمسلمين بالبصرة مافعلت وتزعم انك ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله لأشد الناس عليك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . يازيد ينبغي لمن أخذ برسول الله أن يعطى به

فبلغ كلامه المأمون فبكى .وقال هكذا ينبغي أن يكون أهل بيت رسول الله

علي بن عبد الله بن العباس

هو ابو محمد علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي وهو جد السفاح والمنصور

كان سيدا كريما فصيحا وهو اصغر اخوته وكان أجمل قريش على وجه الارض واكثرهم صلاة وكان يدعى السجّاد لذلك

يقال كان له خمسمائة شجرة زيتون فكان يصلي تحت كل شجرة ركعتين وكان يدعى ذا الثفنات . هكذا قال المبرد فى الكامل وهو غير معقول فان كل ركعة لو استغرقت دقيقة واحدة لكان عليه ان يصلي الف دقيقة في كل يوم وهي عبارة عن أكثر من ست عشرة ساعة وليس على وجه الارض من يستطيع ان يقوم بهذا العمل المتواصل يوميا

روى ان علي بن ابى طالب افتقد عبد الله بن العباس فى وقت صلاة الظهر فقال لاصحابه :مابال ابن العباس لم يحضر الظهر ؟ فقالوا ولد له مولود .فلما صلى على قال أمضوا بنا اليه . فأتاه فهنأه . فقال شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب، ماسميته ؟

فقال له ابن العباس أو يجوز لى أن أسميه حتى تسميه ؟ فأمر به فأخرج اليه فأخذه فحنكه ودعا له . ثم رده اليه وقال

خذ اليك أبا الاملاك قد سميته عليا وكنيته أبا الحسن

فلما آلت الخلافة لمعاوية قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته وقد كنيته أبا محمد فجرت عليه

وقال الحافظ ابو نعيم فى حلية الاولياء انه لما قدم على عبد الملك بن مروان قال له غير اسمك وكنيتك . قال اما الاسم فلا واما الكنية فأكنى بأبى محمد . فغير كنيته

وانما قال له عبد الملك ذلك القول بغضاً فى علىّ عليه السلام

ضرب على بن عبد الله بالسياط مرتين ، ضربه الوليد بن عبد الملك احدهما لتزوجه لبابة بنت عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب وكانت عند عبد الملك فعض تفاحة ثم رمى بها اليها وكان أبخر . فدعت بسكين . فقال ما تصنعين بها ؟ قالت اميط عنها الاذى . فطلقها . فتزوجها على بن عبد الله المذكور فضربه الوليد وقال انما تتزوج بأمهات الخلفاء لتضع منهم اى لتحقرهم لان مروان بن الحكم انما تزوج بأم خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه . فقال على بن عبد الله انما أرادت لبابة الخروج من هذا البلد وأنا ابن عمها فتزوجتها لأكون لها محرما

وقيل فى سبب تطليق عبد الملك للبابة انها قالت له يوماً لو استكت . فاستاك وطلقها . ثم تزوجها على بن عبد الله بن العباس وكان أقرع لا تفارقه قلنسونه . فبعث عبد الملك جارية وهو جالس مع لبابة فكشفت رأسه علي غفلة منه . لترى لبابة ما به ، فقالت هذه للجارية : هاشمى أقرع أحب الىّ من أموى أبخر

أما سبب ضربه فى المرة الثانية فقد حدث ابو عبد الله محمد بن شجاع قال رأيت على بن عبد الله يوماً مضروبا بالسوط يدار به على بعير ووجهه مما يلى ذنب البعير وصائح يصيح عليه يقول هذا على بن عبد الله الكذاب . فأتيته وقلت ما هذا الذى نسبوك فيه الى الكذب ؟ قال بلغهم عنى انى أقول ان هذا الامر سيكون فى ولدى ووالله ليكونن فيهم حتى يملكهم عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذين كأن وجوههم المجانّ المطرقة

وروى ان على بن عبد الله دخل على سليمان بن عبد الله وهو خطأ بل على هشام بن عبد الملك وكان معه ابنا ابنه

السفاح والمنصور (اللذان توليا الخلافة) فأوسع له على سريره وبره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون الف درهم على دين فامر هشام بقضائها. ثم قال له على وتتوصى بابنى هذين خيراً. فأجابه هشام. فشكره على وقال وصلتك رحم

فلما ولى على قال هشام لاصحابه ان هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده. فسمعه على فقال والله ليكونن ذلك وليملكن هذان

كان على المذكور عظيم المحل عند أهل الحجاز حتى قال هشام بن سليمان المخزومى ان على بن عبد الله اذا قدم مكة حاجا أو معتمراً عطلت قريش مجالسها فى المسجد الحرام وهجرت مواضع حلقها ولزمت مجلسه اعظاما له واجلالا وتبجيلا فان قعد قعدوا وان قام قاموا وان مشى مشوا جميعا حوله ولا يزالون كذلك حتى يخرج من الحرم

وكان أسمر جسيما له لحية طويلة وكان عظيم القدم حتى لا يوجد له نعل ولا خف وكان مفرطا فى الطول اذا طاف فكأنما الناس حوله مشاة وهو راكب من طوله وكان مع هذا الطول يكون الى منكب ابيه عبد الله بن العباس وعبد الله الى منكب ابيه العباس وهو الى منكب أبيه عبد المطلب

نظرت عجوز الى على وهو يطوف وقد فرع الناس طولا. فقالت من هذا الذى فرع الناس؟ فقيل هو على بن عبد الله ابن العباس. فقالت لا اله الا الله ان الناس ليرذلون عهدى بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط أبيض

توفى على بن عبد الله سنة (١١٧) وهو ابن ثمانين سنة

﴿على العقيلى﴾ هو على بن الحسن ابن حيدرة بن محمد بن عبد الله بن محمد العقيلى ينتهى نسبه الى عقيل بن أبى طالب

كان من فضلاء الشعراء له ارجوزة طويلة ناقض فيها ابن المعتز فى ارجوزته التى ذم فيها الصبوح ومدح الغبوق :

من شعره قوله :

استجل بكر عليها * من الزجاج رداء
فوجه يومك فيه * من الملاحة ماء

وله أيضا :

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء
ولا تضح ضحى الا بصهباء

أدرك حجيج الندامى قبل نفرهم
الى منى وقصفهم مع كل هيفاء
وعج على مكة الروحاء مبتكراً
وطف بها حول ركن العود والناء
وهذا فى نظرنا قبيح. وله أيضا :
وقائل ما الملك قلت الغنى
فقال لا بل راحة القلب
وصون ماء الوجه عن بذله
فى نيل ما يتفد عن قرب
وله أيضا :
قم هاتها وردية ذهبية
تبدو فتحسبها عقيقا ذابا
أوماترى حسن الهلال كأنه
لما تبدى حاجبا قد شابا
وله أيضا :
وبركة قد أفادنا عجبا
ماعاج من مائها وما انسكبا
من حول فوارة مركبة
قد انحنى ظهر مائها تعبا
وله أيضا :
ولما أقلعت سفن المطايا
بريح الوجد فى لجج السراب
جرى نظرى وراءهم الى أن
تكسر بين أمواج الهضاب

وهات زواهر الكاسات ملأى
الى الحانات بالذهب المذاب
فكبر الجو يوقد نار برق
اذا خمدت ندخن بالضباب
وقال أيضا :
يا من يدخن بالخضاب مشيبه
ان المدلس لا يزال مريبا
هب ياسمين الشيب عاد بنفسجا
أيعود عرجرن القوام قضيبا
وقال أيضا
أذهبت فضة خده بعتابى
ونثرت در دموعه بخطابى
ظبى جعلت كناسه قلبى فلم
أعقل لصيده اه قبل طلابى
نزها على ذمر يسحب ذيله
بين التكبر منه والاعجاب
فحلفت انى ان ظفرت بخده
لأرصعن مدامه بحباب
وله أيضا :
ياذا الذى يسم عن مثل ما
لاثحه يلمع فى عقده
ومن له خد غدا حائزا
شقائق النعمان من ورده

أمن عنان الهجر عن عاشق
قد طال ركض الدمع فى خده
وقال أيضا :
ناحت فواخت سحب و كرها الفلك
بكاؤها الطواويس الرباضحك
وانجم النبت تجلى فى ملابسها
جيد السماء التى اقمارها البرك
والورد ما بين انهار مدرجة
كأنه شفق من حوله حبك
فسقينا من عصير الكرم صافية
كأنها الذهب الابريز منسفك
يبدى المزاج على حافاتها حببا
كأنه من حرير ابيض شبك
وقال أيضا :
نحن المحاسن للدنيا اذا سفرت
حتى اذا ابتسمت كنا ثناياها
حلى به ما رأى جيد الزمان له
قلائد هى أبهى من سجاياها
لم يخلق الله شيئا قط اكثر من
حاجات قصادها الا عطاياها

على بن ظافر بن حسين الفقيه الوزير جمال الدين ابو الحسن الازدى المصرى بن العلامة أبى منصور ولد سنة (٥٦٧) وتفقه على والده. وقرأ الأدب وبرع فيه . وقرأ على والده الاصول وتفوق على غيره فى علم التاريخ واخبار الملوك . ودرس بمدرسة المالكية بمصر بعد أبيه. وترسل الى الديوان العزيز وولى وزارة الملك الاشرف . ثم انصرف ودخل مصر وولى وكالة بيت المال مدة

كان متوقد الخاطر طلق العبارة وكان مع علو منصبه واقبال الدنيا عليه له نزوع الى اهل الآخرة محبا لأهل الدين والصلاح أقبل فى آخر عمره على مطالعة الاحاديث وأدمن النظر فيها . وله تآليف منها الدول المنقطعة، وبدائع البدائه ، والذيل عليه ، واخبار الشجعان، واخبار الملوك السلجوقية وأساس السياسة ، ونفائس الذخيرة ، ولم يكمل ولو ا كمل ما كان فى الأدب مثله ، وكتاب التشبيهات، وكتاب من أصيب ابتدأه على عليه السلام

من شعره قوله :
انى لأعجب من حبى فأكتمه
جهدى وجفنى بفيض الدمع يعلنه
وكون من أنا اهواه واعشقه
يخرب القلب عمداً وهو يسكنه
واعجب الكل امراً ان مبسمه
من اصغر الدر جرما وهو اثمنه

وله ايضا :

كم من دم يوم النوى مطلول
بين رسوم الحى والطلول
بانوا فلا جسم ولا ربع لهم
الا رماه البين بالنحول
ياراحلين والفؤاد معهم
مسابق فى اول الرحيل
ردوا فؤادى عندكم ماباعكم
اياه الا طرفى الفضولى
ورب ظبى منكم تخاف من
سطوة عينيه أسود الغيل
انارمنه الوجه حتى كدت ان
اقول لولا الدين بالحلول
ينقص بالعلة كل كامل
فى الحسن غير لحظه العليل

وقال فى كتابه بدائع البدائه اجتمعنا ليلة من ليالى رمضان بالجامع فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث وقد أوقد فانوس السحور فاقترح بعض الحاضرين على الاديب ابى الحجاج يوسف بن على المنبوز بالنعجة ان يصنع قطعة فى فانوس السحور وانما طلب بذلك اظهار عجزه فصنع وأنشد :

ونجم من الفانوس يشرق ضوءه
ولكنه دون الكواكب لا يسرى
ولم أر نجما قط قبل طلوعه
اذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

فانتدبت له من دون الجماعة وقلت له : هذا التعجب لا يصح لانا قد رأينا نجوماً لا تدخل تحت الحصر ولا تحصى بالعد اذا غابت تنهى الصائمين عن الفطر وهى نجوم الصباح . فأسرف الجماعة فى تقريعه ، وأخذوا فى تمزيق عرضه وتقطيعه فصنع ايضا رحمه الله تعالى راشد :

هذا لواء سحور يستضاء به
وعسكر الشهب فى الظلماء جرار
والصائمون جميعا يهتدون به
كأنه علم فى وسطه نار

فلما اصبحنا سمع من كان غائبا من اصحابنا فى ليلتنا ماجرى بيننا فصنع الرشيد ابو عبد الله محمد بن منانو رحمه الله وانشدنيه :

أحبب بفانوس غدا صاعدا
وضوءه دان من العين
يقضى بصوم وبفطر معا
فقد حوى وصف الهلالين

وصنع الفقيه ابو محمد القلعى رحمه الله تعالى :

وكوكب من ضرام الزند مطلعه
تسري النجوم ولا يسري اذا رقبا
يراقب الصبح خوفا أن يفاجئه
فان بدا طالعا في افقه غربا
كأنه عاشق وافى على شرف
يرعى الحبيب فان لاح الرقيب خبا
ثم اني صنعت بعد حين فقلت :
ألست ترى شخص المساء وعوده
عليه لفانوس السحور لهيب
كحامل منظوم الانابيب اسمر
عليه سنان بالدماء خضيب
نرى بين زهر الزهر منه شقيقة
لها العود غصن والمنار كثيب
وتبدو كخد احمر والدجى لمـا
بدا فيه ثغر للنجوم شنيب
كأن لزنجي الدجى من لهيبه
ومن خفقه قلب عراه وجيب
تراه يراعي الشهب ليلا فان دنا
طلوع صباح حان منه غروب
فهل كان يرعاها لعشق فمر اذ
درى ان رومي الصباح رقيب
وقلت في اختصار المعنى الاول من
هذه القطعة :
انظر الى المنار والـ * فانوس فيه يرفع
كحامل رمحا سنا * نه خضيب يلمع
وقلت ايضا :
ألست ترى حسن المنار وضوءه
يرفع من جنح الدجنة أستارا
تراه اذا جن الظلام مراقبا
له مضرما في قلب فانوسه نارا
كصب بخود من بني الزنج سامها
وصالا وقد أبدى لترغب دينارا
وقلت فيه :
وليلة صوم قد سهرت بجبها
على انها من طيبها تفضل الدهرا
حكى الليل فيها سقف ساج مسمرا
من الشهب قد أضحت مساميره تبرا
كما قام رومي بكاس مدامة
وحيا بها زنجية وشحت درا
ومن شعره ايضا :
وقد بدت النجوم على سماء
تكامل صحوها في كل عين
كسقف ازرق من لازورد
بدت فيه مسامر من لجين
وله ايضا :
والليل أفرع بالكواكب شائب
فيه مجرته لشـل المفرق

ولربما يأتى الهلال بسحره
متصيدا حوت النجوم بزورق
حتى اذا هبت على الماء الصبا
والاح نور تمامه بالمشرق
ابدى لنا علما بهيجا مذهبا
قد لاح فى تجعيدكم ازرق
وحكى براءة عسجد قد رام صا
نعها يؤلف بينها بالزئبق

توفى على بن ظافر سنة (٢٦٣) ه

﴿علية بنت المهدى﴾ اخت هرون الرشيد كانت من أعقل النساء وأجملهن ذات صون وعفاف وأدب بارع تزوجها موسى بن عيسى العباسى وكان الرشيد يبالغ فى اكرامها واحترامها

كانت من أعف النساء اذا طهرت لازمت المحراب واذا لم تكن طاهرا غنت ، لها ديوان شعر منه قولها :

ايا سروة الفتيان طال تشوق
فهل لى الى ظل لديك سبيل
متى يلتقى من ليس يقضى خروجه
وليس لمن يهوى اليه سبيل

ومن شعرها ايضا :

سلم على ذاك الغزال
الاغيد الحسن الدلال
سلم عليه وقل له
ياغل الباب الرجال
خليت جسمى ضاحيا
وسكنت فى ظل الحجال
وبلغت منى غاية
لم أدر منها ما احتيال

لما خرج الرشيد الى الرى أخذها معه فلما وصلت الى المرج نظمت قولها :

ومغترب بالمرج يبكى لشجو
وقد غاب عنه المسعدون على الحب
اذا ما أتاه الركب من نحو أرضه
تنشق يستشفى برائحة الركب

وغنت بهما فلما بلغ الرشيد الصوت علم انها قد اشتاقت الى العراق وأهلها فأمر بردها

من شعرها :

انى كثرت عليه فى زيارته
فمل والشيء مملول اذا كثرا
ورابنى منه انى لا أزال أرى
فى طرفه قصرا عنى اذا نظرا

وقالت ايضا :

كتمت اسم الحبيب عن العباد
ورددت الصبابة فى فؤادى

فوا شوقى الى ايام خـلى
لعلى باسم من اهوى انادى
وقالت ايضا :
خلوت بالراح أناجيهـا
آخذ منها واعطيها
نادمتها اذ لم أجد صاحبا
ارضاه ان يشركنى فيها
وقالت أيضا :
بُنى الحبُ على الجور فلو
انصف المشوق فيه لسمج
ليس يستحسن فى حكم الهوى
عاشق يحسن تأليف الحجج
وقليل الحب صرفا خالصا
هو خير من كثير قد مزج
قالت عريب المغنيـة أحسن يوم مر بى فى الدنيا وأطيبه يوم اجتمعت فيه مع ابراهيم بن المهدى واخته عليـة بنت المهدى ومعهما اخوهما يعقوب بن المهدى وكان من أحذق النـاس فى الزمر . فبـدأت عليـة فغنتهـم من صنعتهـا فى شعرهـا واخوهـا يعقوب يزمر عليها :
تحبب فان الحب داعية الحب
وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبصر فان حدثت ان اخا الهوى
نجا سالما فارج النجاة من الحب
واطيب ايام الفتى يومه الذى
يروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا
فأين حلاوات الرسائل والكتب
وقالت أيضا :
لم ينسنيك سرور لا ولا حزن
وكيف لا كيف ينسى وجهك الحسن
ولا خلا منك لا قلبى ولا جسدى
كلى بكلك مشغول ومرتهن
وحيدة الحسن مالى عنك مذ كلفت
نفسى بحبك الا الهم والحزن
نور تولد من شمس ومن قمر
حتى تكامل فيه الروح والبدن
قالت عريب المغنية فما سمعت مثل ما سمعت منها قط ، والله اعلم انى لا اسمع مثله
ولدت علية بنت المهدى سنة (١٦٠) وتوفيت سنـة (٢١٠) ولهـا من العمر خمسون سنة

﴿عمد﴾ السقف بعيده عَمْدا دعمه وأقامه بعماده و (عمد الى الشىء) قصده . و (عمّده المرض) أضناه و (عمِد الرجل) يعمَد عمَدا غضب و (أعمد الشىء)

جعل تحته عمادا . و(تعمد الشيء) قصده (اعتمد على الحائط) اتكأ . و (انعمد الشيء) قام بعماد. (العماد) ما يسند به جمعه عُمُد وعَمَد (فعله عَمْداً) أي عن قصد . و (العُمدة) ما يعتمد عليه . و (العَمود) ما يقوم عليه البيت وغيره جمعه أعمدة وعُمُد و (العَميد) الشديد الحزن والذي هده العشق و(عميد القوم) سيدهم وسندهم . و (رجل معمود) أي هده العشق

﴿عمدة الدين حفدة﴾ هو ابو منصور محمد بن اسعد بن محمد بن الحسين بن القاسم العاطرى الطوسى المعروف بحفدة الملقب عمدة الدين الفقيه الشافعى النيسابورى

كان من فضلاء الفقهاء والوعاظ فصيحا اصوليا تفقه بمرو على ابى بكر محمد ابن منصور السمعانى . انتقل الى مرو الروذ واشتغل على القاضى حسين بن مسعود الفراء المعروف بالبغوى صاحب شرح السنة والتهذيب ثم انتقل الى بخارى واشتغل بها على برهان الدين عبد العزيز بن عمرو بن مازة الحنفى . ثم عاد الى مرو وعقد بها له مجلس التذكير . فلما كانت فتنة الغز سنة (٥٤٨) خرج الى العراق ومنها الى اذربيجان والجزيرة ومنها الى الموصل واجتمع الناس عليه بسبب الوعظ وسمعوا منه الحديث ومن أماليه قوله :

مثل الشافعى فى العلماء
مثل الشمس فى نجوم السماء
قل لمن قاسه بغير نظير
أيقاس الضياء بالظلماء

وأنشد يوما على الكرسى من جملة أبيات :

تحية صوب المزن يقرأها الرعد
على منزل كانت تحل به هند
نأت فأعرناها القلوب صبابة
وعارية العشاق ليس لها رد

كانت مجالسه فى الوعظ احسن المجالس توفى سنة (٥٧١) بمدينة تبريز وقيل سنة (٥٧٣)

﴿عماد الدين بن يونس﴾ هو ابو حامد محمد بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد الملقب عماد الدين الفقيه الشافعى

كان امام وقته فى المذهب والاصول والخلاف وكانت له شهرة عظيمة فى زمانه . قصده الفقهاء من البلاد البعيدة للاستفادة

منه والتخرج علـيه . وقد نبغ على يديه خلق كثير صاروا أئمه ومؤلفين

ابتدأ يتلقى العلم عن أبيه بالموصل ثم توجه الى بغداد وتفقه بالمـدرسة النظامية على السديد محمد السلماسي فصار معيداً بها والمدرس يومئذ الشرف يوسف بن بندار الدمشقي . وسمع بها الحديث من أبي عبد الرحمن بن محمد الكشميهني لما قدمها ومن ابي حامد محمـد بن ابي الربيع الغرناطي ثم عاد الى الموصـل ودرس بها في عدة مـدارس وصنف كتبا في المذهب منها كتاب المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط وشرح الوجيز للغزالي وصنف جدلا وعقيدة وتعليقة في الخلاف لكنه لم يتمها وكانت اليه الخطابة في الجامع المجاهد مع التدريس في المـدرسة النورية والعزية والزينبية والنفيسية والعلائية

تقدم في دولة نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل تقدماً كبيراً فعينه سفيراً عنه الى بغداد غير مرة الى الملك العادل وناظر في ديوان الخلافة واستدل في مسألة شراء الـكافر للعبد المسلم

وتولى القضاء بالموصل . وانتهت اليه رئاسة اصحاب الشافعي بهذه المدينة

كان الشيخ عماد الدين شديد الورع والتقشف لايلبس الثوب الجـديد حتى يغسله ولا يمس القلم للكتابة الا بعـد غسل يده ، وكان حسن الاخلاق لطيف الخلوة ملاطفا بحكايات واشعار . وكان نور الدين يرجع اليه في الامور الجسيمة ويستفتيه . صنف له العقيدة ولم يزل معه حتى انتقـل عن مذهب ابي حنيفة الى مذهب الشافعي ولم يوجد في بيت اتابك مع كثرتهم شافعي سواه

ولمـا توفي نور الدين سنة (٦٠٠) توجه الى بغداد لتقرير ولده الملك القاهر مسعود فعاد وقد أنجز المهمة ومعه الخلعة والتقليـد ، فتوفرت حرمتـه عند القاهر وكان كامـل الادوات غير انه لم يرزق التوفيق في مؤلفاته فانها ليست على قدر علمه

ولد سنة (٥٣٥) بقلعة اربل وتوفي سنة (٦٠٨) بالموصل

العمادى — هو عبد الرحمن بن محمد عماد الدين العمادى مؤلف كتاب (المستطاع من الزاد) في مناسك الحج . توفي سنة (١٠٥) هـ

عماد الدين بن المشطوب — هو

أبو العباس احمد بن الامير سيف الدين ابى الحسن على بن احمد بن ابى الهيجاء ابن عبد الله بن ابى الخليل بن مرزبان الهكارى المعروف بابن المشطوب

كان أميرآ وافر الحرمة عند ملوك الدولة الصلاحية فعدوه بينهم كأنه واحد منهم وكان عالى الهمة كثير الجود شجاعا أبى النفس تها به الملوك وله تاريخ مملوء بحوادث الخروج عليهم

كان جده أبو الهيجاء صاحب العمادية وعدة قلاع من بلاد الهكارية . ولم يزل عماد الدين وافر الحرمة حتى خرج على الملك الكامل فحاصره بتل يعفور وهى القلعة التى بين الموصل وسنجار . فراسله الامير بدر الدين لؤلؤ اتابك صاحب الموصل ولم يزل يخدعه ويؤمنه الى أن انقاد وحلف له اتابك على ذلك فانتقل الى الموصل وأقام بها قليلا ثم قبض عليه سنة (٧١٦) وأرسله الى الملك الاشرف مظفر الدين بن الملك العادل فاعتقله الملك الاشرف فى قلعة حرآن وضيق عليه وأثقله بالحديد حتى استحالت حاله الى أسوأ حال فامتلأت رأسه ولحيته وثيابه بالقمل. فكتب بعض من كان متعلقا بخدمته فى ذلك الوقت الى الملك الاشرف دوبيت فى معناه وهو :

يامن بدوام سعده دار فلك
ما أنت من الملوك بل أنت ملك
مملوكك ابن المشطوب فى السجن هالك
أطلقه فان الامر لله ولك

مكث الامير ابن المشطوب على هذه الحال حتى مات سنة (٦١٩) فبنت له ابنته قبة على باب مدينة رأس عين ونقلته من حران اليها

ولما كان بالسجن كتب اليه بعض الادباء دوبيت وهو :

يا احمد ما زلت عماداً للدين
يا أشجع من أمسك رمحاً بيمين
لا تأس اذا حصلت فى سجنهم
ها يوسف قد أقام فى السجن سنين

روى ان الامير سيف الدين ابا الحسن على المعروف بالمشطوب كتب الى الملك الناصر صلاح الدين يخبره بولادة ولده عماد الدين أبى العباس احمد وان عنده امرأة اخرى حاملا فكتب القاضى الفاضل جوابه ما يأتى :

« وصل كتاب الامير دالا على الخبر بالولدين ، والحال على التوفيق ، والسالم

كتب الله سلامته فى الطريق فسررنا بالغرة الطالعة من لثامها، وتوقعنا المسرة بالثمرة الباقية فى أكمامها »

اما والده سيف الدين المشطوب فقد كان السلطان صلاح الدين قد وضعه فى عكا لما خاف عليها من الفرنج هو وبهاء الدين قراقوش ولم يزل بها حتى حاصرهم الفرنج بها وأخذوها ولما خص منها وصل الى السلطان وهو بالقدس سنة (٥٨٨)

قال القاضى بن شداد دخل على السلطان بغتة وعنده أخوه الملك العادل فنهض اليه واعتنقه وسر به سروراً عظيما وأخلى المكان وتحدث معه طويلا

توفى سيف الدين هذا سنة (٥٨٨) ولم يكن فى أمراء الدولة الصلاحية أحد يدانيه فى المنزلة وعلو المرتبة. وكانوا يسمونه الامير الكبير، وكان ذلك علما عليه عندهم لا يشاركه فيه غيره

وكتب القاضى الفاضل : « ورد الخبر بوفاة الامير سيف الدين المشطوب امير الاكراد وكبيرهم وكانت وفاته يوم الاحد الثانى والعشرين من شوال من السنة المذكورة بالقدس وخبزهم يوم وفاته بنابلس وغيرها ثلاثمائة الف دينار وكان بين خلاصه من أسره وحضور أجله دون مائة يوم فسبحان الحي الذى لا يموت وتهدم به بنيان قوم ، والدهر قاض ما عليه لوم »

ابن العميد هو ابو الفضل محمد ابن العميد أبى عبدالله بن الحسن بن محمد الوزير الكاتب المعروف بابن العميد

كان من أهل الفضل والادب وله ترسل . أما والده ابو الفضل فكان وزير ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه الديلمى والد عضد الدولة . تولى وزارته عقيب موت وزيره ابى على بن القمى سنة (٣٢٨)

كان ابن العميد متوسعا فى علوم الفلسفة والنجوم . وأما الادب والترسل فلم يقاربه فيهما أحد فى زمانه حتى لقب بالجاحظ الثانى . وكان كامل الرياسة جليل القدر وكان من بعض أتباعه والآخذين عليه الصاحب بن عباد الوزير الاديب المشهور ومن اجل صحبته اياه قيل له الصاحب

وكان له فى الوسائل اليد البيضاء قال الثعالبى فى كتابه (اليتيمة) : كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد

كان الصاحب بن عباد قد سافر الى

بغداد فلما رجع قال له ابن العميد كيف
وجدتها . فاجابه بغداد فى البلاد كالاستاذ
فى العباد
وكان يقال له الاستاذ وكان سائسا
مدبراً للملك قائما بحقوقه . قصده جماعة
من مشهورى الشعراء من البلاد الشاسعة
ومدحوه باطيب الشعر . منهم ابو
الطيب المتنبى . فله فيه القصيدة التى
أولها .

بادِ هواك صبرت ام لم تصبرا
وبكاك ان لم يجر دمعك أو جرى

ومنها

أرجان أيتها الجياد فانه
عزمى الذى يذر الوشيج مكسرا
لو كنت أفعل ما اشتهيت فعاله
ماشق كوكبك العجاج الاكدرا
أمى أبا الفضل المبر اليتى
لأيممن أجل بحر جوهرا
أفتى برؤيته الانام وحاش لى
من أن أكون مقصرا أو مقصرا
من مبلغ الاعراب انى بعدها
شاهدت رسطاليس والاسكندرا
ومللت نحر عشارها فاضافنى
من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه
متملكا متبديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما
رد الاله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما
وانى فذلك اذ انيت مؤخرا

فاعطاه ابن العميد ثلاثة آلاف دينار
وقصده ابو نصر عبد العزيز بن نباتة
السعدى بالرى وامتدحه بقصيدته التى
اولها :

برح اشتياق وادكار
ولهيب انفاس حرار
ومدامع عبراتها
ترفض من نوم مطار
لله قلبى ما يجن
من الهموم وما يوارى
لقد انقضى سكر الشبا
ب وما انقضى وصب الخمار
وكبرت عن وصل الصغا
ر وما سلوت من الصغار
سقيا لتغلبسى الى
باب الرصافة وابتكارى
ايام اخطر فى الصبا
نشوان مسحوب الازار

حجي الى حجر الصرا
ة وفى حدائقها اعتمارى
ومواطن اللذات او
طانى ودار اللهو دارى
لم يبق لى عيش يلذ
سوى معاقرة العقار
حتى بالخان قمر
ت بهن ألحان القمارى
واذا استهل ابن العميد
د تضاءلت ديم القطار
خرق صفت اخلاقه
صفو السبيك من النضار
فكأنما زنت موا
هبه بامواج البحار
وكأن نشر حديثه
نشر الخزامى والعرار
وكأنما مما تعر
ف راحتاه من نثار
كاف بحفظ السر تحـ
ـسب صدره ليل السرار
ان الكبار من الامور
تنال بالهمم الكبار
والى ابى الفضل اتبعـ
ـت هواجس النفس السوارى

فتأخرت صلته عنه فشفع هذه القصيدة باخرى وأتبعها برقعة فلم يزده ابن العميد على الاهمال مع رقة حاله التى ورد عليها الى بابه. فتوسل الى داخل عليه وهو فى مجلس حافل باعيان الدولة ومقدمى أرباب الديوان فوقف بين يديه وأشار اليه بيديه وقال:

«أيها الرئيس انى لزمتك لزوم الظل، وذللت لك ذل النعل، وأكلت النوى المحرق انتظاراً لصلتك، والله ما بى من الحرمان ولكن شماته الاعداء وهم قوم نصحونى فاغششتهم، وصدقونى فاتهمتهم فبأى وجه ألقاهم، وبأى حجة أقاومهم، ولم أحصل من مديح بعد مديح، ومن نثر بعد نظم، الا على ندم مؤلم، ويأس مسقم، فان كان للنجاح علاقة فأين هى؟ وما هى؟ الا ان الذين نحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك، وان الذين هجموا كانوا مثلك، فزاحم بمنكبيك أعظمهم شأنا، وآنورهم شعاعا، وأمدهم باعا، واشرفهم بقاعا»

فلما أتم الشاعر تبكيته ضاع رشد بن العميد ولم يدر مايقول. فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال:

هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاستزادة ، وعن الاطالة مني في المعذرة واذا تواهبنا مادفعنا اليه، استأنفنا ماتتحامد عليه »

فقال ابن نباته :

« أيها الرئيس ، هذه نفثة مصدور منذ زمان ، وفضلة لسان قد خرس منذ دهر،والغني اذا مطل لئيم »

فاستشاط ابن العميدغضبا وقال .

« والله مااستوجب هذا العتب من أحد من خلق الله تعالى ، ولقد نافرت ابن العميد من دون ذا حتى دفعنا الى قرى عاتم ولجاج فأتم ولست ولى نعمتى فأحتملك ، ولاصنيعتى فأغضى عليك ، وان بعض ماأقررته في مسامعى بنغص مرة الحليم ، ويبدد شمل الصبر . هذا وما استقدمتك بكتاب ، ولا استدعيتك برسول ، ولاسألتك مدحى ، ولا كلفتك تقريضى »

فقال ابن نباته :

« صدقت أيها الرئيس مااستقدمتنى بكتاب ، ولا استدعيتنى برسول ، ولا سألتنى مدحك ، ولا كلفتنى تقريضك ، ولكن جلست صدر ديوانك تأبهتك ، وقلت لايخاطبنى أحد الا بالرياسة ، ولا ينازعنى خلق في احكام السياسة ، فانى كاتب ركن الدولةوزعيم الاولياءوالحضرة والقيم بمصالح المملكة ،فكأنك دعوتنى بلسان الحال . ولم تدعنى بلسان المقال»

فثار ابن العميد مغضبا واسرع في صحن داره الى ان دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس.وسمع ابن نباتة وهو في صحن الدار مارا يقول . والله ان سف التراب والمشى على الجمر أهون من هذا . فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهينا له . ومشتريه مماكسا فيه

فلما سكن غيظ ابن العميد ، وثاب اليه حلمه ، التمسه من الغد ليعتذر اليه ، ويزيل آثار ما كان منه . فكأنما غاص في سمع الارض وبصرها. فكانت حسرة في قلب ابن العميد الى أن مات

وقد رويت هذه القصة منسوبة الى غير ابن نباته ولم توجد هذه القصة في ديوانه .ونسب بعضهم هذه القصة لشاعر من اهل الكرخ يعرف بمزنة

كان أبوالفرج أحمدبن محمد الكاتب مكينا عند مخدومه ركن الدولة بن بويه. وله الرتبة العالية عنده وكان ابن العميد

لا يوفيه حقه من الاكرام فعاتبه مراراً فلم يفد فكتب اليه :

مالك موفور فما باله
اكسبك التيه على المعدم
ولم اذا جئت نهضنا وان
جئنا تطاولت ولم تتمم
وان خرجنا لم تقل مثل ما
نقول قَدِّمْ طِرْفَهُ قَدِّمِ
ان كنت ذا علم فمن ذا الذى
مثل الذى تعلم لم يعلم
ولست فى الغارب من دولة
ونحن من دونك فى المنسم
وقد ولينا وعزلنا كما
أنت فلم نصغر ولم نعظم
تكافأت أحوالنا كلها
فصل على الانصاف او فاصرم

للصاحب بن عباد الوزير مدايح كثيرة فى ابن العميد منها مارفعه اليه وقد قدم الى أصبهان :

قالوا ربيعك قد قدم
قلت البشارة ان سلم
أهو الربيع أخو الشتا
ءام الربيع أخو الكرم
قالوا الذى بنواله
أمل المقل من العدم
قلت الرئيس بن العمي
د اذن فقالوا لى نعم

وقد كان ابن العميد كثير الاعجاب بقول بعضهم :

وجاءت الى استر على الباب بيننا
تحاف وقد قامت عليه الولائد
لتسمع شعرى وهو يقرع قلبها
بوحى تؤديه اليه القصائد
اذا سمعت منى لطيفاً تنفست
له نفسا تنقد منه القلائد

لابن العميد شعر وقد ذكر له الصابى فى كتاب الوزراء قوله :

رأيت فى الوجه طاقة بقيت
سوداء عينى تحب رؤيتها
فقلت للبيض اذ تروعها
بالله مارحمت غربتها
فقد لبث السواد فى با
تكون فيه البيضاء ضرتها

كان أبو الفضل بن العميد يعتاده القولنج تارة والنقرس أخرى، تسلمه هذه الى هذه . فقال لسائل سأله أيهما أصعب عليك وأشق ؟ قال اذا عارضنى النقرس

فكأنى بين فكى سبع بمضغنى ، واذا اعترانى القولنج وددت لو استبدلت النقرس عنه

ويقال انه رأى اكاراً فى بستان يأكل خبزا ببصل ولبن وقد أمعن منه فقال وددت لو كنت كهذا الاكار آكل ما أشتهى

ومر الصاحب بن عباد على باب ابن العميد بعد وفاته فلم ير هناك احدا بعد ان كان الدهليز بغص من زحام الناس فأنشد :

أيها الربع لم علاك اكتئاب
أين ذاك الحجاب والحجاب
أين من كان يفزع الدهر منه
فهو اليوم فى التراب تراب
قل بلا رقبة وغير احتشام
مات مولاى فاعترانى اكتئاب

وقد رويت هذه الحكاية لغير الصاحب وفى غير ابن العميد

لما مات ابن العميد ولى مخدومه ركن الدولة ولده ذا الكفايتين أبا الفتح عليا مكانة فى دست الوزارة وكان جليلا نبيلا سريا ذا فضائل وفواضل

ذكره الثعالبى فى اليتيمة فى ترجمته والده قال . كتب أبو الفتح الى صديق له يستهديه خمراً مستوراً عن والده :

« قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاءك ياسيدى رقدة من عين الدهر ، وانتهزت فرصة من فرص العمر ، وانتظمت مع أصحابى فى سمط الثريا ، فان لم تحفظ علينا هذا النظام ، باهداء المدام ، عدنا كبنات نعش والسلام

وذكر له الثعالبى مقاطيع من الشعر ولم يزل فى وزارة ركن الدولة الى ان توفى ركن الدولة فلما تولى ولده مؤيد الدولة أستوزره أيضا وأقام على ذلك مدة مديدة وكانت بينه وبين الصاحب بن عباد منافرة ويقال انه أغرى مؤيد الدولة عليه فتنكر له وقبض عليه سنة (٣٦٦) وسجنه بعد أن اجتاح ماله وجدع أنفه وجز لحيته . وقال غيره وقطع يديه

يقال انه لما أيس من نفسه وعلم انه لامخلص له مما هو فيه شق جيب جبة كانت عليه واستخرج منها رقعة فيها تذكرة بجميع ماكان له ولوالده من الذخائر والدفائن والقاها فى النار . فلما علم انها قد احترقت قال للمتوكل به افعل ما أمرت به فوالله لا يصل الى صاحبك من أموالنا درهم واحد

فما زال مؤيد الدولة يعرضه على أنواع العذاب حتى تلف

وقد قال بعض الشعراء في ذلك

آل العميد وآل برمك مالكم
قل المعين لكم وذل الناصر
كان الزمان يحبكم فبدا له
ان الزمان هو الخؤون الغادر

تولى موضعه الصاحب بن عباد وقد أتينا على ترجمته في حرف الصاد. وقد سمع الوزير أبو الفتح بن العميد كثيراً ما ينشد قبل ان يقتل بمدة :

دخل الدنيا أناس قبلنا
رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا
ونخليها لقوم بعدنا

ومما قاله ابو الفتح نفسه :

يقول لي الواشون كيف تحبها
فقلت لهم بين المقصر والغالي
ولولا حذاري منهم لصدقتهم
فقلت هوى لم يهوه قط أمثالي
وكم من شفيق قال مالك واجما
فقلت ترى مابي وتسأل عن حالي

وكان أبو حيان على بن محمد التوحيدي قد وضع كتابا سماه مثالب الوزيرين ضمنه معايب أبي الفضل بن العميد المذكور والصاحب بن عباد تحامل عليهما فيه وعدد نقائصهما وسلبهما مااشتهر عنهما من الفضائل وبالغ في التعصب عليهما. وكان ابو حيان المذكور مؤلفا فاضلا من أهل القرن الرابع فلا يستطيع أن يحط من قدرهما لكثرة فضائلهما حتى زعم للناس ان من اقتنى كتابه ذلك انعكست حاله وساء مصيره. وقد راجت هذه العقيدة حتى قال بها القاضي الفاضل ابن خلكان نفسه اذ قال « لقد جربت ذلك وجربه غيري على ماأخبرني من أثق به »

العميدي هو أبو حامد محمد ابن محمد بن محمد وقيل احمد العميدي الفقيه الحنفي المذهب السمرقندي الملقب ركن الدين

كان اماما في فن الخلاف وخصوصا فن البحث وقد أفرد بالتصنيف ومن تقدمه كان يمزجه بفن الخلاف. وكان اشتغاله بفن الخلاف على رضى الدين النيسابوري وهو أحد الاركان الأربعة الذين برعوا في هذا الفن على يد رضى الدين المذكور وهم ركن الدين الطاوسي

وركن الدين امام زاده والعميدى المذكور ورابع لا نذكر اسمه

وقد سلك العميدى فى هذا الفن طريقة اشتهرت عند الفقهاء وصنف كتاب الارشاد واعتنى بشرحه جماعة منهم القاضى شمس الدين ابو العباس المذكور وسماه عرائس النفائس وصنف العميدى كتبا أخرى واشتغل عليه خلق كثيرون انتفعوا به

كان العميدى رضىّ الاخلاق كثير التواضع جم الفضائل

توفى سنة (٦١٥) ببخارى

عَمَرَ المنزلُ بأهله يعمُر عَمْرا كان مأهولا بهم فهو عامر . و (عَمَرَ المكان أهله) سكنوه . و(عمِر يعمَر عمارة) مثل عمُر يعمُر اى صار عامرا

(عَمَّر فلان) عاش زمانا طويلا . و (عمَّر المنزلَ) جعله آهلا و (اعتمر المكان) قصده وزاره

(استعمره فى المكان) جعله يعمُره و (العِمارة) ما يعمَّر به المكان . و (العُمارة) أجرة العِمارة و (العَمْر) الحياة والدين ومنه(لَعَمْرى) فى القسم أى لحياتى . و (لَعَمر الله) قسم تقديره لعمر الله قسمي ومعناه أقسم بدوام الله

(العُمُر) الحياة . و (عُمَيرة) عَلَمٌ على الكف

عمرو بن كلثوم . هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهر وأمه ليلى بنت مهلهل . أخي كليب وهو صاحب المعلقة المعروفة

روى انه لما تزوج مهلهل بنت بعج بن عتبة أهديت اليه فولدت له ليلى بنت مهلهل فقال لامرأته هند اقتليها فأمرت خادمها أن تغيبها عنها فلما نام هتف به هاتف يقول

كم من فتى يؤمل * وسيد شمردل

وعدة لا تجهل * فى بطن بنت مهلهل

واستيقظ فقال ياهند أين بنتى؟ قالت قتلتها . قال كلا واله ربيعة فاصدقينى . فأخبرته . فقال أحسنى غذاءها . فتزوجها كلثوم بن عتاب . فلما حملت بعمرو بن كلثوم قالت انه أتانى آت فى المنام فقال:

يالك ليلى من ولد * يقدم اقدام الاسد

من جشم فيه العدد * أقول قيلا لا فند

فولدت له غلاما فسمته عمرا . فلما أتت عليه سنة قالت له أتانى ذلك الآتى بالليل أعرفه فأشار الى الصبى وقال :

انى زعيم لك أم عمرو

بماجد الجد كريم النجر

اشجع من ذي لبد هزبر
وقاص وآب شديد الاسر
يسودهم في خمسة وعشر
فكان كما قال ، ساد قومه وهو ابن خمسة عشر ومات وله مائة وخمسون سنة

نقول أكثر ما يرويه الرواة من هذا القبيل منسوبا الى الهواتف موضوع كما يتبادر الى ذهن القارىء وانما أثبتناه من باب التفكهة

ولا ندري كيف أثبته كبار الرواة بدون نقد ولا ادنى اشارة بتوهين

روى ان عمرو بن هند ملك الحيرة قال ذات يوم لندمائه هل تعلمون أحداً من العرب تأنف امه من خدمة أمي؟ فقالوا نعم ام عمرو بن كلثوم . قال ولم ؟ قالوا لان أباها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل أعز العرب وبعلها كلثوم بن مالك افرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه. فأرسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله ان يزير امه فأقبل عمرو من الجزيرة الى الحيرة في جماعة بني تغلب . واقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات وأرسل الى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه وكانت هند عمة امرىء القيس بن حجر الشاعر المشهور. وكانت ام ليلى بنت مهلهل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي ام امرىء القيس وبينهما هذا النسب وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحي الخدم اذا دعا بالطرف. فقالت هند ناوليني ياليلى ذلك الطبق . فقالت ليلى لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فأعادت عليها وألحت فصاحت ليلى واذلاه يالتغلب. فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ، ونظر اليه عمرو بن هند فعرف الشر في وجهه ، فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب به رأس عمرو ابن هند ، ونادى في بني تغلب فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة . ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم في معلقته (ألا هبي بصحنك فأصبحنا)

عن ابن الاعرابي قال أغار عمرو ابن كلثوم التغلبي على بني تميم ثم مر من غزوه ذلك على حي من بني قيس بن ثعلبة

فملأ يديه منهم وأصاب أسارى وسبايا . وكان فيمن أصاب احمد بن جندل السعدى ثم انتهى الى بنى حنيفة باليمامة وفيه أناس من عجل فسمع بها أهل حجر فكان أول من أتاه من حنيفة بنو سحيم عليهم يزيد ابن عمرو بن شمر فلما رآهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال :

من عاذرى بعدها فلا أجتبر
ولا سقى الماء ولا أرعى الشجر
بنو لجيم وجعاسيس مضر
بجانب الدويد يهوون العكر

فانتهى اليه يزيد بن عمرو فطعنه فصرعه عن فرسه وأسره ، وكان يزيد شديداً جسيما فشده فى القد وقال له أنت الذى تقول :

متى نعقد قرينتنا بحبل
نجذ الحبل او نقص القرينا

أما انى سأقرنك الى ناقتى هذه فأطردكما جميعا . فنادى عمرو بن كلثوم بالربيعة ، أمثلة ؟ قال فاجتمعت بنو لجيم فنهوه ، ولم يكن يريد ذلك به . فسار به حتى أتى قصراً بحجر من قصورهم وضرب عليه قبة ونحر له وكساه وحمله على نجيبة وسقاه الخمر فلما أخذت برأسه تغنى :

أألجمع صحبتى السحر ارتحالا
ولم أشعر ببين منك هالا
ولم أر مثل هالة فى معد
أشبه حسنها الا الهلالا
الا أبلغ بنى جشم بن بكر
وتغلب كلما أتيا حلالا
بأن الماجد القرم بن عمرو
غداة نطاع قد صدق القتالا
كتيبته ململمة رداح
اذا يرمونها تفنى النبالا
جزى الله الا غريزيد خيرا
ولقاه المسرة والجمالا
بمأخذه ابن كلثوم بن عمرو
يزيد الخير نازله نزالا
بجمع من بنى قران صيد
يجيلون الطعام اذا أجالا
يزيد يعدم السفراء حتى
يروى صدرها الاسل النهالا

قال ابن الاعرابى بلغ عمرو ابن كلثوم ان النعمان بن المنذر يتوعده فدعا كاتباً من العرب فكتب اليه :

ألا أبلغ النعمان عنى رسالة
فمدحك حولى وذمك قارح

متى تلقنى فى تغلب ابنة وائل
وأشياعها ترق اليك المسالح
وهجا النعمان بن المنذر هجاء كثيراً منه قوله يعيره بأمه سلمى :
حلت سلمى بنبت بعدفرتاج
وقد نكون قديما فى بنى تاج
اذ لاترجى سلمى أن يكون لها
من بالخورنق من قين ونساج
ولا يكون على أبوابها حرس
كما تلفف قبطى بديباج
تمشى بعدلين من لؤم ومنقصة
مشى المقيد فى اليابوت والحاج
وقال فى النعمان بن المنذر :
لحا الله أدنانا الى اللؤم زلفة
وألأمنا خالا وأعجزنا أباء
وأجدرنا ان ينفج الكبر خاله
يصوغ القروط والشنوف ليثربا
حدث النمر بن قاسط قال لما حضرت عمرو بن كلثوم الوفاة وقد أتت عليه خمسون ومائة سنة جمع بنيه فقال يابنى قد بلغت من العمر مالم يبلغه أحد من آبائى ولا بد ان ينزل بى مانزل بهم من الموت وانى والله ماعيرت أحداً بشىء لاعُيرت بمثله ان كان حقا فحقا وان كان باطلا فباطلا ومن سب سب فكفوا عن الشتم فانه أسلم لكم وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم ، وأمنعوا من ضيم الغريب فرب رجل خير من الف ، ورد خير من خلف ، واذا حُدثتم فعوا ، واذا حدثتم فاوجزوا فان مع الاكثار تكون الاهذار ، واشجع القوم العطوف بعد الكر ، كما ان أكرم المنايا القتل ، ولا خير فى من لاروية له عند الغضب ، ولا من اذا عوتب لم يعتب . ومن الناس من لايرجى خيره ولا يخاف شره ، فبكوءه خير من دره ، وعقوقه خير من بره ولا تتزوجوا فى حيكم فانه يؤدى الى قبيح البغض

كان يفتخر قوم عمرو بن هند بمعلقته ويعجبون بها جدا وهى فى الحقيقة من أجود ماقالته العرب ، وكان قد أشغف بنى تغلب بها حتى قال فيهم بعض الشعراء :
الهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان اولهم
يالرجال لشعر غير مسؤوم
اما معلقته فهى :

ألا هُبي بصحنك فاصبحينا
ولا تبقى خمور الاندرينا (١)
مشعشة كأن الحص فيها
اذا ما الماء خالطها سخينا (٢)
تجور بذى اللبانة عن هواه
اذا ماذاقها حتى يلينا (٣)
ترى اللحز الشحيح اذا أُمرت
عليه لماله فيها مهينا (٤)
صبنت الكأس عنا أم عمرو
وكان الكأس مجراها اليمينا (٥)

(١) هب من نومه استيقظ. والصحن القدح العظيم واصبحينا اى واستقينا وقت الصباح . والاندرين قرى بالشام . يقول استيقظي من نومك واسقينا الصبوح بقدحك العظيم ولا تدخري خمر هذه القرى (٢) مشعشة اى ممزوجة والحص نبت له نور احمر . وسخينا اى حارا ،ومن الناس من جعل سخينا فعلاأى كرُمنا (٣) يمدح الخمر ويقول انها تميل صاحب الحاجة عن حاجاته اذا ذاقها حتى يلين اى انها تنسى الهموم والحاجات اصحابها فاذا شربوها لانوا (٤) اللحز ضيق الصدر . يقول ترى الانسان الضيق الصدر البخيل مهيناً لماله اذا أديرت الخمر عليه (٥) الصبن الصرف.

وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذى لا تصحبينا (٦)
وكأس قد شربت ببعلبك
وأخرى فى دمشق وقاصرينا (٧)
وانا سوف تدركنا المنايا
مقدرة لنا ومقدرينا (٨)
قفى قبل التفرق ياظمينا
نخبرك اليقين وتخبرينا (٩)
قفى نسألك هل أحدثت صرماً
لوشك البين أم خنت الامينا (١٠)
بيوم كريهة ضربا وطعنا
أقر به مواليك العيونا (١١)

يقول : صرفت الكأس عنا ياأم عمرو وكان مجرى الكأس عن اليمين فأجريتها عن اليسار (٦) يقول : ليس لصاحبك الذى لا تسقينه الصبوح شر هؤلاء الثلاثة الذين تسقينهم أى لست شر أصحابى فكيف أخرت سقيى الصبوح (٧) يقول ورب كاس شربتها بتينك البلدتين (٨) ومقدرينا أى ومقدرين نحن لها (٩) ياظمينا اى ياظعينة وهى المرأة فى الهودج ثم كثر هذا الاسم للمرأة حتى قيل لها ظعينة وهى فى بيتها (١٠) الصرم القطيعة. والوشك السرعة والامين والمأمون (١١) الكريهة من أسماء الحرب . يقول

وان غـداً وان اليوم رهن

وبعد غـد بما لا تعلمينا (١٢)

تريك اذا دخلت على خـلاء

وقدأمنت عيون الكاشحينا (١٣)

ذراعي عيـطل أدماء بكر

هجان اللون لم تقرأ جنينا (١٤)

وثديا مثل حق العاج رخصاً

حصاناً من أكف اللامـسينا (١٥)

ومتنيْ لدنة سمقت وطالت

روادفها تنوء بما ولينا (١٦)

نخبرك بيوم حرب كثر فيه الضرب والطعن فأقر بنو أعمامك عيونهم فى ذلك اليوم (١٢) يقول فان الايام رهن بما لا يحيـط علمك به اى ملازمة له (١٣) الـكاشح المضمر العداوة . يقول تريك هذه المرأة اذا أتيتها خالية وأمنت عيون أعـدائها ذراعي عيطل الى آخر ماذكره فى الابيات التالية (١٤) العيطل الطويلة العنق من النوق . والأدماء البيضاء منها . والبكر الناقة التى حملت بطنا واحدا . والهجان الابيض ولم تقرأ جنيناً اى لم تضم فى رحمها ولدا . يقول تريك ذراعين ممتلئين كذراعى ناقة طويلة العنق لم تلد بعد (١٥) رخصا لينا وحصانا عفيفة (١٦) اللدن اللين . وسمقت

ومأكمة يضيق الباب عنها

وكشحاً قدجننت بهجنونا (١٧)

وسـاريتي بلنط أو رخام

يرن خشاش حليهما رنينا (١٨)

فماوجدت كوجدي أم سقب

أضلتـه فرجعت الحنينا (١٩)

ولا شمطاء لم يترك شقاها

لها من تسعة الا جنينا (٢٠)

أى طالت والرادفتان فرعا الاليتـين . وتنوء أى تنهض بتثاقل. والولْى القرب . يقول: وتريك متنى قامة طويلة لينة تثقل أردافها مع مايقرب منها (١٧) المأكمـة رأس الورك يقول : وتريك وركا يضيق الباب عنها وكشحا قدجننت بحسنه جنونا (١٨) البلنط العاج . والسرية الاسطوانة يقول : وتريك ساقين كاسطوانتين من عاج او رخام فى البياض والضخم بصوت حليها اى خلاخيلهما تصويتا (١٩) السقب ولد الناقة. والوجد الحزن . ووجد يعنى حزن. يقول : فما حزنتْ مثل حزنى ناقة أضلت ولدها فرددت صوتها مع توجعها فى طلبه . (٢٠) الشمط بياض الشعر . والجنين المستور فى القبر هنا . يقول ولا حزنت كحزنى عجوز لم يترك شقاء جدها

تذكرت الصبا واشتقت لما
رأيت حمولها أُصُلا حدينا (٢١)
فأعرضت اليمامة واشمخرت
كأسياف بأيدى مصلتينا (٢٢)
ابا هند فلا تعجل علينا
وأنظرنا نخبرك اليقينا (٢٣)
بأنا نورد الرايات بيضا
ونصدرهن حمرا قد روينا (٢٤)
وايام لنا غر طوال
عصينا الملك فيها ان ندينا (٢٥)

لها من من نعمة بنين الا مدفونا فى قبره (٢١) يقول . تذكرت العشق والهوى واشتقت الى محبوبتى لما رأيت حمول ابلها وقت الاصيل (٢٢) أعرضت ظهرت . و شمخرت ارتفعت فى أعيننا كأسياف بأيدى رجال شاهرى سيوفهم (٢٣) يقول . ياأبا هند لاتعجل علينا وانظرنا نخبرك باليقين من أمرنا وشرفنا يريد عمرو ابن هند الملك (٢٤) يقول نخبرك باليقين من أمرنا بأنا نورد أعلامنا الحروب بيضا ونرجعها منها حمرا قد روين من دماء الابطال (٢٥) يقول نخبرك بوقائع لنا مشهورات كالغر من الخيل عصينا الملك فيها كراهية ان نطيعه ونتذلل له وقال

وسيد معشر قد توجوه
بتاج الملك يحمى المحجرينا (٢٦)
تركنا الخيل عاكفة عليه
مقلدة أعنتها صفونا (٢٧)
وأنزلنا البيوت بذى طلوح
الى الشامات ننفى الموعدينا (٢٨)
وقد هرت كلاب الحى منا
وشذبنا قتادة من يلينا (٢٩)

الكوفيون تقدير (أن ندينا) ان لا ندينا فحذف لا (٢٦) يقول ورب سيد قوم ممنوح الملك حام للملتجئين قهرناه . ومعنى أحجرته ألجأته (٢٧) العكوف الاقامة . والصفون جمع صافن . وقد صفن الفرس يصفن صفونا اذا قام على ثلاث قوائم وثنى سنبكه الرابع يقول . قتلناه وحبسنا خيلنا عليه وقد قلدناها أعنتها في حال صفونها عنده (٢٨) يقول وأنزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذى طلوح الى الشامات ننفى عن هذه الاماكن أعداءنا الذين كانوا يوعدوننا (٢٩) القتاد شجر ذو شوك . والتشذيب نفى الشوك والاغصان الزائدة . ويلينا اى يقرب منا . يقول . لقد لبسنا الاسلحة حتى أنكرتنا الكلاب وهرت لانكارها ايانا وقد كسرنا شوكة من يقرب منا من أعدائنا

متى ننقل الى قوم رحانا
يكونوا فى اللقاء لها طحينا (٣٠)
يكون ثفالها شرقى نجد
ولهوتها قُضاعة أجمعينا (٣١)
نزلتم منزل الاضياف منا
فأعجلنا القرى ان تشتمونا (٣٢)
قريناكم فعجلنا قراكم
قبيل الصبح مرداة طحونا (٣٣)
نعم أناسنا ونعف عنهم
ونحمل عنهم ما حملونا (٣٤)

(٣٠) يقول متى حاربنا قوما سحقناهم استعار للحرب اسم الرحى واستعار لقتلاها اسم الطحين (٣١) الثفال خرقة أو جلدة تبسط تحت الرحى ليقع عليها الدقيق. واللهوة القبضة من الحب تلقى فى فم الرحى وقد ألهيت الرحى ألقيت فيها لهوة. يقول تكون معركتنا فى الجانب الشرقى من نجد وتكون فى قبضتنا قضاعة اجمعين (٣٢) يقول نزلتم منزل الاضياف فعجلنا قراكم كراهية أن تشتمونا أى لكى لا يشتمونا (٣٣) المرداة الصخرة التى يكسر بها الصخور. والطحون من الطحن اى شديدة الطحن يريد بها حربا اهلكتهم اشد الاهلاك (٣٤) يقول نعم عشائرنا بنوالنا ونعف عن أموالهم ونحمل

بسمر من قنا الخطى لُدن
ذوابل أو ببيض يختلينا (٣٥)
نطاعن ما تراخى الناس عنا
ونضرب بالسيوف اذا غشينا (٣٦)
كأن جماجم الابطال فيها
وسُوق بالاماعز يرتمينا (٣٧)
نشق بها رؤس القوم شقا
ونختلب الرقاب فتختلينا (٣٨)
وان الضغن بعد الضغن يبدو
عليك ويخرج الداء الدفينا (٣٩)

عنهم ما حملونا (٣٥) تراخي بَعُد. يقول نطاعن الابطال ما بعدوا عنا ونضربهم بالسيوف اذا غشبنا الى اذا اتونا (٣٦) اللُدن جمع لَدن أى لين. وقنا الخطى الرماح المنسوبة لخط وهى بلدة مشهورة بالرماح. والذابل صفة للرماح ايضا اى الدقيقة. وأراد بالبيض السيوف (٣٧) وسُوق جمع وسق وهو حمل بعير. والاماعز الامكنة التى تكثر بها الحجارة. (٣٨) نختلب الرقاب اى نسلبها. والاختلاء قطع الخلا وهو الحشيش الرطب (٣٩) يقول أن الضغن تفشو آثاره بعد الضغن ويخرج الداء المدفون فى الصدور

ورثنا المجد قد علمت معد
نطاعن دونه حتى يبينا (٤٠)
ونحن اذا عماد الحى خرت
عن الاحفاض نمنع من يلينا (٤١)
نجذ رؤسهم فى غير بر
فما يدرون ماذا يتقونا (٤٢)
كأن سيوفنا فينا وفيهم
مخاريق بأيدى لاعبينا (٤٣)

(٤٠) يقول ورثنا شرف آبائنا وقد علمت ذلك معد . ونطاعن الاعداء دون شرفنا حتى يظهر الشرف لنا (٤١) الحفض متاع البيت والجمع أحفاض والحفض ايضاً البعير الذى يحمل فرش البيت الجمع أحفاض وعلى هذا التعبير يكون اراد بالاحفاض الامتعة . يقول : ونحن اذا وقعت الخيام فخرت على أمتعتها نمنع ونحمى من يقرب منا . ونحن اذا سقطت الخيام عن الابل للاسراع فى الحرب نحمى جيراننا (٤٢) يقول : نقطع رؤوسهم فى غير بر فى عقوق ولا يدرون ماذا يحذرون منا من القتل والسبى (٤٣) المخراق سيف من خشب يقول : كنا لانحفل بالضرب بالسيوف كما لايحفل اللاعبون بالضرب بالمخاريق . او كنا نضرب بها فى سرعة كما يضرب بالمخاريق فى سرعة

كأن ثيابنا منا ومنهم
خضبن بأرجوان أوطلينا (٤٤)
اذا ماعىّ بالاسناف حى
من الهول المشبه أن يكونا (٤٥)
نصبنا مثل رهوة ذات حد
محافظة وكنا السابقينا (٤٦)
بشبان يرون القتل مجداً
وشيب فى الحروب مجربينا (٤٧)
حديا الناس كلهم جميعاً
مقارعة بنيهم عن بنينا (٤٨)

(٤٤) يقول كأن ثيابنا وثياب أقراننا خضبت بأرجوان (٤٥) الاسناف الاقدام يقول : اذا عجز عن التقدم قوم مخافة هول منتظر متوقع يشبه أن يكون ويمكن (٤٦) يقول نصبنا خيلا مثل هذه الخيل أو كتيبة ذات شوكة محافظة على أحسابنا وسبقنا خصومنا (٤٧) يقول نسبق ونغلب بشبان يعدون القتال فى الحروب مجداً . وبشيب قد مرنوا على الحروب (٤٨) حديا اسم جاء على صيغة التصغير من التحدى . يقول : فتتحدى الناس كلهم مثل مجدنا وتقارع أبناءهم ذايدين عن أبنائنا

فأما يوم خشيتنا عليهم
فتصبح خيلنا عصبا ثبينا (٤٩)
وأما يوم لانخشى عليهم
فنمعن غارة متلببينا (٥٠)
برأس من بنى جشم بن بكر
ندق به السهولة والحزونا (٥١)
ألا لا يعلم الاقوام أنا
تضعضعنا وانا قد ونينا (٥٢)
ألا لايجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا (٥٣)

(٤٩) الثُبَة الجماعة والجمع الثُبون يقول . فأما يوم نخشى على بناتنا وحرمنا فتصبح خيلنا جماعات لنذب عن الحرم (٥٠) الامعان الاسراع والمبالغة والتلبب لبس السلاح . يقول . وأما يوم لانخشى على حرمنا من اعدائنا لنمعن فى الاغارة عليهم لابسين أسلحتنا (٥١) يقول نغير عليهم مع رئيس ندق به السهل والحزن اى نهزم الضعاف والاشداء (٥٢) التضعضع التكسر والتذلل وضعضعته فتضعضع اى كسرته فانكسر والونى الفتور . يقول . لا يعلم الاقوام انا تذللنا وانكسرنا وفترنا فى الحرب اى لسنا بهذه الصفة فتعلمنا الاقوام بها . (٥٣) اى لا يسفهن أحد علينا

بأى مشيئة عمرو بن هند
نكون لقيلكم فيها قطينا (٥٤)
بأى مشيئة عمرو بن هند
تطيع بنا الوشاة وتزدرينا (٥٥)
تهددنا وأوعدنا رويدا
متى كنا لامك مقتوينا (٥٦)
فان قناتنا ياعمرو أعيت
على الاعداء قبلك ان تلينا (٥٧)
اذا عض الثقاف بها اشمأزت
وولتهم عشوزنة تزبونا (٥٨)

فنسفه فوق سفهم (٥٤) القطين الخدم والقيل الملك دون الملك الاعظم . يقول . كيف تشاء ياعمرو بن هند أن نكون خدماً لمن وليتموه أمرنا من الملوك ؟ (٥٥) تزدرينا تحتقرنا . يقول . كيف تشاء أن تطيع الوشاة فينا وتحتقرنا ؟ أى لم يظهر منا ضعف يطمع الملك فينا . (٥٦) القتو خدمة الملك من قتا يقتو . والمقتى مصدر كالقتو ينسب اليه فتقول مقتوى يقول . ترفق فى تهديدنا فمتى كنا خدماً لامك ؟ (٥٧) العرب تستعير للعز اسم القناة . يقول فان قناتنا ابت ان تلين لاعدائنا قبلك يريد أن عزهم أبى أن يزول (٥٨) الثقاف الحديدة التي يقوم بها

عشوزنة اذا انقلبت أرنّت
تشج قفا المثقف والجبينا (٥٩)
فهل حدثت فى جشم بن بكر
بنقص فى خطوب الاولينا (٦٠)
ورثنا مجد علقمة بن سيف
أباح لنا حصون المجد دينا (٦١)
ورثت مهلهلا والخير منه
زهيراً نعم ذخر الذاخرينا (٦٢)

الرمح. والعشوزنة الصلبة الشديدة. والزبون الدفوع من زبنت الناقة حالبها اذا ضربته بركبتيها. يقول اذا أخذها الثقّاف لتقويمها نفرت من التقويم وولت الثقاف قناة صلبة شديدة دفوعا (٥٩) أرنت صوتت وفى هذا البيت وصف تلك القناة

(٦٠) يقول هل أخبرت بنقص كان من هؤلاء فى أمور القرون الماضية أو بنقص عهد سلف (٦١) الدين القهر. يقول : ورثنا مجد هذا الرجل الشريف من أسلافنا وقد جعل لنا حصون المجد مباحة قهرا وعنوة أى غلب اقرانه على المجد ثم اورثنا مجده ذلك (٦٢) يقول ورثت مهلهلا ومجده الرجل الذى هو خير منه وهو زهير فنعم ذخر الذاخرين

وعتابا وكلثوماً جميعاً
بهم نلنا تراث الاكرمينا (٦٣)
وذا البُرة الذى حُدثت عنه
به نُحمَى ونَحمى المُحجَرينا (٦٤)
ومنا قبله الساعى كليب
فأى المجد الاوقد ولينا (٦٥)
متى نعقد قرينتنا بحبل
تَجُذّ الحبل أو تقص القرينا (٦٦)
ونوجد نحن أمنعهم ذمارا
واوفاهم اذا عقدوا يمينا (٦٧)

(٦٣) يقول ورثنا مجد عتاب وكلثوم وبهم بلغنا ميراث الاكارم فشرفنا بهم (٦٤) ذو البرة من تغلب سمى به لشعر على أنفه يستدير كالحلقة. يقول: ورثت مجد ذى البرة الذى اشتهر وعرف وبمجده يحمينا سيدنا وبه نحمى الفقراء الملجأين الى الاستجارة بغيرهم (٦٥) يقول ومنا قبل ذى البرة الساعى للمعالى كليب. ثم قال واى المجد الا قد ولينا اى قربنا منه فحويناه (٦٦) يقول : متى قرنا ناقتنا بأخرى قطعت الحبل أو كسرت عنق القرين. والمعنى متى قرنا بقوم فى قتال او جدال غلبناكم. والجذ القطع. والوقص دق العنق (٦٧) يقول : تجدنا أمنعهم ذمة وجوارا وأوفاهم باليمين والنماد

ونحن غداة اوقد فى خزازى
رفدنا فوق رفد الرافدينا (٦٨)
ونحن الحابسون بذي أراطى
تسف الجلة الخور الدرينا (٦٩)
وكنا الأيمنين اذا التقينا
وكان الايسرين بنوا بينا (٦٠)
فصالوا صولة فيمن يليهم
وصلنا صيلة فيمن يلينا (٧١)
فآبوا بالنهاب وبالسبايا
وابنا بالملوك مصفدينا (٧٢)

العهد (٦٨) الرفد الاعانة . يقول ونحن غداة أوقدت نار الحرب فى خزازى اعنا فوق اعانة المعينين (٦٩) تسف أى تأكل يابسا . والجلة الكبار من الابل . والخور الكثيرة الالبان والناقة خوراء . والدرين ما اسود من النبت وقدم . يقول ونحن حبسنا أموالنا بهذا الموضع حتى سفت النوق الغزار الالبان قديم النبت وأسوده لاعانة قومنا ومساعدتهم على قتال عدوهم (٧٠) يقول كنا حماة الميمنة اذا لقينا الاعداء وكان اخواننا حماة الميسرة . (٧١) يقول: فحمل بنو بكر على من يليهم من الاعداء وحملنا نحن على من يلينا منهم (٧٢) النهاب الغنائم والواحد نهب

اليكم يا بنى بكر اليكم
ألما تعرفوا منا اليقينا (٧٣)
ألما تعرفوا منا ومنكم
كتائب يطّعن ويرتمينا (٧٤)
علينا البَيض والیَلب اليمانى
وأسياف يقمن وينحنينا (٧٥)
علينا كل سابغة دلاص
ترى فوق النطاق لها غضونا (٧٦)
اذا وضعت عن الابطال يوماً
رأيتَ لها جلود القوم جونا (٧٧)

والاوب الرجوع . والتصفيد التقييد يقول. فرجع بنو بكر مع الغنائم والسبايا ورجعنا مع الملوك مقيدين (٧٣) يقول : تنحوا وتباعدوا عن مساماتنا ومباراتنا يابنى بكر ألم تعلموا من نجدتنا وبأسنا اليقين (٧٤) يقول ألم تعلموا كتائب منا ومنكم يطعن بعضهن بعضاً ويرمى بعضهن بعضاً . وما فى قوله ألما صلة زائدة (٧٥) اليلب نسج من سيور تلبس تحت البيض . يقول : وكان علينا البيض واليلب اليمانى وأسيافا يقمن وينحين لطول الضراب بها (٧٦) السابغة الدرع الواسعة التامة . والدلاص البراقة والغضون جمع غضن وهو التشنج فى الشىء (٧٧) الجون الاسود والجون

كأن غضونهن متون غدر
تصفقها الرياح اذا جرينا (٧٨)
وتحملها غداة الروع جرد
عرفن لنا نقائذ واتلينا (٧٩)
وردن دوارعا وخرجن شعثا
كأمثال الرصائع قد بلينا (٨٠)
ورثناهن عن آباء صدق
ونورثها اذا متنا بنينا (٨١)

الابيض والجمع جون . يقول : اذا خلعها الابطال رأيت جلودهم سوداً للبسهم اياها (٧٨) الغدر جمع غدير ، تصفقه ، تضربه ، شبه غصون الدرع بمتون الغدران اذا ضربتها الرياح في جريها (٧٩) الروع الفزع ويريد به الحرب هنا . والجرد الخيول التي رق شعر جسدها . والنقائذ المخلصات من أيدي الاعداء . يقول : وتحملنا في الحرب خيل رقيقات الشعور قصارها عرفت لنا وفطمت عندنا وخلصناها من أيدي أعدائنا (٨٠) دوارع اي مدرعات . والرصائع هي عقد العنان على قذال الفرس يقول : وردت خيلنا مدرعة وخرجن منها شعثاً قد بلين على الاعنة (٨١) يقول : ورثنا خيلنا من آباء كرام شأنهم الصدق ونورثها أبناءنا اذا متنا

على آثارنا بيض حسان
نحاذر أن تقسم اوتهونا (٨٢)
أخذن على بعولتهن عهداً
اذا لاقوا كتائب معلمينا (٨٣)
ليستلبن افراسا وبيضا
وأسرى في الحديد مقرنينا (٨٤)
ترانا بارزين وكل حي
قد اتخذوا مخافتنا قرينا (٨٥)
اذا ما رحن يمشين الهوينى
كما اضطربت متون الشاربينا (٨٦)
يقتن جيادنا ويقلن لستم
بعولتنا اذا لم تمنعونا (٨٧)

(٨٢) يقول على آثارنا نساء بيض حسان نحاذر عليها أن يسبيها الاعداء فتقتسمها وتهينها (٨٣ و ٨٤) يقول : قد عاهدن أزواجهن اذا قاتلوا الاعداء الذين وضعوا على أنفسهم علامات ليعرفوا بها ان يثبتوا ويستلبوا أفراساً وبيضاً وأسرى (٨٥) يقول ترانا خارجين الى الصحراء وقد خافنا جميع الاحياء (٨٦) الهوينى تصغير الهونى وهي تأنيث الأهون . يقول : اذا مشت هذه النسوة مشت الهوينى متمايلات كالسكارى (٨٧) يقول : يعقلن افراسنا ويقلن لستم ازواجنا اذا لم تحمونا من سبي الاعداء

ظعائن من بني جشم بن بكر
خلطن بميسم حسباً ودينا (٨٨)
وما منع الظعائن مثل ضرب
ترى منه السواعد كالقلينا (٨٩)
كأنا والسيوف مسللات
ولدنا الناس طراً أجمعينا (٩٠)
يُدَهدِون الرؤس كما تدهدي
حزاورة بأبطحها الكرينا (٩١)
وقد علم القبائل من مَعَدّ
اذا قبب بأبطحها بنينا (٩٢)
بأنا المطعمون اذا قدرنا
وانا المهلكون اذا ابتلينا (٩٣)

(٨٨) ظعائن اى نساء . والميسم الحسن وهو من الوسام والوسامة . يقول: هن نساء من هذه القبيلة جمعن الحسب والدين (٨٩) يقول: وما منع النساء من السبي الاضرب تطير منه السواعد كما تطير القلل (٩٠) يقول كأنا حال استلال السيوف من اغمادها ولدنا جميع الناس اى نحميهم حماية الوالد ولده (٩١) الحزاورة الغلمان يقول: يدحرجون رؤس أقرانهم كما يدحرج الغلمان الشداد الكرات فى مكان مطمئن من الارض (٩٢) يقول: وقد علمت هذه القبائل انا نطعم الضيفان اذا قدرنا

وأنا المانعون اذا أردنا
وأنا النازلون بحيث شينا (٩٤)
وأنا التاركون اذا سخطنا
وأنا الآخذون اذا رضينا (٩٥)
وأنا العاصمون اذا أطعنا
وأنا العارمون اذا عصينا (٩٦)
ونشرب ان وردنا الماء صفواً
ويشرب غيرنا كدراً وطينا (٩٧)
ألا أبلغ بنى الطماح عنا
ودعمياً فكيف وجدتمونا (٩٨)
اذا ما الملك سام الناس خسفاً
أبينا أن نقر الذل فينا (٩٩)

(٩٣) و(٩٤) و(٩٥) و(٩٦) و(٩٧) يقول: وانا نمنع الناس ما أردنا منعه اياهم وننزل حيث شئنا وانا نترك ما نسخط عليه ونأخذ الذى نرضاه ونعصم جيراننا اذا اطاعونا ونعرم اى نشتد عليهم اذا عصونا وانا نشرب صفو الماء ويشرب غيرنا كدره (٩٨) يقول: سل هؤلاء كيف وجدونا شجعاناً أو جبناء (٩٩) الخسف الذل والسوم ان تكلف انساناً مشقة وشراً يقول: اذا اكره الملك الناس على ما فيه ذلهم أبينا الانقياد له

ملأنا البر حتى ضاق عنا
ونحن البحر نملأه سفينا (١٠٠)
اذا بلغ الرضيع لنا فطاما
تخر له الجبابر ساجدينا (١٠١)

عمرو بن معدى كرب

هو أبو عبد الله وقيل أبو ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عاصم بن ربيعة بن زبيد ينتهي نسبه لقحطان ويكنى أبا ثور وأمه أم أخيه عبد الله امرأة من جرم وهي معدودة من المنجبات

كان من معدودى فرسان العرب قال أبو عبيدة عمرو بن معدى كرب فارس اليمن وهو مقدم على زيد الخيل في الشدة والبأس

حكى زيد بن قحيف الكلابي قال سمعت أشياخنا يزعمون ان عمرو بن معدى كرب كان يقال له مائق بنى زبيد ، فبلغهم ان بني خثعم تريدهم فتأهبوا لهم، وجمع معدى كرب أبو عمرو المذكور بني زبيد لقتالهم . فدخل عمرو صاحب هذه الترجمة على أخته وقال لها أشبعيني انى غدا آتى الكتيبة . فجاءه أبوه معدى كرب فأخبرته بنته بما قال عمرو . فقال هذا المائق يقول ذلك ؟ قالت نعم . قال فسليه مايشبعه ؟ فسألته . فقال عمرو فرق من ذرة ، وعنز رباعية . قال وكان الفرق يومئذ ثلاثة آصع . فصنعت له ذلك وذبحت العنز وهيأت الطعام . فجلس عمرو عليه فسلته جميعا . وأتتهم بنو خثعم في الصباح فلقوهم . وجاء عمرو فرمى بنفسه ثم رفع رأسه فاذا لواء أبيه قائم ؛ فوضع رأسه . ثم رفعه فاذا اللواء قد زال . فقام كأنه محرقة فتلقى أباه وقد انهزم . فقال له انزل عنها . قال له أبوه اليك يامائق ؟ فقال له قومه خله أيها الرجل وما يريد فان قتل كفيت مؤنته ، وان ظهر فهو لك . فالقى أبوه سلاحه اليه، وركب عمرو فرمى خثعم بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم ثم كر عليهم وفعل ذلك مرارا وحملت معه بنو زبيد فانهزمت خثعم ؛ فقيل له من ذلك اليوم فارس بنى زبيد

أدرك عمرو بن معدى كرب الاسلام وأسلم وكان من خبره في ذلك ما رواه المدائني

---

(١٠٠) يقول عممنا الدنيا برا وبحرا فضاق البر عن بيوتنا والبحر عن سفننا
(١٠١) يقول اذا بلغ صبياننا وقت الفطام سجدت لهم الجبابرة من غيرنا لعزتنا وشدة بأسنا

عن أبي اليقظان عن جويرة بن أسماء . قال أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك يريد المدينة فأدرك عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى رجال من قومه فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك عنه حتى أعلم به فلما تقدم ورسول الله يسير قال عمرو حياك الملك أبيت اللعن (وهى كلمة كان العرب يقولونها اذا قابلوا الملوك)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لعنة الله وملائكته والناس اجمعين على الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر فآمن بالله يؤمنك الله يوم الفزع الاكبر

فقال عمرو بن معدى كرب وما الفزع الاكبر ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فزع ليس كما تحسب وتظن ، انه يصاح بالناس صيحة لايبقى حى الامات الا ماشاء الله تعالى من ذلك ، ثم يصاح بالناس صيحة لايبقى ميت الا نشر . ثم تلج تلك الارض بدوى تنهدم منه الارض ، وتخر منه الجبال ، وتنشق السماء انشقاق القبطية الجديدة ماشاء الله من ذلك . ثم تبرز النار فينظر اليها حمراء مظلمة قد صار لها لسان فى السماء ترمى بمثل رؤوس الجبال من شرر النار ، فلا يبقى ذو روح الا انخلع قلبه ، وذكر ذنبه . أين أنت ياعمرو ؟

فقال انى أسمع أمراً عظيما

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمرو أسلم تسلم

فأسلم وبايع قومه على الاسلام . وكان ذلك فى رجب سنة تسع

عن أبى عبيدة قال لما ارتد عمرو بن معدى كرب عن الاسلام مع من ارتد من مذحج استجاش فروة النبى صلى الله عليه وسلم فوجه اليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما اذا اجتمعتم فعلى بن أبى طالب أميركم وهو على الناس ، ووجه علياً فاجتمعوا بكسر من أرض اليمن فاقتتلوا وقتل بعضهم ونجا بعض . يروى انه لما بلغ عمرو بن معدى كرب قرب مكانهم أقبل فى جماعة من قومه ، فلما دنا منهم قال دعونى حتى آتى هؤلاء القوم فانى لم أسم لأحد قط الا هابنى . فلما دنا منهم نادى أبو ثور ، أنا عمرو بن معدى كرب . فابتدر على وخالد وكلاهما يقول لصاحبه خلنى واياه ويفديه بابيه وأمه . فقال عمرو اذ سمع قولهما العرب تفزع منى وأرانى لهؤلاء جزرا ؟

فانصرف عنهما ثم رجع الى الاسلام.
كان لعمرو بن معدى كرب سيف مشهور سماه الصمصامة فوقع الى آل سعيد ابن العاص وكان سبب وقوعه ان ريحانة بنت معدى كرب اخت عمرو بن معدى كرب سبيت فى الوقعة المتقدمة فأفداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة فصار الى أخيه سعيد فوجد سعيد جريحا يوم قتل عثمان وقد ذهب السيف والغمد ، ثم وجد الغمد فلما قام معاوية جاء اعرابى بالسيف بغير غمد وسعيد حاضر ، فقال سعيد هذا سيفى ، فجحد الاعرابى مقالته ، فقال سعيد الدليل على انه سيفى أن تبعث الى غمده فتغمده فيكون كفانه . فبعث معاوية الى الغمد فأتى به من دار سعيد فاذا هو عليه فأقر الاعرابى انه أصابه يوم الدار فأخذه سعيد منه وأثابه ، فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدى من البصرة فأرسل الى آل سعيد فيه ، فقالوا انه للسبيل. فقال خمسون سيفاً قاطعاً أغنى من سيف واحد . فأعطاهم خمسون الف درهم وأخذه

عن الشعبى قال ان عمر بن الخطاب فرض لعمرو بن معدى كرب فى الغنيمة الفين ، فقال له يا أمير المؤمنين الف ههنا وأومأ الى شق بطنه الايمن والف ههنا وأومأ الى شق بطانة الايسر فما يكون ههنا وأومأ الى وسط بطنه ، فضحك عمر وزاده خمسمائة

قال أبو اليقظان قال عمرو بن معدى كرب لو سرت بظعينة وحدى على مياه معد كلها ماخفت أن أغلب عليها مالم يلقنى حراها وعبداها . فأما الحران فعامر بن الطفيل وعتيبه بن الحرث بن شهاب . وأما العبدان فأسود بنى عبس يعنى عنترة والسليك بن السلكة ، وكلهم لقيت فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت وأما عتيبة بن الحرث فأول الخيل اذا أغارت وآخرها اذا آبت . وأما عنترة فقليل النبوة شديد الكلب . وأما السليك فبعيد الغارة كالليث الضارى

عن قيس ان عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن أبى وقاص انى قد أمددتك بألفى رجل عمرو بن معدى كرب ، وطليحة ابن خويلد فشاورهما فى الحرب ولا توليهما شيأ . فعد عمر كل منهما بألف

وعن قيس أيضا قال شهدت وقعة القادسية وكان سعد بن أبى وقاص على الناس فجاء رستم وهو من أشهر قواد الفرس

فجعل يمر بنا وعمرو بن معدى كرب الزبيدى يمر على الصفوف ويحض الناس ويقول يامعشر المهاجرين كونوا أسداً أغنى عباسا ، فانما الفارسى تيس بعد ان يلقى نبزكه . قال وكان مع رستم ة ئدهم أسوار لاتسقط له نشابة . فقيل له يا أبا ثور اتق ذلك. فانا لنقول له ذلك اذرماه رمية فأصاب فرسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه وسلبه سوارى ذهب كانا عليه وقباء ديباج

قال أبو زيدان عمرو بن معدى كرب شهد حرب القادسية وهو ابن مائة وست سنين . وقيل بل ابن مائة وعشر سنين

ولما قتل العلج (يريد قائد الفرس رستم المتقدم ذكره) عبر بنهر القادسية هو وقيس ابن مكسوح المرادى ومالك بن الحرث الاشتر وكان عمرو آخرهم وكانت فرسه ضعيفة فطلب غيرها فأتى بفرس فأخذ بعكدة ذنبه وأخلد به الى الارض فأقعى الفرس فرده وأتى بآخر ففعل به مثل ذلك فتحاحل ولم يقع . فقال لاصحابه انى عابر الجسر فان أسرعتم بمقدار جزر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتل به تلقاء وجهى وقد مقرنى القوم وأنا قائم بينهم وقد قتلت وجردت وان ابطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم وقد قتلت وجردت. ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم يابنى زبيد علام تدعون صاحبكم والله ما نرى أن تدركوه حياً فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها وان الفارس ليضرب الفرس فلا تقدر أن تتحرك من يده. فلما غشيناه رمى الاعجمى بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا ابو ثور كدتم والله تفقدوننى. قالوا أين فرسك قال رمى بنشابة فشب فصرعنى وغار

عن أبان بن صالح قال قال عمرو ابن معدى كرب يوم القادسية ألزموا خراطيم الفيلة السيوف فانه ليس لها مقتل الا خراطيمها . ثم شد على رستم وهو على الفيل فضرب فيله فجزم عرقوبيه وسقط من تحته خرج فيه أربعون الف دينار فحازه المسلمون وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله وانهزم الفرس . وقيل ان الخرج سقط عليه فقتله

عن الشعبى قال جاءت زيادة من عند عمر يوم القادسية فقال عمرو بن معدى كرب لطليحة أما ترى ان هذه الزعانف تزاد ولا نزاد ، انطلق بنا الى

هيهات والله لا القاه فى هذا ابدا . فلقد لقينى فى بعض فجاج مكة فقال يا طليحة أقتلت عكاشة ؟ فتوعدنى وعيداً وظننت انه قاتلى ولا آمنه . قال عمرو ولكننى القاه . قال أنت وذاك فخرج الى المدينة فقدم على عمر وهو يغدى الناس وقد جفن لعشرة عشرة فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو فأقعد مع عشرة حتى أكل مع ثلاثين ثم قام . فقال يا أمير المؤمنين انه كانت لى مآكل فى الجاهلية منعنى منها الاسلام ، وقد صررت فى بطنى صرتين وتركت بينهما هواء فسده

فقال له أمير المؤمنين عليك بحجارة من حجارة الجزيرة فسده بها . ياعمرو انه بلغنى انك تقول ان لى سيفا يقال له الصمصامة ، وعندى سيف اسمه المصمم والله ان وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط اضراسك

حدث يونس وابو الخطاب قال لما كان يوم فتح القادسية أصاب المسلمون أسلحة وتيجانا ومناطق ورقابا فبلغت مالا عظيما فعزل سعد بن ابى وقاص الخمس ثم فرق البقية فأصاب الفارس ستة آلاف والراجل الفين ، وبقى مال دثر (اى كثير) فكتب الى عمر بما فضل فكتب اليه ان فض ما بقى على حملة القرآن فأتاه عمرو بن معدى كرب ، فقال له سعد ما معك من كتاب الله ؟ فقال عمرو انى أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن. قال ما لك فى هذا المال نصيب . وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمى صاحب جبانة بشر فقال له سعد ما معك من كتاب الله؟ قال باسم الله الرحمن الرحيم. فضحك القوم ولم يعطه شيئا . فقال عمرو فى ذلك :

اذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد
قالت قريش الا تلك المقادير
نعطى السوية من طعن له نفذ
ولا سوية اذ تعطى الدنانير

وقال بشر بن ربيعة :

أنخت بباب القادسية ناقتى
وسعد بن وقاص على أمير
وسعد امير شره دون خيره
وخير أمير بالعراق جرير
وعند أمير المؤمنين نوائل
وعند المثنى فضة وحرير
تذكر هداك الله وقع سيوفنا
قديس والمكر عسير

عشية ود القوم لو أن بعضهم
بعلو جناحي طائر فيطير
اذا ما فرغنا من قراع كتيبة
دلفنا لاخرى كالجبال تسير
ترى القوم فيها واجمين كأنهم
جمال بأحمال لهن زفير

فكتب سعد الى عمر بما قال لها وما ردا عليه وبالقصيدتين. فكتب ان اعطها على بلائهما . فأعطى كل واحد منهما الفى درهم

عن ابن قتيبة ان سعد بن أبي وقاص كتب الى عمر بن الخطاب يثني على عمرو ابن معدى كرب . فسأل عمر عمرا عن سعد فقال : هو لنا كالأب اعرابي في نمرته أسد في تامورته ، يقسم بالسوية ، ويعدل في القضية ، وينعو في السرية ، وينقل الينا حقنا كما تنقل الذرة

فقد عمر لشد ما تقارضتما الثناء

وجاء رجل وعمرو بن معدى كرب واقف بالكناسة على فرس له فقال لأنظرن ما بقي من قوة أبي ثور فأدخل يده بين ساقه وبين السرج ففطن عمرو فضمها عليه وحرك فرسه فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى اذا بلغ منه قال : يا ابن أخي مالك ؟ قال يدي تحت ساقك . فخلى عنه وقال : يا ابن أخي ان في عمك لبقية بعد

كان عمرو مع شجاعته ومواقفه المشهورة مشهورا بالكذب فحدث المبرد قال :

كانت الاشراف بالكوفة يخرجون الى ظاهرها يتناشدون الاشعار ويتحدثون ويتذاكرون أيام الناس فوقف عمرو الى جانب الصعب النهدي فأقبل عليه يحدثه ويقول أغرت على بني نهد فخرجوا الى مسترعفين بخالد بن الصعب يقدمهم فطعنته طعنة فوقع وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه

فقال له رجل يا ابا ثور مقتولك الذي تذكره هو الذي تحدثه

فقال عمرو اللهم غفرا انما انت محدث فاستمع ، انما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لنرهب هذه المعدية

وقال محمد بن سلام أبت العرب الا ان عمراً كان يكذب. قال وقلت لخلف الاحمر وكان مولى للاشعريين وكان يتعصب لليمانية ، أكان عمرو يكذب . قال كان يكذب باللسان ويصدق بالفعال

وعن زياد مولى سعد قال سمعت سعد بن ابى وقاص يقول: بلغنا ان عمرو ابن معدى كرب وقع فى الخمر وانه قد دله ولقد كان له موطن صالح يوم القادسية عظيم العناء شديد النكاية للعدو . فقيل وقيس ابن مكشوح ؟ فقال هذا أبذل لنفسه من قيس وان قيساً لشجاع

عن محمد ابن المرهبي :قال كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير فسمعته يحدث قال : قدم عيينة بن حصن الكوفة فأقام بها أياما ، ثم قال والله مالى بأبى ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط، يعنى بأبى ثور عمرو ابن معدى كرب ، أسرج لى ياغلام . فأسرج له فرساً انثى من خيله ، فلما قربها اليه ليركبها قال له :ويحك أرأيتنى ركبت انثى فى الجاهلية فأركبها فى الاسلام؟ فأسرج لى حصانا. فأسرجه فركبه واقبل الى محلة بنى زبيد ، فسأل عن محلة عمرو بن معدى كرب فأرشد اليها فوقف ببابه ونادى اى ابا ثور اخرج الينا. فخرج اليه مؤتزراً كأنما فاسر وجبر . فقال انعم صباحا ابامالك. عل عيينة اوليس قد ابدلنا الله بهذا (السلام عليكم) ؟ قال دعنا مما لانعرف. انزل فان كبدنا كبشا ساحا. فنزل فعمد الى الكبش فذبحه ، ثم كشف جلده عنه وعضاه وألقاه فى قدر جماع وطبخه حتى اذا ادرك جاء بجفنه عظيمة فثرد فيها وألقى القدر عليها فقعدا فأكلاه . ثم قال عمرو اى الشراب ب اليك اللبن ام ماكنا نتنادم عليه فى الجاهلية ؟ قال عيينة اوليس قد حرمها الله عز وجل علينا فى الاسلام؟ قال عمرو انت اكبر سنا ام انا ؟ قال عيينه انت . قال عمرو فأنت اقدم اسلاما ام انا ؟ قال عيينة انت . قال عمرو فانى قد قرأت ما بين دفتى المصحف فوالله ماوجدت لها تحريما الا انه قال فهل انتم منتهون؟ فقلنا لا ، فسكت وسكتنا

فقال له عيينه انت اكبر سنا واقدم اسلاما. فجاء بها فجلسا يتنادمان . يشربان ويذكران ايام الجاهلية حتى امسيا . فلما اراد عيينة الانصراف . قال عمرو بن معدى كرب ولئن انصرف ابومالك بغير حباء انها لوصمة علىّ . فأمر بناقة له أرحبية كأنها جبيرة لجين فارتحلها وحمله عليها ثم قال ياغلام هات المزود . فجاءه بمزود فيه اربعة آلاف درهم فوضعها بين يديه . فقال عيينة اما المال فوالله لاقبلته . قال عمرو ابن معدى كرب فوالله انه من حباء عمر

ابن الخطاب . فلم يقبله عيينة . وانصرف
وهو يقول :

جزيت ابا ثور جزاء كرامة
فنعم الفتى المزدار والمتضيف
قريت فأكرمت القرى وأفدتنا
خبية علم لم تكن قط تعرف
وقلت حلالا ان ندير مدامة
كلون انبعاق البرق والليل مسدف
وقدمت فيها حجة عربية
ترد الى الانصاف من ليس ينصف
وانت لنا والله ذى العرش قدوة
اذا صدنا عن شربها المتكلف
تقول ابو ثور أحل حرامها
وقول ابى ثور أسد وأعرف

وغزا عمرو بن معدى كرب هو وأُبَى
المرادى قوماً فى الجاهلية فأصابا غنائم ،
فادعى أُبى انه قد كان مساندا له فأبى
عمرو ان يعطيه شيئا . ثم بلغ عمراً ان
أُبيا يتوعده فقال عمرو فى ذلك قصيدة
ولها :

عاذل سكنى بدنى ورمحى
وكل مقلص سلس القياد
اعاذل انما افنى شبابى
واقرح عاتقى ثقل النجاد
تمنانى ليلقانى أُبى
وددت واينما منى ودادى
ولو لاقيتنى ومعى سلاحى
تكشف شحم قلبك عن سواد
اريد حياته ويريد قتلى
عذيرك من خليلك من مراد

وهذا البيت كان يتمثل به على بن
ابى طالب فى بعض المواطن

ومن شعر عمرو بن معدى كرب :

أمن ريحانة الداعي السميع
يؤرقني واصحابى هجوع
سباها الصمة الجشمى غصبا
كأن بياض غرتها صديع
وحالت دونها فرسان قيس
تكشف عن سواعدها الدروع
اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع
وصله بالزمان فكل امر
سما لك او سموت له ولوع

وهى طويلة

كان سبب موت عمرو بن معدى
كرب ما حكاه قتيبة وغيره قالوا :
كانت مغازى العرب اذ ذاك بالرى
ودستبى فخرج عمرو مع شباب من مذحج

حتى نزل الخان الذى دون روذة فتغدى القوم ثم ناموا . وقام كل رجل منهم لقضاء حاجته . وكان عمرو اذا أراد الحاجة لم يجترئ احد ان يدعوه وان ابطأ . فقام الناس للرحيل وترحلوا الا من كان فى الخان الذى فيه عمرو . فلما ابطأ صاحوا به يا ابا ثور فلم يجبهم وسمعوا علزا شديدا ومراسا فى الموضع الذى دخله ، فقصدوه واذا به محمرة عيناه مائلا شدقه مفلوجا ، فحملوه على فرس وأمر واغلاما شديد الذراع فارتدفه ليعدل ميله فمات بروذة ودفن على قارعة الطريق . فقالت امرأته الجعفية ترثيه :

لقد غادر الركب الذين تحملوا
بروذة شخصا لاضعيفا ولا غمرا
فقل لزبيد بل لمذحج كلها
فقدتم ابا ثور سنانكم عمرا
فان تجزعوا لا يغن ذلك عنكم
ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا

عمر بن الخطاب هو الخليفة الثانى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اول من دعى امير المؤمنين

وهو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب القرشى العدوى

وامه حنتمة بنت هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وقيل هى حنتمة بنت هشام بن المغيرة فعلى هذا تكون اخت ابى جهل وعلى الاول تكون بنت عمه

كان فى الجاهلية من الذين انتهى اليهم الشرف من قريش اذ كانت له السفارة اما صناعته فكان تاجرا وبقى كذلك الى ان ولى الخلافة

كان عمر مشهوراً فى الجاهلية بالشدة وعزة الجانب والمنعة على انه لم يكن غنيا . وكان يرعى الغنم لأبيه وهو صغير حتى قال يوماً وقد مر بمكان اسمه ضجنان بعد ان ولى الخلافة

« كنت ارعى للخطاب بهذا المكان فكان فظا غليظا فكنت ارعى احيانا واحتطب احيانا فأصبحت اضرب الناس ليس فوقى احد الارب العالمين . ثم قال

لاشىء مما ترى الا بشاشته
يبقى الاله ويودى المال والولد

وقد أعز الله المسلمين باسلام عمر . فقد كانوا قبل اسلامه يجتمعون فى دار الارقم مستخفين لشدة قريش عليهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتوقع خير المسلمين

باسلام احد العمرين وهما عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام اعنى ابا جهل

فأسلم عمر فى ذى الحجة لمضى ست وعشرين سنة

فلما اسلم قال يارسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على البـاطل ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قليل وقد رأيت مالقينا . فقال له عمر والذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفين من المسلمين حمزة فى احدهما وعمر فى الآخر حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش الى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة شديدة . من هذا اليوم سمى رسول الله عمر بالفاروق لانه اظهر الاسلام وفرق بين الحق والباطل

لما اسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله (يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)

صحب عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن صحبة وبذل فى نصره ماله ونفسه ، وجاهر بالاسلام حتى أعزه . ولما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالهجرة هاجر جميع الصحابة مستخفين الا عمر فانه لشدة بأسه هاجر على ملأ قريش ، فتقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده اسهما واختصر عنزته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا ثم الى المقام فصلى متمكنا ثم وقف على حلقات قريش واحدة فواحدة وقال لهم : شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس من اراد ان تثكله امه ويؤتم ولده وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى . قال على بن ابى طالب فما تبعه أحد الاقوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه

امضى عمر بن الخطاب ايام صحبته لرسول الله فى الدفاع عنه وبذل حياته فى سبيل دعوته وكان يظهر فى ذلك من الغيرة وشدة العناية مالا يصدر الا من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه

(كيف انتخب للخلافة)

أخرج الامام ابن الجوزى فى السيرة العمرية عن عاصم قال : جمع ابو بكر الناس وهو مريض فأمر من يحمله الى المنبر فكانت آخر خطبة خطب بها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

«أيها الناس احذروا الدنيا ولا تثقوا بها فانها غرارة ، وآثروا الآخرة على الدنيا

وأحبوها فبحب كل واحدة منها تبغض الاخرى وان هذا الامر الذى هو أملك بنا لا يصلح آخره الا بما صلح به اوله، ولا يتحمله الا أفضلكم مقدرة ، وأملككم لنفسه، أشدكم فى حال الشدة ، وأسلسكم فى حال اللين، وأعلمكم برأى ذوى الرأى لا يتشاغل بما لا يعنيه ، ولا يحزن لما نزل به ، ولا يستحيي من التعلم ، ولا يتحير عند البديهة ، قوى على الامور ، لا يجوز بشىء منها حده بعدوان ولا تقصير، يرصد لما هو آتيه اعتاده من الحذر والطاعة، وهو عمر بن الخطاب »

ثم نزل نحمل الساخط امارته الراضى بها على الدخول معهم

تولى عمر بن الخطاب باجماع من المسلمين فكان مثال العدل والزهد والرحمة ضرب به المثل فى حب الرعية والسهر على راحتها ، والدأب على ما فيه صلاحها

لما تمت له البيعة صعد المنبر فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلى وسلم على نبيه :

« انما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده ، وأما فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق »

أول عمل عمله عمر ارسال سعد بن ابى وقاص لحرب الفرس، وعزل خالد بن الوليد عن امارة الجيش بالشام واسنادها لابى عبيدة عامر بن الجراح، وبعث يعلى بن أمية لاجلاء نصارى نجران من بلادهم باليمن

كان أهل نجران قد أوفدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدا يصالحونه على دفع الجزية فصالحهم وكتب لهم بذلك كتابا جعل لهم فيه ذمة الله وعهده وأن لا يفتنوا عن دينهم ومراتبهم فيه ولا يحشروا ولا يعشروا وأن يؤمنوا على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعيرهم وبعثهم وأمثلتهم لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين. لهم ذلك ما رعوا العهد ونصحوا ولم يأكلوا الربا

فلما استخلف أبو بكر أقرهم على ما هم عليه . فلما تولى عمر رأى من المصلحة اجلاءهم عن جزيرة العرب حتى لا يكون فى جزيرة العرب دينان . فأرسل اليهم يعلى ابن امية واوصاه بقوله :

« اتهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم أجلهم من أقام منهم على دينه وأقرر المسلم وامسح ارض كل من نجلى منهم ثم خيرهم البلدان، وأعلمهم انا نجليهم بأمر الله ورسوله أن لا يترك بجزيرة العرب دينان فليخرجوا من أقام على دينه منهم ثم نعطيهم ارضا كأرضهم اقراراً لهم بالحق على أنفسنا ووفاء بذمتهم فيما أمر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف »

وكتب لهم كتابا هذا صورته .

« اما بعد فمن وقعوا به من أهل الشام والعراق فليوسعهم من حرث الارض وما اعتملوا من شيء فهو لهم مكان أرضهم باليمن »

فنزل بعضهم الشام وبعضهم النجرانية بناحية الكوفة وبهم سميت

نقول لاندرى كيف لم يسع عمر رضى الله عنه ما وسع النبي صلى الله عليه وابا بكر من ترك أهل نجران وعدم اجلائهم . ان كان استند على ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : (لا يبقين فى جزيرة العرب دينان) فلم نفهم كيف قال رسول الله ذلك ولم ينفذه وكيف علمه أبو بكر ولم يعمل به ؟

الحقيقة ان عمر سلك فى هذا الامر مسلكا اجتماعيا بحتا فراعى مصلحة الامة العربية فى عزلها عن الاختلاط بأهل الملل الاخرى وقد عهد مثل هذا العمل فى كل أمة تسود سواها لتأمن شر الانتقاض عليها أو دس الدسائس فيها . فان دولة الروسيا فرقت ملايين من التتار فى جميع البلاد الروسية فنقلت قرى برمتها وجعلت مكانها قرى روسية حتى لا تصبح للتتاريين عصبة يثورون بها عليها فى يوم من الايام ولو عملت الدولة العثمانية مثل ذلك بمقدونيا وتراقية والبانيا وبلغاريا وصربيا وبولونيا ورومانيا أيام كانت تملكهم لأصبحت كل تلك الممالك لها الآن ولم تكن بؤرات قلاقل أضعفتها بحروبها الاهلية . فما فعله عمر رضى الله عنه كان من قبيل عمل الامم الاستعمارية فأجلى أهل نجران ليأمن شر الدسائس والفتن وهو وجه بسيفه ناموس التغالب الحيوى لاسيما وقد حاطه أمير المؤمنين بكل ما يتصور من ضروب العدل والانصاف والرحمة فلم يأمر أهل نجران بالهجرة فتضطرهم لبيع أملاكهم بالبخس بل أرسل اليهم من تولى أمر نقلهم وأمر

ولاته بالاحسان اليهم وابدالهم أرضا من ارضهم وهذا غاية ماعرف من العدل وليس له نظير في تاريخ الامم المتغلبة فأين هذا من أمم نطرد غير المتدينين بدينها حفاة عراة لا يملكون شيئا فيهلكون في الطريق أو يضطرون للارتداد عن دينهم كما فعلت دولة الاندلس في القرن الخامس عشر حين استولت على آخر ما كان في أيدى العرب من الاندلس فطردت ستة ملايين عربي وأمرتهم ان لا يهاجروا الى بلاد المسلمين فتمزقوا أيدى سبا ونالهم من الجوائح مالا يخطر على بال بشر

(فتح الشام)

كان ابو بكر الصديق وجه ابا عبيدة وخالد بن الوليد لفتح الشام فحدثت واقعة اليرموك حيث انهزم الرومان شر انهزام فأسرع هرقل امبراطور الرومان الى مدينة حمص وجعلها مقرا لأعماله الحربية وولى أخاه القيادة العامة

أما قائد المسلمين ابو عبيدة فانه بعد انتصاره في وقعة اليرموك خرج حتى نزل بمرج الصفر وهناك سمع بأن المنهزمين اجتمعوا بفحل وان مدداً أتى أهل دمشق فلم يدر أيبدأ بدمشق ام بفحل، فكتب يستشير عمر فأمره بأن يبدأ بدمشق لأنها عاصمة الشام فتقدم اليها وحاصرها نحوا من سبعين يوما وكان ابو عبيدة أرسل جيشا تحت امرة ذى الكلاع ليرد عن دمشق كل مدد يأتى من حمص فضعف أهل دمشق عن تحمل الحصار . وفى أثناء ذلك ولد لقائد دمشق مولود فاحتفل به أهلها فأكلوا وشربوا وغفلوا عن مواقعهم فاتخذ خالد بن الوليد سلاليم من الحبال وندب معه جماعة فتسوروا السور ونزلوا الى الباب ففتحوه وأمر الجيش بأن يقتحمه فهاج أهل دمشق وطلبوا الصلح وفتحوا جميع أبواب المدينة

وقد روى البلاذرى أن سبب فتح دمشق ان خالد بن الوليد اتفق مع أسقف من أساقفتها أعطاه خالد الامان عند مروره بها أو مجيئه الى الشام والاول أصح

أما الصلح فكان على دينار على كل رأس وجريب من الحنطة على كل جريب من الارض وعلى المقاسمة على العقار والدينار وقد وهن بعضهم أمر المقاسمة ولم يقبلها . وكان فتح هذه المدينة

فى أواخر سنة ١٣ وبعضهم قال فى أوائل المحرم سنة ١٤ وبعضهم قال انها فتحت فى رجب سنة ١٤

(وقعة فحل)

بعد فتح دمشق اتجه جيش المسلمين لمناجزة هرقل امبراطور الرومان فساراليه ابو عبيدة فبعث خالد بن الوليد فى المقدمة وجعل نفسه وعمرو بن العاص على الميمنة والميسرة وجعل على الخيل ضرار بن الازور وعلى المشاة عياضا وسلم القيادة العامة لشرحبيل بن حسنة . فلما انتهوا الى أبى الاعور وكان بين الاردن وبين دمشق يمنع المدد عن أهل دمشق قدموه الى طبرية فحاصرها ونزلوا هم بفحل . وكان الرومان قد اغرقوا الارض بينهم وبين فحل فوقف المسلمون دونها فأرادالرومان ان يباغتوهم فهجموا عليهم ليلا فدارت رحى قتال عنيف انهزم فيه الرومان وانتهوا الى تلك الاوحال فلم يستطيعوا اجتيازها فأسروا جميعا

ثم انصرف ابو عبيدة ومعه خالد الى حمص وسار شرحبيل بن حسنة الى بيسان وطبرية ، ويزيد بن أبى سفيان الى سواحل الشام

اما أهل بيسان فتحصنوا فى مدينتهم ثم انتهى امرهم بالصلح . وصالح أهل طبرية ابا الاعور على أن يبلغ الامر الى شرحبيل . ونزل قواد المسلمين فى مدن نهر الاردن وقراها

فلما علم امبراطور الرومان بما حل بجنوده رأى أن يرسل جيشاً الى دمشق ليشغل ابا عبيدة عن حمص فنزل ذلك الجيش فى مرج الروم غرب دمشق فأسرع ابو عبيدة ومعه خالد فنازلا ذلك الجيش الذى سار قسم منه الى دمشق فتبعه خالد واستقبله يزيد بن ابى سفيان فاقتتلوا فلم يفلت منهم الا الشريد وقتل خالد بيده قائدهم

اما ابو عبيدة فقاتل من كان تخلف من ذلك الجيش بمرج الروم فأصاب الرومان فزع عظيم وقتل قائدهم

(فتح سواحل الشام)

ذكرنا ان أبا عبيدة وجه يزيد بن ابى سفيان لفتح سواحل الشام فجعل يزيد على مقدمته اخاه معاوية بن أبى سفيان ففتح صيدا ثم عرقة وجبيل وبيروت . ثم ان الرومان استردوا بعض هذه السواحل فى آخر خلافة عمر وأول

خلافة عثمان فقاتلهم معاوية حتى أجلاهم عنها

(فتح حمص)

اما ابوعبيدة فقصد حمص عن طريق بعلبك وقدم السمط بن الاسود اليها وأرسل خالد بن الوليد الى البقاع فافتتحها ونزل أهل بعلبك فصالحوا أبا عبيدة

ثم انه توجه الى حمص فوجد السمط ابن الاسود قد صالحهم فأجاز صلحه وقيل بل فتحها بعد قتال عنيف

(فتح فلسطين واجنادين)

لما سار ابو عبيدة من فحل الى حمص وافتتح عمرو بن العاص وشرحبيل بيسان وصالحهم أهل الاردن وقصد عمرو فلسطين كتب أمير المؤمنين الى يزيد ابن سفيان ليشد أزرهم من خلفهم وأن يسرح معاوية الى قيسارية وأمر عمرو بن العاص بمقابلة القائد الرومانى المشهور المسمى الارطبون فى (اجنادين) ووجه علقمة بن محرز لصد القائد الرومانى المسمى الفيقار فى غزة

فسار معاوية الى قيسارية وكان فيها مائة الف جندى للرومان فافتتحها

وأما علقمة بن محرز فحصر الفيقار وضيق عليه

وأما عمرو بن العاص فسار نحو الارطبون وتتابعت على الاول الامداد وسفرت بينهما السفراء ثم ان عمرو تظاهر بأنه سفير ودخل على الارطبون فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حضوره. فحدثت الارطبون نفسه بأن هذا السفير هو عمرو ذاته فأرصد له بالطريق من يقتله ففطن عمرو لذلك فاحتال بحيلة وذلك انه قال للارطبون قبل أن يبرح معسكره ان معى قوما هم شركائى فى الرأى فأمرنى أن أذهب فآتيك بهم فأجابه الارطبون الى ذلك وأرصد لمن أرصده لقتله أن لا يتعرض له فذهب عمرو ولم يعد

فلما عاد عمرو الى معسكره أمر جنوده بالزحف فحدث قتال عنيف انتهى بهزيمة الارطبون فتقهقر الى ايليا فأفرج له المسلمون الذين كانوا يحاصرونها ودخلها ثم اضطر للتقهقر الى اجنادين

(فتح بيت المقدس)

لما فتح عمرو اجنادين ترك أهل ايليا اى بيت المقدس محصورين وشرع بتمم فتح مدن فلسطين فافتتح غزة ولد ونابلس وبيت جبرين ومرج عيون ويافا ثم قصد بيت المقدس وأخذ يخابرها

الارطبون فامتنع عليه . فرأى عمرو ان أمرها سيلتوى عليه فكتب الى عمر يقول :

« انى أعالج حربا كؤداً صدوماء وبلاداً ادخرت لك فرأيك »

فلما قرأ عمر الكتب حشد جيشاً وقصد بيت المقدس لفتحها

ويقال ان سبب مجيء عمر نفسه ان اهل بيت المقدس طلبوا الصلح على شرط أن يكون المتولى للعقد هو أمير المؤمنين نفسه

سار عمر وكتب للامراء أن يوافوه بالجابيه فكان اول من لقيه يزيد بن أبى سفيان ثم ابو عبيدة ثم خالد على الخيول وعليهم الديباج والحرير فكبر على عمر أن يرى آثار التنعم بادية على رجاله بعد تلك الخشونة والشظف فنزل عن دابته وأخذ احجاراً من الارض فرماهم بها وقال :

« سرع ماالتم عن رأيكم . اياى تستقبلون بهذا الزى وانما شبعتكم منذ سنتين . سرع ما ندت بكم البطنة، وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم »

فقالوا ياأمير المؤمنين انها يلامقة وان علينا السلاح (اليلامعة ما لمع من السلاح)

قال عمر فنعم اذن . وركب حتى دخل الجابية وبينا هو بها اذ جاء أهل ايلياء طالبين الصلح خائفين على كنيستهم العظمى وقبلتهم المقدسة فأمنهم عمر رضى الله عنه على أموالهم وأعراضهم ودينهم وكتب لهم بذلك عهداً وكان ذلك سنة (١٥) وقيل (١٦)

ثم قصد أمير المؤمنين بيت المقدس حتى انتهى الى المسجد الاقصى فصلى فيه ثم قام الى كناسة اى زبالة كان الروم جعلوها على محل هيكل لليهود هدموه والقوا عليه تلك الزبالة نكاية فى بنى اسرائيل وقال أيها الناس اصنعوا كما أصنع وجثا فى أصلها وحثا التراب فى ذيل ثوبه ، فسمع التكبير من خلفه وكان يكره سوء النظام في كل شيء . فقال ما هذا ؟ فقالوا كبر كعب الاحبار وكبر الناس بتكبيره . وكان كعب هذا حبر من أحبار اليهود بالمدينة صحب النبي وصاحبيه ولم يشأ أن يسلم حتى تتحقق جميع العلامات التى قرأها فى كتب بنى اسرائيل عن النبي وأصحابه ثم أسلم فى خلافة عثمان . فقال عمر علىّ به . فأتى به فسأله عن سبب تكبيره . فقال يا أمير

المؤمنين انه قد تنبأ بما صنعت نبي منذ خمسمائة سنة وسرد له الخبر

(فتح حماة واللاذقية وقنسرين)

فتح هذه البلاد أبو عبيدة قبل مسيره من حمص وقبل فتحها بعد عودته من بيت المقدس . صالحه أهل حماة ثم بعث خالد ابن الوليد الى قنسرين وسار هو الى اللاذقية فامتنع عليه أهلها فأمر الجند أن يحفروا أسرابا فى الارض كل سرب يسير فيه الرجل وفرسه . ثم انه اظهر القفول الى حمص فلما جن عليهم الليل عادوا الى معسكرهم وحفائرهم وأهل اللاذقية يظنون انهم انصرفوا ففتحوا بابهم وأخرجوا سرحهم فلم يرعهم الا أن صبحهم المسلمون فطلبوا الامان فقوطعوا على خراج يؤدونه وبنى المسلمون بها مسجداً لهم

وأما خالد فلما وصل الى قنسرين زحف اليه قائدها ميناس بجيش الرومان فاقتتلوا قتالا عنيفا فقتل مينا وأسلم بعض أهلها وأقام بعضهم على النصرانية ثم أسلموا بعد ذلك

فلما فرغ من حاضر قنسرين وهى قرية قريبة من قنسرين تحصن منه أهل تلك المدينة فقال لهم خالد : انكم لو كنتم فى السحاب لحملنا الله اليكم اولأنزلكم الله الينا . فنظروا فى امرهم فرأوا ان يصالحوه فأبى الاحزاب فبغتها فأخربها

أما هيرقل فقصد بعد حمص انطاكية ثم انتقل عنها الى الرها فى الجزيرة ليجمع جيشا يمد به أهل حمص قبل سقوطها ففطن له المسلمون فأرسلوا اليه عمرو بن مالك من قبل قرقيسيا وعبد الله ابن المعتم من الموصل والوليد بن عقبة من الجزيرة بجيوش من المسلمين . وكذا لحقهم من قنسرين خالد بن الوليد وعياض ابن غنم فاضطر هيرقل أن يرحل الى القسطنطينية

فلما بلغ عمر ما فعله خالد قال : أمّر خالد نفسه يرحم الله ابا بكر هو كان أعلم منى بالرجال

ويقال إن عمر قال هذا القول لما فتح خالد قنسرين وقد كان عمر قد عزله عن القيادة العامة وعزل المثنى بن حارثة الشيبانى وقال : انى لم أعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت ان يوكلوا اليهما

ولما بلغ هرقل القسطنطينية لحقه رجل كان أسيراً فى يد المسلمين فأحضره

هرقل وسأله عن هؤلاء القوم

فقال الرجل أحدثك كأنك تنظر اليهم هم فرسان بالنهار ورهبان بالليل ما يأكلون بذمتهم الا بثمن (يعنى من أهل البلاد التى دخل أهلها فى ذمتهم) ولا يدخلون الا بسلام؟ يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه

فقال هرقل : لئن صدقتنى ليرثن ما تحت قدمى هاتين

(فتح حلب وانطاكية وغيرهما)

لما أتم أبو عبيدة فتح حماة وقنسرين واللاذقية وغيرها سار الى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهرى فوجد أهلها متحصنين فحاربهم فطلبوا الصلح فصالحهم

ثم قصد حاضر حلب وكان كحاضر قنسرين يجمع أصنافا من العرب فصالحهم أبو عبيدة على الجزية ثم انهم اسلموا بعد

ثم قصد أبو عبيدة وتقدم فحاصر المدينة فانتهى الامر بالصلح وسار عنهم فنقضوا العهد فأرسل اليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة الفهرى ففتحاها على الصلح الاول

(كرة هيرقل على سورية)

لما تم للمسلمين فتح سورية بعد أن عالجوا حربها ثلاث سنين ماشعروا الا وهرقل قادم بجند كثيف من حمص بطريق البحر . وكان أبو عبيدة اذ ذاك فى حمص فاستمد خالدا فجاءه بمن معه

فكان من رأى خالد بن الوليد ان يناجز عدوه ولا يتأخر عنه لانه كان معروفا بالشدة وأشار عليه غيره بأن يكتب لعمر يستشيره فكتب له . وكانت جيوش هيرقل قد وصلت وتواردت عليه الامداد من كل وجه

فكتب أمير المؤمنين الى سعد بن أبى وقاص فى العراق ان ابا عبيدة قد احيط به ولزم حصنه فبث المسلمين بالجزيرة وشغلهم بالمسلمين عن أهل حمص . وكان عمر قد جعل فى كل مصر قدرا من الخيل

فلما وصل كتاب أمير المؤمنين الى سعد ارسل جيشا مع القعقاع بن عمرو وغيره وأمرهم أن يسلك كل قائد طريقا الى الجزيرة فيقصد واحد قرقيسيا والآخر الرقة والثالث نصيبين والرابع حران والرها وخرج عمر بن الخطاب نفسه ممدا لابى عبيدة فنزل الجابية . فلما بلغ الروم ذلك انفضوا الى مدائنهم وبادروا المسلمين

اليها فتحصنوا او نزل المسلمين عليهم فمنعوهم من امداد هيرقل فدب الفشل الى جنوده

فقال المسلمون لابي عبيدة قد تفرق أهل الجزيرة عن هيرقل وندم اهل قنسرين فاخرج بنا الى هرقل وخالد بن الوليد ساكت . فقال له ابو عبيدة مالك لا تتكلم فقال :

قد عرفت الذى كان من رأيي فلم تسمع من كلامي

قال ابو عبيدة فتكلم فاني اسمع منك وأطيعك

قال خالد : فاخرج بالمسلمين فان الله تعالى قد نقص من عدتهم (يعني الروم) وبالعدد يقاتلون ، وانما نقاتل منذ أسلمنا بالنصر فلا تخافك كثرتهم

فجمع ابو عبيدة الناس وخطبهم قائلا :

« ايها الناس ان هذا يوم له مابعده اما من حيي منكم فانه يصفو له ملكه وقراره ، وأما من مات منكم فانها الشهادة فأحسنوا بالله الظن ولا يكرهن اليكم الموت أمر قد اقترفه أحدكم دون الشرك توبوا الى الله وتعرضوا للشهادة فاني أشهد وليس أوان الكذب اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة »

ثم خرج في قلب جيشه وعلى ميمنته خالد وعلى ميسرته عباس وكان على باب المدينة معاذ بن جبل فانهزم الرومان وولوا الادبار . وتم بذلك فتح الشام ويئس منها هرقل الى الابد

أما القواد الذين حضروا وقائعها من المسلمين فهم أبو عبيدة بن الجراح القائد العام ثم يليه خالد بن الوليد وكان له الاثر الأكبر في تلك الحروب كما رأيت وخالد بن سعيد وعمرو بن العاص ويزيد ابن أبي سفيان وأخوه معاوية الذي تولى الخلافة بعد وحبيب بن مسلمة الفهري وعياض بن غنم الفهري وشرحبيل بن حسنة وذو الكلاع الحميري والقعقاع بن عمرو والسمط بن الاسود الكندي وعلقمة ابن محرز وعلقمة بن حكيم الفراسي وعبادة بن الصامت ومالك بن الاشتر النخعي ومسروق بن فلان العكي وابو أيوب المالكي وغيرهم

(فتح العراق وفارس)

لما ولي عمر الخلافة انتدب الناس لفتح بلاد الفرس فلم ينتدب له أحد لتوهم الناس ان أمر فارس يلتوي عليهم ولا يسهل

لهم ما اشتهرت به من قوة الشوكة وشدة الصولة

ثم عاد عمر فانتدب الناس وقال :

« ان الحجاز ليس لكم بدار الاعلى النجعة (اى المرعى) ولا يقوى عليه اهله الا بذلك. اين القراء المهاجرون عن موعود الله . سيروا فى الارض التى وعدكم الله فى الكتاب ان يورثكموها فانه قال (ليظهره على الدين كله) والله مظهر دينه ومعز ناصره ومولى اهله مواريث الامم اين عباد الله الصالحون ؟ »

فكان أول من لباه ابو عبيد ابن مسعود الثقفى وثنى سعد بن عبيد وسليط ابن قيس فأمر اباعبيد على الجيش وقال له:

« اسمع من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأشركهم فى الامر ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين فانها الحرب والحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة والكف ولم يمنعنى ان اؤمر سليطا الا سرعته الى الحرب، وفى التسرع الى الحرب ضياع الا عن بيان الله ، ولولا سرعته لامرته ولكن الحرب لا يصلحها الا المكيث »

خرج ابو عبيد فى آخر جمادى الاولى وأوائل جمادى الآخرة سنة (١٣) الى الحيرة من بلاد العرب وكانت تحت حماية الفرس وكان عليها امرأة يقال لها بوران فاستدعت القائد رستم المشهور وسلمته القيادة العامة فالتقى أحد قواده المدعو جابان بجيش أبى عبيد فانهزم وأسر

وقدم ابو عبيد الى كسكر فالتقى هناك بقائد فارسى اسمه نرسى فهزمه بمكان يدعى السقاطية

ثم تقدم ابو عبيد الى الحيرة فلقيه قائد من قواد الفرس اسمه بهمن جاذويه وكان معه جنود مدربون وعدة لم يرمثلها المسلمون فعبر ابو عبيد نهر المروحة رغماً عن نصيحة سليط بن قيس بعدم عبوره فقاتلهم الفرس فقتل ابو عبيد فى المعركة فاشتد كلب الفرس فهزموا المسلمين فهموا بالرجوع فعمد رجل من ثقيف الى الجسر فهدمه قاصداً بذلك منع الهزيمة فكان فى ذلك شر كبير اذا أعمل الفرس فى المسلمين السيوف فبادر المثنى بن حارثة وجماعة فحمى الناس حتى اصلحوا الجسر ثم مروا عليه الى الضفة الاخرى

بلغ أمر هذه الهزيمة عمر فأرسل اليهم مددا تحت قيادة جرير بن عبدالله البجلى

ثم تواردت اليه جموع من العرب لامداده فلما أحس الفرس بشدة المسلمين أرسلوا اليهم قائدا مدربا اسمه مهران فعبر لهم النهر فعبأ المثنى بن حارثة جنوده احسن تعبئة ولقى الفرس ودارت رحا الحرب ثم انتهت بهزيمة الاعجام شر هزيمة

كانت مملكة الفرس فى هذه الاثناء فى شر من التفرق عظيم ، فقد كان كل رئيس متغلبا على ماليده ليس لهم ملك يجمع كلمتهم . فلما ادرك الفرس سوء المغبة بمداهمة المسلمين لهم اجتمع رأيهم على تعيين ملك عليهم لتلتف القلوب حوله فولوا عليهم يزدجرد بن شهريار من آل كسرى فالتفت القلوب عليه مع ضعفه وتباروا فى طاعته فأعد كل مايستطيع من عدة لقتال المسلمين

فلما بلغ عمر ذلك اهتم له غاية الاهتمام وكتب الى عماله يستنفر الناس لقتال الفرس وخرج هو فعسكر على ماء بقرب المدينة والناس معه لايعلمون شيأ ثم اخبر الناس بعزمه على الخروج بنفسه للفرس وطلب اليهم رأيهم فأجمعوا على ان يبعث رجلا من الصحابة المشهورين بالقيادة ويقيم هو لامداده

فرضى منهم هذا الرأى ولكنه حار فى انتخاب قائد محنك وبينما هو يشاور اصحابه اذ ورد عليه كتاب من سعد بن ابى وقاص وكان عاملا له على صدقات هوازن، فقال بعض الناس لعمر قد وجدته. قال عمر فمن ؟ قال ذلك البعض : الاسد عاديا . قال عمر من هو ؟ قالوا سعد بن أبى وقاص

فعينه عمر لقتال الفرس وأوصاه بقوله « ياسعد سعد بنى وهيب لايغرنك من الله ان قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله عز وجل لايمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن فان الله ليس بينه وبين احد نسب الا طاعته فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء : الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعاقبة ، ويدركون ماعنده بالطاعة . فانظر الامر الذى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم منذ بعث الى ان فارقنا فالزمه فانه الامر . هذه عظتى اياك ، ان تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين »

ثم لما أراد ان يسرحه قال له :

« انى قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى فانك تقدم على أمر شديد كريه

لايخلص منه الا الحق ، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به واعلم ان لكل عادة عتادا فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك او نابك يجتمع لك خشية الله . واعلم ان خشية الله تجتمع فى أمرين فى طاعته واجتناب معصيته ، وانما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله انشاء ، منها السر ومنها العلانية . فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه فى الحق سواء . وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس . فلا تزهد فى التحبب فان النبيين قد سألوا محبتهم وان الله اذا أحب عبداً حببه واذا بغض عبداً بغضه فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك فى امرك »

سار سعد بن أبى وقاص بأربعة آلاف مقاتل ولحق به من لحق من الامداد فما وصل القادسية الا وكان معه ثلاثون الفا فلم يجد بها جنداً من الفرس فأخذ يبث السرايا هنا وهناك . ثم تقدم اليه القائد المشهور رستم حتى عسكر بساباط بمائة الف مقاتل

فبادر سعد بن أبى وقاص بارسال وفد الى يزدجرد ليعرض عليه الدخول فى الاسلام أو الجزية منهم الاشعث بن قيس وعمرو بن معدى كرب الزبيدى والمغيرة ابن شعبة . فجمع يزدجرد وجوه دولته وقابلهم . فلما مثلوا لديه ، قال يزدجرد للترجمان سلهم ماجاء بكم وما دعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا ؟ أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

فقال النعمان بن مقرن لاصحابه ان شئتم تكلمت عنكم ومن شاء آثرته . فقالوا بل تكلم فقال :

« ان الله رحمنا فأرسل الينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة . ثم أمر أن نبتدىء الى من خالفه من العرب ، فبدأنا بهم فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط ، وطائع فازداد ، فعرفنا جميعا فضل ماجاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق . ثم أمرنا أن نبتدىء بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله فان أبيتم فأمر من الشر هو

أهون من آخر شر منه : الجزية . فان أبيتم فالمناجزة . فان أجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان بذلتم الجزى قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم

لما سمع يزدجرد هذا الكلام استشاط غضباً ورد رداً غليظاً أظهر امتهانه للعرب وتعجبه من ظهورهم بذلك المظهر العظيم بعد ان كانوا من افقر الشعوب وابعدهم عن النظام

فأجابه المغيرة بن زرارة بأن ما وصف به العرب من الخلل وسوء الحال هو حق الا انه قد كان قبل الاسلام ، واما بعده فالحال صار غير الحال . ثم دعاه الى ما دعاه اليه الخطيب السابق

فغضب يزدجرد أشد الغضب واستدعى بوقر من تراب فقال احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن

ثم قال ارجعوا الى صاحبكم واعلموه انى مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه فى خندق القادسية ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم

فقدم أحد رجال الوفد وهو عاصم ابن عمرو وقال أنا سيد هؤلاء . وحمل التراب على عاتقه وخرج الى سعد وقال أبشر فوالله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم

فلما انصرفوا قال يزدجرد لقائده انى وجدت أفضلهم أحمقهم حيث حمل التراب على رأسه . فقال رستم أيها الملك انه أعقلهم وتطير من ذلك

فأخذ سعد فى بث السرايا للغارة على الاطراف . وسار رستم من ساباط لمقاتلته وقدم أمامه قائدا اسمه الجالينوس فى اربعين الفا . وخرج هو فى ستين الفا وجعل على ميمنته الهرمزان وعلى ميسرته مهران وجعل يطاول سعداً مدة أربعة أشهر ليضجره ويحمله على الاقلاع . وكان سعد قد أعد للمطاردة عدتها ثم بدأ رستم فى الهجوم بأمر من يزدجرد نفسه فتقابل الجيشان فلقى خيالة المسلمين من فيلة الفرس أمراً إداً لأنها نفرت أمام تلك الفيلة فبادرتها مشاة المسلمين بالسيوف على خراطيمها وبحل أحزمتها لتندعن أصحابها واشتد القتال طول النهار الى الليل بدون أن يبدو على أحد تضعضع . ثم عاد القتال من الغدو وانتهى فى المساء على ما انتهى عليه بالامس ثم عاد فى اليوم الثالث وانتهى على ما كان عليه فى اليومين السابقين .

فلما كان اليوم الرابع وكان المسلمون ليلتهم يشاغلون الفرس فلم تذق أجفانهم النوم قال القعقاع بن عمرو للناس (وهو الذي قال فيه ابو بكر لم يهزم الناس وفيهم هذا) قال للناس : ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة واحملوا فان النصر مع الصبر

فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه . فحمل الجيشان احدهما على الآخر الى ان زالت الشمس فتأخر الفيرزان والهرمزان ثم ثبتا وانفرج القلب وانتهى القعقاع ومن معه الى سرير رستم وجاء هلال بن عقبة فضرب رستم فقتله . وانهزم الفرس شر هزيمة ومات منهم عدد بالغ فيه المؤرخون كثيرا . أما المسلمون فقتل منهم فى وقعة القادسية هذه نحو سبعة آلاف وخمسمائة وهى من اكبر الوقائع التاريخية

فأقام سعد بعد انتصاره هذا شهرين وكاتب عمر فيم يفعله فكتب اليه يأمره بالمسير الى المدائن وهى عاصمة الفرس فصدع بالامر وكان ذلك فى شوال سنة (١٩) وقدّم طليعته . فالتقت بطليعة الفرس فهزمتها ثم نزلوا يابل وكان قد اجتمع بها فالة الفرس فهزمهم ثم سار سعد فالتقى بجيش فارسى فى كوثى فهزمه ثم سار الى بهرشير وهى المدائن الغربية ، فلاح لهم ايوان كسرى فقال ضرار بن الخطاب : الله اكبر ابيض كسرى ، هذا ما وعد الله ورسوله ، وكبر وكبر الناس معه ، فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ثم نزلوا على المدينة

فأقام سعد أياما من صفر وهو يفكر فى كيفية العبور الى المدينة الثانية التى فيها ايوان كسرى . فرأى أن يعبر اليهم نهر دجلة سباحة فاقتحموا النهر فقابل الفرس خيلهم بخيل مثلها فى النهر فالتقوا وتطاعنوا فولى الفرس الادبار وتلاحق المسلمون فى النهر حتى بلغوا الضفة الثانية وكان كسرى يزدجرد قدم عياله الى حلوان قبل ذلك فانجلى عن المدينة بما قدر عليه من الاموال وتركوا من المتاع والآنية والذخائر مالا يحصى . ولم يجد المسلمون بالمدينة الا حرس القصر الابيض فسلموا بلا قتال ودخل سعد ايوان كسرى وصلى فيه والجيش خلفه ولم يغيروا ما به من التماثيل فصلى والتماثيل تحيط به . ولما دخل القصر كان يتلو قوله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون ومقام كريم »

ثم شرع سعد فى تقسيم الغنائم التى غنمها فأصاب الفارس اثنى عشر الف درهم وكانوا كلهم فرساناً فأرسلوا الخمس لبيت المال وفيها سيف كسرى ومنطقته وزبرجدة فلما رآها عمر قال ان قوماً أدوا هذا الدور أمانة . فقال علىّ انك عففت فعفت الرعية

لما أتم سعد فتح المدائن أرسل قواده لتتبع المنهزمين فأرسل زهرة بن الحيوية الى النهروان فسلم أهل النواحى وعاهدوه على دفع الجزية وأرسل سعد بن عبد الله ابن المتم الى الجزيرة ففتح تكريت والموصل . وأرسل هاشم بن عتبة الى حلوان حيث يقيم كسرى وكان قد فر منها فاحتلها ثم هاجم الحمراء فافتتحها

(فتح مصر)

كان عمرو بن العاص قد وفد على مصر فى الجاهلية وعرف خصوبتها وثروة أهلها وسهولة قيادها فكان يتطلع ان يسلمه أمير المؤمنين جيشاً ويأمره بفتحها

فلما جاء عمر بن الخطاب الجابية فى سنة (١٩) اختلى به عمرو بن العاص وكلمه بشأنها وهوّن عليه أمرها فتردد عمر أولا لان جيوشه كانت متفرقة فى الشام والجزيرة وبلاد العجم يحارب الرومان والفرس وهما دولتا العالم اذ ذاك . فما زال به عمرو حتى استرضاه وأذن له فقصدها وجهز معه أربعة آلاف مقاتل . وقال له انى مرسل اليك كتابا فان أمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها فانصرف عنها وان لم يدركك قبل دخولها فامض لوجهك

فسار عمرو ووراءه كتاب أمير المؤمنين يأمره بالانصراف عن مصر فلم يفتحه حتى دخل أرض مصر ففتحه ومضى لوجهه

تقدم عمرو حتى بلغ الفرماء فقاتله بها الروم نحواً من شهر فهزمهم وتقدم الى القواصر فافتتحها ثم الى بلبيس فافتتحها ثم أتى أم دنين ثم مصر واستمد عمر فأمده بأربعة آلاف ثم استمده فأمده بأربعة آلاف وكتب اليه انى قد أمددتك بأربعة آلاف رجل منهم اربعة مقام الألف : الزبير بن العوام ، والمقداد ابن الاسود ، وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد . واعلم ان معك اثنى عشر الفا ولا نغلب اثنى عشر الفاً من قلة

لما بلغ عمرو مصر تواطأ معه المقوقس كبير القبط ، لان الرومانيين كانوا يضطهدون القبط ويرهقونهم بالتكاليف

الداهظة . فلما تم هذا الصلح قصد عمرو الاسكندرية حيث يقيم جنود الروما ومهرة قوادهم فحاصرها مدة طويلة ثم هاجمها هجوماً عاماً واخذها عنوة وبذلك تم له فتح مصر من اقصائها الى اقصائها

ثم سار الى برقة وهى واقعة بين مصر وطرابلس الغرب فصالحه اهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس ففتحها عنوة ثم كتب الى أمير المؤمنين اما بعد فقد بلغنا طرابلس وبينها وبين افريقية (اى تونس) تسعة ايام فان رأى امير المؤمنين ان يأذن لنا فى غزوها فعل

فنهاه عمر فولى على برقة عقبة بن نافع وعاد هو الى مصر

(الحوادث فى عهد عمر)

من اهم ماحدث فى عهد عمر طاعون عمواس للشام وعام الرمادة بالحجاز . اما طاعون عمواس فقد اجتاح من جيش المسلمين عشرين الفا وكان من بقى لا بقى بصدد الرومان لو كانوا فطنوا لذلك وكروا لاسترداد بلادهم

واما عام الرمادة فسمى بذلك لريح كانت تسفى ترابا كالرماد واصاب الناس بالحجاز مجاعة شديدة فهلك النسل والضرع وعانى أمير المؤمنين بسبب ذلك أشد المتاعب . وآلى على نفسه أن لا يأكل سمناً ولا عسلا حتى يحيى الناس ويكون واياهم سواء فجعل يأكل الزيت حتى أصيب بالقراقر البطنية. فقدمت السوق عكة من سمن ووطب من لبن فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهما . ثم اتى مولاه فقال ياأمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم اجرك قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهما . فقال عمر تصدق بهما فانى اكره ان آكل اسرافا . ثم قال : كيف يعنينى شأن الرعية اذا لم يعنينى ما اصابهم

(آثار عمر فى الخلافة)

لم يكن العرب يؤرخون فى الجاهلية بعام مقرر لحادثة معينة كتاريخ النصارى بعام الميلاد . فكانوا يقولون مثلا حدث ذلك بعد عشرين سنة من عام الفيل وولد فلان عام الفجار وهلم جرا واستمروا على ذلك بعد الاسلام الى ان مضى سنتان ونصف من خلافة عمر اى الى سنة (١٦) من الهجرة فرأى عمر وجوب الاصطلاح على سنة معينة للتاريخ منها لضبط الحوادث فاستشار اصحابه فأشار عليه على

عليه السلام بأن يجعل التاريخ من السنة التى هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة

(تدوين الدواوين)

انسعت موارد المسلمين بعد الفتوحات التى أحدثوها وتشعبت أعمالهم فاقتضى الحال ان يكون لذلك نظام يلم شعثه ، ويجمع متفرقه ، فجمع أصحابه واستشارهم فى كيفية تدوين الدواوين . فقال على بن أبى طالب : تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيئا

وقال عثمان : أرى مالا كثيرا يسع الناس ، وان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الامر (اى يلتبس)

فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا فدون ديوانا وجند جندا . فأخذ عمر بقوله فدعا عقيل بن أبى طالب أخا على ومخرمة بن نوفل وجبير ابن مطعم وكانوا من أذكياء قريش فأمرهم بتدوين الدواوين . والديوان هو الدفتر فى اصل اللغة ثم توسعوا فى مدلوله فأطلقوه على دفاتر الحكومة ثم على المكان الذى يكون فيه الديوان

كتبت الدواوين فى مدة عمر بالرومية والفارسية فكانت الاولى بالشام والثانية بالعراق واستمر ذلك الى عهد عبد الملك ابن مروان فنقل عبد الملك ديوان الشام الى العربية وفعل مثله عامله على العراق الحجاج بن يوسف

ثم أمر عمر رضى الله عنه بأن يحصى الناس لتضبط أعطياتهم وأمر أن تبدأ أسماؤهم باسم العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ومن يليه من ذوى القربى ثم بأهل السابقة والذين حضروا الفتوح على درجاتهم التى قررها لهم ثم بالفقراء والمساكين والنساء والاطفال

وقال قائل اذ ذاك لعمر بن الخطاب لو تركت فى بيوت الاموال عدة لكون ان كان

فقال عمر كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانى الله شرها ، وهى فتنة لمن بعدى بل أعد لهم ما أمرنا الله ورسوله : طاعة الله ورسوله ، فهما عدتنا التى بها أفضينا الى ما ترون فاذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم

ومما يعزى لعمر ترتيب الجنود على الثغور والقلاع فانه لما أتى الشام رتب الشواتى والصوائف . أى الجنود التى تغزو فى الصيف والجنود التى تغزو فى الشتاء وسد فروج الشام ومسالحها

وكانت العرب تتعامل بالنقود الفارسية والرومية واستمر ذلك فى الاسلام الى عهد عمر فلما كانت سنة (١٨) أمر عمر بضرب الدراهم على نقش النقود الكسروية وشكلها غير انه زاد فى بعضها الحمد لله وفى بعضها محمد رسول الله . ولم تضرب الدنانير الا فى عهد عبد الملك بن مروان

وأمر عمر ببناء البصرة سنة (١٥) وكان البناء أولا بالقصب فاحترقت فبنيت باللبن (اى بالطوب)

ثم أمر ببناء الكوفة سنة (١٧) وكانت مبنية بالقصب أيضا ثم بنيت باللبن

(أخلاق عمر وصفاته)

كان عمر بالمكان الاعلى من العدل والرحمة بالرعية وحسن السياسة والدؤوب على النظر فى مصلحة الناس فكان لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار لا ليلا ولا نهاراً حتى يعلم دخائل الامور وتصرفات عماله فى الجهات فكان يزور أهل الذمة ويسألهم عن حقيقة أحوالهم ولا يطمئن حتى يسأل كبار الصحابة عن دخيلة أمورهم كى لا يشكوا ظلما ولا حيفا . كل ذلك طاعة لله ورسوله

وكان عمر يساوى بين الناس فى المعاملة حتى كان لا يفرق بين عبد وحر ولا بين قوى وضعيف . روى الاسود بن يزيد قال . كان الوفد اذا قدموا على عمر سألهم عن أميرهم فيقولون خيراً . فيقول هل يعود مرضاكم؟ فيقولون نعم . فيقول كيف صنيعه بالضعيف؟ وهل يجلس على بابه ؟ فان قالوا لا عزله

وبلغه مرة ان حرقوصا عامله على الاهواز نزل جبل الاهواز والناس يختلفون اليه ، والجبل كؤدد يشق على من رامه فكتب اليه ما صورته :

أما بعد ، بلغنى انك نزلت منزلا كؤردا لا تؤتى فيه الا على مشقة فأسهل ولا تشق على مسلم ولا على معاهد وقم فى أمرك على رجل تدرك الآخرة وتصف لك الدنيا ، ولا تدركنك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك ، وتذهب آخرتك

وكتب عمر الى أبى موسى الاشعرى :

« انه لم يزل للناس وجوه يرفعون

حوائجهم فأكرم من قبلك من وجوه الناس، وبحسب الضعيف من العدل أن ينصف في الحكم وفي القسم »

وخطب عمر بن الخطاب فقال:

« يا أيها الناس اني والله ما أرسل عمالا اليكم ليضربوا ابشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكني أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ويقضوا بينكم بالحق، ويحكموا بينكم بالعدل، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الي فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه »

فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين أرأيت ان كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته انك لتقصنه منه؟

فقال عمر إي والذي نفس عمر بيده اني لأقصنه منه. وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه. ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم

كان عمر يكره التنطع في الدين أي التعمق فيه. روى أنه كان جماعة من الصحابة انقطعوا للعبادة فخشي عمر أن يقلدهم الناس فتبطل الحركة الاجتماعية ويختل النظام العمراني فجعل ينهى الناس عن التنطع ويحذرهم الابتداع

نظر عمر يوما الى شاب قد نكس رأسه. فقال له ياهذا ارفع رأسك فان الخشوع لا يزيد على ما في القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما في قلبه فانما أظهر للناس نفاقا على نفاقه

وأخبر عمر برجل يصوم الدهر فجعل يضربه بمخفقته ويقول: كل يادهر، كل يادهر

واستعمل عمر بن الخطاب رجلا من بني أسد على عمل فجاء يأخذ عهده فأتى عمر ببعض ولده فقبله فقال الاسدي أتقبل يا أمير المؤمنين؟ والله ما قبلت ولداً قط. قال عمر فأنت والله بالناس أقل رحمة، هات عهدنا لا تعمل لي عملا أبدا

عن الحسن قال: حضر باب عمر سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وابو سفيان بن حرب في نفر من قريش من تلك الرؤوس. وصهيب وبلال من تلك الموالي الذين شهدوا بدراً فخرج اذن عمر

فأذن لهم (اى للموالى) وترك اولئك

فقال ابو سفيان لم ار كاليوم قط ، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت الينا ؟

فقال سهيل بن عمرو وكان رجلا عاقلا ايها القوم انى والله أرى الذى فى وجوهكم . ان كنتم غضابا فاغضبوا على انفسكم ، دُعى القوم ودُعيتم ، فأسرعوا وابطأتم فكيف بكم اذا دعوا على انفسكم يوم القيامة وتركتم ؟

وكانت هذه سيرة عمر مع قريش الذين تأخر اسلامهم عن عام فتح مكة . روى ابو حاطب عن أبيه قال قدمنا مكة فأقبل أهل مكة يسعون وقالوا لعمر يأمير المؤمنين ابو سفيان حبس مسيل الماء علينا ليهدم منازلنا ، فأقبل عمر وبيده الدرة (وهى السوط يضرب به) فاذا أبو سفيان قد نصب أحجاراً فقال ارفع هذا ، فرفعه، ثم قال وهذا وهذا، حتى رفع احجارا كثيرة خمسة أوستة ثم استقبل عمر الكعبة فقال : الحمد لله الذى جعل عمر يأمر أبا سفيان ببطن مكة فيطيعه

روى أن عمر قال لرجل : من سيد قومك ؟ فقال أنا . فقال عمر كذبت لو كنت كذلك لم تقله

من اخبار تواضعه ماروواه ابن ابى سليمان عن ابيه قال قدمت المدينة فدخلت داراً من دورها فاذا عمر بن الخطاب عليه ازار قطرى يدهن ابل الصدقة بالقطران

وقال كعب الاحبار : نزلت على رجل يقال له مالك وكان جاراً لعمر بن الخطاب فقلت له كيف بالدخول على امير المؤمنين فقال ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلى الصلاة ثم يقعد فيكلم الناس

وعن الحسن قال : كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام فى شىء . فقال له الرجل اتق الله . فقال رجل من القوم أتقول لامير المؤمنين اتق الله ؟ فقال له عمر دعه فليقلها لى . نعم ماقال ، لاخير فيكم اذا لم تقولوها ولا خير فينا اذا لم نقبلها

وروى أن عمر لما قدم الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره وخلع نعليه فأمسكها بيده فخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له قائده ابو عبيدة : قد صنعت صنيعا عظيما عند اهل الارض . فصك عمر فى صدره وقال أواه لو غيرك يقولها ياأبا عبيدة! انكم كنتم اذل الناس واحقر الناس واقل الناس فاعزكم الله بالاسلام

فهما تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله

وروى الفضل بن عميرة ان الاحنف ابن قيس قدم على عمر بن الخطاب فى وفد من العراق قدموا عليه فى يوم صائف شديد الحر وهو محتجز بعباءة (اى ملتف بها) يهنأ بعيراً من ابل الصدقة. فقال يا أحنف دع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فانه من ابل الصدقة فيه حق اليتيم والارملة والمسكين. فقال رجل يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة يكفيك هذا؟ فقال عمر: يا ابن فلانة واى عبد هو أعبد منى ومن الاحنف هذا، انه من ولى أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الامانة فى المداراة

وقد كان يقوم بنفسه فيشارف الاسواق ويراقب المكاييل والموازين ويأمر باماطة الاذى عن الطريق

قال المسيب بن دارم رأيت عمر بن الخطاب يضرب جمالا ويقول حملت جملك ما لا يطيق

وعن أبى ساعدة الهذلى قال: رأيت عمر بن الخطاب يضرب التجار بدرة اذا اجتمعوا على الطعام بالسوق حتى يخلوا سكك أسلم ويقول لا تقطعوا علينا سابلتنا

وكان عمر يتولى القضاء بنفسه وينيب عنه غيره؛ وكتب يوما الى قاضيه شريح المشهور:

« اما بعد فاذا جاءك شىء فى كتاب الله فاقض به ولا يلفتنك عنه الرجال. فان جاءك أمر ليس فى كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر اى الامرين شئت: ان شئت أن تجتهد رأيك وتقدم فتقدم وان شئت أن تتأخر فتأخر ولا أرى التأخير الا خيرا لك

وكتب الى أبى موسى الاشعرى وكان احد ولاته:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد. فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم أُدْلِ اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا يخاف ضعيف من جورك؛ والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر؛ والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا او أحل حراما ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك ان ترجع عنه، فان الحق قديم

ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم عند ما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله عليه وسلم . اعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك . ثم اعمد الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعي حقا غائبا او بينة امدا ينتهي اليه فان أحضر بينة أخذت له بحقه . والا وجهت عليه القضاء . فان ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى ، وأبلغ للعذر

« المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً في حد ، أو مجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا في ولاء او قرابة ، فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات . ثم اياك القلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله والسلام »

(نبذ من اخباره)

روى الاحنف بن قيس قال وفدنا على عمر بفتح عظيم فقال أين نزلتم ؟ فقلت في مكان كذا . فقام معنا حتى انتهينا الى مناخ رواحلنا فجعل يتخللها ببصره ويقول : ألا اتقيتم الله في ركابكم هذه ؟ أما علمتم ان لها عليكم حقا ؟ ألا خليتم عنها فأكلت من نبت الارض . »

فقلنا يا أمير المؤمنين انا قدمنا بفتح عظيم فأحببنا التسرع الى أمير المؤمنين بما يسره

وعن الليث عن عبد الله بن صالح قال أتى عمر بن الخطاب بفتى أمرد وجد قتيلا ملقى على وجهه في الطريق فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر . فشق ذلك عليه حتى اذا كان رأس الحول أو قريبا من ذلك وجد صبي مولود ملقى موضع القتيل فأتى به عمر ، فقال ظفرت بدم القتيل ان شاء الله . فدفع الصبي الى امرأة وقال لها قومي بشأنه وخذي منا نفقته وانظري من يأخذه منك ، فاذا وجدت امرأة تقبله وتضمه الى صدرها فأعلميني بمكانها

فلما شب الصبي جاءت جارية وقالت للمرأة ان سيدتي بعثتني اليك أن تبعثي الصبي لتراه وترده اليك . قالت نعم اذهبي به اليها وأنا معك، فذهبت بالصبي والمرأة معها حتى دخلت على سيدتها . فلما رأته

اخذنه فقبلته وضمته اليها . فاذا هي بنت شيخ من الانصار من اصحاب رسول الله فأخبرت عمر خبر المرأة فاشتمل عمر على سيفه ثم اقبل الى منزلها فوجد اباها متكئا على باب داره

فقال له أمير المؤمنين : يااباً فلان مافعلت ابنتك فلانة ؟ قال ياأمير المؤمنين جزاها الله خيراً هي من اعرف الناس بحق الله تعالى وحق ابيها مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها

فقال عمر قد احببت ان ادخل اليها فأزيدها رغبة في الخير واحثها على ذلك فقال الصحابي جزاك الله خيرا ياأمير المؤمنين امكث مكانك حتى ارجع اليك

فاستأذن لعمر فلما دخل عمر امر كل من كان عندها فخرج عنها وبقيت هي وعمر في البيت ليس معهما احد فكشف عمر عن السيف وقال لتصدقيني . وكان عمر لايكذب . فقالت على رسلك ياأمير المؤمنين فوالله لأصدقن. ان عجوزاً كانت تدخل على فاتخذتها أما وكانت تقوم في امري بما تقوم به الوالدة . وكنت لها بمنزلة البنت فامضيت بذلك حينا ثم انها قالت لي يابنية انه قد عرض لى سفر ولى بنت اتخوف عليها من أن تضيع وقد احببت ان اضمها اليك حتى ارجع من سفرى . فعمدت الى ابن لها شاب امرد فهيأته كهيئة الجارية واتتني به لا اشك انه جارية ، فكان يرى مني ما ترى الجارية من الجارية حتى اغتفلني يوما وأنا نائمة فما شعرت حتى علاني وخالطني فمددت يدي الى شفرة كانت الى جنبي فقتلته ثم أمرت به فألقى حيث رأيت فاشتملت منه على هذا الصبى فلما وضعته القيته في موضع ابيه . فهذا والله خبرها على ما اعلمتك

فقال عمر صدقت بارك الله فيك . ثم اوصاها ووعظها ودعا لها وخرج ، قال لأبيها بارك الله في ابنتك ، فنعم الابنة ابنتك ، وقد وعظتها وامرتها . فقال الشيخ وصلك الله ياأمير المؤمنين وجزاك خيراً عن رعيتك

قال المغيرة بن شعبة وكان احد دهاة الصحابة وقد ذكر عمر : كان والله له فضل يمنعه أن يخدع ، وعقل يمنعه ان ينخدع

﴿ من خطب عمر بن الخطاب ﴾

لما ولى عمر الخلافة صعد المنبر وقال: « ماكان الله ليراني ان أرى نفسي

اهلا لمجلس ابى بكر . فنزل مرقاة ثم اندفع يخطب فقال بعد أن حمد الله واثنى عليه :

« اقرأوا القرآن تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الاكبر يوم تعرضون على الله لاتخفى منكم خافية . انه لم يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله ألا وانى انزلت نفسى من مال الله بمنزلة ولى اليتيم ان استغنيت عففت ، وان افتقرت أكلت بالمعروف »

وعن سعيد بن المسيب قال . لما ولى عمر بن الخطاب خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« أيها الناس انى قد علمت انكم كنتم تؤانسون منى شدة وغلظة وذلك انى كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت عبده وخادمه وجلوازه (شرطيه) وكان كما قال الله تعالى بالمؤمنين رؤفا رحيما ، وكنت بين يديه كالسيف المسلول الا أن يغمدنى أو ينهانى عن أمر فأكف عنه . والا أقدمت على الناس لمكان أمره . فلم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى توفاه وهو عنى راض والحمد لله على ذلك كثيرا وانا به اسعد

« ثم قمت ذلك المقام مع ابى بكر الصديق خليفة رسول الله بعد رسول الله وكان من قد علمتم فى رغبه ولينه ، فكنت خادمه وجلوازه وكنت كالسيف المسلول بين يديه على الناس اخلط شدتى بلينه الى أن يتقدم الى فأكف والا اقدمت . فلم أزل حتى توفاه الله فكان عنى راضيا والحمد لله على ذلك وانا به اسعد

« ثم صار أمركم اليوم الى وانا اعلم انه يقول قائل كان يشتد علينا والامر الى غيره ، فكيف لما صار الامر اليه ؟ فاعلموا انكم لاتسألون عنى أحداً . قد عرفتمونى وخبرتمونى وقد عرفت بحمد الله من محمد نبيكم صلى الله عليه وسلم ماقد عرفت ، وما اصبحت نادما على شىء كنت احب ان اسأله الا وقد سألته ، واعلموا ان شدتى التى كنتم ترونها ازدادت أضعافا عن الاول على الظالم والمعتدى والاخذ للمسلمين لضعيفهم من قويهم وانى بعد شدتى تلك واضع خدى الى الارض لأهل العفاف وأهل الكفاف . ان كان بينى وبين من هو منكم شىء من احكامكم ان امشى معه الى من احبه منكم فينظر فيما بينى وبينه . فاتقوا الله عباد الله

وأعينوني على نفسي بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم »

وخطب يوماً فقال :

« أيها الناس ان بعض الطمع فقر وان بعض اليأس الغنى، انكم تجمعون مالا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجلون في دار غرور. كنتم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحي فمن أسر شيئا أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئا أخذ بعلانيته . فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر . فانه من أظهر لنا شيئا وزعم ان سريرته حسنة لم نصدقه ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا . واعلموا ان بعض الشح شعبة من النفاق « فأنفقوا خيراً لأنفسكم . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» . أيها الناس أطيبوا مثواكم وأصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القباطي فانه ان لم يشف فانه يصف (اي فانه ان لم يرق فيرى ما تحته فهو يصفه للناظر)

« أيها الناس اني لوددت ان أنجو كفافاً لا لي ولا علي واني لأرجو ان عمرت فيكم يسيراً أو كثيرا ان اعمل بالحق فيكم ان شاء الله ، وأن لا يبقى أحد من المسلمين وان كان في بيته الا أتاه حقه ونصيبه من مال الله ، ولا يعمل اليه نفسه ولم ينصب اليه يوما . وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله . ولقليل في رفق خير من كثير في عنف ، والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه ، واذا أراد أحدكم بعيرا فليعمد الى الطويل العظيم فليضربه بعصاه فان وجده حديد الفؤاد فليشتره »

(مقتل عمر رضي الله عنه)

كان للمغيرة بن شعبة مملوك أصله فارسي من نهاوند اسمه ابو لؤلؤة فشكا الى عمر ارتفاع الخراج الذي ضربه عليه مولاه وطلب اليه تخفيفه فسأله كم خراجك؟ فقال درهمان في كل يوم . فقال له عمر وما صناعتك ؟ قال نحاس نقاش حداد . قال عمر فما خراجك بكثير على ما تصنع من الاعمال

وقيل بل وعده عمر بأن يسأل المغيرة تخفيف خراجه ولكن أبا لؤلؤة أعد خنجرا له شعبتان وسمه وأتى به الهرمزان (وكان من قواد الفرس الذين غلبهم سعد بن أبي وقاص فأظهر الاسلام وخان المسلمين مرارا

ثم أظهر التوبة) وقال له كيف ترى هذا ؟ فقال له الهرمزان انك لا تضرب به أحدا الا قتلته . فتحين أبو لؤلؤة عمر حتى اذا كانت صلاة الغد قام وراءه وكان عمر اذا أقيمت الصلاة يقول أقيموا صفوفكم فقال كما كان يقول فلما كبر طعنه ابو لؤلؤة ست طعنات فسقط عمر وطعن ابو لؤلؤة بخنجره ثلاثة عشر رجلا ممن حاولوا القبض عليه فهلك منهم سبعة . فألقى عليه أحد المصلين برنسا ؛ فلما أحس بأنه هلك طعن نفسه فمات

فلما سقط عمر قال أفي الناس عبد الرحمن بن عوف ؟ قالوا نعم هو ذا . قال تقدم فصل بالناس . فصلى عبد الرحمن بالناس صلاة خفيفة وعمر طريح . ثم حمل الى داره

وقد رُجح ان قدام أبي لؤلؤة على طعن عمر كان نتيجة مؤامرة بينه وبين الهرمزان المتقدم ذكره وجفينة وكان نصرانيا من أهل الحيرة أتى به سعد بن أبي وقاص ليعلم الناس الكتابة والسبب في هذه المؤامرة ظاهر وهو ان عمر دوخ الفرس وثل عرشهم واجلى نصارى نجران عن بلادهم وفل جيوش قيصر وهو حامي النصرانية في عصره

لما طعن عمر دعا بطبيب ينظر في جرحه فجاءه طبيب من الانصار من بني معاوية فسقاه لبنا فخرج من الطعنة أبيض فقال له الطبيب يا أمير المؤمنين اعهد (أي أوص فانك ميت)

فقال عمر صدقني أخو بني معاوية ولو قلت غير ذلك لكذبتك . فبكى القوم عليه حين سمعوا ذلك . فقال لا تبكوا علينا من كان باكيا فليخرج . ألم تسمعوا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعذب الميت ببكاء اهله عليه »

وروى انه لما ضرب عمر اجتمع اليه البدريون والمهاجرون والانصار . فقال عمر لابن عباس اخرج اليهم فسلهم عن ملأ منكم ومشورة كان هذا الذي أصابني ؟ فسألهم فقال القوم لا والله ولوددنا أن زاد الله في عمرك من أعمارنا

وعن ابن عباس قال دخلت على عمر بن الخطاب في أيام طعنته وهو مضطجع على وسادة من أدم وعنده جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رجل ليس عليك بأس

قال عمر لأن لم يكن عليّ اليوم

ليكونن بعد اليوم وان للحياة نصيباً من القلب ، وان للموت لكربة ؛ وقد كنت احب ان انجو بنفسي وانجو منكم ، وما كنت من امركم الا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ويخشى ان يموت دونها فهو يركض بيديه ورجليه . واشد من الغريق الذي يرى الجنة والنار وهو مشغول . ولقد تركت زهرتكم كما هي مالبستها فأخلقتها وثمرتكم يانعة في اكامها ما اكلتها . وما جنيت ماجنيت الا لكم ، وما تركت ورائي درهما ماعدا ثلاثين او اربعين درهما ثم بكى وبكى الناس معه

قال ابن عباس فقلت ياأمير المومنين أبشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ، ومات ابو بكر وهو عنك راض ، وان المسلمين راضون عنك

فقال عمر : المغرور والله من غررتموه ، اما والله لو ان لي ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع

لما ثقل على عمر مرضه قال لابنه عبد الله ضع خدي على الارض فوضعه على الارض . فجعل يقول ويلي وويل امي ان لم يغفر لي ربي . ثم مات فصلى عليه في المسجد وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسله ابنه عبد الرحمن وصلى عليه صهيب وكان تقدم علي وعثمان للصلاة عليه . فقال ابنه عبد الرحمن لا اله الا الله ما أحرصكما على الأمرة اما علمتما ان امير المؤمنين قال ليصل بالناس صهيب ?

لما مات عمر ثار ابنه عبيد الله فقتل ابنة ابي لؤلؤة وجفينة النصراني المتقدم ذكره والهرمزان وذلك ظنا منه ان قتل والده كان عن تآمر بينهما وبين ابي لؤلؤة فقد شهد عبد الرحمن بن ابي بكر غداة قتل عمر فقال : رأيت عشية امس الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون فلما رأوني ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه وهو الخنجر الذي ضرب به عمر فقتلهم عبيد الله بن عمر وقال والله لأقتلن رجالا ممن شرك في دم ابي يعرض بالمهاجرين والانصار فبلغ ذلك صهيبا فبعث اليه عمرو بن العاص فمازال به حتى اخذ منه سيفه ، ثم قبض عليه سعد بن ابي وقاص وحبسه في داره

(تحوطه للخلافة قبل موته)

عن هشام بن عروة عن ابيه قال : لما طعن عمر بن الخطاب قيل له ياامير

المؤمنين لو استخلفت

قال عمر ان تركتكم فقد تركم من هو خير مني، وان استخلفت فقداستخلف عليكم من هو خير مني،ولو كان ابو عبيدة ابن الجراح حياً لاستخلفته . فان سألنى ربى قلت سمعت نبيك يقول انه امين هذه الامة . ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لاستخلفته . فان سألنى ربى قلت سمعت نبيك يقول ان سالما ليحب الله حبا لو لم يخفه ماعصاه

قيل ياأمير المؤمنين فلو انك عهدت الى عبد الله فانه له اهل فى دينه وفضله وقديم اسلامه

فقال عمر بحسب آل الخطاب ان يحلب منهم رجل واحد عن أمة محمد ولوددت انى نجوت من هذا الامر كفافا لا لى ولا علىّ

ثم راجعوه فقالوا ياأمير المؤمنين لو عهدت ؟ فقال قد كنت أجمعت بعد مقالتى لكم ان اولى رجلا امركم ارجو ان يحملكم على الحق (وأشار الى على بن أبى طالب) ثم رأيت ان لا أتحملها حيا وميتا . فعليكم بهؤلاء الرهط الذين قال بهم النبي صلى الله عليه وسلم انهم من اهل الجنة وذكر السبعة واستثنى سعيدبن زيد.وقال عن السنة فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوكم مولى فأحسنوا مؤازرته

ودعا بعلى وعثمان والزبير وسعد وعبد الرحمن وأمرهم ان يتشاوروا فى أمر الخلافة وقال لهم انتظروا أخاكم طلحة ثلاثة فان جاء والا فاقضوا أحدكم، وليشهدكم عبد الله بن عمرو ليس له من الامر شيء. قوموا فتشاوروا وليصل بالناس صهيب

ثم قال لأبى طلحه الانصارى :

ياأبا طلحة ان الله أعز بكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الانصار وكونوا مع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم

وقال للمقداد بن الاسود اذا وضعتمونى فى حفرتى اجمع هؤلاء الرهط وقم على رؤوسهم فان اجتمع خمسة على رأى واحد وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اجتمع اربعة ورضوا وابى الاثنان فاضرب رأسيهما . فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر ، فان لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عرف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما عليه الناس

﴿ وصيته لمن يخلفه ﴾

عن عبد الله بن عمر : دفع الىَّ عمر كتابا فقال اذا اجتمع الناس على رجل فادفع اليه هذا الكتاب واقرأه منى السلام فاذا فيه :

« أوصى الخليفة من بعدي بتقوى الله ، وأوصيه بالمهاجرين الاولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ان يعرف حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالانصار خيراً (الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) الى قوله تعالى: (المفلحون). أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم أن يشركوا فى الامر. وأوصيه بذمة الله وذمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يوفى بعهدهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم وأن يقاتل من ورائهم (أى يحميهم)

﴿ صفة عمر وسيماه ﴾

كان عمر أصلع طويل القامة اذا مشى بين الناس خيل لمن يراه انه على دابة وكان أمهر شديد السمرة وكان يصبغ لحيته بالصفرة . وكان يعمل بكلتا يديه على السواء . وروى بعض أهل العلم انه كان أبيض امهق وهو قول ضعيف

***

ان من يمعن النظر فى صفات أمير المؤمنين عمر يدرك حكمة الله فى ادخاره لخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد توفرت فيه من الخلال الجليلة والخصال النبيلة ما لا يتوفر الالمن يُعدهم لاحداث الامور الجليلة فى السنين القليلة ، ومن يبعثهم لرفع شأن الامم وبسط سلطانها على الشعوب ، فقد حاط المسلمين بعدله ، ودوخ لهم الممالك بيأسه ، وبسط من سلطانهم بيمن نقيبته ، ما لا يتفق مثله لغير الافراد الممتازين الذين يسلطهم الله لاحداث الامور الجسام فى العالم ومن يتأمل فى انه فى مدى حكمه فتح للمسلمين الشام ومصر وبلاد الفرس والعراق وأيد سلطان أمته فى هذه الممالك جميعها فهدأت ثائرتها واستنامت لحكم الاسلام بعد أن كانت مضطربة الحبل ، مسلوبة الامن ، يدرك ان عمر كان قد جمع الى مواهبه الحربية صفات الملك السياسى المجرب، والسلطان الادارى الحازم، ولو كان خلفه من سار على منهاجه ولم تحدث احداث الدار والجمل وصفين والنهروان فى خلافتى عثمان وعلى

عليهما السلام ، لبلغت فتوحات الاسلام أسوار الصين شرقا وحدود المحيط الاطلانيقي غربا فى سنين معدودة ؛ ولما آل الامر الى انتقال الخلافة الى معاوية ويزيد ومروان بن الحكم ، ولحفظ الاسلام ديباجته الناصعة . ولكن أراد الله أمراً فتم وختم تاريخ جلال الخلافة النبوية بموت هذا الرجل العظيم ، فانفتح على المسلمين باب الشر ؛ لا لعدم كفاية عثمان وعلى ولكن لأن الاحوال التى أحاطت بهما كانت تقضى أن يضطرب حبل الامور ، وتثور سواكن الفتن على ما قدمناه فى تاريخهما ولله الامر من قبل ومن بعد

توفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة (٢٣) هـ

﴿ ابن عمر ﴾ اقرأ ترجمته فى حرف العين فى كلمة عبد الله

﴿ عمر بن عبد العزيز ﴾ بن مروان ابن الحكم من خلفاء بنى أمية

ولد بحلوان مصر سنة (٦٠) أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . روى العلم عن أنس وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب ويوسف بن عبد الله بن سلام وسعيد ابن المسيب وعروة بن الزبير والربيع بن سبرة وغيرهم

كان أبيض الوجه وسيمه، حسن الهيئة حسن اللحية غائر العينين، بجبهته أثر حافر دابة ، قد وخطه الشيب

قيل ان أباه لما ضربه الفرس وأدماه جعل يمسح الدم ويقول ان كنت أشج بنى مروان انك لسعيد وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: الناقص والأشج أعدلا بنى أمية . قال المؤرخون الناقص هو هشام بن عبد الملك لانه نقص من اعطيات جيوشه فلقب بالناقص

بعثه أبوه من مصر الى المدينة ليتأدب بأدب أهلها فكان يختلف الى عبد الله ابن عبيد الله يسمع منه ، ولما مات أبوه عبد العزيز طلبه عمه عبد الملك الى دمشق وزوجه بابنته فاطمة . وكان قبل ذلك يبالغ فى التنعم ويفرط فى الاختيال فى المشية

قال أنس بن مالك ما صليت خلف امام أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى عمر بن عبد العزيز

وقال زيد بن أسلم كان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود

سئل محمد بن على بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز فقال هو نجيب بنى

أمية وانه يبعث يوم القيامة أمة وحده

وقال عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة

لما طلب للخلافة كان بالمسجد فسلموا عليه بالخلافة فعقر فلم يستطع النهوض حتى خذوا بضبعيه فأصعدوه المنبر، فجلس طويلا لا يتكلم. فلما رآهم جالسين قال ألا تقومون فتبايعوا أمير المؤمنين فنهضوا اليه فبايعوه رجلا رجلا

وقد عمل له ابن الجوزى سيرة مجلدا ضخما وهو الذى أمر بجميع أحاديث رسول الله وتدوينها كما جمع أبو بكر الصديق القرآن وعدل بين الناس عدلا لم يره الناس الا من جده عمر بن الخطاب فرتع الناس فى بحبوحة الامن والخصب وتمنوا لو خلد فى الخلافة ولكن بنى أمية تألبوا عليه ودسوا اليه السم فمات مسموما وسبب كراهتهم له انه ضيق الخناق عليهم ولم يتركهم يستغلون ضعف الضعفاء نقصا لغلتهم فتوفى بدير سمعان سنة (١٠١)

هو الذى بنى الجحفة واشترى ملطية من الرومان بمائة الف أسير وبناها

وفى عمر بن عبد العزيز يقول الشريف الرضى وهو زعيم أولاد على بن أبى طالب فى القرن الخامس:

يا ابن عبد العزيز لو بكت العيـ
ـن فتى من أمية لبكيتك
أنت نزهتنا عن السب والقذ
ف فلو أمكن الجزاء جزيتك
ولو انى رأيت قبرك لاستحـ
ـييت أن أرى وما حييتك
دير سمعان فيك مأوى ابن حفص
فبودى لو اننى آويتك
وعجيب انى قليت بنى مر
وان طرا وانني ما قليتك
فقد ثما العدل منك لما نأى الجو
ر بهم فجتويتهم واجتبيتك
فلو انى ملكت دفعا لنا نا
بك من طارق الردى لافتديتك

﴿عمر بن ربيعة﴾ هو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ويكنى أبا الخطاب، أبو جهل بن هشام بن المغيرة عم أبيه، وأم عمر بن الخطاب بنت عم أبيه وكانت أمة نصرانية

كان عمر بن أبى ربيعة يتعرض للنساء الحواج ويشبب بهن فنفاه عمر بن عبد العزيز الى الدهلك من بلاد الفرس ثم انه

غزا فى البحر فاحترقت السفينة التى كان بها فمات هو ومن كان معه

حج عبد الملك بن مروان فلقيه عمر ابن أبى ربيعة فقال له عبد الملك يافاسق. فقال له عمر بئست تحية ابن العم على طول الشحط. فقال له عبد الملك. يافاسق أما ان قريشا تعلم انك أطولها صبوة، وأبطأها توبة، القائل:

ولولا أن تعنفنى قريش
مقال الناصح الادنى الشفيق
لقلت اذا التقينا قبلينى
ولو كنا على ظهر الطريق

شبب عمر ببنت عبد الملك بن مروان ولها يقول:

افعلى بالاسير احدى ثلاث
وافهميهن ثم ردى جوابى
اقتليه قتلا سريعا مريحا
لاتكونى عليه سوط عذاب
او اقيدى فانما النفس بالنفـ
ـس قضاء مفصل فى كتاب
اوصليه وصلا تقر به العيـ
ـن وشر الوصال وصل الكذاب

فاعطت الذى جاءها بالابيات لكل بيت عشرة دنانير

والتقى عمر بن أبى ربيعة وجميل فتناشدا فأنشده الاول:

فلما تلاقينا عرفت الذى بها
كمثل الذى بى حذوك النعل بالنعل
فقالت وأرخت جانب الستر انما
معى فتكلم غير ذى رقبة أهلى
فقلت لها مابى لهم من ترقب
ولكن سرى ليس يحمله مثلى

فصاح جميل وقال هذا والله الذى أرادته الشعراء فأخطأته، وتعللت بوصف الديار

اشتهر عمر بن أبى ربيعة بحب امرأة يقال لها الثريا فتزوج بها رجل يقال له سهيل بن عبد الرحمن بن عوف، فقال عمر بن أبى ربيعة.

أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يجتمعان
هى شامية اذا ما استقلت
وسهيل اذا ما استقل يمانى

ووجه جمال هذه الابيات ورقتها ان سهيل والثريا اسمان من أسماء النجوم

كان عمر بن أبى ربيعة جيد الالفاظ رقيق المعانى حسن السبك • تاب بعد الاربعين و تنسك وحسن حاله. توفى سنة

(٩٣) ه

عمرو بن العاص هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ابن غالب القرشي وامه النابغة بنت حرمل من بنى عنزة

كان عمرو فى الجاهلية جزاراً وكان يختلف الى الشام ومصر بالتجارة . وكان ذا مكانة عالية فى قريش لشهرته بالدهاء والكيد حتى قيل ان دهاة العرب فى الاسلام عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وقيس ابن سعد بن عبادة

أسلم عمرو قبل الفتح بستة اشهر . وسبب اسلامه انه كان ذهب الى النجاشى ليكيد لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا اليه . فقال له النجاشى ياعمرو تكلمنى فى رجل يأتيه الناموس كما كان يأتى موسى بن عمران ؟ وكان النجاشى قد اسلم. قال عمرو وكذلك هو أيها الملك ؟ قال نعم . قال فأنا أبايعك له . فبايعه له على الاسلام . ثم قدم مكة فلقى خالد بن الوليد فقال : ما رأيك قد استقام الميسم والرجل نبى . قال خالد وانا اريده . قال عمرو وانا معك . فقال عثمان بن طلحة وانا معك فقدموا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا . فكان اسلام عمرو بعد طول روية . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » وقال : « ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام »

صحب عمرو رسول الله صحبة حسنة مخلصة وكان محبباً اليه حتى لقد روى عنه انه قال : ماعدل بى رسول الله وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه فى حربه منذ أسلمت

وقد بعثه رسول الله على جيش فيه أبو بكر وعمر فى غزوة ذات السلاسل . وأرسله والياً على الصدقة الى عمان وأمره أن يدعوا اهلها الى الاسلام فلبوا دعوته

كان عمرو بن العاص محباً للامارة حريصاً عليها وكان يصحب هذه النزعة فيه همة عالية وحنكة عظيمة ومهارة فى قيادة الجيوش تصغر بجانبها كل مهارة

وهو الذى اطمع عمر فى فتح مصر فقدم عليها بأربعة آلاف جندى وهو عدد نزر لايقدم به الا كل مقدام لايقيم للحياة وزنا ثم أمده عمر بثمانية آلاف فتم له فتح مصر وطرابلس

وقد أتينا فى تاريخ امير المؤمنين عمر

ابن الخطاب على كيفية فتح عمرو بن العاص لمصر بايجاز و نقول هنا انه دخل مصر من الفرماء فقابله بها الرومان ووقفوه عن التقدم شهراً كاملا ثم اعانه قبطها فتم له الفتح ثم تقدم حتى اتى بلبيس فحاصرها وكان بها ارمانوسة ابنة المقوقس وكانت نزلت بها اثناء سفرها الى خطيبها ابن قيصر الرومان فأرجعها اليه معززة مكرمة فسر المقوقس بقدوم ابنته وعد عمل عمرو من الاعمال الجليلة

ثم سار عمرو من بلبيس الى بابل وكانت قرب الكنيسة المعلقة بمصر القديمة ويقابلها على ضفة النيل الغربية مدينة منف عاصمة البلاد يومئذ وبها كان المقوقس مع الحامية وكان المقوقس هذا بطريركاً للاقباط ووالياً من قبل الامبراطور الرومانى على مصر . فنازل عمرو بن العاص بابل وقاتل من فيه قتالا شديداً . ثم استمد عمر بن الخطاب فأمده بأربعة آلاف معهم الزبير بن العوام وكان من كبار رجال الحرب فلما علم عمرو بقدومه سر سروراً عظيما . فقال الزبير بعد ان طاف بالحصن وعرف مناعته انى اهب نفسى لله ارجو ان يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلما على جانب الحصن ثم صعد وامرهم اذا سمعوا تكبيره ان يجيبوه جميعاً . فما شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر فصعد الناس على اثره فارتبك الرومان وهربوا بعد هرج ومرج وفتح المسلمون باب الحصن ودخلوه وهرب جنود الرومان الى جزيرة الروضة على سفن أعدوها لذلك

فلما رأى المقوقس شدة حول المسلمين عزم على مصالحتهم فأرسل اليهم رسلا يدعوهم لارسال سفراء من قبلهم للمداولة معهم فى امر حاسم . فحبس عمرو رسل المقوقس يومين ليروا احوال المسلمين. ثم اطلقهم فسألهم المقوقس عما رأوا فقالوا :

رأينا قوما الموت احب اليهم من الحياة ، والتواضع احب الى احدهم من الرفعة ، ليس لاحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، انما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، واميرهم كواحد منهم . ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد ، يغسلون اطرافهم ويخشعون فى صلاتهم

فقال المقوقس لقومه : لو ان هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، ومايقوى على

قتال هولاء أحد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم اذا أمكنتهم الارض ، وقووا على الخروج من موضعهم ثم أرسل الى عمرو أن يقابله بنفسه ليقرر أمر الصلح معاً . فقابله واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر من القبط ديناراً عن كل نفس ، ليس على الشيخ الفاني ولا على من لم يبلغ الحلم ولا النساء شيء وعلى ان للمسلمين عليهم منزلا لجماعتهم حيث نزلوا . ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم ، وان لهم أرضهم وأموالهم لا يتعرض لهم في شيء منها

ثم أحصوا القبط الذين تجب عليهم الجزية فبلغوا ستة ملايين فكانت جزيتهم يومئذ اثني عشر مليونا من الدنانير

ثم ان المقوقس كتب الى امبراطور الرومان بمائم فأرسل اليه بوبخه وأمر قواده بالبلاد أن يقاتلوا العرب ، فقاتلهم عمرو حتى الجأهم الى الاسكندرية ثم حاصرهم هناك ست أشهر ثم أخذها منهم عنوة . وقيل بل حاصرها أكثر من ستة أشهر

ان المتأمل في خبر هذا الفتح يدهش من تمكن عمرو بن العاص من فتح قطر عظيم كمصر باثني عشر الف جندي ولكن من يتأمل في ان القبط كانوا من أعوانه في فتحها وهم أهل البلاد يبطل دهشه . ولا شك ان القبط لم يقدموا على هذا الامر الا لما علموا من عدل المسلمين وحسن سيرتهم مع محكوميهم بخلاف الرومانيين في ذلك العهد اذ كانوا يذبحونهم ذبح الاغنام ، ويضطهدونهم اضطهاداً لم يسمع بمثله

بعد ان أتم عمرو فتح البلاد أمر ببناء مدينة مكان فسطاطه بقرب بابل التي قاتل الرومان فيها ، فاختط مهندسوه لكل قبيلة خطة . وبنى عمرو مسجده المعروف بجامع عمرو وجعلوا مساحته ٥٠ ذراعا طولا في ٥٠ عرضا . ثم زاده مسلمة ابن مخلد في زمن معاوية وطلاه بالنورة وزخرف سقفه وبنى فيه أربع منائر للاذان وفرشه بالحصر وكان مفروشاً بالحصباء ثم هدمه عبد العزيز بن مروان سنة (٧٩) وهو أمير مصر من قبل أخيه عبد الملك وزاد فيه

ولما أصاب أهل الحجاز مجاعة شديدة عام الرمادة كتب عمر الى عمرو هذا

الكتاب وهو :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصى بن العاص سلام اما بعد فلعمرى يا عمرو ما تبالى اذا شبعت أنت ومن معك من أهلك ان أهلك انا ومن معى فياغوثاه ثم ياغوثاه

فكتب اليه عمرو :

من عبد الله عمرو بن العاص الى امير المؤمنين اما بعد بالبيك ثم بالبيك قد بعثت اليك بعير اولها عندك وآخرها عندى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعث اليه بقافلة من طعام فلما قدمت على عمر اعطى كل بيت جملا بما حمل

ولما توفى عمر وتولى عثمان عزله عن مصر وكان يستشيره فى اموره ولكن كان عمرو شديد التأليب على عثمان والتحريض عليه . فلما اشتدت الفتنة هاجر الى بيته بفلسطين . فبينما هو بقصره ومعه ابناه عبد الله ومحمد وعندهم سلامة بن روح الخزاعى اذ مر بهم راكب من المدينة فسألوه عن عثمان، فقال محصور . فقال عمرو . انا ابو عبد الله ، العير يضرط والمكواة فى النار

ثم مر بهم راكب آخر فسألوه . فقال: قتل عثمان. فقال عمرو انا ابو عبد الله، اذا نكأت قرحة أدميتها

فقال سلامة بن روح يامعشر قريش انما كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه

فقال عمرو نعم أردنا أن نخرج الحق من خاصرة الباطل، ليكون الناس فى الامر شرعا سواء

ثم لما ولى علىّ عليه السلام وخرج عليه معاوية كتب هذا الاخير الى عمرو ابن العاص هذا الكتاب وهو :

« أما بعد فقد كان من أمر على وطلحة والزبير ماقد بلغك وقد سقط الينا مروان بن الحكم فى نفر من أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبد الله فى بيعة علىّ وقد حبست نفسى عليك، فاقبل أذاكرك أموراً لا نعدم صلاح مغبتها ان شاء الله »

فوافى معاوية . فقال له ماحكمك ياعمرو ؟ (أى بماذا تحكم لنفسك من الاجر على مساعدتى)

فقال عمرو : مصر طعمة (اى استولى عليها وعلى خراجها طول حياتى)

فتلكأ معاوية وقال له : أبا عبد الله أما تعلم ان مصر مثل العراق

قال عمرو : بلى ولكنها انما تكون لى اذا كانت لك ؛ وانما كانت لك اذا

غلبت عليا على العراق

ثم افترقا فلما حضر عتبة بن أبي سفيان قال لمعاوية : أما ترضى أن تشرى عمرا بمصر ان هي صفت لك ؟

فرضي معاوية أن يعطي عمرا مصر على أن يأخذ لنفسه خراجها ما بقي . فلما استقر الحال لمعاوية أراد أن يرجع فيما أعطاه لعمرو ، فأصلح بينهما معاوية بن خديج على أن لعمرو ولاية مصر سبع سنين ثم مضى عمرو لمصر ولم يمكث بها الا سنتين أو ثلاثة ثم مات

فتم الامر لمعاوية بدهاء عمرو بن العاص وتدبيره

من حكم عمرو بن العاص قوله لابنه يوماً :

« يابني امام عادل ، خير من مطر وابل، واسد خطوم ، خير من امام ظلوم ، وامام ظلوم خير من فتنة تدوم . يابني مزاحمة الاحمق خير من مصافحته . يابني زلة الرجل عُظيم يجبر ، وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر . يابني استراح من لا عقل له »

وقال معاوية لعمرو بن العاص يوما : من أبلغ الناس ؟ قال من كان رأيه رداً لهواه . قال فمن أسخى الناس ؟ قال من بذل دنياه في اصلاح دينه . قال فمن أشجع الناس قال من رد جهله بحلمه

وقال عمرو بن العاص : ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر . ولكنه الذي يعرف خير الشرين

عن قبيصة قال : صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلا أقرأ لكتاب الله ، ولا أفقه في دين الله ، ولا أحسن مداراة منه ،

وصحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلا أعطى للجزيل من غير مسألة منه ،

وصحبت معاوية بن أبي سفيان فما رأيت رجلا أثقل حلما منه ،

وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أبين طرفا ، ولا أكرم جليسا ، ولا أشبه سريرة بعلانية منه ،

وصحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية ابواب لا يخرج من باب منها الا بالمكر لخرج من أبوابها كلها

من أخباره في التقوى انه وقع بينه وبين المغيرة بن شعبة نزاع فسبه المغيرة . فقال عمرو بن العاص يال هصيص يسبني المغيرة . فقال له ابنه عبد الله . انا لله وانا اليه راجعون ، أدعوة القبائل وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ؟ فأعتق عمرو بن

العاص ثلاثين رقبة كفارة عن كلمته تلك

وروى عن ربيعة بن ربيعة بن لقيط قال سمعت عمرو بن العاص وهو يصلي بالليل وهو يبكي ويقول: اللهم آتيت عمراً مالا فان كان أحب اليك أن تسلب عمراً ماله ولا تعذبه بالنار فاسلبه ماله. وانك آتيت عمر أولاداً فان كان أحب اليك ان تثكل عمراً ولده ولا تعذبه بالنار فأثكله ولده؛ وانك آتيت عمراً سلطاناً فان كان أحب اليك أن تنزع عنه سلطانه ولا تعذبه بالنار فانزع منه سلطانه

ولما حضرته الوفاة قال: اللهم انك أمرت بأمور، ونهيت عن أمور تركنا كثيرا مما امرت؛ ووقعنا في كثير مما نهيت؛ اللهم لا اله الا أنت ثم أخذ بابهام ابنه عبد الله فلم يزل يهلل حتى مات

وكانت وفاته سنة (٤٣) وهو متجاوز الثمانين ودفن في المقطم

﴿ أبو عمرو بن العلاء ﴾ بن عمار بن العريان التميمي المازني البصري

كان أعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر

قال الأصمعي قال أبو عمرو بن العلاء لقد علمت من النحو ما لم يعلمه الاعمش ومالو كتب لما استطاع ان يحمله

وقال ايضا سألت ابا عمرو عن الف مسئلة فأجابني فيها بألف حجة

وكان أبو عمرو رأسا في حياة الحسن البصري مقدما في عصره

وقال أبو عبيدة كان أبو عمرو اعلم الناس بالادب والعربية والقرآن والشعر وكانت كتبه التي كتبت عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف ثم انه تقرأ اى تنسك فأخرجها كلها فلما رجع الى علمه الاول لم يكن عنده الا ما حفظه بقلبه. وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية

قال الاصمعي: جلست الى عمرو ابن العلاء عشر حجج فلم أسمعه يحتج ببيت اسلامي. قال وفي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق:

مازلت أغلق أبوابا وأفتحها
حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

حكى عمرو بن العلاء قال طلب الحجاج بن يوسف الثقفي أبي فخرج منه هاربا الى اليمن فانا لنسير بصحراء باليمن اذ لحقنا لاحق ينشد:

ربما تكره النفوس من الام
ر له فرجة كحل العقال

قال فقال ابى ما الخبر ؟ قال مات الحجاج . قال ابو عمرو فانا بقوله فرجة أشد سروراً مني بموت الحجاج .قال فقال ابى اصرف ركابنا الى البصرة

قال ابو عبيدة قلت لابى عمرو وكم سنك يومئذ ؟ قال كنت قد خنفت بضعاً وعشرين سنه

قال له ابن مناذر يوما حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم ؟ قال ما دامت الحياة يحسن به

وقال ابو عمرو حدثنا قتادة السدوسي قال لما كتب المصحف عرض على عثمان ابن عفان رضى الله عنه فقال ان فيه لحناً ولتقيمنه العرب بألسنتها

كان ابو عمرو اذا دخل شهر رمضان لم ينشد بيت شعر حتى ينقضي . وكان له في كل يوم فلسان يشتري بأحدهما كوزاً جديدا يشرب فيه يومه ثم يتركه لأهله ويشتري بالآخر ريحانا فيشمه يومه فاذا امسى قال لجاريته جففيه ودقيه في الاشنان

روى يونس بن حبيب النحوي قال سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول ما زدت في شعر العرب قط الا بيتاً واحداً وهو:

وانكرتني وما كان الذي نكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا

وهذا البيت يوجد في جملة أبيات للأعشى

وقال ابو عبيدة دخل ابو عمرو بن العلاء على سليمان بن علي وهو عم السفاح فسأله عن شيء فصدقه ، فلم يعجبه ما قاله فوجد ابو عمرو في نفسه وخرج وهو يقول

أنفت من الذل عند الملوك
وان اكرموني وان قربوا
اذا ما صدقتهم خفتهم
ويرضون مني بأن يكذبوا

ولد سنة عمرو سنة (٧٠) وقيل (٦٨) وقيل (٦٥) بمكة وتوفي سنة (١٤٠) وقيل (١٤٩) وقيل (١٥٠) وقيل (١٥٦) بالكوفة . وقد خرج الى الشام يجتدي عبد الوهاب بن ابراهيم الامام والى دمشق فلما عاد الى الكوفة توفي بها

وذكر بعض الرواة انه رأى قبر ابي عمرو بالكوفة مكتوبا عليه (هذا قبر أبي عمرو بن العلاء)

لما حضرت ابا عمرو الوفاة كان يغشى عليه ويفيق ، فأفاق من غشية له فاذا ابنه يبكي . فقال له ما يبكيك وقد أتت على أربع وثمانون سنة ؟

ورثاه عبد الملك بن المقفع بقوله

رزئنا أبا عمرو ولاحي مثله
فلله ريب الحادثات بمن وقع
فان تك قد فارقتنا وتركتنا
ذوي خلة ما في انسداد لها طمع
فقد جر نفعا فقدنا لك اننا
أمنا على كل الرزايا من الجزع

عمرو بن قيس من علماء الحديث العباد توفي سنة مائة وبضع واربعين سنة

عمرو بن دينار هو أبو محمد الاثرم الجمحي وهو من ثقات العلماء توفي سنة (١٢٦)

علم العمران انظر علم الاجتماع البشري في مادة (جمع)

عمشت عينه تعمش عمشاً ضعف بصرها فهو أعمش. و (تعامش عن الشيء) تغافل عنه

الأعمش هو سليمان بن مهران الاسدي الكوفي كان من علماء القرن الثاني توفي سنة ١٤٧ وقيل أكثر

عمق الطريق والمكان يعمق وعمق يعمق عمقا بعد وطال وانبسط (عمقت البئر) بعد قعرها و(أعمق البئر وعمقها) جعلها عميقة. و (تعمق في كلامه) تنطع. و(العمق والعمق والعمق) قعر البئر

عمل الرجل يعمل عملا صنع و (عامله) سامه بعمل. و(أعمله) جعله عاملا. و (تعمل) تكلف العمل و (اعتمل الرجل) عمل عملا متعلقا بنفسه. و (استعمله) جعله عاملا وسأله أن يعمل. (العمالة) ما يتولاه العامل اي الوالي من البلاد و (عامل الرمح) ما يلي السنان منه و (العمالة والعمالة) اجر العامل. و (رجل عمل) مطبوع على العمل. و (العملة) أجر العمل. و (المعاملات) الاحكام الشرعية المتعلقة بالحياة الدنيا. و (اليعملة) الناقة النجيبة المطبوعة على العمل جمعها يعملات ويعامل. (العمل في الاقتصاد السياسي) انظر اشتراكية

العاملي هو محمد بهاء الدين بن الحسين العاملي وهو مؤلف كتاب الكشكول في الادب وله كتاب المخلاة وكتاب «العروة الوثقى» في التفسير. وله «الزبدة» في الاصول. وله «خلاصة الحساب والهندسة» و «تشريح الافلاك» في علم الفلك

ولد ببعلبك سنة ٩٤٣ ثم ساح حتى

وصل الى اصفهان فوصل خبره الى السلطان شاه عباس الاول . فولاه مشيخة العلماء ثم جاء مصر فالقدس فحلب . ثم رجع الى اصفهان وتوفى سنه ١٠٣١ هـ

﴿ العالقة ﴾ والعاليق هم بنو عمليق أو عملاق من فلسطين تفرقوا فى البلاد « انظر عرب »

﴿ عمّ ﴾ الشيء يعمّ عموماً شمل الجماعة فهو عام . و (عمّ الشيءَ) ضد خصصه . و (عمم فلاناً) البسه العامة و (أعم الرجل) كرم أعمامه و (تعمم) لبس العمامة ومثله اعتمّ و (العامّة) نقيض الخاصة. و (العِمّة) هيئة الاعتمام يقال (هو حسن العمة) و (العمومة) مصدر كالأبوة يقال بينهما عمومة . و (رجل مُعِمّ) اى كثير الاعمام

﴿ عَمَه ﴾ الرجل عَمِه وعَمِه يعمَه عمَهاً ضل وتحير فهو عمِه و (العَمَه) ضد البصيرة

﴿ عمِى ﴾ يعمَى عَمًى ذهب بصره . و (عمِى عليه الأمرُ) التبس واشتبه . و (أعماه) جعله اعمى . و (تعامى) أظهر العمى و (العَماء) السحاب المرتفع وقيل اسود. وقيل الابيض و (العَمِيّ)

الاعمى جمعه عَمُون. و (المَعْماة) المجهل من الارض جمعها مَعامِى . و (المُعَمَّى) من القول ماعمى معناه

﴿ ابن الاعمى ﴾ هو على بن محمد المبارك كمال الدين بن الأعمى الشاعر كان من شعراء الدولة الناصرية كان مقرئاً بالتربة الاشرفية وكان والده الشيخ ظهير الدين الاعمى خطيب القدس

من شعره قوله :

أنا فى حالة النوى والتدانى
لست أثنى عن الغرام عنانى
لا يروم السلو قلبى ولا ينـ
ـثر عن ذكر من أحب لسانى
وسواء اذا المودة واست
نظرى بالعيان او بالجنان
فاقتراب الديار لفظ وقرب الـ
ـود معنى فاسلك سبيل المعانى
لست ممن يرضى بطيف خيال
قانعاً فى هواهم بامهران
ان طيف الخيال دل على ان
الكرى قد يلم بالأجفان
غير انى نشتاق عينى الى من
حل من مهجتى أعز مكان

وبروحى ظبى تغار غصـون الـ
بان منه وتخجل النيران
ذو قوام يغنيه عن حمله الرمـ
ح وجفن وسنانه كالسنان
كتب الحسن فوق خديه بين الـ
مـاء والنـار فيهما جنتـان
حرس الورد منهما نرجس اللحـ
ـظ فلم يجنه بالريحان

وقال يذم دار سكناه وفيه غلو كبير أتى به توسعاً فى التخيل :

دار سكنت بها اقل صفاتهـا
ان تكثر الحشرات فى جنباتها
الخير عنها نـازح متبـاعـد
والشر دان من جميـع جهاتها
من بعض مافيها البعوض عدمته
كم أعدم الاجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى
غنت لها رقصت على نغماتهـا
رقص بتنغيـص ولكن قافـه
قد قدمت فيه على اخواتهـا
وبها ذباب كالضباب يسد عيـ
ـن الشمس ما طربى سوى غناتها
اين الصوارم والقنا من فتكها
فينا واين الاسد من وثباتهـا
وبها من الخطاف ماهو معجز
أبصارنا عن حصر كيفياتهـا
تغشى العيون بمرها ومجيئهـا
وتصم سمع الخلد من أصواتها
وبها خنافيش تطـير نهارها
مع ليلها ليست على عاداتهـا
شبهتها بقنافذ مطبوخـة
تدع الطهاة تضج من شوكاتها
شوكاتها فاقت على سمر القنـا
فاعجب لشدة فتكها وثباتهـا
وبها من الجرذان ماقد قصرت
عنه العتاق الجرد فى حملاتهـا
فترى ابا مروان منهـا هاربا
وابا الحصين يروغ عن طرقاتها
وبها خنافس كالطنافس افرشت
فى أرضها وعلت على جنباتها
لو شم اهل الحرب منتن فسوها
اردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان واشكال لهـا
مما يفوت العين كنة ذواتهـا
متزاحم متراكم متحارب
متراكب فى الارض مثل نباتها
وبها قراد لا اندمال لجرحها
لايفعل المشراط مثل اداتها

ابدا تمص دماءنا فكأنها
حجامة لبدت على كاساتها
وبها من النمل السليمانى ما
قد قل ذر الشمس عن ذراتها
لايدخلون مساكناً بل يحطمو
ن جلودنا فالعقر من سطواتها
ماراعنى شىء سوى وزغاتها
فنعوذ بالرحمن من نزغاتها
سجعت على اوكارها فظننتها
ورق الحمام سجعن فى شجراتها
ولها زنابير تظن عقاربا
لابرء للمسموم من لدغاتها
وبها عقارب كالاقارب رتع
فينا حمانا الله لدغ حماتها
فكأنها حيطانها كغرائب
اطلعن ارؤسهن من طاقاتها
كيف السبيل الى النجاة ولانجا
ة ولا حياة لمن رأى حياتها
السم فى نفثاتها والمكر فى
فلتاتها والموت فى لفتاتها
مدموجة بالعنكبوت سماؤها
والضيف لاينفك من صفقاتها
فضجيجها كالرعد فى جنباتها
وترابها كالرمل فى خشناتها

والبوم عاكفة على أرجائها
والدود يبحث فى ثرى عرصاتها
والنار جزء من تلهب حرها
وجهنم تعزى الى نفحاتها
قد رممت من قبل آدم بلتقى
مع امنا حواء فى عرفاتها
شاهدت مكتوبا على ارجائها
ورأيت مسطورا على عتباتها
لاتقربوا منها وخافوها ولا
تلقوا بأيديكم الى هلكاتها
ابداً يقول الداخلون ببابها
يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا ندب الغراب منازلا
بتفرق السكان من ساحاتها
وبدارنا الفا غراب ناعق
كذب الرواة فأين صدق رواتها
صبراً لعل الله يعقب راحة
للنفس ان غلبت على شهواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها
فيها وتندب باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين من
شوق الصباح تسح من عبراتها
واقول يارب السموات العلى
يارازقا للوحش فى فلواتها

اسكنتنى بجهنم الدنيا ففى
اخراى هب لى الخلد فى جنانها
واجمع بمن اهواه شملى عاجلا
ياجامع الارواح بعد شتاتها
وله هجو فى حمام ضيق شديد الحر
ليس فيه ماء بارد :
ان حمامنا الذى نحن فيه
قد أناخ العذاب فيه وخيم
مظلم الارض والسما والنواحى
كل عيب من غيبه يتعلم
حرج بابه كطاقة سجن
شهد الله من يجز فيه يندم
وله مالك غدا خازن النا
ر ان بل مالك أرق وأرحم
كلما قلت قد أطلت عذابى
قال لى اخسأ فيه ولا تتكلم
قلت لما رأيته يتلظى
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
واهدى اليه صاحب صحن حلاوة
ولم تكن جيدة فكتب اليه :
ان فى صحنك المسمى حلاوة
رقة تورث القلوب قساوة
كم حفرنا فلم نجد غير ارض الصـ
حن يبسا كمثل ارض السماوة
لست ادرى من سكر كان ام من
عسل حين لم تشبه نداوة
غير انى رأيت صحناً صغيراً
ماعليه من النعيم طلاوة
شبهته العيون حين أتانا
وجه مولود قد علته غشاوة
لا تكن تحسب الصداقة هذا
ليس هذا صداقة بل عداوة
توفى سنة (٦٩٢) ﻫ

﴿العَمَيْثَل﴾ البطىء والنشيط والاسد . والضخم . والسيد الكريم

﴿ابو العميثل﴾ هو عبد الله بن خليد مولى جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان من كبار الشعراء المكثرين من اللغة أصله فارسى من الرى وكان يفخم الكلام ويعربه تولى الكتابة لطاهر بن الحسين اكبر قواد المأمون ثم لابنه عبد الله بن طاهر ، فمن شعره يمدح عبد الله المذكور :

يامن يحاول ان تكون صفاته
كصفات عبد الله أنصت واسمع
فلأنصحنك فى المشورة والذى
حج الحجيج اليه فاسمع أودع

أصدق وعف وبر وارفق واتئد
واحزم وجد وحام واحمل وادفع
فلقد نصحتك ان قبلت نصيحتي
وهديت للنهج الاسد المهيع

ويقال انه وصل يوماً الى باب عبد الله بن طاهر فرام الدخول اليه فحجب فقال:
سأترك هذا الباب مادام أذنه
على ماأرى حتى يخف قليلا
اذا لم أجد يوما الى الاذن سلما
وجدت الى ترك اللقاء سبيلا

فبلغ ذلك عبد الله فأنكره وأمر بدخوله

وكان يقول للنعمان اسم من اسماء الدم ولذلك قيل شقائق النعمان نسبت الى الدم لحمرتها. قيل وقولهم انها منسوبة الى النعمان بن المنذر ليس بشيء وحدثت الاصمعي بهذا فنقله عني

ولكن الذي ذكره جمهور اللغويين عن شقائق النعمان ان النعمان بن المنذر وهو آخر ملوك الحيرة من اللخميين خرج الى ظاهر الكوفة وقد اعتم نبته ما بين أصفر وأحمر واخضر واذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير فقال ما احسنها احموها فحموها فسموها شقائق النعمان بذلك

ويحكى ان ابا تمام الطائي لما أنشد عبد الله بن طاهر قصيدته البائية المذكورة في ترجمته كان أبو العميثل حاضرا فقال يا ابا تمام لم تقول مالا يفهم؟ فقال يا ابا العميثل لم لا تفهم ما يقال؟

صنف أبو العميثل كتبا مفيدة منها كتاب «ما اتفق لفظه واختلف معناه» وكتاب «المتشابه» وكتاب «الابيات السائرة» وكتاب «معاني الشعر»

توفي سنه «٢٤٠» هـ

﴿ عن ﴾ حرف جر ومن معانيها المجاوزة نحو بعدت عن البيت. وقد تأتي مرادفة لمن نحو قوله تعالى. «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده» اي من عباده. وقد تأتي للتعليل نحو. «أكرمه عن قصد» اي لقصد وتأتي بدل الباء نحو قوله تعالى: «وما ينطق عن الهوى»

﴿ العنب ﴾ ثمر مشهور اصله من آسيا وهو يهوى الاقاليم المعتدلة واحسن الاراضي التي توافقه المختلفة الطبيعة التي تكون محتوية على قليل من الحصى لانه يعين على الحرارة وعلى تهوية الارض وهو يتكاثر بالعقل والبزور والترقيد والتطعيم

وهو يغرس فى أوائل الصيف

وقيمته تختلف كثيرا بحسب الكبر والاستطالة وغلظ الثمر وعدم البزور وكثرة الشحم واللون والحلاوة الى انواع كثيرة واجوده الكبار الرقيق القشر القليل البزور

يقول عنه اطباء العرب انه اجود الفواكه غذاء يسمن ويصلح هزال الكلى ويصفى الدم ويعدل الامزجة الغليظة وينفع من السوداء والاحتراق وقشره يولد الاخلاط الغليظة وكذا بزره

قالوا وشرب الماء عليه يولد الاستسقاء وحمى العفن . ولا ينبغي ان يؤكل فوق الطعام

ويقول عنه اطباء العرب كما نقله الدكتور (نارودنسكى) فى كتابه (العلاج النباتى) : انه مرطب منظف للقناة الهضمية يعطى فى الامراض الالتهابية وسدد الكبد والطحال والامراض المعدية والعصبية والتهاب الامعاء والامساك . العنب معدود من الفواكه النافعة لادواء الصدر فيعمل من عصيره مشروب ذو تأثير كبير ضد السعال وآفات الرئة

ثم قال : وشاى اوراق العنب فيه خاصية ادرار البول والقبض ولذلك يوصف فى احوال الدسنطاريا والاسهال وانحباس البول والنقطة واليرقان

ويوصف العنب علاجا شافيا للرمل والنقطة وامراض الكلى والامساك

ثم قال ويجب غسل العنب بماء غزير قبل اكله

(علاج الضعف بالعنب)

عرفت للعنب خاصة التقوية منذ القدم ولكن تقرير العلاج به على قواعد مخصوصة لازالة بعض الاعراض المرضية لم يحدث الا من لدن القرن الغابر

وقد عنى كثير من العلماء بدرس نتائجه على المرضى حتى حدا حب البحث بعضا منهم الى تجربة ذلك فى انفسهم فانقطعوا لتناوله دون سواه عدة اسابيع على الاسلوب الذى سنبينه فقرروا النتائج الآتية وهى :

ان الانقطاع الى تناول العنب على الطريقة المقررة لذلك يزيد فى ادرار البول ويقلل من حموضته ومن المقدار المطلق والنسبى لحمض البوليك وهو كما لا يخفى من أعدى المتخلفات الغذائية على الصحة

وهو يفعل فى الامعاء فعلا ملينا ويقلل الاختمارات فيها ويزيد فى خاصة الجسم

لاختزان المواد الدهنيـة وتنبيه وظائف الكبد فيزيد فى ادرار الصفراء وهى خاصة تعتبر غاية فى القيمة وعليها تتوقف فائدته فى معظم الاحوال

أما خاصة التقوية فيه فما لا سبيـل لانـكاره والعلة فى ذلك انه باختزانه المواد الازوتيـة والدهنية فى الجسم يعينـه على مقاومة الضعف ويزيد فى قوة مقاومتـه للامراض والانحلال. فاذا تعاطاه المسلول أو المصاب بسرعة الانحـلال فى أنسجة الجسم حفظ لها قوة المقاومة وقواها على تحمل فعـل الأمراض بها وكان بذلك عوناً عظيما على الشفاء مما ألم بها

وله خاصية أخرى لا تقل فى الخطورة والقيمة عن ما تقدم وهى وقايته لأنسجة الجسم من الاحتراق بفعل الحياة. والعلة فى ذلك احتواؤه على مواد ايدروكربونية كثيرة قابلة للاحتراق فمتى دخل الجسم وامتص احترقت المواد المذكورة وكفت الجسم مؤنة ايجاد الحرارة الغريزية باحتراق أنسجته الذاتية

الخلاصة ان التداوى بالعنب يحسن وظائف الـكبد والامعاء والكليتين وهى من الاعضـاء الرئيسية وأكثرها قبولا للتخلف عن وظائفها . وهى اذا انحرفت عن سننها الطبيعى انحرفت لها الصحة العامة لا محالة

(ما هى طريقة التداوى بالعنب ؟)

طريقة ذلك أن يقصد المصاب حديقة يكثر فيها العنب الجيد فيهب من نومه مبكراً وينزل الى الحديقة فيتناول بيده ما يستطيع تناوله بلا افراط ولا تفريط ويتمتع بعد ذلك بمناظر الاشجار والازهار ويعرض جسمه للهواء الطلق ثم يرتاح فاذا جاع عاد الى ما كان عليه آنفاً فيجمع العليل بذلك الرياضة الجسدية والعلاج بالعنب ولا يخفى ما للرياضة من التأثير على الصحة وقد يفيد هذا العلاج من لا يستطيع الذهاب الى الحدائق ولا تمكنه حالته من الوجود فيها

أما مقدار ما يؤخذ من العنب فلا يمكن تقديره لأنه يتعلق بحالة المريض وسنه وقد شوهد ان من المرضى من يتناول من اربعة أرطال الى ثمانية فى اليوم فلا يمر على المتعالجين بهذه الطريقة أسابيع حتى تعود اليهم قوتهم وحيويتهم فاذا حافظوا عليها بالتدبير الغذائى الحكيم أمنوا شر الوقوع فيما كانوا قد وقعوا فيه

﴿ عنب الثعلب ﴾ هو من الثمار الطبيـة منه بستانى يستنبت ومنـه برى ينبت بنفسه . من خواصه انه يفتح السدد ويمنع السيلان والبرقان والطحال وأمراض الـكلى والمثانة والالتهاب وضيق التنفس والربو والصلابات الباطنة شربا بالسكر

ويحتقن به فيمنع الجنون واذا استعمل من الخارج حلل الاورام حيث كانت بدهن الورد والاسفيداج والملح يقطع الحكة والجرب

وتبخر به النزلات ووجع الاسنان ووجع الحلق فيذهب بسرعة ويقطر فى الاذن فيذهب أمراضها الحارة

ومن مضاره انه يخدر ويخلط العقل ويصلحه القىء وأكل الربوب

﴿ عناب ﴾ هو شجر معروف يقارب الزيتون فى الارتفاع والتشعب لكنه شائك حدا وورقه مزغب من أحد وجهيه سبط

اجوده النضيج اللحيم الاحمر الحلو

(خواصه الطبية) ينفع من خشونة الحلق والصدر والسعال واللهيب والعطش وغلبة الدم وفساد مزاج الـكبد والكلى والمثانة وأورام السفل كلها والمقعدة وورقه يستر الذوق اذا مضغ فيعين على تعاطى الادوية البشعة وهو يحبس القىء

وان دق ونثر على القروح الساعية والحمرة والنملة والاوا كل بعد الطلى بالعسل أبرأها . وان طبخ حتى ينضج وشرب من مائه نصف رطل أبرأ من الحكة

﴿ العنبر ﴾ هو تجمد مرضى فى قوام الشمع يتكون فى أمعاء حيوان بحرى يسمى فشلوت مكروسيفال . توجد تلك المادة منه فى المعى الاعور غالبا فى وسط سائل أصفر نارنجى أو احمر مع بعض بقايا فكوك حيوانية بحرية صغيرة . وماذكر غير ذلك فباطل . غالبا يوجد العنبر سابحاً على وجه البحر قرب شواطىء الهند والصين واليابان وافريقا والبريزيل

وقت خروج هذه المادة من بطن الحيوان تكون رخوة ولونها ورائحها كالمادة الثفلية . والعنبر الذى يلتقط على شواطىء البحار قد يكون كبير الحجم حتى انه يلغ مائة رطل . لونها سنجابى مسود لـكنها معرقة ببياض مصفر . طعمها تفه دسم ورائحتها قوية

أما من جهة الوجهة الكيماوية فهو مركب من ٨٥ من العنبرين و ٥ و ٢ من مادة بلسمية وفيه أيضاً مادة تذوب فى الما

ومخلوطة بالحمض الجاوي. فالعنبرين مادة دسمة بيضاء فاقدة الطعم والرائحة اذا كانت نقية ولا تذوب في الماء وتذوب في الاثير والكحول

(استعمال العنبر) ظل الاطباء مدة طويلة يعتبرونه مقويا للاعضاء ومثيرا للقوة التناسلية ومطيلا للحياة وكانوا يرون ان له فعلا خاصا على القلب والمجموع العصبي. فأما فعله على القلب فهو مذهب الاستاذ الرازي واما فعله على المخ والمجموع العصبي فحقق بتجريبات المتأخرين الذين عرفوا له فعلا شبيهاً بفعل المسك فتأثيره يظهر على الاكثر في الجهاز المخي الشوكي والجهاز الدوري . وقد تحقق بالمشاهدات ان جزءا صغيرا منه يواتر النبض ويزيد في قوته وقوة الوظائف المخية والعضلية ويحدث تفريجا . وهذه الصفات تستدعي دقة الطبيب الذي يأمر به فانها تشعر بتنبيه شديد لا يكون حميد العاقبة على متعاطيه

وقد استعمله الطبيب (كاوكيه) مع النجاح في مرض سوء الهضم العصبي والنزلات المزمنة

واستعمل كثيراً في الهيوخندا ريا والايبوتيميا اى انقطاع الحس والحركة وهو ايضا مضاد للعفونة . ولكن بطل استعمال العنبر الآن من الوجهة العلاجية لما تنشأ عنه من المضار على المخ والمجموع العصبي وقصر استعماله على التعطير

أما أطباء العرب فقد بالغوا في مدحه ووسعوا دائرة العلاج به حتى صار يستعمل لاكثر أعضاء البدن كالامراض الباردة والدماغ والاذن والانف وامراض الصدر كالسعال والربو وامراض القلب وقروح الرئة وضعف المعدة والكبد والاستسقاء واليرقان والطحال وأمراض الكلى والرياح الغليظة . وقالوا انه أجل المفردات فيا ذكر وشديد التفريح . وهو يقوى الحواس وينعش القوى ويعيد ما أذهبه الدواء والافراط في الشهوات

على هذه الاقوال أسس عطارو مصر معاجين ومربيات يبيعونها باسم مقويات وهي في الحقيقة سموم فتاكة فيندفع الى تعاطيها الذين فقدوا قواهم الحيوية بالافراطات في دور الشبيبة فتحدث لديهم تهيجات وقتية ثم تزول ويبقى أثرها السيء في مجموعهم العصبي وربما أدى بهم استعمال تلك المقويات الى أمراض خطيرة تودي بحياتهم في دقائق معدودة

فعلى الذين فقدوا قوامهم الحيوية ان لا يعرضوا حياتهم للخطر باستعمال هذا العلاج المهيج فان تهييجه وقتى لايلبث ان يزول ويحل محله ضعف لابرء ، ، وليعلموا انماذهب به الافراط فى الشبيبه لا يعود فى الشيخوخة وان لكل طور من اطوار عمر الانسان حالا يخصه ويحسن فيه.وليس من العقل ولا الكمال ان يريد الانسان بأن يكون فى دور شيخوخته من الوجهة الشهوية كما كان فى دور شبيبته . فان حاول المدلسون ان يوهموه بذلك فليعارضه بالحس وليربأ بصحته من أن تلعب بها هذه النزغات السافلة والمقاصد الاثيمة

﴿ العنبر ﴾ هو نبات سوقه تعلو الى نصف متر وهو سنوى وازهاره زرقاء يتكاثر من بزوره فى فصل الربيع اوالخريف وهو كثير الوجود فى الحدائق

﴿ عَنِت ﴾ الشىء يعنَت فسد و (عَنِت فلان) دخل فى أمر شاق . و (عنّته وأعنته) شدد عليه و (العَنَت) الشدة والخطأ

﴿ عنترَ الرجلُ ﴾ شجع فى الحرب و (العَنْتر) الذباب واحدته عنترة

﴿ عنترة ﴾ هو عنترة بن شداد بن عمرو بن قراد يقال ان اباه ادعاه بعد الكبر وذلك انه كان لأمة سوداء اسمها زبيبة ، وكانت العرب فى الجاهلية اذا كان لأحدهم ولد من أمة استعبده ، وكان لعنترة اخوة من أمه عبيد . وكان سبب ادعاء أبى عنترة اياه ان بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بنى عبس فأصابوا منهم فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم وفيهم عنترة . فقال له أبوه كر. فقال العبد لا يحسن الكر ، وانما يحسن الحلاب والصر . فقال له ابوه كر وانت حر . فكر وقاتل قتالا حسناً واستنقذ مافى أيدى القوم من الغنيمة فادعاه ابوه بعد ذلك

وهو احد اغربة القوم وهم ثلاثة عنترة وامه سوداء ، وخفاف بن ندبة السلمى وابوه عمير وامه سوداء واليها ينسب ، والسليك بن سلكة السعدى

وكان عنترة من اشد اهل زمانه قوة واعرفهم بالحرب وفنونها وهو معدود احد الفرسان الذين ما بلغ مبلغهم فى الفروسية عربى وهم عامر بن الطفيل وعنترة المذكور هنا والسليك بن السلكة وعتيبة بن الحرث وعمرو بن معدى كرب الزبيدى

كان عنترة لايقول من الشعر الا البيتين والثلاثة حتى سابه رجل من قومه فذكر سواده وسواد امه وغير ذلك وانه لايقول الشعر . فقال له عنترة والله ان الناس ليترافدون الطعمة ، فما حضرت انت ولا ابوك ولاجدك مرفدالناس قط . وان الناس ليدعون فى الغارات فيعرفون بتسويمهم فما رأيتك فى خيل مغيرة فى اوائل الناس قط . وان اللبس ليكون بيننا فما حضرت انت ولا ابوك ولاجدك خطة فصل، وانما انت فقع بقرقر ، وانى لاحتضر البأس واوفى المغنم واعف عن المسألة واجود بما ملكت يدى ، وأفصل الخطة الصماء . واما الشعر فستعلم . فكان اول ما قال من القصائد (هل غادر الشعراء من متردم) ويروى مترنم وهو أجود شعره بل من أجود الشعر وكانت العرب تسمى تلك القصيدة التى عدت من المعلقات بالذهبية

مما سبق اليه عنترة ولم ينازع فيه قوله:

انى امرؤ من خير عبس منصبا
شطرى واحمي سائرى بالمنصل
واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت
الفيت خيرا من معم مخول

وقوله :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى
أصبحت عن عرض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنيـة منهـل
لابد ان اسقى بكأس المنهل
فاقنى حياءك لا اباك واعلمى
انى امرؤ سأموت ان لم اقتل
ان المنيـة لو تمثـل مثلت
مثلى اذا نزلوا بضنك المنزل
والخيل تعلم والفوارس اننى
فرقت جمعهم بطعنة فيصل

ومن غلوه فى مدح نفسه قوله :

وانا المنية فى المواطن كلها
والطعن منى سابق الآجال
انى لتعرف فى الحروب مواقفى
من آل عبس منصبى وفعالى
منهم ابى حقاًهم لى والد
والام من حام فهم اخوالى

وقد اشتهر عنترة بحب بنت عمه عبلة فشبب بها كثيرا وذكرها فى معلقته وقد وضع القصاصون فى ذلك قصة تقع فى نحو ثلاثين مجلداً ذكروا فيها جهاده للحصول عليها واكثر مافيها مبالغ فيه

اما معلقته فهي :

هل غادر الشعراء من متردم
امهل عرفت الدار بعد توهم (١)
يادار عبلة بالجواء تكلمى
وعمى صباحا دار عبلة واسلمى (٢)
دار لآنسة غضيض طرفها
طوع العناق لذيذة المتبسم (٣)
فوقفت فيها ناقتى وكأنها
فدن لاقضى حاجة المتلوم (٤)

(١) المتردم الموضع الذى يستصلح لما اعتراه من الوهن، والتردم مثل الترنم وهو ترجيع الصوت مع تحزين . يقول هل ترك الشعراء موضعاً الاوقد رقعوه واصلحوه اى لم يتركوا شيئاً يصاغ فيه شعر الاوقد صاغوه . او لم يتركوا شيئا الا رجعوا نغماتهم بانشاء الشعر فى وصفه (٢) الجو الوادى والجمع الجواء، وهو فى هذا البيت اسم موضع (٣) الآنسة المؤنسة . والغضيض اللين . ولذيذة المتبسم اى الفم (٤) الفدن القصر والجمع الأفدن . والمتلوم المتمكث يقول حبست ناقتى فى دار حبيبتى . شبه الناقة بقصر فى عظمها وضخمها . ثم قال وانما وقفتها فيها لأقضى حاجة المتمكث لجزعى من فراقها

وتحل عبلة بالجواء واهلنا
بالحزن فالصمان فالمتثلم (٥)
حييت من طلل تقادم عهده
اقوى واقفر بعد ام الهيثم (٦)
حلت بأرض الزائرين فأصبحت
عسرا على طلابك ابنة مخرم (٧)
علقتها عرضاً واقتل قومها
زعما لعمر أبيك ليس بمزعم (٨)

(٥) يقول وهى نازلة بهذا الموضع وأهلنا نازلون بتلك المواضع (٦) الاقواء والاقفار الخلاء جمع بينهما بضرب من التأكيد . وأم الهيثم كنية عبلة . يقول حييت من جملة الاطلال أى خصصت بالتحية من بينها ثم اخبر انه قدم عهده بأهله وقد خلا عن السكان بعد ارتحال حبيبته عنه (٧) الزائرون الاعداء جعلهم يزأرون كالاسود . يقول نزلت الحبيبة بأرض اعدائى فعسر علىّ طلابها . (٨) قوله علقتها عرضاً أى عشقتها فجأة بغير قصد . والزعم الطمع والمزعم المطمع . يقول عشقتها مفاجأة اى نظرت اليها نظرة اكسبتنى شغفا بها مع قتل قومها . ثم قال أطمع فى حبك طمعاً لا موضع له لانه لايمكننى الظفر بوصالك مع ما بين

ولقـد نزلت فلا تظنى غيره
منى بمنزلة المحب المـكرَم (٩)
كيف المزار وقد تربع أهلهـا
بعُنَـيزتين وأهلنا بالغيلم (١٠)
ان كنت أزمعت الفراق فانما
زمت ركابكم بليل مظلم (١١)
ماراعنى الا حمولة أهلها
وسط الديار تسف حب الخمخم (١٢)
الحبين من القتل (٩) يقول نزلت من قلبى منزلة المحب المكرم فتيقنى هذا

(١٠) يقول كيف يمكننى أن أزورها وقد أقام أهلها زمن الربيع بهذين الموضعين وأهلنا بذلك الموضع وبينهما بون

(١١) الازماع توطين النفس على الشيء والركاب الابل. يقول: ان وطنت نفسك على الفراق فانى شعرت به بزمكم ابلكم ليلا

(١٢) الحمولة الابل والخمخم نبت تعلفه الابل. يقول مايفزعنى الا استفاف ابلها حب الخمخم وسط الديار اى ما انذرنى بارتحالها الا انقضاء مدة الانتجاع والكلأ فاذا انقضت مدة الانتجاع علمت انها راحلة الى دار حيها

فيها اثنتان وأربعون حلوبة
سودا كخافية الغراب الاسحم (١٣)
اذ تستبيك بذى غروب واضح
عذب مقبلة لذيذ المطعم (١٤)
وكأن فارة تاجر بقسيمة
سبقت عوارضها اليك من الفم (١٥)
أو روضة انفا تضمن نبتها
غيث قليل الدمن ليس بمعلم (١٦)

(١٣) الحلوبة جمع الحلوب والأسحم الاسود. والخوافى من الجناح أربعة من ريشها. يقول فى حمولتها اثنتان وأربعون ناقة تحلب سوداء كخافية الغرب الاسود والسود أنفس الابل فوصف رهط محبوبته بالغنى

(١٤) الغروب جمع غرب وهو الحد. والوضوح البياض. والمقبل موضع التقبيل منه. أراد بالغروب الأشر التى تكون فى أسنان الشابات. يقول أنها تسبيك بذى أشر يستعذب تقبيله (١٥) سميت فارة المسك بذلك لان الطيب يفور منها. والقسامة الحسن. والعوارض من الاسنان معروفة يقول وكأن فارة مسك عطار بنكهة امرأة حسناء سبقت عوارضها اليك مافى فيها (١٦) الروضة الانف التى لم ترع

جادت عليه كل بكر حرة
فتركن كل قرارة كالدرهم (١٧)
سحا وتسكابا فكل عشية
يجرى عليها الماء لم يتصرم (١٨)
وخلا الذباب بها فليس ببارح
غردا كفعل الشارب المترنم (١٩)

والدِمْن والدِمَن جمع دمنة وهى السرجين يقول . وكأن فأرة تاجر أو روضة لم ترع بعد قد ذكا نبتها وسقاه مطر لم يكن معه سرجين وليست الروضة بمعلم تطأه الدواب والناس (١٧) والبكر من السحاب السابق مطره . والحرة الخالصة من البرد والريح . والحر من كل شىء خالصه . يقول مطرت على هذه الروضة كل سحابة سابقة المطر لا برد معها حتى تركت كل حفرة كالدرهم لاستدارتها

(١٨) السح الصب والانصباب . والتسكاب السكب . يقول أصابها المطر الجوْد صبا وسكبا فكل عشية يجرى عليها ماء السحاب ولم ينقطع عنها (١٩) يقول وخلت الذباب بهذه الروضة فلا تزايلها وتصوت تصويت شارب الخمر حين يرجع صوته بالغناء

هزجا يحك ذراعه بذراعه
قدح المكب على الزناد الاجذم (٢٠)
تمسى وتصبح فوق ظهر حشية
وأبيت فوق سراة أدهم ملجم (٢١)
وحشيتى سرج على عبل الشوى
نهد مراكله نبيل المحزم (٢٢)

(٢٠) هزجا اى مصوتا . والمكب المقبل على الشىء . والأجذم الناقص اليد . يقول ان صوت الذباب مثل قدح رجل ناقص اليد قد أقبل على قدح النار . شبه حكه احدى يديه بالاخرى بقدح رجل ناقص اليد النار من الزندين

(٢١) السراة على الظهر . يقول تصبح محبوبته وتمسى فوق فرس وطىء وأبيت أنا فوق ظهر فرس أدهم ملجم . يقول هى تتنعم وأنا أقاسى شدائد الاسفار والحروب

(٢٢) الحشية من الثياب ماحشى بقطن أو صوف أو غيرهما . والعبل الغليظ والشوى الاطراف والقوائم . والنهد الضخم . والمراكل جمع المركل وهو موضع الركل والركل الضرب بالرجل . والمحزم موضع الحزام . يقول وحشيتى سرج على فرس غليظ القوائم والاطراف ضخم الجنبين منتفخهما عظيم موضع الحزام

هل تبلغني دارها شدنية
لُعنت بمحروم الشراب مصرم (٢٣)
خطّارة غب السُّرى زيّافة
تطِس الاكام بوخدخف ميثم (٢٤)
فكأنما أقص الأكام عشية
بقريب بين المنسمين مصلم (٢٥)

يريد انه يتوطى غيره الحشية ويلازم هو ركوب الخيل لزوم غيره الجلوس على الحشية والاضطجاع عليها

(٢٣) شدن ارض أو قبيلة تنسب الابل اليها واراد بالشراب اللبن . والتصريم القطع يقول هل تبلغني دار الحبيبة ناقة شدنية لُعنت ودُعي عليها بأن تحرم اللبن ويقطع لبنها لبعد عهدها باللقاح وانما شرط هذا لتكون أقوى وأسمن

(٢٤) الزيف التبختر والوطس والوثم الكسر يقول هي رافعة ذنبها في سيرها مرحا ونشاطا بعد ما سارت الليل كله متبخترة تكسر الآكام بخفها الكثير الكسر للاشياء . والوخد السير السريع والميثم للمبالغة كأنه آلة للوثم (٢٥) المصلم من أوصاف الظليم لأنه لا اذن له ، والصلم الاستئصال . يقول كأنما تكسر الآكام لشدة وطئها عشية بعد سرى الليل وسير

تأوي له قُلص النعام كما أوت
حِزَق يمانية لاعجم طِمطِم (٢٦)
يتبعن قلة رأسه وكأنه
حَدَج على نعش لهن مخيم (٢٧)
صَعْل يعود بذي العُشيرة بيضه
كالعبد ذي الفرو الطويل الاصلم (٢٨)

النهار كظليم قرب ما بين منسميه ولا اذن له . (٢٦) القلوص من الابل بمنزلة الجارية من النساء ، والجمع قُلُص . والحزق الجماعات والطمطم الذي لا يفصح . يقول تأوي الى هذا الظليم صغار النعام كما تأوي الابل اليمانية الى راع أعجم عي لا يفصح شبه الظليم في سواده بهذا الراعي الحبشي وقلاص النعام بابل يمانية وشبه أويها اليه بأوي الابل الى راعيها (٢٧) قلة الرأس اعلاه . والحدج الهودج . والنعش الشيء المرفوع . والمخيم المجعول خيمة . يقول تتبع هذه النعام أعلى رأس هذا الظليم أي جعلته نصب أعينها . ثم شبه خلقه بمركب من مراكب النساء جعل كالخيمة على مكان مرتفع (٢٨) الصعل والاصعل الصغير الرأس ويعود اي يتعهد والاصلم الذي لا اذن له شبه الظليم بعبد لبس فروا طويلا ولا اذن له لأنه لا اذن للنعام

شربت بماء الدحرُضين فأصبحت
زوراء تنفر عن حياض الديلم (٢٩)
وكأنما تنـأى بجانب دفّهـا الـ
وحشيّ من هـزِج العشي مؤوم (٣٠)
هر جنيب كلما عطفت له
غضبى اتقاها باليدين وبالفم (٣١)

(٢٩) الزور الميل وزوراء أى مائلة. ومياه الديلم مياه معروفة . يقول: شربت هذه الناقة من مياه هذا الموضع فأصبحت مائلة نافرة عن مياه الاعداء

(٣٠) الدف الجنب . والجانب الوحشي اليمين وسمى وحشيا لأنه لا يركب من ذلك الجانب ولا ينزل منه . والهزج الصوت والصفة منه هزج . والمؤوم القبيح الرأس العظيمة . يقول: من هزج العشى اى من خوف هزج العشى فحذف المضاف . والباء فى قوله بجانب دفها للتعدية . يقول كأن هذه الناقة تبعد وتنحى الجانب الايمن منها من خوف هر عظيم الرأس قبيحه

(٣١) هر بدل من هزج العشى جنيب أى مجنوب اليها اى تقوده يقول تنتحى تتباعد من خوف سنور كلما انصرفت الناقة غضبى لتعقره قابلها الهر بالخدش بيده والعض بفمه. يقول كلما أمالت رأسها اليه زادها خدشا وعضا

بركت على جنب الرداع كأنما
بركت على قصب اجش مهضم (٣٢)
وكأن ربا أو كحيـلا معقدا
حش الوقودُ به جوانب قمقم (٣٣)
ينباع من ذِفرىٰ غضوب جَسرة
زيّـافة مثل الفنيق المكدّم (٣٤)

(٣٢) رداع اسم موضع . اجش له صوت . مهضم اى مكسر . يقول كأنما بركت هذه الناقة وقت بروكها على جنب الرداع على قصب مكسر له صوت. شبه أنينها من كلالها بصوت القصب المكسر عند بروكها عليه (٣٣) الربّ الطلا . والكحيل القطران . وعقدت الدواء غلته حتى خثر . وحش النار اوقدها . والوقود الحطب . شبه العرق السائل من رأسها وعنقها برب اوقطران جعل فى قمقم اوقدت عليه النار فهو يترشح به عند الغليان

(٣٤) ينباع أرادبها ينبع فأشبع الفتحة لاقامة الوزن فتولدت من أشباعهـا الف ومنهم من جعله ينفعل من البوع وهى طى المسافة . والذفرى ما خلف الاذن . والجسرة الناقة الموثوقة الخلق . والزيف التبختر . والفنيق الفحل من الابل. يقول ينبع هـذا العرق من خلف اذن ناقة

ان تغدفى دونى القناع فاننى
طب بأخذ الفارس المستلئم (٣٥)
أثنى على بما علمت فاننى
سمح مخالفتى اذا لم أظلم (٣٦)
فاذا ظلمت فان ظلمى باسل
مر مذاقته كطعم العلقم (٣٧)
غضوب مؤثقة الخلق شديدة التبختر في سيرها مثل فحل من الابل قد كدمته الفحول (٣٥) الاغداف الارخاء وطب اى حاذق عالم . واستلأم لبس اللأمة يقول مخاطبا محبوبته : إن ترخى وترسلى دونى القناع . اى تستترى عنى فانى حاذق بأخذ الفرسان الدارعين . اى لا ينبغى لك أن تزهدى فى مع نجدتى وشدة مراسى . وقيل معناه اذا لم أعجز عن صيد الفرسان الدارعين فكيف اعجز عن صيد امثالك

(٣٦) المخالفة مفاعلة من الخلف يقول اثنى على ايتها الحبيبة بما علمت من محامدى ومناقبى فانى سهل المخالطة والمخالفة اذا لم يهضم حقى ولم يبخس حظى

(٣٧) باسل كريه وشجاع يقول . واذا ظلمت وجدت كريها مرا كطعم العلقم اى من ظلمنى عاقبته عقابا بالغا

ولقد شربت من المدامة بعد ما
ركد الهواجر بالمشوف المعلم (٣٨)
بزجاجة صفراء ذات أسرة
قرنت بأزهر بالشمال مفدم (٣٩)
فاذا شربت فاننى مستهلك
مالى وعرضى وافر لم يكلم (٤٠)
بكرهه كما يكره طعم العلقم من ذاقه

(٣٨) الهواجر جمع الهاجرة وهى أشد الاوقات حرا . والمشوف المجلو . والمعلم أى الذى عليه علامة وأراد به الدينار يقول ولقد شربت من الخمر بعد اشتداد حر الهواجر بالدينار المجلو المنقوش والعرب تفتخر بالخمر والقمار لأنهما من دلائل الجود عندهم (٣٩) الاسرة الخطوط الموجودة بالجبهة . وبأزهر أى بابريق أزهر ومفدم اى مسدود الرأس بالفدام . يقول شربت الخمر بزجاجة صفراء عليها خطوط قرنتها بأبريق أبيض مسدود الرأس بالفدام لأصب الخمر من الابريق والزجاجة (٤٠) يقول . فاذا شربت فانى أهلك مالى بجودى ولا أشين عرضى فأكون تام العرض مهلكا للمال ولكن لا يكلم عرضى عيب عائب . يفتخر بأن سكره يحمله على محامد الاخلاق ويكنه

واذ صحوت فما اقصر عن ندى
وكما علمت شمائلي وتكرمي(٤١)
وحليل غانية تركت مجدلا
تمكو فريصته كشدق الأعلم(٤٢)
سبقت يداي له بعاجل طعنة
ورشاش نافذة كلون العندم(٤٣)

عن المثالب (٤١) يقول واذ صحوت من سكري لم اقصر عن جودي اي يفارقني السكر ولا يفارقني الجود. ثم قال واخلاقي وتكرمي كما علمت ايتها الحبيبة. افتخر بالجود ووفور العقل اذ لم ينقص السكر عقله (٤٢) الحليلة الزوجة. والغانية ذات الزوج من النساء لأنها غنيت بزوجها عن الرجال؛ وقيل بل الغانية البارعة الجمال المستغنية بجمالها عن التزين. وقيل الغانية المقيمة في بيت ابويها لم تتزوج من قولهم غني بالمكان اذا قام به. واشهر الاقوال الثاني. وجدّلته ألقيته على الجدالة وهي الارض. والمكاء الصفير. والعلم الشق في الشفة العليا يقول: ورب زوج امرأة بارعة الجمال قتلته وألقيته على الارض وكانت فريصته تصفر بانسكاب الدم منها كشدق الاعلم؛ شبه سعة الطعنة بسعة شدق الاعلم (٤٣) العندم دم الاخوين

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك
ان كنت جاهلة بما لم تعلمي(٤٤)
اذ لا أزال على حالة سابح
نهد تعاوره الكماة مكلم(٤٥)
طورا يجرد للطعان وتارة
يأوي الى حصد القسي عرمرم(٤٦)

يقول طعنته طعنة في عجلة ترش دما من نافذة يحكي لون العندم (٤٤) يقول: هل سألت الفرسان عن حالي في قتالي ان كنت جاهلة بها (٤٥) التعاور التداول يقال تعاوروه ضربا اذا جعلوا يضربونه على جهة التناوب. والكلم الجرح والتكليم التجريح. يقول هلا سألت الفرسان عن حالي اذا لم أزل على سرج فرس سابح تتناوب الابطال في جرحه. والنهد الضخم (٤٦) الطور التارة والمرة والجمع الاطوار يقول مرة اجرده من صف الاولياء لطعن الاعداء وأنضم مرة الى قوم محكمي القسي كثيرين. يقول أحمل على الاعداء فأحسن البلاء ومرة انضم الى قوم احكمت قسيهم وكثر عددهم؛ ارادانهم رماة مع كثرة عددهم، والعرمرم الكثير، وحصد الشيء استحكم

يخبرك من شهد الوقيعة انني
اغشى الوغى واعف عند المغنم (٤٧)
ومدجج كره الكماة نزاله
لا ممعن هربا ولا مستسلم (٤٨)
جادت له كفي بعاجل طعنة
بمثقف صدق الكعوب مقوم (٤٩)
رحيبة الفرعين يهدي جرسها
بالليل معتس الذئاب الضرم (٥٠)

(٤٧) الوقيعة اسم من أسماء الحرب كالوقعة ، والوغى من اصوات اهل الحرب ثم استعير للحرب ، والمغنم الغنيمة ، يقول ان سألت الفرسان عن حالي في الحرب يخبرك من حضر الحرب بأني كريم عالي الهمة آتي الحروب واعف عن اغتنام الاموال

(٤٨) المدجج التام السلاح والامعان الاسراع في الشيء والغلو فيه ، يقول ورب رجل تام السلاح كانت الابطال تكره نزاله وقتاله لفرط بأسه لا يسرع في الهرب اذا اشتد بأس عدوه ولا يستكين له اذا صدق مراسه (٤٩) يقول : جادت يدي له بطعنة عاجلة برمح مقوم صلب الكعوب . والصدق الصلب (٥٠) الرحيبة الواسعة والفرع ما بين كل عروتين من الدلو ومدفع

فشككت بالرمح الاصم ثيابه
ليس الكريم على القنا بمحرم (٥١)
فتركته جزر السباع ينشنه
يقضمن حسن بنانه والمعصم (٥٢)
ومشك سابغة هتكت فروجها
بالسيف عن حامي الحقيقة معلم (٥٣)

الماء الى الاودية . والجرس والجرس الصوت . يقول : حسن سيلان دم هذه الطعنة يدل السباع اذا سمعن خرير الدم منها فيأتينه ليأكلن منه ، والمعتس من الذئاب وغيرها المتفي الطالب . يقال يعتس اي يطلب فريسة . والضرم الجيع (٥١) الشك الانتظام يقول : فانتظمت برمحي الصلب ثيابه ثم قال ليس الكريم محرما على الرماح (٥٢) الجزر جمع جزرة وهي الشاة المعدة للذبح . والنوش التناول والقضم الاكل بمقدم الاسنان يقول : فصيرته طعمة للسباع كما يكون الجزر طعمة للناس ، ثم قال تتناوله السباع وتأكل بمقدم اسنانها بنانه الحسن ومعصمه خبل (٥٣) المشك الدرع التي قد شك بعضها الى بعض . والحقيقة ما يحق عليك حفظه والمعلم الذي اعلم نفسه اي شهرها بعلامة حتى يعرف . والمعلم الذي يشار اليه بأنه

رَبِذٍ يداه بالقـداح اذا شتا
هتاك غايات التجار ملوم (٥٤)
لما رآنى قـد نزلت اريده
ابدى نواجذه لغير تبسم (٥٥)
عهـدى به مد النهار كأنما
خضب البنان ورأسه بالعظلم (٥٦)

فارس الكتيبة . يقول: رب موضع انتظام درع واسعة شققت وسطها بالسيف عن رجل حام لما يجب عليه حفظه شاهر نفسه فى حومة الحرب (٥٤) الربذ السريع . شتا دخل فى الشتاء . والغاية راية ينصبها الخمار ليعرف مكانه وأراد بالتجار الخمارين والملوم الذى ليم مرة بعد أخرى . يقول : هتكت الدرع عن رجل سريع اليد خفيفها فى اجالة القداح فى الميسر فى البرد وعن رجل يهتك رايات الخمارين بشراء جميع ماعندهم ، ملوم على امعانه فى الجود

(٥٥) يقول: لما رآنى هـذا الرجل نزلت عن فرسى اريده كشر عن اسنانه غير متبسم لفرد كلوحه

(٥٦) مد النهار طوله، والعظلم نبت يختضب به. والعهد اللقاء يقول رأيته طول النهار وامتداده بعد قتلى اياه وجفاف الدم عليه كأن بنانه ورأسه مخضوبان بهذا النبت

فطعنته بالرمح ثم علوته
بمهند صافى الحديدة مخذم (٥٧)
بطل كأن ثيابه فى سرحة
يحذى نعال السبت ليس بتوأم (٥٨)
يا شاة ماقنص لمن حلت له
حرمت على وليتها لم تحرم (٥٩)
فبعثت جاريتى فقلت لها اذهبى
فتجسسى اخبارها لى واعلمى (٦٠)

(٥٧) المخذم السريع القطع . يقول طعنته برمحى حين ألقيته من ظهر فرسه ثم علوته بسيف مهند صافى الحديد سريع القطع

(٥٨) السرحة الشجرة العظيمة، يحذى اى يجعل حذاء له والحذاء النعل . يقول: وهو بطل مديد القد كأن ثيابه ألبست شجرة عظيمة من طول قامته ، واستواء خلقه تجعل جلود البقر المدبوغة بالقرظ نعالا له اى تستوعب رجلاه السبت ولم تحمل امه معه غيره . والسبت الجلد المدبوغ

(٥٩) ماصلة زائدة والشاة كناية عن المرأة. يقول: ياهؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حلت له فتعجبوا من حسنها وجمالها فانها قد حازت أتم الجمال (٦٠) يقول. بعثت جاريتى لتتعرف احوالها لى

قالت رأيت من الاعادى غرة
والشاة ممكنة لمن هو مرتم (٦١)
وكأنما التفتت بجيد جداية
رشأ من الغزلان حر أرثم (٦٢)
نبئت عمرا غير شاكر نعمتى
والكفر مخبثة لنفس المنعم (٦٣)

(٦١) الغرة الغفلة . يقول فقالت جاريتى لما انصرفت انها صادفت الاعادى غافلين عنها ، ورمى الشاة ممكن لمن أراد أن يرميها . يريد ان زيارتها ممكنة لطالبها لغفلة الرقباء عنها (٦٢) الجيد العنق والجداية ولد الظبية والجمع الجدايا والرشأ الذى قوى من أولاد الظباء . والحر من كل شىء خالصه وجيده . والأرثم الذى فى شفته العليا وأنفه بياض . يقول كان التفاتها الينا فى نظرها التفات ولد ظبية هذه صفته فى نظره

(٦٣) النبئة والتنبى الاخبار وأنبأ فعل من سبعة أفعال تتعدى الى ثلاثة مفاعيل وهى أعلمت ورأيت ونبأت وأنبأت وأخبرت وخبرت وحدثت . يقول: أعلمت أن عمرا لا يشكر نعمتى وكفران النعمة ينفر نفس المنعم عن الانعام . فالتاء فى نبئت هو المفعول الاول قد أقيم مقام الفاعل وأسند الفعل اليه وعمراً المفعول الثانى وغير الثالث

ولقد حفظت وصاة عمى بالضحى
اذ تقلص الشفتان عن وضح الفم (٦٤)
فى حومة الحرب التى لا تشتكى
غمراتها الابطال غير تغمغم (٦٥)
اذ يتقون بى الاسنة لم اخم
عنها ولكنى تضايق مقدمى (٦٦)
لما رأيت القوم أقبل جمعهم
يتذامرون كررت غير مذمم (٦٧)

(٦٤) الوصاة الوصية . وضح الفم الاسنان وتقلص أى تتشنج وتقصر يقول : حفظت وصية عمى اياى باقتحامى القتال فى أشد أحوال الحرب وهى حال تقلص الشفاه عن الاسنان فرقا من القتل

(٦٥) حومة الحرب معظمها وغمرات الحرب شدائدها . والتغمغم صياح لا يفهم منه شىء . يقول . ولقد حفظت وصية عمى فى حومة الحرب التى لا تشكوها الابطال الا بجلبة وصياح (٦٦) لم أخم أى لم أجبن . والمقدم موضع الاقدام . يقول حين جعلنى أصحابى حاجزاً بينهم وبين أسنة أعدائهم لم أجبن عن تلك الاسنة ولكن تضايق موضع أقدامى فتأخرت لذلك الا النكوص

(٦٧) يتذامرون يتحاضون على القتال غير مذمم أى محمودا

يدعون عنتر والرماح كأنها
اشطان بئر فى لبان الادهم (٦٨)
مازلت أرميهم بثغرة نحره
ولبانه حتى تسربل بالدم (٦٩)
فازورّ من وقع القنا بلبانه
وشكا الى بعبرة وتحمحم (٧٠)
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى
ولكان لو علم الكلام مكلمى (٧١)
ولقد شفا نفسى وأبرأ سقمها
قيل الفوارس ويك عنتر أقدمى (٧٢)
والخيل تقتحم الخبار عوابسا
ما بين شيظمة وأجرد شيظم (٧٣)

(٦٨) اشطان البئر حباله . ولبان الأدهم صدره (٦٩) الثغرة الانخفاض الذى فى أعلى النحر . وتسربل اى اكتسى

(٧٠) ازورّ اى مال والتحمحم من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له

(٧١ المحاورة المخاطبة

(٧٢) يقول ولقد شفا نفسه قول الفرسان أقدم ياعنترة لاعتمادهم على نجدته

(٧٣) الخبار الارض اللينة والشيظم الطويل من الخيل والاجرد والقصير الشعر

ذلل ركابى حيث شئت مشايعى
لبى وأحفزه بأمر مبرم (٧٤)
انى عدانى أن أزورك فاعلمى
ما قد علمت وبعض مالم تعلم (٧٥)
حالت رماح ابنى بغيض دونكم
وزوت جوانى الحرب من لم يجرم (٧٦)
ولقد كررت المهر يدمى نحره
حتى اتقتنى الخيل يا ابنى حذيم (٧٧)
ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر
للحرب دائرة على ابنى ضمضم (٧٨)
الشاتمى عرضى ولم أشتمهما
والناذرين اذا لم القهما دمي (٧٩)

(٧٤) ذلل جمع ذلول وهو ضد الصعب والركاب الابل ، ومشايعى أى معاونى ، ولبى اى عقلى يقول . تذل الابل لى حيث وجهتها ويعاونى عقلى فأمضى ما يقتضيه بأمر محكم (٧٥) عدانى شغلنى (٧٦) ابنا بغيض بنو عبس وذبيان يريد شغله عن زيارتها تقاتلهم ؛ وزوت أى حازت الى ناحية ؛ جوانى الحرب اى الذين جنوها (٧٧) نحره عنقه (٧٨) ابنا ضمضم هما حصين وهرم (٧٩) والناذرين الخ أى الموجبات على أنفسهما سفك دمى اذا لم أرها اى انهما يتوعدانه حال غيبته

ان يفعلا فلقد تركت أباهما
جزر السباع وكل نسر قشعم(٨٠)
(٨٠) ان يفعلا اى يشتما فلا غرابة فانى قتلت أباهما وجعلته أكلا للسباع والنسور
توفى عنترة سنة ٦١٥ ميلاد

﴿ عِنْد وعَنْد ﴾ اسم للمكان نحو (جاء عند فلان) واسم للزمان نحو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (انما الصبر عند الصدمة الاولى) وقد تجر بمن نحو (جاء من عنده)

﴿ عَنَد ﴾ عن الطريق يعنُد ويعنِد عِندا وعنودا مال.و (عَنَد فلان) خالف الحق . و(عانده) خالفه وقاطعه

﴿ العنادية ﴾ فرقة من السوفسطائية يزعمون ان الموجودات كلها خيالات.مثلها كمثل النقش على الماء

﴿ العندية ﴾ فرقة يقولون ان حقائق الاشياء تابعة للاعتقادات فاذا اعتقد الانسان الشيء جوهراً فهو جوهر أو عرضا فهو عرض أو حادثا فهو حادث

﴿ العَنْدليب ﴾ هو الهزار والجمع العَنادل. يقال (البلبل يُعندل) اذا صوت. وقد أكثر العرب من ذكر العندليب فى اشعارهم فقال ابو سعيد المؤيد بن محمد الاندلسى يصف طنبور :

وطنبور مليح الشكل يحكى
بنغمته الفصيحة عندليبا
لما ذوى ذوى نغما فصاحا
حواها فى تقلبه قضيبا
كذا من عاشر العلماء طفلا
يكون اذ نشا شيخا أديبا

(انظر كلمة هزار)

﴿ العَنْدم ﴾ هو البقم وهو قلب شرائح الخشب المسمى (هياتوكسيلون كبكيانوم) وهو يرد من أواسط أمريكا ويستعمل منه قلب الخشب الاحمر وهو يحتوى على حمض التنيك ومادة ملونة تحمر اذا عرضت على التنور وتزرق مع الحديد ومع أملاح الرصاص

(خواصه الطبية) مغلى البقم قابض لطيف غير مهيج يستعمل فى الدسبيسيا الضعفية وفى الاسهال المزمن الاعتيادى وفى السحج والانزفة المتعدية ويحقن به فى مرض الديكوريا اى سيلان الابيض

﴿ العَنْز ﴾ الانثى من المعز جمعه أعنُز و(العَنَزة والعَتَرة) عصا شبه العكازة

﴿ عَنَزة ﴾ أبو حى من العرب

﴿ العنزروت ﴾ صمغ فارسي لشجرة شائكة ويقال له أيضا الأنزروت

« خواصه الطبية » قال علماء العرب انه يستأصل البلغم فلذلك ينفع في داء المفاصل وعرق النسا والنقرس ووجع الورك والركبة والاعصاب ويسقط الجنين والدود ويفتح السدد ويحلل الرياح الغليظة ويقع في المراهم فيأكل اللحم الزائد وينبت الجيد ويلحم ويقطع الدم . ويقع في الاكحال فينفع من السبل والجرب والحكة والدمعة واذا اختلط بمثله من كل من النشا والسكر بعد أن يربى بلبن الاتن والنساء وبياض البيض نفع من سائر الرمد والحمرة والورم والسلاق . ومع اللؤلؤ والمرجان المحرق والسكر يزيل البياض . وهو يلحم القرحة وآثار الجدري . واذا مزج بدهن الآس قتل القمل وأذهب الحكة وطيب الرائحة وقطع صنان الابط

﴿ عنُف ﴾ به يعنُف عنافة لم يرفق به فهو عنيف و(عنّف) بمعنى عنف عليه ولامه و (العُنف) ضد الرفق

﴿ العنفقة ﴾ شعيرات بين الشفة السفلى والذقن جمعها عنافِق

﴿ عُنفوان الشباب ﴾ أوله

﴿ العَناق ﴾ الانثى من اولاد المعز قبل الحول جمعها أعنُق

﴿ العنكبوت ﴾ حشرة معروفة ذكورها أصغر أجسادا من اناثها وهي أكالة اللحم فاذا انقضت على فريستها نفثت فيها سما يقف حركاتها فلا تستطيع الدفاع عن نفسها . وهي تبيض بيوضا تخرج منه صغارها بشكلها النهائي اى انها لا تتشكل في أطوار متعاقبة كبعض الحشرات وهي تغتذى من الحشرات التي تصطادها بالشبكة التي تمدها على جدران البيوت فتصنع تلك الشبكة من مادة تفرزها لها غدد في باطنها محتوية على سائل لزج تخرجه من فتحة صغيرة فيتجدد بمجرد ملامسته للهواء ويصير خيطا في غاية الدقة

العنكبوت نفعه للانسان أكثر من ضره وعضته ليست سامة اذا استثنينا انواعا منه في المناطق المحرقة ومع سميتها فليست جروحها مميتة . والمعروف من العناكب أنواع كثيرة منها ما يبلغ نحو ١٨ سنتيمترا كالنوع المسمى الميغال في بلاد البرزيل بأمريكا . وهو يهاجم صغار الطيور فيفترسها ويتخذ لنفسه حجرا في الارض ويخرج منه ليلا ليحصل ما

بقتات منه

﴿العَنَم﴾ شجرة فى الحجاز لها ثمرة حمراء . يقال (عَنَّم بنانه) أى خضبه بالعنم

﴿عَنَّ﴾ له الشيء يعُن ويعِن عَنا ظهر امامه و(عَنَّنَ الكتاب) عنونه و (العَنَان) السحاب و (العِنان) سير اللجام الذى يمسك جمعه أعِنَّة والعِنِّين من لا يأتى النساء والاسم العُنَّة ، و (العِنِّينة) المرأة التى لاتشتهى الرجال

﴿ابن عنين﴾ هو أبو المحاسن محمد ابن نصر الدين الكوفى الاصل الدمشقى المولد . يقال أنه خاتمة فحول الشعراء كان غزير المادة من الادب مطلعاً على فنون الشعر ، نفاه السلطان صلاح الدين الايوبى من دمشق لوقوعه فى بعض الناس فلما مات وتولى ابنه الملك العادل كتب يستعطفه :

ماذا على طيف الاحبة لو سرى
وعليهم لو سامحونى فى الكرى

ثم قال يشكو الغربة :

أشكو اليك نوى تمادى عمرها
حتى حسبت اليوم منها أشهراً
لا عيشتى تصفو ولا رسم الهوى
يعفو ولا جفنى يصافحه الكرى
أضحى من الأحوى المريع محولا
وأبيت عن ورد النمير منفرا
ومن العجائب أن يقبل بظلكم
كل الورى ونبذت وحدى بالعرا

فأذن له الملك العادل بالرجوع الى مصر وطنه فقال :

هجوت الاكابر فى جلق
ورعت الوضيع بسب الرفيع
وأخرجت منها ولكننى
رجعت على رغم أنف الجميع

تولى الوزارة بمصر فى آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر . وانفصل عنها لما تولى الملك الاشرف سنة ٦٣٠هـ

﴿عنا﴾ يعنو عُنوا خضع وذل فهو عان و « عنا الامر فلانا » أهمه و « عنا فلان بالشي » أخرجه و « أعناه » أخضعه و «العَنْوة» القهر والمودة وهو ضد

﴿عَنوَنَ الكتاب﴾ كتب عنوانه ويقال أيضا علونه والاسم العنوان

﴿عَنى﴾ الامر لفلان يَعنِى عَنياً نزل له . و « عني الله به عِناية » حفظه . و «عناه الامر» عرض له وشغله و «عُنِي

فلان بحاجته عناية » أهمه فهو عانٍ وعن و «عنّاه» أتعبه وآذاه وكلفه مايشق عليه و«تعنّى» تعب و « اعتنى بالامر » اهتم به . يقال «هذا فى معنى ذلك ومَعْناته» اى سواء

﴿عَهِدَ﴾ اليه يَعهَد عهداً أوصاه وشرط عليه . و(عَهِدَ الحرمة) رعاها . و (عهِد بالبلد) وجده و (عهِده) عرفه و (عاهده) عاقده و (تعهّده وتعاهده) تفقده واحتفظ به و (العَهْد) الوصية والذمة والوفاء والامان . و(العُهْدة) كتاب الحلف وكتاب الشراء . يقال عُهدة هذا عليه أى تبعته و (المَعْهَد) المنزل المعهود به الشيء جمعه مَعاهد

﴿عَهَرَ﴾ اليها يَعهَر عَهْراً أتاها بفجور فهو عاهر والمرأة عاهر وعاهرة وعَهَر يَعهَر عَهَراً فجر وفسق

﴿عهل﴾ العاهل الملك الاعظم

﴿العَواهن﴾ جوارح الانسان و العِهْن الصوف او المصوغ ألوانا جمعه عُهون

﴿عاج﴾ بالمكان يعُوج عَوْجا أقام به . وعاج المسافر وقف على المكان . وعوِج العود يعوَجُ عِوَجا انحنى والاسم العِوَج . و (عوّجه) حناه و(تعوّج) انحنى . و(انعاج عليه) انعطف و(اعْوجّ) انحنى و(أعْوَجُ)فرس لبنى هلال تنسب اليه كرائم الخيل

﴿العاج﴾ هو سن الفيل . يستخرجه الانسان من هذا الحيوان حياً وميتاً وتصنع منه الاشياء النفيسة . وقد سطا الانسان على أسنان الفيل منذ القدم اى منذ ألوف كثيرة من السنين فصنع منه حليه وتعاويذه . وقد وجدت قطع من العاج من أقدم آثار الانسان على هذه الارض وعليها صورة الفيل ذى الشعر الذى انقرض منذ قرون كثيرة

العاج خاص بسن الفيل ولكن يطلق لفظ العاج الآن على القطع المستخرجة الآن من عظام فرس النهر والفظ وبعض الحيتان . وعاج الفيل افضلها واكثرها شيوعا وهو مؤلف من مادة آلية فيها كثير من الانابيب الدقيقة جدا وهى تبتدىء من أصل السن وتمتد الى محيطه وعليها تتوقف مرونة العاج وصلابته والتموج الظاهر فى سطحه اذا قطع عرضاً . وهذا هو المميز لعاج الفيل من غير

العاج صلب جدا يعسر قطعه

بالسكين ولكن يسهل بشره وبرده وخرطه وبياضه ضارب الى صفرة واذا تعرض للهواء ومرت عليه السنوات اصفر أو اسمر

الناباں اللذان يسطو عليهما الانسان من الفيل يوجدان في فكه الاعلى وقد يطولان حتى يبلغا نحو اربعة امتار كما شوهد في الفيل المنقرض ثقل كل منهما قنطاران مصريان ، أما الافيال العائشة معنا الآن فقد يبلغ سن الواحد منها نحو ثلاثة أمتار وثقله نحو مائة وستين رطلا

هذان النابان هما سلاح الفيل وعدته يهاجم بها الاسد ويطعن وحيد القرن

أجود العاج الافريقي الوارد من قرب خط الاستواء ويرد الى أسواق أوربا منه ما تبلغ قيمته نحو ستمائة الف جنيه ولا يبعد أن تنقرض الافيال من على سطح الارض بسبب أخذ الانسان أسنانها فانها كثيراً ما تموت ألما بعد قطع نابيها . ولكن الانسان لا يقفه عن شهواته شيء فهو لا يبالي بغير أهوائه ولو عدا على الكون وما فيه

﴿ عاد ﴾ يعود عوداً رجع . و « عاد المريض » زاره فهو عائد جمعه عُوَّدٌ وعُوَّاد و « عاده عَوداً » صيره عادة و « أعاد الشيء » بدأه ثانيا والاسم العائدة و « اعتد القوم » شهدوا العيد و « عاود الرجل » رجع و « أعاده » أرجعه . و (تعود الشيء » جعله من عادته ومثله « اعتاده » و « عاد » رجل من قدماء العرب وبه سميت قبيلة كبيرة هم بنو عاد الذين أرسل الله اليهم هوداً عليه السلام « انظر كلمة عرب »

يقال : « رجع عَوْدَهُ على بدئه » أي لم يصل لمراده حتى عاد . و « العود » الخشب . والغصن بعد قطعه . وآلة من آلات اللهو معروفة . ونوع من الطيب يتبخر به جمعه عِيدان وأعواد . و « العيد » الموسم . وكل يوم فيه تذكار لحادثة أو رجل و « العادة » ما يعتاده الانسان و « العاديّ » نسبة الى العادة والى عاد ويكون بمعنى قديم جدا . و « المعاد » محل العود الى الآخرة

﴿ العُود ﴾ اذا اطلق العود أريد به عود البخور وهو أنواع كثيرة يشتبه بعضها ببعض وهو يؤخذ من أشجار هندية توجد بالهند الشرقية والنوع الذي يؤخذ منه خشب العود يسمى (الوكسيلوم أغالوخن) وهو ينبت في الكوشنشين وغيرها في حالة صحة الشجر يكون خشبه ابيض لا رائحة له فاذا أصيب بمرض من أمراض الشجر احتقنت أوعيته بمادة دهنية راتنجية

عطرية فتقف التغذية ويضوع من الخشب حينئذ رائحة ذكية فيتغير لونه وصفاته ويرغب فيه حينئذ كعطر ثمين . ويصنع من قشر هذا الشجر ورق كوشنشين

وأما أنواع العود فى كتب العرب فكثيرة أفضلها المتدلى المجلوب من مندل هو وسط بلاد الهند ثم الهندى وهو الجبلى وهو أعطر ويفضل على المتدلى، ثم السمندرى ثم القمارى ثم القاقلى والبرى والقطعى والصينى واللوافى والمنطافى فهذه أنواعه العشرة المعروفة فى كتبهم

« خواصه الطبية » قال علماء العرب اذا مضغ العود أو تمضمض بطبيخه طيب النكهة . ويحضر منه ذرور ويذر على البدن لتطييب ريحه . واذا شرب منه مقدار مثقال نفع من لزوجة المعدة وسكن لهيبها

واذا شرب بالماء نفع من وجع الكبد ووجع الجنب وقرحة الامعاء

وقال جالينوس اذا شرب منه نحو درهم ونصف أذهب الرطوبة العفنة التى بالمعدة . ويقال انه يقطع البلغم بسائر أنواعه فينفع من الربو والسعال وضيق التنفس والاستسقاء والطحال ونحو ذلك وتعمل منه أشربة تزيد فى النفع على معجون المسك لأنه يحفظ الحوامل والصحة ويهضم واذا شرب فى الشراب الريحانى قوم السموم وفرح تفريحا لا يعدله غيره وخصوصا اذا مد بالسكر . وفحمه يجلو الاسنان

هذا ما ورد فى كتب العرب. أما ما ورد فى كتب الاوربيين المحدثين فقد ذكر ميريه فى قاموسه الدوائى بأن الشرقيين أكثر ما يستعملون هذا الخشب للتعطير فهو منبه مشدد مقو للرأس نافع من السدد والدوار والشلل ومسحوقه دواء للقىء والفيضان البطنى لا كقابض مقو انتهى

﴿ عود الصليب ﴾ منه أنواع كثيرة وهو نبات حشيشى جذوره معمر حزمى أوراقه متعاقبة ذنيبية كبيرة مجنحة ذوات فصوص غير متساوية وله أزهار حمراء كبيرة بنفسجية

جذور هذا النبات غليظة تشبه اللفت مستطيلة متفرعة تتضام على هيئة حزمة مصفرة ملساء سهلة الكسر رائحتها قوية اذا كانت رطبة وطعمها مغث كريه واذا جفت صارت بلا رائحة

حللها الكيماويون فوجدوها مركبة من ماء ونشا واوكسالات وألياف خشبية ومادة شحمية متبلورة وسكر غير قابل

للتبلور وحمض فسفوري وتفاحي خالصين ومادة نباتية حيوانيه وتفاحات وفوسفات الكلس واملاح اخر وصمغ ومادة تنينية

« خواصة الطبية » كان القدماء ينسبون لهذا النبات احداث خوارق العادات كحفظ المحصولات وطرد الجن والهوام وكونه حرزا للصرع

والمتأخرون كانوا يضعونه من الباطن كمضاد للصرع مع انه قبل انه لم ينجح فيه ولكن ثبت انه مضاد للتشنج بقوة فيستعمل فى الآفات التشنجية كالهستريا والنزلة الخانقة والشلل والاهتزازات والفزع الليلى للاطفال وفى اكثر الامراض العصبية ولكنهم لم يتأدوا ان يضموه الى ادوية أخرى لان خواصه الطبية قليلة والعلاج به غير موثوق به والاحق بالاستعمال مطبوخ الجذر الجديد لا مسحوق الجذر الجاف لانه فقد منه معظم خواصه ويمكن ان يوجد فيه بعض الخواص التى ذكرها القدماء فى علاج الصرع والتأثير المسكن للمجموع العصبى واحتقانات الاحشاء وادرار الطمث. والموصى به استعمال عصارة الجذر الرطب التى هى لبنية ذات رائحة نفاذة بمقدار أوقيه وان كانت كريهة لانها تحتوى على جميع خواص النبات

﴿ عاذ ﴾ به يعوذ عَوْذاً وعياذاً لجأ اليه واعتصم به . و« تعوّذ به واستعاذ» اعتصم به . و«العَوَذ» الملجأ و«المُعوذة» الرقية يرقى بها الانسان من جنون أو خوف وتطلق على التمائم جمعها عُوَذ

﴿ التعاويذي ﴾ هو أبو الفتح محمد ابن عبيد الله بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذي الشاعر المشهور

كان شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع شعره بين الجزالة والعذوبة. كان اصله كاتبا فى ديوان المقاطعات وعمي فى آخر عمره وله فى ذلك اشعار كثيرة يرثى بها عينيه وكان قد جمع ديوانه بنفسه وصنع له خطبة ورتبه على أربعة فصول وكل ما زاد عليه بعد ذلك سماه الزيادات . ولما عمى كان باسمه راتب بالديوان فالتمس ان ينقل باسم اولاده . ثم كتب الى الامام الناصر لدين الله هذه الابيات يسأله ان يجدد له راتبا مدة حياته وهى :

خليفة الله انت بالدين والد
يا وأمر الاسلام مضطلع
انت لما سنه الأئمة اعلا
م الهدى مقتف ومتبع

قد عدم العدم فى زمانك وال
جور معا والخلاف والبدع
فالناس فى الشرع والسياسة والا
حسان والعدل كلهم شرع
يا مايكا يردع الحوادث والا
يام عن ظلمها فترتدع
الى ان يقول :
ولى حديث باهى وبعجب من
يوسع لى خلقه فيستمع
نفات رسمى جهلا الى ولد
لست بهم ما حييت انتفع
نظرت فى نفعهم وما انا فى اجة
لاب نفع الاولاد مبتدع
وقلت هذا بعدى يكون لكم
فما أطاعوا أمرى ولا سمعوا
واختلسوه منى فما تركوا
عينى عليه ولا يدى تقع
فبئس والله ما صنعت فاضرر
ت بنفسى وبئس ما صنعوا
فان اردتم به امرا يزول به الا
خصام من بيننا ويرتفع
واستأنفوا لى رسما أعوذ به
على ضنك معاشى به فيتسع
وان زعمتم انى انيت بها
خديعة فالكريم ينخدع
حاشا رسم الكريم ينسخ من
نسخ دواوينكم فينقطع
فوقعوا لى بما سألت فقد
اطمعت نفسى واستحكم الطمع
ولا تطيلوا معى فلست ولو
دفعتمونى بالرمح اندفع
وحلفونى أن لا نعود يدى
ترفع فى نقله ولا نضع
فأنعم عليه أمير المؤمنين بالراتب
فكان يصله بصلة من انخشكار الردى
فكتب الى فخر الدين صاحب المخزن ابياتا
يشكو من ذلك اولها :
مولاى فخر الدين انت الى الندى
عجل وغيرك ممجم متباطى
ومنها :
حاشاك ترضى ان تكون جرايتى
كجراية البواب والنفاط
سوداء مثل الليل سعر قفيزها
ما بين طسوج الى قيراط
أخنت عليها الحادثات وافرطت
فيها الرداءة ايما افراط

قد كدرت جسمي المضنيء وغيرت
طبعي السليم وعنفت اخلاطي
فتول تدبيرى فقد انهيت ما
اشكوه من مرضي الى بقراط
وكتب الى عضد الدين ابى الفرج
محمد بن المظفر يطلب منه شميرا لفرسه :
مولاى يامن له أياد
ليس الى عدها سبيل
ومن اذا قلت العطايا
فجوده وافر جزيل
اليه ان جارت الليالى
نأوى وفى ظله نقيل
ان كميتي العتيق سنا
له حديث معي يطول
كان شرائى له فضولا
فاعجب لما يجلب الفضول
ظننته حاملا لرجلى
فخاب ظنى به الجميل
ولم أخل للشقاء انى
لثقل اعبائه حمول
فان اكن عاليا عليه
فهو على كاهلى ثقيل
ازحل كاليوم ليس فيه
خير كثير ولا قليل
ليس له مخبر حميد
ولا له منظر جميل
وهو حرون وفيه بطء
ولا جواد ولا ذلول
لا كفه معجب لراء
اذا رآه ولا نبيل
مقصر إن مشى ولكن
ان حضر الأكل مستطيل
يعجبه التبن والشعير ال
معسول والقت والقصيل
اذا رأى عكرشا رأيت ال
لعاب من شدقه يسيل
وليس فيه من المعانى
شيء سوى انه اكول
فهب له اليوم ما تسنى
وهبه من بعض ما تنيل
ولا تقل ان ذا قليل
فالقل فى عينه جليل
ولد ابن التعاويذى سنة ٥١٩ وتوفى
سنة ٥٨٣ أو ٥٨٦ ببغداد

﴿عـور﴾ الرجل يعوَر عوَرا ذهبت
احدى عينيه فهو (أعور) . و (عوَّره)
صيره اعور . و (عاير بين المكيالين)
قدرهما ونظر ماالفرق بينهما و (أعوره)

صيره أعور. و(أعور الشيء)ظهر وبدت عورته وهي موضع المخافة منه . و (تعاور القوم الشيء) تداولوه بينهم . و (استعار الشيء)طلب اعارته و (العاريّة والعارِيّة) ماتداولوه بينهم

﴿عاز﴾ الشيء يَعُوزه عوْزا احتاج اليه فلم يجده (عوز الشيء يعوَز عوَزا) عز فلم يوجد و (أعوز الرجل) افتقر فهو مُعوِز اى فقير و (أعوزه الشيء) احتاج اليه فلم يقدر عليه . (والعَوَز) الحاجة والضيق . و(المِعوَز) الثوب الخلق

﴿عوص﴾ الكلام يعوص صعب و(أعوص في الكلام) غمضه.و(اعتاص الامر) اشتد وامتنع

﴿عاض﴾ فلان فلانا من الشيء يَعُوضه عَوْضا وعِوَضا أعطاه عوضا. يقال (اعتاضه عنه) اى أخذه بدلا عنه

﴿العَوْف﴾ الحال والشأن . يقال (نعِم عوفك)اى نعم حالك و (العَوْف) ايضا الضيف والبخت

﴿عوف بن مالك الاشجعى﴾ من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم عام الفتح وتوفى بدمشق سنة ٧٣

﴿عاقه﴾ يَعوقه عَوقا حبسه واخره ومثله عوّقه : و (تعوّق) تثبط و(اعتاقه) عاقه . و(العَيُّوق) نجم فى السماء أحمر مُضيء فى طرف المجرة الايمن يتلو الثريا لا يتقدمها

﴿عال﴾ يعول عَوْلا جار عن الحق . و(عال الرجل) كثر عياله ومثله (أعال يُعيل اعالة) . و (عال عياله) كفاهم المعيشة . و (عال صبره وعِيل صبره) غلب . و (أعال الرجل) افتقر و (عوّل عليه) استعان به. و (عوّل) الرجل وأعول رفع الصوت بالبكاء . و (عَيِّل الرجل) أهل بيته جمعه عِيال و (المِعوَل) الفاس التى ينحت بها الصخر

﴿عام﴾ يعوم عوما سبح فى الماء و (عاوم فلانا) عامله بالعام كشاهره وياومه و (العام) السنة

﴿العوّام﴾ بن حوشب الشيبانى من ثقات علماء الحديث توفى سنة (١٤٨) هـ

﴿عانت﴾ البقرة تَعُون عونا صارت عَوانا ، و(العَوَان) النَّصف فى سنها من كل شيء.و(الحرب العَوَان)هى اشد الحروب التى قوتل فيها المرة بعد المرة . و(العَوْن) المساعد . و (مَعَان)

موضع من بلاد العرب ، « والمعوان » الكثير المعونة

﴿ ابو عوانة ﴾ هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم بن زيد النيسابوري ثم الاسفرايني

كان من حفاظ الحديث له مسند صحيح مخرج على كتاب مسلم . وكان مكثرا من نقل الاحاديث طاف الشام ومصر والبصرة والكوفة وواسط والحجاز والجزيرة واليمن واصبهان والري وفارس فسمع من اجلاء العلماء وروى عن كبار المحدثين

قال ابو عبد الله الحاكم : ابو عوانة من علماء الحديث وأثباتهم كان من الرحالة في اقطار الارض لطلب الحديث توفي سنة ٣١٦

﴿ عون الدين الحلبي ﴾ هو سليمان ابن عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن الاديب البارع عون الدين بن العجمي الحلبي الكاتب

كان متأهلا للوزارة كامل الرياسة لطيف الشمائل . من شعره قوله :

لهيب الخدين بدا لعيني
هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا
وها أثر الدخان على الحواشي

وحضر يوما مجلس مخدومه الملك الناصر وأسند ظهره الى الطراحة ، فقال له استاذ الدار الستر وراءك . فقال له الملك الناصر : سلمان منا اهل البيت . قال :

رعى الله ملكا ماله من مشابه
يمن على العاني ولم يك منانا
لاحسانه امسيت حسان مدحه
وكنت سليمانا فأصبحت سلمانا

ومن جيد شعره قوله :

ياسائقا يقطع البيداء معتسفا
بضامر لم يكن في سيره واني
ان جزت بالشام شم تلك البروق ولا
تعدل بلغت المنى عن دير مروان
واقصد علا لي قلاليه تلاق بها
ما تشتهي النفس من حور وولدان
من كل بيضاء هيفاء القوام اذا
ماست فيا خجلة المران والبان
وكل اسمر قد دان الجمال له
وكحل الحسن فيه فرط احسان
ورب صدغ بدا في الخد مرسله
في فترة فتنت من سحر اجفان

فليت ريقته وِردي ووجنته
ورْدي ومن صدغه آسي وريحاني
وعج على دير متى ثم حى به الـ
رهبان بالطرس فالرهبان رباني
فهمت منه اشارات فهمت بها
وصنت مشهورها في طي كتمان
واعبر بدير حنينا وانتهز فرص الـ
لذات مابين قسيس ومطران
واستجل راحاتها تحيي النفوس اذا
دارت براح شماميس ومطران
حمراء صفراء بعد المزج كم قذفت
بشهبها من هوى كل شيطان
كم رحت في الليل استيها واشربها
حتى انقضى ونديمي غير ندمان
سألت توماس عمن كان اعصرها
أجاب رمزا ولم يسمح بتبيان

الى ان قال :

سكرت منها فلا صحو وجدت بها
على الندمى وليس الشح من شاني
وسوف امنحها اهلا وانشده
ماقيل فيها بترجيح وألحان
حتى تميل له اعطافه طربا
وينتشي الكون من اوصاف نشوان
خير الملاك صلاح الدين ليس له
في الجود ثان ولا عن جوده ثان

ولد عون الدين سنة ٦٠٦ وتوفي سنة ٦٥٦

العاهة هي العارض الذي يفسد ما أصابه

عوى الكلب يعوي عَيًّا وعُواء صوت

عاب الشيء يعيبه عيبا . جعله ذا عيب فهو عائب ، والشيء معيب . ومثله (عيّبه) و(تعيّبه) . و (العَيبة) ما يجعل فيه الثياب جمعها عِياب

عاث الشيءَ يَعيثه عَيْثا وعُيوثا افسده

عاج به يَعيج عَيْجا عبأ به

ابن عيذون القالي هو ابو علي اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي اللغوي كان جده سلمان مولى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين

كان ابن عيذون احفظ اهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين اخذ الادب عن ابي بكر بن دريد الازدي وابي بكر ابن الانباري ونفطويه وابن درستويه

وغيرهم

وأخذ عنه ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدى صاحب مختصر العين . وله تآليف ممتعة منها كتاب الامالى وكتاب البارع فى اللغة مرتبا على حروف المعجم وكتاب المقصور والممدود وكتاب الابل ونتاجها ، وكتاب فى حلى الانسان والخيل وصفاتها ، وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب مقاتل الفرسان. وكتاب شرح فيه القصائد المعلقات وغير ذلك

وقد طاف بن عيذون كثيراً من البلاد فسار الى بغداد وأقام بالموصل وقصد الاندلس ودخل قرطبة واستوطنها وأملى كتابه الامالى بها

ولد سنة ٢٨٨ وتوفى سنة ٣٥٦ هـ

﴿ عيَّره ﴾ كذا تعييرا قبحه عليه و (عاير المكيال) عيارا امتحنه بغيره لمعرفة صحته . و (تعايروا) عير بعضهم بعضا. و (عِيَار الدراهم) ما جعل فيها من الفضة الخالصة . و (العار) كل شئ لزم به عيب جمعه أعيار. و (العَيْر) الحمار جمعه أعيار وعُيور . والعِير قافلة الحمير جمعه عِيران. والمعيار العار

﴿ عيسى ﴾ بن مريم عليه السلام هو أحد المرسلين أولى العزم ارسل الى بنى اسرائيل من منذ نحو ١٩٠٠ سنة

ولد بقرية بيت لحم من قرى فلسطين فى سنة «٤٠٠٤» من عمر الدنيا على قول اليهود ؛ وفى ٢٥ دسمبر على قول المسيحيين. حملت به امه مريم من غير اب على سبيل المعجزة . فأرسل الله اليها روح القدس جبريل عليه السلام فتمثل لها بشرا سويا فلما اوجست منه خيفة بشرها بأنه جاء ليهب لها غلاما زكيا فنفخ الله فى بطنها من روحه فحدث لها جنين من غير ملامسة بشرية فنما فى بطنها وولد كما يولد كل مولود. فلما وضعته عنفها أهلها على ما ظنوه فيها من الظنون، فأنطق الله عيسى وهو فى المهد فقال للمعنفين : انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ؛ وسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم أبعث حيا

لما كبر عيسى وقوى على اداء واجب الرسالة ارسله الله الى بنى اسرائيل كما قال هو نفسه : « انما أرسلت لخراف بنى اسرائيل الضالة » فلقى منهم ما لقى كل رسول من أمته من العداء والمحادة فما اتبعه الا نفر من المستضعفين ولكن تعاليمه فى الزهد وأصوله فى الحكمة كانت

قد آلمت كبار رجال الدين من اليهود لأن العادة قد جرت بأن الرؤساء المسيطرين يكرهون المصلحين لما تقتضيه مطالبهم من تغيير الاوضاع ، واسقاط قوم ورفع آخرين، وفى ذلك ضياع لمراكز المتصدرين للرئاسة والقضاء على سلطتهم فتألب عليه رؤساء الدين اذ ذاك وادعوا عليه الدعاوى الكاذبة حتى صدر أمر الحكومة الرومانية بصلبه. فتطلبوه ليوقعوا عليه حكم الصلب فنجاه الله منهم برفعه اليه

ولقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى : « بل رفعه الله اليه » فقال قوم منهم معناه رفعه الى السماء بجسده .وقال آخرون بل توفاه الله كما يتوفى الناس ثم رفع اليه روحه بدليل قوله تعالى : « انى متوفيك ورافعك الىّ »

ومن قال بأنه رفعه جسدا وروحا فسر التوفى بالنوم مستدلا بتعبير تعالى عن النوم بالوفاة فى بعض القرآن وهو قوله تعالى : « يتوفاكم بالليل » اى ينيمكم فيه

رفع عيسى عليه السلام ولكن الروح العالية التى بثها فى أصحابه لم ترفع معه فثبتوا على طريقته رغما عن قوة أعدائهم وبسطة سلطانهم ولم يبالوا بما لحق أجسادهم من الاذى وما زالوا يدعون الناس الى دينهم فيتبعهم من فتح الله بصيرتهم للهدى فى وسط تلك الوثنية الرومانية المستحكمة حتى شعرت السلطة بثقل وطأتهم فأخذت الحكومة فى اضطهادهم وتعذيبهم بالحديد والنار والوان الايلام فكانوا لا يزدادون الا ثباتا على الحق ومضيا فى شأنهم. ولم يزالوا على هذه الحال من الشقاء نحوا من ثلاثة قرون حتى انيح لهم الامبراطور كونستانتين وكان قصرانيا متحمسا فأمر بهدم الهياكل الوثنية وحمل الناس على الدخول فى الديانة المسيحية بالسيف فدخل الناس فى الدين أفواجا أفواجا حاملين معهم عقائدهم الوثنية الموروثة وعز عليهم ان يتجردوا منها أصلا لشدة التصاقها بضمائرهم فخلطوا بينها وبين دينهم الجديد فكان هذا أول ما طرأ على تلك الديانة من الانحراف عن صراطها الاصلى .فحدثت فى النصوص تأويلات ، وفى الكتب توسعات ، وطمت الاقاويل والشروح كما حصل لكل الاديان السابقة ،حتى جاء خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم بالاصلاح الاكبر لكل الاديان السابقة توفيقا بين عقائد الامم ، وجمعا بين أفئدة الشعوب

لتقوم الانسانية على دعائم الاخاء والحب الخالص ، وتتعارف الطوائف البشرية بدل تناكرها هذا التناكر الشديد الوطأة عليها

هذا مايقوله الرجل المسلم وأما المسيحي فيقول : ان عيسى بن الله حملت به مريم بواسطة الروح القدس . ولد بقرية بيت لحم فى عهد القنصلية الثانية عشرة لاغسطس امبراطور الرومان فى سنة (٤٠٠٤) من عمر الدنيا (٢٥ ديسمبر) فسافر به اهله يوسف النجار ومريم الى مصر ليخلصاه من المذابح التى كانت تلتهم الأبرياء تحت حكم (هيرود) ومكثا بمصر طول مدة حكم هذا الامبراطور الرومانى ولكنهما لخوفهما من ظلم (ارشيلاوس) لم يرجعا الى بلاد اليهود بل الى ناصرة الجليل . فلما بلغ عمره الثانية عشرة أتيا به الى بيت المقدس للاحتفال بعيد الفصح فمكث بالهيكل وهما لايعلمان ذلك فلما عادا ليبحثا عنه وجداه فى وسط جمهور من أحبار اليهود يجادلهم فى الامور الدينية ويفحمهم ببيان باهر ودليل ساطع

ولما كانت السنة الخامسة عشرة من حكم الامبراطور (تيبير) أقام يوحنا المعمدان (وهو يحيى عليه السلام) على شواطىء نهر الاردن يعظ الناس ويستتيبهم ويعمدهم ويبشرهم بظهور المسيح قريبا ، فقصده عيسى عليه السلام ليعمد على يديه فعمده ، وبينا عيسى خارج من النهر واذا بروح القدس نزل عليه فى صورة حمامة ؛ عند ذلك أعلن يوحنا الناس بأن عيسى هو المسيح الموعود به فى الكتب المقدسة والذى ينتظره اليهود . فلما علم عيسى انه المسيح قصد الفلاة فصام فيها اربعين يوما ليتطهر ويخلص من سلطة الشيطان ، ثم عاد فطاف بلاد اليهود والجليل حاملا الى الناس (الخبر السار) بظهور المسيح المنتظر وصدور عفو الله عن المذنبين وأخذ يدعو الناس الى الاعتقاد بمهمته مؤيداً دعواه بالمعجزات الباهرة كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى واخراج الجنة من أجساد الملموسين . فاتبعه بعض الناس فانتخب منهم اثنى عشر تلميذا ليبثهم فى الاقطار داعين اليه . فى السنة الرابعة من رسالته حضر الى بيت المقدس لآخر مرة وكانت دعوته قد هيجت ضده أحبار اليهود والفريسيين (الفريسيون هم طائفة من اليهود كانوا يلتحفون مظهراً من التقوى ويبطنون كل ضروب الفسوق)

ولكنه مع ذلك قصد بيت المقدس مع تلاميذه وأدى معهم الصلاة فأخذه اليهود وقادوه الى كبير أحبارهم ثم الى (بونسبيلات) محافظ البلاد اليهودية من قبل الرومان . فحوكم عيسى عليه السلام وحكم عليه بالجلد والتعذيب والصلب فنفذ الحكم عليه . فلما مات اكفهرت السماء وزلزلت الارض وانشق حجاب الهيكل وفتحت القبور وبعد موته بثلاثة أيام حيي عيسى وظهر لتلاميذه ليعطيهم التعليمات الاخيرة ويعدهم بأنهم سيلحقون به فى الملأ الاعلى

هذا مايقوله المسيحى فى نشأة عيسى وأصله ومهمته فى العالم ، ولكن هنالك مصادر تاريخية يهودية ووثنية لا توافق المصادر المسيحية فى اعتبارها عيسى عليه السلام ابناً لله ولا فى أنه ولد بلا أب ولا فى انه كان من نقاء الحياة بالمكان الاعلى. ولسنا نريد أن نعول على ماورد فى هذين المصدرين لانهما غير جديرين بالنقد ولو كان عرب الجاهلية يدونون تاريخهم لوجد خصوم الاسلام فى كتابات الجاهلية المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم مايستشهدون به فى الطعن على الاسلام وعلى الداعي اليه ولكن ليس من العدل التعويل على شيء من هذا . اكبر الدلائل عندنا على ان عيسى عليه السلام كان واحداً من المرسلين أولى العزم وعلى انه كان من كمال السيرة ، ونقاء الحياة على ماكان عليه كل رسول قبله ان ألصق الناس به لم يشاهدوا منه الا كل مايحملهم على حبه والثبات على أصوله ، وتحمل مرارة التعذيب والموت صبراً فى سبيله . فان كانت مثل هذه الحال لا تشهد لصاحب دعوة بكمال السيرة واصالة الدعوة فلا يمكن الاستشهاد بمحسوس بعدها على شيء اصلا

ولكن النقد العلمى فى أوروبا قرر بأن عقيدة إلهية عيسى هى من بقايا العقائد القديمة . فان كثيراً من الامم القديمة بين فارسية وهندية وآشورية وبابلية وميدية وليدية قد ادعت الالهية لافراد منها زيادة فى تعظيمهم ومبالغة فى تبجيلهم . وقد ادعى بعض غلاة المسلمين الهية محمد صلى الله عليه وسلم والهية على بن ابى طالب والهية كثيرة من اولادهما . وقد عذب على عليه السلام هؤلاء الدعاة اليه بكل أنواع العذاب حتى أمر باحراق بعضهم احياء فلم يؤثر ذلك فيهم . فلما مات قالت تلك الطائفة انه رفع الى السماء كما رفع عيسى

عليه السلام . ثم تمادت هذه الطائفة الغالية في غلوها القرن الأول والثاني ومايليهما ولا تزال لها بقية الى اليوم في فارس وغيرها ولا يزال في كل دين دعاة يؤلهون بعض الأفراد

ومن نقدة حياة عيسى عليه السلام الدكتور (ستروس) الالمانى فقد ألف كتابا سماه (حياة المسيح) زعم فيه أن عيسى من الشخصيات الوهمية التي لم توجد ذواتها على سطح الأرض . وكل مافي الأمر ان طائفة المسيحيين لما تكونت في القرن الأول أصطلحت على أن تجعل شعارها شخصا وهميا تنحله جميع صفات الكمال وتتخذه قبلة مراميها وميولها وسمته المسيح فبقي هذا الأسم الى الآن

ومن غلاة منتقدى عيسى عليه السلام المسيو (ميرون) السويسرى فقد كتب كتابا سماه (المسيح محال الى قيمته الحقيقية) زعم فيه ان حياة المسيح لم تكن خالصة من الشوائب وسيرته لم تكن بعيدة من المثالب . وتعجب من اندفاع الناس في عبادته بدون نظر ولا روية وعد ذلك من مدهشات الأحوال الانسانية وادعى ان سقراط الفيلسوف اليوناني الذى حكم عليه قومه بشرب السم جزاء أصوله الفلسفية العالية كان أعلى من المسيح نفسا فانه لما أعطى السم شربه باسما ولم يضع هول الموت من ثباته ورزانته شيئا. قال وأما المسيح فكما ورد عنه في الانجيل قد أظهر تبرمه من الحكم عليه ، وتألمه من العذاب الذى صب عليه ، وأبدى دهشه من ترك الله بين أيدى أعدائه

الى هذا الحد وصلت جرأة النقاد العلميين في أوروبا ولكن هذه الاقوال كلها تذوب وتتلاشى أمام الفعل الكبير الذى قام به عيسى عليه السلام بل الذى قامت به روحه بعد وفاته

نعم ذهب عيسى عليه السلام ولم يكن له من الاتباع من يستطيعون حماية دعوتهم ، ورعاية ملتهم ، ولكنه أودع في أولئك النفر من روحه مادفعهم لنشر دعوته في الأرض غير مبالين بما كان ينتابهم من المظالم وما يحيق بهم من الجرائم . فكان الرجل منهم يقاد الى المحاكمة فيؤمر بترك دينه فيأبى فتسلط عليه زبانية السجون يحملونه من صنوف العذاب مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيموت من تلك

التعذيبات على حال لايموتها غريق فى لجة ولامرمى فى اتون ،ولا ساقط من جدار ، ولا مفترس للوحوش

استمر أتباع عيسى يدعون الناس الى ملتهم بعزيمة ثابتة وصريمة نافذة حتى دانت لأصولهم الارض . كل هذا لا يمكن تعليله بسطوات الوهم ولا بنزوات الخيال . فان كانت انحرفت تلك الاصول الآن عن نصابها ، وتعرت عن حقائقها ، وأصبح الحكم للصور و الاشكال، والمعول على ظواهر الأحوال ، فليست التبعة فى هذا على عيسى عليه السلام ولكن على من تصدر لوراثته فى أصوله ،وتعرض للهيمنة على أتباعه،

(ماذا جاء عيسى للناس ؟) يقول النقد الدينى للديانة العيسوية بأن عيسى لم يجىء للناس بأصل جديد من أصول الدين ولا بأمر من الامور العبادية لم يكن معروفا من قبل ،ولكنه امتاز بأمر واحد لم يُجَله رسول مثل تجليته اياه، وهو اعلانه القرابة القريبة بين الله وعباده. فجعل الله أبا لخلقه، رحيما بهم، متعطفا عليهم ، وجعلهم بنيه اللائذين بحماه،فانهدمت الحواجز الحديدية التى كانت بين الله وخلقه ولولا ان رجال الدين اعترضوا هذه الصلة الكريمة فجعلوا أنفسهم وسطاء بين الله وعباده ، ونحلوا أنفسهم من الوظائف العلوية ما لايتفق مع كمال الله وتنزهه عن الاغراض، لبلغت الديانة العيسوية أضعاف مابلغته من السلطان على القلوب ، ولما عمل الناس فى أوروبا على الفصل بين الكنيسة والحكومة، ولبقيت على نقائها الاول ماشاء الله ان تبقى . ولكن لاراد لما أراده الله فقد انتحل رجال من هذا الدين لانفسهم حق الوساطة بين الله وخلقه ، ونحلوا أنفسهم جميع خصائص الاوصياء ، حتى حرموا على الرجل أن يولد او يتنصر او يتزوج أو يصلى او يتوب أو يموت الا بحضور واحد منهم . ولا يخفى أن هذا يناقض ذلك الاصل الجليل الذى حمله الى الناس عيسى عليه السلام ، وعده النقد الدينى الامتياز الوحيد للدعوة المسيحية

الديانة العيسوية ديانة زهد مطلق وتخل عن الدنيا ليس بعده مرمى .ولذلك اعتبرت فيها الرهبنة من الكمالات،وعدت الثروة من موجبات الغضب الالهى والبعد عن رحمته .ومن أصولها عدم مقابلة الشر بالشر . وعدم مقاصة الجناة والأئمة

وصرف النظر عن الاحكام والحكومة، والتجرد عما سوى الله، والصعود الى الجبال لعبادة الله على انفراد ، وتمضية الحياة على حال ليس بعده مذهب فى الزهد والتجرد على العلاقات الفانية

هذه الاصول وان ظهرت مناقضة لمقتضيات الحياة الدنيا فانها فى ذاتها حق وفى مصلحة الروح . والا فما الذى يعود على الانسان من الفائدة الصحيحة اذا كانت حياته قصيرة ويوم رحيله عن هذه الدنيا مجهولا ، وان بلغت الدنيا من العمران أقصى ماقدر لها أن تبلغه؟ ما الذى يعود عليه من عمارتها لاسيما وهو يعلم حق العلم أن ذلك العمران وراءه سلسلة جرائم ومخاز لاتنقطع ، وتيار فساد وفسق لايندفع ، وان كل ماهو قائم أمامه من شاهقات الابنية ، وشامخات القصور ، وما يحيط بها من الحدائق الغناء ، والشوارع المزدانة بالانوار ، وما يحتف بها من دور الآثار ، وبيوت الطرف ، لم تقم كلها الا على أصول مختلفة الدرجات من الاستبداد والاغتصاب وتسخير الضعفاء وهضم حقوق النساء والولدان؟ ماذا حمل التلغراف والتلفون والسكك الحديدية والسفن البخارية، من الخير للناس ؟ يقولون سهلت التجارات ؛ وقربت المسافات ، وزادت رؤس الاموال، وأعانت على زيادة المدنية. ولكن هل قلت الامراض ؛ وخففت الويلات ، ونقصت من عدد الفقراء والمعوزين ، وأبطلت جرائم المجرمين ، وسهلت الحياة على الناشئين؟، هل هذبت الاخلاق، ولطفت الطباع، وأزالت الشحناء من الصدور؟ لا بل زادت الحياة ضنكا على ضنك حتى أصبح الانتحار والجنون من الحوادث المادية ، وحتى دفعت الامم الكبرى للحرب هربا من ضيق الاحوال الاقتصادية ، فما فائده هذا العمران ، وما قيمته فى نظر الناقد البصير ؟

أقول هذا وأنا أعلم أن الانسان مدفوع الى تعمير هذه الارض ؛ مسوق الى بذل كل نفيس من مواهبه وقواه فى احياء مواتها ؛ ولعل دور الانتفاع بهذا العمران فى أخص مايهم الانسان من سلامة روحه وعقله يأتى بعد الدور الذى نحن فيه، فدعوة عيسى عليه السلام الى الزهد المطلق وهو وسط المدنية الرومانية الباهرة، وفى مزدحم شؤونها الساحرة ، كان من أحسن الردود على أولئك الغرقى فى حمأة شهواتهم ؛

الصرعى من سطوات الاهواء بهم، الملكى تحت كلاكل عمرانهم . ولو كان المذهب العيسوى يساير الفطرة من حيث ميلها الى العدل بين مطالب الروح والجسد، والاخذ من هذه وهذه لما نجحت الدعوة العيسوية ولكانت بالمذاهب الفلسفية أشبه ، ولما حدث منها ذلك الاثر الكبير الذى أحدثته الديانة المسيحية

فكان مجيء محمد صلي الله عليه وسلم بعد عيسى عليه السلام بناموس العدل بين مطالب الطبيعتين ، وقانون التكمل فى الحياتين ، واستخدام العمران المادى لفائدة الجزء المعنوى، من أشد الحاجات الانسانيه مساسا بحياتها، وأكثرها علاقة بكمالها . فقد كانت سادت الاصول الزهدية فى أوروبا حتى تلاشت المدنية الرومانية وبقى الناس الف سنة لا ينبغ فيهم عالم بالكون ولا متكلم فى الشؤون العامة ولو كانت أوروبا استمرت فى ذلك الدور لتلاشت . فكان فى ارسال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم تكميل لبناء الصرح الدينى الجليل الذى بدأه آدم ورفعه نوح وابراهيم وموسى ولطفه عيسى وأكمله محمد صلوات الله عليهم اجمعين

﴿ عيسى بن عمر ﴾ هو أبو عمر عيسى ابن عمر الثقفى النحوى البصرى . قيل كان مولى خالد بن الوليد نزل فى ثقيف فنسب اليهم

كان من علماء النحو بينه وبين أبى عمرو بن العلاء صحبة ولهما مسائل ومجالس

أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن أبى اسحق وروى الحروف عن عبد الله ابن كثير وابن محيض ، وسمع الحسن البصرى . وله اختيار فى القراءة على قياس العربية . وروى القرا آت عنه أحمد بن موسى اللؤلؤى وهرون بن موسى النحوى والاصمعى والخليل بن أحمد وسهل بن يوسف وعبيدة بن عقيل وشجاع بن أبى نصر . وأخذ عنه سيبويه النحو

لعيسى بن عمر الثقفى كتاب اسمه الجامع فى النحو يقال أن سيبويه أخذ هذا الكتاب وبسطه وحشى عليه من كلام الخليل وغيره . ولما كمل بالبحث والتحشية نسبه اليه وهو كتاب سيبويه المشهور

قيل والذى يدل على صحة هذا القول أن سيبويه لما فارق عيسى بن عمر المذكور ولازم الخليل بن أحمد سأله هذا عن مصنفات عيسى . فقال له سيبويه صنف نيفا وسبعين مصنفا فى النحو وان بعض

أهل اليسار جمعها وأنت عنده عليها آفة فذهبت ولم يبق منها فى الوجود سوى كتابين أحدهما اسمه الاكمال وهو بأرض فارس عند فلان والآخر هذا الكتاب الذى أشتغل فيه وأسألك عن غوامضه. فأطرق الخليل ساعة ثم رفع رأسه وقال رحم الله عيسى وأنشد :

ذهب النحو جميعا كله
غير ما أحدثه عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع
وهما للناس شمس وقمر

وكان الخليل قد أخذ عنه أيضا ويقال ان ابا الاسود الدؤلى لم يضع فى النحو الا باب الفاعل والمفعول فقط . وان عيسى ابن عمر وضع (كتاب الاكثر) وبوبه وهذبه وسمى ما شذ عن الاكثر لغات وكان يطعن على العرب ويخطىء المشهورين منهم مثل النابغة فى بعض أشعاره وغيره

وروى الاصمعي قال : قال عيسى بن عمر لابن عمرو بن العلاء انا أفصح من معد بن عدنان . فقال له ابو عمرو لقد تعديت . فكيف تنشد هذا البيت

قد كن يخبأن الوجوه تسترا
فاليوم حين بدأن للنظار

او بدين للنظار ؟ فقال عيسى بدأن فقال له ابو عمر أخطأت . يقال بدا يبدو اذا ظهر . وبدأ يبدأ اذا شرع فى الشيء والصواب (حين بدون للنظار) . وقد قصد ابو عمرو تغليطه لانه لا يقال فى هذا الموضع بدأن ولا بدين بل بدون

كان عيسى بن عمر مشهوراً بالتقعير واستعمال الغريب فى كلامه فاتفق أن سقط يوما عن حمار له واجتمع عليه الناس فقال: (مالكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذى جنة ، افرنقعوا) : أراد أن يقول مالكم تجمعتم على تجمعكم على مجنون انكشفوا عنى

وروى انه كان ينتابه ضيق فى النفس، فأدركه يوما وهو فى السوق فوقع ودار الناس حوله يقولون مصروع ، فكانوا بين قارىء ومعوذ . فلما أفاق من غشيته نظر الى ازدحامهم فقال: (مالكم تكأكأتم على الخ) فقال بعض الحاضرين ان سمع هذا الكلام ان جنيته تتكلم بالهندية

ويروى ان عمر بن وهبة الفزارى أمير العراقين . ضربه بالسياط فكان يقول : وان كانت الا اثيابا

فى اسقاط قبضها عشارك)

وقيل ان الذى ضربه هو سيف بن عمر أمير العراقين . وكان سبب ضربه اياه انه لما تولى العراقين بعد خالد بن عبد الله القسرى تتبع أصحابه وكان بعض جلسائه قد أودع عند عيسى بن عمر المذكور وديعة فنمى الخبر الى يوسف فكتب الى نائبه بالبصرة يأمره أن يحمل اليه عيسي ابن عمر مقيدا . فدعاه ودعا حداداً وأمر بتقييده . فلما قيده قال له الوالى لا بأس عليك انما أرادك الامير لتأديب ولده . قال عيسى فما بال القيد اذن ؟ فبقيت هذه الكلمة مثلا بالبصرة فلما وصل الى يوسف أمير العراقين سأله عن الوديعة فأنكرفأمر بضربه فلما أخذه السوط جزع فقال هذه المقالة المقدم ذكرها وهى: «والله ان كانت الا اثيابا » الخ

توفى عيسى بن عمر سنة (١٤٩)

﴿عاش﴾ يَعيش عَيشا ومَعاشا ومعيشة وعِيشة صار ذاحياة و (عيّشه) احياه و (عايشه) عاش معه . و (تعيّش) تكلف أسباب المعيشة و(العَيش) مصدر عاش والحياة والخبز والطعام يقال : (عَيشُه السمك) أى طعامه السمك . و (العيّاش) بائع العَيش وهو الخبز . و (عائشة) اسم للرجال والنساء

﴿عائشة﴾ بنت أبى بكر الصديق تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فكانت من أكثر النساء عقلا وأغزرهن فضلا وأعلاهن فى الدين كعبا روت عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث لا تحصى وقصدها الناس بعد موته صلى الله عليه وسلم يستفتونها فكانت تجلس اليهم من وراء حجاب فتفتيهم وتحدثهم

لما حدثت فتنة عثمان وقتل فيها استنكرت قتله استنكارا شديدا حملها على المطالبة بقتلته من علىّ للاقتصاص منهم ،شايعت فى ذلك ما طلبه طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وغيره من الذين ساءهم قتل عثمان . فلم يستطع على عليه السلام أن يسلمهم أولئك القتلة لأنهم يعدون بالالوف وهم الذين عملوا على توليته الخلافة فلو أمر بالقاء القبض عليهم لم يسلموا حتى تسفك آخر قطرة من دمائهم فيكون فى ذلك صدع لوحدة المسلمين ، فامتنع على عن تسليمهم فثارت عائشة وطلحة والزبير و انضم اليهم جمهور كبير يقدره بعضهم بسبعين الفا وكانت عائشة

وسط المعركة راكبة على جمل عليه هودج مصفح بالحديد حتى لا تخرقه النبال فتصيبها وكانت فى ذلك اليوم تشجع القوم على القتال وتحضهم على بذل أرواحهم فى سبيل نيل الانتصار . فلما رأى على اشتداد القتل بين الطرفين أمر بعقر جمل عائشة والهجوم عليه وأخذه عنوة ، فعقروا الجمل فسقط وحمل أصحاب على على حماة الجمل فحدث بينهم قتال لم يسمع بمثله انتهى بغلبة أصحاب على على الجمل ومن فيه وكان طلحة قد قتل ايضا وكان الزبير قد ترك أمر هذا الخلاف قبل حدوث القتال فانهزم جيش عائشة وتمزق شمله ، وأخذ على عائشة فردها الى المدينة بالاحترام الجدير بها

كانت عائشة رضى الله عنها مع علمها وتقواها كريمة لا تدخر شيئا روى انه جاءها يوما عطاؤها من بيت المال وهو ألوف كثيرة من الدراهم فبسطتها وسط الدار وجعلت كل عدد منها فى صرة وأخذت توزعها على الفقراء وكانت صائمة فقالت لها جاريتها ألا أبقيت درهمين أشترى لك بهما طعاما لفطورك ؟ فالت والله لو ذكرتني لفعلت

هذا نهاية ما يعلم عن الايثار والشىء من معدنه لا يستغرب

(ابن عائشة) هو عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى ونسبته الى عائشة بنت طلحة لأنه من ذريتها وكان عالما كريما توفى سنة (٢٢٨) ﻫ

(العيص) الشجر الكثير الملتف جمعه أعياص

(عيط) يعيط تعييطا صاح و (العياط) الجلبة والصياح

(عياض) هو القاضى أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى السبتى

كان امام عصره فى الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم . صنف التصانيف المفيدة منها كتاب الاكمال فى شرح كتاب مسلم ، ومنها مشارق الانوار وهو كتاب مفيد فى تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهى الموطأ والبخارى ومسلم . وشرح حديث أم زرع شرحا مستوفى وله كتاب سماه التنبيهات جمع فيه فوائد جمة . بالجملة جميع تآليفه مفيدة نافعة

قال أبو القاسم بن بشكوال فى كتاب الصلة انه دخل الاندلس طلبا للعلم فأخذ

بقرطبة عن جماعة وجمع من الحديث كثيرا
وكان له عناية كبيرة به واهتمام بجمعه
وتقييده . وهو من أهل اليقين فى العلم
والذكاء والفطنة والفهم تولى القضاء
ببلدة سبتة مدة طويلة فحمدت سيرته فيها
ثم نقل منها الى قضاء غرناطة فلم تطل مدته
فيها

للقاضى عياض شعر حسن فمما رواه
عنه ولده أبو عبد الله محمد قاضى دانية قال
أنشدنى لنفسه فى خامات زرع بينها شقائق
النعمان هبت عليها ريح :

انظر الى الزرع وخاماته
تحكى وقد ماست امام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة
شقائق النعمان فيها جراح

الخامة القصبة الرطبة من الزرع

وأنشد أيضاً لأبيه :

الله يعلم انى منذ لم أركم
كطائر خانه ريش الجناحين
فلو قدرت ركبت البحر نحوكم
لان بعدكم عنى جنى حينى

ذكره العماد فى كتاب الخريدة فقال
انه كبير الشأن ، غزير البيان . ثم قال وله
فى لزوم مالا يلزم :

اذا ما نشرت بساط انبساط
فعنه فديتك فاطو المزاحا
فان المزاح على ماحكاه
أولو العلم قبلى عن العلم زاحا

ومدحه أبو الحسن بن هرون المالقى
بقوله :

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم
والظلم بين العالمين قديم
جعلوا مكان الراء عينا فى اسمه
كى يكتموه فانه معلوم
لولاه ما ناحت أباطح سبتة
والروض حول فنائها معدوم

ولد القاضى عياض بمدينة سبتة سنة
٤٧٦ وتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ

عاف الرجل الطعام يعافه عيفا
كرهه . و (عاف الطير) يعيفها عيافة
زجرها وتفاءل بأسمائها ومبها بطها وبأصواتها
او تشاءم منها ، وهى عادة كانت عند
العرب واليونانيين وغيرهم

عال الرجل يعيل عيلا وعيلة
افتقر فهو عائل (والاسم العيلة): و(عالنى
الشيء) عيلا أعوزنى وأعجزنى و (عيّل
الرجل) كثر عياله

عيم اعتام الرجل اختار .

وأخذ «عيمّة الشيء» أى خياره

﴿العين﴾ هى أكرم أعضاء الانسان وأنفعها وهى مركبة من أجزاء ظاهرة وهى الحاجب والجفنان والاهداب ومن أجزاء باطنة وهى نوعان .

١ ـ أغشية «الملتحمة» وهى غشاء رقيق شفاف وهو سبب لمعان العين طبيعته مخاطية وهو يغشى الجهة الامامية من كرة العين والكرة الخلفية للجفنين

٢ ـ والصلبة أى بياض العين وهى غشاء لبنى متين مثقوب من الخلف ثقبا ضيقا يمر فيه العصب البصرى ، وفيه من الامام ثقب أكبر منه تدخل فيه القرنية وهى غشاء شفاف موضوع فى الجهة المقدمة من الصلبة وهى كزجاجة الساعة

والمشيمة وهى غشاء وعائى احمر اللون او اسوده موضوع فى داخل الصلبة

والقزحية وهى غشاء لبنى وعائى موضوع خلف القرنية وفيه فتحة وهى المسماة بالحدقة تختلف ألوانها وهى موضوعة خلف القرنية فقد تكون سوداء او زرقاء وهى المعطية لون العين وهى لطيفة تنقبض من الضوء الشديد وتنبسط فى الضوء الخفيف

والشبكية وهى امتداد من العصب البصرى هو الجزء الحساس من العين وبها يتم الابصار اذ عليها ينطبع الشيء المرئى أولا ثم ينتقل الى المخ بواسطتهم

وأما الرطوبات «فأولها» الرطوبة المائية وهى توجد فى خزانتين منفصلتين احداهما عن الأخرى بالقزحية

«ثانيتها» البلورية وهى رطوبة متجمدة شكلها عدسى موضوعة فى الجسم الزجاجى

«ثالثتها» الجسم الزجاجى وهو مادة تشبه الهلال الشفاف موضوع داخل الشبكية

(أمراض العين) اقرأها فى كلمة «رمد»

(صحة العين) العين من الاعضاء السريعة التأثر وهى مع ذلك معرضة للجو تعرضا مستمراً فيجب العناية بأمرها عناية تلائم سمو وظيفتها . فمما يضر بالعين الهواء الحار فانه يجفف الرطوبة المندية لها واختلاف الأهويه لانه يحبس العرق عن الوجه فيحتقن الغشاء المخاطى المغشى للعين فيزيد احساسها ويحصل من ذلك رمد، والابخرة المتصاعدة من المراحيض ومن معامل

الرصاص والزئبق . فيجب أن لا يعرض الانسان عينيه لهذه المؤثرات فان اضطر لذلك وجب عليه تمريضهما بحذر شديد ثم اراحتهما بعد الفراغ من العمل اراحة طويلة

ثم ان العوارض الضارة بالعين لا تقتصر على ماتأتيها عرضا من الجو بل تتناول بعض مايتناوله الانسان من المشروبات والمأكولات

فمن المشروبات التي تضر بالعين السوائل الكحولية لانها توجه الدم الى الرأس فتسبب احتقانا فى العينين ، ومن المآكل الضارة بهما التوابل وما شابهها

وأما زيادة الاحساس فبأن يكون الشخص لا يستطيع احتمال النور فعلاجه استعمال النظارات الزرقاء ثم التدرج فى لونها من الزرقة الشديدة الى ما بعدها حتى تنتهى الى زجاجة بيضاء فتكون العين قد تعودت الضوء فلا ترجع للتألم منه

وأما ضعف الاحساس وهو عدم امكان رؤية الاشياء الا بضوء شديد فعلاجه الراحة والتعود على النظر للاشياء فى ضوء ضعيف

(تغيرات الابصار) قد يحدث لبعض الناس تغيرات فى الابصار كطول النظر أو قصره أو زيادة فى الاحساس البصرى او ضعفه

فأما قصر النظر فناشىء من تحدب العينين وبروزها وكلاهما ناشىء عن زيادة رطوبتها

وأما طول النظر فهو ناشىء من قلة الرطوبة المائية التى تسبب فلطحة العين وهى تنشأ فى الخامسة والاربعين من عمر الانسان ثم تزيد كلما تقدم العمر

كلتاهما تين العلتين تعالجان بالنظارات

﴿ عانه ﴾ يعينه عينا اصابه بعينه فهو عائن والمصاب معين انظر كلمة (حسد)

(عين الشىء) خصصه . و (عاينه) رآه بعينه . و (رآه عيانا) اى معاينة . و (العين) الباصرة . والجاسوس . والحاضر من كل شىء ، يقال بعته عينا بعين ؛ وخيار الشىء والدينار والذهب والنقد وذات الشىء والسيد (والعيون) الشديد الاصابة بالعين و (امرأة عيناء) اى حسنة العين و (المعان) المنزل و (المعيان) الشديد الاصابة بالعين

﴿ أبو العيناء ﴾ هو أبو عبد الله محمد ابن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء مولى أبي جعفر المنصور المعروف بأبي العيناء صاحب النوادر والشعر والادب

أصله من اليمامة ومولده بالاهواز ومنشأه بالبصرة وبها طلب الحديث وكتب الادب وسمع من أبي عبيدة والاصمعي وأبي زيد الانصاري والعتبي وغيرهم وكان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً ومن ظرفاء العالم ، وفيه من اللسن وسرعة الجواب والذكاء مالم يكن في أحد من نظرائه وله في ذلك أخبار مدونة وأشعار في غاية الرقة وخصوصاً مع أبي علي الضرير

حضر أبو العيناء يوماً مجلس بعض الوزراء فتفاوضوا في البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من السخاء والجود ؛ فقال الوزير لابي العيناء وكان قد بالغ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل قد أكثرت يا أبا العيناء من ذكرهم ، ووصفك اياهم؛ وانما هذا تصنيف الوراقين ، وكذب المؤلفين

فقال له أبو العيناء فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير ؟ فسكت الوزير وعجب الحاضرون من قدامه عليه

وشكا أبو العيناء الى عبد الله بن سليمان بن وهب الوزير سوء الحال. فقال له ألسنا قد كتبنا الى ابراهيم بن المدبر في أمرك ؟

فقال أبو العيناء : نعم قد كتبت الى رجل قد قصر من همته طول الفقر ، وذل الاسر ، ومعاناة الدهر : فأخفق سعيي ، وخابت طلبتي

فقال عبيد الله أنت اخترته

فقال ابو العيناء . وما عليّ أيها الوزير في ذلك وقد اختار موسى قومه سبعين رجلا فما كان فيهم رشيد . واختار النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سعد بن أبي سرح كاتباً فرجع الى المشركين مرتدا . واختار علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا موسى الاشعري حكما فحكم عليه

وانما قال أبو العيناء لاسر لان ابراهيم المذكور كان قد أسره علي بن محمد صاحب الزنج بالبصرة وسجنه فنقب السجن وهرب

ودخل أبو العيناء على أبي صقر اسماعيل بن بلبل الوزير يوما فقال له ما الذي

أحرك عنا ياأبا العيناء ؟
فقال سرق حماری
فقال وكيف سرق ؟
قال لم أكن مع اللص فأخبرك
قال فهلا أتيتنا على غيره ؟
قال قعد بى عن الشراء قلة يسارى
وكرهت ذل المكارى ، ومنة العوارى
وخاصم ابو العيناء يوما علويا ، فقال له العلوى تخاصمنى وانت تقول كل يوم : اللهم صل على محمد وآل محمد
فقال ابو العيناء لكنى اقول الطيبين الطاهرين ولست منهم
ووقف عليه يوما رجل من العامة فلما أحس ابو العيناء به وكان ضريرا ، قال من هذا ؟
قال رجل من بنى آدم
فقال ابو العيناء مرحبا بك اطال الله بقاءك ، ماكنت اظن هذا النسل الا قد انقطع
وسار يوما الى باب صاعد بن مخلد فاستأذن عليه فقيل هو مشغول بالصلاة
فقال ا و العيناء لكل جديد لذة
وكان صاعد قبل الوزارة نصرانيا
ومر بباب عبد الله بن منصور وهو مريض قدصح فقال لغلامه كيف خبره ؟
فقال كما تحب
فقال ابو العيناء ما لى إذن لا أسمع الصراخ عليه ؟
ودعا أبو العيناء سائلا ليعشيه فلم يدع شيئا الا أكله
فقال له ابو العيناء : ياهذا دعوتك رحمة فتركتنى رحمة
ولقيه بعض أصحابه فى السحر فجعل يتعجب من بكوره
فقال له ابو العيناء اراك تشركنى فى الفعل وتفردنى فى التعجب
وذكر له ان المتوكل قال : لولا انه ضرير لنادمناه
فقال ابو العيناء ان أعفانى من رؤية الاهلة ، وقراءة نقش الفصوص فأنا أصلح للمنادمة
وقيل له الى متى تمدح الناس وتهجوهم؟
فقال مادام المحسن يحسن والمسىء يسىء ، بل أعوذ بالله أن اكون كالعقرب التى تلسب النبى والذمى
وكان بينه وبين ابن مكرم مداعبات
فسمع ابن مكرم رجلا يقول : من ذهب بصره قلت حيلته

فقال له ماأغنلك عن أبى العيناء ذهب بصره فعظمت حيلته

وسمع ابو العيناء ابن مكرم يقول فى بعض دعائه : يارب سائلك

فقال : يا ابن الفاعلة ومن ليس سائله

وقال له ابن مكرم يوما يعرض به : كم عدد المكذبين بالبصرة ؟

فقال مثل عدد البنائين ببغداد

ودخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى سنة ٢٤٩ فقال له الخليفة ماتقول فى دارنا هذه :

فقال يأمير المؤمنين: ان الناس بنوا الدور فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك

فاستحسن كلامه ثم قال له : كيف شرابك للخمر ؟

فقال اعجز عن قليله وافتضح عند كثيره

فقال له أمير المؤمنين: دع عنك هذا ونادمنا

فقال ابو العيناء انا رجل مكفوف وكل من فى مجلسك يخدمك ، وأنا محتاج ان اخدم ، ولست آمن من أن تنظر الى بعين راض وقلبك على غضبان ، أو بعين غضبان وقلبك راض ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ، فاختار العافية على التعرض للبلاء

فقال له الخليفة بلغنى عنك بذاء فى لسانك

فقال يأمير المؤمنين قد مدح الله تعالى وذم : فقال نعم العبد انه أواب وقال عزوجل هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم . وقال الشاعر :

اذا أنا بالمعروف لم أثن صادقا

ولم أشتم النكس اللئيم لمذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه

وشق لى الله المسامع والفما

قال فمن أين انت ؟

قال أبو العيناء : من البصرة

قال فما تقول فيها ؟

قال ماؤها اجاج ، وحرها عذاب ، وتطيب فى الوقت الذى تطيب فيه جهنم

ولما سلم نجاح بن مسلمة الى موسى ابن عبد الله الاصبهانى ليستأدى ماعليه من الاموال ، عاقبه فتلف فى مطالبته ، وفى تلك الليلة بلغ المعتز بالله بن المتوكل الخبر فجتمع بعض الرؤساء بأبى العيناء فقال له : ماعندك من خبر نجاح بن مسلمة

فقال ابو العيناء : « فوكزه موسى

فقضى عليه»

فباغت كلمته هذه موسى فلقى ابا العيناء في الطريق فتهدده

فقال له ابو العيناء : اتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس (١)

وكتب الى بعض الرؤساء وقد وعده بشيء فلم ينجزه :

« ثقتي بك تمنعني من استبطائك، وعلمي بشغلك يدعوني الى اذكارك ، ولست آمن من استحكام ثقتي بطولك، والمعرفة بعلو همتك اخترام الاجل ، فان الآجال آفات الآمال، فسح الله من اجلك، وبلغك منتهى أملك والسلام »

ولد أبو العيناء آخر المئة الثانية بالاهواز ونشأ بالبصرة وكف بصره وقد بلغ اربعين سنة وسكن بغداد مدة ثم عاد الى البصرة وتوفي بها سنة (٢٨٣) وقيل (٢٨٢)

﴿ عاه ﴾ المال يَعَيْهُ عَيْهاً اصابته العاهة

﴿ عَيَّ ﴾ الرجل بأمره وعَيِيَ يَعْيَا عَيا لم يهتد لمراده فهو (عَيَّان) و(عَيِيَ في المنطق) حصر فهو (عَيّ وعَيِيّ)

(أعيا الماشي) إعياء تعب و (داء عَيَاء) لا يبرأ منه . و(رجل عَيّ) أي ذو عِيّ جمعه اعياء .

(١) وجه الظروف في قوله (فوكزه الخ) وقوله (أتريد أن تقتلني الخ) انهما آيتان من القرآن نزلا في حق موسى عليه السلام

﴿ الى هنا انتهى بحول الله تعالى المجلد السادس ﴾

(ويليه المجلد السابع وأوله حرف الغين)

(والحمد لله أولا وآخراً)

DA'IRAT MA'ARIF AL-Karn Al-'Ishrin

by

Muhammad Farid Wajdi

VOL. 6